مقامات الحريري

لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري



تحقيق

سحبان أحمد مروّة

الانتشار العربي

مقامات الحريري

لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد
ابن عثمان الحريري البصري
(٤٤٦-٥١٦هـ)-(١٠٥٤-١١٢٢م)

تحقيق:
سحبان أحمد مروة

مؤسسة الانتشار العربي

مقامات الحريري

لأبي محمد القاسم بن علي بن محمد
ابن عثمان الحريري البصري

(٤٤٦-٥١٦هـ)-(١٠٥٤-١١٢٢م)

تحقيق:

سحبان أحمد مروة

الانتشار العربي

ص.ب. 113/5752
E-mail: arabdiffusion@hotmail.com
www.alintishar.com
@Alintishar Alarabi @Alintishar Alarabi

بيروت - لبنان
هاتف: 9611-659148 فاكس: 9611-659150

ISBN 978-614-404-232-8

الطّبعة الأولى 2012

الفهرس

الإهداء

إلى أحمد عبد الكريم مروة

أبي

بعض زمانك وكل هواك هذا

رأيتني، وأنا أخوض في هذا الكتاب، كالسكران، يرى فلا يعي ما يرى؛ فما في هذا الكتاب فيض من الألفاظ، لم يكن مطروقاً في زمان صاحبه، فما بالك بزمان كزماننا هذا؛ تتلاشى فيه الألفاظ وتنقرض، ويضيق القاموس، وتضيع المسمّيات، وتصبح العربية جدّاً أو نسيباً، ولّى منذ زمان بعيد، وقد سمع المرء به دون أن تكون له آصرة، تربطه بالفؤاد وما فيه من ذكريات. وفي الحق فإن المرء سيُقبِل على هذا الكتاب ويغادره مفتوناً به تستبدّ به الدهشة ولكن دون إحساس بالميل بله الشغف بما رآه فهو كتاب لا ينفكّ يشعرك بقصورك وعجزك وبعدك عمّا تدعيه من معرفة أو تزعمه من إجادة وإحسان.

بيد أنني سأكون ظالماً مفتئتاً إن أنا قلت إن صُحبتي تلك لم تُثِر فيّ إحساساً بشيء أكثر دنواً من القلب وألصق بالذكريات وما تخلق من سحب يغلب عليها الشجن والحنان والحنين؛ فأنا امرؤ قد شارف النهاية وكاد أن يبلغ من العمر غايته أذكر زماناً لا أعرف له وصفاً أصدق من الشفاهي أو السماعي أو اللفظي فلقد أدركت ذلك الزمان وكان فيه أبي وكوكبة من صحبه لا يعرفون كيف يزجون الأوقات إلاّ بالمطارحات الشعرية والروايات الظريفة المنتقاة من كتب كانت عزيزة المنال في ذلك الزمان الفقير إلى كل شيء ولكن الغني بأهله وناسه وكانت الأحاجي اللغوية نقل تلك الجلسات الأنيسة ومن كالحريري مهارة وحذقاً في هذا المضمار ومن يبزّه مصدراً لكل ذلك فهو في مقاماته فقيه وأديب ونحوي وماجن وهو بكلمة واحدة كل ما يشتاقه ابن ذلك الجيل ويحتاج إليه.

ولا إبالغ إن أنا قلت؛ إن أبي، رضوان الله عليه، كان معي في كل لحظة من لحظات الشغل في هذا الكتاب، وكنت أغالب سأمي وضيقي بما أرى؛ بصورة أبي أستحضرها، فأراها روحاً وراحة تسعفني وتمدّني بالمزيد من النشاط لأكمل عملاً كنت أحسبه كغيره مما عملت ولكنه تحوّل إلى ضرب من ضروب البرّ والوفاء.

مقامات الحريري كتاب ماهر ولكنه كتاب أصفر السحنة يحتاج إلى كثير من الدم

الذي يفور في مقامات الهمذاني ولئن صحّ الزعم بالغاية التعليمية وأنها كانت باعثاً لإملاء المقامات بعامّة فإن هذا الزعم يصحّ هنا فأنت تقرأ هنا وتتعلّم ولكنك في مقامات الهمذاني تقرأ وتعيش وأقول على سبيل المثال إن مسرح المقامات الحريرية أي مكان حدوثها لا يكاد يعني شيئاً ويمكن تغيير اسمه دون أن يُصاب المعنى أو المبنى بضرٍّ أو فساد لا يمكن إصلاحه وأنا لا أرى ما يميز بغداد عن طيبة أو ملطية أو تفليس أو حتى الصحراء فالمكان هنا صورة تلصق على جدار وأمامها تتحرك الأشخاص وكلهم نكرات بلا وجوه أو أفئدة أو أي شيء مما يعين ذاكرة المرء على استحضارهم فيما يلي من الزمان بل إن البطل الثاني أي الراوي وهو الحارث بن همام يصعب على مخيلة المرء أن تضع له رسماً فهو رجل سرديّ يروي ويروي دون انفعال حقيقي بما يرويه وإلى الحارث والمكان لابد من ذكر المرأة فهي هنا فرج سليط اللسان وافر الغلمة عظيم المكر والحريري لم يبعد كثيراً عن حقيقة ما يعتقده القوم حتى أيامنا هذه على رغم ما يشاع ويذاع ويرفع البعض عقيرتهم به من آيات بيّنات تحتاج إلى سند من الحقيقة والواقع.

أما السروجي فرجل مُكدٍ أتقن الحريري نقل سيرته وأعطاه الكثير من الدفء الإنساني فهو يرحم ويشفق ويتوب ويندم ولكنه فوق كل هذا الوسيلة التي توسّلها الحريري ليردّ بها لنفسه الاعتبار وليزري على أبناء زمانه غفلتهم وانخداعهم وقد لا أذهب بعيداً إن أنا زعمت أن السروجي هو الحريري نفسه كما أراد أن يكون ولكن منعته موانع جمّة ليس أقلها الدمامة ولا الحصر والعي في المحافل كما سيبين في ما استظهرته من نصوص تروي سيرته فالحريري معلّم كان يجلس لطلبة العلم في حلقة تخصّه في المسجد فيملي ويشرح ويفصّل ويستفيض في الشرح ولكن لا تكاد تسمع عنه خبراً في المجالس التي يغلب عليها الأخذ والرد والجدل.

إنه على ما روى ابن خلّكان في وفياته:

«أبو محمّد القاسم بن عليّ بن محمّد بن عُثمان الحريريّ البصريّ الحرامي صاحب المقامات، كان أحد أئمّة عصره، ورزق الحظوة التامة في عمل المقامات، واشتملت على شيء كثير من كلام العرب: من لغاتها وأمثالها ورموز أسرار كلامها، ومن عرفها حق معرفتها استدل بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادته، وكان سبب وضعه لها ما حكاه ولده أبو القاسم عبد الله قال: كان أبي جالساً في مسجده ببني حرام

فدخل شيخ ذو طمرين عليه أهبة السفر رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة، فسألته الجماعة: من أين الشيخ فقال: من سروج، فاستخبروه عن كنيته فقال: أبو زيد، فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية، وهي الثامنة والأربعون، وعزاها إلى أبي زيد المذكور، واشتهرت فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان ابن خالد بن محمد القاشاني وزير الإمام المسترشد بالله، فلما وقف عليها أعجبته، وأشار على والدي أن يضم إليها غيرها، فأتمها خمسين مقامة، وإلى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقوله: (فأشار من إشارته حكم، وطاعته غنم، إلى أن أنشئ مقامات أتلو فيها البديع، وإن لم يدرك الظالع شأو الضليع)... فهذا كان مستنده في نسبتها إلى أبي زيد السروجي.

وذكر القاضي الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي وزير حلب في كتابه الذي سماه إنباه الرواة على أنباه النحاة أن أبا زيد المذكور اسمه المطهر بن سلار، وكان بصرياً نحوياً لغوياً، صحب الحريري المذكور، واشتغل عليه بالبصرة وتخرج به، وروى عنه القاضي أبو الفتح محمد بن أحمد بن المندائي الواسطي ملحة الأعراب للحريري، وذكر أنه سمعها منه عن الحريري وقال: قدم علينا واسط في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة، فسمعتها منه، وتوجه منها مصعداً إلى بغداد فوصلها وأقام بها مدة يسيرة وتوفي بها، رحمه الله تعالى.

وأما تسمية الراوي لها بالحارث بن همام فإنما عنى به نفسه، هكذا وقفت عليه في بعض شروح المقامات، وهو مأخوذ من قوله ﷺ كلكم حارث وكلكم همام فالحارث الكاسب، والهمام الكثير الاهتمام، وما من شخص إلا وهو حارث وهمام، لأن كل واحد كاسب ومهتم بأموره.

وقد اعتنى بشرحها خلق كثير: فمنهم من طول، ومنهم من اختصر.

ورأيت في بعض المجاميع أن الحريري لما عمل المقامات كان قد عملها أربعين مقامة، وحملها من البصرة إلى بغداد وادعاها، فلم يصدقه في ذلك جماعة من أدباء بغداد، وقالوا: إنها ليست من تصنيفه، بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت أوراقه إليه فادعاها، فاستدعاه الوزير إلى الديوان وسأله عن صناعته، فقال: أنا رجل منشئ، فاقترح عليه إنشاء رسالة في واقعة عينها، فانفرد في ناحية من الديوان، وأخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله سبحانه عليه بشيء من ذلك، فقام وهو خجلان، وكان في جملة من أنكر دعواه في عملها أبو القاسم علي بن أفلح الشاعر - المقدم ذكره - فلما لم يعمل الحريري الرسالة التي اقترحها الوزير أنشد

ابن أفلح، وقيل إن هذين البيتين لأبي محمد بن أحمد المعروف بابن جكينا الحريمي البغدادي الشاعر المشهور:

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما ألجمه في العراق بالخرس

وكان الحريري يزعم أنه من ربيعة الفرس، وكان مولعاً بنتف لحيته عن الفكرة، وكان يسكن في مشان البصرة، فلما رجع إلى بلده عمل عشر مقامات أخر وسيرهن، واعتذر من عيه وحصره في الديوان.

وللحريري تواليف حسان منها (درة الغواص في أوهام الخواص) ومنها (ملحة الاعراب) المنظومة في النحو، وله أيضاً شرحها، وله ديوان رسائل وشعر كثير غير شعره الذي في المقامات.

ويحكى أنه كان دميماً قبيح المنظر...

وكانت ولادة الحريري في سنة ست وأربعين وأربعمائة، وتوفي سنة ست عشرة، وقيل خمس عشرة وخمسمائة بالبصرة، في سكة بني حرام وخلف ولدين.

نسبته بالحرامي إلى هذه السكة، رحمه الله تعالى، وهي بفتح الحاء المهملة والراء وبعدها ألف بعده ميم، وبنو حرام: قبيلة من العرب سكنوا في هذه السكة فنسبت إليهم.

والحريري: نسبة إلى الحرير وعمله أو بيعه.

والمشان: بفتح الميم والشين المعجمة وبعد الألف نون، بليدة فوق البصرة كثيرة النخل موصوفة بشدة الوخم، وكان أصل الحريري منها، ويقال إنه كان له بها ثمانية عشر ألف نخلة، وإنه كان من ذوي اليسار».

وينقل ياقوت في معجمه عن الحريري:

«سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات يقول: أبو زيد السروجي كان شيخاً شحاذاً بليغاً، ومكدياً فصيحاً، ورد علينا البصرة فوقف يوماً في مسجد بني حرام فسلم ثم سأل الناس، وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبتهم فصاحته، وحسن صياغة كلامه وملاحته، وذكر أسر الروم ولده كما ذكرناه في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون. قال: واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها، فحكيت لهم ما شاهدت من

ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده، فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنه سمع منه في معنى آخر فضلاً أحسن مما سمعت، وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله، ويظهر في فنون الحيلة فضله، فتعجبوا من جريانه في ميدانه، وتصرفه في تلونه وإحسانه، فأنشأت المقامة الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات، وكانت أول شيء صنعته». معجم الأدباء \ ج 2.

أما الكدية فظاهرة تحيّزت حيّزاً واسعاً في الثقافة العربية والإسلامية ومرد ذلك عندي إلى غياب الوازع الأخلاقي والإحساس بالعدل لدى الحكام والولاة فالخليفة أو الأمير يجيز شاعراً بما يعيل آلاف الأسر بسبب بيت لا يعدو كونه نفاقاً مسجّعاً يرضي غرور الأمير وكل ذلك في وقت يقتل فيه على الظُنّة وتلهب سياط جلاوزته جلود الأكارين ومن إليهم من البؤساء الذين لم يبق لهم من الإسلام غير طقوس واجبة باهظة الكلفة دون أن تكون لهم أيّة حقوق والدين الذي كان المستضعفون أهله وغايته وجنده حوّله السلطان إلى تميمة تحمي تخته وأطلق العنان للكذّابين والوضّاعين لينشروا أحاديث تحض على الطاعة وتؤيّد السلطان بالمشيئة الإلهية وتجعل منه عوضاً عنها وتأمر الخلق بالصبر إلى يوم بعيد يقتطعون فيه قصوراً ويركبون فيه نساء ويكرعون ويزدردون ما لذ وطاب لهم في الجنة فكان من جرّاء ما تقدّم انشطار المجتمع الإسلامي إلى طوائف أو طبقات بلغة هذا العصر توزعت على السلطان أو الوالي وحاشيته والجند والفقهاء والتجار وكانت الطبقة الدنيا عاكفة على أرض تحييها أو سفينة تقودها أو صنعة تؤديها وكان النفاق وإيثار السلامة والعافية شعار الجميع بدءاً من الأكّار وصعوداً حتى الوالي وفي مناخ كهذا المناخ كان لا بد للمكدين أن يظهروا ولا بد للكدية أن تستشري فالكدية على ما جاء في التمثيل والمحاضرة:

الكدية ربحٌ بلا رأس مال وصفاقة الوجه رزق حاضر.

ولنصغ، لمزيد من الإضاءة، إلى ما ينقله البيهقي في «المحاسن والمساوئ» عن الجاحظ:

قال الجاحظ: سمعت شيخاً من المكدين وقد التقى مع شاب منهم قريب العهد بالصناعة فسأله الشيخ عن حاله فقال: لعن الله الكدية ولعن أصحابها من صناعة ما أخسها وأقلها، إنها ما علمت تخلق الوجه وتضع من الرجال، وهل رأيت مكدياً أفلح؟ قال: فرأيت الشيخ قد غضب والتفت إليه فقال: يا هذا أقلل الكلام فقد أكثرت، مثلك

لا يفلح لأنك محروم ولم تستحكم بعد وإن للكدية رجالاً فما لك ولهذا الكلام! ثم التفت فقال: اسمعوا بالله يجيئنا كل نبطيّ قرنان وكل حائك صفعان وكل ضرّاط كشخان يتكلم سبعاً في ثمان إذا لم يصب أحدهم يوماً شيئاً ثلب الصناعة ووقع فيها، أوما علمت أن الكدية صناعة شريفة وهي محببة لذيذة صاحبها في نعيم لا ينفد فهو على بريد الدنيا ومساحة الأرض وخليفة ذي القرنين الذي بلغ المشرق والمغرب حيث ما حلّ لا يخاف البؤس، يسير حيث شاء، يأخذ أطايب كل بلدة؟ فهو أيام النرسيان والهيرون بالكوفة، ووقت الشبّوط وقصب السكر بالبصرة، ووقت البرنيّ والأزاذ والرّازقيّ والرمان المرمر ببغداد، وأيام التين والجوز الرطب بحلوان، ووقت اللوز الرطب والسختيان والطبرزد بالجبل، يأكل طيبات الأرض، فهو رخي البال حسن الحال لا يغتمّ لأهل ولا مال ولا دار ولا عقار، حيث ما حلّ فعلفه طبليّ، أما والله لقد رأيتني وقد دخلت بعض بلدان الجبل ووقفت في مسجدها الأعظم وعليّ فوطة قد ائتزرت بها وتعممت بحبل من ليف وبيدي عكازة من خشب الدفلى وقد اجتمع إلي عالم من الناس كأني الحجّاج بن يوسف على منبره وأنا أقول: يا قوم رجل من أهل الشام ثم من بلد يقال له المصيصة من أبناء الغزاة والمرابطين في سبيل الله من أبناء الركّاضة وحرسة الإسلام، غزوت مع والدي أربع عشرة غزوة سبعاً في البحر وسبعاً في البر، وغزوت مع الأرمنيّ، قولوا رحم الله أبا الحسن، ومع عمر بن عبيدالله، قولوا رحم الله أبا حفص، وغزوت مع البطال بن الحسين والرنرداق بن مدرك وحمدان بن أبي قطيفة، وآخر من غزوت معه يازمان الخادم، ودخلت قسطنطينية وصليت في مسجد مسيلمة بن عبد الملك، من سمع باسمي فقد سمع ومن لم يسمع فأنا أعرفه نفسي، أنا ابن الغزيّل بن الركان المصيصي المعروف المشهور في جميع الثغور والضارب بالسيف والطاعن بالرمح، سدٌّ من أسداد الإسلام نازل الملك على باب طرسوس فقتل الذراري وسبى النساء، وأخذ لنا ابنان وحملا إلى بلاد الروم فخرجت هارباً على وجهي ومعي كتب من التجار فقطع عليّ وقد استجرت بالله ثم بكم فإن رأيتم أن تردّوا ركناً من أركان الإسلام إلى وطنه وبلده!

والكدية لغة:

«... ويقولون: رجل مُكَدِّي. وأكثر ما يلحن في هذا أهل المشرق، ويقولون المُكَدِّية، للسؤّال الطوافين على البلاد. والصواب: رجل مُكْدٍ، من قولك: حفرَ فأكْدَى، إذا بلغ الكُدية فلم تُنبِط ماءً، والكُدْية أرض صُلْبة، إذا بلغ الحافرُ إليها يَئِس من

الماء. قلت: يريد أنهم يقولون: مُكَدٍّ، بفتح الكاف وتشديد الدال، والصواب ضم الميم وسكون الكاف وتخفيف الدال». عن: تصحيح التصحيف وتصويب التحريف

وهذه حكاية رواها التنوخي في نشوار المحاضرة:

«وحدثني، قال: حدثني القاضي أحمد بن سيار، قال: حدثني شيخ من التجار بعمان، قال: كنت بالأبلة، أريد الخروج إلى البحر، فرأيت سائلاً بباب الجامع، فصيح اللسان، مليح المسألة، فرققت له، وأعطيته دراهم صالحة. وخطفت في الوقت إلى عمان، فأقمت بها شهوراً، ثم قضي لي أن مضيت إلى الصين، فدخلتها سالماً، فإذ أنا يوماً أطوف، فإذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق. فتأملته، فعرفته، فقلت له: ويحك، سائلاً بالأبلة، وسائلاً بالصين. فقال: قد دخلت إلى هذا البلد، ثلاث دفعات، وهذه الرابعة، لطلب المعيشة، فلا أجدها إلا من الكدية، فأرجع إلى الأبلة، ثم أرجع إلى ها هنا. قال: فعجبت من شدة حرمانه».

ولا أحسب أن أحداً سيغفل عن سفر الرجل ثلاث مرات إلى الصين لطلب المعيشة فلا يجدها إلا في الكدية وذلك في زمان نقول إنه ذهبي ونحلم بالرجوع إليه.

يقول الأحنف العكبري:

قد قسّم الله رزقي في البلاد فما ... يكاد يدرك إلّا بالتفاريقِ
ولستُ مكتسباً رزقاً بفلسفةٍ ... ولا بشعر ولكنْ بالمخاريقِ
والناس قد علموا أني أخو حيلٍ ... فلستُ أنفق إلّا في الرساتيقِ

ويقول:

رأيت في النوم دنيانا مزخرفةً ... مثل العروس تراءت في المقاصيرِ
فقلت جودي فقالت لي على عجلٍ ... إذا تخلّصتُ من أيدي الخنازيرِ (عن اليتيمة)

وبنو خنزير قبيلة واسعة ينتسب إليها الكثير من الأعيان حتى أيامنا هذه في كل صقع!

وفي ما يلي أبيات من القصيدة الساسانية، لأبي دلف الخزرجي الذي حفظ لنا تراث الساسانيين أي المكدين فيها وأثبتها الثعالبي غير كاملة، في يتيمته، وأحسب أن من سيتأنّى في قراءتها فسيعرف السروجي حق المعرفة وسيعرف أن الكدية لم تكن وسيلة السفلة بل كانت من الشيوع حتى إن الكثير من الأشراف والمضطهدين والقرّاء واللغويين ومن جار عليهم الدهر قد توسّلوها في سبيل شيء من كرامة العيش:

لـقـد ذقـت الـهـوى طـعـمـيـ ... ـن مــن حــلــوٌ ومــن مــرٌ
ومـن كـان مِـنَ الأحـرا ... ر يـسـلـو سـلـوة الـحـرٌ
ولا سـيـمـا وفـي الـغـربـة ... أودى أكـثـر الـعـمـرِ
تـعـرّيـت كـغـصـن الـبـا ... ن بـيـن الـورق والـخـضـرِ
فـطـابـت بـالـنّـوى نـفـسـي ... عـلـى الإمـسـاك والـفـطـرِ
عـلـى أنـي مـن الـقـوم الـ ... بـهـالـيـل بـنـى الـغـرٌ
بـنـى سـاسـان والـحـامـي ... الـحـمـى فـي سـالـف الـعـصـرِ
تـغـرّبـنـا إلـى أنـا ... تـنـاءيـنـا إلـى شـهـرِ
فـظـلّ الـبـيـنُ يـرمـيـنـا ... نـوى بـطـنـاً إلـى ظـهـرِ
كـمـا تـفـعـل الـريـح ... بـكُـثْـبِ الـرمـل فـي الـبـرٌ
فـطـبـنـا نـأخـذ الأوقـا ... ت فـي الـعـسـر وفـي الـيـسـرِ
فـمـا نـنـفـكُّ مـن صـمّـي ... ومـا نـفـتـرُّ مـن مـتـرِ
فـأحـلـى مـا وجـدنـا الـعـيـ ... ش بـيـن الـكـمـد والـخـمـرِ(1)

ويقول:

فـنـحـن الـنـاس كـل الـنـا ... س فـي الـبـرّ وفـي الـبـحـرِ
أخـذنـا جـزيـة الـخـلـق ... مـن الـصـيـن إلـى مـصـرِ
إلـى طـنـجـة بـل فـي كـ ... ـل أرضٍ خـيـلُـنـا تـسـري
إذا ضـاق بـنـا قـطـرٌ ... نـزلْ عـنـه إلـى قـطـرِ
لـنـا الـدنـيـا بـمـا فـيـهـا ... مـن الإسـلام والـكـفـرِ
فـنـصـطـاف عـلـى الـثـلـج ... ونـشـتـو بـلـد الـتـمـرِ

ويقول:

ومـنـا الـكـاغ والـكـاغـ ... ـة والـشـيـشـق فـي الـنـحـرِ(2)

(1) الصمى: الشرب، والمتر، والكمد: هو النيك. التفسير هنا وفي ما يلي عن الثعالبي.
(2) الكاغ والكاغة: المتجانن والمتجاننة، والشيشق: الحدائد والتعاويذ التي يلقونها على أنفسهم.

ومـــن دروز أو حـــــــر ز أو كـــوز بـــالـــدغـــرِ[1]
ومـــن قـــصّ لإســـرائـــيـــ ـل أو شـــبـــراً عـــلـــى شـــبـــرِ[2]
ومـــن بـــشْـــرَك أو نـــوْ ذك أو أشـــرَك بـــالـــهـــبـــرِ[3]
ومـــنـــا الـــمـــصـــطـــانـــيـــو ن مـــن مـــيـــزَقَ بـــالأســـرِ[4]
ومـــنـــا كـــلُّ قـــنّـــاءٍ عـــلـــى الإنـــجـــيـــل والـــذكـــرِ[5]
ومـــنْ كـــدى عـــلـــى كـــيـــســـا ن فـــي الـــســـرِّ وفـــي الـــجـــهـــرِ[6]
ومـــنـــا الـــنـــائـــح الـــمـــبـــكـــي ومـــنـــا الـــمـــنـــشـــد الـــمـــطـــري
ومـــن ضـــرّب فـــي حـــبٍّ عـــلـــيٍّ وأبـــي بـــكـــرِ
ومـــن يـــروي الأســـانـــيـــد وحـــشـــو كـــلِّ قـــمـــطـــرٍ[7]
ومـــنـــا شـــعـــراء الأر ض أهـــل الـــبـــدو والـــحـــضـــرِ
ومـــنـــا ســـائـــر الأنـــصـــا ر والأشـــراف مـــن فـــهـــرِ
ومـــنـــا قـــيِّـــم الـــديـــن الـــ مـــطـــيـــع الـــشـــائـــع الـــذكـــرِ

---

(1) دروز: إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء، حرز: إذا كتب التعاويذ والحراز، كوز: إذا أقام في المجلس، والمكوز: هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه. والدغر: المقاسمة.

(2) من قص: هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال لها الشبريات.

(3) بشرك: تزيا بزي الرهبان تزهداً. نوذك: إذا كدي على أنه من الحجاج، أشرك بالهبر: إذا شارك شركاءه في ما يأخذه.

(4) المصطبانيون: قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر: المصطبان، ميزق: كدى.

(5) القناء: الذي يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم.

(6) كيسان: قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم، ويكدون عليهم بالمذهب.

(7) والنائح المبكي: قوم ينوحون على الحسين بن علي، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه، ﷺ ا.

ومن ضرب في حب: قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانباً ويروي فضائل أبي بكر ﷺ، ويقف الآخر جانباً ويروي علي ﷺ، فلا يفوتهما درهم الناصبي والشيعي، ثم يتقاسمان الدراهم.

ومن يروي الأسانيد: هؤلاء يروون الأحاديث على قوارع الطرق.

يكدى من معزّ الدو … لة الخبز على قدرِ
ومن يقرأ بالسبع … وإدغام أبي عمرو
وأصحاب المقالات … من الفاجر والبرِّ
ومنّا كل ذي سمتٍ … خشوع القنّ كالحبرِ
يرقّي وتراه با … كياً دمعته تجري
فإن كبّن في السرّ … فبالمذقان يستذري[1]
ألا إني حلبت الدهـ … ـر من شطرٍ إلى شطرِ
وجبت الأرض حتى صر … ت في التّطواف كالخضرِ
وما عيش الفتى إلا … كحال المدِّ والجزرِ
فإن لمت على الغربـ … ـة مثلي فاسمعنْ عذري
أمالي أسوةٌ في غر … بتي بالسادة الطُّهرِ
همُ آل الحواميم … هم الموفون بالنذرِ
هم آل رسول اللـ … ـه أهل الفضل والفخرِ
بكوفان وطيِّ كر … بلا كمْ ثمّ من قبرِ
وبغداد وسامرا … وباخمرى على السكرِ
وفي طوس مناخ الركـ … ـب في شعبان في العشرِ
وسلمانٌ وعمّارٌ … غريبٌ وأبو ذرٍّ[2]
قبورٌ في الأقاليم … كمثل الأنجم الزهرِ
فإن أظفر بآمالي … شفيتُ غُلّة الصدرِ
والممت بأوطانٍ … قويّ النهي والأمرِ

---

(1) كبن: خري، والكبن الاسم منه، يقول: إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا المسجد وأخذه البطن يخرى تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان وهو المحراب.

(2) كوفان هي الكوفة وفي كربلا قبر الحسين بن علي وفي طوس قبر الإمام الشيعي علي الرضا بن موسى الكاظم وأما سلمان فهو الصحابي سلمان الفارسي وأما عمار فعمار بن ياسر صحابي قتل وهو يحارب إلى جانب الإمام علي وأما أبو ذر فأبو ذر الغفاري الصحابي الذي نفاه عثمان ونفاه من ثم معاوية فمات بالربذة.

وقـد تـخـفـق فـوقـي عـزّةُ ألـويـة الـنـصـرِ
وإمـا تـكـن الأخـرى وعـزٌ جـائـز الـكـسـرِ
فـلا أُبـتُ مـع الـسـفـر غـداة أوبـة الـسَّـفـرِ
ولا عـذتُ مـتـى عـدت بـلا عـزٍّ ولا وفـرِ

وعوداً على بدء أزعم أن الحريري أراد بالسروجي التنبيه على ما غشي الأمّة من آفات وفساد فبزّ البديع في الحيّز الذي تحيّزه وفي مواضيع مقاماته ولئن كانت لغة البديع أمرع ووصفه أبرع فإن الحريري قد كلّف نفسه فوق ما يسعها وكلّف سامعه وقارئه ما لا يطيقان فهو يكتب مقامة مهملة وأخرى معجمة وثالثة رقطاء ورابعة تقرأ طرداً وعكساً وخامسة حمّلها ما لايحتمل من الأحاجي والألغاز وفي هذا ما فيه من التكلّف الفظيع الذي يشي باضطرار الأديب إلى الغلو في الغريب كي يقتنص رغيفه بل لقد أفرد للفتيا مقامة قامت على اللعب بالألفاظ يرد فيها السؤال بظاهر منكر كالسجود على العذرة يقرّه ويجوّزه المفتي أي السروجي ولكن سرعان ما يتبين القارئ أن المراد بالعذرة باحة الدار أو السؤال عن جواز أن يحمل الدارس القرآن والدارس هو من يدرس ويفتي السروجي بحرمة ذلك ثم نعلم أن الدارس هي المرأة وقد حاضت وهكذا دواليك.

ولئن شهدت تلك الشعوذة اللغوية والفقهية والأدبية على شيء فإنما هي تشهد على مهارة ومعرفة صاحبها وعلى تحوّل العلوم الإنسانية إلى التكلّف والحذلقة التي تبهر ولكن لا تفضي إلى كثير ولعل الحريري لا يكاد يبدو بشخصه إلاّ في المواعظ فهو على ما يظهر من سيرته رجل ورع على جانب من التقوى عظيم وهو أيضاً رجل معلّم فلا تكاد تخلو مقامة من فائدة أدبية أو لغوية يهتم بها ولها كل مشتغل باللغة والأدب في ذلك الحين ويبدو أيضاً في ذكره ظاهرة الرياء التي تحتفل بمظهر المرء لا بمخبره وهو ما كابده الحريري بنفسه حين كانت تقتحمه عيون الخلق لدمامته أو بسبب ثيابه كما تروي سيرته وكما حدث للسروجي في المقامة الفراتية.

«. . . ويحكى أنه كان دميماً قبيح المنظَر، فجاءه شخص غريب يزوره ويأخذ عنه شيئاً، فلما رآه استزرى شكله، ففهم الحريري ذلك منه، فلما التمس منه أن يملي عليه قال له: اكتب:

مـا أنـت أول سـارٍ غـرّه قـمـرٌ ورائـد أعـجـبـتـه خـضـرةُ الـدِّمـنِ
فـاخـتـرْ لـنـفـسـك غـيـري إنـنـي رجـلٌ مـثـل الـمـعـيـديّ فـاسـمـع بـي ولا تـرنـي

فخجل الرجل منه وانصرف . . . »عن وفيات الأعيان.

هذا وقد ترك الحريري باب الإصلاح مفتوحاً على مصراعيه فالسروجي يقف واعظاً في آخر مقاماته فيدركه حال بكل ما يعنيه لفظ الحال عند المتصوفة فيتوب وينيب ويرذل الدنيا وأهلها ويعرض عن زخارفها وهو حل لعمر الله مغرق في السلبية فخلاص الأمة لا يكون بترك الحبل على الغارب للظَلَمة لا سيما وأن الدين يحضّ على تقويم المنكر بالقلب واليد واللسان وهذا كما يشهد التاريخ لم يكن بل يشهد بأن الزهد والتصوف تحولا إلى مباءة للفاسدين والمفسدين كما تشهد بذلك أبيات أثبتها المقريزي في خططه وتقول:

ما شروط الصوفيّ في عصرنا اليو م سوى ستةٍ بغير زياده
وهي نيكُ العلوق والسّكْر والسط لة والرقص والغنا والقياده

وما أصاب الزهد أصاب الأدب فلقد بدأ الانحدار بالحريري وانتهى بل لمّا ينتهِ بعد فالكثير من القول بات أجوف لو نقرت عليه لطن ليبوسته وجفافه ولعل المرء لا يغالي حين يزعم أن في الكثير مما وصلنا من زمان بعيد حداثة وجدة نفتقر إليها حتى في أيامنا هذه.

الحريري قامة فارعة الطول عظيمة الظل لا مراء في ذلك ولا غلو بيد أن جنايته على الأدب العربي كانت باهظة بشهادة ما كتبه من أتوا بعده حين تمثّلوه في ما كتبوا وقالوا وصحيح أن الاحتفال بمقاماته كان واسعاً في الشرق والغرب ولكن ذلك يشهد لعلمه ومعرفته غير أن العلم والمعرفة لا يصنعان الحياة ولا يسع الحي الاجتزاء بهما.

يقول ياقوت، وهو المعجب بالحريري، في معجمه:

«ولقد وافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ألفته فإنه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتسعت له الألفاظ، وانقادت له نور البراعة حتى أخذ بأزمتها وملك ربقتها، فاختار ألفاظها وأحسن نسقها، حتى لو ادعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله، ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت وأكثر».

وأنا لا أدفع في صدر الحريري ولا أنتقص براعته ولا أرد عليه قوله ولا أدّعي القدرة على الإتيان بجملة بله بفصل يحاكي فصوله فأنا قاصر مقرٌّ بالقصور وكيف لا

أكون والمقامات كتاب يشبه خريطة ملأى بالمعادلات الرياضية والجمل الحسابية لا تنقلني إلى مطمح ولا تحلّني في مشتهى ولا تفثأ عني غائلة كثير مما غال المرء ويغوله أمس وأول أمس وإلى آخر الزمان.

وبعد فلقد حان حين الانصراف ومغادرة المقامات وفي الحلق جفاف وفي القلب كمد ولقد كنت أشتهي أن تكون القدرة موائمة الرغبة ولكن عزائي أنني قد بذلت الوسع وهو وإن كان قليلاً وضئيلاً إلا أنه أفضل من لا شيء ولئن كان الكمال بعيداً إلا أنني أرجو أن تكون المغفرة غير بعيدة فالقارئ قد لا يدرك حزونة ما كنت فيه ولا يعي أن أحد علماء العربية قد مات وفي نفسه شيء من حرف واحد وإنني سأموت وفي نفسي أشياء وأشياء من حروف لا تعد ولا تحصى على رغم الوفرة الوافرة من المظان التي رجعت إليها واستنرت بها وظلت الحاجة إلى المزيد تزداد وتزداد حتى حسبتني في جهنم التي تسأل هل من مزيد.

على أنني أرجو أن لا أكون من أهلها.

سحبان أحمد مروة

الزرارية في الأول من شهر أيّار/مايو 2010

المقامة(*)

المقامة والمقام لغة بحسب ابن منظور:

«المجلس. ومَقامات الناس: مَجالِسُهم؛ قال العباس بن مرداس أنشده ابن بري:

فأَيِّي ما وأَيُّكَ كان شَرّاً فَقِيدَ إلى المَقامةِ لا يَراها.

ويقال للجماعة يجتمعون في مَجْلِسٍ: مَقامة؛ ومنه قول لبيد:

ومَقامةٍ غُلْبِ الرِّقابِ كأَنَّهم جِنٌّ، لدَى بابِ الحَصِيرِ، قِيامُ.

الحَصِير: المَلِك ههنا، والجمع مَقامات؛ أنشد ابن بري لزهير:

وفيهِمْ مَقاماتٌ حِسانٌ وجُوهُهُمْ وأَنْدِيةٌ يَنْتابُها القَوْلُ والفِعْلُ.

ومَقاماتُ الناسِ: مَجالِسهم أيضاً. والمَقامة والمَقام: الموضع الذي تَقُوم فيه. والمَقامةُ: السّادةُ. . . . والمُقامُ والمُقامةُ: الموضع الذي تُقيم فيه.

والمُقامة، بالضم: الإقامة. والمَقامة، بالفتح: المجلس والجماعة من الناس».

ونقل الشريشي عن الأعلم قوله:

«المقامة المجلس يقوم فيه الخطيب يحضّ على فعل الخير».

وهو كلام لم يجانب الحقيقة فمن هنا بدأ اللفظ وتدرّج معناه وأخذ يضيق ليصير مصطلحاً يدلّ قبل كل شيء على ضرب من الكلام الفني والحكائي بلغ ذروته في

(*) أثبت هنا كلاماً سبق لي أن قدّمته بين يدي مقامات البديع التي نشرتها دار الانتشار العربي في العام الفائت وأنا إذ أنقلها برمّتها فلعلمي أن جديداً لم يطرأ فأضيفه وما عندي وأنا القليل البضاعة ما أستدرك به أمراً فات ولكنني رأيت أن المرء قد يفوته الحصول على مقامات البديع فرأيت توفير ما له علاقة بالمقامة بعامة بين دفتي هذا الكتاب (س.م).

مقامات البديع ومن ثم أبي القاسم الحريري وإلى هذا ذهب د. زكي مبارك حين قال إن أهل القرن الثالث كانوا يعرفون ألواناً من المحاورات الأدبية تعرف بالمقامات وإن المقامات انتقلت إلى كلام المعتفين الذين يتوسلون إلى الأغنياء بكلام مسجوع فيقولون «إرحموا مقامي هذا» ويجمل د. يوسف عوض الأمر فيقول:

«. . . المقامة في إطارها اللغوي تمثّلت في حديث يلقى على جماعة من الناس إما بغرض النصح والإرشاد وإما بغرض الثقافة العامة أو التسوّل ومع كل فإنها لم تلتزم شكلاً فنياً محدداً وكل ما يميزها أنها حديث ذو نزعة وعظية أو ثقافية يلقى على جماعة من الناس».

الصنعة والتصنّع

نصل الآن إلى أثر من أعظم آثار البديع على النثر العربي خطراً ألا وهو مذهبه في الصنعة والتصنّع:

«كان همّ بديع الزمان الأول أن يجمع في كل مقامة من مقاماته طائفة من الأساليب البلاغية المصنّعة التي تعتمد على السجع والبديع، وإنه ليسرف في تجميل كل مقامة بأوسع طاقة ممكنة من الزخرف والزينة والتنميق، ومن ثمّ انصرف عن الموضوع إلى الأسلوب وذهب يجمله فنوناً من التجميل والترصيع، فالترصيع والتجميل هما غايته من عمله حتى تستوي له طُرَفٌ إنشائية بليغة تروع معاصريه...». الفن ومذاهبه في النثر العربي لشوقي ضيف.

لم يأت ارتكاز المقامة على الصنعة والتصنع فجأة فالنثر العربي القديم والسابق على المقامة والذي كان موزعاً على الحكمة والمثل وخطب الخطباء وسجع الكهان والقصة والخرافة قد استخدم كل المحسنات البديعية وبخاصّة منها السجع وهو الأكثر حضوراً في رسائل البديع ومقاماته بيد أنني لا أحسب أن العربي قد أقبل على المحسنات عن عمد بل يخيّل إلي أنها كانت تأتيه بالفطرة وعفو الخاطر ومن الغلو القول بأن المثل مثلاً وهو ابن ساعته قد جاء بإعمال فكر وكذلك قل في الخطابة التي كانت ترتجل في مناسبات طارئة غالباً ما يفاجىء الخطيب بها.

فمن الأمثال ولكل مثل حكاية قيل في سياقها:

«أجناؤها أبناؤها» «حال الجريض دون القريض» «إلبس لكل حالة لبوسها إمّا نعيمها وإمّا بوسها» «طال الأبد على لبد» الخ. مجمع الأمثال.

وأما السجع فهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من النثر، وأفضله ما تساوت فِقره ثم ما طالت فقرته الثانية ثم ما طالت ثالثته ويذكرون من أقسامه المطرّف، وهو ما

اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في التقفية نحو قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: 13-14].

ومنه المرصّع وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرها في الوزن والتقفية نحو قول الهمذاني: إن بعد الكدر صفوا وبعد المطر صحوا.

ومنه السجع المتوازي وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾ [الغاشية: 13-14].

أما السجع في اللغة فيعني:

«سجع: سَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضاً.

قال ذو الرمة:

قَطَعْتُ بها أَرْضاً تَرَى وَجْه رَكْبِها إذا ما عَلَوْها، مُكْفَأً غَيْرَ ساجِعِ

أي جائراً غير قاصد.

والسّجْع: الكلام المُقَفَّى، والجمع أسجاع وأساجِيعُ؛ وكلام مُسَجَّع. وسَجَعَ يَسْجَعُ سَجْعاً وسَجَّعَ تَسْجِيعاً: تَكَلَّم بكلام له فَواصِلُ كفواصِلِ الشِّعْر من غير وزن، وصاحبُه سَجّاعةٌ وهو من الاسْتِواءِ والاستقامةِ والاشتباهِ كأن كل كلمة تشبه صاحبتها.

قال ابن جنّي: سمي سَجْعاً لاشتباه أواخِره وتناسب فَواصِلِه وكسَّرَه على سُجُوع، فلا أدري أرواه أم ارتجله، وحكِي أيضاً سَجَع الكلامَ فهو مسجوعٌ، وسَجَع بالشيء نطق به على هذه الهيئة. والأُسْجُوعةُ: ما سُجِعَ به. ويقال: بينهم أُسْجُوعةٌ.

وسَجْعُ الحمامةِ: موالاة صوتها على طريق واحد. تقول العرب: سجَعَت الحمامة.

إذا دَعَتْ وطَرَّبَتْ في صوتها. وسجَعت الناقة سَجْعاً: مدّت حَنِينَها. وأصل السجْعِ: القَصْدُ المُسْتَوي على نسَقٍ واحد». لسان العرب.

وكان السجع في الزمن السابق على بعثة النبي سمة يتسم بها حديث العرّافين والكُهّان ومن هنا كره النبي السجع واستخدامه ورويت أحاديث عن مقته السجع

«قال الأزهري: ولما قضى النبي، ﷺ، في جَنِينِ امرأة ضربتها الأخرى فَسَقَطَ مَيِّتاً بغُرّة على عاقلة الضاربة قال رجل منهم: «كيف نَدِيَ من لا شَرِبَ ولا أكل، ولا صاحَ فاستهل، ومِثْلُ دمِه يُطَلّ؟».

قال، ﷺ: إياكم وسَجْعَ الكُهّان.

وروي عنه، ﷺ، أنه نهى عن السَّجْعِ في الدُّعاء.

قال الأزهري: إنه، ﷺ، كره السَّجْعَ في الكلام والدُّعاء لمُشاكلتِه كلامَ الكهَنَة وسجْعَهم فيما يتكهنونه. لسان العرب.

ولكن النبي كان قد أعرب، على رغم ما تقدم، عن إعجابه بقس بن ساعدة فقال:

«رأيته بسوق عكاظ على جمل أحمر وهو يقول: أيها الناس اجتمعوا واسمعوا وعوا، من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت... ليل داج وسماء ذات أبراج ما لي أرى الناس يموتون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم حُبسوا فناموا». البيان والتبيين 2\309.

وسر كراهية النبي للسجع كامن في أن القرشيين قد نبزوه بالكهانة الأمر الذي ردّ عليه القرآن في سورتي الطور: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ﴾ [29].

وفي سورة الحاقة: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [42].

بيد أن القرآن لم يخل من السجع ولا اجتنبه النبي دائماً ففي القرآن نماذج للسجع المتساوي الفقرات:

﴿فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الواقعة: 28-29].

وللسجع الذي طالت فقرته الثانية:

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ [النجم: 1-2].

وللسجع الذي طالت فقرته الثالثة:

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾ [البروج: 5-7].

ومن سجع النبي قوله يدعو:

«اللهم أعط مُنفِقاً خلفاً وأعط ممسكاً تلفاً».

هذا ولن تفوتنا الإشارة إلى سورة الرحمن التي يراها د عبدالله الطيب بحسب ما نقل عنه د. يوسف عوض:

«من أروع النماذج التي تجلّت فيها القدرة الفائقة على تسجيع القوافي وإتقان أحكام الازدواج والإيقاع وتكرار نغم بعينه كي يزداد رنين الإيقاع وذلك في قوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمٰن: 13].

أما القرآن نفسه:

«فلقد جاء خارجاً من أعاريض القصيد ولكنه مع ذلك ذو إيقاع رصين وفواصل كالقوافي واسجاع وازدواج بارع النغم».

ينقل الجاحظ عن عبد الصمد بن الفضل بن عيسى الرقاشي وقد سئل:

«لم تؤثر السجع على المنثور، وتُلزِم نفسك القوافي وإقامة الوزن؟ أنه قال:

«إن كلامي لو كنت لا آمل فيه إلاّ سماع الشاهد لقلّ خلافي عليك، ولكنّي أريد الغائب والحاضر، والراهن والغابر، فالحفظ إليه أسرع، والآذان لسماعه أنشط، وهو أحقّ بالتقييد وبقلّة التفلّت. وما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور، أكثر مما تكلمت به من جيّد الموزون، فلم يحفظ من المنثور عشره ولا ضاع من الموزون عشره» البيان والتبيين.

ومؤدى كلام الجاحظ أن السجع هو السبيل الوحيد لحفظ القول وتخليده وفي الحقيقة فإن السجع سرعان ماعاد للتداول بسبب زوال علّة الكراهية المشار إليها آنفاً وبسبب قيام ديوان الرسائل في الدولة وكان من أعلامه عبد الحميد كاتب مروان بن الحكم وفي ذلك الديوان ولد فن التوقيعات وهي ردود أولي الأمر على مايردهم من رسائل وغالباً ما تكون جملاً قصيرة بليغة موزونة رصينة وأبرز أعلام هذا الفن بلا منازع كان جعفر بن يحيى البرمكي:

«يا هذا، كثر شاكوك، وقلّ شاكروك، فإمّا اعتدلت، وإمّا اعتزلت».

وإلى جانب الرسائل فثمة الخطابة وخطب الجمعة بخاصة في المساجد وما تحتاج إليه من عمل وصناعة كي يستولي الخطيب على ألباب مستمعيه لا سيما وانهم عرب ساميون شفاهيون سماعيون يزنون القول بميزان الصيارفة الجهابذة مما يجعل من الوقوف على المنبر تجربة صعبة حتى أن خطيباً مفوّها كالخليفة المرواني عبد الملك عزا سرعة الشيب إلى رأسه، إلى الوقوف على المنبر وعرض عقله على الناس وخوفه اللحن.

ثم بدأت الكتابة والتأليف وحسبنا أن نذكر كتاباً كسهل بن هارون والجاحظ وإن لم يحفلا بالصنعة ولا بالمحسنات ولكن دون إهمالها واطراحها. وأخيراً جاء البديع فمضى بالصنعة إلى أبعد حد ولكن لم تكن لغته ثقيلة ولا صنعته ممجوجة بل كانت تمتاز برشاقة ونداوة افتقدتهما اللغة فيما بعد فالبديع بالمقارنة مع غيره يبزّهم ويتفوّق عليهم:

«إن في إنشاء ابن العميد ترف القصور وأناقتها ولكنه يكاد يكون معدوم الحرارة،

في حين ترى النار المتأججة في رسائل البديع فلم يخمدها كر الدهور والعصور». مارون عبود.

لكن وأياً يكن وجه الأمر فإن البديع:

«كان مقدمة من مقدمات مذهب التصنّع، وليس معنى ذلك أنه يخرج عن مذهب التصنيع وإطاره، بل هو أحد أساتذته في عصره، حتى لتشبه المقامة من مقاماته واجهة أحد المساجد المزخرفة لعهده، لكثرة ما شغل فيه بالتنميق والتصنيع والترصيع، وغاية ما في الأمر أنه وجد في هذه المرحلة التي أخذت تتحول فيها صناعة النثر العربي من مذهب التصنيع إلى مذهب التصنع فتسربت شيات وسمات من ذلك إلى عمله...». الفن ومذاهبه لشوقي ضيف.

وهذا الكلام للأستاذ ضيف بصيب المحزّ وذلك أن من وقف على المقامات التي وضعت بعد البديع سيرى بالعين المجردة كيف خسرت المقامة حيويتها وعافيتها وانقلبت إلى وعاء لحذلقات وبهلوانيات لغوية كما هو الحال مع الحريري واليازجي أو تحولت إلى نص وعظي أخلاقي كما هو الحال مع الزمخشري وابن الجوزي وإن كان الأخير قد حفظ للمقامة راويتها وبطلها ولم ينبذهما كالزمخشري الذي أولى الصنعة اهتماماً كبيراً.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اللهُمّ إنّا نحْمَدُك على ما علّمْتَ من البَيانِ، وألْهَمْتَ من التّبْيان[1]. كما نحْمَدُك على ما أسْبغْتَ[2] منَ العَطاء، وأسبَلْت[3] من الغِطاء. ونَعوذُ بكَ منْ شِرّةِ[4] اللّسَنِ، وفضولِ الهذَرِ[5]. كما نَعوذُ بكَ منْ معرّةِ[6] اللّكَنِ، وفُضوحِ الحصَرِ[7]. ونَستَكْفي بكَ الافتِتانَ بإطْراء المادِحِ، وإغضاءِ المُسامِحِ. كما نَستَكْفي بكَ الانتِصابَ لإزْراء القادِحِ[8]، وهتْكِ الفاضِحِ[9]. ونسْتغْفِرُك منْ سَوْقِ الشَّهَواتِ، إلى سُوقِ الشُّبُهاتِ[10]. كما نستغْفِرُكَ منْ نقْلِ الخطَواتِ، إلى خِطَطِ الخَطيئَاتِ[11]. ونسْتَوْهِبُ منْكَ توفيقاً قائِداً إلى الرُّشْدِ، وقَلْباً متقلِّباً معَ الحقّ، ولِساناً متحلّياً

(1) يقول الشريشي: البيان منك لغيرك والتبيان منك لنفسك. فالبيان هو ظهور المعنى ووضوحه والتبيان تفهّمه. وفي الحديث: «إن من البيان لسحرا».

(2) أسبغ العطاء أكثره وأجزله.

(3) أسبل الغطاء أطاله والمراد هنا ستر الله.

(4) هي الحدة والفحش أحياناً وسلاطة اللسان.

(5) فضول الهذر أي الإفراط والزيادة في كلام لا طائل تحته.

(6) المعرّة هي العيب وقيل إنها من العرّة أي الفعلة القبيحة أو من العُر أي الجرب وأما اللكن فالعي واحتباس اللسان عند الكلام.

(7) فضوح الحصر أي فضيحة العي.

(8) الإغضاء هو الإغماض والمراد هنا التغافل أي انه يسأل الله أن لا يغريه إغضاء المسامح بالتمادي. أما الإزراء فالتنقيص والقادح الذي يعيب فهو يسأل الله أن يكفيه القيام للاعتراض على زراية من يزري به وينتقصه ويعيبه.

(9) أما الهتك فالخرق وأما الفاضح فالذي يشهّر بالفضيحة وهو يسأل الله أن لا يهتك فاضح ستره

(10) الشبهات ج شبهة كل ما اشتبه والتبس عليك أمره.

(11) الخطط ج خطة هي الطريق يخطها المرء حداً.

بالصّدْقِ، ونُطْقاً مؤيَّداً بالحُجّةِ[1]، وإصابةً ذائِدَةً عنِ الزَّيْغِ[2]، وعَزيمةً قاهِرةً هَوى النّفْسِ، وبصيرةً نُدْرِكُ بها عِرْفانَ القَدْرِ، وأنْ تُسعِدَنا بالهِدايَةِ، إلى الدِّرايَةِ[3]، وتَعْضُدَنا بالإعانَةِ[4]، على الإبانَةِ، وتعْصِمَنا منَ الغَوايَةِ[5]، في الرِّوايَةِ[6]، وتصرِفَنا عنِ السّفاهَةِ، في الفُكاهَةِ[7]، حتى نأمَنَ حصائِدَ الألْسِنَةِ، ونُكْفَى غَوائِلَ[8] الزّخْرفَةِ؛ فلا نَرِدَ موْرِدَ مأثَمةٍ، ولا نقِفَ موْقِفَ مَنْدمَةٍ، ولا نُرْهَقَ بتَبِعةٍ[9]، ولا مَعتَبَةٍ[10]، ولا نُلْجأَ إلى معْذِرَةٍ عنْ بادِرَةٍ[11]. اللهُمّ فحقِّقْ لَنا هذِهِ المُنْيَةَ، وأنِلْنا هذِه البُغْيَةَ[12]! ولا تُضْحِنا[13] عنْ ظِلّكَ السّابغِ[14]، ولا تجْعَلْنا مُضغَةً للماضِغِ[15]! فقدْ مدَدْنا إليْكَ يدَ

(1) أي كلاماً تؤيده البراهين وبعبارة أخرى نطقاً سليماً لا يلتوي على الحق.
(2) الذود هو الدفع والطرد والزيغ هو الشك والجور في الحق والميل عنه إلى الباطل.
(3) الدراية هي التعلم واكتساب العلم بجهد وتكلّف وهي في الفقه الإسلامي العلم بمتن الحديث وسنده وطرق تصحيحها وسقيمها وعليلها وهو عند البهاء العاملي «علم يبحث فيه عن سند الحديث ومتنه وكيفية تحمّله وآداب نقله».
(4) العضد هنا بمعنى العون والدعم.
(5) هي الضلالة والفتنة.
(6) الرواية هي النقل وهي ما يروى عن الغير من حديث وهي عند الفقهاء الخبر المنتهي من ناقل إلى ناقل حتى ينتهي إلى المنقول عنه وهو النبي عند الجميع والنبي أو الإمام عند الشيعة وفي اللغة والأدب عن أعلام بعينهم.
(7) السفاهة هي الجهل وهو في أصل معناه يعني الخفة والنزق والطيش في القول والفعل والإسفاف ومؤدى العبارة أنه يسأل الله أن يجنّبه الإسفاف والفحش حين يتظرّف.
(8) واحدتها غائلة وهي مؤنث الغائل وهو الداهية - والفساد والمهلكة والشر وإلى هنا رمى الكاتب.
(9) التبعة هي ما يترتب على الفعل من خير أو شر غير أنها تستخدم للشر أكثر.
(10) المعتبة هي الموجدة أي العتب.
(11) البادرة هي البديهة وهي ما يفرط من الإنسان في حال الغضب من سقطة في قول أو فعل وإلى هذا رمى الكاتب.
(12) الحاجة والمراد.
(13) لاتضحنا أي لا تزلنا ولا تصرفنا.
(14) الطويل الوافي.
(15) أي لا تجعلنا أحدوثة في أفواه الناس فيأكلون لحومنا بالغيبة.

المسْألَةِ. وبخَعْنا بالاسْتِكانَةِ لكَ والمَسْكَنةِ[1]. واستَنْزَلْنا كرَمكَ الجَمّ[2]، وفضْلَكَ الذي عمّ، بضَراعَةِ الطّلَبِ[3]، وبِضاعَةِ الأمَلِ؛ بالتّوسّلِ بمحَمّدٍ سيّدِ البشَرِ، والشّفيعِ المُشفَّعِ في المحْشَرِ، الذي ختَمْتَ بهِ النّبيّينَ، وأعليتَ درجتَهُ في عِلّيّينَ، ووَصَفْتَه في كِتابِك المُبينِ؛ فقُلتَ وأنتَ أصدَقُ القائلين: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]! اللهُمّ فصَلِّ علَيه وعلى آلِه الهادينَ، وأصحابِه الذين شادوا الدّين، واجْعَلْنا لهَدْيِه وهَديهِمْ متّبِعينَ، وانْفَعْنا بمحبّتِه ومحبّتِهِمْ أجْمَعينَ، إنّك على كُلّ شيء قديرٌ، وبالإجابةِ جَديرٌ!

وبعْدُ فإنّهُ قدْ جرَى ببَعْضِ أنْديَةِ الأدَبِ الذي ركَدَتْ في هذا العصْرِ ريحُهُ وخبَتْ مصابيحُهُ[4]، ذِكْرُ المَقاماتِ التي ابْتَدعَها بَديعُ الزّمانِ، وعلاّمَةُ همَذانَ[5]، رحِمَهُ اللهُ تعالى! وعَزا إلى أبي الفتْحِ الإسكَنْدَريّ نشْأتَها، وإلى عيسى بنِ هِشامٍ رِوايتَها؛ وكِلاهُما مجْهولٌ لا يُعرَفُ، ونَكِرةٌ لا تتَعرّفُ! فأشارَ مَنْ إشارتُه حُكْمٌ، وطاعَتُه غُنْمٌ[6]، إلى أنْ أُنشِئَ مَقاماتٍ أتْلو فيها تِلْوَ البَديعِ، وإنْ لمْ يُدرِكِ الظّالِعُ شأوَ الضّليعِ[7]! فذاكَرْتُهُ بما قيلَ فيمَنْ ألّفَ بينَ كَلِمتَينِ، ونظَم بيْتاً أو بيتَينِ[8]؛ واسْتَقَلْتُ

(1) بخع أقرّ وخضع والاستكانة الخضوع الذليل.

(2) الكثير المجتمع من كل شيء.

(3) الضراعة هي الضوع والذل.

(4) الخبو للنار هو سكون لهيبها وخمودها دون أن ينطفئ جمرها.

(5) هو الحافظ أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد بن بشار أبو الفضل الهمذاني الملقب ببديع الزمان وقد ولد في همذان في الثالث عشر من جمادى الآخرة من العام 358 للهجرة (967 ميلادية) اشتهر بمقاماته وبرسائله وقد توفي عام 1007 م وأما همذان فمدينة في فارس جنوبي غرب طهران وفيها قبر ابن سنا هذا وتجدر الإشارة إلى أن مؤسسة الانتشار العربي قد أعادت نشر مقامات البديع كاملة.

(6) المراد هنا وزير السلطان وقيل الخليفة بل إن البعض قال إن المراد هو غلام الخليفة.

(7) الظالع هو الذي يغمز في مشيته لعيب في رجله وهو أيضاً المائل عن الطريق القويم وأما الضليع فالسمين القوي وتستخدم لوصف المتبحّر المتمكن من علم أو فن ما والضلاعة هي قوة الأضلاع.

(8) يشير الكاتب هنا إلى القول المأثور وخلاصته أن من ألف كتاباً أو نظم شعراً فقد استهدف وقيل أيضاً: لا يزال المرء في فسحة من أمره ما لم يقل شعراً أو يؤلف كتاباً.

منْ هذا المَقامِ الذي فيهِ يَحارُ الفَهْمُ، ويفرُطُ الوهْمُ، ويُسْبَرُ غوْرُ العقْلِ[1]. وتتَبَيّنُ قيمَةُ المَرْءِ في الفضْلِ[2]، ويُضْطَرّ صاحِبُه إلى أن يكونَ كحَاطِبِ لَيْلٍ[3]، أو جالِبِ رَجْلٍ وخَيْلٍ[4]! وقلّما سلِمَ مِكْثارٌ[5]، أو أُقيلَ لهُ عِثارٌ[6].

فلمّا لمْ يُسْعِفْ بالإقالَةِ، ولا أعْفَى منَ المَقالَةِ[7]، لبّيْتُ دعْوَتَهُ تلبِيَةَ المُطيعِ، وبذَلْتُ في مُطاوَعَتِه جُهْدَ المُستَطيعِ؛ وأنْشأتُ على ما أُعانيه منْ قَريحةٍ جامِدةٍ، وفِطْنَةٍ خامِدةٍ، ورَويّةٍ ناضِبَةٍ[8]، وهُمومٍ ناصِبَةٍ[9]، خمْسينَ مَقامةً تحْتَوي على جِدّ القَوْلِ وهزْلِه، ورَقيقِ اللّفْظِ وجزْلِه[10]. وغُرَرِ البَيانِ ودُرَرِه، ومُلَحِ الأدَبِ ونوادِرِه. إلى ما وشّحْتُها بهِ من الآياتِ، ومَحاسِنِ الكِناياتِ، ورصّعْتُهُ فيها من الأمْثالِ العربيّةِ، واللّطائِفِ الأدبيّةِ، والأحاجيّ النّحْويّةِ[11]، والفَتاوَى اللّغويّةِ. والرّسائِلِ المُبتَكَرةِ، والخُطَبِ المُحَبّرةِ، والمواعِظِ المُبْكِيةِ، والأضاحيكِ المُلْهِيَةِ، ممّا أمْلَيْتُ جميعَهُ على لِسانِ أبي زَيْدٍ السَّرُوجيّ، وأسْنَدْتُ رِوايتَهُ إلى الحارِثِ بنِ هَمّامٍ البِصْريّ. وما قصَدْتُ بالإحْماضِ[12] فيهِ، إلا تنْشيطَ قارِئِيهِ، وتكْثيرَ سَوادِ طالِبيهِ.

(1) سبر فعل يقال عند امتحان غور الشيء أي عمقه.
(2) إشارة إلى الحديث النبوي «قيمة كل امرىء ما يحسن».
(3) كناية عمن يخلط بين الصحيح والفاسد كمثل الحاطب أي الذي يحتطب في الليل فيجمع بين جيد الحطب ورديئه دون أن ينتبه.
(4) الرجل هو الماشي على رجليه والخيل يراد منها فوارسها.
(5) الكثير الكلام.
(6) الإقالة تعني هنا الصفح عن العثرة أو العثار وهي العيب والزلة.
(7) المقالة هنا تعني القول أي أن الخليفة لم يعفه من الكلام والإلحاح في الطلب.
(8) الروية هنا هي الفكرة والناضبة أي التي شح ونقص معينها.
(9) ناصبة من النصب وهو التعب والإعياء.
(10) الجزل من الألفاظ هو الفصيح المتين غير الركيك.
(11) ج أحجية وهي اللغز أو الأغلوطة يختبر بها الحجا وهو العقل.
(12) الإحماض هو الإفاضة في ما يؤنس من الحديث.

ولمْ أُودِعْهُ منَ الأشعارِ الأجْنبيّةِ إلا بيْتَينِ[1]؛ فذّينِ أسّسْتُ علَيْهِما بُنْيَةَ المَقامَةِ الحُلْوانيّةِ، وآخَرَينِ توأمَينِ[2] ضمّنْتُهُما خَواتِمَ المَقامَةِ الكرَجيّةِ. وما عدا ذلِكَ فخاطِري أبو عُذْرِهِ[3]، ومُقْتَضِبُ[4] حُلْوِهِ ومُرِّهِ. هذا معَ اعْتِرافي بأنّ البَديعَ رحِمَهُ اللهُ سَبّاقُ غاياتٍ، وصاحِبُ آياتٍ! وأنّ المتصَدّيَ[5] بعدَهُ لإنْشاءِ مَقامةٍ، ولوْ أوتيَ بَلاغَةَ قُدامَةَ[6]، لا يغْترِفُ إلا من فُضالَتِه[7]. ولا يسْري ذلِكَ المَسْرى إلا بدَلالَتِهِ[8]، وللهِ دَرُّ القائِلِ[9]:

فلوْ قبْلَ مَبْكاها بكَيْتُ صَبابةً   بسُعْدى شفَيتُ النفسَ قبل التّنَدُّمِ
ولكِنْ بكَتْ قبْلي فهيّجَ لي البُكا   بُكاها فقُلتُ الفضْلُ للمتَقدِّمِ

وأرْجو أنْ لا أكونَ في هذا الهذَرِ الذي أوْرَدْتُهُ، والمَوْرِدِ الّذي تورّدْتُهُ،

(1) البيتان كما سيأتي أحدهما للوأواء الدمشقي والآخر للبحتري.
(2) البيتان كما سيأتي هما لابن سكرة الهاشمي وهما توأمان لأن قائلهما واحد.
(3) من العذرة بالضم البكارة ويقال للرجل إذا افتض أنثى إنه أبو عذرتها ومن هنا سيق القول للدلالة على الأولوية في كل شيء.
(4) الاقتضاب أو التقطيع على البديهة وهو هنا كناية عن الارتجال.
(5) المتصدّي للشيء أو هو المتعرّض له.
(6) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي له «نقد الشعر» و«نقد النثر» وكان من البلغاء والفصحاء ت 948 م.
(7) الفضالة ما فضل عن الحاجة والاغتراف هو التناول باليد.
(8) اصل السرى السير بالليل والعبارة هنا تعني يقصد ذلك المقصد.
(9) ينسب البيتان إلى عدي بن الرقاع العاملي وجاء في الكامل للمبرد عن الأخفش أنهما لنصيب وهما في ديوانه ص 130 (صنعة داود سلوم\بغداد) أما عدي فهو شاعر كان خاصاً بالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك يمدحه وقد توفي نحو 714 م هذا وقد جاء في شرح الشريشي بيتان قال إنهما تقدما البيتين المثبتين أعلاه ولكنهما في ديوان نصيب باختلاف كثير:

ومما شجاني أنني كنت نائماً   أعلّل من فرط الكرى بالتنسّم
إلى أن دعت ورقاء في غصن أيكة   تُردّد مبكاها بحسن الترنّم

أما نُصَيب بن رباح فشاعر أسود كان عبداً فأعتقه عبد العزيز بن مروان وقد ولد في زمان معاوية على الأرجح وعاش حتى أيام هشام بن عبد الملك توفي حوالى 727 م .

كالباحِثِ عنْ حتْفِهِ بظِلْفِه(1)، والجادعِ مارِنَ أنفِهِ بكفِّهِ(2)! فألحَق بالأخْسَرِينَ أعْمالاً الذينَ ضلّ سعْيُهُمْ في الحياةِ الدُّنْيا، وهُمْ يحْسِبونَ أنّهُمْ يُحسِنونَ صُنْعاً(3)! على أني وإنْ أغْمَضَ لي الفَطِنُ المُتغابي ونضَحَ(4) عنّي المُحبُّ المُحابي(5)، لا أكادُ أخْلُصُ منْ غُمْرٍ(6) جاهِلٍ، أو ذي غِمْرٍ(7) متَجاهِلٍ؛ يضَعُ مني لهَذا الوضْعِ(8)، ويندّدُ بأنّهُ منْ مَناهي الشّرْعِ(9)! ومَنْ نقَدَ الأشياءَ بعَينِ المعْقولِ، وأنْعَمَ النّظَرَ في مَباني الأصولِ، نظَمَ هذِه المَقاماتِ، في سِلْكِ الإفاداتِ، وسلَكَها مسْلَكَ الموْضوعاتِ، عنِ العَجْماواتِ والجَماداتِ! ولمْ يُسْمَعْ بمَنْ نَبا(10) سمْعُهُ عنْ تِلْكَ الحِكاياتِ، أو أثّمَ رُواتَها في وقْتٍ من الأوْقاتِ. ثمّ إذا كانَتِ الأعْمالُ بالنِّيّاتِ(11). وبها انْعِقادُ العُقودِ الدِّينِيّاتِ؛ فأيُّ حرَجٍ على مَنْ أنْشأ مُلَحاً للتّنْبيهِ، لا للتّمويهِ! ونَحا بها منحَى التّهْذيبِ، لا الأكاذيبِ؟! وهلْ هُوَ في ذلِك إلا بمنزِلَةِ مَنِ انتَدَبَ لتعْليمٍ، أو هدَى إلى صِراطٍ مُستَقيمٍ؟

---

(1) مثل عربي وحكايته أن جماعة من الأعراب همّوا بذبح شاة فافتقدوا السكين وكانت الشاة تبحث الأرض بأظلافها فبرزت السكين من التراب وكان المثل.

(2) مثل عربي مثل سابقه معنى وأما المارن فما لان من الأنف وأما الجدع فقطع الأنف تحديداً.

(3) انظر الآيتين 103 و104 في سورة الكهف: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

(4) دفع عن نفسه أو عن من يحب بحجة.

(5) المحاباة هي الميل والنصرة.

(6) الجاهل من لم يجرّب الأمور.

(7) الحاقد.

(8) يحطّ من قدري بسبب ما وضعته أي المقامات.

(9) التنديد هو التشهير تكراراً أما مناهي الشرع فهي ما نهت عنه الشريعة.

(10) نفر منه وأعرض عنه ولم يبال به.

(11) حديث نبوي أخرجه البخاري وسواه وهو كالآتي: «قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».

علـى أنّني راضٍ بـأنْ أحْـمِـلَ الـهَـوى   وأخْـلُـصَ مـنْـهُ لا عـلـيّ ولا لِـيـا[1]

وباللهِ أعْتَضِدُ، فيما أعْتَمِدُ! وأعْتَصِمُ، ممّا يَصِمُ[2]! وأسْتَرْشِدُ، إلى ما يُرْشِدُ. فما المَفْزَعُ إلاّ إليْهِ، ولا الاستِعانةُ إلا بهِ، ولا التّوفيقُ إلا منْهُ، ولا الموْئِلُ إلا هُوَ! علَيْهِ توكّلتُ وإليْهِ أُنيبُ[3]، وبهِ نسْتَعينُ، وهو نِعْمَ المُعينُ.

---

(1) أنظر ديوان الصبابة لابن أبي حجلة هذا ويروى البيت:

وصـار قـصـارى مـا أريـد مـن الـهـوى   ان اخـلـص مـنـه لا عـلـيّ ولا لـيـا

وللعباس بن الأحنف بيت يدنو في معناه من هذا يقول:

فـدعـبـنـي فـلا عـلـيّ ولا لـي   أنـا راضٍ مـن الـهـوى بـالـكـفـافِ.

(2) اعتضد بالله استعان به وتقوّى والاعتماد الاتكال والاتكاء وسوى ذلك مما ليس هنا موضعه

(3) انظر الآيتين 88 في سورة هود و10 في سورة الشورى اما فعل أناب إلى الله فيعني تاب إلى الله ورجع إليه وأما الموئل فالملجأ.

المقامة الصنعانية

حدّثَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قالَ:

لمّا اقتَعدْتُ غارِبَ[1] الاغتِرابِ، وأنْأتْني[2] المَترَبَةُ[3] عنِ الأتْرابِ. طوّحَتْ بي طَوائِحُ[4] الزّمَنِ، إلى صنْعاء اليَمَنِ[5]. فدَخَلْتُها خاويَ الوِفاضِ[6]، باديَ الإنْفاضِ. لا أمْلِكُ بُلْغَةً[7]، ولا أجِدُ في جِرابي مُضْغَةً. فطَفِقْتُ أجوبُ طُرُقاتِها مِثْلَ الهائِمِ، وأجولُ في حَوْماتِها جَوَلانَ الحائِمِ[8]. وأرُودُ في مَسارحِ لمَحاتي، ومَسايِحِ غدَواتي[9]

(1) الغارب هو مقدم ظهر الدابة وهو الكاهل وهو هنا يستعير القعود على الغارب للسفر والاغتراب.

(2) النأي هو البعد وأنأتني أقصتني وأبعدتني.

(3) المتربة هي الفقر لأنها تلصق صاحبها بالتراب والأتراب هم اللدات واللدة صاحب المرء ينشأ معه.

(4) طوّح تعني توّه وبعّد وضيّع وألقى في الهواء وحمل على ركوب المهالك وطوائح الزمان حوادثه وخطوبه.

(5) يقول شرّاح الحريري إنه اختار صنعاء مسرحاً لأولى مقاماته لأنها كانت أول بلدة أنشئت بعد الطوفان.

(6) الوفضة خريطة من أدم يصرّ فيها الراعي زاده والمعنى أنه دخل المدينة فارغاً لا زاد معه ولا مال.

(7) بادي الأنفاض يعني أنه كان ظاهر الفقر والرجل إذا أنفض يكون قد فني زاده وأنفض الجراب إذا انتفض وسقط ما فيه من بقية الزاد وأما البلغة فهي اليسير من الزاد وهي ما يتبلّغ به المرء فيقيم أوده.

(8) جوب الأرض قطعها بالمشي والهائم الحيران والجول والجولان في المكان الطواف فيه دون استقرار والحومة بالفتح هي معظم الماء وأما بالضم فهي ما يحام حوله وأما الحائم فالطائر العطشان يدور ويحوم حول الماء.

(9) أرود أي ألتمس والمسارح هي مراعي البهائم واللمحات هي النظرات والعبارة تعني المواضع التي يسرّح نظره فيها وأما المسايح فالمسالك فهي المسالك ويعني بذلك الطرق التي يمشيها بالغدو والعشيّ.

ورَوْحاتي. كريماً أُخلِقُ لهُ ديباجَتي[1]، وأبوحُ إلَيْهِ بحاجتي. أو أديباً تُفَرِّجُ رؤيَتُه غُمّتي، وتُرْوي رِوايتُه غُلّتي[2]. حتى أدّتْني خاتِمَةُ المَطافِ، وهدَتْني فاتِحةُ الإلْطافِ[3]، إلى نادٍ رَحيبٍ، مُحتَوٍ على زِحامٍ ونَحيبٍ. فوَلَجْتُ غابةَ الجمْعِ، لأسْبُرَ مَجْلَبَةَ الدّمْعِ[4]. فرأيتُ في بُهْرَةِ[5] الحَلْقَةِ، شخْصاً شخْتَ[6] الخِلْقَةِ. عليْهِ أُهْبَةُ السّياحَةِ[7]، وله رنّةُ النِّياحَةِ. وهوَ يطْبَعُ الأسْجاعَ بجواهِرِ لفظِهِ، ويقْرَعُ الأسْماعَ بزَواجِرِ وعْظِهِ[8]. وقدْ أحاطَتْ بِهِ أخلاطُ الزُّمَرِ[9]، إحاطَةَ الهالَةِ بالقَمَرِ، والأكْمامِ بالثّمرِ. فدَلَفْتُ إليهِ لأقْتَبِسَ من فوائِدِه[10]، وألْتَقِطَ بعْضَ فرائِدِه[11]. فسمِعْتُهُ يقولُ حينَ خبّ[12] في مجالِه، وهَدَرَتْ شَقاشِقُ[13] ارتِجالِه:

---

(1) أخلق له ديباجتي أي أهين أو أذلّ جلدة وجهي بالطلب والسؤال وفلان يصون ديباجته أي يحفظ ماء وجهه.

(2) الغلّة هي العطش.

(3) الإلطاف حسن السؤال ويريد القول إن حسن سؤال من يلقاه في طريقه والتلطّف في ذلك يفضي إلى أن المسؤول يرشده بسرعة ويفتح له الطريق.

(4) الولوج هو الدخول والسبر هو التفتيش والتقصّي وأما المجلبة فهي السبب والشريشي يقول إنها عند البعض محلبة الدمع من الحلب.

(5) البهرة هي الوسط أي في وسط الدائرة أو الحلقة.

(6) الشخت الرقيق الدقيق من الأشخاص وهو الحطب الرقيق أيضاً.

(7) الأهبة هي العدة والسياحة هي الطواف في البلاد للنزهة والفرجة إلاّ أن اللفظ صار يدلّ على طواف الزهاد في البلاد وعدم الركون إلى مأوى تعبدّاً وإعراضاً عن الدنيا وعدة السياحة هي عدة الدرويش أي العصا وركوة الماء وثياب الصوف.

(8) الزجر هو النهي والانتهار وزواجر الوعظ يعني المواعظ القاسية في انتهارها الموعوظ لتفريطه.

(9) الأخلاط هي الأصناف والزمر هي الجماعات.

(10) دلف يعني مشى ثم توقف ثم استأنف المشي وهي هنا تعني الدنو على مهل.

(11) الفرائد ج فريدة هي شذور الذهب تفصل ما بين الجوهر والمراد أنه يريد التقاط واستيعاب نوادر حديثه ونكاته.

(12) خبّ الفرس أي راوح بين يديه ورجليه عن العدو والمراد أنه عندما انطلق الخطيب في الكلام

(13) الشقشقة بكسر الشينين هي النفاخة التي تشبه الرئة والتي تخرج من فم البعير إذا هاج ورغا وصوتها هدير وللإمام علي خطبة تسمى بالشقشقية خطب فيها بالقوم ثم توقف فقام ابن عباس يسأله الاطراد في الخطبة فأجابه الإمام «هيهات يا ابن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرّت».

أيّها السّادِرُ[1] في غُلَوائِهِ، السّادِلُ ثوْبَ خُيَلائِهِ[2]. الجامِحُ في جَهالاتِهِ، الجانِحُ إلى خُزَعْبِلاتِهِ[3]. إلامَ تسْتَمِرُّ على غَيّكَ، وتَستَمْرئُ مرْعَى بغْيِكَ[4]؟! وحتّامَ تتَناهَى في زهوِكَ، ولا تَنْتَهي عن لَهوِكَ؟! تُبارِزُ بمَعصِيَتِكَ مالِكَ ناصِيَتِكَ! وتجْتَرِئُ بقُبْحِ سيرَتِك، على عالِمِ سَريرَتِكَ! وتَتَوارَى عَن قَريبِكَ، وأنتَ بمَرْأى رَقيبِكَ! وتَستَخْفي مِن ممْلوكِكَ وما تَخْفى خافِيَةٌ على مَليكِكَ[5]! أتَظُنُّ أنْ ستَنْفَعُكَ حالُكَ، إذا آنَ ارتِحالُكَ؟ أو يُنْقِذُكَ مالُكَ، حينَ توبِقُكَ[6] أعمالُكَ؟! أو يُغْني عنْكَ ندَمُكَ، إذا زلّتْ قدَمُكَ؟! أو يعْطِفُ عليْكَ معشَرُكَ، يومَ يضُمّكَ مَحْشَرُكَ؟! هلاّ انتَهَجْتَ مَحَجّةَ اهتِدائِكَ[7]، وعجّلْتَ مُعالجَةَ دائِكَ. وفَلَلْتَ شَباةَ اعتِدائِكَ، وقدَعْتَ[8] نفْسَكَ فهِيَ أكبرُ أعدائِكَ؟ أما الحِمام ميعادُكَ، فما إعدادُكَ؟! وبالمَشيبِ إنذارُكَ، فما أعذارُكَ[9]؟! وفي اللّحْدِ مَقيلُكَ، فما قِيلُكَ[10]؟ وإلى الله مَصيرُكَ، فمَن نصيرُكَ؟ طالما أيْقَظَكَ الدّهرُ فتَناعَسْتَ، وجذَبَكَ الوعْظُ فتَقاعَسْتَ[11]! وتجلّتْ لكَ العِبَرُ

---

(1) السادر الراكب هواه لا يرده شيء والمتحيّر والغلواء هي الغلو وهي أيضاً أول الشباب.
(2) السادل هو المرخي والخيلاء هي الكبر.
(3) جنح إلى الشيء مال إليه وجنح الرجل أقبل على الشيء يعمله بيديه وقد حنا عليه صدره والخزعبلات ما تضحك به القوم والخزعبل والخُزعبيل الباطل والخَزعبل الأحاديث المستظرفة المضحكة.
(4) الغي هو الضلالة واستمرأ الطعام وجده طيباً ومريئاً والبغي هو الظلم.
(5) المراد بمالك الناصية وعالم السريرة والرقيب والمليك هو الله القادر والعالم والمحيط بالمرء فلا مناص.
(6) أوبقه إيباقاً أهلكه.
(7) الحج هو القصد والمحجة هي الطريق.
(8) الشباة هي الحد والاعتداء هنا هو الظلم والجور وقدع الفرس قدعاً كبحها بلجامها وقدع الرجل عن أمر كفّه عنه.
(9) الحمام هو الموت والإنذار الإعلام بتخويف والإعذار تقديم العذر لتبرير الحال.
(10) المقيل هو النوم والاستراحة ظهراً وهو مكان القيلولة وما قيلك يعني فماذا ستقول أي بماذا ستدفع عن نفسك.
(11) التقاعس عن الأمر هو التأخر عنه.

فتَعامَيْتَ، وحَصْحَصَ لكَ الحقُّ فتمارَيْتَ[1]، وأذْكَرَكَ الموتُ فتَناسَيتَ، وأمكنَكَ أنْ تُؤاسِيَ فما آسيْتَ! تُؤثِرُ فِلساً توعِيهِ، على ذِكْرٍ تَعيهِ[2]. وتَختارُ قَصْراً تُعْليه. على بِرٍ تُولِيهِ! وتَرْغَبُ عَنْ هادٍ تَسْتَهْدِيهِ، إلى زادٍ تَستَهْديهِ! وتُغلِّبُ حُبَّ ثوبٍ تشْتَهيهِ، على ثوابٍ تشْتَريهِ! يَواقيتُ الصِّلاتِ، أعْلَقُ[3] بقَلبِكَ منْ مَواقيتِ الصّلاةِ! ومُغالاةُ الصَّدُقاتِ، آثَرُ عندَكَ من مُوالاةِ الصَّدَقاتِ[4]! وصِحافُ الألْوانِ[5]، أشْهى إلَيْكَ منْ صَحائِفِ الأدْيانِ! ودُعابَةُ الأقْرانِ، آنَسُ لكَ منْ تِلاوَةِ القُرْآنِ! تأمُرُ بالعُرْفِ وتَنتَهِكُ حِماهُ، وتَحْمي عنِ النُّكْرِ ولا تَتحاماهُ![6] وتُزحزِحُ عنِ الظُّلْمِ ثمّ تغْشاهُ، وتخْشَى النّاسَ واللهُ أحقُّ أنْ تخْشاهُ[7]! ثمّ أنْشَدَ:

تَـبّـاً لِـطـالِـبِ دُنْـيـا ... ثَـنـى إلَـيـهـا انـصِـبـابَـهْ
مـا يـسْـتَـفـيـقُ غَـرامـاً ... بِـهـا وفَـرْطَ صَـبـابَـهْ
ولـوْ دَرَى لَـكَـفـاهُ ... مـمّـا يَـرومُ صُـبـابَـهْ[8]

---

(1) العبر جمع عبرة وهي ما يتعظ به عند رؤيته أو سماعه وحصحص الحق وضح وبان جلياً انظر سورة يوسف آية 51 وأصل المعنى سقوط الشعر وزواله فيبين ما تحته وأما التماري فان يتمارى اثنان فيعني تجادلهما وأن يتمارى في أمر يعني يشك فيه.

(2) أوعى الشيء جمعه وحفظه وكذلك في الكلام. وأوعى الزاد جعله في وعاء.

(3) اليواقيت هي الجواهر الصلات هي العطايا وأعلق بالقلب أحب وألصق.

(4) الصدقات بضم الصاد هي ما يساق للنساء من مهر والجملة تعني أنك تغلي المهر وتؤثره على حميد عاقبة التصدق على الفقراء والمساكين.

(5) الألوان هنا هي ألوان الطعام والصحاف هي الآنية أما صحائف الأديان فكتبها ومتونها التعبدية والمعنى أنك تؤثر بطنك على عقلك وروحك.

(6) النكر هنا هو المنكر والتحامي هو التجنّب.

(7) يقول إنك تزحزح غيرك عن الظلم ولكنك تغشاه أي تأتيه وتباشره وأما العبارة التالية فتلاحظ الآية 37 من سورة الأحزاب: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى﴾.

(8) تباً أي خسراناً والتتبيب الهلاك والخسارة وثنى أي عطف والإنصباب سرعة المشي والصبابة بفتح الصاد رقة الهوى والحبّ الشديد والصبابة بضم الصاد بقية الماء والأبيات الثلاثة يقول معناها =

ثمّ إنّهُ لبّدَ عَجاجَتَهُ، وغيّضَ مُجاجتَهُ[1]. واعْتَضَدَ شكْوَتَهُ، وتأبّطَ هِراوَتَهُ[2]. فلمّا رنَتِ الجَماعَةُ إلى تحفُّزِهِ، ورأتْ تأهُّبَهُ لمُزايَلَةِ مركَزِهِ[3]. أدْخَلَ كلٌّ منهُمْ يدَهُ في جيْبِهِ، فأفْعَمَ لهُ سَجْلاً منْ سَيْبِهِ[4]. وقال: اصْرِفْ هَذا في نفقَتِكَ، أو فرّقْهُ على رُفْقَتِكَ. فقبِلَهُ منهُم مُغضِياً، وانْثَنى عنْهُم مُثْنِياً[5]. وجعَلَ يودِّعُ مَنْ يُشيّعُهُ، ليَخْفى علَيْهِ مَهْيَعُهُ[6]. ويُسرّبُ منْ يتْبَعُهُ، لكَيْ يُجْهَلَ مرْبَعُهُ[7].

قال الحارِثُ بنُ هَمّامٍ:

فاتّبعْتُهُ مُوارِياً عنْهُ عِياني[8]، وقَفَوْتُ أثَرَهُ منْ حيثُ لا يَراني. حتّى انْتَهى إلى مَغارَةٍ، فانْسابَ فيها على غَرارَةٍ[9]. فأمْهَلْتُه ريثَما خلَعَ نعْلَيْهِ، وغسَلَ رِجلَيْهِ، ثمّ هجَمْتُ علَيهِ. فوجدتُهُ مُثافِناً لتِلْميذٍ، على خبْزِ سَميذٍ، وجَدْيٍ حَنيذٍ[10]، وقُبالَتَهُما

= خسر طالب الدنيا الذي مال نحوها وقصدها حثيثاً وقد ملكت عليه لبّه وعقله وهو لو كان فطناً لعلم أن النزر اليسير منها يكفيه.

(1) العجاج هو الغبار أو الدخان وهو عند الشريشي الغبرة المرتفعة وغيّض يعني جفف والمجاجة ما يطلع من الفم أو يسيل منه والمراد ان الخطيب قطع كلامه وقطع ما كان يسيل من عينيه وانفه عند البكاء.

(2) اعتضد الشيء جعله تحت عضده والشكوة هي ركوة الماء تصنع من الجلد وتأبّط وضع تحت إبطه والهراوة هي العصا.

(3) رنا نظر والتحفّز التهيّؤ لفعل شيء ما وهو هنا الانصراف والتأهّب أيضاً بمعنى الاستعداد ومزايلة المكان الصدور عنه وتركه.

(4) أفعم يعني ملأ والسجل الدلو والسيب العطاء والمراد أن القوم أجزلوا له العطاء.

(5) أن يغضي المرء هو أن يكفّ بصره حشمة أو استحياء والانثناء الرجوع والتحوّل عن الطريق والثناء الحمد.

(6) المهيع بفتح الميم الطريق البيّن الواضح.

(7) سرّب تعني فرّق والمربع المنزل في كل وقت من ربعت المكان أي أقمت به ومعنى العبارة هو السروجي فرّق مشيعيه وعمّى عليهم قصده كيلا يعلموا أين يقيم.

(8) وارى الشيء أخفاه والعيان هنا هو الشخص أي إنه الحارث قد تبع السروجي يراقبه دون أن يرى شخصه.

(9) قفا الأثر أي تبعه والغرارة الغفلة أي إن السروجي انساب خلسة كالحية إلى المغارة.

(10) ثافن مثافنة أي جلس ملاصقاً وفي رواية يقول النص فوجدته محاذياً أي جالساً عن يمين الشخص=

خابيةُ نبيذٍ. فقلتُ لهُ: يا هذا أيكونُ ذاكَ خبرَكَ، وهذا مَخْبَرَكَ؟[1] فزَفَرَ زفْرَةَ القَيْظِ، وكادَ يتميّزُ منَ الغيْظِ[2]، ولمْ يزَلْ يحَمْلِقُ إليّ، حتّى خِفْتُ أن يسطُوَ عليّ[3]. فلمّا أن خبَتْ نارُهُ، وتَوارَى أُوارُهُ[4]، أنْشَدَ:

لبِسْتُ الخَميصةَ أبغي الخَبيصَهْ ... وأنْشَبْتُ شِصّيَ في كل شِيصَه[5]
وصيّرتُ وغْطيَ أُحبولَةً ... أُريغُ القَنيصَ بها والقَنيصَه[6]
وألْجأني الدّهْرُ حتى ولَجْتُ ... بلُطْفِ احتِيالي على اللّيثِ عيصَه[7]
على أنّني لم أهَبْ صرفَهُ ... ولا نبَضَتْ لي مِنْهُ فَريصَه[8]
ولا شرَعتْ بي على موردٍ ... يُدنّسُ عِرضيَ نفْسٌ حَريصَه[9]

= أو يساره واللفظ الأول أكثر تعبيراً عن الحال والخبز السميذ هو الحواري الأبيض والجدي الحنيذ المشوي على حجارة محماة وقيل إنه السمين.

(1) الخبر للظاهر والمخبر للباطن يعني أن الحارث يسأل السروجي أتلكم كانت علانيتك وهذا سرّك.

(2) القيظ هو شدّة الحر والصيف والتميّز التقطّع ويستخدم في الغيظ والتمزّق يعني أن السروجي زفر أي ردّد أنفاسه كمن كواه الحرّ وكاد أن ينفطر ويتقطع غضباً.

(3) حملق أي فتح عينيه بشدة لفرط غضبه وسطا عليه أي وثب عليه وقهره.

(4) خبت النار خمدت والمراد هنا سكون الغضب والأوار هو حرّ النار ووهج الشمس واستعير هنا لشدة الغيظ.

(5) الخميصة كساء معلّم أي فيه خطوط والخبيصة ضرب من الحلوى والشصّ حديدة معوجة يصاد بها السمك واسمها الصنارة والشيصة هي أردأ أنواع السمك أو أردأ أنواع التمر والأول انسب.

(6) الأحبولة والحبالة هي آلة يصطاد بها كالشباك وأراغ الشيء طلبه على وجه المكر والخديعة والقنيص والقنيصة أي الذكر والأنثى من الصيد.

(7) ألجأ أحوج واضطرّ وولج أي دخل والليث من أسماء الأسد وعيص الليث الشجر الملتف وهو هنا بيت الأسد.

(8) لم أهب أي لم أخف والصروف واحدها صرف النوائب والحدثان والفريصة بضعة من اللحم في آخر الكتف تتحرك عند الفزع وهذا يعني أن السروجي لم يرتعد خوفاً قدّام الأسد.

(9) ولا شرعت أي لم تدخل بي والمرد موضع الماء ويدنّس يوسّخ والنفس الحريصة الكثيرة الطمع والرغبة ومعنى البيت أن نفس السروجي الكثيرة الطمع والرغبة لم تدخله في مداخل سوء تؤذي سمعته.

ولـو أنـصَـفَ الـدّهـرُ فـي حُـكـمِـهِ   لَـما ملّكَ الحُكْمَ أهلَ النّقيصَه[1]

ثمّ قال ليَ: اذْنُ فكُلْ، وإنْ شِئْتَ فقُم وقُلْ. فالتَفَتّ إلى تِلميذِه وقُلتُ: عزَمْتُ عليْكَ بمَن تستَدفِعُ بهِ الأذى[2]، لتُخْبرَنّي مَنْ ذا؟ فقال: هذا أبو زيْدٍ السَّروجيُّ؛ سِراجُ الغُرَباء، وتاجُ الأدَباء! فانصرَفْتُ من حيثُ أتيتُ، وقضَيْتُ العجَبَ ممّا رأيْتُ.

(1) النقيصة الخصلة والصفة القبيحة السيئة.
(2) يحلّفه السروجي بالله الذي يستدفع به الأذى.

المقامة الحُلوانيّة

حَكى الحارِثُ بنُ هَمّامٍ قال:

كلِفْتُ مُذْ ميطَتْ عني التّمائِمُ، ونِيطَتْ بيَ العَمائِمُ[1]. بأنْ أغْشى مَعانَ الأدَبِ، وأُنضيَ إليْهِ رِكابَ الطّلَبِ[2]، لأعْلَقَ منْهُ بِما يكونُ لي زينَةً بينَ الأنامِ، ومُزنَةً عندَ الأُوامِ[3]. وكُنْتُ لفَرْطِ اللّهَجِ باقْتِباسِه، والطّمَعِ في تقمّصِ لِباسِهِ[4]، أُباحِثُ كلّ مَنْ جَلّ وقَلّ[5]، وأسْتَسْقي الوَبْلَ والطّلّ[6]، وأتعلّلُ بعَسى ولَعلّ[7]. فلمّا حلَلْتُ حُلْوانَ[8]، وقدْ بلَوْتُ الإخْوانَ، وسَبَرْتُ الأوْزانَ، وخبَرْتُ ما شانَ

(1) الكلف بالشيء هو شدة الحب والتميمة وجمعها تمائم هي عوذة من خرز أو ما شاكل تناط بالطفل أي تعلّق عليه حماية له ودرءاً للعين والتميمة تماط أي ترفع وتزال عند البلوغ وتوضع العمائم وهي جمع عمامة إعلاناً أن الصبي قد بلغ مبلغ الرجال.

(2) غشى المكان قصده ودخله والمعان والجمع أمعنة المنزل وأنضى أي أهزل والركاب الإبل.

(3) لأعلق منه أي لأنال أو أحصل منه والمزنة السحابة الممطرة والأوام شدة العطش.

(4) لهج بالشيء إذا أكثر الحديث عنه والاقتباس هو الاكتساب وهو في الأصل للنار تقتبسها أي تأخذ منها قبساً أي شعلة والتقمّص لبس القميص يريد أنه كان يحرص على الأدب ويرغب في الاستزادة منه.

(5) المباحثة هي المحاورة والمجادلة ومن جل من كان كبير القدر ومن قل من كان حقيراً غير ذي شأن.

(6) أستسقي أي أطلب الماء والري من الوبل أي المطر الشديد ومن الطل أي المطر الخفيف أو الندى والمعنى أنه كان يطلب الأدب من حيثما رآه مواتياً.

(7) التعلّل شغل النفس وأطماعها والأصل العلالة أي الشيء اليسير أي إنه كان يمنّي النفس خيراً في كل حين في سعيه إلى مراده.

(8) حللت أي نزلت وحلوان بحسب الشريشي بلدة بينها وبين بغداد أربع مراحل وهي من كور الجبل وتقابل طبرستان.

وَزانَ[1]. أَلفَيْتُ بها أبا زيْدٍ السَّروجيَّ يتقلّبُ في قوالبِ الانتِساب، ويخْبِطُ في أساليبِ الاكتِسابِ[2]؛ فيدّعي تارَةً أنّهُ من آلِ ساسانَ، ويعْتَزي مرّةً إلى أقْيالِ غسّانَ[3]. ويبْرُزُ طَوراً في شِعارِ الشّعَراء، ويَلبَسُ حيناً كِبرَ الكُبَراءِ[4]. بيْدَ أنّهُ معَ تلوّنِ حالِهِ، وتبَيّنِ مُحالِهِ[5]، يتحلّى برُواءٍ ورِوايَةٍ[6]، ومُداراةٍ ودِرايَةٍ[7]، وبَلاغَةٍ رائِعَةٍ، وبَديهةٍ مُطاوعةٍ[8]، وآدابٍ بارِعةٍ، وقدَمٍ لأعْلامِ العُلومِ فارِعةٍ[9]، فكانَ لمحاسِنِ آلاتِهِ، يُلْبَسُ على عِلاّتِه[10]. ولِسَعَةِ رِوايَتِه، يُصْبى إلى رؤيَتِهِ[11]. ولِخلابَةِ عارِضَتِهِ، يُرْغَبُ عنْ مُعارضَتِهِ[12]. ولِعُذوبَةِ إيرادِهِ، يُسْعَفُ بمُرادِهِ. فتعَلّقتُ بأهْدابِهِ[13]، لخَصائِصِ آدابِهِ، ونافَسْتُ في مُصافاتِهِ، لنَفائِسِ صِفاتِه.

---

(1) بلوت الإخوان أي جربتهم وسبرت الأوزان أي امتحنت أقدار الناس وخبرت أي عرفت بعد تجربة وعيان ما شان أي المعيب وما زان أي ما هو جيد والمراد أنه دخل حلوان وهو يعرف الناس.

(2) ألفى أي وجد ويتقلب أي يبدّل نسباً بنسب ويخبط أي يمشي كمشي الأعمى أو الأعشى والأساليب الطرق.

(3) يعتزي أي ينتسب والساسانيون أو آل ساسان أي ملوك الفرس والأقيال الملوك وآل غسان هم ملوك الشام قبل الإسلام.

(4) الشعار ثوب يلي الجسد والمراد هنا الزي والعلامة وأما كبر الكبراء تكبرهم وعنجهيتهم.

(5) المحال هنا يعني الباطل أو الكذب.

(6) يتحلّى أي يتزيّن والرواء حسن المنظر والنظافة.

(7) المداراة حسن السياسة في الصحبة وأصلها المخادعة والدراية العلم والمعرفة.

(8) البديهة هنا هي الارتجال وهي الأخذ في الكلام من غير فكر والمطاوعة أي المنقادة.

(9) الأعلام جمع علم وهي الجبال وفارعة أي صاعدة ترقى إليها والمراد أنه قادر على كل عسير من العلم.

(10) آلاته هنا يراد بها الأنواع التي يتخذها ويتحلّى بها ويلابس على علاّته أي يصاحب ويخالط على رغم عيوبه.

(11) يصبى أي يمال.

(12) الخلابة هي الخداع باللطيف واللين من القول والعارضة قوة الكلام وما يعرض من قول وقولنا فلان شديد العارضة أي حاضر الجواب أو فاحش القول يسمع المكروه والمعارضة المناقضة والمقابلة ورغب عن الشيء يعني تركه.

(13) الإيراد الأخذ في الكلام ويسعف يساعد والأهداب أطراف الثوب.

فكُنتُ بهِ أجْلو هُمومي وأجْتَلي زمانيَ طلقَ الوجْهِ مُلتَمِعَ الضِّيا
أرَى قُرْبَهُ قُرْبى ومَغْناهُ غُنْيَةً ورؤيَتَهُ رِيّاً ومَحْياهُ لي حَيا[1]

ولَبِثْنا على ذلِكَ بُرْهَةً، يُنْشئ لي كلَّ يومٍ نُزهَةً، ويدْرَأُ عن قلبي شُبهَةً، إلى أنْ جدَحَتْ لهُ يَدُ الإمْلاقِ، كأسَ الفِراقِ[2]. وأغْراهُ عدَمُ العُراقِ[3]، بتَطْليقِ العِراقِ[4]. ولفَظَتْهُ مَعاوِزُ الإرْفاقِ، إلى مَفاوِزِ[5] الآفاقِ، ونظَمَهُ في سِلْكِ الرِّفاقِ، خُفوقُ رايةِ الإخْفاقِ[6]؛ فشحَذَ للرّحْلَةِ غِرارَ عزْمَتِهِ. وظَعَنَ يقْتادُ القلْبَ بأزِمّتِهِ[7].

فما راقَني مَنْ لاقَني بعْدَ بُعْدِهِ ولا شاقَني مَنْ ساقَني لوِصالِهِ
ولا لاحَ لي مُذْ ندّ نِدٌّ لفَضْلِهِ ولا ذو خِلالٍ حازَ مثلَ خِلالِهِ[8]

---

(1) القرب هو الدنو والقربى القرابة بالنسب والرحم والمغنى المنزل والغنية الاكتفاء بالشيء والريّ الشبع من الماء والمحيا الحياة والحيا المطر. يعني أن السروجي قريب كمن يمت بصلة رحم ومنزله يكفي ورؤيته تروي وحياته كالمطر الذي يحيي.

(2) جدح تعني خلط ومزج والإملاق هو الفقر.

(3) العُراق قال الخليل إنه العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عَرْق وكذا قال ابن قتيبة. وفي الشعر:

في سنة قد كشفت عن ساقها حمراء تبري اللحم عن عُراقها

(4) قال الخليل إن العراق هو شاطئ البحر وبه سمّيت العراق لأنها على شاطئ دجلة.

(5) لفظ رمى وألقى والمعاوز جمع معوز وهو العوز نفسه والإرفاق ما يرتفق المرء به ومعاوز الإرفاق تعني الحاجة إلى ما يرتفق به والمفاوز جمع مفازة وهي الصحراء سميت كذلك على التفاؤل لأن المسافر إذا قطعها فاز ونجا.

(6) الخفوق هو التحرك والإخفاق هو الفشل والخيبة وعدم النجح ومعنى العبارة أنه عندما ارتفعت بدت علامات الخيبة انضم إلى الرفاق.

(7) شحذ تعني حدّ وسنّ ومنه الشحاذة لأنها الطلب بإلحاح وتكرار والغرار الحد والشفرة للسيف أو السهم وعزم على الأمر وطن النفس على فعله والعزمة الواجب المفروض ومعنى العبارة أنه صحح عزمه على السفر وظعن ذهب وارتحل ويقتاد يعني يجر ويسحب والأزمّة ج زمام وهو حبل من جلد تشدّ به حلقة تجعل في أنف البعير ومراد العبارة هو أن الرجل أي الحارث بن همام ارتحل وسحب خلفه قلوباً تحنّ إليه وتشتاقه وكأنها شدّت بأزمّة.

(8) راق له أعجبه واستملحه ولاق ليقا ولياقة لاذ به والتصق به وصاحبه وشاقني تعني شوّقني وساقني لوصاله أي دعاني لصحبته ولا لاح لي أي لم يبد لناظري مذ ندّ أي منذ غاب ففعل ندّ يعني فرّ وشرد والنِد بكسر النون هو المثل والنظير والجمع انداد والخلال جمع خلة وهي الميزة والمنقبة =

واسْتَسَرّ عني حيناً، لا أعرِفُ لهُ عَريناً[1]، ولا أجِدُ عنهُ مُبيناً. فلمّا أبْتُ منْ غُربَتي، إلى منْبِتِ شُعْبَتي[2]، حضَرْتُ دارَ كُتُبِها التي هيَ مُنتَدى المتأدّبينَ، ومُلتَقى القاطِنينَ منهُمْ والمُتغرّبينَ، فدخَلَ ذو لِحْيَةٍ كثّةٍ[3]، وهيئَةٍ رثّةٍ، فسلّمَ على الجُلاّسِ، وجلَسَ في أُخرَياتِ الناسِ. ثمّ أخذَ يُبْدي ما في وِطابِهِ[4]، ويُعْجِبُ الحاضِرينَ بفضْلِ خِطابِهِ[5]. فقال لمَنْ يَليه: ما الكِتابُ الذي تنظُرُ فيهِ؟ فقالَ: ديوانُ أبي عُبادةَ[6]، المشْهودِ لهُ بالإجادَةِ. فقال: هلْ عثَرْتَ لهُ فيما لمحْتَهُ، على بَديعٍ[7] استَملَحْتَهُ؟ قال: نعمْ قولُه:

كأنّما تبْسِمُ عن لُؤلُؤٍ منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ[8]

فإنّهُ أبدَعَ في التّشبيهِ، المُودَعِ فيهِ. فقالَ لهُ: يا لَلعجَبِ! ولَضَيْعَةِ الأدبِ! لقدِ استَسْمَنْتَ يا هَذا ذا ورَمٍ[9]، . . . .

= والخصلة وهي الصداقة أيضاً ومعنى البيت ان الرجل مذ غاب لم يظهر له مثيل في الفضل ولا ظهر ذو خصال حميدة كخصاله.

(1) غاب واختفى والعرين مأوى الأسد.

(2) الشعبة القرابة والمراد أنه عاد إلى حيث قرابته أي البصرة.

(3) الكثّ هو الكثير والغزير ويقال في اللحى وعند الشريشي الكثّة هي كثيرة الأصول من غير طول.

(4) الوطاب هو زقاق اللبن والمراد أن الرجل قد أخذ يبدي ما عنده.

(5) فصل الخطاب ما كان الحكم فيه قاطعاً لارادّ له وفي سورة ص آية 20: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ وهي عند الزمخشري في الكشاف: البين من الكلام الملخص الذي يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه.

(6) هو الشاعر البحتري المعروف 820 - 897 ولد في بادية منبج واختص بخدمة المتوكل له ديوان وله حماسة كحماسة أبي تمام.

(7) هو علم تعرف به وجوه تحسين الكلام وهو نوعان بديع لفظي وبديع معنوي.

(8) القصيدة في ديوانه ومطلعها:

بـاتَ نَـديـمـاً لـي، حـتـى الـصّـبَـاحْ، أغْـيَـدُ مَـجـدولُ مَـكـانِ الـوِشـاحْ

كَـأنّـمَـا يَـضْـحَـكُ عَـنْ لـؤلُـؤٍ مُـنَـظَّـمٍ، أوْ بَـرَدٍ أوْ أقَـاحْ

(9) استسمن أي رأى أو طلب السمنة من هزيل وهو في هذا يلاحظ بيتاً للمتنبي يخاطب فيه سيف الدولة:

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

ونَفَخْتَ في غيرِ ضرَمٍ[1]! أينَ أنتَ منَ البيْتِ النّدْرِ[2]. الجامِعِ مُشَبّهاتِ الثّغْرِ؟ وأنْشَد:

نـفْـسـي الـفِـداءُ لـثَـغْـرٍ راقَ مـبـسِـمُـهُ وزانَـهُ شـنَـبٌ نـاهـيـكَ مـن شـنَـبِ[3]

يـفـتـرُّ عـن لُـؤلُـؤٍ رطْـبٍ وعـن بـرَدٍ وعـن أقـاحٍ وعـن طـلْـعٍ وعـن حبَـبِ[4]

فاستَجادَهُ مَنْ حضَر واسْتَحْلاهُ، واستَعادَهُ منْهُ واسْتَمْلاهُ[5]. وسُئِلَ: لمنْ هذا البيتُ، وهلْ حيٌّ قائِلُهُ أو ميْتٌ؟ فقال: أيْمُ اللهِ[6] لَلحَقُّ أحَقُّ أنْ يُتّبَعَ، ولَلصّدْقُ حَقيقٌ بأنْ يُستَمَعَ! إنّهُ يا قَوْمُ، لَنجِيّكُمْ[7] مُذُ اليوْمَ! قال: فكأنّ الجَماعَةَ ارْتابَتْ بعزْوَتِه[8]، وأبَتْ تصْديقَ دعْوَته، فتوجّسَ ما هجَسَ في أفْكارِهِمْ، وفطِنَ لِما بَطَنَ[9] مِن استِنْكارِهِمْ، وحاذَرَ أنْ يفرُطَ إليْهِ ذمّ، أو يَلْحَقَهُ وصْمٌ[10] فقرأ: إنّ بعْضَ الظنّ

(1) النفخ في غير ضرم أي النفخ في ما لانار فيه لإشعاله وهذا لا يكون والمراد أنه يطلب الشيء من غير موضعه.

(2) الندر والنادر الغريب والذي عزّ نظيره.

(3) ناهيك يعني كافيك وتقول ناهيك بفلان! أي قد انتهى الأمر فيه إلى الغاية. أما الشنب فالماء القليل الجاري على الأسنان وعن الأصمعي سألت رؤبة عن الشنب ما هو فأخذ حبة رمان فأومأ إلى بصيصها يعني أن الشنب هو التماع ونصاعة لون الأسنان وهذا يكون في زمن الفتوة والشباب.

(4) الافترار الكشف والتبسّم وأما الرطب فيعني الطراوة وسطوع البياض في اللؤلؤ والذي لطالما شبهت العرب الأسنان به وأما الطلع فأول حمل النخلة وتشبّه به الأسنان لبياضه وأما الحبب فتنضّد الأسنان وقيل طرائق تظهر في الخمر عند مزجها بالماء غير أنه ليس الفقاقيع التي تعلو الخمر عند المزج لأنها الحباب لا الحبب.

(5) استملاه طلب أن يكتبه.

(6) قسم أو يمين.

(7) مخاطبكم أو محدّثكم.

(8) الارتياب هو الشك وأما العزوة فالنسبة يعني أن القوم ارتابوا به حين نسب الشعر لنفسه.

(9) التوجّس هو الاستماع للصوت الخفي وهو التخوف من وقوع شر أو مكروه على أنه هنا بمعنى أحسّ وشعر وفطن أي انتبه وبطن بمعنى خفي أي أن السروجي أحس بما يضمرون وانتبه له.

(10) فرط بمعنى غلب وسبق وتقدّم وفي القرآن: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ والوصم العيب والمثلبة.

إثْمٌ[1]. ثم قال: يا رُواةَ القَريض وأُساةَ القوْلِ المَريضِ[2] إنّ خُلاصَةَ الجوهَرِ تظهَرُ بالسّبْكِ، ويدَ الحقّ تصْدَعُ رِداءَ الشّكّ[3]. وقدْ قيلَ فيما غبَرَ منَ الزّمانِ: عندَ الامتِحانِ، يُكرَمُ الرّجُلُ أو يُهانُ[4]. وها أنا قدْ عرّضْتُ خبيئَتي للاخْتِبارِ، وعرَضْتُ حَقيبَتي[5] على الاعْتِبارِ. فابْتَدَر، أحدُ مَنْ حضَرَ، وقال: أعرِفُ بيْتاً لمْ يُنسَجْ على مِنْوالِهِ. ولا سمَحَتْ قَريحةٌ بمِثالِهِ[6]. فإنْ آثَرْتَ اختِلابَ القُلوبِ[7] فانْظِمْ على هذا الأسْلوبِ. وأنْشَدَ:

فأمطَرَتْ لؤلؤاً من نرْجِسٍ وسقَتْ ... ورْداً وعضّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ[8]

---

(1) سورة الحجرات 49 وتمام الآية: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾.

(2) القريض هو الشعر والأساة جمع الآسي أي الطبيب والقول المريض أي الضعيف الواهن المتهافت ومؤدّى العبارة يخاطبهم يا رواة الشعر والعارفين بصحيح القول وسقيمه.

(3) الجوهر هنا هو المعدن النفيس كالذهب والفضة أو النحاس وخلاصته تظهر بالسبك أي بإذابته فيطرح كل دخيل من تراب وما شاكل وهذا يعني أن الاختبار حقيق بإحقاق الحق وكذلك قوله في يد الحق التي هي كناية عن قوة الحق التي تمزّق رداء أو ستار الشك فتبرزه للعيان.

(4) انظر مجمع الإمثال للميداني فالعبارة مثل قديم غير أن الحريري استبدل لفظ المرء بالرجل.

(5) الخبيئة هنا ما اخفاه من علمه والحقيبة ما يضعه المسافر خلفه وهي هنا أيضاً بمعنى الخبيئة أي ما أوعاه وكتمه من علم والاعتبار والاختبار معناهما واحد هنا.

(6) ابتدر أي سارع وسبق إلى القول والمنوال آلة الحائك يريد أن الشعر من السمو بمكان حتى ليبدو وكأنه نسج حائك لما فيه من زينة وفن والقريحة هي الذهن والملكة المبدعة وغالباً ما تستعمل للشعر.

(7) الخلب غشاء القلب ويقال خلبني حب فلان أي وصل حبه إلى خلبي وفلان خلب نساء أي يخلبنه والخلاب يخلب قلوب الخلق.

(8) أما اللؤلؤ فالدمع وأما النرجس فالمقلتان وأما الورد فالوجنتان وأما العناب فالأنامل المخضبة بالحنّاء حتى بدّت كثمر العنّاب وأما البرد فالأسنان شبهت بالبرد لبياضها ونصاعة لونها وتناسبها وأما البيت كله فينسب إلى الوأواء الدمشقي ونسب أيضاً إلى يزيد بن معاوية الخليفة الأموي الثاني والوأواء هو أبو الفرج الغساني الدمشقي وصفه في يتيمة الدهر ج 1 ص 236 أنه من حسان الدهر وصاغة الكلام. له ديوان نشره المستشرق الروسي كراتشكوفسكي. توفي حوالى 995 م.

فلم يكُنْ إلا كلَمْحِ البَصَرِ أو هُوَ أقرَبُ[1] حتى أنْشَدَ فأغْرَب[2]:

سألتُها حينَ زارَتْ نَضْوَ بُرْقُعِها الـ قاني وإيداعَ سمْعي أطيَبَ الخبَرِ
فزَحزَحَتْ شفَقاً غشّى سَنا قمَرٍ وساقَطَتْ لُولؤاً من خاتَمٍ عطِرِ[3]

فحارَ الحاضِرونَ لبَداهَتِه، واعترَفوا بنَزاهَتِه. فلمّا آنَسَ استِئْناسَهُمْ بكَلامِهِ، وانصِبابَهُمْ إلى شِعْبِ إكْرامِهِ[4]. أطْرَقَ كطَرْفَةِ العَينِ[5]، ثمّ قال: ودونَكُمْ بيتَينِ آخرَينِ. وأنشدَ:

وأقبَلَتْ يومَ جدّ البينُ في حُلَلٍ سودٍ تعَضُّ بَنانَ النّادِمِ الحَصِرِ
فلاحَ ليْلٌ على صُبْحٍ أقلّهُما غُصْنٌ وضرّسَتِ البِلّورَ بالدّرَرِ[6]

فحينَئذٍ استَسْنى القوْمُ قيمَتَهُ، واستَغْزَروا ديمَتَهُ، وأجْمَلوا عِشْرَتَهُ، وجمّلوا قِشرَتَهُ[7].

---

(1) لاحظ سورة النحل الآية 77: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(2) أغرب أي أتى بالغريب المعجب.

(3) نضا يأتي بمعنى كشف والبرقع ما يغطي ويستر وجه المرأة والقاني صفة تدلّ على الحمرة الشديدة كالدم والشفق الذي ازاحته هو البرقع الأحمر وغشّى أي ستر وغطّى وسناء القمر يعني وضاءة وحسن ووسامة الوجه والخاتم العطر يعني الفم الطيّب النكهة والذي يشبه الخاتم واللؤلؤ هنا يعني حلو الكلام والمعنى بمجمله هو أن المحبوبة أزاحت شفق البرقع عن ضوء الوجه القمري واسمعتني حلو القول ولكأنه اللؤلؤ يطلع من خاتم طيب الرائحة.

(4) آنس أي أبصر ونظر وأحس بالشيء ومنه قول موسى لأهله في القرآن: ﴿إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ طه 10. والانصباب الميل بسرعة والشعب هو الطريق في الجبل ومسيل الماء.

(5) الإطراق ان ينظر المرء إلى الأرض والطرفة النظرة ففعل طرف يعني تحريك الجفنين بعد النظر والقول إن أمراً قد حدث في طرفة عين أي على وجه عظيم من السرعة.

(6) جدّ يعني تحقق وصار جداً وأمراً واقعاً والبين أي الفراق والحلل جمع حلة هي الثوب الذي يستر الجسد بعامة وهي الإزار والقميص والبنان الأصابع أو أطراف الأصابع والحصر يعني العيّ المنقطع عن الكلام ومعنى البيتين أنها أقبلت وقد تيقنت من الفراق في ثياب سود تعض أصابعها ندماً وقد عصي عليها النطق فكان أنها بدت في ثيابها السود كليل أحاط بصبح وقد أقل الليل والصبح معاً أي حملهما قوام وخصر كالغصن وهي تضرّس أي تعض أنامل كالبلور نقاء بأسنان كالدر.

(7) سني يسنو الرجل سناء أي ارتفع قدراً وقيمة وصار ذا سناء واستسنى القوم الرجل أكبروا قدره =

قال المُخْبِرُ بهَذِهِ الحِكايَةِ:

فلمّا رأيتُ تلهُّبَ جذْوَتِهِ، وتألُّقَ جلْوَتِهِ، أمعَنْتُ النّظَرَ في توسُّمِهِ، وسرّحْتُ الطّرْفَ في ميسِمِهِ[1]؛ فإذا هوَ شيخُنا السَّروجيّ، وقدْ أقْمَرَ ليلُه الدّجُوجيُّ[2]. فهنّأتُ نفسي بمَورِدِهِ، وابتدَرْتُ اسْتِلام يدِهِ[3]. وقلتُ لهُ: ما الذي أحالَ صفَتَكَ، حتى جهِلْتُ معرِفَتَكَ؟ وأيّ شيء شيّبَ لحيَتَكَ، حتى أنْكَرْتُ حِليَتَكَ[4]؟ فأنشأ يقول:

وقْعُ الشّوائِبِ شيّبْ ... والدّهرُ بالناسِ قُلَّبْ[5]
إنْ دانَ يوماً لشَخْصٍ ... ففي غدٍ يتغلّبْ[6]
فلا تثِقْ بوَميضٍ ... منْ برْقِهِ فهْوَ خُلّبْ[7]
واصْبِرْ إذا هوَ أضْرى ... بكَ الخُطوبَ وألّبْ[8]

= وارتفع في أعينهم وغزر الشيء كثر فالمطر غزير والاستغزار ان يرى الشيء كثيراً والديمة هي السحابة الممطرة تمطر أياماً وأجملوا عشرته أي أحسنوا صحبته ومعاشرته وجمّلوا قشرته أي ألبسوه ثياباً حسنة فالقشرة تعني الجلد ويكنى بها عن الثوب.

(1) الجذوة هي النار في طرف العود والجمرة وهي هنا حدة الذهن والجلوة ما جلاه وكشفه من وجهه كما يفعل بالعروس حين تجلى أي يكشف نقابها والإمعان إدامة النظر في الشيء وهي من الإمعان في الأرض أي الذهاب فيها بعيداً والتوسّم النظر إلى السمات وهي العلامات التي يعرف المرء بها وتسريح الطرف أي إرسال العين بالنظر فالطرف تحرك العين عند النظر والميسم العلامة.

(2) أقمر الليل أي صار أبيض بلون القمر والدجوجي الحالك السواد وهو يعني في العبارة أن السروجي قد شاب شعره الحالك السواد فانقلب أبيض.

(3) المورد يعني القدوم واستلام اليد تقبيلها.

(4) أحال يعني غيّر وأنكر الشيء لم يعرفه وجهله والحلية تعني الصفة.

(5) الشوب هو الشراب المخلوط بماء والشوائب هي ما يقع في الماء من أقذاء تكدّره وهي هنا تعني الحادثات المشوبة بأمور أخرى والدهر القلّب أي الكثير التقلب والبيت يقول إن الحادثات شيبتني والدهر كثير التقلب بالناس لا يركن له.

(6) دان أي خضع والمعنى أن الدهر إذا خضع اليوم لشخص فسيغلبه ويقهره غداً أي في الآتي من الأيام. تجدر هنا الإشارة إلى أن بعض النسخ من المقامات استبدلت التغلّب بالتقلّب.

(7) الوميض اللمعان والخلّب الذي لا ماء فيه ويقال للمخادع.

(8) أضرى أي عرض للصيد وتعني هنا أغرى وألصق بالمرء والخطوب الأمور الشداد والمصاعب =

فـــمـــا عـــلـــى الـــتِّـــبْـــرِ عـــارٌ   فـــي الـــنّـــارِ حـــيـــنَ يُـــقـــلَّـــبْ

ثمّ نهضَ مُفارِقاً موضِعَهُ، ومُستَصْحِباً القُلوبَ معَهُ.

- والأحداث وألّب أي حشد والبيت يقول إصبر للدهر إن هو أغرى بك الحادثات والخطوب وألّبها عليك ويكمل في البيت الأخير فيقول إنه ليس مما يضير التبر أي الذهب قبل تصفيته أنه يسبك في النار فمن شأن ذلك أن ينقيه ويجعله أجود وأنفس.

المقامة الدّينارية

رَوى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

نظَمَني وأخْداناً لي نادٍ، لمْ يخِبْ فيه مُنادٍ[1]، ولا كَبا قدْحُ زِنادٍ، ولا ذكَتْ نارُ عِنادٍ[2]. فبيْنَما نحنُ نتجاذَبُ أطْرافَ الأناشيدِ، ونَتوارَدُ طُرَفَ الأسانيدِ[3]، إذْ وقَفَ بِنا شخْصٌ علَيْهِ سمَلٌ، وفي مِشيَتِهِ قزَلٌ[4]، فقال: يا أخايِرَ الذّخائِرِ، وبشائِرَ العَشائِرِ: عِموا صَباحاً، وأنْعِموا اصطِباحاً[5]! وانظُروا إلى مَنْ كان ذا نَديّ ونَدًى،

(1) نظمني أي جمعني والخدن مفرد الأخدان والخدين هو الصاحب والصديق يستوي في ذلك المذكر والمؤنث: ﴿وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء 25 المائدة 5 والنادي المجلس وقوله لم يخب فيه مناد يعني أن أحداً ما ناداهم وتكلّم إليهم وفيهم وعاد خائباً.

(2) كبا الزند لم يورِ وكبت النار غطّاها الرماد والزناد عود يثقب في وسطه ثقب لا ينفذ ويؤخذ عود آخر بطول ذراع فيحدّ طرفه ويجعل في ذلك الثقب وقد وضعه رجل بين رجليه فيديره ويفتله فيبدي النار فالأعلى زند والسفلى زندة والجمع زناد والقدح الضرب وذكت النار اشتعلت واستعرت والعناد الخلاف والخصام ومعنى العبارة أن القوم من الأدب والأخلاق بمكان حتى أنه لاخلاف بينهم وليس فيهم من يخطئ في القول والمناظرة.

(3) الأناشيد ما ينشده القوم من أشعار وتجاذب أطراف الأناشيد يعني المشاركة في إنشادها فإذا أنشد واحد أنشد الآخرون لحفظها وكأن الأنشودة ثوب كل يشد بطرف من أطرافه. وأما الطرف فجمع طرفة وهي العجيب المنقطع النظير من كل شيء والتوارد في أصله هو تزاحم الإبل على الماء والأسانيد هي الأخبار المسندة إلى أهلها ويعني أن القوم كانوا يتزاحمون ويتسابقون على الأخبار الطريفة والغريبة وضبطها كتزاحم الإبل عند ورودها الماء.

(4) السمل هو الثوب الخلق البالي والقزل في المشي هو العرج.

(5) الأخاير جمع أخيرة الذخائر جمع ذخيرة وهي النفيس الغالي يذخره أي يكنزه ويصونه المرء لشدة والبشارة اسم من التبشير والعشائر جمع عشيرة وهي قرابة الرجل من قبيلته وعموا صباحاً تحية الصباح قبل الإسلام ومعناها انعموا صباحاً والاصطباح هو الشرب في الصباح.

وجِدَةٍ وجَداً، وعَقارٍ وقُرًى، ومَقارٍ وقِرًى[1]؛ فما زالَ بهِ قُطوبُ الخُطوبِ، وحُروبِ الكُروبِ[2]، وشَرَرُ شرِّ الحَسودِ، وانْتِيابُ النّوَبِ السّودِ[3]، حتى صفِرَتِ الرّاحَةُ، وقرِعَتِ الساحَةُ[4]، وغارَ المنْبَعُ، ونَبا المَرْبَعُ، وأقْوى المجْمَعُ، وأقَضّ المضْجَعُ[5]. واستَحالَتِ الحالُ، وأعْوَلَ العِيالُ[6]، وخَلَتِ المَرابِطُ، ورَحِمَ الغابِطُ[7]، وأودى النّاطِقُ والصّامِتُ، ورَثى لَنا الحاسِدُ والشّامِتُ[8]. وآلَ بِنا الدّهرُ الموقِعُ، والفَقْرُ المُدْقِعُ[9]؛ إلى أنِ احْتَذَيْنا الوَجى، واغْتَذَينا الشّجا، واستَبْطَنّا الجَوى، وطَوَيْنا الأحْشاءَ على الطّوى[10]، واكْتَحَلْنا السُهادَ، واستَوطَنّا الوِهادَ،

(1) نديّ هو المجلس يعني أن الرجل كان شريفاً له مجلسه والندى الكرم والجدة أي الغنى والجدا أي العطية وعقار هو المال الذي لا ينتقل كالنخل والدور والأرض والقرى جمع قرية والمقار هي الجفان العظيمة يقرى فيها الأضياف أي يطعمون والقرى طعام الضيف.

(2) القطوب هو العبوس والخطوب جمع خطب أي الشدة العظيمة والكروب هي الهموم.

(3) انتياب أي تناوب والنوب ج نائبة وهي المصيبة العظيمة.

(4) صفر الإناء خلا من الطعام وصفرت الراحة خلت من المال والراحة باطن اليد وقرعت أي صارت قرعاء كناية عن خلوها من المال والساحة فناء الدار والمعنى أن الساحة خلت من الإبل والبقر والغنم.

(5) غار المنبع جف الماء النابع منه ونبا المكان بأهله لم تمكن الإقامة فيه والمربع المنزل في الربيع وأقوى خلا والمجمع موضوع الإجتماع وأقضّ أي خشن وصار فيه القضض وهي الحجارة والمضجع موضع الرقاد وكل هذه العبارات كنى بها عن ذهاب المال وتحوّل الحال.

(6) استحالة الحال تغيّره وإعوال العيال صياحهم وبكاؤهم.

(7) المرابط المواضع التي تربط بها الخيل والرحم الغابط أي أشفق ورثى للحال والغابط من يرى نعمتك فيغبطك عليها ولا يحسدك وفي الحديث النبوي أن «المؤمن يغبط ولا يحسد».

(8) أودى هلك والمال ناطق أو صامت فالناطق كل ذي روح من بقر أو غنم أو ما شاكل وأما الصامت فالذهب والفضة وما شاكل.

(9) آل بنا أي رجع بنا والمدقع صفة للفقر فهو يلصق بالدقعاء أي التراب بمعنى أنه لم يترك بساطاً للمرء غير التراب وهو أيضاً المراد بقولهم ذو متربة.

(10) احتذينا أي انتعلنا والوجى هو ألم باطن القدمين من الحفا وبهذا يعني أنه يسير حافياً حتى تؤلمه قدماه والشجى ما يعرض في الحلق وليس بطعام كالعظم مثلاً ومراده أنه يغتذي بالأذى والمكروه والكرب والتعب والنصب وأما الجوى فشدة الوجد من حزن أو عشق وهو أيضاً داء في الصدر وهو عند الشريشي فساد الجوف ويعني أن ما أدخل في جوفه إلا حرقة وكمداً وما ضمت =

واستوطأنا القتاد، وتناسينا الأقتاد، واستطبنا الحين المجتاح واستَبْطأنا اليومَ المُتاحَ(1)، فهل من حُرٍّ آسٍ، أو سمْحٍ مُؤاسٍ(2)؟ فوَالّذي استَخْرَجَني من قَيلَه، لقَد أمْسَيتُ أخا عَيْلَه؛ لا أمْلِكُ بيْتَ ليْلَه(3).

قال الحارِثُ بنُ همّامٍ:

فأوَيْتُ لمَفاقِرِه، ولوَطْتُ إلى استِنْباطِ فِقَرِهِ(4)؛ فأبْرَزْتُ ديناراً، وقُلتُ لهُ اختِباراً: إنْ مدَحْتَهُ نَظْماً، فهوَ لكَ حتْماً. فانْبَرى يُنشِدُ في الحالِ، من غيرِ انتِحالٍ(5):

أكْـرِمْ بـهِ أصـفَـرَ راقَـتْ صُـفـرَتُـهْ جـوّابَ آفـاقٍ تـرامَـتْ سَـفـرَتُـهْ(6)

= الأحشاء إلا الطوى وهو الجوع واستخدم الكاتب الطي لأن الأمعاء تنطوي بعضاً على بعض في الجوع وتنتشر عند الامتلاء وخلاصة المعنى انه يغتذي بمكروه ممض وينتعل الألم في قدميه ويزدرد الجوع ويملأ بطنه سغباً.

(1) السهاد هو الأرق والسهر والوهاد ما انخفض من الأرض تسكن حتى لاتبين نارهم وتفد عليهم الضيوف والقتاد شجر شديد الشوك واستيطاؤه يعني اعتباره وطيئاً يمكن السير عليه وأما الأقتاد فجمع القتد وهو خشب الرحل وتناسي الأقتاد يعني أنه ومن معه ما امتطوا دابة منذ عهد غير قريب والحين هو الموت والمجتاح الذي يستأصل الأموال وأما اليوم المتاح فهو اليوم المقدر أي يوم المنية والعبارة تقول إن القوم سكنوا في معزل فلا يراهم أحد ومشوا على الشوك ونسوا الركوب وطاب لهم الموت واستبطأوا الأجل المضروب لهم لشدة الفقر وسوء الحال.

(2) الآسي هو الطبيب والمواسي المعين والمواسي من يجعلك أسوة نفسه أي يشاركك في ماله.

(3) أما قيله فأم الأوس والخزرج وهي بنت الأرقم الغسانية وقد انتسب إليها كانتسابه إلى ملوك غسان وأما العيلة فالفقر وفي سورة التوبة 28: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةً﴾ وبيت ليلة أي قوتها يبيت عليه.

(4) أويت أي أشفقت وحننت والمفاقر جمع فقر على غير قياس ولويت أي ملت وانعطفت والاستنباط هو الاستخراج والفقر في النثر كالقوافي في النظم والفقر ما تقدّم في المقامة من الكلام المفقّر والعبارة كلها تقول إنه قد رثى لحاله وأشفق عليها ومال لاستخراج ما عنده من فصاحة وقدرة على القول والإجادة.

(5) انبرى أي اعترض وتقدّم والانتحال هو ادعاء ما للغير للنفس كانتحال الملك من النحلة وهي الهبة والعطية وانتحال الشعر نسبة شعر الغير للنفس.

(6) صيغة تعجب بمعنى ما أكرمه وراقت أي أعجبت وسرّت وجوّاب الآفاق أي الرحالة وقطّاع البلاد وترامت سفرته أي بعدت وامتدت.

مــأثــورَةٌ سُــمــعَــتُــهُ وشُــهــرَتُــهْ قــد أُودِعَــتْ سِــرَّ الــغِــنــى أســرّتُــهْ[1]
وقــارَنَــتْ نُــجــحَ الــمَــســاعــي خطــرَتُــه وحُــبِّــبَــتْ إلــى الأنــامِ غُــرّتُــهْ[2]
كــأنّــمــا مــنَ الــقُــلــوبِ نُــقــرَتُــهْ بــهِ يــصــولُ مَــنْ حــوَتْــهُ صُــرّتُــهْ[3]
وإنْ تَــفــانَــتْ أو تــوانَــتْ عِــتْــرَتُــهْ يــا حــبّــذا نُــضــارُهُ ونَــضْــرَتُــهْ[4]
وحــبّــذا مَــغْــنــاتُــهُ ونُــصْــرَتُــهْ كَــمْ آمِــرٍ بــهِ اســتَــتَــبّــتْ إمــرَتُــهْ[5]
ومُــتْــرَفٍ لــوْلاهُ دامَــتْ حــسْــرَتُــهْ وجَــيْــشِ هــمٍّ هــزَمَــتْــهُ كــرّتُــهْ[6]
وبــدرِ تِــمٍّ أنــزَلَــتْــهُ بــدْرَتُــهْ ومُــسْــتَــشــيطٍ تــتــلــظّــى جــمْــرَتُــهْ[7]

---

(1) المأثور هو ما يكون حديث الخلق يلهجون بذكره والسمعة هي الصيت وأسرّته أي خطوط وجهه وهي هنا نقوش الدينار حفظ فيها سرّ الغنى والثراء.

(2) قارنت يعني ساوت ونجح المساعي النجاح في طلب الحاجات والأنام هم الخلق والناس والغرّة يعني الوجه ومعنى البيت أن الدينار أي المال بعامة يقرن الحركة بالنجاح وأن الخلق يحبون وجهه.

(3) النقرة هي القطعة المسبوكة من ذهب أو فضة ويصول يعني يقهر ويغلب والصرّة الخرقة تصرّ فيها الدراهم والمعنى هو أن الدينار الذهبي لكأنه من القلب سبك لشغف الناس به وهو عون لمن ملكه وصرّ عليه صرته فبه يقهر ويغلب.

(4) العترة هم الأقارب والعشيرة وتفانت أي هلكت وتوانت أي تقاعست وتلكأت وتأخرت عن النصرة والضمير هنا يعود إلى من يملك الدينار ثم يمدح نضاره أي معدنه وهو هنا الذهب الخالص والنضرة أي الرواء والبهجة والحسن.

(5) مغناته أي منابه ففلان يغني مغنى فلان أي يقوم مقامه ويسد مسدّه وينوب منابه والآمر هو من يأمر واستتبت يعني استقامت وتمّت والإمرة هي الولاية ومعنى البيت ثناء متصل على الدينار فهو يغني وينصر في الملمات والحوادث ويصير آمر الآمر بقدرته نافذاً والإمرة ناجزة.

(6) الكرّة الحملة في الحرب والبيت يعني أن حسرة المترف المنعم طويلة من دونه وأن جيوش الهم تتبدّد وتنهزم إذا ما كرّ الفارس الدينار.

(7) البدرة كيس من مال فيه عشرة آلاف درهم أو دينار والمستشيط هو الغضبان وتتلظّى أي تتقد وتستعر وتتلهب والجمرة هنا هي شدة الغيظ وأسرّ يعني أخفى ونجواه هي الحديث سرّاً والشرّة الحدة والغضب وأسلم المرء أي تركه وتخلى عنه ومعنى البيتين يقول وكم من بدر تم أي وكم من شخص يشبه البدر حسناً قد نزل ببدرة من دنانير وكم من غاضب يستعر غضبه ويتقد هان ولان حين ناجاه الدينار همساً والمراد هنا الحاكم والمتسلط يمسك بالمرء فيرغي ويزبد ويهدد ويتوعد فإذا وصلته الرشى هان ولان ثم يقول وكم من أسير تخلت عنه أسرته وعائلته أنقذه الدينار وخلّصه =

أسَـرّ نـجْـواهُ فـلانَـتْ شِـرّتُـهْ وكَـمْ أسـيـرٍ أسْـلَـمَـتْـهُ أُسـرَتُـهْ
أنـقَـذَهُ حـتـى صـفَـتْ مـسـرّتُـهْ وحـقّ مـوْلًـى أبـدَعَـتْـهُ فِـطْـرَتُـهْ
لـوْلا الـتُّـقَـى لـقُـلْـتُ جلّـتْ قُـدرتُـهْ

ثم بسَط يدَهُ، بعدَما أنْشدَهُ، وقال: أنْجزَ حُرٌّ ما وعَدَ[1]، وسَحّ خالٌ إذ رَعَدَ[2]، فنبَذْتُ الدّينارَ إليْهِ[3]، وقلتُ: خُذْهُ غيرَ مأسوفٍ علَيْهِ! فوضَعهُ في فيهِ، وقال: بارِكِ اللهُمّ فيهِ! ثمّ شمّرَ للانْثِناء، بعْدَ توفِيَةِ الثّناء[4]، فنشأتْ لي منْ فُكاهَتِه نشوَةُ غرامٍ، سهّلَتْ عليّ ائْتِنافَ اغْتِرامٍ[5]، فجرّدْتُ ديناراً آخَرَ وقلتُ لهُ: هلْ لكَ في أنْ تذُمّهُ، ثم تضُمّهُ؟ فأنشدَ مُرتَجِلاً، وشَدا عجِلاً:

تـبّـاً لـهُ مـن خـادِعٍ مُـمـاذِقِ أصْـفَـرَ ذي وجْـهَـيْـنِ كـالـمُـنـافِـقِ[6]
يَـبـدو بـوَصْـفَـيـنِ لـعَـيـنِ الـرّامِـقِ زيـنَـةِ مـعْـشـوقٍ ولـوْنِ عـاشِـقِ[7]
وحُـبّـهُ عـنـدَ ذَوي الـحَـقـائِـقِ يـدْعـو إلـى ارتِـكـابِ سُـخْـطِ الـخـالِـقِ
لـوْلاهُ لـمْ تُـقْـطَـعْ يَـمـيـنُ سـارِقِ ولا بـدَتْ مـظْـلِـمَـةٌ مـنْ فـاسِـقِ[8]

= من أسره حتى عاد إليه فرحه وسروره ثم يقسم فيقول وحق خالق خلقه على غير مثال سابق لسبّحت بحمد الدينار وقلت جلت وعلت قدرته وهي عبارة لا تقال إلا لله.

(1) بسط يده مدّها وأنجز حر ما وعد مثل عربي يقال عند الاستنجاز. وله قصة انظر جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري 33.

(2) سحّ إذا صبّ وأمطر والخال سحاب يخيل للمرء أن فيه المطر ورعد صدر عنه صوت الرعد.

(3) نبذ يعني رمى وطرح.

(4) وضعه في فيه أي في فمه والتشمير رفع الثوب كناية عن الاستعداد للانصراف والانثناء الانعطاف والانصراف وتوفية الثناء أي كمال الشكر والمدح.

(5) نشأت لي أي اعترتني ونشوة الغرام أي سكرة عشق والائتناف يعني الاستقبال والاستئناف والاغترام هو لزوم الغرامة والمعنى أن طيب حديث السروجي أسكره وحمله على دفع المزيد كغرامة لما يطلب من حيث.

(6) تبّاً له أي سحقاً وخسراً وهلاكاً وهي للدعاء على الشخص والمماذق من ليس بصافي الود.

(7) رمق الشيء نظر فأطال وأدام النظر إليه وزينة المعشوق ولون العاشق وهما صفتا الدينار تعنيان الأولى نقشه وخطوطه والثانية صفرة اللون فالعاشق معنى أصفر اللون دائماً.

(8) ذوو الحقائق هم أهل الرشد والعلم والعرفان الذين ينظرون إلى الدنيا وما فيها بعين الحقيقة =

ولا اشْمأزّ باخِلٌ منْ طارِقِ ولا شكا المَمطولُ مطلَ العائِقِ
ولا استُعيذَ منْ حَسودٍ راشِقِ وشرّ ما فيهِ منَ الخلائِقِ
أنْ ليسَ يُغْني عنْكَ في المَضايِقِ إلاّ إذا فرّ فِرارَ الآبِقِ[1]
واهاً لمَنْ يقْذِفُهُ منْ حالِقِ ومَنْ إذا ناجاهُ نجْوى الوامِقِ
قالَ لهُ قوْلَ المُحقّ الصّادِقِ لا رأيَ في وصلِكَ لي ففارِقِ[2]

فقلتُ له: ما أغزَرَ وبْلَكَ! فقال: والشّرْطُ أمْلَكُ[3]! فنفَحتُهُ بالدّينارِ الثّاني، وقلتُ لهُ: عوّذهُما بالمَثاني[4]! فألْقاهُ في فمِهِ، وقرَنَهُ بتوأمِهِ.

وانْكفأ يحمَدُ مغْداهُ، ويمْدَحُ النّاديَ ونَداهُ[5].

قالَ الحارِثُ بنُ همّامٍ:

فناجاني قلبي بأنّهُ أبو زيدٍ، وأنّ تعارُجَهُ لِكَيدٍ[6]. فاستَعَدْتُهُ وقلتُ له: قد عُرِفْتَ

= فيرون أن حب الدينار أي المال سبب لمآثم كثيرة تسخط الله فلولاه لم يسرق سارق فيحكم عليه بقطع اليد ولا ظلم فاسق أي خارج عن الطاعة المعصية.

(1) اشمأز انقبض وكره ونفر والباخل الشحيح والطارق القاصد بليل والمطل تأخير الحق الواجب دفعه والعائق المانع والرشق العائن يرمي ويرشق بعينه حسداً فيصيب والخلائق جمع خليقة وهي السجية والطبيعة ومعنى البيتين أنه لولا الدينار لما تأفف شحيح من قدوم ضيف بليل ولا شكا صاحب المال تأخر غريمه في الدفع ولا استعاذت الخلق من شر حاسد ترمي نظراته وتصيب على أن أسوأ ما فيه من سجايا هو أنه لا يغني عن المرء في الملمات إلا إذا فرّ فرار العبد الآبق أي العبد الذي يترك مولاه وهذا بحسب الشريشي يلاحظ قولاً للحسن البصري قاله للرجل رآه يقلّب درهماً في يده «إنه ليس لك حتى يخرج من يدك».

(2) واهاً تأتي للحسرة والتمني ومن حالق أي من مكان عال مرتفع والوامق المحب العاشق.

(3) الشرط أملك مثل عربي قديم انظر مجمع الأمثال للميداني 367 ومعنى العبارة هو أن الحارث أثنى على وبل السروجي الغزير والوبل هو المطر والمراد هنا بلاغة الرجل وفصاحته فتجاوز السروجي ذلك وذكّره بالشرط أي بالدينار.

(4) نفح أي رمى وعوّذ أي رقى والمثاني هي أم القرآن لأنها تثنى في الصلاة وفي الشريشي عن أبي عبيد أن المثاني في القرآن ثلاثة القرآن والفاتحة وبلفظ الرسول أن: «المثاني من السور ما دون المئين».

(5) انكفأ أي انقلب وولّى ومغداه أي بكوره وسيره في الغدوّ والنادي هو المجلس ونداه يعني كرمه والعبارة تعني أن السروجي قد حمد لنفسه بكورها وللنادي وأهله كرمهم.

(6) لكيد أي مكراً منه.

بوشْيِكَ، فاستَقِمْ في مشيِكَ[1]! فقال: إنْ كُنتَ ابنَ هَمّامٍ، فحُيّيتَ بإكْرامٍ، وحَييتَ بينَ كِرامٍ[2]! فقلتُ: أنا الحارثُ، فكيفَ حالُك والحوادِثُ؟ فقال: أتقلّبُ في الحالَينِ بُؤسٍ ورَخاءٍ، وأنقَلِبُ مع الرّيحَينِ زعْزَعٍ ورُخاءٍ[3]! فقلتُ: كيفَ ادّعَيْتَ القَزَلَ؟ وما مِثْلُكَ مَن هزَلَ؟ فاستَسَرّ بِشرُهُ الذي كانَ تجلّى، ثمّ أنشَدَ حينَ ولّى[4]:

تعارَجْتُ لا رَغبَةً في العرَجْ ... ولكِنْ لأقْرَعَ بابَ الفرَجْ
وأُلْقيَ حبْلي على غارِبي ... وأسلُكَ مسْلَكَ مَن قد مرَجْ
فإنْ لامَني القومُ قلتُ اعذِروا ... فليسَ على أعْرَجٍ من حرَجْ[5]

(1) استعدته أي استرجعته ووشي الثوب هو نقشه وتحسينه بالألوان ويريد هنا أنه عرفه من حسن كلامه واستقم في مشيك أي دع التعارج.
(2) السروجي يدعو له فيقول: حيّيت أي طال بقاؤك كريماً منعماً فالتحية هي البقاء وحييت أي عشت بين ناس كرام.
(3) الحوادث هي الخطوب والنوازل كما أسلفنا والبؤس شدة الفقر والرخاء سعة العيش وسهولته والريح الزعزع هي العاصف التي تزعزع الشجر وتحركه فتقلعه والرخاء اللينة السريعة.
(4) استسر بشره أي زالت عن وجهه طلاقته وسماحه وتجلّى ظهر بان وولّى ذهب وانصرف.
(5) مرج أي خلط في الأمور ولقوله ليس على الأعرج من حرج لاحظ سورة النور 61.

المقامة الدّمياطيّة

أخبَرَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

ظَعَنْتُ إلى دُمْياطَ، عامَ هِياطٍ ومِياطٍ[1]. وأنا يومئِذٍ مرْموقُ الرَّخاء، موموقُ الإخاء[2]. أسْحَبُ مَطارِفَ الثّراء، وأجْتَلي معارِفَ السّرّاء[3]. فرافَقْتُ صَحْباً قد شَقّوا عَصا الشِّقاقِ، وارْتَضَعوا أفاوِيقَ الوِفاقِ[4]، حتى لاحُوا كأسْنانِ المُشْطِ في الاستِواء، وكالنّفْسِ الواحِدَةِ في التِئامِ الأهْواء. وكُنّا مع ذلِك نسيرُ النّجاء، ولا نرْحَلُ إلا كُلّ هَوْجاء[5]. وإذا نزَلْنا منزِلاً، أو وَرِدْنا مَنْهَلاً. اخْتلَسْنا اللُّبْثَ، ولمْ نُطِلِ المُكْثَ[6].

---

(1) دمياط واحدة من كور مصر على ساحل البحر والهياط والمياط يعني الشدّة والاختلاط ونقل العسكري في جمهرته عن الفراء قوله إن الهياط أشد السوق في الورود والمياط اشدّه في الصدور ونقل عن اللحياني أن الهياط هو الإقبال والمياط هو الإدبار. انظر جمهرة العسكري ومجمع أمثال الميداني.

(2) مرموق الرخاء أي أن الجميع يرون ما هو فيه من نعمة وموموق الإخاء أي محبوب الصداقة صداقته ترتجى ففعل ومق يعني أحب وآخى يعني صادق.

(3) أما المطارف فالثياب من خز لها أعلام في أطرافها والثراء هو الغنى وأما الاجتلاء فالنظر من الجلوة وقد تقدّم ذلك وأما المعارف فالوجوه وأما السراء فالنعمة والرخاء.

(4) عن الشريشي عن أبي عبيد أن العصا تضرب مثلاً للاجتماع ومن خرج على الجماعة شق العصا ومن هنا فان صحب الحارث أخوة خرجوا على الشقاق أي الخلاف بين الأصحاب فتواءموا وتآخوا وارتضعوا أي رضعوا حليب الوفاق أي ترك الخلاف والأفاويق جمع أفواق هي ما بين الحلبتين.

(5) النجاء السير السريع ورحّل أي شدّ الرحل والهوجاء الناقة السريعة وهي هوجاء لسرعتها حتى لكأن بها حمقاً.

(6) المنهل مكان الماء ينهل أي شرب منه فالنهل هو المشرب الأول والورود قصد الماء واختلس أي استرق واللبث والمكث كلاهما يعني الإقامة.

فعنّ لَنا إعْمالُ الرِّكابِ، في ليلةٍ فَتيّةِ الشّبابِ، غُدافيّةِ الإهابِ[1]. فأسرَيْنا إلى أن نَضا اللّيلُ شَبابَهُ، وسلَتَ الصّبحُ خِضابَهُ! فحينَ ملِلْنا السُّرَى، ومِلْنا إلى الكَرى، صادَفْنا أرْضاً مُخضَلّةَ الرُّبا، مُعتلّةَ الصَّبا[2]! فتخيّرْناها مُناخاً للعِيسِ، ومَحطّاً للتّعريسِ[3]. فلمّا حلّها الخَليطُ، وهَدأ بها الأطيطُ والغَطيطُ، سمِعْتُ صَيّتاً منَ الرّجالِ، يقولُ لسَميرِه في الرّحالِ[4]:

كيفَ حُكْمُ سيرَتِكَ، معَ جيلِكَ وجيرتِكَ؟ فقال: أرْعَى الجارَ، ولوْ جارَ[5]! وأبذُلُ الوِصالَ، لمَنْ صالَ[6]! وأحْتَمِلُ الخَليطَ، ولوْ أبْدى التّخليطَ! وأودّ الحَميمَ، ولو جرّعَني الحَميمَ[7]! وأفضّلُ الشّفيقَ، على الشّقيقِ! وأفي للعَشيرِ، وإنْ لمْ يُكافئ

---

(1) إعمال الركاب يعني استعمال الإبل وفتيّة الشباب أي صغيرة السن وأراد أنها ليلة طويلة سوداء لا قمر فيها والغدافية نسبة إلى الغداف وهو الغراب الأسود والإهاب هو الجلد.

(2) أسرى وسرى سار ليلاً والكرى ونضا الليل شبابه أي خلع ظلامه وسواده ونضا الثوب خلعه وجرّده عنه وقد تقدّم ذلك وسلت خضابه يعني أن الصبح قد نزع السواد الذي علق به ففعل سلت يعني إزالة ما علق بالشيء والعبارة تعني أن الليل تجرّد من ثوب العتمة وأزال الصباح الخضاب الأسود أي العتمة. والسرى يعني السير بالليل والكرى النوم والمخضلّة أي المبتلّة بالندى ومعتلّة الصبا أي لينة الريح والصبا اسم للريح الشرقية ويقابلها الدبور.

(3) العيس هي الإبل في بياضها حمرة والمناخ هو المنزل حيث تناخ الإبل ومحطّ هو المكان الذي تحطّ به الأحمال والتعريس النزول في آخر الليل.

(4) الخليط أي الأصحاب والجماعة يتعاشرون وهدأ سكن والأطيط صوت الإبل والغطيط أصوات الناس النيام والصيّت أي الجهير الصوت والسمير هو الرفيق الذي يسمر معه بالحديث ليلاً والرحال منازل المسافرين وسمّيت كذلك باسم الرحال التي توضع فيها فالرحل اسم لما يحمله البعير من حمله وقتبه وما يوطأ به تحت الحمل.

(5) السيرة هي العادة والجيل أهل العصر والجيرة الجيران وأرعى يعني احفظ وجار يعني تعدى ومال عن الحق.

(6) أبذل أي أعطي وصال عليه سطا عليه وقهره وعند الشريشي صاح مخوّفاً والعبارة تقول إنه يبذل الوصال والود حتى لمن أظهر شرته وحدته.

(7) الخليط هو الصاحب ويقع على الواحد والإثنين والجمع والتخليط التلبيس والإفساد وأودّ أي أحب وأحسن إلى الصديق المخلص وهو حميم والحميم الثاني الماء الحار وجرّعني سقاني بعنف وغلظة.

بالعَشيرِ[1]! وأستَقِلّ الجَزيلَ، للنّزيلِ! وأغمُرُ الزّميلَ، بالجميلِ[2]! وأنزّلُ سَميري، منزِلَةَ أميري! وأحِلّ أنيسي، محَلّ رَئيسي[3]! وأودِعُ مَعارِفي، عَوارِفي! وأُولي مُرافِقي، مَرافقي[4]! وأُلينُ مَقالي، للقالي! وأُديم تَسْآلي، عنِ السّالي! وأرْضى منَ الوَفاء، باللّفاء! وأقْنَعُ منَ الجَزاء، بأقَلّ الأجزاء[5]! ولا أتظلّمُ، حينَ أُظلَمُ! ولا أنْقَمُ، ولو لدَغَني الأرقَمُ[6]!

فقال لهُ صاحبُه:

ويْكَ يا بُنيّ! إنّما يُضَنّ بالضّنينِ، ويُنافَسُ في الثّمينِ[7]! لكِنْ أنا لا آتي، غيرَ المُؤاتي! ولا أسِمُ العاتي، بمُراعاتي[8]! ولا أُصافي، مَنْ يأبى إنْصافي! ولا

---

(1) الشفيق هو الصديق المشفق والشقيق هو الأخ من الأب وأفي للعشير أي أكرم الصاحب وأفي له أي أحفظ وأصون عهده ولو لم يكافئني ولو بالعشر من فعلي.

(2) استقل الشيء رآه قليلاً والنزيل الضيف أي أنه يرى كل شيء قليلاً في سبيل إكرام الضيف والجميل هو المعروف والزميل هو الصاحب والمرافق والرديف لأنه يردفه معه على الزاملة أي ما يحمل عليه من الإبل.

(3) السمير من يحادثك ويسامرك والعبارة تقول إنه ينزل سميره أي محدثه ومؤنسه منزل أميره والحاكم عليه والعبارة التالية تعني المعنى نفسه.

(4) معارف المرء من يعرف وأصحابه والعوارف العطايا والهبات وهي ج عارفة وهي اليد من النعمة وأولي أي أعطي ومرافقي أي رفيقي ومصاحبي في السفر والمرافق وهي جمع مرفقة المعونة وما يرتفق به.

(5) القالي هو المبغض والتسآل هو كثرة السؤال والسالي وهو ناسي الودّ من سلا عن الشيء أي تركه واللفّاء هو القليل والنقصان وفي الإيضاح هو ما دون الحق ومؤدى العبارة أنه يرضى مقابل وفائه وقيامه على العهد بما دون القليل من الآخر والجزاء المكافأة والأجزاء الأنصباء أي الحصص تقسم على الجماعة.

(6) التظلم هو الشكاية ولا أنقم يعني لا أنتقم ولا أحقد ولدغ فعل الأفعي حين تعض المرء والأرقم ذكر الحيات الأرقش وهو أخبثها.

(7) ويك تقال للتعجب وقيل هي ويلك بحذف اللام ويضن بالضنين مثل عربي جاء في جمهرة العسكري ويضن يعني يبخل والضنين البخيل وفسّره أبو عبيد فقال تمسّك بإخاء من تمسّك بك يعني تمسّك وابخل بمن يبخل بك وقيل إن الضنين هو النفيس يضنّ به لنفاسته.

(8) المواتي المساعد والموافق ووسم الشيء جعل له أو فيه علامة والعاتي الصعب والمتكبّر والمراعاة للأمر حفظه وللمرء ملاحظته مع إحسان.

أُواخي، مَنْ يُلْغي الأواخي[1]! ولا أُمالي، مَنْ يُخيِّبُ آمالي! ولا أُبالي بمَنْ صرَمَ حِبالي! ولا أُداري، مَنْ جهِلَ مِقداري! ولا أُعطي زِمامي، مَنْ يُخْفِرُ ذِمامي[2]! ولا أبْذُلُ وِدادي، لأضْدادي! ولا أدَعُ إيعادي، للمُعادي! ولا أغرِسُ الأيادي، في أرضِ الأعادي! ولا أسمَحُ بمُواساتي، لمَنْ يفرَحُ بمَساءاتي! ولا أرى التِفاتي، إلى مَن يشْمَتُ بوَفاتي! ولا أخُصّ بحِبائي، إلا أحبّائي[3]! ولا أستَطِبّ لدائي، غيرَ أوِدّائي! ولا أمَلِّكُ خُلّتي، منْ لا يسُدّ خَلّتي! ولا أصَفّي نيّتي، لمَنْ يتمنّى منيّتي! ولا أُخلِصُ دُعائي، لمَنْ لا يُفعِمُ وِعائي[4]! ولا أُفرِغُ ثَنائي، على مَنْ يفْرِغُ إنائي! ومنْ حكمَ بأنْ أبذُلَ وتخْزُنَ، وألينَ وتخْشُنَ؟ وأذوبَ وتجْمُدَ، وأذْكو وتخْمُدَ[5]؟ لا واللهِ! بلْ نتَوازَنُ في المَقالِ، وزْنَ المِثْقالِ! ونَتحاذَى في الفِعالِ، حذْوَ النّعالِ! حتى نأمَنَ التّغابُنَ، ونُكْفى التّضاغُنَ[6]. وإلا فلِمَ أُعِلّكَ وتُعلّني، وأُقلّكَ وتستَقلّني؟ وأجترِحُ

(1) أصافي يعني أخلص الود والانصاف العدل ويأبى ينكر الشيء ولا يريده وآخى أي اتخذ أخاً وصديقاً والأواخي أسباب الود وأصلها أخيّة وهي عروة من حبل تشد في وتد أو على حجر تحت الأرض وتبقى العروة فوق الأرض فتربط بها الدابة.

(2) أمالي أي أعاون وأساعد ومالأته على الأمر إذا عاونته وساعدته والآمال جمع أمل وهو الرجاء ولا أبالي أي لا أكترث ولا أهتم وصرم قطع والأحبال جمع حبل يعني هنا أواصر الود والمداراة حسن الصحبة والسياسة والزمام هو حبل من جلود يربط في حلقة في أنف العبير ويعني أنه لا يسلّم قياده لمن يخفر أي ينكث وينقض العهد يعني لا انقاد لمن لا عهد له.

(3) الحباء هو العطاء والأحباء جمع حبيب.

(4) استطبّ الرجل أي طلب طبه والداء هو المرض والأودّاء هم الأصحاب والأخلاء والخلّة بالضم هي الصداقة والخلة بالفتح هي الحاجة والفقر والعوز وسد الخلة إصلاح الفقر وأفعم ملأ يقول صاحبي طبيبي وعوني على الفقر صاحبي ومن أراد لي الموت فلن تكون نيتي صافية عليه.

(5) الثناء هو الحمد فهو لايحمد من يكون سبباً في نقص ماله أو خسارته. ومن حكم أي من قضى وأمر بأن أنفق وأنت تخزن وأن أذكو أي ألتهب وأشتعل. يقول ومن ذا حكم وقضى بأن العطاء مني والغرم عليّ دائماً.

(6) نتوازن ونتساوى ونتحاذى كلها بمعنى واحد والحذو تقوله العرب في الشيئين يتشابهان هما حذو النعل بالنعل وتغابن القوم أي خدع بعضهم بعضاً في البيع والشراء والتضاغن وهو أن يكن الواحد ويعتقد حقداً لصاحبه.

لكَ وتجرَحُني، وأسْرَحُ إليْكَ وتُسرّحُني؟ وكيف يُجْتَلَبُ إنصافٌ بضَيْمٍ؟ وأنّى تُشرِقُ شمْسٌ معَ غيْمٍ؟ ومتى أُصْحِبَ وُدٌّ بعَسْفٍ؟ وأيّ حُرّ رضيَ بخُطّةِ خسْفٍ[1]؟ ولِلهِ أبوكَ حيثُ يقول:

جـزَيْـتُ مَـنْ أعـلَـقَ بـي وُدَّهُ ... جَـزاءَ مَـنْ يـبْـنـي عـلـى أُسّـهِ[2]

وكِـلْـتُ لـلـخِـلّ كـمـا كـالَ لـي ... عـلـى وَفـاء الـكَـيْـلِ أو بـخْـسِـهِ[3]

ولـمْ أُخَـسِّـرْهُ وشَـرُّ الـوَرى ... مَـنْ يـوْمُـهُ أخْـسَـرُ مـنْ أمْـسِـهِ

وكـلُّ مـنْ يـطـلُـبُ عِـنـدي جَـنـى ... فـمـا لـهُ إلا جَـنـى غـرْسِـهِ[4]

لا أبـتَـغـي الـغَـبْـنَ ولا أنْـثَـنـي ... بـصَـفـقَـةِ الـمـغْـبـونِ فـي حِـسّـهِ[5]

ولـسْـتُ بـالـموجِـبِ حـقـاً لـمَـنْ ... لا يـوجِـبُ الـحـقَّ عـلـى نـفـسِـهِ

ورُبّ مَـذاقِ الـهَـوى خـالَـنـي ... أصْـدُقُـهُ الـوُدّ عـلـى لَـبْـسِـهِ[6]

ومـا دَرى مـنْ جـهـلِـهِ أنّـنـي ... أقْـضي غَـريـمـي الـدّيـنَ مـنْ جِـنـسِـه

---

(1) اعلّك أي أسقيك عللاً أي مرة إثر مرة وتعلّني أي تمرضني وأقلك أي أحملك وأرفعك وتستقلني أي تحتقرني وتزري بي واجترح لك أي أكتسب وأصيد لك واسرح إليك أي أرعى عليك وأجلب عليك الرزق بالغداة والعشي وتسرّحني أي تهملني وتصرفني والضيم هو الظلم والجور في الحكم وأنّى تأتي بمعنى كيف والعسف الظلم بعنف وقسوة وخطة الخسف أي منزلة المهانة والنقصان فالخطة هي المنزلة والمرتبة.

(2) اعلق أي علّق أو ألصق والأسّ هو أصل البناء وعليه فالشاعر يقول إنني أجازي من يجعلني موضوعا لحبّه أن أجعل حبه أساساً يبني عليه.

(3) اما الخل فالصاحب وأما البخس فالنقص وبخس الناس ظلمهم والشاعر يقول إنه سيكيل للصاحب كما يكيل له الصاحب زيادة أو نقصاناً.

(4) الجنى ما يجني من الثمرة وأن يجني المرء من غرسه هو أن ينال جزاء ما قدّم.

(5) الغبن هو الخديعة في البيع أو الشراء والانثناء العودة والانصراف والمغبون في حسّه أي المخدوع في حركته فالحسّ صوت الحركة وصفقة المغبون تعني صفقة المخدوع يقول انه لا يخادع ولا ينصرف من الصفقة مخدوعاً واصل الصفقة فعل صفق وهو أن تضرب يد على يد وهي علامة إمضاء العرب البيع في الزمان القديم.

(6) المذاق هو من يخلّط ولا يصدق في مودته ومثل هذا يخال أي يحسب ويظن أن الشاعر يصدقه ويمحضه الود مع تلبيسه وخلطه.

فاهجُرْ منِ استَغباكَ هجرَ القِلى ... وهَبْهُ كالمَلْحودِ في رمْسِهِ[1]

والبَسْ لمَنْ في وصْلِهِ لُبسَةٌ ... لباسَ مَنْ يَرْغَبُ عنْ أُنسِهِ[2]

ولا تُرَجِّ الوُدَّ ممّنْ يرَى ... أنّك مُحتاجٌ إلى فَلْسِهِ

قال الحارثُ بنُ همّام:

فلمّا وعَيتُ ما دارَ بينهُما، تُقْتُ إلى أن أعرِفَ عينَهُما[3]. فلمّا لاحَ ابنُ ذُكاء، وألحَفَ الجوَّ الضّياءُ[4]، غدَوْتُ قبلَ استِقلالِ الرّكابِ، ولا اغتِداءَ الغُرابِ[5]، وجعلْتُ أستَقْري صوْبَ الصّوتِ اللّيْليّ، وأتوسّمُ الوُجوهَ بالنّظَرِ الجَليّ[6]، إلى أنْ لمحْتُ أبا زيْدٍ وابنَهُ يتحادَثان، وعلَيهِما بُرْدانِ رثّانِ. فعَلِمتُ أنّهُما نجِيّا ليلَتي، ومُعتَزَى رِوايَتي[7]. فقَصَدْتُهُما قصْدَ كلِفٍ بدَماثَتِهِما، راثٍ لرَثاثَتِهِما؛ وأبَحْتُهُما التحَوّلَ إلى رحْلي، والتّحكّمَ في كُثْري وقُلّي[8]. وطَفِقْتُ أُسيّرُ بينَ السّيّارةِ فضْلَهُما،

(1) يقول اهجر من استجهلك واستحمقك هجر القلى أي البغض والكره وهبه أي وتخيّله واحسبه دفين رمسه أي قبره.

(2) أما اللبسة فالشبهة والشاعر يقول البس لمن في وصله وصحبته شبهة لباس الراغب في أنسه وصحبته.

(3) وعيت أي عرفت وعلمت وتقت من تاق أي رغبت واشتهيت واشتقت وعينهما أي شخصهما.

(4) ذكاء من أسماء الشمس وابنها هو الصبح وألحف غطّى.

(5) الغدو هو التبكير واستقلال الركاب ارتفاعها أي الإبل وقيامها وأما قوله ولا اغتداء الغراب أي ولا مثل اغتداء الغراب فحذف مثل المنصوبية بلا وأقام لفظ اغتداء مقامها وأراد القول إن اغتداءه كان قبل اغتداء الغراب وهو المشهور ببكوره.

(6) استقرأ أي تتبّع وصوب أي ناحية وجهة وأتوسّم أي أتعرّف وأنظر السمة أي العلامة والجلي البيّن الواضح.

(7) لمحت أي رأيت وبردان رثان أي ثوبان خلقان ونجيّا ليلتي أي المتحدثان فيها وهو جعلهما متحدثين مع الليلة مجازاً ومعتزى روايتي أي صاحباها أي مصدرها الذي أروي عنه.

(8) الكلف هو المغرم والمولع والدماثة السهولة واللين وهي للأرض ولكن استعيرت لتوصف بها الأخلاق في الغالب وراث أي مشفق وراحم والرثاثة سوء الحال وأبحتهما أي جعلت لهما مباحاً ومسموحاً والكثر والقل أي كثير المال وقليله وهذا يعني أنه سمح لهما بالانتقال إلى رحله والتحكم في ماله.

وأهُزّ الأعْوادَ المُثمِرَةَ لهُما؛ إلى أنْ غُمِرا بالنُّحْلانِ، واتُّخِذا منَ الخُلاّنِ[1]. وكُنّا بمعرَّسٍ نتبيّنُ منْهُ بُنْيانَ القُرَى، ونتنوّرُ نيرانَ القِرَى[2]؛ فلمّا رأى أبو زيدٍ امتِلاءَ كِيسِهِ[3]، وانجِلاءَ بُوسِهِ[4]، قال لي: إنّ بدَني قدِ اتّسَخَ، ودرَني قد رسَخَ[5]! أفتأذَنُ لي في قصْدِ قريَةٍ لأستَحمّ، وأقضيَ هذا المُهِمّ[6]؟ فقلتُ: إذا شِئْتَ! فالسّرعَةَ السّرْعَةَ، والرّجعَةَ الرّجْعَهْ[7]! فقال: ستجِدُ مطْلَعي عليْكَ، أسرَعَ منِ ارْتِدادِ طرْفِكَ إليْكَ[8]! ثمّ استَنّ استِنانَ الجَوادِ في المِضْمارِ، وقال لابْنِهِ: بَدارِ بَدارِ[9]! ولمْ نخَلْ أنّهُ غرَّ، وطلَبَ المفرّ[10]. فلبِثْنا نرقُبُهُ رِقبَةَ الأعْيادِ، ونستَطلِعُهُ بالطّلائِعِ والرّوّادِ[11]، إلى أنْ هَرِمَ النّهارُ، وكادَ جُرُفُ اليومِ ينْهارُ[12]. فلمّا طالَ أمَدُ الانتِظارِ، ولاحَتِ

(1) طفق أي أخذ وشرع وأسيّر أي أمشي وأذيع والسيّارة القوم المسافرون سيراً وقوله أهزّ الأعواد المثمرة لهما استعارة أراد بها أنه راح يستعطف المسافرين من أصحاب الأموال لكي يحسنوا لهما وكأنهم أعواد مثمرة تتساقط ثمارها بالهز والنحلان العطايا والخلان الأصحاب.

(2) المعرّس موضوع النزول في آخر الليل ونتنوّر أي ننظر فنرى النيران يريد أنهم نزلوا في مكان كانت تبدو منه أبنية القرى وتبدو انوار إطعام الضيف وهو القرى بكسر القاف.

(3) الكيس هو وعاء الدراهم كالمحفظة في هذه الأيام والكيس في عرف ذلك الزمان يساوي خمسمائة درهم كما تساوي البدرة عشرة آلاف كما تقدّم.

(4) انجلاء البؤس زواله.

(5) الدرن هو الوسخ ورسوخ الدرن ثباته والتصاقه بالبدن.

(6) يريد أن يقول إن الاغتسال مهم وفي هذا إشارة إلى الآية 112 من سورة الحج: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ أي ليزيلوا وسخهم.

(7) تكرار للتأكيد والمضمر هنا قوله إلزم السرعة وعجّل الرجعة أي العودة.

(8) مطلعي مصدر بمعنى طلوعي وارتداد الطرف أي رجوع النظر يريد أنه سيعود في طرفة عين.

(9) استن استنان الجواد أي جرى جري الحصان والمضمار غاية الفرس في السباق والبُراح تسبّق فيه الخيل وإلى هذا رمى وأما قوله بدار بدار أي سبقاً سبقاً أي عجّل واسبق إلى الحمام.

(10) لم نخل أي لم نحسب وغرّ أي خدع.

(11) نرقبه أي ننتظره من أين يجيء ورقبة الأعياد هو ما اعتاد القوم من فعله من مراقبة الهلال للتأكّد من العيد ونستطلعه أي نلتمس طلوعه بالطلائع أي بالباحثين عليه والطلائع من يستطلعون أخبار العدو والروّاد من يطلبون المرعى ويبحثون عنه.

(12) هرم النهار أي شاخ ويعني هنا قارب النهاية والجرف جانب الوادي وهو ما يجرفه السيل وينهار=

الشمسُ في الأطْمارِ[1]. قُلتُ لأصْحابي: قد تَناهَيْنا في المُهْلَةِ، وتمادَيْنا في الرّحلَةِ، إلى أنْ أضَعْنا الزّمانَ، وبانَ أنّ الرجُلَ قد مانَ[2]! فتأهّبوا للظّعَنِ، ولا تَلْووا على خضْراء الدِّمنِ[3]! ونَهَضْتُ لأحدِجَ راحِلَتي، وأتحمّلَ لرِحلَتي، فوجدْتُ أبا زَيْدٍ قد كتبَ. على القَتَبِ[4]:

يـا مَـنْ غَـدا لـي سـاعِـداً ومُـسـاعِـداً دونَ الـبَـشَـرْ[5]
لا تـحْـسَـبَـنْ أنّـي نـأيـ تُـكَ عـنْ مَـلالٍ أو أشَـرْ[6]
لـكـنّـنـي مُـذْ لـمْ أزَلْ مـمّـنْ إذا طَـعِـمَ انـتـشَـرْ[7]

قال: فأقْرَأتُ الجَماعةَ القتَبَ، ليعْذِرَهُ منْ كان عتَبَ. فأُعجِبوا بخُرافَتِه، وتعوّذوا منْ آفَتِه. ثمّ إنّا ظعَنّا، ولمْ ندْرِ منِ اعتاضَ عنّا[8].

= يتداعى وينهدم وهنا استعارة لوصف كيف أن النهار كجانب الوادي يأتي عليه السيل أي العتمة فيجرفه.

(1) الأطمار هي الثياب الخلقة يريد أن يقول إن الشمس قبيل الغروب يكزم ثوبها أي ضوؤها قد تغيّر وبلي.

(2) تناهينا أي بلغنا النهاية والمهلة التراخي يقول لقد تراخينا في انتظاره حتى أوفينا على الغاية وتمادى في الأمر أي بلغ الغاية فيه وتمادى في الشيء لج ودام في فعله والعبارة تعني لقد تمادينا في ترك الرحلة وبان أي بدا واتضح ومان أي كذب.

(3) تأهبوا أي استعدوا والظعن الرحيل ولا تلووا أي ولا تعرّجوا وهنا لا تأبهوا وخضراء الدمن النبات الحسن المنظر في مكان سوء كالمزبلة وقد وصف بها النبي المرأة الحسنة الهيئة نشأت في بيت سوء والتشبيه هنا هو أن فصاحة أبي زيد تشبه حسن النبتة ورواءها ولكن خبثه وغشّه وقد أضمرهما يشبهان المنبت السوء.

(4) أحدج أي أجعل على الراحلة الحدج وهو مركب من مراكب النساء وأراد بذلك ترحيل الناقة والتحمّل للرحلة يعني تحميل الأحمال للرحيل والقتب خشب الرحل.

(5) الساعد هو الذراع يستعان به والمساعد يعني الموافق.

(6) نأيتك أي بعدت عنك والأشر البطر وعدم الشكر.

(7) مذ لم أزل أي منذ وجدت هذا والعبارة التالية إشارة إلى الآية 53 من سورة الأحزاب وفيها: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ والانتشار يعني الذهاب والانصراف.

(8) الخرافة هنا الحديث والآفة الضرر وظعنا أي سرنا وارتحلنا واعتاض عنا أي استبدلنا.

المقامة الكوفيّة

حَكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

سمَرْتُ بالكوفَةِ في ليلَةٍ أديمُها ذو لوْنَين[1]، وقمرُها كتَعْويذٍ من لُجَينٍ[2]، معَ رُفقَةٍ غُذوا بلِبانِ البَيانِ، وسحَبوا على سَحْبانَ[3] ذيْلَ النّسْيانِ. ما فيهِمْ إلا مَنْ يُحْفَظُ عنْهُ، ولا يُتَحفَّظُ منْهُ[4]، ويَميلُ الرّفيقُ إليهِ، ولا يَميلُ عنهُ[5]. فاستَهْوانا السّمَرُ، إلى أنْ غرَبَ القمَرُ، وغلَبَ السّهَرُ. فلمّا روّقَ الليْلُ البَهيمُ، ولمْ يبْقَ إلا التّهويمُ[6]،

(1) الكوفة بلد بالعراق مشهور وسميّت كوفة لاستدارتها وقيل سمّيت كوفة لاجتماع الناس فيها وذلك من تكوّف الرمل تكوفاً أي ركب بعضه بعضاً. والكوفة أول مدينة اختطها المسلمون في العراق. أما الأديم فالجلد وأراد بذلك اللون فنصف معتم ونصف مستنير.

(2) التعويذ هو التميمة تناط بأعناق الصبيان درءاً للسحر والعين ويكون طوقاً أو خرزاً وأما اللجين فالفضّة وأما الصورة الشعرية فمستهلكة ولعل الحريري أخذها عن السكرادي الذي يقول:

أو ما ترى قمر السماء كأنّه تعويذ فضّه
فإذا ألمّ به المحاق تخاله في الخد عضّه

(3) هو سحبان وائل الخطيب ويضرب به المثل لفصاحته وعاش في عهد معاوية بن أبي سفيان ومعنى العبارة أن القوم من الفصاحة بحيث أن سحبان وائل يصير نسياً منسياً لديهم فذيل النسيان طرفه وأصل التعبير أن يسحب ذيل الثوب على أثر ليخفى الأمر الذي كان يفعله العشّاق في الزيارة.

(4) من يحفظ عنه هو العالم وأما التحفّظ عن الشيء أو منه فالتوقّي والاحتراز والحذر.

(5) مال إلى فلان أحبّه وتقرّب منه ورغب به والميل عن فلان كرهه والبعد عنه.

(6) روّق أي ضرب رواقاً وهو الثوب يستظلّ به من الشمس ومعنى ما يقول إن الليل البهيم أي الخالص من كل لون لعتمته وسواده قد حل كرواق يحجب ضوء القمر والتهويم النوم بالليل ويقابله التغوير وهو نوم القائلة أي القيلولة وهوّم الرجل إذا سقط من النعاس رأسه فانتبه بسقوطه فرفعه.

سمِعْنا منَ البابِ نبْأةَ مُستَنْبحٍ، ثمّ تلَتْها صكّةُ مُستفْتِحٍ، فقُلنا: منِ المُلِمّ، في اللّيلِ المُدْلَهِمّ!؟[1] فقال:

يا أهلَ ذا المَغْنى وُقيتُمْ شَرّا ... ولا لَقيتُمْ ما بَقيتُمْ ضُرّا[2]
قدْ دفَعَ الليلُ الذي اكْفَهَرّا ... إلى ذَراكُمْ شَعِثاً مُغْبَرّا[3]
أخا سِفارٍ طالَ واسْبَطَرّا ... حتى انْثَنى مُحْقَوْقِفاً مُصْفَرّا[4]
مثلَ هِلالِ الأُفْقِ حينَ افْتَرّا ... وقد عَرا فِناءَكُمْ مُعْتَرّا[5]
وأمَّكُمْ دونَ الأنامِ طُرّا ... يبْغي قِرًى منكُمْ ومُستَقَرّا[6]
فَدونَكُمْ ضَيْفاً قَنوعاً حُرّا ... يرْضَى بما احْلَوْلى وما أمَرّا

ويَنْثَني عنْكُمْ ينُثّ البِرّا[7]

قال الحارثُ بنُ هَمّام:

فلمّا خلَبَنا بعُذوبَةِ نُطقِهِ، وعلِمْنا ما وَراء برْقِه، ابتَدَرْنا فتْحَ البابِ، وتلَقّيناهُ

---

(1) النبأة هي الصوت والمستنبح من حاكى بصوته صوت الكلاب وكان الرجل يتوسّل ذلك وسيلة في الصحراء فإذا كان قريباً من العمران نبحته الكلاب فسمع أصواتها وقصد الحي وأما الصكّة فالدفعة والضربة والمستفتح أي طالب فتح الباب والملم أي الزائر والمدلهم الشديد السواد.

(2) المغنى هو المنزل ووقيتم أي كفيتم والضرّ سوء الحال يدعو لأصحاب البيت بالسلامة والكفاية فلا يحيق بهم ضر.

(3) اكفهرّ أي تراكم وكثر ظلامه والذرا ما تستتر به من ريح أو مطر أو شمس وهو هنا المنزل والكن والكنف والشعث تغيّر الشعر حين يترك غسله والمغبرّ من عليه غبار.

(4) أخا سفار أي صاحب أسفار يلازمها واسبطرّ طال وامتد أي إن سفره طالت مدته وانثنى رجع وعاد والمحقوقف المنحني والمصفرّ المتغيّر اللون.

(5) افترّ انفتحت أطرافه ولم يتقارب وافتر تعني أيضاً ضحك ولكن الأول هو المراد ففيه إشارة للانحناء فهو في انحنائه بسبب السفر كدانة القمر الناقص وهو تشبيه تكررفي الشعر لوصف الانحناء من الكبر وعرا يعني قصد وفناء الدار ما أحاط بها والمراد هنا أتى منزلكم والمعتر طالب المعروف والمتعرض له دون استجداء ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾ الحج 28 و36.

(6) أمكم أي قصدكم وطرّاً أي أجمع ويبغي قرى أي يريد طعاماً.

(7) احلولى أي اشتدت وزادت حلاوته وما أمرّا أي ما كان مراً وينث أي يفشي ويذيع والبرّ أي الإحسان ويريد هنا القول إنه سيبسط لسانه بالحميد من القول ثناء عليهم.

بالتّرْحابِ. وقُلْنا للغُلامِ: هيّا هَيّا! وهلُمّ ما تَهيّا[1]! فقالَ الضّيفُ: والذي أحَلّني ذَراكُمْ، لا تلَمّظْتُ بقِراكُمْ، أو تَضمَنوا لي أنْ لا تتّخِذوني كَلاًّ، ولا تجَشّموا لأجْلي أكْلاً[2]. فرُبّ أكْلَةٍ هاضَتِ الآكِلَ، وحرَمَتْهُ مآكِلَ[3]! وشَرُّ الأضْيافِ مَنْ سامَ التّكليفَ، وآذَى المُضيفَ! خُصوصاً أذًى يعْتَلِقُ بالأجْسامِ، ويُفْضي إلى الأسْقامِ[4]! وما قيلَ في المثَلِ الذي سارَ سائِرُهُ: خيرُ العَشاء سَوافِرُهُ، إلا ليُعَجَّلَ التّعَشّي، ويُجْتَنَبَ أكْلُ اللّيلِ الذي يُعْشي. اللهُمّ إلاّ أن تقِدَ نارُ الجوعِ، وتَحولَ دونَ الهُجوعِ[5].

قال:

فكأنّهُ اطّلعَ على إرادَتِنا، فرَمى عنْ قوْسِ عَقيدَتِنا. لا جَرَم أنّا آنَسْناهُ بالتِزامِ الشّرْطِ، وأثْنَينا على خُلُقِهِ السّبْطِ[6]! ولمّا أحْضَرَ الغُلامُ ما راجَ، وأذْكى بينَنا السّراجَ[7]، تأمّلْتُهُ فإذا هوَ أبو زَيْدٍ! فقُلْتُ لصَحْبي: ليُهْنَأكُمُ الضّيفُ الوارِدُ، بلِ

(1) ما وراء برقه يعني أنه دله بما قال على ما عنده من علم كما يدل البرق على ما يليه من مطر وابتدرنا استبقنا والترحاب من قولهم مرحباً مرحباً وهيّا هيا أي سق سق وهلمّ ما تهيّا أي أحضر ما تيسّر.

(2) لا تلمظت بقراكم أعني لا تذوقت طعامكم والتلمّظ هو تتبع اللسان ما بقي من الطعام في الفم بعد الأكل والكلّ الثقيل والعالة وهو كل على أهله إذا لم يكفهم مؤونة نفسه وتجشّم الشيء تكلّفه.

(3) هاضت أي أدخلت عليه الهيضة وهي القيء والإسهال وفي المثل «رب أكلة تمنع أكلات».

(4) سامه الأمر أي كلّفه إيّاه وسامه التكليف أي كلّفه ما يشق عليه والأذى الضرر ويفضي أي يؤول ويؤدي والأسقام ج سقم وهي الأدواء والأمراض.

(5) سار سائره أي انتشر خبره ومشى في الناس والسوافر أي البواكر أي ما أكل منها بضوء النهار فالسافرة هي المرأة التي سفرت نقابها عن وجهها أي كشفته فكأن اللقمة إذا أبصرتها عند أكلها قد سفرت الظلام عن نفسها والتعشّي أكل العشا والذي يعشي أي الذي يورث العشا وهو سواد البصر ليلاً وتقد نار الجوع أي تستعر وتلتهب والهجوع هو النوم يقول خير العشاء ما كان قبل الظلام فأكل الليل يضعف البصر اللهم إلاّ إذا التهبت نار الجوع فمنعت المرء النوم.

(6) يقال رمى عن القوس وليس رمى بها إلاّ إن يرمها من يده وعقيدتنا تعني هنا ما انعقدت عليه نية الجماعة ولا جرم أي حقاً ولا بد أو لا محالة وآنس المرءَ أزال وحشته والسبط أي السهل اللين الحسن.

(7) ما راج أي ما توافر وتيسّر بسرعة وأذكى أي أوقد.

المَغْنَمُ البارِدُ[1]! فإنْ يكُنْ أفَلَ قمَرُ الشِّعْرَى، فقدْ طلَعَ قمَرُ الشِّعْرِ! أوِ استَسَرّ بدْرُ النَّثْرَةِ، فقدْ تبلّجَ بدْرُ النثْرِ[2]! فسرَتْ حُمَيّا المسَرّةِ فيهِمْ، وطارَتِ السِّنَةُ عنْ مآقِيهِمْ، ورَفَضوا الدَّعَةَ التي كانوا نَوَوْها، وثابُوا إلى نشْرِ الفُكاهَةِ بعْدَما طوَوْها. وأبو زَيْدٍ مُكِبٌّ على إعْمالِ يدَيْهِ، حتى إذا استَرْفَعَ ما لدَيْهِ[3]، قلتُ لهُ: أطْرِفْنا بغَريبَةٍ منْ غرائِبِ أسْمارِكَ، أو عَجيبَةٍ منْ عَجائِبِ أسفارِكَ[4]! فقال: لقدْ بلَوْتُ منَ العَجائِبِ ما لمْ يرَهُ الرّاؤونَ، ولا رواهُ الرّاوونَ! وإنّ منْ أعجبِها ما عايَنْتُهُ الليلَةَ قُبَيلَ انْتِيابِكُمْ، ومَصيري إلى بابِكُمْ. فاستَخْبَرْناهُ عَنْ طُرفَةِ مَرآهُ، في مسرَحِ مسْراهُ[5]، فقال: إنّ مَراميَ الغُربَةِ، لفَظَتْني إلى هذِهِ التُّرْبَةِ. وأنا ذو مَجاعَةٍ وبوسَى، وجِرابٍ كفؤادِ أمّ موسَى[6]. فنهَضْتُ حينَ سَجا الدُجى، على ما بي منَ الوَجَى، لأرْتادَ مُضيفاً، أو

(1) المغنم البارد ما يغنمه المرء دون قتال ولا تعب.

(2) أفل يعني غرب وغاب والشّعرى كوكب معروف وهما شعريان أحدهما اسمها العبور والأخرى الغميصاء واستسر يعني اختفى وغاب والنثرة منزلة من منازل القمر في صورة السرطان وتبلّج بان وظهر وأضاء يقول مخاطباً صحبه ولئن كان كوكب الشعر ى قد غاب فها كوكب الشعر وكوكب النثر قد طلع.

(3) الحميّا من أسماء الخمر وما تبلغه الخمر من شاربها وسورة الشباب ونشاطه والمسرّة الفرح والسنة النعاس والمآقي العيون والدعة الراحة وثابوا أي عادوا ورجعوا يقول إن القوم اعتراهم سرور استبد بهم فنشطوا للحديث والفكاهة كل هذا وأبو زيد مكبّ من فعل أكبّ على الشيء يعني انحنى عليه وشغل به، والمكبّ يكون منحنياً مائل الرأس وإعمال اليدين يعني إشغالهما بالأكل.

(4) أطرفنا أي حدثنا بطرفة وهي الشيء المحدث الذي لم يكن عرف والغريبة النادرة التي لم تسمع من قبل والأسمار جمع سمر وهو الحديث الليلي يسمر عليه.

(5) الراؤون جمع رائي أي الناظرون والراوون أي الحافظون ورواة الحديث والأخبار وعاينته شاهدته ورأيته بعيني وانتاب قصد مرة بعد مرة وانتابه أمر كالمرض أي ألم به والمصير أي ما ينتهي إليه الأمر والموضع الذي تصير إليه المياه ومرآه أي رؤيته وما رآه والمسرى السير بالليل.

(6) المرامي جمع مرماة وهي السهم الصغير يتعلّم به ولفظتني أي طرحتني والتربة الأرض والمجاعة شدة الجوع والبوسى شدة الفقر والجراب وعاء الزاد وفؤاد أم موسى إشارة إلى سورة القصص 10 وقوله: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾ يقول إن الغربة رمت به كسهم إلى هذه البلدة وكان جائعاً وجرابه فارغ لا زاد فيه.

أقْتادَ رَغيفاً[1]، فساقَني حادِي السّغَبِ، والقضاءُ المُكنّى أبا العجَبِ، إلى أنْ وقفْتُ على بابِ دارٍ، فقلْتُ على بِدارٍ[2]:

حُـيـيـتُـمُ يـا أهـلَ هـذا الـمـنـزِلِ وعِشتُمُ في خفضِ عيشٍ خضِلِ[3]
مـا عـنـدكُـمْ لابـنِ سَـبـيـلٍ مُـرمِـلِ نِـضْـوِ سُـرًى خـابِـطِ لـيْـلٍ ألْـيَـلِ[4]
جَوِي الحَشى على الطّوى مُشتَمِلِ مـا ذاقَ مـذْ يـومـانِ طـعـمَ مـأكَـلِ[5]
ولا لـهُ فـي أرضِـكُـمْ مـنْ مَـوْئِـلِ وقد دَجا جُنْحُ الظّلامِ المُسبِلِ[6]
وهْـوَ مـنَ الـحَـيـرَةِ فـي تـمـلْـمُـلِ فـهـلْ بـهَـذا الرَّبـعِ عـذبُ الـمـنـهَـلِ[7]
يـقـول لـي: ألْـقِ عَـصـاكَ وادخُـلِ وابْـشَـرْ بـبِـشْـرٍ وقِـرًى مُـعـجَّـلِ[8]

قال: فبرزَ إليّ جَوْذَرٌ، عليهِ شَوْذَرٌ[9]. وقال:

---

(1) سجا الدجى أي سكن بالظلام فغطّى كل شيء والوجى الحفاء وأرتاد يعني أطلب والمضيف أي المنزل ينزل فيه ضيفاً وأقتاد يعني أقود يقول قمت حين اشتدت عتمة الليل على ما بي من وجع بسبب الحفا لعلني أجد أحداً يستضيفني أو رغيفاً أتبلّغ به.

(2) حادي السغب يعني سائق الجوع والقضاء هو أبو العجب لأنه عجيب في أحكامه وتصرّفه فلا يأتي بالمراد إلاّ فيما ندر وقال على بدار أي قال توّاً ودون تردد.

(3) الغض من العيش اللين والخصب والخضل المبتل.

(4) ابن السبيل هو المسافر والغريب والمرمل من لا زاد له فالقوم يكون زادهم قد فني إذا قيل إنهم أرملوا ونضو سرى يعني الهزيل من سفر الليل وخابط ليل أي من يضرب في الليل على غير هداية والأليل الشديد السواد.

(5) الجوي هو الماء المنتن المتغيّر وجوي الحشى يعني فاسد الجوف من الجوع والجوع هو الطوى ومشتمل يعني منضم يقول إنه حشاه قد فسد مذ انضم على الجوع فهو ما ذاق شيئاً من يومين.

(6) الموئل هو الملجأ يقول ليس له في أرضكم ملجأ يلجأ إليه وقد أرخى الليل حلكته وعتمته.

(7) التململ التقلب والوجع والربع المنزل والمنهل موضع الماء وقد تقدم القول في نهل وعذب المنهل أي حلو الورود. يقول لقد دجا الليل واستبدت العتمة وأنا أتوجّع حيرة فعسى أن يكون هذا المنزل مضيافاً حلو المورد.

(8) البشر بكسر الشين هو طلاقة الوجه والقرى الزاد يقول مكملاً البيت السابق فهل في هذا البيت مضياف يقول لي ألق عصاك يعني اترك السير وأقم ولك بشارة القرى العاجل يقدّم بفرح وطلاقة وجه.

(9) برز أي خرج وجوذر ولد الغزالة يوصف بذلك الغلمان الملاح والشوذر ثوب قصير. وفي =

وحُـرمَـةِ الـشّـيـخِ الـذي سـنّ الـقِـرَى ... وأسّـسَ الـمـحْـجـوجَ فـي أُمّ الـقُـرَى[1]

مـــا عِـــنـــدَنـــا لِـــطـــارِقٍ إذا عَـــرا ... سوى الحديثِ والمُناخِ في الذَّرَى[2]

وكـيـفَ يـقْـري مَـنْ نَـفـى عـنـه الـكَـرى ... طـوًى بـرَى أعـظُـمَـهُ لـمّـا انْـبَـرى

فـمـا تَـرى فـيـمـا ذكـرتُ مـا تَـرى[3]

فقُلتُ: ما أصْنَعُ بمنزِلٍ قَفرٍ، ومُنزِلٍ حِلفِ فَقْرٍ[4]؟ ولكِنْ يا فَتى ما اسمُكَ، فقدْ فتَنَني فهْمُكَ؟ فقال: اسمي زيْدٌ، ومَنشئي فَيْدٌ[5]! ووردتُ هذِهِ المَدَرَةَ أمْسِ، معَ أخْوالي منْ بَني عبْسٍ. فقلتُ لهُ: زِدْني إيضاحاً عِشْتَ، ونُعِشْتَ[6]! فقال: أخبرَتْني أمّي بَرّةُ، وهيَ كاسْمِها برّةٌ، أنّها نَكَحَتْ عامَ الغارَةِ بماوانَ، رجُلاً من سَراةِ سَروجَ وغسّانَ! فلمّا آنَسَ منْها الإثْقال، وكان باقِعةً على ما يُقال، ظعَنَ عنها سِرّاً، وهَلُمّ جرّاً[7]! فما يُعْرَفُ

= الصحاح: الشَوْذَرُ: المِلْحَفَةُ، وهو معرب، وأصله بالفارسية جاذَرْ. وفي تاج العروس: والشَّوْذَرُ: المِلْحَفَةُ مُعرَّبٌ فارسيَّه جادر ومن سَجَعاتِ الحريريّ: بَرزَ على جوذَر عليه شَوْذَر. الشَّوْذَرُ: الإتْبُ وهو بُرْدٌ يُشَقُّ ثم تُلْقِيه المرأةُ في عُنُقها من غير كُمَّيْنِ ولا جَيْب . . . وقال الفَرّاء: الشَّوْذَرُ: هو الذي تَلْبَسهُ المرأةُ تحتَ ثوبِها. وقال اللَّيْثُ: الشَّوْذَرُ: ثَوْبٌ تَجْتَابُه المرأةُ والجاريةُ إلى طَرَفِ عَضُدِها . .

(1) سنّ أي بدأ بالشيء فجعله سنّة والمحجوج أي المقصود من الحج أي القصد وأم القرى أحد أسماء مكة والمعنى أنه يقسم بالشيخ أي بإبراهيم النبي الذي جعله القرى أي إطعام الضيف سنّة فهو أوّل من ضيّف الضيف وأطعم المساكين وأسّس المحجوج أي بنى أساس الكعبة في مكة.

(2) الطارق الآتي بالليل وعرا يعني عرض والمناخ يعني موضع الإناخة والبروك أي أنه هنا موضع النزول والإقامة والذرى فناء الدار ونواحيها وقد تقدّم ذلك.

(3) يقري يقدم القرى ويضيف ونفى عنه الكرى أي طرد عنه النوم وبرى الأعظم جعلها هزيلة دقيقة كأنها بريت بمبراة وانبرى يعني اعترض. يقول ومن أين يقريك ويطعمك من حرم الجوع النوم وجعل عظامه كأنها بشفرة بريت.

(4) القفر المكان لا كلأ ولا ماء ولا أنيس فيه وحلف الفقر أي صاحبه وملازمه.

(5) فيد بلد بين مكة وبغداد وفيها عين ماء.

(6) المدرة أي القرية أو البلدة وعشت ونعشت داء بالحياة والانتعاش أي الارتفاع والنهوض.

(7) برّة الأولى إسم علم للنساء والثانية من البر أي أنها مكرّمة كثيرة البر ونكحت تزوجت وعام الغارة أي عام أغار عليهم العدو وماوان اسم بلد والسراة جمع السري يعني السيد وسروج اسم مدينة وغسّان القبيلة اليمنية المشهورة وآنس أي أبصر والاثقال أي الامتلاء وهو هنا الحمل وباقعة أي=

أحَيٌّ هوَ فيُتوَقّعَ، أم أودِعَ اللّحْدَ البَلْقَعَ[1]! قال أبو زيْدٍ: فعلِمْتُ بصِحّةِ العَلاماتِ أنّه ولَدي! وصدَفَني عنِ التّعرُّفِ إليْهِ صَفَرُ يدي. ففصَلْتُ عنْهُ بكَبِدٍ مرْضوضَةٍ، ودُموعٍ مفْضوضَةٍ! فهلْ سمِعْتُمْ يا أولي الألْبابِ، بأعْجَبَ منْ هذا العُجابِ؟ فقُلْنا: لا! ومَنْ عندَهُ عِلمُ الكِتابِ[2]! فقال: أثْبِتوها في عَجائِبِ الاتّفاقِ، وخلّدوها بُطونَ الأوْراقِ، فما سُيّرَ مثلُها في الآفاقِ! فأحْضَرْنا الدّواةَ وأساوِدَها، ورَقَشْنا الحِكايَةَ على ما سرَدَها[3]. ثمّ استَبْطنّاهُ عنْ مُرْتآهُ، في استِضْمام فَتاهُ، فقالَ: إذا ثَقُلَ رُدْني، خَفّ عليّ أنْ أكْفُلَ ابْني! فقُلْنا: إنْ كان يكْفيكَ نِصابٌ منَ المالِ، ألّفناهُ لكَ في الحالِ! فقالَ: وكيْفَ لا يُقْنِعُني نِصابٌ؟ وهلْ يحتَقِرُ قدْرَهُ إلا مُصابٌ[4]؟!

قالَ الرّاوي: فالتَزَمَ منْهُ كلٌّ منّا قِسطاً، وكتبَ له بِهِ قِطّاً. فشَكَرَ عندَ ذلِكَ الصُنْعَ. واستَنْفَدَ في الثّناء الوُسْعَ، حتى إنّنا اسْتَطَلْنا القوْلَ، واستَقلَلْنا الطَّوْلَ[5]. ثمّ

= داهية وظعن عنها أي خلاها وارتحل عنها وهلمّ جرّاً يعني إلى الآن وهو من قول العرب يعني سيروا على هيّنتكم.

(1) يتوقّع أي يرجى ويُنتظر وأودع أي أدخل واللحد هو القبر والبلقع صفة تعني الخالي.

(2) صدفني أي منعني وصرفني وأمالني صفر يدي خلوها وفراغها من المال والمرضوضة المدقوقة المكسورة والمفضوضة المتفرقة يقول إن فقره قد منعه من التعرّف إلى ولده فتركه بكبد أي قلب متصدّع حزناً وبدموع تتناثر كحبوب فضّ نظامها وأولي الألباب أي أهل العقول والعجاب المبالغة في العجاب ومن عنده علم الكتاب يعني الله عنده علم ما كان ويكون وهو كائن والعبارة قسم.

(3) أثبتوها أي اكتبوها وخلدوها والاتفاق ما يحدث من عجيب الأمور اتفاقاً أي دون تدبير من المرء وسيّر مثلها في الآفاق يعني أن مثلها لم تمض به الرواة من بلد إلى بلد والدواة وعاء الحبر والأساود آلاتها من أقلام وسكين وما شاكل ورقشنا أي كتبنا والسرد هو الحكي والرواية أي كتبناها كما حكاها ورواها.

(4) استبطن الرجل الرجل طلب معرفة باطنه أي رأيه في أمر ما والمرتآى أي الرأي والغرض والردن هو الكم وكانت توضع به الأموال والنصاب من المال عشرون ديناراً وهو القدر الذي تجب فيه الزكاة وألّفناه أي جمعناه والمصاب أي المجنون. يقول سألناه إن كان في عشرين ديناراً تجمع له ما يكفيه فقال وكيف لا لايرد هذا إلا من في عقله لوثة.

(5) القسط هو النصيب والقطّ أي الكتاب والصنع الفعل الجميل واستنفد استتم والثناء الحمد والمديح والوسع الطاقة واستطلنا أي استكثرنا ووجدناه طويلاً واستقللنا أي وجدناه قليلاً والطول الإنعام =

إنّهُ نشَرَ منْ وشْيِ السّمَرِ، ما أزْرَى بالحِبَرِ، إلى أنْ أظَلّ التّنْويرُ، وجَشَرَ الصبْحُ المُنيرُ! فقضَيْناها ليلَةً غابَتْ شوائِبُها، إلى أنْ شابَتْ ذَوائِبُها، وكمُلَ سُعودُها، إلى أنِ انْفطَرَ عودُها. ولمّا ذَرّ قرْنُ الغَزالَةِ، طمرَ طُمورَ الغَزالَةِ[1]، وقال: انْهَضْ بِنا لنَقبِضَ الصِّلاتِ، ونستَنِضَّ الإحالاتِ، فقَدِ اسْتَطارَتْ صُدوعُ كَبِدي، منَ الحَنينِ إلى ولَدِي[2]! فوَصَلتُ جَناحَهُ، حتى سَنّيتُ نَجاحَهُ[3]. فحينَ أحْرَزَ العَينَ في صرّتِه، برَقَتْ أساريرُ مسرّتِهِ، وقال لي: جُزيتَ خَيراً عنْ خُطا قدَمَيكَ! واللهُ خَليفَتي علَيْكَ[4]! فقُلتُ: أُريدُ أن أتبِعَكَ لأشاهِدَ ولَدَكَ النّجيبَ، وأُنافِثَهُ لكَيْ يُجيبَ. فنظَرَ إليّ نظْرَةَ الخادِعِ إلى المَخْدوعِ، وضحِكَ حتى تغَرْغَرَتْ مُقلَتاهُ بالدّموعِ[5]، وأنشَدَ:

يا مَنْ تظَنّى السّرابَ ماءً ... لمّا روَيْتُ الذي روَيْتُ

= والتفضّل يقول فالتزم كل واحد منا قسط وكتب على نفسه كتباً بذلك فراح السروجي يوسعهم ثناء وشكراً فوجدوا الثناء كثيراً مقابل ما اعطوه وكان برأيهم قليلاً.

(1) نشر أي بسط والوشي ثياب من حرير ملونة وصف حديث السمر بثياب الحرير الملونة وأزرى به وعليه وأزراه أي عابه ونقص منه والحبر جمع حبرة وهي البرود اليمانية أظل أي قرب ودنا وجشر أي طلع فقضيناها أي اتممناها والشوائب ما ينكد ويكدر والذوائب وهي جمع ذؤابة وهي شعر الناصية في مقدم الرأس والشيب هنا يعني تباشير النور في الليل وانفطر أي انشقّ وطلع وعودها أي بياض صبحها فالقضيب إذا بدا نبات ورقه قيل انفطر يقول فأخذ السروجي في سمر لذيذ أجمل من الثياب الملونة والبرود اليمانية حتى طلع الصبح فكانت ليلة لا شائبة فيها اكتمل الهناء فيها والسعد. وطمر أي وثب ويقال للبرغوث طامر أي الوثّاب والغزالة الأولى اسم للشمس وأما الغزالة الثانية فالظبية الحيوان المعروف وأما قرن الغزالة فشعاع الشمس وحاجبها.

(2) الصلات جمع صلة هي الهبات والعطايا واستنضّ أي استحضر والإحالات الديون التي وعد بها واستطارت أي اتسعت وانتشرت وصدوع أي شقوق.

(3) وصلت جناحه أي مشيت معه ويدي بيده وجناح الرجل يده وسنّيت أي يسّرت نجاحه في قضاء حاجته.

(4) أحرز يعني حصّل والعين هو المال والأسارير طرق الوجه والمسر السرور يقول فلما حصل على المال وجعله في صرّته استبشر ودعا لصاحبه بخير لما قدم له من عون واستخلف الله عليه إيذاناً بالفراق.

(5) النجيب الكريم العقل والأصل وأنافثه أي أكلمه وتغرغرت امتلأت.

مـا خِـلْـتُ أنْ يـسـتَـسِـرّ مَـكـري وأنْ يُـخَـيـلَ الـذي عـنَـيْـتُ
واللهِ مـــا بَـــرّةٌ بـــعِـــرْســـي ولا لـــيَ ابـــنٌ بِـــهِ اكـتَـنَـيْـتُ
وإنّـــمـــا لـــي فُـــنـــونُ سِـــحـــرٍ أبـدَعْـتُ فـيـهـا ومـا اقـتَـدَيـتُ[1]
لـمْ يـحْـكِـهـا الأصـمَـعـيُّ فـيـمـا حـكَـى ولا حـاكَـهـا الـكُـمَـيـتُ[2]
تَـخِـذْتُـهـا وُصـلَـةً إلـى مـا تَـجْـنـيـهِ كَـفّـي مـتـى اشـتَـهَـيْـتُ
ولـوْ تَـعـافَـيـتُـهـا لـحـالَـتْ حـالـي ولـمْ أحْـوِ مـا حـوَيْـتُ
فـمَـهّـدِ الـعُـذْرَ أو فـسـامِـحْ إنْ كُـنـتُ أجـرَمْـتُ أو جـنَـيْـتُ[3]

ثمّ إنّه ودّعني ومَضى، وأوْدَعَ قلْبي جمْرَ الغَضا[4].

(1) تظنّى أي حسب والسراب هو الآل أي ما يحسبه المرء ماء حتى إذا دنا منه لم يجده شيئاً وما خلت ما حسبت ويستسر أي يخفى ويخيل أي يشتبه ويشكل وعرسي أي زوجتي والفنون الأنواع وأبدع إذا عمل من غير مثال واقتدى إذا عمل وفق مثال سابق.

(2) حكاها أي رواها وحاكها أي نسجها والأصمعي هو أبو سعيد عبد الملك توفي حوالى 828 لغوي مشهور تعلّم في البصرة على الخليل وأبي عمرو بن العلاء واخذ عن خلف الأحمر علّم الخليفة الأمين له الأصمعيات وهي مختارات شعرية وله كتاب خلق الإنسان وكتاب الأضداد. وأما الكميت فهو الكميت الأسدي 680 - 744 شاعر وفارس من أهل الكوفة اشتهر في عصر الأمويين وكان ميالاً للهاشميين له فيهم قصائد كثيرة حتى عرف بشاعر الهاشميين وكان عالماً بآداب العرب ولغاتها وأخبارها وأنسابها وله ديوان الهاشميات.

(3) تخذ الشي واتخذه أي توسله وسيلة وتعافى الشيء أي عافه ونبذه وتركه وحالت الحال أي تبدّلت وتغيّرت ولم أحو ما حويت أي لم أكنز أو أنل ما نلت ومهّد العذر وأجرم وجنى معناهما هنا واحد وهو الإساءة والذنب يقول إنها فنون أتوسلها وسيلة فأبلغ مناي ومشتهاي وإلا لحالت وتبدلت أحوالي وليكن في هذا عذري لما أجرمت أي أذنبت لنفسي أو جنيت أي أذنبت لغيري.

(4) الغضا شجر جمره يحترق طويلاً.

المقامة المَراغيّة

رَوى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قالَ:

حضَرْتُ ديوانَ النّظرِ بالمَراغَةِ(1)، وقدْ جَرى بهِ ذكْرُ البَلاغَةِ. فأجمَعَ مَنْ حضَرَ منْ فُرْسانِ اليَراعَةِ، وأرْبابِ البَراعةِ(2)، على أنّهُ لمْ يبْقَ مَنْ يُنقّحُ الإنْشاءَ، ويتصرّفُ فيهِ كيفَ شاءَ! ولا خلَفَ، بعْدَ السّلَفِ(3)! مَنْ يبتَدِعُ طريقةً غَرّاء، أو يفتَرِعُ رسالةً عذْراءَ(4)؟! وأنّ المُفلِقَ من كُتّابِ هذا الأوانِ، المُتمكّنَ من أزِمّةِ البَيانِ، كالعِيالِ على الأوائِلِ، ولو ملَكَ فَصاحَةَ سحْبانِ وائِلٍ(5)! وكان بالمجْلِسِ كهْلٌ جالِسٌ في

(1) ديوان النظر تنقسم أعماله إلى قسمين الإشراف على الشؤون المالية من إيراد ومنصرف في مختلف الدواوين المركزية في القاهرة وثانيهما الإشراف المحلي على الأحوال المالية في مختلف الأعمال المصرية. أنشأه الفاطميون وكان صاحبه يسمّى ناظر الدواوين عن التعريف بمصطلحات صبح الأعشى لمحمد البقلي والمراغة عاصمة آذربيجان الإيرانية قديماً.

(2) اليراع هو القصب واليراعة القلم قبل أن يبرى ويسوّى فإذا سوّي صار قلماً وفرسان اليراعة أي فرسان الكتابة والإنشاء والبراعة والتفوق والغلبة في العلم أو نحوه والاكتمال في كل جمال وفضيلة وأرباب البراعة يعني هنا المهرة الحاذقين.

(3) تنقيح الإنشاء هو تصحيحه وتهذيبه والخلف من بقي والسلف من مضى.

(4) الغرّاء الواضحة المشهورة ولم يقل أحد مثلها وغرّة الشيء أوله وافترع يعني افتضّ وافتراع البكر إدماؤها وإزالة ما تصعّب منها وكل ما أدميته فقد فرعته وافترعته ومن يفترع رسالة عذراء يعني يأتي برسالة تصعبت على غيره فقدر هو عليها.

(5) المفلق وهو الفصيح المعرب الذي يأتي بالفلق وهو الشيء العجيب والأوان الوقت والعيال من يتكل على غيره في مؤونته ولا يقوم بنفسه والعيلة بكسر العين الفقر وقد تقدم ذكرها والأزمّة جمع زمام وأما سحبان فقد تقدم ذكره هو أيضاً والعبارة كلها تقول بأن البليغ الفصيح والمتمكن من البيان في هذا الزمان عيال على من سبقه لفقره فهو يأخذ عنه.

الحاشيةِ، عندَ مَواقِفِ الحاشِيَةِ[1]. فكانَ كلّما شطّ القوْمُ في شوْطِهِمْ، ونشَروا العَجْوَةَ والنّجْوَةَ من نوْطِهِمْ[2]، يُنبئ تَخازُرُ طرْفِهِ، وتشامُخُ أنفِهِ، أنّهُ مُخرَنْبِقٌ لِيَنْباعَ، ومُجْرَمِّزٌ سيَمُدّ الباعَ! ونابِضٌ يبْري النِّبالَ، ورابِضٌ يبْغي النّضالَ! فلمّا نُثِلَتِ الكَنائِنُ، وفاءتِ السّكائِنُ[3]، وركَدَتِ الزّعازِعُ، وكفّ المُنازِعُ[4]، وسكنَتِ الزّماجِرُ، وسكتَ المزْجورُ والزّاجِرُ[5]؛ أقبَلَ على الجَماعَةِ وقال: لقَدْ جئْتُمْ شيْئاً إدّاً! وجُرْتُمْ عنِ القصْدِ جِدّاً[6]! وعظّمتُمُ العِظامَ الرُّفاتَ، وافْتَتُّمْ في المَيْلِ إلى مَنْ فاتَ، وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات، معهم انعَقَدَتِ المودّاتُ[7]! أنَسيتُمْ يا جَهابِذَةَ النّقْدِ،

(1) الكهل التام الخلق بين الشاب والشيخ والحاشية طرف المجلس والحاشية الأتباع والخدم.

(2) شط جرى وابتعد والشوط غاية الجري والجمع أشواط والعجوة الطيبة من التمر والنجوة الرديئة والنوط وعاء التمر يقول إن القوم كلما تمادوا وأوغلوا في القول وخلّطوا بين الجيد والرديء ينبئ أي يخبر والتخازر النظر بمؤخر العينين وهو نظر المنكر للشيء والتشامخ التعالي والارتفاع وهو فعل المزدري الأشياء ومحتقرها والمخرنبق المتهيئ وفي جمهرة العسكري ج 2 ص 224 المخرنبق اللاطئ وينباع ينبسط ويثب وانباع الرجل إذا وثب بعد سكون ولينباع ليقوم وينهض وقيل المخرنبق المطرق الساكت ولينباع أي ليثب إذا أصاب فرصة ومعناه أنه سكت لداهية يريدها والمجرمز المنقبض والمتجمّع إلى ناحية ما لأمر كبير يريده والباع مسافة ما بين الكفين إذا بسط الذراعن وتوازي 162 سم والعبارة كناية عن التهيّؤ للوثوب والنابض الرامي فأنبض القوس إذا جذب وترها ثم أطلقه ليختبر شدتها والنبال أي السهام والرابض اللاطئ بالأرض وربضت الشاة اضطجعت ويبغي النضال أي يطلب المراماة.

(3) الكنائن الجعاب وهي أوعية السهام وفاءت يعني رجعت والسكائن جمع سكينة. يقول أتم أهل المجلس كلامهم فسكتوا.

(4) ركدت أي سكنت والزعازع الرياح الشديدة كناية عن ارتفاع أصوات القوم وكف المنازع أي امتنع وتوقّف.

(5) الزماجر جمع زمجرة وزجره عن الشيء منعه وصدّه والزاجر هو الناهي والمزجور المنهي على أن للزاجر معنى آخر وهو المتفائل بحركة الطير فإن مرّ عن يمينه تفاءل به وإن مرّ عن شماله تشاءم به وتطيّر.

(6) الإدّ العظيم والمهول من الأمر وفي سورة مريم آية 89: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ وجرتم أي ملتم والقصد الاستقامة والرشد.

(7) الرفات الحطام وكل ما تكسّر وبلي وافتاته افتياتاً الأمر فاته والكلام ابتدعه وافتات برأيه استبدّ به وكذلك الافتيات بالأمر فهو المضي فيه من دون مشورة أحد والميل الهوى والانحياز وفات ⇐

ومَوابِذَةَ الحَلّ والعَقْدِ[1]، ما أبْرَزَتْهُ طَوارِفُ القَرائِحِ، وبرّزَ فيهِ الجذَعُ على القارِحِ[2]، منَ العِباراتِ المهَذَّبَةِ، والاستِعاراتِ المُستَعْذَبَةِ، والرّسائِلِ الموشّحَةِ، والأساجيعِ المُستَمْلَحَةِ[3]؟! وهلْ للقُدَماء إذا أنعَمَ النّظَرَ، مَنْ حضَرَ، غيرُ المَعاني المطْروقَةِ المَوارِدِ، المعْقولَةِ الشّوارِدِ، المأثورَةِ عنهُمْ لتَقادُمِ المَوالِدِ، لا لتقدُّمِ الصّادِرِ على الوارِدِ[4]؟! وإني لأعْرِفُ الآنَ مَنْ إذا أنْشا، وشّى، وإذا عبّرَ، حبّرَ، وإنْ أسهَبَ، أذْهَبَ، وإذا أوْجَزَ، أعْجزَ، وإنْ بَدَهَ، شدَهَ، ومتى اخْتَرَعَ، خرَعَ[5]! فقالَ لهُ ناظورَةُ

= مضى وذهب وغمص الرجلَ احتقره وازدراه وتهاون في حقّه والنعمة لم يؤد حقها من الشكر وغمص عليه كذب وغمصه على كلامه عابه عليه واللدات جمع لدة وهو الترب أي من ولد وتربّى معك يقول لقد اقترفتم كبيرة وحدتم عن العدل كثيراً فأكرمتم العظام الباليات وصرفتكم هواكم إلى من لم يعد موجوداً وأجحفتم بحق أبناء جيلكم.

(1) الجهبذ والجهباذ فارسي معرّب وهو الناقد العارف بتمييز الجيد من الرديء وكان ذلك في النقد والصيرفة ثم استخدم للنقد الأدبي والموابذة ج موبذ وموبذان فارسي معرّب وهو فقيه الفرس وحاكمهم كما هو قاضي القضاة عند المسلمين.

(2) أبرزته أي أظهرته والطوارف جمع طارفة وهي الجديدة والغريبة وبرّز أي تقدّم وسبق وتفوّق وغلب والجذع أي ابن السنتين من الخيل والقارح ابن الخمس. يقول أنسيتم ما أتت به القرائح من جديد غلب فيها الفتى الشيخ أي هزم فيها الجديد القديم.

(3) المهذّبة أي التي خلصت من العيب والاستعارة نوع من أنواع البديع هو تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه وهو ضرب من ضروب التشبيه فإذا ذكر المشبّه به مع القرينة كانت «استعارة مصرّحة» مثل «رأيت البغل يحكم» وإذا لم تذكر القرينة سمّيت «استعارة مكنية» مثل عضّه الفقر بنابه وإذا جرت في الفعل سميت «استعارة أصلية» كقولنا «بكت السماء» والمستعذب ما عذب وقعه ولذّ طعمه أو ريحه والموشّحة أي المزينة والأساجيع جمع أسجوعة وهي الكلام المربوط بقافية وللمزيد انظر المقدمة والمستملح ما كان مليحاً في النظر ومليحاً في السمع.

(4) أنعم بالغ وهي هنا بمعنى أمعن ملياً المطروق من المناقع ما خوّضته الدواب وكدّرته والمعقولة أي المربوطة والشوارد ج شاردة ومذكرها شارد وهو الذاهب على وجهه لا يلوي على شيء وهي في اللغة نوادرها وغرائبها وفي الشعر القوافي السائرة في البلاد والمأثور أي المروي.

(5) حبّر الكلام أو الشعر حسّنه والإسهاب الإطالة والإذهاب التمويه بالذهب والإيجاز الاختصار والإعجاز فعل ما يعجز عنه الغير والبدهة البدء بالأمر فجأة دون إعداد وهو هنا الارتجال وشده الرجل الرجل شدها يعني أدهشه وحيّره والاختراع الإنشاء والبدء وخرع الشيء شقّه وهو هنا يعني شق المعاني وتوليدها.

الدّيوانِ، وعينُ أولَئِكَ الأعْيانِ: مَنْ قارِعُ هذِهِ الصَّفاةِ، وقَريعُ هذِهِ الصِّفاتِ[1]؟ فقال: إنّه قِرْنُ مَجالِكَ، وقَرينُ جِدالِكَ! وإذا شِئْتَ ذاكَ فرُضْ نَجيباً، وادْعُ مُجيباً، لتَرى عَجيباً[2]! فقال لهُ: يا هَذا إنّ البُغاثَ بأرضِنا لا يَستَنْسِرُ[3]! والتّمييزَ عندَنا بينَ الفِضّةِ والقضة متيَسِّرٌ! وقَلَّ منِ استَهدَفَ للنِّضالِ، فخلصَ منَ الدّاء العُضالِ! أوِ استَثارَ نقْعَ الامْتِحانِ، فلمْ يُقْذَ بالامتِهانِ[4]! فلا تُعرِّضْ عِرْضَكَ للمَفاضِحِ، ولا تُعرِضْ عنْ نَصاحَةِ النّاصِحِ[5]! فقال: كُلُّ امرِئٍ أعْرَفُ بوسْمِ قِدْحِهِ! وسيَتَفرّى الليلُ عنْ صُبْحِهِ[6]!

(1) ناظورة الديوان أي عظيم المجلس ومن ينظر إليه والعين شريف القوم وكبيرهم والعين السيد وخيار الشيء والجمع أعيان والقارع الضارب والصفاة الصخرة الملساء والقريع المقارع والندّ والنظير وقريع دهره يعني المختار من أهل عصره وزمانه يقول فسأله كبير القوم وسيدهم من عساه يكون ضارب الصخرة الملساء استعارها للصعب من الكلام ومن هو سيد تلك النعوت.

(2) القرن بالكسر هو النظير في الإقدام والبأس وسواهما والذي يماثلك في شدة أو خصام أو علم والقرين المصاحب والنظير والمجال موضع رياضة الخيل ورض أي سُس وليّن والنجيب الفحل الكريم من الإبل يقول وهو يعني نفسه إنه مكلّمك ومجادلك الآن فإذا شئت فرض هذا الفحل الكريم وادعني فسترى العجب من حسن قولي وإجابتي.

(3) مثل عربي قديم يعني أن الذليل يقوى ويعزّ بنا والبغاث صغار الطير واحدتها بغاثة وتجمع بغثاناً والاستنسار التخلّق بأخلاق النسر فلا يستطاع صيده انظر جمهرة العسكري 1\199 والميداني 1\7 والمستقصى 161.

(4) القضة صغار الحصى البيض واستهدف صار هدفاً وغرضاً للسهام والنضال المراماة والعضال من الداء ما لا يبرأ منه واستثارة الشيء تحريكه والنقع الغبار ويقال في غبار المعارك ويقذ أي يقع في عينيه القذى وهو ما يسقط في العين من غبار أو ماشابه يقول الضعيف لا يقوى عندنا فنحن نعرف الفضة ونعرف الحصى الأبيض ومن عرض نفسه للقول وصار غرضاً لسهام الألسنة فقلّ أن ينجو بنفسه ويسلم ومن حرك غبار الاختبار بالتعرض لأهل العلم والمعرفة لن يعدم القذى في عينيه أي إنه لا بد سيهان ويفحم فلا يستطيع رداً.

(5) المفاضح المخزيات واستثارة العيوب ينصحه لا تعرض عرضك لما يشينه وخذ بالنصح.

(6) الوسم علامة في السهم والقدح هو السهم وكانت العرب في قداح الميسر أي القمار تسم سهامها فيعرف كل سهمه بعلامته وتفرّى الشيء أي تشقق وتفرّت الأرض بالعيون أي انبجست وتفجّرت وتفري الليل عن صبحه أي تكشفه وزواله بنور الصبح.

فتَناجَتِ الجَماعَةُ فيما يُسْبَرُ بهِ قُلَيْبُهُ، ويُعْمَدُ فيهِ تقْليبُهُ[1]. فقال أحدُهُمْ: ذَرُوهُ في حِصّتي، لأرْميَهُ بحَجَرِ قِصّتي! فإنّها عُضْلَةُ العُقَدِ، ومِحَكُّ المُنْتَقَدِ!

فقلّدوهُ في هذا الأمْرِ الزّعامَةَ، تقْليدَ الخوارِجِ أبا نَعامَةَ[2]! فأقْبَلَ على الكهْلِ وقالَ: اعْلَمْ أني أوالي، هذا الوالي! وأرَقّحُ حالي، بالبَيانِ الحالي[3]! وكُنْتُ أستَعينُ على تقْويمِ أوَدي، في بلَدي، بسَعَةِ ذاتِ يَدي، معَ قِلّةِ عدَدي[4]! فلمّا ثَقُلَ حاذي، ونفِدَ رَذاذي، أمّمْتُهُ منْ أرْجائي، برَجائي، ودعوْتُهُ لإعادَةِ رُوائي وإرْوائي، فهَشّ للوِفادَةِ وراحَ، وغَدا بالإفادَةِ وراحَ[5]. فلمّا استأذَنْتُهُ في المَراحِ، إلى المُراحِ، على كاهِلِ المِراحِ[6]، قال: قدْ أزْمَعْتُ أنْ لا أزوّدَكَ بَتاتاً، ولا أجْمعَ لكَ شَتاتاً، أو تُنْشِئَ لي أمامَ ارتِحالِكَ، رِسالَةً تودِعُها شرْحَ حالِكَ؛ حُروفُ إحْدى كلِمتَيْها يعُمّها

(1) تناجت تحدّثت سراً وتشاورت وسبر الشيء اختباره والقليب هو البئر والعمد القصد والتقليب التجريب وذرى الشيء أو الرجل تركه والحصّة النصيب والقصّة الخبر وجعل للمسألة حجراً يرمي به على سبيل المجاز والعضلة الداهية وجمعها عضل ويقال هذا عضلة العضل والمحك حجر قاس يقاس به جيّد الفضة والذهب من الرديء يقول إن ما سيسأله سيكون عقدة شديدة لن يهتدي لحلها.

(2) هو قطري بن الفجاءة التميمي الخارجي من الخطباء والفرسان المعدودين وأما الخوارج ففرقة ممن خرجوا مع الخليفة الرابع علي بن أبي طالب لنصرته ثم خرجوا عليه بعد التحكيم وله معهم وقائع معروفة.

(3) رقّح المال أصلحه وقام عليه والحالي المزيّن بالحلي.

(4) الأود العوج والسعة الكثرة وذات اليد تعني المال وقلة العدد قلّة الأهل وذوي القربى.

(5) الحاذ هو الظهر وما وقع عليه الذنب من الفخذين وهو هنا كناية عن العيال فخفيف الحاذ قليل العيال والرذاذ المطر الضعيف وهو هنا كناية عن المال يقول إنه لمّا ثقل ظهري بالعيال ونفد يسير مالي أمّ أي قصد والأرجاء الجهات والبلاد والرواء الحسن في الهيئة والمنظر والإرواء إزالة العطش وهشّ أي تبسّم وخفّ للمعروف والوفادة أي القدوم يقول قصدته من ناحيتي ليروي غلّتي ويعيد لي حسن هيئتي فاستقبلني بترحاب وافادني.

(6) المراح الأولى المشي والانصراف وهي بفتح الميم وأما الثانية بضمها فهي الموضع التي تروح إليه أو منه الإبل وهي هنا البيت والمأوى وأما الثالثة بكسر الميم فالنشط والخفّة وشدة الفرح والكاهل أعلى الظهر مما يلي العنق. يقول فلما استأذنته للانصراف صوب البيت فرحاً.

النَّقْطُ، وحُروفُ الأخرى لَمْ يُعْجَمْنَ قطّ[1]! وقدِ استأنَيْتُ بَياني حَوْلاً، فَما أحارَ قَوْلاً! ونَبَهْتُ فِكْري سَنَةً، فما ازْدادَ إلا سِنَةً[2]! واستَعَنْتُ بقاطِبَةِ الكُتّابِ، فكلٌّ منْهُمْ قطّبَ وتابَ! فإنْ كُنتَ صدَعْتَ عنْ وصْفِكَ باليَقينِ، فأتِ بآيَةٍ إنْ كُنتَ منَ الصّادِقينَ[3]. فقال لهُ: لقَدِ استَسْعَيْتَ يَعْبوباً، واستَسْقَيْتَ أُسْكوباً! وأعطَيْتَ القوْسَ بارِيَها، وأسْكَنْتَ الدّارَ بانِيَها[4]!

ثمّ فكّرَ ريثَما اسْتَجَمّ قريحَتَهُ، واستَدَرّ لَقْحَتَهُ، وقالَ: ألْقِ دَواتَكَ واقْرُبْ، وخُذْ أداتَكَ واكتُبْ[5]!:

الكرَمُ ثبّتَ اللهُ جيْشَ سُعودِكَ يَزينُ، واللّؤمُ غَضّ الدّهرُ جَفْنَ حَسودِكَ يَشينُ[6]!

---

(1) أزمع الأمر وبه وعليه عزم عليه وثبت وجدّ في إمضائه والبتات هو الزاد والشتات التفرّق ويريد هنا ما تفرّق من المال وتنشىء أي تكتب وأمام ارتحالك أي قبل سفرك وتودعها أي تضمّنها وتجعل فيها ولم يعجمن أي لم ينقطن يقول له لقد نويت أن لا أزوّدك بزاد ولا مال أو تكتب لي قطعة تعجم فيها كلمة وتهمل أي تخلي من النقط التي تليها ويقول الشريشي وبهذا سميّت المقامة الخيفاء لأن الأخيف من الخيل الذي تكون إحدى عينيه زرقاء والأخرى كحلاء وقط لفظ وضع لما مضى من الدهر وتقابلها أبداً للمستقبل.

(2) استأنيت استمهلت وأخرت وأحار أي ردّ وراجع ونبهت أيقظت والسنة الحول والسنة بالكسر هي النوم قاطبة أي جماعة وقطّب وجهه إذا عبس يقول لقد مكث حولاً أي عاماً لا يستطيع شيئاً وازداد فكره نوماً.

(3) قاطبة أي جماعة وقطّب وجهه إذا عبس وصدعت أظهرت وأوضحت واليقين الحق الواضح الجلي والآية العلامة وآخر عبارة تلاحظ الآية القرآنية 106 في الأعراف.

(4) استسعيت يعبوباً أي طلبت الجري من اليعبوب وهو الفرس السريع واستسقيت أي طلبت الماء والسقيا من الأسكوب أي المطر الكثير وأعط القوس باريها مثل أي أعطيت العمل لمن يحسنه وهو مثل عربي قديم جمهرة العسكري 1 \ 71 فالباري هو الصانع.

(5) الريث البطء والمقدار وريثما بقدر ما واستجمّ استكثر وأراح والقريحة الطبيعة والملكة وتقال في الشعر بخاصة كما مرّ وأصل اللفظ يدل على أول ماء البئر النابع واستدرّ استنزل الدرّ أي اللبن الحليب واللقحة الناقة الحافل باللبن يقول إنه مكث قليلاً يفكر ويختار القول وألق دواتك أي اجعل فيها ليقة وهي الصوفة وقد بلّت بالمداد أي الحبر يقول أصلح دواتك وأعدّها للكتابة وأداتك هنا بمعنى قلمك.

(6) شان يشين يعيب ويقبح وهو ضد يزين يقول الكرم أدام الله سعدك يزين صاحبه واللؤم أعمى الله عين حاسدك يزري ويعيب.

والأرْوَعُ يُثيبُ، والمُعْوِرُ يَخيبُ! والحُلاحِلُ يُضيفُ، والماحِلُ يُخيفُ[1]! والسّمْحُ يُغْذي، والمَحْكُ يُقذي! والعطاء ينجي، والمطال يشجي! والدعاء يقي، والمدح ينقي! والحُرُّ يَجْزي، والإلْطاطُ يُخْزي[2]! واطّراحُ ذي الحُرْمَةِ غَيٌّ، ومَحْرَمَةُ بَني الآمالِ بغْيٌ[3]! وما ضنّ إلا غَبينٌ، ولا غُبِنَ إلا ضَنينٌ! ولا خزَنَ إلا شَقيٌّ، ولا قَبَضَ راحَهُ تقيٌّ[4]! وما فتئ وعدُك يَفي، وآراؤكَ تَشْفي! وهِلالُكَ يُضي، وحِلْمُك يُغْضي[5]! وآلاؤكَ تُغْني، وأعداؤكَ تُثْني! وحُسامُك يُفْني، وسؤدَدُكَ يُقْني[6]! ومُواصِلُكَ يجْتَني، ومادِحُك يقْتَني! وسماحُكَ يُغيثُ، وسماؤكَ تَغيثُ[7]! ودرُّكَ

(1) الأروع الماجد الكريم ويثيب يجازي ويمنح قاصده والمعور هو البادي العورة وهو الفارس يظهر في طعنه خلل وأراد به الناقص الخلق الكثير السفاهة والحلال السيد المضياف تحلّ الناس به كثيراً والماحل البخيل وأصل اللفظ الجدب والماحل النمّام والمخاصم ويبدو أن الشريشي يرى أن المراد بالماحل هوالنمام فمن يشي بك إلى السلطان يخيفك أي يفزعك ولا أرى ذلك فما قبل الماحل وبعده كله يشير إلى العطاء والمنع والكرم والكزازة.

(2) السمح الجواد والكريم الخلق ويغذي يطعم والمحك هو اللجوج ويقابل السمح الخلق ويقذي يجعل في العين مايؤذيها والمراد هنا ما يضر القاصد ويؤلمه والمطال عدم الوفاء ومدافعة الدائن ويشجي يغصّ ويؤلم ويحزن ويقي من وقى يكف ويحمي وينقي يطهر ويذهب الرجس ويجزي عنك يقوم مقامك ويغني عنك والإلطاط من لطّ وألطّ الشيء أي ستره وهو هنا الامتناع عن فعل الخير ويخزي يعيب ويهين.

(3) الاطّراح هو الترك وذو الحرمة صاحبها ومن قصدك فلقد صار في حرمك فتركه ونبذه ليس من المروءة والغيّ الفساد والضلال والمحرمة أي المنع وبنو الآمال من يرجون خيرك ونوالك ويأملونه والبغي هو الظلم.

(4) ضنّ أي بخل والغبين المخدوع في رأيه والضنين البخيل يقول ما يبخل إلا فاسد الرأي وخزن أي كنز وحبس ماله وقبض راحه أي ضمّ كفّه على ما فيها كناية عن المنع والبخل والتقي من وقى نفسه بالعمل الصالح.

(5) ما فتئ أي ما زال ويفي أي يصدق ويؤدي ما عليه ويكون وفياً والحلم التعقل وضد السفه يدعو له أن يظل وجهه كالقمر منيراً ويظل تعقله يغضي أي يغمض العين ويتغافل عن إساءات المسيئين.

(6) الآلاء النعم وتثني أي تشكر وتحمد والسؤدد المجد والشرف والسيادة وقنا المال قنواً اكتسبه وجمعه واتخذه لنفسه وفي رواية سؤددك يبني والمعنى واحد فهو يدعو له بدوام العطاء المغني وحمد الأعداء وقوة السيف وبالسؤدد الذي يبني ويجمع له.

(7) المواصل من زارك ويجتني أي يجني ويقطف ويقتني مر القول فيه ويغيث أي ينجد ويزيل الكرب وتغيث أي تأتي بالغيث أي المطر.

يَفيضُ، وردُّكَ يَغيضُ! ومؤمِّلُكَ شيْخٌ حَكاهُ فَيْءٌ، ولمْ يبْقَ لهُ شيءٌ[1]! أمّكَ بظَنٍ حِرصُهُ يثِبُ، ومدَحَكَ بنُخَبٍ، مُهورُها تجِبُ[2]. ومَرامُهُ يخِفُّ، وأواصِرُهُ تشِفُّ. وإطْراؤهُ يُجْتَذَبُ، وملامُهُ يُجتَنَبُ[3]. ووَراءهُ ضَفَفٌ، مَسّهُمْ شظَفٌ، وحصّهُمْ جنَفٌ، وعمّهُمْ قشَفٌ[4]. وهوَ في دمْعٍ يُجيبُ، وولَهٍ يُذيبُ. وهَمٍّ تَضيّفَ، وكمَدٍ نيّفَ[5]. لمأمولٍ خيّبَ، وإهْمالٍ شيّبَ، وعدوٍّ نيّبَ، وهُدُوٍّ تغيّبَ. ولمْ يزِغْ ودُّهُ فيغْضَبَ، ولا خَبُثَ عودُهُ فيُقْضَبَ[6]. ولا نفَثَ صدْرُهُ فيُنْفَضَ، ولا نشَزَ وصْلُهُ فيُبْغَضَ[7]. وما يقْتَضي كرَمُكَ نبْذَ حُرَمِهِ، فبيِّضْ أمَلَهُ بتَخْفيفِ ألَمِهِ، ينُثّ حمدَكَ بينَ

(1) الدرّ هو اللبن وقد تقدّم القول فيه ويفيض أي يملأ الإناء يريد أن عطاءه كثير ويزيد عن الحاجة وردّك أي منعك ويغيض أي يذهب الرزق فغاض الماء أي غار في الأرض ومؤمّلك أي أراجيك حكاه أي شابهه والفيء هو الظل يريد أن من يرجوك قد تقدم به العمر فغدا كالظلّ الذاهب.

(2) قد أمّك أي قصدك برجاء والحرص الطمع ويثب أي يقفز نشاطاً يريد أنه قصده وطمعه يتزايد فيجعله غاية في القلق والنخب المختارة المنتخبة والمهور الحقوق وتجب أي أن حقوقها واجبة لجودتها وحسنها.

(3) المرام هو المطلب ويخف أي يسهل عليك والأواصر جمع آصرة وهي صلة الرحم وهي أيضاً الموضع الحابس وأصرتني عليك آصرة إذا حبستني عليك وعطفتني وتشف أي تزيد وتفضل يقول إن الأسباب التي توجب عطفك وحنانك كثيرة كالشيخوخة وكثرة العيال وجودة المدح وما بيني وبينك من عهود سابقة والإطراء هو المدح ويجتذب أي يتجاذبه الناس ويتناقلونه لجودته والملام هو الذم ويجتنب يبعد عنه أي إن ذمه وهجاءه مما يخاف منه فيبعد عنه.

(4) الضفف كثرة العيال والشظف سوء الحال وحصّهم عراهم ونتف ريشهم والجنف ميل الدهر عليهم والقشف بؤس العيش.

(5) الوله الهم والحيرة ويذيب يذهب اللحم وتضيف حلّ ونزل ضيفاً والكمد الحزن المكتوم الذي يقارب الموت ونيّف زاد على المعهود يقول إنه في حال وكأن بؤس العيش يناديه فيجيبه بدمع العاجز وقد أذابه الغم والحيرة ونزل به الهم وتعاظم الحزن.

(6) المأمول المرجو والمقصود والإهمال التضييع والتسييب وشيّب أي جاء بالشيب ونيّب إذا أنشب أنيابه وعضّ بها والهدوّ السكون والأمن والطمأنينة وتغيّب غاب وزال ولم يزغ أي لم يمل والودّ المودة وخبث فسد والعود الدقيق من الخشب وقيل الخشب إطلاقاً ويقضب أي يقطع ويجتث.

(7) نفث بزق من داء في الصدر ومنه المثل لابد للمصدور أي المسلول أن ينفث وهي هنا الكلام بشر وينفض أي يضرب ويبعد ونشز ارتفع وزال والمرأة الناشز من استعصى وصالها وساء خلقها يقول إنه ما تفوّه بشر فيطرح ويبعد ولا ساء وصله وخلقه فيكره ويبغض ويقلى.

عالَمِهِ[1]. بقيتَ لإماطَةِ شجَبٍ، وإعْطاءِ نشَبٍ! ومُداواةِ شجَنٍ، ومُراعاةِ يفَنٍ[2]، موصولاً بخَفْضٍ، وسُرورٍ غَضٍّ! ما غُشِيَ معْهَدُ غنيٍّ، أو خُشِيَ وهْمُ غبيٍّ. والسّلامُ[3]!

فلمّا فرَغَ منْ إمْلاءِ رِسالَتِهِ، وجلّى في هَيْجاء البَلاغَةِ عنْ بَسالَتِه، أرضَتْهُ الجماعَةُ فِعْلاً وقوْلاً، وأوْسَعَتْهُ حَفاوَةً وطَوْلاً. ثمّ سُئِلَ منْ أيّ الشّعوبِ نِجارُهُ، وفي أيّ الشِّعابِ وِجارُهُ؟ فقال[4]:

غـسّـانُ أُسـرَتـيَ الـصّـمـيـمَـهْ ... وسُـروجُ تُـرْبَـتـي الـقَـديـمَـهْ[5]
فـالـبَـيـتُ مـثـلُ الـشّـمْـسِ إشْـ ... ـراقـاً ومـنـزِلَـةٌ جـسـيـمَـهْ[6]
والـرّبْـعُ كـالـفِـرْدَوْسِ مـطْـ ... ـيَـبَـةً ومَـنْـزَهَـةً وقـيـمَـهْ[7]
واهـاً لـعـيْـشٍ كـانَ لـي ... فـيـهـا ولـذّاتٍ عَـمـيـمَـهْ[8]

(1) يقتضي أي يوجب ويلزم والنبذ الاطرّاح والحرم جمع حرمة وقد تقدم فيها القول وبيّض أمله أي أسعد رجاءه وردّه أبيض بعطائك الذي يخفّف ألمه وينث أي ينشر وعالمه أهل زمانه وناسه.

(2) بقيت أي دمت وهي دعاء والإماطة الإزالة والتنحية وقد تقدم فيها القول والشجب الهلاك والنشب المال والشجن الحزن والمراعاة الحفظ واليفن الشيخ الكبير الفاني.

(3) موصولاً أي متصلاً وهي معطوفة هنا على بقيت والخفض العيش الهنيء والغض الناعم اللين الجديد وما غشي أي ما دخل وقصد والمعهد الموضع يعهد به جلوسه والوهم الغلط يدعو له باتصال العيش الهنيء والسرور الهانئ ما دخل منزله أو خيف من غلط أحمق.

(4) جلّى كشف والهيجاء الحرب والبسالة الشجاعة وأوسعته أي زادته كثّرت عليه والحفاوة الإكرام والطول الإنعام والشعوب القبائل واحدها الشعب بفتح الشين وهو الأب الأكبر وعند ثعلب تأتي القبيلة دون الشعب أي الأب الأكبر والنجار أي الأصل والشعاب الطرق في الجبال والوجار الجحر وهو هنا البيت.

(5) أما غسّان فالقبيلة المعروفة وأما سروج فاسم بلد أبي زيد والصميمة أي الخالصة والصريحة.

(6) الجسيم العظيم يقول إن البيت بيته وبيت شرفه مشرق كالشمس وعظيم المنزلة أي القدر.

(7) أما الربع فالمنزل وأما الفردوس فهو الجنّة وهو المعرّش من الكرم وهو البستان والجنان والمطيبة والمنزهة تعني أن سروج طيبة الهواء وتفي بغرض المتنزه من نزهته. يقول إن سروج الشمس وضوحاً وإشراقاً وبيته كالجنة طيباً وحسناً وقيمة.

(8) واهاً أي واعجباً في مقام التأسّف والحسرة والعميمة العامة والكثيرة يقول آسفاً على عيش مضى فيها ولذات كثيرة اجتنيتها هناك.

أيّامَ أسْحَبُ مُطْرَفي ... في روضِها ماضي العَزيمَةْ[1]
أخْتالُ في بُرْدِ الشّبا ... بِ وأجْتَلي النِّعَمَ الوَسيمَةْ[2]
لا أتّقي نُوَبَ الزّما ... نِ ولا حَوادِثَهُ المُليمَةْ[3]
فلَوَ انّ كَرْباً مُتْلِفٌ ... لَتَلِفْتُ منْ كُرَبي المُقيمَةْ[4]
أو يُفْتَدَى عيْشٌ مضى ... لفَدَتْهُ مُهجَتيَ الكَريمَةْ[5]
فالموْتُ خيرٌ للفتى ... منْ عيشِهِ عيْشَ البَهيمَةْ
تَقْتادُهُ بُرَةُ الصَّغا ... رِ إلى العظيمَةِ والهضيمَةْ[6]
ويرَى السّباعَ تَنوشُها ... أيْدي الضّباعِ المُستَضيمَةْ[7]
والذّنْبُ للأيّامِ لوْ ... لا شُؤمُها لمْ تنْبُ شيمَةْ
ولوِ استَقامَتْ كانتِ الـ ... أحوالُ فيها مُستَقيمَةْ[8]

---

(1) المطرف الرداء الموشى وسحب المطرف كناية عن الزهو في المشي والعزيمة الماضية أي الحازمة ولا تردد فيها.

(2) أختال أي أمشي الخيلاء وبرد الشباب ثوب الصبا والفتوة وأجتلي أنظر والوسيمة أي الحسان.

(3) نوب الزمان حوادثه وتصاريفه ومصائبه والمليمة ما يلام المرء عليه يقول كنت أمشي مختالاً غير آبه للزمان ولا تصاريفه ولا بما يلام المرء على فعله.

(4) يقول لو أن الكرب أي الغم يقتل ويتلف لكنت قد هلكت منذ زمان بعيد بسبب غمي وهمي الدائمين والثابتين.

(5) المهجة هي النفس. ولو أن ما يقول مضى من العمر مما يفتدى ويستعاد لاستعدته بنفسي الكريمة العزيزة.

(6) البُرَة حلقة صغيرة من نحاس تجعل في أنف البعير يجر بها فإذا كانت من شعر فهي خزام وإن كانت من خشب فهي خشاش والصغار بفتح الغين هو الذل والهوان والعظيمة الأمر العظيم والخطب الشديد والداهية المستعظمة والهضيمة الظلم والغضب وهي هنا احتقارهم له وإرجاعه خائباً حين يسأل.

(7) تنوشها تتناولها وتخدشها والمستضيمة من الضيم أي الإذلال والظلم يقول إن الموت خير للمرء من أن يرى السبع الكريم تنال منها الضبع اللئيمة وغني عن القول ان كنّى عن نفسه بالأول.

(8) تنبُ أي ترتفع وتعلو والشيمة الطبيعة والخصلة الحميدة والخلق.

ثمّ إنّ خبَرَه نَما إلى الوالي؛ فمَلأ فاهُ باللآلي. وسامَهُ أن ينضَويَ إلى أحشائِهِ، ويَلِيَ ديوانَ إنْشائِهِ. فأحْسَبَهُ الحِباءُ، وظَلَفَهُ عنِ الوِلايَةِ الإباءُ[1]!

قال الراوي:

وكُنتُ عرَفْتُ عُودَ شجَرَتِه، قبلَ إيناعِ ثمرَتِهِ. وكِدْتُ أنبِّهُ على عُلوّ قدْرِهِ، قبلَ استِنارَةِ بدْرِهِ. فأوْحى إليّ بإيماضِ جفْنِهِ، أن لا أجرِّدَ عضْبَهُ منْ جفْنِهِ[2]. فلمّا خرَجَ بَطينَ الخُرْجِ، وفصَلَ فائِزاً بالفُلْجِ، شيّعْتُهُ قاضِياً حقّ الرّعايَةِ، ولاحِياً لهُ على رفْضِ الوِلايَةِ. فأعْرَضَ مُتَبَسّماً، وأنْشَدَ مترنّماً[3]:

لَجَوْبُ البِلادِ معَ المَتْرَبَهْ ... أحَبُّ إليّ منَ المرْتَبَهْ[4]
لأنّ الوُلاةَ لهُمْ نَبْوَةٌ ... ومعْتَبَةٌ يا لَها مَعْتَبَهْ[5]
ومافيهِمِ مَنْ يرُبُّ الصّنيعَ ... ولا مَنْ يُشيِّدُ ما رتّبَهْ[6]

---

(1) نما أي وصل وبلغ وارتفع وسامه أي سأله وكلفه وينضوي أي ينضم ويلتحق وأحشائه خاصته وديوان الإنشاء أي دار الكتابة والمراسلات حيث تكتب رسائل الأمير أو الخليفة أو الوالي وتنفذ إلى البلاد وأحسبه أي كان حسبه أي كفاه والحباء أي العطاء يقول كفاه العطاء حتى قال حسبي حسبي وظلفه أي منعه وصرفه والإباء أي الأنفة والامتناع.

(2) إيناع الثمرة نضجها وإدراكها وإيماض الجفن أي الإشارة الخفيفة بالجفن والعضب شفرة السيف والجفن الثاني هنا هو غمد السيف يقول إنه كاد أن ينوه به ويخبر عن مقداره لولا أنه أومض له بجفنه أن لا يجرد سيفه من جفنه أي أن لا يظهر أمره وأن يستره.

(3) البطين الممتلئ البطن والخرج الوعاء المعروف يوضع على الدابة وفيها متاع المرء وحاجاته وفصل أي زال وتنحّى وخرج والفلج الظفر والنصر وحق الرعاية أي حق الصحبة ولحى لام وأنّب وعاب يقول إنه لما ترك السروجي القوم وقد امتلأ خرجه بالعطايا قمت لأقضي حق صحبته من التكريم في تشييعه ولمته على رفض عرض الوالي بتولي ديوان الإنشاء فأعرض متبسماً وقال وهو يردد صوته كمن يغني.

(4) المتربة الفقر المدقع وقد تقدم ذكرها والمرتبة أي المنزلة الرفيعة.

(5) النبوة الارتفاع والسطوة وقلّة الثبات والمعتبة أي الغضب والموجدة ولفظ يا لها يقال في مقام التعجب أي يا عجباً لها أو ما أشدّها الخ.

(6) ربّ أصلح وقوّى وحفظ والصنيع المعروف والإحسان والجميل وشيّد رفع وأتمّ في البناء مثلاً ورتّبه أي بناه وهيّاه.

فـلا يـخـدَعـنْـكَ لَـمـوعُ الـسّـرابِ ولا تـأتِ أمْـراً إذا مـا اشْـتـبَـهْ[1]

فـكَـمْ حـالِـمٍ سـرّهُ حُـلْـمُـهُ وأدرَكَـهُ الـرّوْعُ لـمّـا انْـتـبَـهْ[2]

(1) اللموع الالتماع والسراب معروف وقد تقدّم ذكره واشتبه أشكل.

(2) الحالم النائم وقد رأى حلماً والروع الفزع والهول وانتبه أي أفاق واستيقظ. يقول إن التنقل في البلاد ولو فقيراً مفلساً لخير من منزلة أنالها فالملوك تبدو جفواتهم ويسخطون وسخطهم مهول ومرعب وليس فيهما من يحفظ الجميل أو من يكمل معروفاً بدأ به وصحبتهم كالتماع السراب لا بقاء لها فلا يخدعنك التماع السراب وتنح عنه أمر إذا اشتبه وأشكل فالمرء يحلم حلماً يسره فإذا أفاق واستيقظ أخذ به الرعب من كل جانب.

المقامة البَرْقَعيديّة

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

أزْمَعْتُ الشّخوصَ منْ بَرْقَعيدَ، وقد شِمْتُ برْقَ عِيدٍ. فكرِهتُ الرّحلةَ عنْ تلكَ المَدينَةِ، أو أشهَدَ بها يوْمَ الزّينَةِ[1]! فلمّا أظَلّ بفَرْضِهِ ونفْلِهِ، وأجْلَبَ بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ[2]، اتّبَعْتُ السُّنّةَ في لُبسِ الجَديدِ، وبرَزْتُ معَ مَنْ برَزَ للتّعييدِ[3]. وحينَ التّأمَ جمْعُ المُصَلّى وانْتَظَمَ، وأخذَ الزِّحامُ بالكَظَمِ، طلَعَ شيخٌ في شمْلَتَينِ، مَحجوبُ المُقلَتَيْنِ[4]، وقدِ اعْتَضَدَ شِبْهُ المِخْلاةِ، واسْتَقادَ لعَجوزٍ كالسِّعْلاةِ. فوقَفَ وِقْفَةَ

(1) برقعيد قصبة فوق الموصل ودون نصيبين وأزمع أي عزم والشخوص هو حركة الانتقال عن وإلى فشخص عن بلده وشخص إلى أهله أي غادر بلده ورجع إلى أهله وشام البرق أي نظر إليه أين يقصد وأين يمطر وشهود الأمر حضوره ويوم الزينة هو يوم العيد والعبارة تلاحظ الآية 59 من سورة طه: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾ وبحسب الزمخشري فيوم الزينة يوم معروف لهم، يجتمعون فيه ويتزينون. سواء قلنا: إنه يوم عيد لهم، أو يوم عاشوراء، أو يوم النيروز، أو يوم كانوا يتخذون فيه سوقاً ويتزينون فيه بأنواع الزينة.

(2) الفرض هو صدقة الفطر وإن النفل صلاة العيد ونقل الشريشي عن الفنجديهي أن النفل صدقة الفطر وأن النفل في العيد كصلاة العيد والغسل ولبس الجديد من الثياب وأجلب أي جمع الخيل أي أصحاب الخيل والرجل أي الرجالة وجاء بهم.

(3) اتباع السنّة أي العمل بحسب ما قاله النبي وهو السنة القولية أو ما فعله وهي السنة الفعلية والمراد هنا ما أخرجه البيهقي في سننه ج 3 ص 274 وج 3 ص 242 وغيره كثير وهو الحديث التالي: «ما على أحدكم أن يكون له ثوبان سوى ثوبي مهنته لجمعه وعيده» والحديث الآخر المروي بسنده عن جابر عن عائشة أنه «كان للنبي صلعم حلّة يلبسها في العيدين ويوم الجمعة» وبرز خرج والتعييد صلاة العيد.

(4) التأم التحم والتصق والجرح برأ والتحم والكظم ضيق النَّفَس لشدة الزحام وأصله كظم الغيظ أي=

مُتهافِتٍ. وحيّا تحيّةَ خافِتٍ. ولمّا فرَغَ منْ دُعائِهِ، أجالَ خَمْسَهُ في وِعائِهِ[1]، فأبْرَزَ منْهُ رِقاعاً قدْ كُتِبنَ بألوانِ الأصْباغِ، في أوانِ الفَراغِ، فناوَلَهُنّ عَجوزَهُ الحَيْزَبونَ، وأمرَها بأنْ تتوسّمَ الزَّبونَ[2]؛ فمَنْ آنسَتْ نَدى يدَيْهِ، ألْقَتْ ورَقَةً منهُنّ لدَيْهِ. فأتاحَ ليَ القدَرُ المعْتوبُ، رُقْعَةً فيها مكْتوبٌ[3]:

لقَدْ أصبَحْتُ موقوذاً ... بأوجاعٍ وأوْجالِ[4]
ومَمْنُوّاً بمُخْتالٍ ... ومُحْتالٍ ومُغْتالِ[5]
وخَوّانٍ منَ الإخْوا ... نِ قالٍ لي لإقْلالي[6]
وإعْمالٍ منَ العُمّا ... لِ في تضْليعِ أعْمالي[7]

= حبسه والشملتان واحدتهما الشملة وهي كساء من صوف أسود يشتمل به أي يديره حوله ومحجوب أي مستور والمقلتين واحدتهما المقلة وهي العين.

(1) اعتضد أي علق في عضده والمخلاة كيس يجعل فيه العلف ويعلّق في عنق الدابة لتعتلفه واستقاد لها أي انقاد طواعية أو جعلها تقوده والسّعلاة أنثى الغول وغالباً ما وصفت العجائز بها كناية عن البشاعة والهول والمتهافت أي المتساقط لضعفه ووهنه وتهافت الشيء تناثره والخافت الخفي الصوت وأجال أدار وخمسه أي أصابعه الخمس ووعائه كيسه الذي يشبه المخلاة ويحرز فيه ما يعطى له من صدقة.

(2) الحيزبون من صفات العجوز وهي المسنّة القوية الخلق وتتوسّم أي تنظر وتتفرّس والزبون أي المشتري والمراد هنا إمّا الكريم الغني أو الأبله الغبي وهو أحد معاني لفظ الزبون.

(3) آنس أي أبصر والندى لليدين كناية عن الكرم والسخاء والمعتوب أي الملوم.

(4) الموقوذ والوقيذ من وقذ المشرف على الموت لشدة ما ناله من ضرب وآلام والأوجال جمع وجل وهو الخوف.

(5) الممنوّ هو المُبتلَى ففعل منى يأتي بمعنى قدّر واختبر وابتلى وأصاب ومني للشيء وفّق له والمختال الماكر الواسع الحيلة والمغتال من يأخذ الشيء أو يقتل أحداً غيلة كأن يخدعه إلى مكان فيقتله هناك أو يختلس الشيء فلا يراه أحد.

(6) الخوان هو الخائن والقالي هو الكاره المبغض والإقلال الفقر وقلّة ذات اليد والجناس هنا واضح.

(7) الإعمال جعل الشيء عاملاً والعمّال هم ولاة الأمصار والتضليع جعل الشيء مائلاً أو أعوج أو جعله يعرج أي يضلع وأعمال المرء جمع عمل هي ما يقوم به من أمور في حياته لتدبير معاشه يقول إن العمّال أي الحكام يجهدون في إفساد أمور معاشه.

فَكَمْ أُصلى بإذحالٍ   وإمحالٍ وترْحالِ(1)
وكَمْ أخْطِرُ في بالٍ   ولا أخْطُرُ في بالِ(2)
فلَيْتَ الدّهْرَ لمّا جا   رَ أطْفا ليَ أطْفالي(3)
فلَوْلا أنّ أشْبا   ليَ أغْلالي وأغْلالي(4)
لَما جهّزْتُ آمالي   إلى آلٍ ولا والي(5)
ولا جرّرْتُ أذْيالي   على مَسْحَبِ إذْلالي(6)
فمِحْرابيَ أحْرَى بي   وأسْماليَ أسْمَى لي(7)
فهلْ حُرٌّ يَرى تخْفيـ   فَ أثْقالي بمِثْقالِ(8)

(1) صلى الشيء ألقاه في النار وصلاه العذاب أذاقه إيّاه مرّاً واللحم شواه والصيد نصب له الشرك والأذحال جمع ذحل وهو العداوة والحقد والإمحال القحط وهو هنا كناية عن الفقر وذهاب ما في اليد والترحال السفر والانتقال من بلد إلى بلد.

(2) خطر في مشيته تبختر واهتزّ ومشى كالشبّان والبالي الأولى تعني الثوب الخلق الرثّ وخطر الثانية تعني أن يلوح الشيء في الفكر أو يذكره بعد نسيان والبال الثانية هي النفس والقلب والخاطر والحال وعظم الشأن.

(3) حار تعني ظلم وأطفالي الأولى جمع طفل والثانية جملة هي أطفأ لي أي أماتني يقول ليت الدهر أماتني قبل أن يظلم أولادي.

(4) الأشبال جمع شبل وهو ولد الأسد والأغلال جمع غل بالضم هو القيد يوضع في العنق وأعلال جمع علّة بالكسر وهي الداء والمرض.

(5) الآل الأهل وذوو القربى والوالي المتصرف بأمر البلاد والياً من قبل الحاكم يقول إنه لولا أشباله أي أولاده لما مضى مؤمّلاً إلى قريب أو حاكم.

(6) الذيل طرف الثوب وما أصاب الأرض منه والمسحب موضع جرّ الشيء يقول إنه لولا أولاده لما جُرّ ذيلاه في مكان يكون في إذلاله فالطلب والسؤال مذلّة.

(7) المحراب في المسجد أشرف مكان يكون في المسجد وهو هنا المسجد بعامّة وأحرى بي أي أخلق وأجل وأولى وأليق بي والأسمال الأثواب الخلقة العتيقة الرثّة وأسمى لي أي أعلى وأرفع لقدري وأعزّ لي.

(8) الأثقال ج ثقل وهي هنا الهموم والديون فأثقل الرجل أي كثر عياله والمثقال ما يوزن به ومثقال الشيء وزنه ومثله والمثقال في الموازين مقداره درهم وثلاثة أسباع الدرهم يقول أما من كريم سخي يخفف حملي ولو بمثقال.

ويُطفي حَرَّ بَلْبالي بسِرْبالٍ وسِرْوالِ[1]

قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ:

فلما استعْرَضْتُ حُلةَ الأبْياتِ، تُقْتُ إلى معرِفَةِ مُلْحِمِها، وراقِمِ علَمِها[2]. فناجاني الفِكْرُ بأنّ الوُصْلَةَ إلَيْهِ العَجوزُ، وأفْتاني بأنّ حُلوانَ المُعرِّفِ يَجوزُ[3]. فرَصَدْتُها وهيَ تستَقْري الصّفوفَ صَفّاً صَفّاً، وتستَوكِفُ الأكُفَّ كفّاً كفّاً[4]. وما إنْ ينْجَحُ له عَناءٌ، ولا يرْشَحُ على يدِها إناءٌ[5]. فلما أكْدى استِعْطافُها، وكدّها مَطافُها، عاذَتْ بالاسْتِرْجاعِ، ومالَتْ إلى إرجاعِ الرِّقاعِ[6]. وأنْساها الشيْطانُ ذِكْرَ رُقْعَتي، فلمْ تعُجْ إلى بُقْعَتي. وآلَتْ إلى الشيْخِ باكيةً للحِرْمانِ، شاكِيةً تحامُلَ الزّمانِ. فقالَ: إنّا للهِ. وأفوّضُ أمْري إلى اللهِ! ولا حوْلَ ولا قوّةَ إلا باللهِ! ثمّ أنْشَدَ[7]:

لمْ يبْقَ صافٍ ولا مُصافٍ ولا مَعينٌ ولا مُعينُ
وفي المَساوي بَدا التّساوي فلا أمينٌ ولا ثَمينُ[8]

---

(1) البلبال برحاء الصدر أي الهم الشديد والوسوسة والسربال القميص والسروال ما يتخذه المرء أو المرأة لستر النصف الأسفل من الجسم والسروال يؤنث ويذكّر.

(2) الحلة بردة يمنية تقدم القول فيها وتاق أي رغب واشتاق وملحم الشيء ناسجه وراقم علمها أي ناقش خطها.

(3) الوصلة هي الموصلة وأفتاني أعلمني والحلوان أجرة الكاهن وهنا العرّاف أي من يعرّفه ففي الفقه أن من عرّف اللقطة أي ما التقط من الأرض ولا يعرف صاحبه له أجر يقول إن خاطره هداه إلى أن العجوز هي التي ستوصله إلى السروجي وأن الأجر جائز شرعاً وإن يكن هنا بالرشوة أشبه.

(4) رصد الشيء ارتقبه وانتظره واستقرى تتبّع متأمّلاً واستوكف استمطر يقول فتبعتها ببصري وهي تمر بالصفوف الصف تلو الآخر وتستمطرهم أي تستجديهم كفّاً إثر كف.

(5) العناء التعب والمشقة وقوله لم يرشح على يدها إناء يعني أن كفاً واحدة لم تعطها سؤلها فرشح الإناء هنا يراد به كرم الكف.

(6) أكدى خاب وانقطع والكدّ التعب وكدّها أتعبها ومطافها مشيها وطوافها وعاذ لجأ ولاذ وتعوّذ والاسترجاع قول إنّا لله وإنّا إليه راجعون وتقال عادة في النوب والأحزان وعند خيبة الأمل.

(7) عاج مال ورجع والبقعة الموضع وآبت أي عادت وقفلت والتحامل الميل مع الهوى والجور في الحكم.

(8) الصافي خالص الود والمصافي المخلص في ودّه والمعين بكسر العين الماء الكثير والمعين بضم*

ثم قال لها: مَنّي النَّفسَ وعِديها، واجْمَعي الرِّقاعَ وعُدّيها(1). فقالَتْ: لقدْ عدَدْتُها، لمّا استَعَدْتُها. فوجَدْتُ يدَ الضّياعِ، قد غالَتْ إحْدى الرِّقاعِ(2). فقال: تعْساً لكِ يا لَكاعِ! أنُحْرَمُ ويْحَكِ القنَصَ والحِبالَةَ، والقَبَسَ والذُبالَةَ؟ إنّها لضِغْثٌ على إبّالَةٍ(3)! فانصاعَتْ تقْتَصّ مَدْرَجَها، وتَنْشُدُ مُدْرَجَها. فلمّا دانَتْني قرَنْتُ بالرُقعَةِ، دِرْهَماً وقِطْعَةً، وقلتُ لها(4): إنْ رَغِبتِ في المَشوفِ المُعْلَمِ(5)، وأشَرْتُ إلى الدّرهَمِ، فَبوحي بالسّرّ المُبهَمِ! وإنْ أبَيْتِ أنْ تشْرَحي، فخُذي القِطعَةَ

= الميم المساعد بماله والمساوي وواحدتها سوء على غير قياس وهي ضد المحاسن وهي القبائح والمعايب والأمين الثقة والثمين النفيس الغالي.

(1) منّي النفس فعل أمر من التمنية أي أمّليها خيراً وعديها أمر كذلك من الوعد وعدّيها أمر من العدد أي أحصيها.

(2) استعدتها استرجعتها وغالت أهلكت وقد تقدم ذلك واستعار للضياع يداً على سبيل المجاز.

(3) اللكاع وسخ الفرج واللكاع تشتم بها المرأة وتعني اللئيمة المنتنة واللكع يقال للرجل ويعني ولد الحمار والقنص الصيد والحبالة الشبكة تتخذ للصيد والقبس شعلة النار وهي هنا نور المصباح والذبالة فتيلة المصباح والضغث على الإبّالة مثل عربي يضرب مثلاً للرجل يحمّل صاحبه المكروه ثم يزيده منه جمهرة العسكري ج 2 ص 8 والإبّالة الحزمة من الحطب والضغث الجرزة أو الحزمة يضعها الحطاب على الإبالة لنفسه.

(4) انصاعت رجعت أو مرّت مسرعة وكل ما ثنيته ولويته بسرعة فقد صعته صوعاً وكذلك إذا جمعته وفرّقته بسرعة والانصياع في أيامنا يأتي بمعنى الإذعان واقتص أي تتبّع والمدرج الطريق التي مشت فيها لتفريق الرقاع ففعل درج الشيخ والصبي درجاناً إذا تقاربت خطاهما والمدرج الموضع حيث درجا والمدرجة قارعة الطريق ونشد الشيء طلبه والمدرج بضم الميم الكتاب المطوي وهي هنا الرقعة ودانى بمعنى اقترب ودنا وقرن شيئاً بشيء أي جمعهما وقرن الثورين شدهما إلى نير واحد القطعة بفتح القاف من الشجرة عقدتها التي تخرج منها إذا قطعت وبضمه موضع القطع والحصّة من الأرض وقد حدّدت والفصل من الكتاب وبالكسر الحصّة من الشيء ومن الشعر الثمانية أبيات فما دون وأما هنا فالمراد الدرهم وذلك أن أهل المشرق على ما روى الشريشي كانوا يعمدون إلى صرف يعرّفونه الحندوس فيقطعون دراهمه قطعاً فهي صرفهم يقول إنه قرن بالرقعة درهماً وقطعة من الحندوس.

(5) هو الدرهم المشوف أي المصقول والمعلم أي ماعليه نقش وهو علامة السلطان وأول من استخدم هذا التعبير هو عنترة بن شداد حيث يقول في معلقته:

ولقد شربتُ من المدامةِ بعدما ... ركد الهواجر بالمشوف المعلمِ

واسرَحي[1]! فمالَتْ إلى استِخْلاصِ البذْرِ التِّمّ، والأبلَجِ الهِمّ، وقالتْ[2]: دعْ جِدالَكَ، وسَلْ عمّا بَدا لَكَ! فاستَطْلَعْتُها طِلْعَ الشّيخِ وبَلْدَتِهِ، والشِّعْرِ وناسِجِ بُرْدَتِه[3]، فقالَتْ: إنّ الشيخَ من أهلِ سَروجَ! وهوَ الذي وشّى الشّعرَ المَنسوجَ. ثمّ خَطِفَتِ الدّرهمَ خَطفَةَ الباشِقِ! ومرَقَتْ مُروقَ السّهْمِ الرّاشِقِ[4]! فخالَجَ قلْبي أنّ أبا زيْدٍ هوَ المُشارُ إليْهِ، وتأجّجَ كرْبي لمُصابِهِ بناظِرَيْهِ[5]. وآثَرْتُ أنْ أُفاجِيهِ وأُناجِيهِ، لأعْجُمَ عودَ فِراسَتي فيه[6]. وما كُنتُ لأصِلَ إليْهِ إلا بتَخطّي رِقابِ الجمْعِ، المَنْهيِّ عنْهُ في الشّرْعِ[7]. وعِفْتُ أنْ يتأذّى بي قوْمٌ، أو يسْري إليّ لوْمٌ، فسَدِكْتُ بمَكاني، وجعلْتُ شخْصَهُ قيْدَ عِياني[8]، إلى أنِ انْقَضَتِ الخُطبَةُ، وحقّتِ الوثْبَةُ. فخفَفْتُ إليْهِ، وتوسّمْتُهُ على التِحامِ جَفنَيْهِ[9]،

---

(1) بوحي أعلني وأظهري وتكلمي والمبهم الغامض المغلق وأبى يعني امتنع والشرح الإبانة واسرحي أي اذهبي.

(2) التم أي التام وهو هنا كناية عن الدرهم والأبلج النقي الأبيض والهمّ الرقيق النحيف وهو من أهمته النار إذا أذابته وهممت الشحم أذبته ووصف الدرهم بالهم لقدمه.

(3) الجدال هنا هو المماراة وبدا لك خطر أو ظهر لك واستطلع استخبر وطلعه أي خبره.

(4) وشّى أي زيّن ورقم وخطف الشيء تناوله بسرعة والباشق طير من الجوارح ومرق خرج بسرعة والراشق الذي يرشق الصيد.

(5) خالج نازع وخامر وداخل وجاذب وتأجج اشتعل واستعر والكرب الهم والغم.

(6) آثرت أي اخترت وفضّلت وأفاجيه أي أن آتيه فجأة وأناجيه أحدّثه وعجم الشيء عضّه ليختبر ويمتحن قوته وصلابته والفراسة الفطنة والنظر وهي الاستدلال بالظاهر على الباطن والألمعية أن ترى الشيء على بعد فتعرفه وتحققه والفراسة أن ترى الرجل بين يديك فتحكم عليه بما أضمر أو ما ينوي ويريد فعله فالألمعية في البعد والفراسة في القرب على أن الظن الصادق يجمعهما.

(7) عن النبي أنه قال: «من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسراً إلى جهنم» خرّجه الترمذي في السنن ج 2 ص 348 وابن ماجه وسواهما وتخطّي الرقاب يعني الجواز على أعناق الناس.

(8) عاف الشيء كرهه والتأذّي التضرر والإصابة بأذى ويسري يصل وسدك بالمكان التصق به ولزمه ولم يفارقه وقيد عياني أي غرض وهدف نظري يقول إن اختار أن يبقى في مكانه دون أن يحوّل نظره عن السروجي فلقد خشي الملامة فتخطّي الناس منهي عنه شرعاً.

(9) انقضى الشيء حدث وتمّ وحقّ الشيء وجب والوثبة القفزة وخفّ إلى الشيء أسرع خفيفاً وتوسّم نظر في السمات والملامح والالتحام الالتصاق يقول إنه صار من الممكن بعد الخطبة أن يقوم =

فإذا ألمَعيّتي ألمَعيّةُ ابنِ عبّاسٍ[1]. وفِراسَتي فِراسَةُ إياسٍ[2]. فعرّفتُهُ حينَئِذٍ شخْصي، وآثَرْتُه بأحَدِ قُمْصي، وأهَبْتُ بهِ إلى قُرْصي[3]. فهشّ لعارِفَتي وعِرْفاني، ولبّى دعْوَةَ رُغْفاني. وانْطَلَقَ ويَدي زِمامُهُ، وظلّي إمامُهُ[4]، والعجوزُ ثالثَةُ الأثافي، والرّقيبُ الذي لا يَخْفى عليْهِ خافي[5]. فلمّا استَحْلَسَ وُكْنَتي، وأحضَرْتُهُ عُجالَةَ مُكْنَتي[6]، قال لي: يا حارِثُ! أمَعَنا ثالِثٌ؟ فقلتُ: ليسَ إلا العَجوزُ! قال: ما دونَها سِرٌّ مَحْجوزٌ. ثمّ فتَحَ كريمَتَيْهِ، ورأرَأ بتوْأمَتَيهِ[7]، فإذا سِراجا وجْهِهِ يقِدانِ، كأنّهُما الفَرْقَدانِ. فابْتَهَجْتُ بسَلامَةِ بصَرِهِ، وعجِبْتُ منْ غَرائِبِ سِيَرِهِ، ولمْ يُلْقِني قَرارٌ، ولا طاوَعَني اصْطِبارٌ، حتى سألْتُهُ[8]: ما دَعاكَ إلى التّعامي، معَ سيرِكَ في المَعامي،

= فأسرع إلى الخطيب وراح ينظر متأمّلاً في جفنيه على رغم أنه كان مغمضاً ملتصق الجفون.

(1) هو «حبر الأمّة» عبد الله بن عبّاس بن عبد المطلب، ابن عمّ النبي وله تفسير وإليه يرجع الكثير من المفسرين والمحدثين وكان مشهوراً بالرأي الصائب. توفي سنة 687 م.

(2) هو إياس بن معاوية المزني القاضي الشهير الذي ضرب بذكائه وفراسته المثل كما في أبيات ارتجلها أبو تمام. توفي سنة 739 م.

(3) آثرته بالشيء خصصته به والقمص ج قميص وأهاب بالمرء إلى أمر دعاه إليه وحمله عليه والقرص هو الرغيف فالتقريص هو التقطيع ومن هنا صار الرغيف قرصاً كأنه قطعة من العجين.

(4) هشّ خفّ فرحاً والعارفة النعمة والمعروف والعرفان المعرفة ولبّى أجاب والزمام المقود تقاد به الدابة في العادة وظلّي إمامه أي أن ظلّ الحارث كان قدامه كأنه إمامه يهديه يقول لقد فرح بدعوتي وسرّ بأنني عرفته ومضى معي أقوده من يده وكأن ظلي إمامه.

(5) الأثافي واحدة أثفية ما تنصب عليه القدر للطبخ وفي العادة فإن الجبل يكون ثالثة الأثافي وهو مثل يضرب في الداهية العظيمة تأتي بعد ثنتين انظر مجمع الميداني ج 2 ص 394 والمستقصى في أمثال العرب ج 1 ص 201.

(6) الحلس بكسر الحاء كساء يلي ظهر البعير وتحت البرذعة ويلزمه فشبّه الذين يعرفون الشيء ويلزمونه بالحلس والحلس في البيت ما يبسط تحت البسط واستحلس أي دخل وجلس على حلس البيت والوكنة وكر الطير في الأصل وتعني هنا البيت والعجالة ما تهيّأ وأعدّ على عجل والمكنة المتاح والمستطاع يقول فلما جلس في بيتي أتيت بما تيسّر من طعام على عجل.

(7) المحجوز الممنوع والمحجوب والكريمتان عيناه ورأرأ أي قلبهما وأدارهما إدارة كثيرة وقيل رأرأ العين أدارها وحدّد نظرها والتوأمتان هما العينان أيضاً.

(8) يقدان أي يضيئان والفرقدان نجمان منيران في بنات نعش والسير هنا العادات ولم يلقني قرار أي لم يحبسني سكون وطمأنينة والاصطبار الصبر.

وجوْبِكَ المَوامي، وإيغالِكَ في المَرامي[1]؟ فتَظاهَرَ باللُّكْنَةِ، وتشاغَلَ باللُّهْنَةِ، حتى إذا قَضى وطَرَهُ، أتْأرَ إليّ نظَرَهُ، وأنشَدَ[2]:

ولمّا تَعامى الدّهرُ وهْوَ أبو الوَرى عنِ الرُّشْدِ في أنحائِهِ ومقاصِدِهْ
تعامَيتُ حتى قيلَ إني أخو عَمًى ولا غَرْوَ أن يحذو الفتى حَذوَ والِدِهْ[3]

ثمّ قال لي: انْهَضْ إلى المُخدَعِ فأتِني بغَسولٍ يَروقُ الطّرْفَ[4]، ويُنْقي الكَفَّ، وينعّمُ البَشْرَةَ، ويُعطّرُ النّكهَةَ، ويشُدّ اللِّثَةَ، ويقوّي المَعِدَةَ. ولْيَكُنْ نَظيفَ الظَّرْفِ، أريجَ العَرْفِ، فتيَّ الدّقِّ، ناعِمَ السّحْقِ، يحسَبُهُ اللاّمِسُ ذَروراً، ويَخالُهُ النّاشِقُ كافوراً[5]. واقْرُنْ بهِ خِلالَةً نقيّةَ الأصْلِ، محبوبَةَ الوصْلِ، أنيقَةَ الشّكلِ، مَدْعاةً إلى الأكْلِ[6]، لها

(1) التعامي استعمال العمى والتشبّه بالعميان والمعامي القفار البعيدة والطرق المجهولة حيث لا آثار يهتدى بها وجوب وتجواب البلاد قطعها سيراً والموامي القفار واحدتها موماة والإيغال المبالغة في الشيء والمرامي المقاصد والبلاد التي ترميه إلى بلاد أخرى يقول ما الذي حملك على التعامي وأنت تجوب بلاداً مجهولة وتسير على دروب لا آثار فيها يهتدى بها.

(2) تظاهر استعان واللكنة احتباس اللسان وتشاغل شغل نفسه واللهنة ما يُعجّل من طعام للضيف قبل الغداء والوطر الحاجة والمراد وأتأر تابع نظره وحدّده يقول إنه استعان باحتباس اللسان وشغل نفسه بالمعجل من الطعام حتى لكأنه منعه عن القول ثم لما قضى مراده نظر إليّ وأمعن النظر وأنشد.

(3) الورى الخلق والناس والرشد الهداية والاستقامة والأنحاء الأغراض والمقاصد ولا غرو أي لا عجب وحذا يحذو حذوه أي فعل فعله.

(4) المخدع بيت داخل البيت وقال ابن الأنباري هو الخزانة في جانب البيت من خدع إذا توارى واستتر والغسول هو الأشنان وهو النقاوة وهو أي الأشنان نبات كان يستخدم لغسل اليدين لإماطة الأذى والزهومة عنهما ويروق يعجب والطرف العين.

(5) ينقّي ينظّف والبشرة ظاهر الجلد والنكهة رائحة الفم واللثة اللحم على الأسنان والظرف الوعاء يوضع به الغاسول أو الأشنان وأريج أي عِطِر والعرف الرائحة وفتي الدقّ أي دق وسحق منذ عهد غير بعيد وناعم السحق أي سحق فبولغ في سحقه فصار ناعماً يحسبه يظنه والذرور ما يسحق ناعماً ويذرّ على الجرح أو العين وهو من الذرّ أي التفرّق وهو في أيامنا هذه ما يسمى بالبودرة ويخاله يظنه والناشق الشامّ والكافور نوع من أنواع الطيب.

(6) واقرن به أي واجمع معه أو أضف عليه والخلالة ما يتخلّل به أي تنظّف به الأسنان وهو عويد رقيق يخرج به الطعام من خلل الأسنان والمدعاة الداعية.

نَحافَةُ الصَّبّ، وصَقالَةُ العَضْبِ، وآلَةُ الحرْبِ، ولُدونَةُ الغُصْنِ الرّطْبِ[1].

قال: فنَهضْتُ فيما أمَرَ، لأدْرأَ عنْهُ الغَمَرَ[2]. ولمْ أهِمْ إلى أنّهُ قصَدَ أنْ يَخْدَعَ، بإدْخاليَ المُخدَعَ. ولا تظنّيْتُ أنّهُ سخِرَ منَ الرّسولِ، في استِدْعاء الخِلالَةِ والغَسولِ[3]. فلمّا عُدْتُ بالمُلتَمَسِ، في أقرَبَ منْ رجْعِ النّفَسِ؛ وجدْتُ الجوّ قدْ خَلا، والشيْخَ والشيْخَةَ قد أجْفَلا. فاستَشَطْتُ منْ مَكْرِهِ غضَباً، وأوْغَلتُ في إثْرِهِ طلَباً[4]. فكانَ كمَنْ قُمِسَ في الماء، أو عُرِجَ بهِ إلى عَنانِ السّماء[5].

(1) الصبّ العاشق أي يريد خلالة رقيقة نحيفة كالعاشق والصقالة من صقل أي جلا والعضب السيف القاطع يقول إنها مصقولة كالسيف القاطع وآلة الحرب الحربة واللدونة الليونة والطراوة هذا في صفة الخلالة أما الخلالة فأصلها نبات لشجير ينبت في الصيف وتطلع له رؤوس يكون في الواحد منها عدة قضبان فيمسك الرجل منها في جيبه رأساً فمتى أكل طعاماً نزع منه قضيباً يتخلل به وقد أوصى النبي مراراً بالتخلّل إلا أنه نهى عن التخلل بالقصب وعود الرمان والآس.

(2) درأ الشيء دفعه وأزاله والغمر زنخ اللحم.

(3) لم أهم أي لم أظن ويذهب وهمي وتظنّيت حسبت.

(4) الملتمس المراد والمطلوب والجوّ هنا بمعنى المكان داخل البيت وأجفل هرب مسرعاً واستشاط اشتد غضبه وأوغل أمعن وبالغ وباعد.

(5) قمس أي غمس وعرّج به أي طلع به والعنان السحاب والعنانة السحابة وأعنّت السماء أي صار لها عنان.

المقامة المعَرّيَّة(*)

أخبرَ الحارِثُ بنُ هَمّامٍ قال:

رأيتُ منْ أعاجيبِ الزّمانِ، أن تقدّم خَصْمانِ، إلى قاضي مَعرّةِ النّعمانِ[1]. أحدُهُما قدْ ذهَبَ منْهُ الأطْيَبانِ، والآخَرُ كأنّهُ قَضيبُ البانِ[2]. فقال الشيخُ: أيّدَ اللهُ القاضيَ، كما أيّدَ بِهِ المُتقاضيَ[3]! إنّهُ كانَتْ لي مَمْلوكَةٌ رَشِيقَةُ القدّ، أسيلَةُ الخدّ، صَبورٌ على الكدّ. تخُبّ أحْياناً كالنّهْدِ، وترقُدُ أطْواراً في المهْدِ، وتجِدُ في تمّوزَ مَسَّ البَرْدِ[4]! ذاتُ عقْلٍ وعِنانٍ، وحدٍ وسِنانٍ، وكفٍّ ببَنانٍ، وفمٍ بلا

(*) لا بد من الإشارة بادئ الأمر إلى حقيقة أن هذه المقامة مقامة ممعنة في المكر يحسبها القارئ العادي حديثاً ماجناً لما جرى بين شخصين معير ومستعير أحدهما أعار إبرة وما الإبرة إلاّ الجارية المملوكة لأنها مما يتموّل به والغلام أعار مروداً وهو الميل الذي يكتحل به والمرود لا يخلو من علاقة بالجماع فعلى الشاهد عند الفقهاء ان يشهد على الزاني أنه رأى القضيب يلج الهن ولوج المرود في المكحلة.

(1) يقول الحميري في الروض المعطار: معرة النعمان بالشام مدينة قديمة فيها خراب، بينها وبين حلب خمسة أيام، وأهلها تنوخ ومنها أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري.

(2) يروى أن معاوية بن أبي سفيان سأل شيخاً زاره: «ما بقي من اللذات عندك؟» فقال: «ذهب الأطيبان وبقي الأرطبان!» فاستفهمه فقال أما الأطيبان فالأكل والجماع وأما الأرطبان فالضراط والسعال! وقيل في الأطيبين انهما النوم والجماع وإنهما الشحم والشباب والقضيب الغصن والبان شجر تشبّه بقضبانه القدود الناعمة.

(3) أيّد الله تقال للدعاء بمعنى قوّى ونصر ودعم والمتقاضي من يتحاكم إلى القاضي ويدّعي عنده على أحد.

(4) رشيقة القد معتدلة القامة وأسيلة الخد ملساء الخد والكدّ الجهد والشدة في العمل وخب للحصان إذا راوح بين يديه وقدميه عند العدو وتخبّ هنا أي تثب الإبرة في الثوب لسرعتها والنّهد الفرس=

أسْنانٍ[1]، تلْدَغُ بلِسانٍ نَضْناضٍ، وترْفُلُ في ذيْلٍ فضْفاضٍ، وتُجْلى في سَوادٍ وبَياضٍ، وتُسْقَى ولكِنْ منْ غيرِ حِياضٍ[2]! ناصِحَةٌ خُدَعَةٌ، خُبَأةٌ طُلَعَةٌ، مطْبوعَةٌ على المنفَعَةِ، ومطْواعَةٌ في الضّيقِ والسَّعَةِ[3]! إذا قطَعَتْ وصَلَتْ، ومتى فصَلْتَها عنْكَ انفَصَلَتْ! وطالَما خدَمَتْكَ فجمّلَتْ، وربّما جنَتْ عليْكَ فآلَمَتْ وملْمَلَتْ[4]! وإنّ هذا الفَتى استَخْدَمَنيها لغرَضٍ، فأخْدَمْتُهُ إيّاها بِلا عِوَضٍ[5]؛ على أن يجْتَنيَ نفْعَها، ولا

= الضخم وأطواراً أي أحياناً والمهد الفراش وهو هنا مثبر الخياط الذي يمسك فيه إبرته ويحفظها وتجد أي تحسّ والمسّ ما يحسّ به المرء عند اتصاله بأمر ما فثمة مس الحر ومس السيف ومس الجنون الخ والبرد هنا أن يبردها الحداد بمبرده ليقومها ويعدّلها.

(1) العقل للبعير شدّ قوائمه بحبل وهو العقال ومن هنا جاء العقل في الإنسان يعقله فيحسب ما هو مقدم عليه فلا يتهوّر وأما في النص فالإبرة ذات عنان أي خيط وعقل أي أنها تمسك بالخيط وتشدّه عند الخياطة والحدّ الطرف والمنتهى والسنان الطرف المسنون والكف اليد أو الراحة مع الأصابع والكف هنا هو الخياطة الثانية بعد الخياطة الأولى وتكون خفيفة والبنان أطراف الأصابع والكف والتضريب أي التمتين في الخياطة معروفان فيريد أن الخائط يقلّب التضريب بأصابعه وهي البنان ويكفّه بالإبرة.

(2) اللدغ للحية أو العقرب إذا أنشبت الأولى باللديغ نابها أو شكته بإبرتها الثانية والإبرة قد تضرب الإصبع واللسان النضناض للحيّة والنضنضة صوت الحية أو حركة لسانها وشبّه طرف الإبرة بلسان الحيّة لكثرة حركته في الثوب والرفل والرفول والرفلان جرّ الذيل والتبختر والفضفاض من الثياب الواسع والسابغ يريد الخيط وتجلّي أي تبرز والسواد والبياض لون الخيطين الأسود والأبيض والسقي هنا حين يطرحها الحداد في الماء بعد إخراجها من النار لتزداد صلابة والحياض جمع حوض مجتمع الماء.

(3) النصاحة هي الخياطة والناصحة الخائطة والخدعة أي التي تخدع والإبرة تخدع الخائط فتخيط وجه الثوب الأعلى دون الأسفل والطلعة التي تطلع من مخبأها ويقال خبأة طلعة للمرأة تلازم بيتها مرة وتطلع أخرى مطبوعة على المنفعة أي أن النفع من طبعها والمطواعة المطيعة تدخل في الثوب ضاق أم اتسع.

(4) إذا قطعت وصلت أي إذا قطعت الثوب وفصّلته ألّفته وفصلتها نحيتها وجعلتها في مثبرها وجمّلت ألّفت قطع الثوب فبدا جميلاً وجنى جناية ارتكب ذنباً وآلم أوجع والململة التقلب من شدة الوجع يقول إن الإبرة قد تضرب الخائط أو سواه فيتألم ويتقلب من شدة الألم.

(5) استخدمنيها أي طلب مني خدمتها ولغرض أي لغاية أو مقصد وبلا عوض أي دون أجر.

يُكلّفَها إلا وُسْعَها. فأوْلَجَ فيها مَتاعَهُ، وأطالَ بها استِمْتاعَهُ، ثم أعادَها إليّ وقدْ أفْضاها، وبذَلَ عنْها قيمَةً لا أرضاها[1].

فقال الحَدَثُ:

أمّا الشيخُ فأصدَقُ منَ القَطا، وأما الإفْضاءُ ففَرَطَ عنْ خَطا[2]! وقدْ رهَنْتُهُ، عن أرْشِ ما أوْهَنْتُهُ، مملوكاً لي مُتناسِبَ الطّرَفَينِ، مُنتَسِباً إلى القَينِ، نقِيّاً منَ الدّرَنِ والشَّينِ، يُقارِنُ محلُّهُ سَوادَ العينِ[3]. يُفْشي الإحْسانَ، ويُنْشي الاسْتِحْسانَ، ويُغْذي الإنْسانَ، ويتَحامَى اللّسانَ[4]. إنْ سُوّدَ جادَ، أو وَسَمَ أجادَ، وإذا زُوّدَ وَهَبَ الزّادَ، ومَتى اسْتُزيدَ زادَ[5]. لا يستَقِرّ بمَغْنى، وقلّما ينكِحُ إلا مَثْنى[6]! يسْخو بمَوجودِهِ، ويسْمو عندَ جودِهِ. وينْقادُ معَ قَرينَتِهِ، وإنْ لمْ تكنْ منْ طينَتِهِ، ويُستَمْتَعُ بزينَتِهِ، وإنْ لمْ يُطْمَعْ في لينَتِهِ[7].

(1) يجتني الثمرة يتناولها من على الشجرة والمراد هنا الانتفاع بالإبرة والوسع الطاقةومقدار ما يحتمل المرء دون تكلّف وأولج أدخل والمتاع هن الرجل أو المرأة وهو هنا يعني الخيط وأفضاها خرق سمها أي عينها وشرمه وفي المرأة خلط مسلكيها وبذل أي أعطى.

(2) تضرب القطا وهي طائر إذا طار صاح قطا قطا مثلاً للصدق فصوتها اسمها على ما جاء في جمهرة العسكري ج 1 ص 494 رقم 1091 وأفضى الإبرة شرم سنّها وفرط سبق وعن خطا أي عن غير قصد وتعمّد وفي الإفضاء معنى الدخول بالمرأة.

(3) الأرش في الفقه دية الجراحات وأرهنته أعطيته رهناً وأوهن أضعف وأفسد والمملوك هو هنا المرود الآلة التي يكتحل بها ومتناسب الطرفين أي أنهما متناسبان بوسعك الاكتحال بأيهما شئت على أن الإيهام بالطرفين هنا من جانبي الأم والأب والقين الحداد والإيهام هنا بحي من بني أسد والدرن وسخ الحديد والشين العيب أو ما يشين بعامة.

(4) يفشي يذيع ويظهر ويعلن وينشي الاستحسان أي يكون سبباً لاستحسان الناظر إذا نظر إلى العيون الكحيلة والإنسان إنسان العين فالمعروف أن في الكحل ما يقوّي العين ويتحامى أي يتجنّب اللسان فلا عمل للمرود في الفم.

(5) سوّد أي جعل فيه السواد وهو هنا الكحل وجاد سخا ووسم أي علم وأجاد أتقن وزود أعطى ووهب الزاد أعطاه وسخا به وهو هنا الكحل.

(6) المغنى المكان أو المنزل غني بأهله والمراد بالعبارة أنه لا يقيم في مكان ولا ينكح إلا مثنى أي قلما كحّل عيناً وترك الأخرى.

(7) يسمو عند جوده أي يرتفع حين يعطي وينقاد مع قرينته أي ينصرف مع المكحلة والقرينة هي الزوجة =

فقال لهُما القاضي: إمّا أن تُبينا، وإلا فَبينا!

فابْتَدَر الغُلامُ وقال[1]:

أعــارنــي إبــرَةً لأرفــوَ أطْــمــا رًا عَــفــاهــا الــبِــلــى وسَــوّدَهــا

فــانــخــرَمَــتْ فــي يَــدي عــلــى خــطَــإٍ مــنّــيَ لــمّــا جــذَبْــتُ مِــقــوَدَهــا[2]

فــلــمْ يــرِ الــشــيــخُ أن يُــســامِــحَــنــي بــــإرْشِــــهــــا إذْ رأى تــــأوُّدَهــــا[3]

بــلْ قــال هــاتِ إبــرَةً تُــمــاثِــلُــهــا أو قــيــمَــةً بــعْــدَ أن تــجــوّدَهــا

واعْــتــاقَ مــيــلــي رَهْــنــاً لــدَيْــهِ ونــا هــيــكَ بــه سُــبّــةً تَــزوّدَهــا[4]

فــالــعــيــنُ مَــرْهَــى لــرَهْــنِــه ويــدي تــقْــصُــرُ عــنْ أن تــفُــكّ مِــروَدَهــا

فــاسبُــرْ بــذا الــشّــرْحِ غــوْرَ مــسْــكَــنــتــي وارْثِ لــمــنْ لــم يــكُــنْ تــعــوّدَهــا[5]

فأقبلَ القاضي على الشيخِ وقال: إيهِ، بغَيرِ تمْويهٍ! فقال[6]:

= في الأصل ومن طينته أي من جنسه وليته أي ليونته فالحديد لا يلين وكما أشرنا منذ البداية فلكل لفظ معنى ظاهر هو غير ما أراد الكاتب.

(1) أبان الشيء أظهره وأوضحه وبان يبين بيناً وبينونة وبيوناً عنه انقطع عنه وفارقه وبينا هنا فعل أمر للمثنى يقول إما أن توضحا وتظهرا أمركما وإلاّ فانصرفا.

(2) الرفو خياطة دقيقة يصلح فيه النسيج حتى ليعود كما كان والأطمار الثياب الخلقة واحدها طمر وعفاها البلى أي غيرها القدم وأخلقها وسودها جعلها سوداء بالأوساخ وانخرمت انكسرت والمقود هنا يعني الخيط.

(3) الأرش هو دية الجرح والتأوّد هو الميل والاعوجاج وأما هنا فهو الانكسار.

(4) إعتاقه اعتياقاً مثل عاقه شغله عنه ومنعه منه وهي هنا حبس عني مرودي وناهيك حسبك وكافيك والسبّة العيب الذي يسبّ به يقول بل لقد سألني إبرة تشبهها أو أعيدها إلى ما كانت عليه من الجودة أو مالا بقيمتها وحبس عني مرودي وحسبك ذلك الفعل سبّة له.

(5) العين المرهى الخالية من الكحل يقول إن عينه خالية من الكحل ويده أعجز لفقره من أن تفك الرهن وتسترد المرود وسبر قاس والغور العمق والغاية وارث فعل أمر من رثى له أي أشفق عليه وحزن لمصابه يقول وليكن في ما قلت ما تقيس به حجم مسكنتي وأشفق علي وأنا في حال ما تعودتها.

(6) إيه لفظ يستزاد به الحديث والتمويه الكذب والتلبيس فموّه الخبر عليه أخبره بخلاف ما سأله وزوّره وموّه الباطل زيّنه حتى ليبدو في صورة الحق وموّه الإناء طلاه بالذهب أو الفضة أو ما شاكل.

أقسَمْتُ بالمَشْعَرِ الحَرامِ ومَنْ ... ضمّ منَ الناسِكينَ خَيْفُ مِنى[1]
لوْ ساعَفَتْني الأيّامُ لمْ يرَني ... مُرتَهِناً مِيلَةُ الذي رَهَنا
ولا تَصدّيتُ أبتَغي بدَلاً ... منْ إبرَةٍ غالَها ولا ثَمَنا[2]
لكِنّ قوْسَ الخُطوبِ ترْشِقُني ... بمُصْمِياتٍ منْ هاهُنا وهُنا[3]
وخُبْرُ حالي كخُبْرِ حالَتِهِ ... ضُرّاً وبؤساً وغُربَةً وضَنى
قد عدَلَ الدهْرُ بينَنا فأنا ... نظيرُهُ في الشّقاء وهْوَ أنا[4]
لا هُوَ يسْطيعُ فكّ مِروَدِهِ ... لمّا غدا في يَدَيّ مُرتَهَنا
ولا مَجالي لِضيقِ ذاتِ يَدي ... فيهِ اتّساعٌ للعَفْوِ حينَ جَنى
فهَذِهِ قِصّتي وقِصّتُهُ ... فانْظُرْ إلَيْنا وبينَنا ولَنا[5]

فلمّا وعَى القاضي قَصَصهُما، وتبيّنَ خَصاصَتَهُما وتخَصُّصَهُما[6]، أبرَزَ لهُما ديناراً منْ تحْتِ مُصَلاّه، وقال لهُما: اقْطَعا بِهِ الخِصامَ وافْصِلاهُ!

---

(1) المشعر المزدلفة وكل علامات الحج مشاعر والمشعر والمنسك موضع ذبح الهدي بمكة والناسكين الحجاج المتقربون بنسيكة أي بذبيحة فأنسك ونسُك منسكاً ونَسكاً ونَسَكاً إذا ذبح النّسك وهي الذبائح وهي الأضاحي والخيف موضع بمنى.

(2) ساعفتني ساعدتني وتصدّيت تعرضت وغالها أهلكها يقول ويقسم بمناسك الحج إنه لو أن الأيام ساعدته وأعانته لما ارتهن المرود ولا قام يطالب ببديل عن إبرته أو بثمن لها.

(3) الخطوب الأمور العظام والدواهي وترشقني ترميني والمصميات السهام التي تقتل الصيد سريعاً.

(4) الخبر الإختبار والضرّ الضيق وسوء الحال والضنى الوهن والضعف والمرض وعدل انصف وساوى يقول إن الدهر قوس يرميه بكل قاتل من السهام من كل حدب وصوب وحالي كحاله في باطنها لمن اختبر الحالين وما يصيبنا من وهن وضعف وفقر وبؤس ومرض حتى لكأننا شبيهان في الشقاء وكأن الأيام قد ساوت بيننا.

(5) مجالي موضع تصرّفي وذات يدي مالي وما أملك والعفو الغفران وجنى أذنب فانظر إلينا أي انظر بعينك عين الرحمة وانظر بيننا أي احكم بيننا وانظر لنا أي هب لنا وأعطنا من خيرك.

(6) قصصهما حديثهما ووعى فهم واستوعب والخصاصة الفقر والتخصّص الانقباض عن العامة والتشبّه بالخاصّة.

فتلقّفَهُ الشيخُ دونَ الحدَثِ، واستَخلَصَهُ على وجهِ الجِدِّ لا العبَثِ[1]. وقال للحدَثِ: نِصْفُه لي بسَهْمِ مَبَرّتي، وسهْمُكَ لي عنْ أرْشِ إبْرَتي! ولستُ عنِ الحقّ أميلُ، فقُمْ وخُذِ الميلَ[2]!

فعَرا الحدَثَ لما حدثَ اكتِئابٌ، واكفَهَرّ على سَمائِهِ سَحابٌ. وجَمَ لهُ القاضي، وهيّجَ أسَفَهُ على الدّينارِ الماضي[3]. إلا أنّهُ جبَرَ بالَ الفتى وبَلْبالَهُ. بدُرَيْهِماتٍ رضَخَ بها له. وقال لهُما: اجْتَنِبا المُعامَلاتِ! وادْرآ المُخاصَماتِ، ولا تحْضُراني في المُحاكَماتِ، فما عِندي كيسُ الغَراماتِ![4] فنَهَضا منْ عِنْدِه، فرِحَينَ برِفْدِه، مُفصِحَينِ بحَمدِه. والقاضي ما يخْبو ضجَرُهُ، مُذْ بضَّ حجَرُهُ[5]، ولا ينْصُلُ كمدُه، مُذْ رشَحَ جَلمَدُهُ. حتى إذا أفاقَ منْ غشيَتِه، أقبلَ على غاشِيَتِه[6]، وقال: قدْ أُشرِبَ حِسّي، ونبّزني حدْسي؛ أنهُما صاحِبا دَهاء، لا خَصْما ادّعاء! فكيفَ السّبيلُ إلى سبرِهِما، واستِنْباطِ سرّهِما؟[7] فقال له نِحْريرُ زُمرَتِه، وشِرارَةُ جَمرَتِه: إنّه لنْ يتِمّ

(1) المصلى البساط الذي يصلى عليه فتلقفه تناوله بسرعة والحدث الغلام واستخلصه حازه لنفسه خالصاً والجد التحقيق والعبث الهزل وهو ضد الجد.

(2) المبرّة الإكرام يقول إن نصف الدينار لي إكراماً لي من القاضي والنصف الثاني دية إبرتي.

(3) عراه نزل به والاكتئاب الهم والحزن واكفهرّ تلبّد واسودّ وغلظ وركب بعضه بعضاً ووجم سكت حزيناً يقول إن الحزن والغم نزل بالصبي الغلام وأما القاضي فلقد أحزنه الأمر فما يكاد ينطق.

(4) جبر الفقير أصلح حاله وأحسن إليه من العظم تجبره أي تصلحه إذا انكسر وجبر باله أي هدّأه والبلبال الهم والوسواس ورضخ أعطى قليلاً من كثير وادرآ فعل أمر للمثنّى بمعنى اتقيا وادفعا يقول إن القاضي قد هدّأ روع الغلام ومنحه بعض دراهم وأمرهما أن يجتنبا المعاملات وهي ما يجري بين الخلق من دين أو إعارة أو رهن أو تعويضات وأن لا يقدما عليه متقاضيين فليس كيسه كيس الغرامات.

(5) الرفد العطاء ويخبو يكمد ويخمد وبضّ رشح وبضّ حجره تقال للبخيل إذا أعطى فيد البخيل شبه الحجر لا يرشح ماء.

(6) نصل أي زال تقال للخضاب مثل والكمد الحزن والغم ورشح جلمده أي تندّى حجره والغشية زوال العقل بالإغماء أو ما شاكل والغاشية من يتردد إليه في بيته ويغشاه.

(7) أشرب الشيء داخله ونبأ أخبر والحدس الظن والدهاء المكر وكيف السبيل أي ما العمل والسبر تقدّم وهو القياس والاستنباط الاستخراج يقول لقد داخل ظنه وأخبره حدسه أنهما ماكران لا متقاضيان وسأل عن الطريقة التي تمكنه من الوقوف على حقيقة أمرهما.

استِخراجُ خَبْئِهما، إلا بهِما! فقفّاهُما عَوْناً يُرْجِعُهُما إليْهِ، فلمّا مَثَلا بينَ يدَيهِ ،[1] قالَ لهُما: اصْدُقاني سِنّ بَكْرِكُما، ولكُما الأمانُ منْ تبِعَةِ مَكْرِكُما. فأحْجَمَ الحدَثُ واسْتَقالَ، وأقدَمَ الشيخُ وقال[2]:

أنا السَّروجيُّ وهذا ولَدي ... والشِّبْلُ في المَخْبَرِ مثلُ الأسَدِ
وما تعدّتْ يدُهُ ولا يَدي ... في إبرَةٍ يوْماً ولا في مِرْوَدِ
وإنّما الدهرُ المُسيءُ المُعْتَدي ... مالَ بِنا حتى غدَوْنا نجْتَدي[3]
كلَّ نَدي الرّاحةِ عذْبِ المَوْرِدِ ... وكلَّ جعْدِ الكفّ مغْلولَ اليَدِ[4]
بكُلّ فنٍ وبكلّ مقْصَدِ ... بالجِدّ إنْ أجْدَى وإلاّ بالدَّدِ[5]
لنَجلِبَ الرّشْحَ إلى الحظّ الصّدي ... ونُنْفِدَ العُمْرَ بعيشٍ أنْكَدِ[6]

---

(1) النحرير هو الحاذق الماهر والزمرة الجماعة وشرارة جمرته للتعبير عن توقّد ذهنه ونفوذه وخبيئهما ما يخفيان من أمرهما وقفّاهما أي أتبعهما والعون الشرطي يعين القاضي في التصرّف ومثلاً وقفاً ومثل الشيء فهو ماثل إذا قام وانتصب وإذا لطئ بالأرض أو ذهب وهو من الأضداد أي الألفاظ التي تعني الشيء وضده.

(2) صدقني سن بكره مثل يقال للكاذب حين يقرّ بالحقيقة عفواً انظر جمهرة العسكري ج 1 ص 487والبكر الفتي من الإبل والتبعة ما يترتب على الفعل خيراً كان أم شراً وأحجم تأخر فزعاً واستقال طلب الإقالة وأقدم أي بادر على فعل الشيء يقول فقال لهما انطقا بالحق وسأعفيكما من تبعة مكركما فتراجع الغلام وأقدم الشيخ.

(3) تعدّت ظلمت وتجاوزت ونجتدي نطلب العطاء من الناس يقول أنا السروجي وهذا ابني فهو شبل من أسد في التجربة والامتحان وما ظلمت يده ولا يدي إبرة ولا مروداً ولكنه الدهر المسيء لنا قد مال بنا أي أجحف بنا وظلمنا حتى صرنا نستجدي.

(4) ندي الراحة هو الكريم وعذب المورد من ماؤه عذب والمعنى واحد وجعد الكف ضد ندي الراحة الجعودة انقباض الشعر ثم استعيرت لقبض الكف لؤماً ومثلها مغلول اليد لبخله وكأن يده محبوسة بلؤمها.

(5) الدد اللهو واللعب وهو ضد الجد يقول فرحنا نجتدي بكل ضروب القول والجد إن أجدى ونفع وإلا فباللهو والهزل.

(6) الرشح وقد تقدم يعني هنا قليل العطاء والصدي والصادي العطشان الظامئ وننفد أي نفني والنكد الشؤم وقلة الخير.

والـمـوتُ مـنْ بـعْـدُ لَـنـا بـالـمَـرصَـدِ إنْ لـمْ يُـفـاجِ الـيـومَ فـاجَـى فـي غَـدِ[1]

فقال لهُ القاضي: للهِ دَرُّكَ فما أعذَبَ نفَثاتِ فيكَ، وواهاً لكَ لوْلا خِداعٌ فيكَ! وإني لكَ لمِنَ المُنْذِرِينَ، وعليْكَ منَ الحَذِرينَ. فلا تُماكِرْ بعْدَها الحاكِمينَ، واتّقِ سَطْوَةَ المُتحكّمينَ![2] فما كُلّ مُسيْطِرٍ يُقيلُ، ولا كُلّ أوانٍ يُسْمَعُ القِيلُ![3] فعاهَدَهُ الشيخُ على اتّباعِ مَشورَتِه، والارْتِداعِ عن تلْبيسِ صورتِهِ، وفصَلَ عن جِهتِهِ، والخَتْرُ يلمَعُ من جبهتِهِ[4]!

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فلمْ أرَ أعجَبَ منْها في تصاريفِ الأسْفارِ، ولا قرَأتُ مِثلَه في تصانيفِ الأسْفارِ.

---

(1) بالمرصد أو بالمرصاد وهو الموضع الذي يرصد منه يقول إن الموت بالمرصاد إن لم يفاجئنا اليوم فعلها في غد.

(2) لله درّك تقال للاستحسان والنفثات هنا الكلمات وواهاً لك تقال للتعجّب والاستحسان أيضاً وأنذره أعلمه بما يخاف والحذر الخيفة والتحرّز وهو هنا بمعنى الإشفاق وتماكر تخادع والسطوة القهر والبطش.

(3) المسيطر المسلّط والقاهر ويقيل يغفر الذنب أو الزلّة والأوان الوقت والقيل القول والكلام.

(4) الارتداع الرجوع والكف عن الفعل والتلبيس التخليط والتغيير والختر الغدر والخداع والمكر والتصاريف التقلبات والتصانيف الكتب المصنّفة والأسفار الكتب الكبيرة.

المقامة الإسكندرانية

قالَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ:

طَحا[1] بي مَرَحُ الشّبابِ، وهوَى الاكتِسابِ، إلى أن جُبْتُ ما بينَ فرْغانَةَ وغانَةَ[2]، أخوضُ الغِمارَ، لأجْني الثّمارَ. وأقْتَحِمُ الأخْطارَ، لكَيْ أدرِكَ الأوْطارَ[3]. وكُنتُ لَقِفْتُ منْ أفْواهِ العُلَماء، وثَقِفْتُ منْ وَصايا الحُكَماء[4]؛ أنهُ يلْزَمُ الأديبَ الأريبَ، إذا دخَلَ البلَدَ الغريبَ، أنْ يَستَميلَ قاضِيَهُ، ويستَخْلِصَ مَراضِيَهُ؛ ليشْتَدّ ظهرُهُ عندَ الخصامِ، ويأمَنَ في الغُربَةِ جَوْرَ الحُكّامِ[5]. فاتّخذْتُ هذا الأدَبَ إماماً، وجعلْتُهُ لمَصالحي زِماماً؛ فما دخلْتُ مَدينةً، ولا ولَجْتُ عَرينَةً، إلا وامتزَجْتُ بحاكمِها امتِزاجَ الماءِ بالرّاحِ، وتقوّيْتُ بعِنايَتِهِ تقَوّي الأجْسادِ بالأرْواحِ[6]. فبَينَما أنا

(1) طحا بك ذهب وطحا الله الأرض ودحاها بسطها.

(2) جاب مشى وقطع فرغانة مدينة في أقصى خراسان وغانة بلد من بلد السودان أي الزنج والمراد أنه قد مشى وقطع المسافة بين المشرق والمغرب.

(3) الغمر المياه الغزيرة وهي هنا الأمور العظيمة الصعبة والأوطار الحاجات.

(4) لقف الشيء أخذه بسرعة إذا رُميَ وفي القرآن: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ الأعراف: 117. وثقف الشيء ظفر به وأخذه بسرعة وفي القرآن: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾. الأنفال: 57.

(5) الأريب هو العاقل الحصيف واستمال الشخص استعطفه ليميل ميله ومراضيه ما يرضيه وهي جمع مرضاة وليشتد ظهره أي ليقوى والجور الظلم والبغي.

(6) الإمام هو القدوة والزمام هو الحبل يقود ويجرّ به وولجت أي دخلت والعرينة بيت الأسد وهي هنا البلدة والراح من أسماء الخمر يقول إنه قد جعل من النصح الذي أخذه عن العلماء والحكماء إماماً يأتم به وحبلاً يجر به مصالحه فصار يتقرّب بالقضاة ويختلط بهم اختلاط الماء بالخمر ويتقوّى بصحبتهم جسداً وروحاً.

عِندَ حاكِمِ الإسكنْدَريّةِ، في عشيّةٍ عرِيّةٍ، وقد أحضَرَ مالَ الصّدَقاتِ، ليَفُضّهُ على ذوي الفاقاتِ[1]؛ إذْ دخَل شيخٌ عِفرِيَةٌ، تعْتُلُهُ امرأةٌ مُصْبِيَةٌ، فقالت[2]: أيّدَ اللهُ القاضيَ! وأدامَ بهِ التّراضي؛ إني امرأةٌ من أكرَمِ جُرثومَةٍ، وأطْهَرِ أرومةٍ، وأشرَفِ خُؤولَةٍ وعُمومَةٍ![3] مِيسَمي الصّونُ، وشيمَتي الهَوْنُ، وخُلُقي نِعْمَ العَوْنُ. وبيْني وبينَ جاراتي بوْنٌ[4]، وكان أبي إذا خطَبَني بُناةُ المجْدِ، وأرْبابُ الجَدّ، سكّتَهُم وبكّتَهُم، وعافَ وُصلَتَهُمْ وصِلَتَهمْ، واحتجّ بأنّهُ عاهَدَ اللهَ تَعالى بحَلْفَةٍ، أن لا يُصاهِرَ غيرَ ذي حِرفَةٍ[5]! فقيّضَ القدَرُ لنَصَبي ووَصَبي، أنْ حضَرَ هذا الخُدَعَةُ ناديَ أبي[6]؛ فأقسَمَ بينَ رهْطِهِ، أنّهُ وَفْقُ شرْطِهِ. وادّعى أنهُ طالَما نظَمَ دُرّةً إلى دُرّةٍ، فباعَهُما ببَدْرَةٍ[7].

---

(1) الإسكندرية مدينة في مصر معروفة تنسب إلى الإسكندر والعشية فترة ما بين المغرب والظلمة والعرية والعريّ الريح الباردة ويفضّه يفرّقه وذوو الفاقات المحتاجون والفقراء.

(2) العفرية الشديد الداهي والخبيث المنكر من الإنسان والأسد والديك وتعتله تجرّه وتجذبه بعنف وفي القرآن: ﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ الحاقة 30 والمرأة المصبية أي التي لها صبي أو صبيان.

(3) الجرثومة والأرومة يعنيان الأصل والقول بشرف الخؤولة والعمومة يعني أنها كريمة النسب من جهة الأم ومن جهة الأب.

(4) ميسمي أي علامتي وأصل اللفظ الوسم أي وضع العلامة على الدابة أو ما شاكل والصون الصيانة والانقباض والشيمة الخلق والطبيعة والهون الرفق والبون المسافة بين الشيئين وهو الفضل والمزية أيضاً.

(5) البناة جمع بان والمجد الشرف العظيم وهو في أصله من الإبل التي امتلأت بطونها من الرعي فهي مواجد ثم سيق اللفظ إلى ما يعنيه من الشرف وأما الجدّ بفتح الجاء فالحظ والسعد وأرباب الجد هنا تعني أصحاب المال والسعد ويكّتهم وبّخهم وأنّبهم وعاف كره والوصلة ما يصل بين المرء والمرء من ودّ أو غيره والصلة العطية واحتجّ قدّم حجّة تسند فعله أو قوله والحلفة اليمين والحرفة صنعة الرجل أو ما يتكسّب منه يقول إن الرجل وبّخ من طلب يد ابنته من الميسورين والشرفاء برّر فعله بأنه قد عاهد الله على أن لا يزوج ابنته إلاّ إلى رجل صاحب صنعة يعتاش منها.

(6) قيّض قدّر وأتاح وساق والنصب التعب والوصب المرض والوجع الدائم والخُدعة الكثير الخداع والنادي المجلس.

(7) الرهط القوم والجماعة من ثلاثة إلى عشرة والضمير في رهطه عائد إلى المجلس ووفق شرطه أي أنه يوافق ما اشترط ونظم الدرّ عمل الجواهري حين ينظم سلوك اللؤلؤ غير أن السروجي أراد هنا نظم الكلام والبدرة تساوي عشرة آلاف درهم.

فاغْتَرَّ أبي بزَخرَفَةِ مُحالِهِ، وزوّجَنيهِ قبْلَ اختِبارِ حالِهِ[1]. فلمّا استَخْرَجَني منْ كِناسي، ورحّلَني عنْ أُناسي، ونقَلَني إلى كسْرِهِ، وحصّلَني تحْتَ أسرِهِ[2]. وجدْتُهُ قُعَدَةً جُثَمَةً، وألفَيْتُهُ ضُجَعَةً نُوَمَةً[3]. وكنتُ صحِبْتُهُ برِياشٍ وزِيٍّ، وأثاثٍ ورِيٍّ[4]، فما برِحَ يَبيعُهُ في سوقِ الهضْمِ، ويُتْلِفُ ثمَنَهُ في الخَضْمِ والقَضْمِ[5]. إلى أنْ مزّقَ ما لي بأسْرِهِ، وأنْفَقَ مالي في عُسْرِهِ[6]. فلمّا أنساني طعْمَ الرّاحةِ، وغادرَ بيْتي أنْقَى منَ الرّاحةِ، قلتُ له: يا هَذا إنّهُ لا مخْبأ بعْدَ بوسٍ، ولا عِطْرَ بعْدَ عَروسٍ[7]! فانهَضْ للاكتِسابِ بصِناعَتِكَ، واجْنِني ثمَرَةَ براعتِكَ[8]. فزعَمَ أن صِناعَتَهُ قد رُمِيتْ بالكَسادِ، لِما ظهرَ في الأرضِ من الفَسادِ[9]. . . . .

(1) اغتر انخدع وزخرفة محاله أي تزويقه وتزيينه لكذبه.

(2) الكناس بيت الظبي ورحّلني نقلني وحملني على الرحل وكسره بيته وأصله جانب بيت الشعر أو الخباء وأسره حبسه.

(3) القعدة الكثير القعود والجثمة الذي يلازم موضعه والجثّامة للمبالغة البليد الذي لا ينهض للمكارم أو النّوام الفاقد الهمّة فجثم الطير أو الحيوان أو الإنسان إذا لازم مكانه لا يبرحه والضجعة الكثير الاضطجاع وهو التمدّد على الأرض للنوم والنومة الكثير النوم. تقول إنها وجدت في زوجها مخلوقاً كسولاً لا ينهض لمكرمة ويلازم مكانه للنوم والقعود.

(4) الرياش الثياب لأنها تكسو بدن المرء فعل الريش بالطائر والزيّ الحسن من اللباس والأثاث المتاع والري النعمة الكثيرة.

(5) سوق الهضم السوق الذي تباع فيه السلع بما يقلّ عن قيمتها وأتلف بدد وأهلك وأفنى والخضم الأكل بالفم كله والقضم الأكل بأطراف الأسنان.

(6) ما لي أي ما أملك وفي رواية مزّق حالي وبذلك يكون المعنى أفسد أمري وفي رواية أخرى مزّق بالي وهو الخاطر وهو الحال وبأسره أي كله أو جميعه وعسره فاقته وفقره.

(7) الراحة القرار والعيش الهنيء والطمأنينة وأنقى أنظف والراحة الكف ونقاء الراحة خلوّها من الشعر تقول إنها لم رأته قد أنساها طعم الأمان والطمأنينة وترك بيتها خلواً من كل شيء، قالت له لا مخبأ أي لا ستر بعد بوس وهو البؤس أي الشدة والعوز ولا عطر بعد عروس وهو مثل يضرب للشيء يستعجل عند الحاجة إليه وتفصيل حكاية المثل تجدها في جمهرة العسكري وغيره من كتب الأمثال.

(8) واجنني أي دعني أجني أي أجمع الثمار والبراعة جودة التدبير تقول إنها طلبت من زوجها أن يقوم ليكسب مالاً بحرفته وصنعته فيمكنها بذل من جني ثمار حسن تدبيره.

(9) زعم ادّعى غير صادق في الغالب والكساد في السوق خموده وقلة البيع فيه.

ولي منْهُ سُلالةٌ، كأنّهُ خِلالَةٌ[1]. وكِلانا ما يَنالُ معَهُ شُبْعَةً، ولا ترْقأُ لهُ منَ الطّوى دمعَةٌ[2]. وقد قُدتُهُ إليْكَ، وأحضَرْتُهُ لديْكَ؛ لتَعْجُمَ عودَ دعْواهُ، وتحْكُمَ بيْنَنا بِما أراكَ اللهُ[3]!

فأقْبَلَ القاضي عليْهِ وقال لهُ: قد وعَيْتُ قَصَصَ عِرْسِكَ، فبرْهِنِ الآنَ عن نفسِكَ[4]، وإلا كشَفْتُ عن لَبْسِكَ، وأمرْتُ بحبْسِكَ[5]. فأطْرَقَ إطْراقَ الأُفعُوانِ، ثمّ شمّرَ للحرْبِ العَوانِ، وقال[6]:

اسْمَعْ حَديثي فإنّهُ عجَبُ ... يُضحِكُ من شرحِهِ ويُنتحَبُ
أنا امرؤٌ ليسَ في خَصائِصِهِ ... عيْبٌ ولا في فَخارِهِ رِيَبُ
سَروجُ داري التي ولِدْتُ بها ... والأصلُ غسّانُ حينَ أنتسِبُ[7]
وشُغْليَ الدّرسُ والتبحُّرُ في الـ ... عِلمِ طِلابي وحبّذا الطّلَبُ
ورأسُ مالي سِحْرُ الكَلامِ الذي ... منهُ يُصاغُ القَريضُ والخُطَبُ[8]

(1) السلالة الولد الصغير والخلالة العود ينقّى به الأسنان بعد الأكل وهي شبّهت ابنه بالخلالة لضعفه ورقّته.

(2) الشُبعة من الطعام هي قدر ما يشبع به مرّة ورقأ الدمع أو الدم جفّ وانقطع والطوى الجوع.

(3) قدته أي سقته وأتيت به وتعجم دعواه أي تختبر وتمتحن ما يزعم وعجم العود عضّه بالأسنان لمعرفة قوته وتحكم بيننا أي تقضي بيننا.

(4) أقبل عليه نقيض أدبر عنه أي توجّه إليه بكليته ووعيت أي فهمت وأدركت وقصص عرسك أي حديث زوجتك وبرهن الآن أي قدّم حجتك وبرهانك الآن.

(5) كشفت لبسك أي أظهرت تخليطك وما عمّيت به أمرك.

(6) أطرق أي أمال رأسه إلى صدره ولم يتكلّم أو سكت لخوف أو حيرة أو ما شابه فلم ينطق والأفعوان ذكر الأفعى وشمّر للحرب ارادها وتهيّأ لها والعوان من الحروب أشدّها أو التي قوتل فيها المرّة تلو المرّة.

(7) النحيب أشد البكاء والخصائص الفضائل وما يختص به من حميد الأفعال والريب الشكوك وغسّان قبيلة ومنهم غساسنة الشام قبل الإسلام.

(8) التبحّر التوسع وطلابي أي مطلوبي وحبذا من أفعال المدح وهي هنا بمعنى ونعم المطلب أو ما أحبّ هذا المطلب والقريض الشعر.

أغـوصُ فـي لُـجّـةِ الـبَـيـان فـأخـ ـتـارُ الـلآلـي مـنـهـا وأنْـتَـخِـبُ[1]
وأجْـتَـنـي الـيـانِـعَ الـجَـنـيَّ مـنَ الـ ـقـوْلِ وغـيـري لـلـعـودِ يـحْـتَـطِـبُ[2]
وآخُــذُ الــلـفْــظَ فِـضّــةً فــإذا مــا صُـغْـتُـهُ قـيــلَ إنّــهُ ذهــبُ
وكُـنـتُ مـنْ قـبـلُ أمْـتَـري نـشَـبـاً بـالأدَبِ الـمُـقْـتَـنـى وأحـتَـلِـبُ[3]
ويـمْـتَـطـي أخْـمَـصـي لُـحـرْمَـتِـهِ مَـراتِـبـاً لـيـسَ فـوقَـهـا رُتَـبُ[4]
وطـالَـمـا زُفّـتِ الـصِّـلاتُ إلـى ربْـعـي فـلـمْ أرْض كـلَّ مـنْ يـهَـبُ[5]
فـالـيـوْمَ مَـنْ يـعْـلَـقُ الـرّجـاءُ بـهِ أكـسَـدُ شـيءٍ فـي سـوقِـه الأدَبُ
لا عِـرْضُ أبْـنـائِـهِ يُـصـانُ ولا يُـرْقَـبُ فـيـهِـمْ إلٌّ ولا نـسَـبُ
كـأنّـهُـمْ فـي عِـراصِـهِـمْ جِـيَـفٌ يُـبْـعَـدُ مـنْ نـتْـنِـهـا ويُـجْـتَـنَـبُ[6]

(1) اللجّة معظم الماء وجعلها للبين على سبيل المجاز واللآلي جمع اللؤلؤ وأختار وأنتخب معناهما واحد.

(2) أجتني أي أقتطف أو أجمع واليانع الأحمر من كل شيء ومن الثمر هو الناضج الذي حان قطافه والجنيّ من الثمر ما جُني منه من ساعته أو ما دام طرياً ويحتطب يجمع الحطب يقول إنه لمهارته وفنه يختار ويجتني كل جيد وطريف من القول وأما غيره فلا يرجع إلا بحطب أي بألفاظ يابسة لاريعان فيها ولا فضل.

(3) امترى الشيء استخرجه وهو هنا بمعنى اكتسب والنشب الأصيل من المال والدواب والمقتنى وقيل المنتقى والمغتنى أي المختار وأحتلب من الحلب وهو هنا بمعنى الاكتساب أيضاً.

(4) امتطى أي ركب وهي هنا بمعنى علا والأخمص من القدم باطنها ولحرمته أي لشرفه ورفعته والرتب جمع رتبة وهي المرتبة والدرجة يقول إن باطن قدمه لشرفه ورفعته كان يطأ رتباً ليس فوقها رتب.

(5) زفّت حملت كأنها العروس تحمل إلى بعلها والصلات جمع صلة وهي العطايا والجوائز والهدايا وربعي منزلي وقوله لم أرض كل من يهب يريد به أنه لم يقبل إلا من الأشراف والسادة العظام.

(6) من يعلق الرجاء به أي من يؤمّل خيره ويصان يحمى ويحفظ والإل العهد والأمان والقرابة وعراصهم جمع عرصة وهي ساحة الدار أو الفسحة بين الدور لا بناء فيها وهي هنا تعني الدار والمنزل والجيف واحدتها جيفة وهي جثة الميت وقد أنتنت يقول إن من يناط الرجاء به في هذه الأيام لا تنفق عنده سوق الأدب وأن أبناء هذه الأيام مرذولون فلا عرضهم يصان ولا يراعى لهم عهد ولا قرابة ولا ذمام وهم في دورهم منبوذون وكأنهم جثث موتى قد أنتنت.

فـحـارَ لُـبّـي لِـمـا مُـنـيـتُ بـهِ ... مـنَ الـلّـيـالـي وصـرْفُـهـا عـجَـبُ[1]
وضـاقَ ذرْعـي لـضـيـقِ ذاتِ يَـدي ... وسـاوَرَتْـنـي الـهُـمـومُ والـكُـرَبُ[2]
وقـادَنـي دهْـري الـمُـلـيـمُ إلـى ... سُـلـوكِ مـا يـسـتَـشـيـنُـهُ الـحـسَـبُ
فـبِـعْـتُ حـتـى لـم يـبْـقَ لـي سـبَـدٌ ... ولا بَـتـاتٌ إلـيْـهِ أنْـقَـلِـبُ[3]
وادّنْـتُ حـتـى أثـقَـلـتُ سـالِـفَـتـي ... بـحَـمـلِ دَيـنٍ مـن دونـه الـعـطَـبُ[4]
ثـمّ طـوَيـتُ الـحَـشـا عـلـى سـغَـبٍ ... خـمْـسـاً فـلـمـا أمَـضّـنـي الـسّـغَـبُ
لـمْ أرَ إلا جِـهـازَهـا عـرَضـاً ... أجـولُ فـي بـيـعِـه وأضْـطَـرِبُ[5]
فـجُـلْـتُ فـيـهِ والـنّـفْـسُ كـارِهَـةٌ ... والـعـيـنُ عَـبـرَى والـقـلـبُ مُـكـتَـئِـبُ
ومـا تـجـاوزْتُ إذ عـبـثْـتُ بـهِ ... حَـدَّ الـتَـراضـي فـيـحـدُثَ الـغـضَـبُ[6]
فـإنْ يـكُـنْ غـاظَـهـا تـوهُّـمُـهـا ... أنّ بَـنـانـي بـالـنّـظْـمِ تـكـتـسِـبُ

---

(1) مني بالشيء ابتلي به وصرف الليالي تقلبها وتصرفها بكل مكروه يقول إن الحيرة قد امتلكت عليه لبه واستبدت بعقله لما يجده من تقلّبات الأيام التي لا منطق يحكمها ولا ضابط يضبطها.

(2) ضاق ذرعي أي ضاق صدري ويضيق المرء ذرعاً بالأمر إذا لم يعد يجد في نفسه القدرة على تحمّله وقبوله وضيق ذات اليد أي الحاجة والعوز وساورتني أي واثبتني والكرب الهموم.

(3) المليم الذي أتى ما يستحق عليه اللوم ويستشينه من الشين وهو العيب أي ما يستعيبه والحسب شرف المرء الثابت بأعماله واباته وأما السبد وفي رواية اللبد، فلقد جاء في أمالي القالي: «ما له سبد ولا لبد، أي ما له ذو سبد وهو الشعر، ولا ذو لبدٍ وهو الصوف، فمعناه: ما له شاة ولا عنز. وما له سارحة ولا رائحة، أي ما له ماشية تسرح أو تروح» وجاء في خزانة الأدب: «ما له سبد ولا لبد فمعناه: ما له ذو سبد وهي الإبل والمعز ولا ذو لبد وهي الغنم. ثم كثر ذلك حتى صار مثلاً مضروباً للفقر فقيل لكل من لا مال له أي شيء كان» وأما البتات فالزاد ومتاع البيت.

(4) وادنت افتعال من الدين أي تداينت واستدنت والسالفة صفحة العنق وقيل مقدمه والعطب الهلاك يقول إنه قد اقترض واستدان حتى أثقل الدين عنقه أي جعله ذليلاً لا يرفع رأسه.

(5) الحشى الجوف والسغب الجوع وأمضّ أحرق يقول إنه قد أمضى خمسة أيام جائعاً لم يدخل جوفه شيء فلما أحرقه الجوع رأى جهازها أي ما جاءت به من متاع عرضاً أي مالاً فالعرض كثرة المال وأجول فيه أي أتصرّف وأضطرب أي أكثر التصرّف والترداد.

(6) يقول فرحت أتصرف بمتاع المرأة والعين عبرى أي دامعة باكية والقلب مكتئب أي حزين وما تجاوزت أي ما تعديت إذ عبثت به أي تحكمت وتصرّفت به حد التراضي أي لم أفعل ما فعلت إلا برضى منها ومني كيلا يحدث الغضب.

أو أنّـنـي إذ عـزمـتُ خِـطـبَـتَـهـا زخْرَفـتُ قـوْلي لـيـنـجَـحَ الأرَبُ[1]
فــوالّــذي ســارَتِ الــرّفــاقُ إلــى كـعْـبَـتِـهِ تـسـتَـحـثُّـهـا الـنُّـجُـبُ
ما الـمكْرُ بالمُحصَناتِ من خُلُقي ولا شِـعـاري الـتّـمـويـهُ والـكـذِبُ[2]
ولا يَــدي مُــذْ نــشــأتُ نــيــطَ بــهــا إلا مَــواضــي الـيَـراعِ والــكُــتُــبِ
بـل فِـكْـرَتـي تـنـظِـمُ الـقَـلائِـدَ لا كـفْـي وشـعـري الـمنـظـوم لا الـسُّـخُـبُ[3]
فـهَــذِهِ الـحِـرفَـةُ الـمُـشـارُ إلـى مـا كُـنـتُ أحـوي بـهـا وأجـتَـلِـبُ
فـأذَنْ لـشَـرْحـي كـمـا أذِنـتَ لـهـا ولا تُـراقِـبْ واحـكُـمْ بـمـا يـجِـبُ[4]

قال: فلمّا أحكَم ما شادَهُ، وأكملَ إنشادَهُ، عطَفَ القاضي إلى الفَتاة[5]، بعْدَ أن شُعِفَ بالأبياتِ[6]، وقال: أمَا إنّهُ قدْ ثبَتَ عندَ جميع الحُكّامِ، ووُلاةِ الأحْكامِ،

(1) يقول ولئن كان غاظها أي أسخطها وأغضبها توهمها أي ظنها وحسبانها أن بناني أي طرف الإصبع والمراد هنا اليد كلها التي تنظم اللآلئ أو أنني إذ عزمت أي وطّنت النفس على خطبتها قد زخرفت قولي أي زينته وبهرجته لينجح الأرب أي لتقضى الحاجة.

(2) يقسم هنا بمن تسير الخلق إلى كعبته تستحثّها أي تستعجلها النجب وهي جمع نجيبة أي الكريمة من الإبل بأن المكر بالمحصنات أي خداع العفيفات ليس من خلقه أي من طبعه ولا التمويه أي طلاء الشيء ليخفي لونه الأصلي ولا الكذب رائده وعلامته.

(3) يقول ولا نيط بيدي أي علّق بها منذ نشأت إلا اليراع أي الأقلام المواضي أي المسرعة في الكتابة والكتب أي الرسائل التي يخطّها ويكمل فيقول بأن فكره لا يده هو الذي ينظم القلائد وهي جمع قلادة أي ما تقلد به المرأة من ذهب أو غيره للزينة ويعني بذلك القصائد والمقطعات البديعة من القول فشعره هو المنظوم لا السخب والسخب جمع سخاب وهي قلادة من قرنفل ليس فيها جوهر ولا لؤلؤ وقيل بأنها عقود اللؤلؤ والطيب وغيرهما.

(4) يقول تلكم هي حرفتي أي صنعتي التي أشرت إليها والتي كنت أحوي أي أحوز وأجمع بها الكسب وأجتلبه ثم يخاطب القاضي فيسأله أن يقبل شرحه كما قبل شرحها أي قولها ولا تراقب أي لا تراع أحداً منا ولا تؤثر أحدنا على الآخر واحكم بما يجب.

(5) أحكم ما شاده أي أتقن ما بناه من قول فأشاد الحديث رفعه والإنشاد قراءة الشعر بصوت عال وعطف مال والتفت.

(6) شعف وشغف بالشيء فتن به وأحبه.

انقِراضُ جيلِ الكِرامِ، وميْلُ الأيامِ إلى اللّئامِ[1]. وإني لإخالُ بعْلَكِ صَدوقاً في الكلامِ، برِيّاً من المَلامِ[2]؛ وها هو قدِ اعتَرَفَ لكِ بالقَرْضِ، وصرّحَ عنِ المَحْضِ[3]، وبيّنَ مِصْداقَ النّظْمِ، وتبيّنَ أنّه مَعروقُ العظْمِ[4]، وإعْناتُ المُعْذِرِ مَلأمَةٌ، وحبْسُ المُعسِرِ مأثَمةٌ[5]! وكِتْمانُ الفَقْرِ زَهادَةٌ، وانتِظارُ الفَرَجِ بالصّبرِ عِبادَةٌ[6]! فارْجِعي إلى خِدرِك، واعذُري أبا عُذْرِكِ[7]! ونَهْنِهي عن غَرْبِكِ، وسلّمي لقَضاءِ ربّكِ[8]! ثمّ إنّهُ فرضَ لهُما في الصّدقاتِ حِصّةً! وناوَلَهُما منْ دَراهِمِها قُبصَةً[9]. وقال لهُما: تعلّلا بهذه العُلالَةِ، وتندّيا بهذِهِ البُلالَةِ، واصْبِرا على كيْدِ الزّمانِ وكدّهِ[10]، . . . .

(1) الانقراض الانقطاع والفناء والميل الهوى والانحياز يقول إنه قد بات مؤكداً عند القضاة انقطاع وفناء أهل المكارم وانحياز الأيام إلى اللئام.

(2) إخال أحسب وأظن وبعلك زوجك والصدوق الدائم الصدق والبري من الملام الذي لا لوم عليه.

(3) القرض السلف يريد ما أخذه من متاع المرأة لينفقه وصرّح بيّن وأظهر والصريح من الحليب الذي لا رغوة فيه وصرّح عن المحض مثل يضرب للسر إذا انكشف يقول إن المدعى عليه قد اعترف بالسلف أي بالقرض وكشف السر وجلاه.

(4) بيّن أي أظهر والمصداق الدليل على الصدق ويريد بقوله مصداق النظم أن نظمه الذي أنشده هو دليله على أن الشعر هو الجوهر ومعروق العظم تقال في الفقير فالعظم المعروق الذي أخذ لحمه عنه.

(5) أعنت المرء إعناتاً أي حمّله ما لا يطيق والمعذر من قدّم عذره فلا لوم عليه والملأمة اللؤم والمعسر ما كان في عسر أي الفقير والمأثمة الإثم.

(6) كتمان الشيء ستره وإخفاؤه والزهادة الزهد يقول إن التستر على الفقر زهد وانتظار الفرج مع الصبر تعبّد وهذه العبارة تلاحظ حديثاً عن النبي رواه ابن عمر يقول انتظار الفرج بالصبر عبادة.

(7) الخدر للمرأة بيتها وأبو عذرك تقال في من تولّى من المرأة فض بكارتها وأزال عذرتها وهو هنا زوجها.

(8) نهنهه عن الشيء كفّ وزجر عنه والغرب الدمع في مسيله يقول كفّي عن البكاء وكلي أمرك لله يحكم فيه كما يشاء.

(9) القبصة ما يؤخذ بأطراف الأنامل يقول ان القاضي قد فرض بحصة تعطى لهما من مال الصدقات وناولهما قبصة من ذلك المال شيئاً يسيراً.

(10) تعلل بالشيء تشاغل والتهى به والعلالة ما يتعلل به وهي ما تبقى من الحليب أو غيره وهي ما =

فعَسى اللهُ أنْ يأتيَ بالفَتْحِ أو أمْرٍ من عِندِه[1]! فنَهَضا وللشّيخِ فرْحَةُ المُطْلَقِ من الإسارِ، وهِزّةُ الموسِرِ بعْدَ الإعْسارِ[2].

قال الرّاوي:

وكنتُ عرفْتُ أنهُ أبو زيدٍ ساعةَ بزغَتْ شمسُهُ، ونزغَتْ عِرسُهُ[3]. وكِدْتُ أُفصِحُ عن افتِنانِه، وأثْمارِ أفْنانِه[4]. ثمّ أشفَقْتُ من عُثورِ القاضي على بُهتانِه، وتزْويقِ لِسانِه، فلا يرَى عندَ عِرْفانِه، أن يُرشِّحَهُ لإحسانِه[5]. فأحْجَمْتُ عنِ القوْلِ إحْجامَ المرْتابِ، وطوَيتُ ذكْرَهُ كطَيّ السّجِلّ للكِتابِ[6]. إلا أني قُلتُ بعدَما فصَلَ. ووصلَ إلى ما وصَلَ: لوْ أنّ لَنا مَنْ ينطَلِقُ في أثَرِه، لأتانا بفَصّ خبَرِهِ، وبِما يُنْشَرُ من حِبَرِهِ[7]! فأتبَعَه

= حلب بعد الفيقة أي الحلبة الأولى وتندّى المكان أو الشخص أصابه الندى والظمآن تروّى والبلالة القليل من الندى يبل وجه الأرض وكيد الزمان مكره وكدّه أي جهده وتعبه.

(1) العبارة هذه من الآية 52 في سورة المائدة.

(2) المطلق الذي أُخلِيَ سبيله والإسار الحبال أو القيد يشدّ به الأسير وهزّة الطرب والاهتزاز والموسر الغني والإعسار الفقر يقول إن الشيخ أي السروجي نهض فرحاناً فرح أسير فكّ أسره واهتز طرباً كمن استغنى بعد عسر وفاقة.

(3) بزغت أي طلعت الشمس أو القمر أو الناب في الفم ونزغ فلان فلاناً أي اغتابه وتناوله بكل قبيح ونزغ بين القوم أي حمل بعضهم على بعض وفي سورة يوسف «بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي» وعرس الرجل حليلته أي زوجته.

(4) افصح أي أبين وأخبر فالأمر إذا أفصح بان وظهر والافتنان في الحديث الأخذ بالفنون الحسنة منه والافتنان في العمل التصرف والتوسّع فيه.

(5) أشفقت أي خفت والعثور على الشيء الاطلاع عليه وظهوره والبهتان الباطل والكذب وتزويق اللسان ما يزينه من من زخرف القول وعند عرفانه أي عند التعرف على حقيقته والوقوف على أمره ويرشحه لأمر ما أي يهيّئه ويعدّه له والإحسان المعروف والعطاء يقول إنه قد عرف أن الرجل إنما هو السروجي ولكنه خشي أن يصرّح بذلك للقاضي فيحرمه إحسانه ومعروفه.

(6) أحجم عن الشيء كفّ عنه ونكص وجبن والمرتاب صاحب الريبة أو الشك وطويت أي سترت والسجل الورق والكتاب أي ما كُتب فيها وعبارة طي السجل للكتاب قرآنية: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ الأنبياء: 104.

(7) فصل عن المكان خرج منه وفي القرآن: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ وانطلق ذهب ومرّ وأتانا =

القاضي أحدَ أُمنائِهِ، وأمرَهُ بالتّجسّسِ عنْ أنبائِهِ. فما لبِثَ أنْ رجَعَ مُتَدَهْدِهاً، وقهْقَرَ مُقهْقِهاً[1]، فقال له القاضي: مَهْيَمْ. يا أبا مرْيَمَ[2]؟ فقال: لقدْ عايَنْتُ عجَباً، وسمعْتُ ما أنْشأ لي طرَباً. فقال لهُ: ماذا رأيتَ، وما الذي وعَيْتَ[3]؟

قال: لمْ يزَلِ الشيخُ مذْ خرَجَ يُصفّقُ بيَدَيْهِ، ويخالِفُ بينَ رِجلَيْهِ، ويغرّدُ بمِلء شِدْقَيْهِ، ويقول[4]:

كِـدْتُ أصْـلَـى بـبَـلِـيّـةْ   مِـنْ وَقـاحٍ شَـمّـرِيّـةْ[5]

وأزورُ الـسّـجْـنَ لـوْلا   حـاكِـمُ الإسـكـندريّـةْ

فضحِكَ القاضي حتى هوَتْ دنّيّتُهُ، وذوَتْ سكينَتُهُ[6]، فلمّا فاء إلى الوَقارِ،

= بالشيء جاءنا به وفصّ الأمر حقيقته التي لا لبس فيها وينشر يظهر والحبر ثياب يمنية مزينة وأراد بها هنا المزوّق من الكلام.

(1) أتبعه أي قفّاه وتطلّبه والأنباء الأخبار وتدهده الحجر تدحرج من فوق إلى أسفل وفي الحديث أن حجراً مكث يتدهده في الجحيم سبعين عاماً حتى بلغ وادياً فيها اسمه هبهب والتقهقر الرجوع إلى الخلف والقهقهة صوت الضحك وهي المبالغة في الضحك.

(2) مهيم وتلفظ كمريم كلمةٌ يُسْتَفْهَمُ بها، معناها: ما حالُكَ وما شأنك عن الصحاح وفي حديث الدجال: فأخذ بِلَجْفَتَي البَاب فقال: مَهْيَمْ؟ أي ما أَمْرُكُم وشَأْنكم. وهي كَلِمةٌ يَمانِيَّةٌ.

(3) عاين الشيء وقف عليه ورآه بعينيه وأنشأ أي أحدث ووعيت أي حفظت.

(4) التصفيق هو ضرب كف بكف وكان ذلك في الماضي علامة استهجان وإنكار فيصفق المرء لما يرى أو يسمع على أنها هنا تصفيق لا إيقاع فخالف بين رجليه أي عبث فوضع رجلاً مكان الأخرى وهو ضرب من الرقص على ما ذكر الشريشي وغرّد رفع صوته في الغناء وطرّب به وتقال في الطائر.

(5) صلى الأمر وصلى به عانى شدّته وتعبه وصلى النارَ احترق فيها والبلية المصيبة والوقاح وتقال للذكر والأنثر ذات الوقاحة والوقاحة صلابة الوجه والشمّرية الجادة فيما تحاول من أمر فلقد جاء في لسان العرب أن: الشِّمِّيرُ كسكيتٍ من أبنية المُبالغةِ هو المُشمرُ المُجدُّ الماضي في الأمورِ وأما الشريشي فلقد فسرها أنها شديدة القحة أي الوقاحة وروى عن الأصمعي هذه الطرفة: سألت أعرابياً وقد خرج من الصلاة: ما قرأ الإمام قال: ما أدري إلاّ أنه وقع بين موسى وفرعون شمرّية.

(6) هوت أي سقطت والدنية قلنسوة يعتمرها القضاة والأكابر وذوت فترت وخمدت والسكينة هنا بمعنى الوقار يريد أن القاضي قد ضحك حتى وقعت قلنسوته وزال وقاره.

وعقّبَ الاستِغْراب بالاستِغْفارِ[1]، قال: اللهُمّ بحُرمَةِ عِبادِكَ المقرّبينَ حرّمْ حبْسي على المتأدّبينَ. ثمّ قال لذلِكَ الأمين: عليّ بهِ! فانطلقَ مُجِدّاً بطلَبِه[2]، ثمّ عادَ بعدَ لأيِهِ، مخبّراً بنأيِهِ[3]. فقال لهُ القاضي: أمَا إنّهُ لوْ حضَرَ، لكُفيَ الحذرَ[4]، ثمّ لأوْلَيْتُهُ ما هو به أوْلى، ولأرَيتُهُ أنّ الآخِرَةَ خيرٌ لهُ من الأولى[5].

قال الحارثُ بنُ همّام: فلمّا رأيتُ صَغْوَ القاضي إليهِ[6]. وفَوْتَ ثمرَةِ التّنبيهِ علَيْهِ[7]. غَشِيَتني نَدامَةُ الفرَزْدَقِ حينَ أبانَ النّوارَ[8]، والكُسَعيّ[9] لمّا استَبانَ النّهار.

---

(1) فاء أي عاد ورجع وعقّب أي اتبع والاستغراب الإغراق في الضحك والاستغفار طلب المغفرة من الله.

(2) عليّ به أمر بمعنى ائتِنِ به المجد في فعل الشيء المجتهد غير المتواني.

(3) واللأي الإبطاء والنأي البعد.

(4) كُفي الحذر أي حُفظ مما يخشى ويخاف.

(5) أوليته أي أنلته وأعطيته أولى أحق يقول لو أنه جاء لأعطيته ما هو أهل له ولحفظته مما يخشى والآخرة خير من الأولى آية قرآنية من سورة الضحى يريد بالأولى ما أعطاه حين حاكمته المرأة والآخرة ما كان ينوي له من خير.

(6) الصغو الميل وروى البعض الصفو وهو الصفاء لا يشوبه شيء.

(7) الفوت الذهاب يريد أنه حين لاحظ ميل القاضي إلى السروجي وأنه هو أي الحارث قد فوّت فرصة التنبيه عليه أي إعلام القاضي بأمره كي يكرمه والإكرام هو ثمرة التنبيه.

(8) غشيتني غطتني ولحقتني والفرزدق الشاعر المعروف وهو الفرزدق (.. - 110هـ = .. - 728 م) همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشهير بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه: شاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعره لذهب نصف أخبار الناس. يشبه بزهير بن أبي سلمى. وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين. له ديوان وجمعت مهاجاته مع جرير والأخطل في كتاب النقائض طبع في ثلاثة مجلدات وتوفي في بادية البصرة، وقد قارب المئة. وكان قد طلّق زوجته النوار ثم ندم ندماً شديداً فضرب به المثل.

(9) الكسعي رجل جاهلي صنع قوساً وفي ليلة سنحت أمامه عير فرماها الواحدة تلو الأخرى وكان في كل مرة يرمي فيها يرى شرراً ينبعث من صخرة فحسب أن سهامه طاشت وأن قوسه التي صنع رديئة فكسرها فلما طلع النهار رأى العير مجندلة صرعى وأن سهامه اخترقتها ثم أصابت الحجر فعضّ إبهامه حتى أتلفها ندماً وصار مثلاً يضرب لمن يقدم على أمر ثم يندم بقوة.

المقامة الرّحبيّة

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

هتَفَ بي داعي الشّوْقِ، إلى رَحبَةِ مالِكِ بن طَوْقٍ[1]. فلبّيتُهُ مُمتَطِياً شِمِلّةً، ومُنتَضياً عَزْمَةً مُشمَعِلّةً[2]. فلمّا ألقيتُ بها المَراسي، وشدَدْتُ أمراسي، وبرَزْتُ منَ الحَمّام بعدَ سبتِ راسي[3]، رأيتُ غُلاماً أُفرِغَ في قالَبِ الجَمالِ، وأُلبِسَ من الحُسنِ حُلّةَ الكَمال، وقدِ اعْتَلَقَ شيخٌ برُدْنِهِ، يدّعي أنّهُ فتَك بابنِهِ[4]. والغُلامُ يُنكِرُ عِرفَتَهُ،

(1) هتف تقال للحمام إذا صات أو مدّ صوته وللإنسان إذا صاح داعياً والداعي هو المؤذّن وهو السبب وأما مالك بن طوق فلقد جاء في تعريفه في الأعلام للزركي ما يلي: مالك بن طوق بن عتاب التغلبي، أبو كلثوم: أمير. كان من الأشراف الفرسان الأجواد. ولي إمرة دمشق للمتوكل العباسي. وبنى بمساعدة الرشيد بلدة «الرحبة» التي على الفرات، وتعرف برحبة مالك، نسبة إليه. وكثر سكانها في أيامه. وكان فصيحاً، له شعر (ت 873 م). وأما الرحبة لغة فالأرض الواسعة وهي أيضاً من الوادي مسيل مائه ومن البيت ساحته.

(2) لبيته أي أجبته وممتطياً أي راكباً والشملّة الناقة السريعة ومنتضياً أي مجرداً من قولك انتضى السيف إذا جرّده لقتال والعزم هو الثبات والشدّة يوطّن المرء نفسه عليه والعزمة الواجب المفروض والمشمعلّة التي لا تواني فيها.

(3) ألقيت أي طرحت والمراسي وهي جمع مرساة ما يلقى في الماء ليحبس السفينة عن الحركة والأمراس الحبال التي تربط بها السفينة إلى البر ومراد القول أنه أراد الإقامة فيها أي في الرحبة وبرزت ظهرت وخرجت وسبت الرأس سبوتاً حلقه ويقول الشريشي إن المشارقة اعتادوا حلق رؤوسهم إذا دخلو الحمام.

(4) أفرغ أي صبّ والقالب ما تفرغ فيه الجواهر ليكون مثالاً لما يصنع منها والحلة القميص أو الإزار وهي الثوب الذي يستر الجسد كله واعتلق أي تعلّق وأمسك والردن الكم أو هو أصل الكم أو طرفه الواسع وكانت العرب تضع فيه النقود ويدّعي أي يزعم وفتك أي قتل ولكن غيلة فالفتك أن تقتل آمناً أو تكمن له في موضع لا يعرف بك ثم صار الفاتك من أقدم على العظيم من الأمور.

ويُكْبِرُ قِرفَتَهُ[1]، والخِصامُ بينَهُما مُتطايِرُ الشَّرارِ، والزِّحامُ عليهِما يجمَعُ بين الأخيارِ والأشرارِ، إلى أن تَراضَيا بعْد اشتِطاطِ اللَّدَد، بالتّنافُرِ إلى والي البلَدِ[2]، وكان ممّن يُزَنّ بالهَناتِ، ويغلِّبُ حُبَّ البَنين على البَناتِ[3]! فأسْرَعا إلى ندْوَتِه، كالسُّلَيْكِ في عَدْوَتِه[4]. فلمّا حضَراه؛ جدّدَ الشيخُ دعْواهُ، واستَدْعى عدْواهُ[5]. فاستَنطَقَ الغُلامَ وقدْ فتَنَهُ بمحاسِنِ غُرّتِه، وطَرَّ عقلَهُ بتصْفيفِ طُرّتِهِ[6]، فقالَ: إنّه أفيكَةُ أفّاكٍ، على غيرِ سفّاكٍ! وعَضيهَةُ مُحْتالٍ، على منْ ليس بمُغْتالٍ[7]. فقال الوالي للشّيخ: إنْ شهِدَ لكَ عدْلانِ منَ المُسلِمين، وإلا فاسْتَوْفِ منهُ اليَمينَ[8]! فقال الشيخُ: إنّهُ جدّلَهُ خاسياً، وأفاحَ دمَهُ خالياً، فأنّى لي شاهِدٌ، ولم يكُنْ ثَمّ مُشاهِدٌ[9]؟ ولكِنْ ولّني تلْقينَهُ

(1) عرفته أي معرفته ويكبر أي يرى الأمر كبيراً والقرفة التهمة وقرف الرجلَ بأمر أي اتهمه به.

(2) تطاير الشرار كناية عن استعار الخصومة واحتدادها بين الاثنين والاشتطاط الابتعاد عن الحق والجور واللدد الخصومة والعداء والتنافر التفاخر والتحاكم والأخيرة هي المراد.

(3) زنّ الرجلُ الرجلَ بخير أو شر ظنه فيه وهي هنا بمعنى يُتهم ويُرمى والهنات جمع الهنة وهذه مؤنث الهن وهي هنا القبائح وما يعيب والمراد أن القاضي ممن يرمى باللواط وهو معنى تغليب أي تفضيل حب البنين أي الغلمان على البنات.

(4) الندوة المجلس والسليك بن السلكة شاعر جاهلي اشتهر بالعدو والعلم بمسالك الأرض. توفي حوالي 605 م والعدو الركض.

(5) الدعوى الاسم من الادّعاء وفي القضاء هي قول يطلب به إنسان إثبات الحق على الغير واستدعى أي طلب والعدوى الاستعانة بمن يُعدي أي ينتقم ممن يظلم.

(6) استنطق القاضي الرجلَ طلب منه قول ما يعرفه عن قضية ينظر فيها والغرّة من الشيء أوله ومعظمه وطلعته وغرّة الرجل وجهه والتصفيف التزيين وطرّ الشيء قطعه أو سلبه والطرّة الناصية أي الشعر المعتدل على الجبهة.

(7) الأفكية الكذبة العظيمة والأفاك والأفيك والأفوك الكذّاب والسفّاك مبالغة في السافك وهو من يسفك ويسفح الدم والعضيهة الزور والكذب والبهتان والكلام القبيح والمغتال من يقتل غيلة وقد تقدم فيها القول.

(8) العدل من الشهود هو العادل المشهور بصلاحه والمرضيّ الشهادة واستوفى الحقّ أخذه كاملاً.

(9) جدّله أي صرعه إلى الأرض والخاسي من خسأ أي الصاغر الذليل وأفاح أراق وخالياً أي متفرداً وأنّى بمعنى من أين وفي القرآن: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ﴾ و﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ وثمّ وثمّة بالفتح اسم ظرف للبعيد بمعنى هناك.

اليَمينَ، ليَبينَ لكَ أيصْدُقُ أم يَمينُ[1]؟ فقال لهُ: أنتَ المالِكُ لذلك، معَ وجْدِكَ المُتَهالِك، على ابنِكِ الهالِك[2]. فقال الشيخُ للغُلام: قُلْ والذي زيّن الجِباهَ بالطُّرَرِ، والعُيونَ بالحَوَرِ[3]، والحَواجِبَ بالبَلَجِ، والمباسمَ بالفلَجِ[4]، والجُفونَ بالسّقَمِ، والأنوفَ بالشّمَمِ[5]، والخُدودَ باللّهَبِ، والثّغورَ بالشّنَبِ[6]، والبَنانَ بالتّرَفِ، والخُصورَ بالهيَفِ[7]، إنّني ما قتَلْتُ ابْنَكَ سهْواً ولا عمْداً، ولا جعلْتُ هامَتَهُ لسَيْفي غِمْداً[8]، وإلا فرَمى اللهُ جَفْني بالعمَشِ، وخدّي بالنّمَشِ[9]، وطُرّتي بالجلَحِ، وطَلْعي بالبَلَحِ[10]، . . . .

---

(1) ولّني فعل أمر من ولّى وولّى فلاناً الأمر جعله والياً عليه وهي هنا بمعنى مكّنه وتلقينه تفهيمه فلَقِن الشيء فهمه سريعاً والمين الكذب عمداً وعن علم.

(2) أنت الملك للشيء أي أنت صاحب الحق فيه والوجد الحزن وتهالك تساقط وتمايل وتهالك على الشيء حرص عليه وجدّ فيه مستعجلاً والهالك الميت الفاني.

(3) الجباه جمع جبهة وهي ما بين الحاجبين إلى الناصية والطرّة تقدّم ذكرها والحور في العيون شدة اسوداد المقلة مع شدة بياضها مع بياض الحسن.

(4) البلج افتراق الحاجبين ووضوح ونقاء ما بينهما والمباسم جمع مبسم أي الثغر والفلج تباعد ما بين الأسنان وهو من علامات الحسن عند العرب.

(5) الجفن غطاء العين من فوق ومن أسفل والسقم العلة والوهن وهو هنا الفتور وكان من علامات الحسن في العين فتورها والأنوف جمع أنف والشمم ارتفاع ولين في الأنف وهو من علامات الحسن والكرامة وعدم الذلّة.

(6) اللهب النار بلا دخان وهو هنا حمرة الخدود ووضاءتها والثغور جمع ثغر والثغر هو الفم وهو مقدم الأسنان وهو كل فرجة في شيء والشنب صفاء الأسنان وجمال الثغر.

(7) البنان جمع بنانة والبنان أطراف الأصابع والترف الرغد والنعمة وسعة العيش وتَرِفَ المرء تنعّم والعشب كثرت مائيته وبالتالي فترف البنان لينها ومائيتها ولدونتها والخصور جمع خصر وهو المستدق الذي فوق الورك من الإنسان والهيف ضمور البطن ورقة الخاصرتين.

(8) سهواً أي خطأ وعمداً أي عن قصد والهامة من كل شيء رأسه والغمد للسيف غلافه.

(9) رمى الله وهي هنا دعاء بمعنى أصاب أو ابتلى الله والعمش ضعف البصر مع سيلان الدمع أحياناً كثيرة والنمش وهو مستبشع عندهم نقط بيض أو سود تقع في الجلد تخالف لونه.

(10) الطرّة تقدّم ذكرها والجلح انحسار الشعر وانكشافه عن جانبي الرأس والطلع في النخل الثمر أول ظهوره والبلح حمل النخل مادام أخضر.

ووَرْدَتي بالبَهارِ، ومِسْكَتي بالبُخارِ[1]، وبَدْري بالمُحاقِ، وفِضّتي بالاحْتِراقِ[2]، وشُعاعي بالإظْلامِ، ودَواتي بالأقْلامِ[3]!

فقالَ الغُلامُ:

الاصْطِلاءَ بالبَلِيّةِ، ولا الإيلاءَ بهذِه الأَلِيّةِ[4]. والانقِيادَ للقَوَدِ، ولا الحَلِفَ بما لمْ يحلِفْ بهِ أحدٌ[5]. وأبى الشيخُ إلا تجْريعَهُ اليَمينَ التي اخترَعَها، وأمْقَرَ لهُ جُرَعَها[6]. ولم يزَلِ التّلاحي بينَهُما يستَعِرُ، ومَحجّةُ التّراضي تعِرُ[7]، والغُلامُ في ضِمْنِ تأبّيهِ، يخْلُبُ قلْبَ الوالي بتلوّيهِ، ويُطْمِعُهُ في أنْ يلبّيهِ[8]. إلى أن رانَ هَواهُ على قلْبِهِ، وألَبّ بلُبّهِ[9]، فسوّلَ لهُ الوجدُ الذي تيّمَهُ، والطّمَعُ الذي توَهّمَهُ، أنْ

---

(1) البهار هو العرار ويقال له عين البقر وهو نبات طيّب الرائحة له زهرة صفراء تنبت في الربيع ومراد الفتى أن ينقلب لون خديه من الوردي إلى الصفرة وهو مكروه في الغلمان والمسك مادة عطرية فاخرة يفرزها غزال المسك والبخار وهو البخر أي الرائحة المتغيرة الكريهة في الفم.

(2) البدر هو القمر في تمامه والمحاق ما يُرى منه بعد ذلك تناقصاً في جرمه وضوئه واحتراق الفضة تحوّل لونها إلى السواد.

(3) الدواة هي المحبرة أي وعاء الحبر تستمد منه الأقلام وأراد بالدواة الإست وبالأقلام أيور اللاطة يدعو على نفسه بذلك إن هو كذب في حلفته.

(4) الاصطلاء بالنار الاستدفاء بها وفي ذلك معنى الدنو والقرب وبالتالي يصبح الاصطلاء هنا بمعنى الابتلاء بتلك البلية والإيلاء من آلى إيلاء أقسم والألية القسم أو اليمين.

(5) الانقياد الخضوع والذل وهي هنا بالمعنى الأول والقود قتل القاتل بالقتيل يقول إنه يفضل الخضوع لحكم القتل على اليمين الذين طُلِب منه ولم يسبق لأحد أن حلف به.

(6) أبى أي امتنع وجرّعه تجريعاً سقاه الماء مثلاً جرعة بعد جرعة وأمقر الشيء صار مرّاً والحليب صار حامضاً يريد أن السروجي أبى إلا أن يجرّع اليمين المرّة التي جعل جرعها أي جُملها مرّة لا تطاق.

(7) التلاحي التشاتم والملاعنة والتلاوم والتباغض يستعر أي يضطرم ويتقد والمحجّة جادّة الطريق والمقصد ومحجة التراضي أي طريق الصلح والرضا وتعر أي تصبح وعرة أي تصعب ويصعب سلوكها.

(8) تأبيه أي تمنعه وخلبه يخلبه خدعه بمنطقه وأمال قلبه وخلبت المرأة الفتى أي أصابت خلبه أي عقله وسلبته إيّاه وتلوّيه أي انعطافه وتثنّيه وأطمعه أوقعه في الطمع وأن يلبّيه أي يجيبه لمراده.

(9) ران به أو عليه غلب كما يأتي بمعنى اشتدّ وألبّ إلباباً بالمكان أقام فيه وألبّ على الأمر لزمه فلم يفارقه واللبّ الخالص من كل شيء وما ذكي من العقل والجمع ألباب وألبّ.

يُخلّصَ الغُلامَ ويستخلِصَهُ، وأن يُنقِذَهُ من حِبالَةِ الشيخِ ثمّ يقتَنِصَهُ[1]؛ فقال للشيخِ: هلْ لكَ فيما هوَ ألْيَقُ بالأقوى، وأقربُ للتّقوى؟ فقالَ: إلامَ تُشيرُ لأقْتَفيهِ، ولا أقِفُ لكَ فيهِ[2]؟ فقال: أرى أنْ تُقصِرَ عنِ القِيلِ والقالِ، وتقتَصِرَ منهُ على مئَةِ مِثْقالٍ[3]، لأتحمّلَ منْها بعْضاً، وأجْتَبي الباقيَ لكَ عُرْضاً[4]. فقالَ الشيخُ: ما مِني خِلافٌ، فلا يكُنْ لوعدِكَ إخْلافٌ[5]. فنقَدَهُ الوالي عِشرينَ، ووزّعَ على وزَعَتِهِ تكْمِلَةَ خمْسينَ[6]. ورقّ ثوْبُ الأصيلِ، وانقطَعَ لأجْلِهِ صوْبُ التّحصيلِ[7]. فقالَ: خُذْ ما راجَ، ودَعْ

---

(1) سوّل له الأمر زينّه وهوّنه والشيطان يسوّل ففي سورة محمد 25: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ وَأَمۡلَىٰ لَهُمۡ﴾ والنفس تسوّل كما في سورة يوسف 83: ﴿قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗا﴾ وفي سورة طه 96 والوجد الحب الشديد وتيّمه تتييماً ملك عليه فؤاده فاستبد به العشق والعبد تيم الله ويخلّص الشيء يجعله خالصاً نقياً ويخلّص المرء ينجيه ويستخلصه أي يختاره لنفسه والحبالة آلة تصنع من حبال ليؤخذ بها الصيد كالشبكة ويقتنصه يصطاده.

(2) لاق به ناسبه وكان أولى به وأنسب وأزكى والأقوى هنا صاحب القوة ببيّنته وبرهانه وفي سورة البقرة الآية 237: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ وأقتفيه أتّبعه وأعمل به ووقف له في الشيء توقف وامتنع عن فعله.

(3) اقصر عن الشيء كفّ عنه وأمسك مع قدرته عليه والقيل والقال القول والجواب في أمر والمراد هنا الأخذ والرد دونما جدوى اقتصر على شيء اكتفى به ولم يتجاوزه والمثقال ما يوزن به وفي النقد والموازين هو درهم وثلاثة أسباع الدرهم.

(4) تحمل ضمن وكفل واجتبى المال استخرجه من مظانّه وأما العرض فلئن كان بفتح العين والراء فهو متاع الدنيا وحطامها ويعني هنا أنه يفيه المتبقّي بما يتجر به من سلع ومتاع ولئن كان بفتح العين وتسكين الراء فهو الجانب والناحية وأحسبه يعني أنه يفيه المتبقّي من ناحية ما والمعروف أن عُرض الناس هم العامة وفي اللسان: والعُرْضُ الجانب من كل شيء وأعْرَضَ لك الظّبْي وغيره أمْكَنَكَ مِن عُرْضِه وأما إن كان بإعجام العين وفتحها وتسكين الراء كما في بعض الروايات فلقد جاء في اللسان الغَرْضُ حِزامُ الرَّحْلِ والغَرْضُ المَلْءُ والغَرْضُ النقصانُ عن المِلْءِ وهو من الأضداد وغَرَضَ الحوْضَ والسِّقاءَ يَغْرِضُهما غَرْضاً مَلأَهُما قال ابن سيده الغَرْضُ موضع ماء تَرَكْتَه فلم تجعل فيه شيئاً وأحسب أنه إلى الأخير رمى.

(5) الإخلاف في الوعد نكثه وعدم القيام به.

(6) نقد الدراهم ميّزها ونظر فيها ليعرف جيدها من رديئها ونقده المال أعطاه إيّاه والوزعة للوالي أو الحاكم وهو هنا القاضي شرطته وأعوانه يصدون الناس عن المحارم فوزعه ووزعته عن الشيء صددته عنه يقول إنه سلمه عشرين وفرّق ما تبقّى على شرطته ورجاله.

(7) ثوب الأصيل نوره ورقة الثوب هنا تعني أن الأصيل أوشك أن ينقضي والأصيل وهو الوقت من =

عنكَ اللّجاجَ[1]. وعليّ في غدٍ أنْ أتوصّلَ، إلى أن ينِضّ لكَ الباقي ويتحصّلَ[2]. فقال الشيخُ: أقْبَلُ منْكَ على أنْ ألازمَهُ ليْلَتي، ويرْعاهُ إنْسانُ مُقلَتي[3]. حتى إذا أغْفى بعْدَ إسْفارِ الصّبحِ، بِما بَقيَ منْ مالِ الصّلْحِ، تخلّصَتْ قائِبَةٌ من قُوبٍ، وبَرِئَ بَراءةَ الذّئْبِ منْ دمِ ابنِ يعْقوبَ[4]. فقالَ لهُ الوالي: ما أُراكَ سمْتَ شَططاً، ولا رُمْتَ فرَطاً[5]!

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فلمّا رأيتُ حُجَجَ الشيخِ كالحُجَجِ السُرَيجيّةِ، علِمتُ أنه علَمُ السَّروجيّةِ[6]!

= أقصى العصر إلى المغرب قد آذن بزوال والصوب المطر الذي لا يؤذي. يقول إن نور الأصيل بات خافتاً ورقيقاً مؤذناً بالمغرب فانقطع بذلك تحصيل المال.

(1) ما راج أي ما تيسّر ورواج الشيء مجيئه سريعاً واللجاج التمادي في العناد والإلحاف والإلحاح.

(2) النضّ هو الدرهم وهو الدينار وأخذ المال منه نضّاً أي نقداً، يقول دع عنك الإلحاح والعناد ولك عليّ أن يصير مطلوبك غداً نقداً.

(3) يرعاه أي يحفظه ويسهر عليه وانسان المقلة سوادها.

(4) أعفى الرجل كثُر ماله واستغنى وأيضاً أنفق الفضلة من ماله وأعفاه بحقّه وفّاه إياه وهي المراد هنا وتخلّصت قائبة من قوب مثل عربي يعني تخلّصت بيضة من فرخ وفي زهر الأكم لليوسي ج 1\ ص 221: تخلصت قائبةٌ من قوبٍ. التخلص: النجاة. خلص الرجل تخلصاً فتخلص هو: نجا؛ والقابية: البيضة؛ والقوب: الفرخ؛ وأما بالفتح فمصدر. يقال: قاب الطائر بيضته إذا فلقها، قوباً، فانقابت هي وتقوبت. ومعنى تخلصت قابية من قوب على هذا: تخلصت البيضة من الفرخ. يضرب لمن انفصل من صاحبه. وعليه ففي المثل قلب لأن الذي يتخلص هو الفرخ لا البيضة؛ غير أنه يصح إسناده إلى البيضة باعتبار كما تقول: تخلصت الحامل من ذي بطنها. وقيل إنَّ القائبة الفرخ والقوب البيضة؛ فلا قلب والأول أنسب. وانظر فصل المقال لببكر 1\463 وحياة الحيوان للدميري 2\123 والمستقصى للزمخشري 2\23 الخ أما ابن يعقوب فالنبي يوسف الذي غيّبه إخوته ثم جاءوا أباهم بقميصه وعليه دم كذب وزعموا أن الذئب أكله وصار الذئب مثلاً للمتهم البريء انظر سورة يوسف.

(5) ما أراك أي ما أظنك وسمت أي كلّفت والشطط البعيد من الأمر وهو هنا الجور والعسف ورام طلب والفرط مجاوزة الأمر والحدّ.

(6) الحجّة وجمعها حجج هي البراهين والأدلّة والسريجية نسبة إلى أحد أصحاب الشافعي أحمد بن سريج وكان يلقّب بالبازي الأشهب وبالشافعي الثاني لتبحّره في استنباط المعاني من غوامض الأخبار والمثاني ودلائله في فنون العلم متينه وبراهينه مبينة توفي سنة ستة وثلثمائة هـ وبلغ ستّه =

فلبِثْتُ إلى أن زهَرَتْ نُجوم الظّلام، وانتَثَرتْ عُقودُ الزّحامِ[1]، ثمّ قصَدْتُ فِناء الوالي؛ فإذا الشيخُ للفتى كالي[2]. فنَشَدْتُه اللهَ أهُوَ أبو زيدٍ؟ فقال: أيْ ومُحِلِّ الصّيدِ[3]! فقُلتُ: مَنْ هذا الغُلامُ، الذي هفَتْ لهُ الأحْلامُ[4]؟ قال: هوَ في النسبِ فرْخي، وفي المكتَسَبِ فخّي[5]! قلت: فهَلاّ اكتفَيْتَ بمَحاسِنِ فِطرَتِه، وكفَيتَ الواليَ الافتِتان بطُرّتِه[6]؟ فقال: لوْ لمْ تُبرِزْ جبْهَتُهُ السّينَ، لَما قنْفَشْتُ الخمسينَ[7]. ثمّ قال: بِتِ الليلَةَ عِندي لنُطْفئ نارَ الجَوى، ونُديلَ الهَوى من النّوى[8]، فقدْ أجْمَعْتُ على أنْ أنْسَلّ بسُحرَةٍ، وأُصْليَ قلبَ الوالي نارَ حسْرَةٍ[9]!

= سبعاً وخمسين سنة وستة أشهر ودفن ببغداد وعلم السروجية عظيمها وكبيرها والمراد هنا السروجي بطل هذه المقامات والعلم في أصل معناه هو الجبل.

(1) لبث بالمكان أي أقام فيه وزهرت أي طلعت وأضاءت وانتثرت أي صارت نثاراً أي تفرّقت والعقود ج عقد وهي هنا الجماعة من الناس المزدحمة يقول إنه انتظر حتى طلعت النجوم وتفرّقت الخلق كل إلى بيته.

(2) الفناء ساحة الدار والكالي أو الكالئ من كلأ أي حرس وحفظ.

(3) نشده بالشيء ذكّره واستعطفه ونشده الله وبالله استحلفه به وأقسم عليه به وأي بمعنى نعم ومحلّ الصيد هو الله يعني أنه هو أبو زيد وحق الله.

(4) هفت أي طاشت وذهبت وطارت والأحلام جمع حلم بمعنى العقول هنا.

(5) فرخي أي ابني وولدي والفخ هو الشرك أي ما ينصب لصيد الطير أو الحيوان بعامّة.

(6) هلاّ كلمة تحضيض مركبة من هل ولا فإن دخلت على الماضي كانت للوم على ترك الفعل نحو «هلاّ آمنت» وإن دخلت على المضارع كانت للحث على الفعل نحو «هلاّ تؤمن» والفطرة الخلقة والطرّة ما يسوّى من الشعر على الجبهة وقد تقدّم ذكرها.

(7) السين هو الحرف المعروف تشبه به الطرّة حين تصفّف لاعتدالها فتبدو كالسين على السطر وقنفش الأشياء جمعها بسرعة وكيفما اتفق يقول إنه لو لم تبرز محاسن طرّته لما تسنّى له أن يجمع الخمسين بسرعة كما حدث.

(8) بت فعل أمر من بات أي أقم الليلة عندي والجوى حرقة الوجد والعشق وأداله من عدوه أو على عدوه نصره عليه وأظفره به وجعل له الكرّة عليه والنوى الفراق يقول أقم ليلك عندي فنثأر للهوى من البين والفراق وننصره عليه.

(9) أجمع أي عزم وانسلّ خرج خلسة وخفية والسحرة أي وقت السحر وأصلي قلب الوالي نار حسرة أي أذيقه.

قال: فقضَيتُ الليلةَ معَهُ في سمَرٍ، آنَقَ منْ حَديقَةِ زهَرٍ، وخَميلةِ شجَرٍ(1). حتى إذا لألأ الأفُقَ ذنَبُ السِّرْحانِ، وآنَ انبِلاجُ الفجْرِ وحانَ(2)، ركِبَ متْنَ الطّريقِ، وأذاقَ الوالي عذابَ الحريقِ، وسلّمَ إليّ ساعَةَ الفِراقِ، رُقعَةً مُحكمَةَ الإلْصاقِ(3)، وقال: ادْفَعْها إلى الوالي إذا سُلِبَ القَرار، وتحقّقَ منّا الفِرارَ(4)، ففضَضْتُها فِعْلَ المتملّسِ. منْ مِثْلِ صحيفَةِ المتلمّسِ(5). فإذا فيها مكتوبٌ:

قُلْ لوالٍ غادَرْتُه بعْدَ بيْني ... سادِماً نادِماً يعَضّ اليَدَيْنِ(6)
سلَبَ الشيخُ مالَهُ وفتاهُ ... لُبَّهُ فاصْطَلى لَظى حسْرَتَيْنِ(7)
جادَ بالعينِ حينَ أعمى هواهُ ... عينَهُ فانْثَنى بِلا عينَيْنِ(8)

(1) السمر حديث الليل وأنق بكسر السين أنقاً وأناقة راع حسنه وأعجب وآنق فعل التفضيل والخميلة وقد تقدم ذكرها الروضة فيها شجر.

(2) لألأ لمع وأضاء والسرحان الذئب شبه الفجر الكاذب وهو ضوء يسبق الفجر، بذنب الذئب وآن حان وقَرُب وانبلاج الفجر طلوعه وظهور ضوئه.

(3) ركب متن الطريق أي مضى إلى سبيله والمتن هو الظهر وأذاق القاضي عذاب الحرقة لاغترامه المال وفوات الغلام وفراره والرقعة القطعة من الورق التي تكتب وهي هنا بمعنى الرسالة ومحكمة الإلصاق أي متينة ومتقنة الطي.

(4) سلب الشيء أخذ منه عنوة والقرار السكينة وتحقق من الأمر صحّ عنده وثبت وتأكّد منه والفرار الهرب.

(5) فضّ أي فك وكسر الختام ومنه فض العذراء أي إزالة بكارتها والمتملّس أي المتخلّص فتملّس من الأمر أي تخلص منه والمتلمّس شاعر جاهلي مقلٌّ اسمه جرير بن عبد المسيح ويضرب بصحيفته أي رسالته المثل وخلاصتها أنه كان وطرفة بن العبد الشاعر ينادمان عمرو بن هند ملك الحيرة وأراد قتلهما فأعطاهما رسالتين مختومتين وقال لهما اذهبا إلى عاملي بالبحرين يصلكما بجوائز وارتاب جرير فطلب من غلام أن يقرأ له الصحيفة فإذا فيها أن عمرو بن هند يأمره بقطع يدي ورجلي المتلمس ودفنه حياً فسأل طرفة أن يقرأ الغلام صحيفته فأبى مضى إلى حتفه أما المتلمس ففر ونجا بنفسه.

(6) غادره تركه وأبقاه والبين الفراق والسدم الندم والحزن والهم والسادم المتغيّر العقل من الغم وعض اليدين يعني التحسر والندم واللهفة على ما فات.

(7) سلبه الشيء انتزعه منه قهراً وسلبه عقله ولبّه أي ملك عليه فكره فلا يفكر في أمر آخر واللب العقل والحجى واللظى لهب النار ومن أسماء جهنم والحسرتان حسرة فقد المال وحسرة فقد الغلام.

(8) جاد تكرّم وسمح وسخا وبذل والعين الدينار والذهب والفضة المضروبان والعتيد من المال =

خفِّضِ الحُزنَ يا مُعَنّى فما يُجْـ دي طِلابُ الآثارِ من بعدِ عَينِ[1]

ولَئِنْ جَلّ ما عَراكَ كما جـ لّ لدى المُسلِمينَ رُزْءُ الحُسينِ[2]

فقَدِ اعتَضتَ منهُ فَهماً وحزماً واللّبيبُ الأريبُ يبْغيَ ذَينِ[3]

فاعصِ من بعدها المَطامعَ واعلَمْ أنّ صيْدَ الظّباء ليس بهَينِ

لا ولا كُلّ طائرٍ يلِجُ الفَخّ ولوْ كانَ مُحدَقاً باللُّجَينِ[4]

ولَكمْ مَنْ سعى ليَصطادَ فاصْطيـ دَ ولم يلْقَ غيرَ خُفّي حُنينِ[5]

= والعين الثانية هي الباصرة يقول إن الوالي قد بذل المال حين أعمى عشقه عينه فعاد بلا الثنتين المال والبصر.

(1) الخفض هو التهوين والغض والإقلال وخفّض الحزن أمر بالتقليل من الحزن والمعنّى المعذب المولع ويجدي ينفع ويفيد وطلاب الآثار البحث عنها بعد العين بعد أن كانت حقيقة مادية والجملة مثل عربي قديم قاله رجل أراد الثأر لأخيه فعرضت عليه إبل فقال لا أطلب أثراً بعد عين فصارت مثلاً يضرب لمن يفوته الأمر انظر الأمثال للضبي ج 1\ص 33.

(2) جلّ أي عَظُم وما عراك أي ما أصابك وغشيك وألمّ بك ورزء الحسين مصاب الحسين وهو الحسين بن علي بن أبي طالب سبط النبي والإمام الشيعي الثالث الذي قتل في كربلاء في الواقعة المشهورة.

(3) اعتاض من الشيء أخذ بدلاً منه والحزم ضبط الأمور وإحكامها وجودة الرأي واللبيب العاقل والأريب الحاذق الكامل العقل يقول لقد أعطيت عوضاً عما خسرت الفهم وجودة الرأي والعاقل الحكيم يرغب في هذا العوض.

(4) الظباء جمع ظبي كناية عن الغلمان والحسان بعامة وولج أي دخل ومحدقاً أي محاطاً واللجين أي الفضة. يقول فدع عنك الولع بالمرد والحسان فهم صيد عسير نا هيك بأن بعض الطير لا تدخل الفخ ولو كان محاطاً ومزيناً بالفضة.

(5) الخف ما يُلبس في الرجل وخفا حنين مثل يضرب في الخيبة بعد طول غيبة وأصل المثل رجع بخفي حنين وحكايته على ما جاء في مجمع الأمثال ج 1\ص 296 الباب العاشر فيما أوله راء: قال أبو عبيد: أصلُه أن حُنَيناً كان إسكافاً من أهل الحِيرة فساوَمَه أعرابي بخُفَّين فاختلفا حتى أغْضَبه فأراد غَيْظَ الأعرابي فلما ارتَحَلَ الأعرابي أخذ حنينٌ أحدَ خفيه وطَرَحه في الطريق ثم ألقى الآخر في موضع آخر فلما مرَّ الأعرابي بأحدهما قال: ما أشبه هذا الْخفَّ بخف حنين ولو كان معه الآخر لأخذته ومضى فلما انتهى إلى الآخر نَدِمَ على تركه الأولَ وقد كَمنَ له حنينٌ فلما مضى الأعرابي في طلب الأول عمد حنينٌ إلى راحلته وما عليها فذهب بها وأقبل الأعرابي وليس معه إلا الخُفَّانِ فقال له قومه: ماذا جئت به من سفرك ؟ فقال: جئتكم بِخُفَّيْ حُنَين فذهبت مثلاً يضرب عند اليأس من الحاجة والرجوع بالخيبة.

فـتـبـصّـرْ ولا تـشِـمْ كـلّ بـرْقٍ رُبّ بـرْقٍ فـيـهِ صـواعِـقُ حَـيْـنِ[1]
واغـضُـضِ الطّرْفَ تـسـترحْ من غـرامٍ تـكـتَـسـي فـيـهِ ثـوْبَ ذُلٍ وشَـيْـنِ[2]
فـبَـلاءُ الـفـتـى اتّـبـاعُ هـوَى الـنّـفـ ـسِ وبـذْرُ الـهَـوى طُـمـوحُ الـعـيْـنِ[3]

قال الرّاوي: فمزّقتُ رُقعتَهُ شذَرَ مذَرَ، ولمْ أُبَلْ أعَذَلَ أم عذَرَ[4]!

(1) التبصّر هو النظر في الأمر والتماس الحيطة والتدبر وشام البرق نظر إليه أين يقصد وأين تمطر وقد مرّ ذلك والصواعق جمع صاعقة وهي العذاب المهلك وهي نار تنتج عن البرق مدمّرة والحين الهلاك. يقول فانظر في أمرك ولا تصرف نظرك إلى البرق ترقبه فلرب برق حمل العذاب والهلاك لناظره.

(2) الطرف هو النظر وغض الطرف خفضه وكفّه والشين العيب والشنار. يقول وكف نظرك تسترح من غرام يلبسك ثوب الفضيحة والهوان.

(3) البذر هو الحب الذى يلقى في الأرض لينمو وطموح العين ارتفاعها. يقول إن مصائب المرء إنما من ملازمته هواه تأتي وإن النظر الدائم إنما هو للهوى والعشق بمنزلة البذر من النبات.

(4) شذر مذر أي قطعاً ونتفاً متفرقات والشذر قطع من الذهب تلقط من معدنه دون إذابة الحجر وهي الخرز يفصل بين الجواهر في النظم وفي العربية يقال: «تفرقوا شذر مذر» أي ذهبوا في كل وجه.

المقامة السّاويّة

حدّثَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

آنَسْتُ منْ قلْبي القَساوَةَ، حينَ حللْتُ ساوَةَ[1]! فأخذْتُ بالخبَرِ المأثورِ؛ في مُداواتِها بزِيارَةِ القُبورِ[2]. فلمّا صِرْتُ إلى محلّةِ الأمْواتِ، وكِفاتِ الرُفاتِ[3]، رأيتُ جمْعاً على قبْرٍ يُحْفَرُ، ومجْنوزٍ يُقبَرُ. فانْحَزْتُ إليْهِمْ متفكّراً في المآلِ، متذكّراً مَنْ درجَ منَ الآلِ[4]. فلما ألحَدوا المَيْتَ، وفاتَ قوْلُ لَيْتَ، أشرفَ شيخٌ من رُباوَةٍ، متخصّراً بهِراوَةٍ[5]، وقدْ لفّعَ وجهَه بردائِهِ، ونكّر شخْصَهُ لدَهائِهِ[6]، فقال: لمِثْلِ هذا فلْيَعْمَلِ العامِلونَ[7]! فاذكِروا أيّها الغافِلونَ، وشمِّروا أيّها المقَصّرونَ، وأحْسِنوا

(1) آنس الشيء أحسّ به وقساوة القلب غلظته وشدّته وحل المكان وبه نزل به وساوة بلد في الطريق بين الري وهمذان.

(2) الخبر المأثور أي المحدّث به وهو قول النبي على ما جاء في الجامع الكبير، حرف العين عودوا المرضى واتبعوا الجنائز تذكركم الآخرة وفي سنن البيهقي باب زيارة القبور وَإِنِّي كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا.

(3) محلّة الأموات أي المقابر يحلّون بها وكفات الشيء الموضع الذي يُكفت أي يُضمّ ويُجمع فيه والرفات الحطام وكل ما تكسر وبلي وهو هنا العظام البالية.

(4) الجمع الجماعة من الناس والمجنوز الميت وروى الشريشي عن ابن سيده نقله عبارة جنزت الميت أي سترته بالكفن والجنازة هي الميت بالفتح والنعش بالكسر وانحاز أي مال والمآل المرجع والمصير ودرج أي مات وهلك والآل الأهل.

(5) ألحدوا الميت ألقوه في اللحد ودفنوه وفات مضى ومرّ وأشرف أي اطلع من فوق والرباوة والرُّباة الرابية وهي ما ارتفع من الأرض ومتخصراً أي آخذاً مما يلي خصره والهراوة العصا الضخمة ومن ألقاب النبي صاحب الهراوة.

(6) لفع غطّى ونكّر الشيء غيّره إلى مجهول والدهاء المكر.

(7) من سورة الصافات الآية 61: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾.

النَّظَرَ أيها المتبصّرونَ[1]! ما لكُمْ لا يَحزُنُكم دفْنُ الأتْرابِ، ولا يهولُكُمْ هيْلُ التّرابِ؟ ولا تعْبأونَ بنَوازِلِ الأحْداثِ، ولا تستَعِدّونَ لنُزولِ الأجْداثِ[2]؟! ولا تستعْبِرونَ لعَينٍ تدْمَعُ، ولا تعتَبرونَ بنَعْيٍ يُسمَعُ؟! ولا ترْتاعونَ لإلْفٍ يُفقَدُ، ولا تلْتاعونَ لمناحَةٍ تُعْقَدُ[3]؟! يشيِّعُ أحدُكُمْ نعْشَ الميْتِ، وقلْبُهُ تِلْقاءَ البيتِ[4]! ويشهَدُ مُواراةَ نسيبِه، وفِكْرُهُ في استِخْلاصِ نصيبِهِ[5]! ويُخَلّي بينَ وَدودِه ودُودِه، ثمّ يخْلو بمِزْمارِهِ وعودِهِ[6]! طالَما أسِيتُمْ على انْثِلامِ الحَبّةِ، وتناسَيتُمُ اخْتِرامَ الأحبّةِ[7]!

---

(1) إذّكر الشيء ذكره وفطن له والأصل اذتكر وشمّر أي خف وسارع للأمر والأصل في التشمير رفع الثوب إلى الساقين وشمّرت الحرب اشتدّت والمقّصر من يترك عملاً وهو قادر عليه والمتبصّر الناظر في الشيء على وجه التفهّم وإحسان النظر في الشيء التمعن فيه وفحصه جيداً لاستنتاج الرأي الصائب.

(2) الأتراب جمع ترب وهو القرين في السن وهو اللدة وهو من ولد أو تربّى معك ويهولكم أي يفزعكم ويرعبكم وهيل التراب يراد به مواراة الجثمان ودفنه والأصل في الهيل الصبّ الكثير من فوق إلى أسفل ولم يعبأ بالشيء لم يهتم ولم يبال به ولا عدّه شيئاً والنوازل جمع النازلة وهي الحادث الجلل من مصائب الدهر والأجداث جمع جدث وهو القبر يقول أنتم لا تهتمون بمصاب ولا تتهيأون لقبر.

(3) استعبر أي بكى والاعتبار بالشيء الاتعاظ به والنعي الإخبار بموت إنسان والارتياع الجزع والخوف والإلف الصديق والصاحب وهو من ألِف يألف وتلتاعون أي تحترقون حزناً واللوعة حرقة من الحزن والغم والمناحة اجتماع النساء للبكاء على الميت وتعقد تجمع وتؤلف.

(4) تشييع الميت المشي في جنازته وتلقاء الشيء بموازاته والأصل مصدر لقي وتوسعوا فيه فاستعملوه ظرف مكان بمعنى جهة أو نحو وفي القران: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: 47] و﴿مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ﴾ [يونس: 15] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ القصص: 22] يقول يمشي أحدكم في جنازة الميت وقلبه مشغول ببيت الميت أي بما ترك من ميراث.

(5) يشهد أي يكون شاهداً وحاضراً والمواراة التغييب وهي هنا الدفن والنسيب القريب والاستخلاص التحصيل والعبارة تقول ما قالته سابقتها.

(6) خلّى أي ترك والودود أي الصاحب المحب العزيز والدود جمع دودة يقول يترك حبيبه للدود ليلهو هو بالمزمار والعود وكأن شيئاً لم يكن.

(7) اسيتم أي حزنتم وفي القرآن: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾. الحديد: 23 والانثلام الانكسار والنقص والحبة واحدة الحب وهي أيضاً سدس

واستَكَنْتُمْ لاعتِراضِ العُسرةِ، واستَهَنْتُم بانقِراضِ الأُسرَةِ[1]! وضحِكْتُمْ عندَ الدّفْنِ، ولا ضحِكَكُمْ ساعةَ الزَّفْنِ[2]! وتبخْتَرْتُمْ خلفَ الجنائِزِ، ولا تبخْتُرَكُمْ يومَ قبْضِ الجوائِزِ[3]! وأعْرَضْتُمْ عنْ تعْديدِ النّوادِبِ، إلى إعْدادِ المآدِبِ! وعنْ تحرُّقِ الثّواكِلِ، إلى التّأنُّقِ في المآكِلِ[4]! لا تُبالونَ بمَنْ هوَ بالٍ، ولا تُخْطِرونَ ذِكرَ الموتِ ببالٍ[5]! حتى كأنّكُمْ قد علِقتُمْ منَ الحِمامِ بذِمامٍ، أو حصَلْتُمْ منَ الزّمانِ على أمانٍ[6]! أو وثِقتُمْ بسلامةِ الذّاتِ، أو تحقّقْتُمْ مُسالَمَةَ هادِمِ اللّذّاتِ[7]. كَلاّ ساء ما تتوهّمونَ، ثمّ كلاّ سوفَ تعلَمونَ[8]! ثمّ أنشدَ:

أيـــا مَـــن يـــدّعـــي الـــفَـــهْـــمْ إلـــى كـــمْ يـــا أخـــا الـــوَهْـــمْ

= عشر الدينار وأظنها المراد هنا والاخترام هو الهلاك ويقال اخترمت المنية فلاناً أي أخذته يقول تبكون عند انكسار سدس عشر الدينار وتنسون هلاك الأحبة.

(1) استكان للشيء ذل وخضع له والاعتراض وقوع الشيء كالعارضة الخشبية والعسرة الفقر والفاقة واستهان بالشيء استخف به وانقراض الأسرة موت العائلة وزوالها يقول لطالما خضعتم وذللتم للفقر واستهنتم بموت الأقارب وأفراد العائلة.

(2) الزفن ضرب من الرقص يضرب فيه الراقص الأرض برجله بشدّة يقول تضحكون عند الدفن، وهو مكروه بحسب ما روي عن النبي، ضحكاً أشد من ضحككم في ساعات الرقص.

(3) التبختر ضرب من المشي فيه عُجب وتكبّر والجوائز العطايا والصلات ينالها المرء من الملك أو السلطان فيفخر بها ويمشي مشية كلها تكبّر وعجب.

(4) أعرض عن الشيء تجنّبه وكره استقباله والتعديد ما تعدده النسوة عند بكاء الميت من محاسنه وصفاته والنوادب من يندبن الميت ويبكينه وإعداد الشيء الاستعداد له وتجهيزه والمآدب جمع مأدبة طعام الوليمة في عرس أو ما شاكل والثاكل والثكلى من فقدت ابناً لها والتأنّق المبالغة في تتبع الجميل الأنيق المعجب.

(5) بالى بالأمر اهتم به وله والبالي الزائل والدارس والمتغيّر ويريد الميت والبال الفكر والخاطر يقول لا تهتمون بمن مات ولا يخطر لكم الموت على بال.

(6) علق بالشيء لزمه والحمام الموت والذمام الذمة والعهد يقول أنتم في ما أنتم فيه من الغفلة وكأن المنية قد عاهدتكم أن لا تمسّكم أو كأن الزمان قد أمّنكم على أنفسكم.

(7) وثق بالشيء ومن الشيء تأكّد منه والمسالمة المتاركة والمصالحة وهادم اللذات هو الموت ومعنى العبارة كمعنى سابقتها.

(8) كلاّ حرف نفي وهي هنا بمعنى حقاً وتوهّم حسب وظن وتخيّل وكلا سوف تعلمون أي حقاً سوف تعلمون انظر سورة التكاثر الآية 4: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

تُعبّي الذّنبَ والذمّ ... وتُخطي الخَطأ الجَمّ[1]
أمَا بانَ لكَ العيْبْ ... أمَا أنْذرَكَ الشّيبْ
وما في نُصحِهِ رِيبْ ... ولا سمْعُكَ قدْ صمّ[2]
أمَا نادَى بكَ الموتْ ... أمَا أسْمَعَك الصّوْتْ
أما تخشَى من الفَوْتْ ... فتَحْتاطَ وتهتمّ[3]
فكمْ تسدَرُ في السهْوْ ... وتختالُ من الزهْوْ
وتنْصَبُّ إلى اللّهوْ ... كأنّ الموتَ ما عَمّ[4]
وحَتّام تَجافيكْ ... وإبْطاءُ تلافيكْ
طِباعاً جمَعتْ فيكْ ... عُيوباً شمْلُها انْضَمّ[5]
إذا أسخَطْتَ موْلاكْ ... فَما تقْلَقُ منْ ذاكْ
وإنْ أخفَقَ مسعاكْ ... تلظّيتَ منَ الهمّ[6]
وإنْ لاحَ لكَ النّقشْ ... منَ الأصفَرِ تهتَشّ

(1) يدعى هذا الضرب من الشعر بالمسمط أي المفصّل وهو ما قسّم البت فيه إلى أجزاء على غير روي القافية ولقد جاء الاسم من سلك الجوهر المفصّل بالزمرد والذهب وغيرهما والوهم الغلط وعبّأ أي هيّأ والجم الكثير.

(2) بان ظهر وبرز وأنذر أي أعلمك وحذّرك والريب الشك والصمم ذهاب السمع.

(3) الصوت هنا هو النوح والبكاء على الميت والفوت بعد الشيء واستحالة استرجاعه والاحتياط التوقّي.

(4) سدر تحيّر بصره من شدّة الحر وأيضاً لم يهتم بما يصنع والسهو الغفلة والخطأ والاختيال التكبّر والعجب والزهو الكبر وتنصب أي تندفع وتنحدر وتميل وما عم أي لم يشمل يقول وتندفع إلى اللهو وكأن الموت يستثني أحداً.

(5) التجافي أي التباعد والإبطاء التأخر والتلافي التجنّب والتدارك واتقاء الأمر يقول وحتى متى تبتعد وتتمهل عن تلافي عيوبك المجتمعة الشمل فيك.

(6) مولاك أي سيدك وهو هنا ربّك وخالقك يقول لا يقلقك سخط أي غضب ربك وإن فشلت في أمر من أمور دنياك تقلبّت على نار الهم.

وإن مــرّ بــك الــنّــعــشْ تــغــامَــمْــتَ ولا غــمّ(1)
تُــعــاصــي الــنّــاصِــحَ الــبَــرّ وتــعْــتــاصُ وتَــزْوَرّ
وتــنْــقــادُ لــمَــنْ غَــرّ ومــنْ مــانَ ومــنْ نَــمّ(2)
وتــســعــى فــي هَــوى الــنّــفــسْ وتــحْــتــالُ عــلــى الــفَــلْــسْ
وتــنْــسَــى ظُــلْــمَــةَ الــرّمْــسْ ولا تَــذْكُــرُ مــا ثَــمّ(3)
ولــوْ لاحــظَــكَ الــحــظّ لــمــا طــاحَ بــكَ الــلّــحْــظْ
ولا كُــنْــتَ إذا الــوَعْــظْ جَــلا الأحــزانَ تــغْــتَــمّ(4)
ســتُــذْري الــدّمَ لا الــدّمْــعْ إذا عــايَــنْــتَ لا جــمْــعْ
يَــقــي فــي عَــرصَــةِ الــجــمْــعْ ولا خــالَ ولا عــمّ(5)
كــأنّــي بــكَ تــنْــحــطّ إلــى الــلّــحْــدِ وتــنْــغــطّ
وقــد أســلَــمَــك الــرّهْــطْ إلــى أضْــيَــقَ مــنْ ســمّ(6)
هُــنــاك الــجِــســمُ مــمْــدودْ لــيــســتــأكِــلَــهُ الــدّودْ

---

(1) النقش ما ينقش على المال والأصفر الذهب واهتشّ بشّ وفرح وابتهج وتغامم اظهر الغم والحزن وتكلّفه من غير غم ولا حزن.

(2) تعاصي أي تعصي وتخالف وتعاند والبر الصادق الأمين المخلص واعتاص تصعّب وازورّ انقبض ومال وانقاد مال وأطاع وغرّ أي خدع ومان كذب ونم سعى بالنميمة يقول تعاند وتخالف الناصح الأمين وتتصعب عليه وتنقبض عنه وتطيع الكاذب والمخادع والنمّام.

(3) الرمس القبر يقول تمشي في أمور هواك وتحتال للحصول على المال وتنسى عتمة قبرك ولا تذكر القبر ولا ما فيه.

(4) لاحظك الحظ نظرك السعد والبخت والنصيب وطاح به ذهب به وأهلكه واللحظ النظر بمؤخر العين تيهاً وجلا كشف وبيّن.

(5) ذرى صب ونثر وأرسل متفرقاً وعاين الشيء رآه بعينه على وجه الحقيقة والعرصة ساحة الدار أو الفسحة بين الدور يقول ستبكي دماً لا دمعاً يوم ترى أن لا جماعة أي لا أهل ولا عشيرة ولا صحب وقد اجتمعوا ليقوك في ساحة الاجتماع أي يوم الحشر.

(6) تنحط أي تنزل وتسرع في الهبوط وتنغطّ أي تنقبض وتنضمّ واللحد هو القبر والرهط القوم والسم عين الإبرة والمراد ضيق القبر يقول كأني أراك وقد هبطت إلى قبرك الضيق كسم الإبرة فانقبضت فيه وتركك قومك هناك وحيداً.

إلــى أن يــنــخَــرَ الــعــودْ ويُــمــســي الــعــظــمُ قــد رمّ(1)
ومــنْ بــعْــدُ فــلا بُــدّ مــنَ الــعــرْضِ إذا اعــتُــدّ
صِــراطٌ جَــسْــرُهُ مُــدّ عــلــى الــنــارِ لــمَــنْ أمّ(2)
فــكــمْ مــن مُــرشــدٍ ضلّ ومــنْ ذي عِــزةٍ ذَلّ
وكــم مــن عــالِــمٍ زلّ وقــال الــخــطْــبُ قــد طــمّ(3)
فــبــادِرْ أيّــهــا الــغُــمْــرْ لِــمــا يــحْــلــو بــهِ الــمُــرّ
فــقــد كــادَ يــهــي الــعُــمــرْ ومــا أقــلــعْــتَ عــن ذمّ(4)
ولا تــرْكَــنْ إلــى الــدهــرْ وإنْ لانَ وإن ســرّ
فــتُــلْــفــى كــمــنْ اغــتَــرّ بــأفــعــى تــنــفُــثُ الــســمّ(5)
وخــفّــضْ مــنْ تــراقــيــكْ فــإنّ الــمــوتَ لاقِــيــكْ
وســارٍ فــي تــراقــيــكْ ومــا يــنــكُــلُ إنْ هــمّ(6)

(1) نخر أي بلي وتفتت تقال في العظم والعود ونحوهما والعود هنا يعني الجسم الذي يشبه العود نعومة ورشاقة ورمّ بلي.

(2) العرض هو يوم العرض أي يوم تقف الخلائق لتعرض أعمالها على الله للحساب واعتدّ أي أعدّ وجهّز وهيّئ والصراط هنا هو الجسر الذي يمتدّ على شفا النار ومن سلكه واجتازه نجا وأمّ قصد.

(3) المرشد أي الهادي وزلّت القدم زلقت وزلّ الرجل انحرف عن الصواب والخطب الأمر العظيم وطمّ عظم يقول فكم من من هاد ضل أي تحير وأخطأ وكم من عزيز هان وذل وكم من عالم انحرف ودهاه الأمر في ذلك اليوم.

(4) بادر أي عجّل وأسرع والغمر الجاهل غير العارف بالأمور ووهى ضعف وأقلع أي ترك ورجع عن ذم أي عن المذموم من الأمور.

(5) لا تركن أي لا تطمئن ولا تتخذ ركناً فتلفى أي فتجدك واغتر انخدع والأفعى الحية وتنفث السم أي تتفله أو تنفخه.

(6) وخفّض أي وسكّن وتراقيك أي ارتفاعك وتكبرك وسار أي ماش من السريان والتراقي العظمان المعوجان على الصدر والواحدة ترقوة بين العاتق وثغرة النحر وما ينكل أي لا يضعف ولا ينقطع وإن همّ أي ان عزم يقول خفف من غلوائك فالموت ملاقيك ويسري في العظمين على صدرك ولا ينكص عن أمر همّ به.

وجانِبْ صَعَرَ الخدّ إذا ساعدَكَ الجدّ
وزُمّ اللفْظَ إنْ ندّ فما أسعَدَ مَنْ زمّ[1]
ونفِّسْ عن أخي البثّ وصدّقْهُ إذا نثّ
ورُمّ العمَلَ الرثّ فقد أفلحَ مَنْ رمّ[2]
ورِشْ مَن ريشُهُ انحصّ بما عمّ وما خصّ
ولا تأسَ على النّقصْ ولا تحرِصْ على اللَّمّ[3]
وعادِ الخُلُقَ الرّذْلْ وعوّدْ كفّكَ البذْلْ
ولا تستمِعِ العذْلْ ونزّهْها عنِ الضمّ[4]
وزوّدْ نفسَكَ الخيرْ ودعْ ما يُعقِبُ الضّيرْ
وهيّئْ مركبَ السّيرْ وخَفْ من لُجّةِ اليمّ[5]
بِذا أُوصيتُ يا صاحْ وقد بُحتُ كمَن باحْ
فطوبى لفتًى راحْ بآدابيَ يأتمّ[6]

---

(1) وجانب الشيء بعد عنه وصعر الخد الإعراض بالوجه تكبّراً والجد بفتح الجيم الحظ وزمّ أي قيّد وندّ أي نفر وشرد يقول ولئن كنت محظوظاً فلا تتكبر ولا تعرض عن الناس وراقب قولك وقيدّ لسانك فالسعيد من تحكم بما يقول وقال قليلاً.

(2) نفّس أي خفّف وأخو البث أي الحزين الذي يبث الناس شكواه ونثّ نطق بشكواه وكشف سرّه ورمّ أي رفأ وأصلح والرث الخلِق الواهي يقول وساعد المكروب وفرّج همه وصدّقه حين يشكو أمره ويكشف سرّه لك وأصلح ما بلي من عملك فالسعيد من تدارك أمره.

(3) رش أي اجعل ريشاً وانحص من نتف وتناثر وسقط ريشه ورشت الرجل أعنته وأغنيته وما عم وما خص أي بالكثير وبالقليل من العطاء والعون ولا تأس أي ولا تحزن واللم جمع المال.

(4) الخلق الطبع والسجية والرذل الرديء والدنيء والبذل السخاء والعطاء والعذل اللوم ونزهها أي باعدها وصنها وارفعها والضم ضم أصابع الكف على ما فيها كناية عن البخل يقول عاد الطبع السيّئ وتكرّم واسخ ولا تقبل في ذلك لوماً ولا تعود راحتك البخل والشح.

(5) الضير الضر والضرر ومركب السير درب الآخرة واللجة معظم الماء واليم البحر يقول ودع عنك ما يعقبك ضرراً وتزوّد خيراً وجهّز سفينتك التي ستقلك إلى مآلك وخف من أهوال البحر وعنى بذلك ما يلاقي الميت وقد شبهه بالمسافر.

(6) يا صاح أي يا صاحبي وقد رُخّمت وباح بالسر كشفه وأعلنه وطوبى أي هنيئاً وسعداً ويأتم أي يقتدي.

ثمّ حسرَ رُدنَهُ عن ساعِدٍ شديدِ الأسْرِ، قد شدّ علَيهِ جبائِرَ المكْرِ لا الكسْرِ[1]، متعرّضاً للاستِماحةِ، في مِعرَضِ الوقاحَةِ[2]. فاختلَبَ بهِ أولئِكَ المَلا، حتى أترَعَ كُمّهُ وملا[3]! ثمّ انحدَرَ من الرّبوةِ، جذِلاً بالحَبوةِ[4].

قال الراوي:

فجاذَبْتُه منْ وَرائِهِ، حاشيَةَ رِدائِهِ. فالتَفَتَ إليّ مُستسلِماً، وواجهَني مُسلِّماً؛ فإذا هوَ شيخُنا أبو زيدٍ بعينِه ومَينِهِ[5]. فقلتُ له:

إلى كمْ يا أبا زيدٍ ... أفانينُكَ في الكيدْ
لينحاشَ لكَ الصيدْ ... ولا تعْبا بمَنْ ذمّ[6]

فأجابَ من غيرِ استِحْياء ولا ارْتِياء، وقال[7]:

تبصّرْ ودعِ اللوْمْ ... وقُلْ لي هل تَرى اليومْ
فتًى لا يقْمُرُ القومْ ... متى ما دَستُهُ تمّ[8]

فقلتُ لهُ: بُعداً لك يا شيخَ النّارِ، وزامِلَةَ العارِ[9]! فَما مَثلُكَ في طُلاوَة

(1) حسر أي كشف والردن الكم والساعد من الرسغ إلى المرفق والأسر أي الخلقة وشديد الأسر أي قوي متين والجبائر جمع جبيرة وهي خرقة وعيدان تشد على الموضع المكسور ليجبر والمكر الخبث والحيلة والدهاء.

(2) الاستماحة الاستعطاء والوقاحة وقد تقدمت صلابة الوجه.

(3) اختلب أي خدع ويروى احتلب أي حلب ما عندهم والملأ الجماعة وأترع ملأ.

(4) جذلاً أي فرحاً مبتهجاً والحبوة العطية.

(5) جاذبته أي نازعته وحاشية الرداء أو الثوب طرفه وبعينه أي بنفسه وشخصه ومينه كذبه وخداعه.

(6) الأفانين الأنواع والأساليب والكيد الحيلة والمكر والخبث وينحاش يجتمع وينضم ولا تعبأ أي ولا تهتم بمن ذم أي عاب عليك فعلك.

(7) الاستحياء الخجل والارتياء أي الإبطاء وهي هنا التدبّر والتفكّر.

(8) تبصر أي انظر وتأمّل وقمر أي غلب بالقمار ملاعبه ودسته تم أي تمت حيلته في اللعب والدست في الشطرنج هو اللعبة التي تكون لك فيها الغلبة يقول انظر وقل أترى أحداً لا يغلب ويقمر ملاعبه إن تم دسته أي تمت حيلته.

(9) بعداً لك تدعو بها على خصم أن يجعل الله بعيداً وشيخ النار كناية عن إبليس الذي من النار

علانِيَتِك، وخُبثِ نيّتِك[1]، إلا مثَلُ رَوْثٍ مفضَّضٍ، أو كَنيفٍ مبيَّضٍ[2]. ثمّ تفرّقْنا فانطلَقْتُ ذاتَ اليَمين وانطلقَ ذات الشِّمالِ. وناوَحْتُ مهَبّ الجَنوبِ وناوحَ مهبّ الشَّمالِ[3].

= خلق بحسب الرواية القرآنية والزاملة الدابة يحمل عليها وبذا يكون السروجي مركباً للعار.

(1) الطلاوة الحسن والبهجة وطلاوة العلانية حسن المظهر وخبث النية فسادها.

(2) الروث زبل كل ذي حافر والمفضض المطلي المغشّى بالفضة والكنيف المستراح والمرحاض والمبيّض المطلي بالأبيض.

(3) ذات اليمين وذات الشمال أي جهة اليمين وجهة الشمال وناوح قابل ومهب الريح مخرجها.

المقامة الدّمشقيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

شخصْتُ منَ العِراقِ إلى الغوطَةِ، وأنا ذو جُرْدٍ مربوطةٍ، وجِدَةٍ مغْبوطَةٍ(1). يُلْهِيني خُلوُّ الذَّرْعِ، ويزْدَهيني حُفولُ الضّرْعِ(2)! فلمّا بلغْتُها بعدَ شقّ النفْسِ، وإنْضاءِ العنْسِ(3)، ألفَيتُها كما تصِفُها الألسُنُ، وفيها ما تشتَهي الأنفُسُ وتلَذّ الأعيُنُ(4)! فشكَرْتُ يدَ النّوى، وجرَيْتُ طلَقاً مع الهَوى(5). وطفِقْتُ أفُضّ خُتومَ الشّهَواتِ، وأجْتَني قُطوفَ اللّذّاتِ(6)، إلى أن شرعَ سفرٌ في الإعْراقِ، وقدِ استفَقْتُ منَ

(1) شخص عن المكان فارقه وشخص إلى أهله عاد إليهم من سفر والغوطة موضع بالشام خصيب بخارج دمشق والجرد الخيل القصيرة الشعر من التنعّم والجِدّة الغنى ومغبوطة أي محسودة ويغبطه عليها الناس.

(2) يلهيني عن الأمر أي يصرفني عنه وعن الاهتمام به والذرع الطاقة والوسع والخالي الذرع من كان قلبه خالياً من الهموم وازدهاه أي حمله على الزهو واستخفه والزهو خفة المتكبّر وحفل أي امتلأ والضرع للبقرة والشاة بمنزلة الثدي للمرأة وهو هنا كناية عن السعة والوفرة.

(3) بعد شق النفس أي بعد المشقة والعناء وفي القران: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ النحل: 7. وأنضى أي أهزل وأتعب وأبلى والعنس الناقة القوية الصلبة.

(4) ألفى الشيء وجده ولقيه.

(5) النوى البعد والغربة والانتقال من بلد إلى بلد وطلقاً أي خلواً مما يحبسه ويقيده والطلق أيضاً هو الشوط الواحد في جري الخيل وأحسب أن المراد في المعنى الأول يقول حمدت نعم السفر وجريت كما طاب لي مع هواي.

(6) طفق بفعل الشيء أي شرع به وفي القرآن: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ﴾ الأعراف: من الآية 22 وأيضاً طه 121 وفضّ أي كسر وفض الختم فتحه وفض اللؤلؤة ثقبها والبكر أزال عذرتها والجمع فرقهم والختوم جمع الختم والمراد هنا أن

الإغراقِ[1]؛ فعادَني عيدٌ منْ تَذْكارِ الوطَنِ، والحَنينِ إلى العطَنِ[2]. فقوّضْتُ خِيامَ الغَيبَةِ، وأسرَجْتُ جَوادَ الأوبَةِ[3]. ولمّا تأهّبَتِ الرّفاقُ، واستتبّ الاتّفاقُ، ألَحْنا منَ المسيرِ، دونَ استِصْحابِ الخَفيرِ[4]، فرُدْناهُ منْ كلّ قَبيلة، وأعْمَلنا في تحصيلِه ألفَ حيلةٍ[5]. فأعْوَزَ وِجْدانُه في الأحياء، حتى خلنا أنه ليس من الأحياء[6]. فخارت لعوزه عُزومُ السيّارَةِ، وانْتَدَوْا ببابِ جَيْرونَ للاستِشارَةِ[7]. فما زالوا بينَ عَقدٍ وحلٍّ، وشزَرٍ وسحْلٍ، إلى أن نفِدَ التّناجي، وقنَطَ الرّاجي[8].

= شهواته كانت مكبوحة ملجومة مربوطة فحلها من عقالها وأطلق لها العنان واجتنى الثمرة تناولها والعسل جمعه وماء المطر ورده فشربه والقطوف جمع قطف وهي الثمار المقطوفة.

(1) شرع أخذ وابتدأ والسفر المسافرون والإعراق المسير إلى العراق والإغراق المبالغة في الشيء ويروى أشفقت من الإغراق أي خفت الفقر من أجل الزاد والمأكل على ما ذكر الشريشي وأحسب أن الصحو من المبالغة والإفراط الأصح في هذا السياق.

(2) عاد أو ما شاكل أي زار والعيد بكسر العين الموسم وما اعتادك من هم أو حزن وتذكار ومنه العيد وهو يوم فيه تذكار لفضل أو حادثة مهمة لأنه يعود كل سنة والحنين الشوق والعطن مبارك الإبل حول الماء وكنّى بذلك عن بلده.

(3) قوّض أي هدّم والأوبة الرجوع والعودة يقول فهدمت بيوت السفر واسرجت جواد الرجوع إلى الوطن.

(4) تأهب للأمر استعد له واستتب الطريق وضح وبان لسالكه والأمر استقام واستقر وألاح من الشيء أي خافه وحذره والاستصحاب المرافقة والخفير الحارس والمجير.

(5) راد الشيء أي طلبه والأرض تفقد ما فيها من ماء ومرعى والأول أي الطلب هو المراد يقول فطلبناه في كل قبيلة وأعمل الشيء جعله عاملاً يقول واحتلنا ألف حيلة للحصول عليه والقبيلة الجماعة من الناس من أب واحد.

(6) أعوزه المطلوب والمراد صَعُب عليه نيله ووجدانه العثور عليه والأحياء جمع حي وهو ما فوق الخمسين إلى التسعين من البيوت فإن تعدّاه فهو حلّة وخال ظن وحسب والأحياء جمع حي وهو نقيض الميت يقول فتعذر وجوده حتى حسبنا أنه ليس حياً موجوداً.

(7) خار فلان أي ضعف وانكسر وفي رواية حار والخور بالعزيمة ألصق والعزم والجمع العزوم الثبات والشدة والسيّارة الرفقة وهي فعالة من السير وفي سورة يوسف الآية 19: ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ﴾. وانتدوا أي اجتمعوا وباب جيرون باب من أبواب جامع دمشق والاستشارة التشاور وفي رواية الاستخارة أي طلب الخيرة وأحسب الأولى بالسياق أولى.

(8) الشزر فتل الحبل عن اليسار والسحل فتل الحبل دون مبالغة ونفد انقطع وفرغ والتناجي التحدث سرّاً وقنط يئس والراجي الآمل والطامع.

وكان حِذَتَهُمْ شخصٌ مِيسَمُهُ ميسَمُ الشبّانِ، ولَبوسُهُ لَبوسُ الرّهبانِ، وبيَدِه سُبْحَةُ النّسْوانِ، وفي عينِهِ ترجمَةُ النّشوانِ[1]، وقد قيّدَ لحظَهُ بالجَمْعِ، وأرهَفَ أذُنَهُ لاستِراقِ السّمْعِ[2]. فلمّا أنى انْكِفاؤهُمْ، وقد برحَ لهُ خَفاؤهُمْ، قال لهُمْ: يا قومُ ليُفرِخْ كرْبُكُمْ، وليَأمَنْ سِرْبُكُمْ! فسأخْفُرُكُمْ بما يسْرو روْعَكُمْ، ويبدو طوعَكُمْ[3]!

قال الرّاوي:

فاستَطْلَعنا منهُ طِلْعَ الخِفارَةِ، وأسْنَينا لهُ الجَعالَةَ عنِ السّفارةِ[4]؛ فزعَمَ أنّها كلِماتٌ لُقّنَها في المَنامِ، ليحتَرِسَ بها منْ كيْدِ الأنامِ[5]. فجعَلَ بعْضُنا يومِضُ إلى بعْضٍ، ويقلّبُ طرْفَيْهِ بينَ لحْظٍ وغضٍّ[6]. وتبيّنَ لهُ أنّا استَضْعَفنا الخبَرَ، واستَشْعَرْنا الخَوَرَ، فقال: ما بالُكُمْ اتّخذْتُمْ جِدّي عبثاً، وجعلتُمْ تِبري خَبَثاً[7]؟! ولَطالَما واللهِ

(1) حذته وحذاءه أي إلى جانبه وقريباً منه والميسم العلامة والهيئة والشبان جمع شاب واللبوس الثياب والترجمة الإمارة والعلامة والنشوان المنتشي السكران يقول وكان إلى جانبهم شخص شاب لبوسه لبوس الزاهد وبيده سبحة النساء ولكن في عينيه علامة السكر.

(2) قيّد أي ربط وأثبت ولحظه أي نظره والجمع الجماعة وأرهف السمع أي أصغى بانتباه ويقظة واستراق السمع الإصغاء خفية.

(3) أنى وآن وحان كلها بمعنى واحد أي قَرُبَ ويروى ناء مقلوب آن والانكفاء الرجوع والانقلاب وبرح أي انكشف وخفاؤهم أي مستورهم وما أخفوا وفرخ الكرب والروع أي زال والإفراخ زوال وانجلاء الحزن والكرب الهم والبؤس والسرب أي الجمع وخفر أجار ويسرو أي يكشف ويُذْهِب والروع الفزع ويبدو يظهر وطوعكم أي مطيعاً منقاداً لكم.

(4) استطلع أي استعلم وطلب الاطلاع والطِلع الخبر والحقيقة وأسنى العطاء كثّره والجعالة الأجرة والسفارة أي السعي بين القوم وبين من يريدون خفيراً.

(5) زعم ادّعى ولقّنها أي علّمها وحفظها ويحترس أي يتقي ويمتنع ويحتمي والكيد هنا بمعنى الأذى والشر والأنام الناس.

(6) أومض أي أشار خفية واللحظ النظر بطرف العين والغض كف البصر عن النظر.

(7) تبين له أي اتضح واستضعاف الخبر اعتباره ضعيفاً غير جدير بالتصديق والعناية واستشعر الشيء احسّ وشعر به والخور الضعف والانكسار وقد تقدّم والجدّ بكسر الجيم نقيض الهزل والعبث اللعب والتبر الذهب غير المضروب والخبث ما ينفيه الكير من الحديد ونحوه عند إحمائه وطرقه مالكم ترون جدي لعباً وهزلاً وذهبي فساداً.

جُبْتُ مَخاوِفَ الأقْطارِ، وولجْتُ مَقاحِمَ الأخْطارِ، فغَنيتُ بها عنْ مُصاحبَةِ خَفيرٍ، واستِصْحابِ جَفيرٍ(1). ثمّ إني سأنْفي ما رابَكُمْ، وأستَسِلُّ الحذَرَ الذي نابَكُمْ؛ بأنْ أُوافِقَكُمْ في البَداوةِ، وأرافِقَكُمْ في السّماوَةِ(2). فإنْ صدقَكُمْ وعْدي، فأجِدّوا سعْدي، وأسْعِدوا جِدّي! وإنْ كذبَكُمْ فَمي، فمزّقوا أدَمي، وأرِيقوا دَمي(3)!

قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ:

فأُلْهِمْنا تصْديقَ رؤياهُ، وتحْقيقَ ما رَواهُ، فنزَعْنا عن مُجادَلَتِه، واستَهَمْنا على مُعادلَتِه(4). وفصَمْنا بقوْلِهِ عُرى الرّبائِثِ، وألغَيْنا اتّقاءَ العابِثِ والعائِثِ(5). ولمّا

---

(1) جاب البلاد قطعها والمخاوف مواضع الخوف والأقطار أقاليم الأرض ونواحيها وجوانبها وولج دخل والمقاحم المهالك ولا مفرد لها غير أن القحمة الأمر المهول الشاق لا يركبه أحد لهوله والأخطار جمع خطر وغني بالشيء عن الشيء اكتفى به والجفير جعبة من خشب لا جلد فيها أو من جلد لا خشب فيها توضع فيها السهام يقول لقد ركبت الأهوال وما احتجت إلى رفيق يخفرني ولا إلى جعبة أستعين بسهامها.

(2) نفى أزال ودحض وراب أثار الشك والريب واستسل أزال والحذر الخوف والتحرّز ونابكم أي أصابكم وأحاق بكم ووافق أي ساعد وأرافقكم أي أسافر معكم فالرفيق الصاحب في السفر والبداوة السير في البادية والسماوة شخص كل شيء وهي هنا مفازة بين الشام والعراق.

(3) صدقكم وعدي أي كان حقي وأجدّ الشيء حققه وأحكمه وردّه جديداً وذا جَدٍّ أي ذا سعد وحظ يقول فان تحققتم من صدق ما أعدكم به فأكثروا سعدي بالعطاء وأسعدوا جدي أي اجعلوا حظي سعيداً وإن كذبكم فمي أي كان مصدر عن فمي كذباً فمزقوا أدمي أي جلدي وأريقوا وصبوا وأهرقوا.

(4) ألهمنا أي ألقى في قلوبنا وزيّن لنا والرؤيا هنا المنام ونزع عن الشيء أقلع وكفّ عنه وتركه والمجادلة مخالفته ومخاصمته ومقابلة حجته بالحجة واستهمنا أي تساهمنا أي اقترعنا وتخاطرنا ومعادلته الركوب معه في المحمل بأن يركب واحد في الجانب الأيمن والآخر في الأيسر.

(5) فصم قطع وحلّ ونكث والعرى جمع عروة من الإبريق والدلو مقبضهما وهي أيضاً كل ما يستمسك به ويعوّل عليه وهي حلقة تؤخذ باليد وهي هنة في الثوب يدخل بها الزر وهي عين من شريط يشد بها فم الخرج أو العِدل وفي الجملة فانها تعني هنا العلاقة والربائث وهي جمع ربيثة وهي ما يحبس المرء عن أمر يريده وتثبط همته وألغى الشيء طرحه ونبذه وتركه واتقاء أي خوفاً وتحصناً والعابث اللاهي والمولع بما لافائدة فيه والعائث المفسد يقول فتركنا كل مثبط للهمة تمسّكنا به وتركنا الحذر من المفسدين والمولعين بفساد.

عُكِمَتِ الرّحالُ، وأزِفَ التّرْحالُ. استَنزَلْنا كلِماتِهِ الرّاقيةَ؛ لنجْعَلَها الواقيَةَ الباقيةَ[1]! فقال:

ليقْرأ كُلٌّ منكُمْ أمَّ القُرآنِ، كلّما أظَلَّ الملَوانِ[2]! ثمّ ليَقُلْ بلِسانٍ خاضِعٍ، وصوْتٍ خاشِعٍ: اللهُمّ يا مُحْيي الرُّفاتِ، ويا دافِعَ الآفاتِ، ويا واقيَ المخافاتِ، ويا كريمَ المُكافاةِ[3]، ويا موئِلَ العُفاةِ، ويا وليّ العفْوِ والمُعافاةِ! صلِّ على محمّدٍ خاتِمِ أنبيائِكَ، ومبلِّغ أنبائِكَ! وعلى مصابيحِ أسرتِه، ومفاتيحِ نُصرتِه[4]! وأعِذْني من نزَغاتِ الشياطينِ، ونَزواتِ السّلاطينِ، وإعْناتِ الباغينَ، ومُعاناةِ الطّاغينَ، ومُعاداةِ

---

(1) عكمت الرحال أي شدّت الأحمال والمتاع بالعكام وهو ما يربط به فم العِدل وأزف أي وحان ودنا وقرُب وفي القرآن: أزفت الآزفة أي دنا وقرب أوانها وهي القيامة والترحال السفر والرحيل واستنزل الشيء طلب إنزاله وهي هنا التلطّف بالطلب والراقية اما أن تكون السامية وإما أن تكون من الرقية أي المعوّذة وهذه بالسياق أشبه والواقية التي تقي وتحمي وتحفظ وتكفي المخوف من الشر.

(2) أم القرآن وأم الكتاب هي الفاتحة وأظلّ قرب ودنا وألقى بظلّه والملوان الليل والنهار وجاء في تاج العروس: «والملوان بالتحريك مثنى الملا الليل والنهار يقال لا أفعله ما اختلف الملوان وقال الراغب وحقيقة ذلك تكررهما وامتدادهما بدلالة أنهما أضيفا إليهما في قول الشاعر: نهار وليل دائم ملواهما * على كل حال المرء يختلفان. فلو كانا الليل والنهار لما أضيفا إليهما ... قال ابن مقبل: ألا يا ديار الحى بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان.

(3) الخاضع الذليل وخشوع الصوت تذلله وتواضعه وخفضه وغالباً ما يكون الخشوع في الصوت والرفات العظام البالية ودفع الشيء صدّه وأبعده والآفات وواحدتها الآفة العاهة وما يفسد ما يصيبه من كل شيء ويضرّ به والواقي الحامي والصائن والمكافاة أو المكافأة أي المجازاة وتكون في الخير بعامة.

(4) الموئل الملجأ والعفاة والواحد العافي كل طالب فضل أو رزق وولي العفو من بيده العفو والغفران والمعافاة المباعدة من الضرر نقول عافاك الله معافاة فالمعافاة مصدر وخاتم الأنبياء محمد وهو الخاتم إذ لا نبي بعده على ما جاء في الحديث ومبلّغ الشيء موصله والأنباء والواحد نبأ وهو الخبر والمصابيح والواحد مصباح السرج والأسرة الدرع الحصينة وأسرة الرجل عائلته وأهله الأدنون وهم هنا أهل بيت النبي وليس كما قال الشريشي بأن المراد هم المهاجرون والنصرة العون والتأييد وأراد بهم الأنصار بحسب الشريشي غير أنني أحسب المراد كل من نصر النبي في مطلع الدعوة.

العادينَ، وعُدْوانِ المُعادينَ، وغلَبِ الغالِبينَ[1]، وسلَبِ السّالِبينَ، وحِيَلِ المُحْتالينَ، وغِيَلِ المُغْتالينَ، وأجِرْني اللهُمّ منْ جَوْرِ المُجاوِرينَ، ومُجاوَرَةِ الجائِرينَ[2]، وكُفّ عني أكُفّ الضّائِمِينَ، وأخرِجْني منْ ظُلُماتِ الظّالمينَ، وأدْخِلْني برحْمَتِكَ في عِبادِكَ الصّالِحينَ[3]!

اللهُمّ حُطْني في تُرْبَتي وغُرْبَتي، وغيْبَتي وأوبَتي، ونُجْعَتي ورجْعَتي، وتصرُّفي ومُنصَرَفي، وتقلّبي ومُنقلَبي[4]، واحْفَظْني في نفْسي ونفائِسي، وعِرْضي وعرَضي، وعدَدي وعُدَدي، وسكَني ومسْكَني، وحَوْلي وحالي، ومالي ومآلي[5]! ولا تُلحِقْ بي تغييراً، ولا تُسلّطْ عليّ مُغيراً، واجْعَلْ لي منْ لدُنْكَ سُلطاناً نَصيراً[6]!

(1) أعذني أي أجرني والنزغ الإفساد وفي القرآن: ﴿مِنْۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ يوسف: 100 والنزوة وجمعها نزوات الوثبة من نزا أي وثب ونزوة السلطان ظلمه وجوره والإعنات المشقة والإيقاع في الشدة وهي العنت والباغي الظالم المتعدي والمعاناة المقاساة والمعالجة والطاغي المسرف في الظلم والجور والمعصية والعادي من تجاوز الحد في الظلم والعدوان هو الظلم والغلب الغلبة.

(2) السلب السرقة والاختلاس وانتزاع الشيء قهراً والفاعل سالب وغال المرءَ غولاً أهلكه وأتاه من حيث لا يدري والغيل والواحدة غيلة هي المرة من الهلاك والمغتال الذي يهلك المرء من حيث لا يدري وأجار المرء جعله جاراً لنفسه أي حماه وصانه والجور الظلم والمجاورين هنا هم الجن والمجاورة السكنى في الجوار والجائرين الظالمين وفي رواية إضافة هي (وسطوة الجبارين) أي بطشهم.

(3) الكف هنا والجمع أكف بمعنى القدرة وضامه أي قهره وظلمه وأذلّه وضامه حقَّه انتقصه إيّاه.

(4) حاط أي حفظ وحمى والتربة هنا بمعنى البلدة والوطن والغربة الابتعاد عن الوطن والغيبة الغياب عنه والأوبة العودة والرجوع والنجعة السفر في طلب الرزق وهي في الأصل طلب الماء والكلأ ويقولون انتجع فلاناً أي أتاه طالباً معروفه والتصرّف في الأمر التقلّب فيه والمنصرف الانصراف والانقلاب الرجوع والعودة.

(5) النفائس والواحدة نفيسة كل ما له من قيمة سنية وخطر والعرض بكسر العين الخليقة المحمود وما يصونه المرء من نفسه أو سلفه أو من يلزمه أمره والعرض بفتح العين المال والعدد الأهل والأولاد والعدد بضم العين وهي جمع عدّة هي ما يدخره المرء ويتخذه عدّة له والسكن الأهل ومن يسكن إليه والمسكن موضع السكنى أي البيت والحول القوة والمآل المصير.

(6) ألحق بالشيء جعله يلحق به ويدركه وغالباً ما تكون في السوء والتغيير هنا تبدّل الحال إلى أسوأ=

اللهُمّ احرُسْني بعينِك وعونِكَ، واخْصُصْني بأمنِكَ ومنّكَ، وتولّني باختِيارِكَ وخيرِكَ، ولا تكِلْني إلى كِلاءَةِ غيرِك[1]! وهَبْ لي عافيَةً غيرَ عافِيَةٍ، وارْزُقْني رَفاهِيَةً غيرَ واهيَةٍ! واكْفِني مَخاشيَ اللأوَاء، واكْنُفْني بغواشي الآلاء، ولا تُظْفِرْ بي أظفارَ الأعْداء، إنّك سميعُ الدُعاء[2]!.

ثمّ أطرَقَ لا يُديرُ لحظاً، ولا يُحيرُ لفظاً، حتى قُلْنا: قد أبلَسَتْهُ خشيةٌ، أو أخرَسَتْهُ غشيَةٌ! ثمّ أقنعَ راسَهُ، وصعّدَ أنفاسَهُ[3]، وقال:

أُقسِمُ بالسّماء ذاتِ الأبراجِ، والأرضِ ذاتِ الفِجاجِ، والماءِ الثّجّاجِ، والسّراجِ الوهّاجِ، والبحْرِ العجّاجِ، والهواءِ والعَجاجِ، إنّها لَمِنْ أيمَنِ العُوَذِ، وأغْنى عنكُمْ منْ لابِسي الخُوَذِ[4]؛ مَنْ درَسها عندَ ابتِسامِ الفلَقِ، لم يُشفِقْ منْ خطْبٍ إلى الشّفَقِ! ومنْ

= وسلّطه عليه جعل له سلطاناً عليه وقدرة وغالباً ما تكون في السوء كأن يسلّط الله المرض أو الوحش أو العدو الباغي والمغير من الإغارة وهي الهجوم والإيقاع بالآخر: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا﴾ فمن سورة الإسراء الآية 80.

(1) يقول ربّ اسهر عليّ وانصرني واجعل ومنّك أي إحسانك نصيبي وتولّني أي كن ولياً لي تصطفيني بذلك ولا تكلني أي لا تحوجني والكلاءة الحفظ والحراسة.

(2) هب لي فعل أمر من وهب أي أعطِ والعافية الأولى السلامة من الآفات والعافية الثانية تعني الدارسة والبالية من عفا البيت أي درس وبلي والرفاهية سعة العيش والواهية الضعفية الناقصة والمخاشي ما يُخشى ويُخاف واللأواء الشدة والضيق واكنفني أي واسترني وظللني والغواشي ما يُتغشّى أي يتغطّى به والآلاء النعم وأظفره جعل له الفوز والظفر وإظفار الأعداء كناية عن فوز الأعداء وظفرهم به وسميع الدعاء من يسمعه ويستجيب وهو الله انظر سورة آل عمران الآية 38: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾.

(3) أطرق نظر إلى الأرض ساكتاً لا يتكلم وهو مضمّن في قوله: «لا يدير لحظاً ولا يحير لفظاً» أي لا ينظر ويجيل النظر في ما حوله ويحير لفظاً يرد كلاماً والإبلاس الدهشة والتحيّر وانقطاع الحجّة والخشية الخوف والغشية ما يغشى على العقل وهي غمرة الإغماء وأقنع رأسه مد عنقه ورفع رأسه رفعة مرة بعد مرة وصعّد النفس أخرجه بصعوبة.

(4) الأبراج بروج الشمس ومنازل القمر والفجاج والواحد فج المسلك والطريق الواسع في الجبل وقيل المتّسع بين مرتفعين والثّجاج من الماء المتدفق الكثير الصب وفي سورة النبأ الآية 14: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا﴾ والسراج الوهاج أي المتقد الملتمع وعنى بذلك الشمس والعجاج أي الذي له =

ناجَى بها طَليعَةَ الغسَقِ، أمِنَ ليلَتَهُ منَ السّرَقِ[1]!

قال:

فتلقّنّاها حتى أتْقَنّاها، وتدارَسْناها لكيْ لا ننْساها[2]. ثمّ سِرْنا نُزْجي الحَمولاتِ، بالدّعَواتِ لا بالحُداةِ! ونحْمي الحُمولاتِ، بالكَلِماتِ لا بالكُماةِ[3]! وصاحِبُنا يتعَهّدُنا بالعَشيّ والغداةِ، ولا يستَنْجِزُ منّا العِداتِ، حتى إذا عايَنّا أطْلالَ عانَةَ، قال لنا: الإعانَةَ الإعانةَ[4]! فأحْضَرْناهُ المَعْلومَ والمكتومَ، وأرَيْناهُ المعْكومَ والمخْتومَ! وقُلْنا لهُ: اقْضِ ما أنتَ قاضٍ[5]، فما تجِدُ فينا غيرَ راضٍ! فما استَخفّهُ

= عجيج أي صوت مرتفع والعجاج الغبار الثائر والدخان وأيمن أفعل تفضيل من اليمن أي البركة والعوذ جمع عوذة وهي المعاذة وما يتحصّن به من كتابة أو خرز وما شاكل وأغنى فلان مغنى فلان أي سدّ مسدّه وقام مقامه وكفاه الحضور والخوذ والواحدة خوذة بيضة من حديد يلبسها الفارس في رأسه ولابسو الخوذ الفرسان والمقاتلة. يقول إن هذه العوذة المباركة أجدى لكم وتسد مسدّ الفرسان في دفع الضر عنكم.

(1) درس الكتاب قرأه وأكبّ عليه يحفظه والفلق الصبح وابتسام الفلق طلوع الصبح لم يشفق لم يجزع ولم يخف والخطب الأمر الشديد والشفق حمرة ما بعد غروب الشمس يقول من قرأه عند طلوع الفجر لم يخف شيئاً حتى المساء وناجى تكلّم سرّاً وطليعة الشيء أوله والغسق دخول الظلام والسرق السرقة.

(2) تلقّن الشيء فهمه ووعاه وأتقن الشيء أحكمه وتدارسناها أي تداولنا دراستها.

(3) نزجي أي نسوق والحمولات الأحمال إن كانت جمع حمولة بضم الحاء والإبل ان كانت بفتحها والدعوات جمع دعاء والحداة جمع الحادي وهو سائق الإبل والكلمات هنا نص الدعاء والكماة والواحد كمي أي الفارس الشجاع.

(4) يتعهّدنا يتفقدنا وتعهد الشيء تفقده وتردد إليه لحفظه والسهر عليه والغداة وقت ما بين الفجر وطلوع الشمس والعشي وقت ما بين الغروب إلى الظلمة واستنجز طلب إنجاز الوعد وإحضاره والعدات من الوعد والواحدة عدة وعاين رأى وأبصر والأطلال الآثار والرسوم الدارسة وعانة قرية قريبة من الفرات مشهورة بأعنابها وخمورها والإعانة الإعانة أي هلموا فأعينوني بما أستعين به على أمري وفقري.

(5) أحضرناه أي أتيناه وجئناه بالشيء والمعلوم أي الظاهر والمكتوم أي المستور والمعكوم وقد تقدّم المشدود والمربوط كناية عن المتاع والمختوم أي ما سدّ بختم كناية عن المال من ذهب وفضّة وقيل إن المعكوم أي الموضوع في العِكم وهو نمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها وقوله «إقض ما أنت قاض أي رِ رأيك واختر ما حلا لك» والعبارة قرآنية من سورة طه الآية 72.

سِوى الخِفّ والزَّينِ، ولا حَلِيَ بعينِهِ غيرُ الحَلْيِ والعَينِ[1]. فاحتَمَل منهُما وِقْرَهُ، وناءَ بما يسُدّ فَقْرَهُ. ثمّ خالَسَنا مُخالَسَةَ الطّرّارِ، وانْصلَتَ منّا انصِلاتَ الفَرّارِ[2]. فأوحَشَنا فِراقُهُ، وأدْهَشَنا امتِراقُهُ[3]. ولمْ نزَلْ ننْشُدُهُ بكلّ نادٍ، ونستَخْبِرُ عنهُ كلَّ مُغوٍ وهادٍ، إلى أن قيل: إنّه مُذ دخَل عانَةَ، ما زايلَ الحانَةَ[4]! فأغراني خُبْثُ هذا القولِ بسَبكِهِ، والانسِلاكِ فيما لستُ منْ سِلْكِه؛ فادّلَجْتُ إلى الدّسكَرَةِ، في هيئةٍ منكّرَةٍ[5]! فإذا الشيخُ في حُلّةٍ ممصّرَةٍ، بينَ دِنانٍ ومِعصَرَةٍ، وحولَهُ سُقاةٌ تبهَرُ، وشُموعٌ تزْهَرُ، وآسٌ وعبْهَرٌ، ومِزْمارٌ ومِزْهَرٌ[6]! وهوَ تارةً يستَبْزِلُ الدّنانَ، وطَوْراً يستَنطِقُ العِيدانَ،

(1) استخفّه أي أطربه وحمله على الخفة والخف الخفيف والزين الحسن المستملح وحلي بعينه أي حسُن والحلي ما تتحلى بها النساء من مصاغ والعين المضروب والمسكوك من الذهب والفضة يقول فما أطربه سوى الخفيف الجميل ولا حسن في عينه سوى المصاغ والمال المضروب والخف هو الخفيف الهين السهل حمله هذا وقد فسّر الشريشي قوله استخفه بمعنى استحقر ولا أحسب الأمر كذلك بل أحسبه أراد القول بأن الحلو الخفيف والسهل حمله أطربه كما حسنت في عينيه الحلي والدنانير المسكوكة.

(2) الوقر الحمل والنوء بالحمل النهوض به بمشقة وثقل وخالسه الشيء أعجله واختلسه وخالسنا هنا بمعنى خدعنا والطرّار من يطرّ أي يقطع جيوب الناس وانصلت أي انسلّ خلسة فلم يشعر به والفرّار الكثير الفرار وقيل هو الزئبق لأنه لا يستقرّ في مكان.

(3) أوحشنا أذهب أنسنا وأدهشنا حيرنا وامتراقه أي خروجه بسرعة فالمروق هو نفاذ السهم من الرمية وخروجه من الجانب الآخر.

(4) نشد الشيء أو الضالة طلبها وبحث عنها والنادي المجلس والمغوي المضل والهادي المرشد وزايل فارق والحانة بيت الخمار وحانوته.

(5) أغراه الشيءَ وبالشيء حسّنه له وأوقعه به وحضّه عليه والسبك الامتحان والتجريب والانسلاك الدخول والسِلك الشكل وانسلكت اللؤلؤة دخلت في السلك وهو خيط النظام وأدلج مضى بالليل والدّسكرة القرية وبيت الشراب واللهو والأخير المراد والمنكرة المتغيّرة أي أنه مضى متنكراً بالليل.

(6) الحلّة القميص والإزار والرداء مجتمعة والممصرة المصبوغة بالمصرة وهي العصفر قبل أن يوضع فيه الخل فلونها أصفر فإذا وضع الخل احمر ما يصبغ به وسمّي معصفراً والدنان جمع دن وهو خابية طويلة الأسفل ضيقته ويسمّى الراقود والمعصرة آلة عصر الخمر والسقاة جمع ساق وتبهر فسّرها الشريشي بقوله تسقيه بالبهار وهو شبه الإبريق وأضاف تبهر أي تغلب العقول بحسنها والتفسير الثاني أشبه بالسياق وشموع تزهر أي تنير وتضيء والآس شجيرة عطرة دائمة الخضرة تنبت في السهل والجبل والعبهر نبات من فصيلة النرجسيات حلو العرف والرائحة والمزهر العود يضرب به والدف الكبير ينقر عليه.

ودَفعةً يستنشِقُ الرَّيْحانَ، وأخرَى يغازِلُ الغِزْلانَ[1]! فلمّا عثرْتُ على لَبْسِهِ، وتفاوُتِ يومِهِ منْ أمْسِه، قلتُ: أوْلى لكَ يا ملْعونُ! أأنسيتَ يومَ جَيْرونَ!؟ فضحِكَ مُستَغرِباً، ثم أنشدَ مُطَرِّباً[2]:

لــــزِمــــتُ الـــسِّــــفــــارَ	وجُــبــــتُ الــقِــــفــــارَ
وعِــــفْــــتُ الــنِّــــفــــارَ	لأجْــنـــي الــفَــــرَحْ[3]
وخُــــضــــتُ الــسّــيــولَ	ورُضــتُ الــخــيــولَ
لــــجَــــرّ ذُيــــولِ	الـصّـبــا والــمَــرَحْ[4]
ومِــــطْــــتُ الــوَقــارَ	وبــعْــتُ الــعَــقــارَ
لــحَــسْــوِ الــعُــقــارِ	ورشْــفِ الــقــدَحْ[5]
ولــولا الــطِّــمــاحُ	إلـــى شُــربِ راحْ
لــمــا كــانَ بــاحَ	فَــمــي بــالــمُــلَــحْ[6]

(1) استبزل استقى الشراب والمبزل الثقب في جانب الدن تجري منه الخمر صافية ويبقى الدرديّ وهو الكدر الراسب في القعر ويستنطق العيدان وهي جمع عود أي يأمر بضربها طلباً لسماعها ويستنشق أي يشم ويغازل الغزلان يحادث ويتودد إلى الغلمان والنساء وأحسب أن الغلمان المراد هنا.

(2) عثر على الشيء وجده واطّلع عليه واللبس التخليط والتفاوت التباين وأولى لك لفظ تهديد ووعيد بمعنى ويل لك وفي سورة القيامة الآية 34: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ واستغرب في الضحك أغرق وأكثر ومطرّباً أي ليُطرب ويُفرح.

(3) لزم المكان أو الشيء أقام فيه وواظب عليه والسفار السفر وجاب قطع والقفار الأماكن الخالية وعاف الشيء كرهه والنفار الشرود والشموس والهرب وجنى الثمر اقتطفه.

(4) خاض الماء مشى فيه وراض الحصان ذلله وركبه وذيل الثوب آخره وما سبل منه وغالباً ما يكون للنساء الموسرات ولكنه عند الرجال أيضاً يكون دليل السعة في العيش والمرح يقول الأخطل:

خرجتُ أجرُّ الذيلَ حتى كأنني ... عليك أميرَ المؤمنين أمير.

ويقول عمر بن أبي ربيعة: كُتِبَ القَتْلُ والقِتالُ عَلَيْنا، وعلى الغانياتِ جرُّ الذيولِ. والمرح النشاط والعجب.

(5) ماط وأماط نحّى وأبعد ودفع وباعد العقار بفتح العين المال الثابت الذي لا ينتقل والعقار بالضم الخمر والحسو هو الشرب والرشف هو المص.

(6) الطماح ارتفاع النظر وشخوصه ومثله الطموح والراح من أسماء الخمر والملح والواحدة ملحة وهي ما يستملح من الكلام.

ولا كـــان ســـاقَ دَهـــائـــي الـــرِّفـــاقَ
لأرضِ الـــعِـــراقِ بـــحـــمْـــلِ الـــسُّـــبَـــخْ[1]
فـــلا تـــغْـــضَـــبَـــنّ ولا تـــصْـــخَـــبَـــنّ
ولا تـــعْـــتُـــبَـــنّ فـــعُـــذْري وضَـــحْ[2]
ولا تـــعْـــجَـــبَـــنّ لـــشـــيْـــخٍ أبَـــنّ
بـــمـــغْـــنًـــى أغَـــنّ ودَنٍّ طـــفَـــحْ[3]
فـــإنّ الـــمُـــدامَ تُـــقـــوّي الـــعِـــظـــامَ
وتَـــشْـــفـــي الـــسَّـــقـــامَ وتـــنْـــفـــي الـــتّـــرَحْ[4]
وأصْـــفـــى الـــسّـــرورِ إذا مـــا الـــوَقـــورُ
أمـــاطَ سُـــتـــورَ الـــحـــيَـــا واطّـــرَحْ[5]
وأحْـــلـــى الـــغَـــرام إذا الـــمُـــســـتـــهـــام
أزالَ اكـــتِـــتـــامَ الـــهـــوَى وافـــتـــضَـــحْ[6]
فـــبُـــحْ بـــهَـــواكَ وبـــرّدْ حَـــشـــاكَ
فـــزَنْـــدُ أســـاكَ بـــهِ قـــدْ قـــدَحْ[7]
وداوِ الـــكُـــلـــومَ وســـلِّ الـــهُـــمـــومَ

---

(1) ساق أي قاد والدهاء المكر والسبح والواحدة سبحة عقد من خرز أو ما شاكل يستخدم للتسبيح وذكر الله.

(2) الصخب رفع الصوت بالصياح يقول لا تغضب وترفع صوتك ولا تعتب فأنا بادي العذر.

(3) أبنّ أقام والمغنى المنزل والأغن كثير الأشجار فإذا هبّت الريح سمع لها غُنّة ويقال على ما روى الشريشي كثير الأهل غير أنه رأى أن الأول أولى وطفح امتلأ خمراً.

(4) المدام من أسماء الخمر والسقام العلة والمرض والترح الحزن والكرب.

(5) الوقور الجليل الكثير الوقار واطرّح نفى ونبذ وأبعد يقول يكون السرور خالصاً لا شائبة فيه حين يزيح الرجل الجليل ستور أي أغشية الحياء والاحتشام.

(6) المستهام العاشق الذاهب اللب عشقاً وهياماً والاكتتام الكتم وإخفاء الأمر وافتضح أي انكشف امره واشتهر يقول والغرام يصير حلواً إذا ما العاشق المدنّف باح بمكنون قلبه وشهر أمره.

(7) بح فعل أمر من باح والحشا الفؤاد والزند ما يقدح به النار والأسى الحزن يقول برّد فؤادك بذكر من تهوى فان الحزن قد أضرمه ناراً فعل الزند.

بـبِـنْـتِ الـكُـرو م الـتـي تُـقـتـرَحْ[1]
وخُـصَّ الـغَـبـوقَ بـسـاقٍ يـسـوقُ
بَـلاءَ الـمَـشـوقِ إذا مـا طَـمَـحْ[2]
وشـادٍ يُـشـيـدُ بـصـوتٍ تَـمـيـدُ
جِـبـالُ الـحـديـدِ لـهُ إنْ صَـدَحْ[3]
وعـاصِ الـنّـصـيـحَ الـذي لا يُـبـيـحُ
وِصـالَ الـمـلـيـحِ إذا مـا سَـمَـحْ[4]
وجُـلْ فـي الـمِـحـالِ ولـوْ بـالـمُـحـالِ
ودعْ مـا يُـقـالُ وخُـذْ مـا صَـلَـحْ[5]
وفـارِقْ أبـاكَ إذا مـا أبـاكَ
ومُـدَّ الـشّـبـاكَ وصِـدْ مَـنْ سَـنَـحْ[6]
وصـافِ الـخَـلـيـلَ ونـافِ الـبَـخـيـلَ
وأوْلِ الـجَـمـيـلَ ووالِ الـمِـنَـحْ[7]

---

(1) الكلوم الجراح وبنت الكروم الخمرة وتقترح أي تُطلب وتشتهى يقول داو جراحك وانس همّك بخمرة تطلب وتشتهى وتراد.

(2) الغبوق شراب أول الليل والصبوح شراب أول النهار ويسوق يقود وهي هنا بمعنى يطرد والمشوق العاشق المشتاق وطمح شخص بنظره يقول وسلّم شراب ليلك لساق جميل الطلعة ينفي هم العاشق المشتاق إذا ما رفع نظره وشخص إلى حسنه وبهائه.

(3) الشادي المغنّي ويشيد يحسن الغناء ويتقنه وتميد تهتز وتتزلزل وصدح أي رفع صوته فالصدح شدّة الصوت وحدّته.

(4) أباح سمح ورخّص بالفعل والنصيح الناصح والمليح الحلو يقول واعص ناصحاً ينصحك بالامتناع عن وصال الجميل إذا سمح لك.

(5) جل فعل أمر من الجولان والمحال بكسر الميم المكر والخديعة والمحال بضم الميم الباطل الذي لا يتصوّره العقل يقول واحتل لأمرك ومخرق ودع عنك قول من قال وخذ ما ينفعك ويصلح أمرك.

(6) فارق أي اترك وأباك أي عاندك من أبى ومدّ الشباك أي انصبه وصد فعل أمر من صاد وسنح الظبي أي مرّ وعرض وتيسّر.

(7) صاف فعل أمر من المصافاة وهي إخلاص الود للخليل أي الصاحب وناف فعل أمر بمعنى باعد وأول الجميل أي أحسن لمن يستحق ووال أي تابع والمنح العطايا.

ولُـــذْ بـــالـــمَـــتـــابِ أمـــام الـــذّهـــابِ
فـــمَـــنْ دقّ بـــابَ كـــريـــمٍ فـــتَـــحْ[1]

فقلتُ لهُ: بَخٍ بخٍ لرِوايتِكَ! وأفٍّ وتُفٍّ لغَوايَتِكَ! فباللهِ منْ أيّ الأعياصِ عِيصُكَ، فقدْ أعضَلَني عَويصُكَ؟ فقال: ما أحبُّ أنْ أفصحَ عنّي، ولكِنْ سأكَنّي[2]:

أنـــا أُطـــروفَـــةُ الـــزّمـــا نِ وأعـــجـــوبَـــةُ الأُمَـــمْ[3]
وأنـــا الـــحُـــوّلُ الـــذي احْـــ تـــالَ فـــي الـــعُـــرْبِ والـــعـــجَـــمْ[4]
غـــيـــرَ أنّـــي ابـــنُ حـــاجَـــةٍ هـــاضَـــهُ الـــدّهـــرُ فـــاهـــتَـــضَـــمْ[5]
وأبـــو صِـــبْـــيَـــةٍ بَـــدَوْا مـــثْـــلَ لَـــحْـــمٍ عـــلـــى وضَـــمْ[6]
وأخـــو الـــعَـــيْـــلَـــةِ الـــمُـــعـــيـــ لُ إذا احْـــتـــالَ لَـــمْ يُـــلَـــمْ[7]

قال الرّاوي:

---

(1) لاذ أي التجأ والمتاب التوبة وأمام الذهاب أي قبل الموت يقول وقبل أن ينتهي أجلك تب فربك تواب يفتح الباب للطارق أي لطالب المغفرة.

(2) بخ بخ لفظ استحسان وإعجاب وأف وتف تقالان في مقام التكرّه والاستقذار وروى الشريشي عن الأصمعي ان الأف وسخ الأذن وأن التفّ وسخ الأظفار والغواية الضلالة والعيص الأصل ومنبت خيار الشجر ويقول الشريشي إنه بيت الأسد وأعضلني صعب عليّ والعويص الغامض والصعب من الأمور وأفصح أبان وكنّى أي أخبر بالكناية أي بكلام خفي.

(3) الأطروفة المستحسن والمستغرب من الأمور والأعجوبة المعجب العجيب.

(4) الحول الكثير الحيلة.

(5) ابن الحاجة المحتاج وطالب الحاجة وهاض كسر وحطّم واهتضم ظلم ونقص.

(6) الصبية الأولاد الصغار وبدوا أي ظهروا والوضم خشبة الجزار ويقال في العربية أضيع من لحم على وضم ويقول أبو تمام:

الآنَ قـد خـلـت الـذؤبـانُ فـي الـغـنـمِ وصِرْتَ أضيعَ مِنْ لَحْمٍ عـلـى وَضَـمِ

ويقول إسحاق بن خلف:

أحَـاذِرُ الـفَـقْـرَ يَـوْمـاً أنْ يُـلِـمَّ بِـهَـا فَيَهْتِكَ السِّترَ عَنْ لَحْمٍ عَلَى وَضَمِ.

(7) أخو العيلة الفقير المحتاج والمعيل الكثير العيال من عال يعيل أي افتقر يقول والفقير المحتاج لا لوم ولا تثريب عليه ان هو احتال لمعاشه ورزقه.

فعرفتُ حينَئِذٍ أنّه أبو زيدٍ ذو الرّيبِ والعيْبِ، ومُسوِّدُ وجْهِ الشّيْبِ[1]! وساءني عِظَمُ تمرّدِهِ، وقُبْحُ تورّدِهِ[2]، فقلتُ لهُ بِلسانِ الأنَفَةِ، وإدْلالِ المعرِفَةِ[3]:

ألمْ يأنِ لكَ يا شيخَنا، أنْ تُقلِعَ عنِ الخَنا[4]!؟ فتضَجّرَ وزمْجَرَ، وتنكّرَ وفكّرَ، ثمّ قال: إنّها ليلَةُ مِراحٍ لا تَلاحٍ، ونُهْزَةُ شُرْبِ راحٍ لا كِفاحٍ[5]! فعَدِّ عمّا بَدا، إلى أنْ نتَلاقَى غَدا! ففارَقْتُه فرَقاً منْ عربَدَتِه، لا تعلُّقاً بعِدَتِه[6]. وبِتُّ ليلَتي لابِساً حِدادَ النّدَمِ، على نقْلي خُطَى القدَمِ، إلى ابنَةِ الكرْمِ لا الكرَمِ[7]. وعاهدْتُ اللهَ سُبحانَهُ وتعالى أن لا أحضُر بعدَها حانَةَ نَبّاذٍ، ولو أُعطيتُ مُلكَ بغداذٍ. وأنْ لا أشهدَ معصَرَةَ الشّرابِ، ولو رُدّ عليّ عصْرُ الشّبابِ[8]. ثمّ إنّنا رحّلْنا العِيسَ، وقتَ التّغليسِ، وخلّيْنا بينَ الشيّخَينِ أبي زيدٍ وإبليسَ[9].

(1) الريب الشك وذو الريب من يثير الريب والشك ومسوّد وجه الشيب أي من خضب شيبه للتدليس أو من أتى بما لايليق بشيبه وسنّه والعيب المعيب المخجل من الأمور والأفعال.

(2) العظم الكبر والتمرّد العتو وخبث السيرة والقبح البشاعة والتورّد إحضار الشيء أو القدوم على الماء والمعنى دخوله في كل قبيح مكروه.

(3) الأنفة الحمية والإباء والاستنكاف والإدلال والدالة الجرأة مع الغنج وتكون في النساء يقول فقلت مستنكفاً وكان لي من معرفتي به الجرأة والدالة عليه لقول ما أريد.

(4) آن أي حان وقرب والخنا الفحش.

(5) تضجّر ضاق صدره فضجر وزمجر صاح والزمجرة صوت الأسد وتنكّر أي غير هيئته والمراح الطرب والمرح والتلاحي الخصومة والجدال والنهزة الفرصة والكفاح المجالدة والمقاتلة.

(6) عدّ أي تجاوز وما بدا ما ظهر وبان أي تجاوز ما ترى وفارقته تركته والفرق الخوف والعربدة سوء خلق السكران وشغبه وهياجه والعدة وقد تقدمت الوعد يقول فقال دع عنك ما ترى وتجاوزه وتعال غداً فتركته خوفاً من سوء خلقه وسكره لا ثقة بوعده.

(7) استعار سواد الحداد وهو لباس الحزن للندم في ليله والخطا والواحدة خطوة وهي مسافة ما بين القدمين عند المشي والقدم الرجل يقول فأقمت ليلي في سواد لندمي لتوجهي إلى حيث شرب الخمر لا كرم الأفعال والخصال الحميدة.

(8) عاهده أي أعطاه عهداً وألزم نفسه بأمر ما والنبّاذ بائع النبيذ وبغداذ لغة في بغداد يقول فأعطيت الله عهداً أن لا أشهد حانة خمار أو معصرة خمر حتى ولو أعيد شبابي.

(9) رحّل أي وضع الرحال على العيس أي الإبل والتغليس الخروج في وقت الغلس وهو ظلمة آخر الليل.

المقامة البغدادية

رَوى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

ندَوْتُ بضَواحي الزّوْراء، معَ مشيخَةٍ منَ الشّعراء؛ لا يعْلَقُ لهُمْ مُبارٍ بغُبارٍ، ولا يجْري معهُمْ مُمارٍ في مِضمارٍ[1]! فأفَضْنا في حديثٍ يفضَحُ الأزهارَ، إلى أنْ نصَفْنا النّهارَ، فلمّا غاضَ دَرُّ الأفكارِ، وصبَتِ النّفوسُ إلى الأوْكارِ[2]، لمحْنا عجوزاً تُقبِلُ منَ البُعْدِ، وتُحضِرُ إحْضارَ الجُرْدِ، وقدِ استَتْلَتْ صِبيَةً أنحَفَ منَ المَغازِلِ، وأضعَفَ منَ الجَوازِلِ! فما كذّبَتْ إذ رأتْنا، أن عرَتْنا. حتى إذا ما حضرَتْنا[3]، قالت: حيّا اللهُ المَعارِفَ! وإنْ لم يكُنّ معارِفَ! إعلَموا يا مآلَ الآمِلِ، وثِمالَ الأرامِلِ[4]! أنّي من

(1) ندا ندواً القوم اجتمعوا والضواحي والواحدة ضاحية وهي مؤنث الضاحي من المدينة ناحية منها بارزة إلى الريف والزوراء الجانب الشرقي من بغداد سميت كذلك لازورار أي لانحراف قبلتها ويعلق يلصق والمباري المتسابق المعارض والمعنى أنها كالخيل الجياد لا يلحق غبارها من يجاريها لسرعتها ويجري يعدو والمماري المجادل والمضمار وقد تقدم شوط الخيل في عدوها.

(2) أفضنا أي اندفعنا ويفضح الأزهار أي يبزها حسناً ورونقاً ونصفنا النهار أي بلغنا نصفه وغاض أي غار وجفت والدر اللبن ودر الأفكار ما يصدر من كلام جميل وصبا أي تاق وهفا ومال والأوكار والواحد وكر أي بيت الطائر والمراد البيت بعامة.

(3) لمح أي أبصر وتقبل أي تأتي وتقدم وتحضر أي تجري وتعدو والجرد الخيل القصار الشعر واستتلت استتبعت أي جعلتهم يتبعونها والصبية جمع صبي وأنحف أقل لحماً والمغازل جمع مغزل والجوازل والواحدة جوزل أفراخ الحمام وعرتنا قصدتنا.

(4) المعارف والواحد معروف أي الوجوه والسادة والمعارف الثانية من تعرف من الناس ومآل الآمل أي ملجأ ومرجع الراجي والثمال الغياث ومن يعوّل عليه والأرامل المساكين من رجال ونساء والفعل أرمل القوم أي فني زادهم وتدعى فاقدة زوجها أرملة لفقدها المعيل ولأن امرها يؤول إلى الضيعة والحاجة وثمال الأرامل عبارة قالها أبو طالب عم النبي في قصيدة يمدحه فيها:

وابيض يستسقى الغمام بكفه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

سَرَواتِ القَبائِلِ، وسَريّاتِ العقائِلِ! لمْ يزَلْ أهلي وبعْلي يحُلّونَ الصّدْرَ، ويَسيرونَ القلْبَ، ويُمْطونَ الظّهْرَ، ويولونَ اليَدَ[1]؛ فلمّا أرْدَى الدّهرُ الأعْضادَ، وفجعَ بالجَوارِحِ الأكْبادَ، وانقلَبَ ظهْراً لبَطْنٍ[2]؛ نَبا النّاظِرُ، وجَفا الحاجِبُ، وذهبَتِ العينُ، وفُقِدَتِ الرّاحةُ[3]، وصلَدَ الزَّنْدُ، ووَهَنتِ اليَمينُ، وضاعَ اليَسارُ، وبانَتِ المَرافِقُ[4]. ولم يبْقَ لنا ثَنِيّةٌ ولا نابٌ، فمُذْ اغْبرّ العيشُ الأخضَرُ، وازْوَرّ المحْبوبُ الأصفَرُ؛ اسوَدّ يومي الأبيضُ، وابيَضّ فَوْدي الأسوَدُ. حتى رثَى ليَ العدوّ الأزرَقُ[5]، فحبّذا الموتُ الأحمَرُ! وتِلْوِي مَنْ ترَوْنَ عينُهُ فُرارُهُ، وترْجُمانُهُ اصْفِرارُهُ! قُصْوى بِغيَتِهِ أحدِهِمْ ثُرْدَةٌ، وقُصارَى أمْنِيّتِه بُرْدَةٌ[6]! وكنتُ آلَيْتُ أنْ لا أبذُلَ الحُرّ، إلا

(1) السروات السادات والسريّ السيد الكبير والسريات السيدات والعقائل والواحدة عقيلة الكريمة من النساء والبعل الزوج ويحلّون أي ينزلون في المكان وصدر المجلس شرفه ومقدمه والقلب أي قلب العسكر والعسكر خمسة أقسام المقدمة والساقة والميمنة والميسرة والقلب والسير في القلب سير في محل الملوك والقادة أي وسط الموكب ويمطون أي يعطون والظهر الإبل بأحمالها فأمطاه أي أعطاه دابة يركب مطاها أي ظهرها واليد النعمة ويولون اليد أي يهبون النعمة.

(2) أردى أهلك والأعضاد والواحد عضد وهو الذراع الغليظ الذي بين المرفق والمنكب والمراد هنا بالأعضاد الأعوان وفجع جاء بفجيعة وأحزن والجوارح الأعضاء التي يكتسب الإنسان كاليد والعين والرجل والمراد هنا الولد والخدم ومن يستعان به من القرابة على الدهر وانقلب تحول وظهراً لبطن كناية عن الخلاف والتبدل من حال إلى النقيض.

(3) نبا أي تجافى وارتفع وابتعد والناظر من كان ينظر إليهم نظر إجلال وتعظيم وجفا أعرض والحاجب أي الخادم وهو المكلف بالحجاب والستر ويمكن أن يكون المراد حاجب العين لم يرسل الجفن كناية عن الأرق والسهر والعين الذهب والراحة السكينة والطمأنينة.

(4) صلد الزند لم يور ناراً وهو هنا كناية عن انقطاع الخير ووهن ضعف واسترخى ووهن اليمين كناية عن ضعف القوة وذهابها وبانت أي بدت وظهرت والمرافق كل ما ارتفقت به من مال وغيره ومن كان يرتفق بحياته ونفعه.

(5) الثنية الصغيرة من النوق والناب المسنّة منها واغبرّ أي علته غبرة والأخضر الناعم الرغد من العيش وازورّ أي انقبض والأصفر الدينار والفود جانب الرأس وبياضه الشيب ورثى لي أشفق عليّ وأحزنه أمري والعدو الأزرق الشديد العداوة.

(6) حبذا من أفعال المدح والموت الأحمر الشديد كالموت بالسيف وتلوي أي خلفي وعينه أي شخصه والفر في البهائم الكشف عن أسنانها ليعرف مالها من السن وعينه فراره مثل عربي وقد =

للحُرّ، ولوْ أني مُتُّ منَ الضُرّ! وقد ناجَتْني القَرونَةُ، بأنْ توجَدَ عندَكُمُ المَعونَةُ. وآذَنَتْني فِراسَةُ الحوْباء، بأنّكُمْ ينابيعُ الحِباء[1]! فنضّرَ اللهُ امرءاً أبَرّ قَسَمي، وصدّقَ توسُّمي، ونظَرَ إليّ بعَينٍ يُقذيها الجُمودُ، ويُقذّيها الجودُ[2].

قال الحارثُ بنُ هَمّام:

فهِمْنا لبَراعَةِ عِبارَتِها، ومُلَحِ استِعارَتِها، وقُلْنا لها: قد فتَنَ كلامُكِ، فكيفَ إلحامُكِ[3]؟ فقالتْ: أفجّرُ الصّخْرَ، ولا فخْرَ! فقُلْنا: إن جعلْتِنا منْ رُواتِكِ، لم نبْخَلْ بمؤاساتِكِ[4]. فقالت: لأُرِيَنّكُمْ أوّلاً شِعاري، ثمّ لأرَوّيَنّكُمْ أشْعاري! فأبرَزَتْ

= جاء في كتاب الأمثال لابن سلام: قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا قولهم: عينه فراره. يقول: منظره يغنيك عن مسألته. والفرار: اختبار الشيء ومعرفة حاله، كما تفر الدابة. وفي أمالي القالي عن الأصمعي: هو الخبيث عينه فراره. ممشاه مشى الكلب وازدجاره. قال: نظرك إليه يغنيك عن فرّه أن تختبره. وترجمانه أي المخبر والمتكلم عنه واصفراره أي تحول لونه إلى الصفارة كناية عن أنه جائع وقصوى أي غاية وأبعد ما يكون والبغية الطلب والمراد والثردة الثريد وهو الخبز وقد بُلّ بالمرق وقصارى الشيء منتهاه وغايته والبردة الثوب.

(1) آلى أي حلف وأقسم ويذل أي أهان والحرّ الخد والحر الكريم وصاحب المروءة والضرّ الضيق وسوء الحال وناجى خاطب سراً والقرونة النفس والمعونة ما يستعان به وآذن أعلم والفراسة الفطنة والحدس والحوباء النفس وينابيع والواحد ينبوع وهو العين الجارية والحباء العطاء والكرم تقول وكن قد أقسمت أن لا أبذل ماء وجهي وأتذلل إلا لحر ذي مروءة كثيرة حتى ولو زدت ضيقاً ويؤساً ولكن النفس أوحت لي أنكم أهل خير وعون وعيون الكرم الجارية.

(2) نضرّ الشيء جعله نضراً أي حسناً بهجاً وأبرّ قسمي حفظه من أن أحنثه وتوسّمي ما ظننته ونظرته ويقذي العين يجعل فيها القذى وهو ما يسقط في العين من وسخ يؤلمها والجمود الشح والكزازة ويقذّي العين يزيل ويميط منها القذى تقول أسعد الله وأبهج من أبر حلفتي فلم أحنثها وجعل ظني فيكم صادقاً ونظر إلي نظر من يؤذيه البخل ويميط الجود عنه الأذى.

(3) هام أي فتن وتحيّر والبراعة المهارة والعبارة الجملة وهي هنا القول والملح والواحدة ملحة أي المستحسن من القول والاستعارة ضرب من البديع وهي تسمية الشيء باسم غيره فهي وكما في مقامة الإبرة والمرود كنّت بالجوارح والأعضاء عمن كانت تستعين به من القرابة على الدهر والحامك أي نظمك ونسجك الشعر فألحم الشيء لحمه ولأمه.

(4) فجّر الصخر أي أخرج الماء من الحجر وهي هنا كناية عن نظم البديع والعذب من الشعر والرواة من يروون شعر الشاعر والواحد راوية والمواساة الصلة والعطاء والأصل أن تجعل الآخر إسوة نفسك.

رُدْنَ دِرْعٍ دَرِيسٍ، وبرَزَتْ بِرْزَةَ عجوزٍ دِرْدَبِيسٍ[1]، وأنْشأتْ تقول:

أشكو إلى اللهِ اشتِكاءَ المريضْ ... ريْبَ الزّمانِ المتعدّي البَغيضْ[2]
يا قومُ إني من أُناسٍ غَنُوا ... دهراً وجفنُ الدهرِ عنهُمْ غَضيضْ[3]
فخارُهُمْ ليسَ لهُ دافِعٌ ... وصيتُهُمْ بينَ الوَرى مُستَفيضْ[4]
كانوا إذا ما نُجعَةٌ أعوزَتْ ... في السّنةِ الشّهباء روْضاً أرِيضْ[5]
تُشَبّ للسّارينَ نيرانُهُمْ ... ويُطعِمون الضّيفَ لحْماً غَريضْ[6]
ما باتَ جارٌ لهُمُ ساغِباً ... ولا لرَوْعٍ قالَ حالَ الجَريضْ[7]
فغيّضَتْ منهُمْ صُروفُ الرّدى ... بِحارَ جودٍ لمْ نخَلْها تَغيضْ[8]

---

(1) الشعار الثوب اللاصق بالبدن وأروينكم أي أنشدكم وأبرزت أظهرت والردن الكم والدرع القميص والدريس الخلق البالي وبرزت أي ظهرت والدردبيس المسنّة الداهية الماكرة.

(2) ريب الزمان جوره وتقلّبه والبغيض الكريه الممقوت.

(3) غنوا أي أقاموا وغضيض أي منكسر تقول إنني من قوم أقاموا زماناً لا ينظر إليهم الدهر أي لا يصيبهم بنوازله.

(4) الصيت السمعة والذكر والمستفيض المشهور والمتحدّث به تقول إن فخار قومي من الحقيقة بحيث لا يرده أو ينكره أحد وسمعتهم الحسنة حديث الخلق الذي لا ينقطع.

(5) النجعة المرعى وأعوزت فقدت واحتيج إليها والسنة الشهباء التي أجدبت فلا مطر فيها والروض المكان الكثير العشب والأريض الحسن النبات تقول إن قومها كان غياث المحتاجين في أزمان الشدة والضيق كالأرض المعشبة في عام القحط والجدب.

(6) شبّ النار أوقدها وجرت العادة عند العرب إيقاد النار ليراها الساري في الليل فيفد ضيفاً يقرى ويعان والغريض من اللحم الطري الطازج.

(7) السغب الجوع والروع الفزع والهلع وحال الجريض أي منع ابتلاع الريق والعبارة معناها أن زائرهم يأمن عندهم فلا يقول حال ابتلاع الريق هلعاً دون نظم الشعر وجرض بريقه غصّ به وأصل العبارة للشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص الذي وفد على النعمان بن المنذر ملك العراق في يوم بؤسه وهو يوم يقتل فيه من يلقاه حين طلب إليه أن ينشده شعراً فأجابه بعبارة سارت مثلاً: «حال الجريض دون القريض».

(8) غيّضت أي أذهبت وأفنت وصروف الردى نوازل الموت ولم نخلها لم نظنها ونحسبها تغيض تجف وتفنى تقول فأفنت أحداث الموت بحار الكرم التي ما كنا نحسبها تفنى.

وأُودِعَتْ منهُمْ بُطونُ الثّرى | أُسْدَ التّحامي وأُساةَ المَريضْ[1]
فمَحْمَلي بعْدَ المطايا المطا | وموطِني بعْدَ اليفاعِ الحضيضْ[2]
وأفرُخي ما تأتَلي تشتَكي | بؤساً لهُ في كلّ يومٍ وميضْ[3]
إذا دَعا القانِتُ في ليلِهِ | مَوْلاهُ نادَوْهُ بدمْعٍ يَفيضْ[4]
يا رازِقَ النّعّابِ في عُشّهِ | وجابِرَ العظْمِ الكَسيرِ المَهيضْ[5]
أتِحْ لنا اللهُمّ مَنْ عِرضُهُ | مِنْ دنَسِ الذّمّ نقيٌّ رحيضْ[6]
يُطفِئُ نارَ الجوعِ عنّا ولوْ | بمَذْقَةٍ منْ حازِرٍ أو مَخيضْ[7]
فهلْ فتًى يكشِفُ ما نابَهُمْ | ويغنَمُ الشّكرَ الطّويلَ العريضْ[8]
فوالّذي تعْنو النّواصي لهُ | يومَ وجوهُ الجمعِ سودٌ وبيضْ[9]

---

(1) أودع ترك وديعة والثرى التراب كناية عن القبور والأسد واحدها أسد والتحامي من يحتمي ويتحامى بهم والأساة الأطباء والواحد آس.

(2) المحمل ما يحمل المرء عليه أثقاله والمطايا الإبل والمطا الظهر واليفاع المرتفع من الأرض والحضيض ما نخفض منها عند أسفل الجبل تقول إنها بعد أن كانت تضع أثقالها على ظهور الإبل صارت تحملها على ظهرها وبعد أن كانت تسكت العالي والمشرف من الأرض صارت تقيم في المنخفض كناية عن انقلاب حالها وسوء مآلها.

(3) الأفرخ والواحد فرخ كناية عن أولادها لا يأتلي لا يقصّر والبؤس الضر وسوء الحال والوميض اللمعان.

(4) القانت العابد المتهجّد ومولاه ربّه تقول وحين يدعو الداعي ربه يدعونه هم بدمع يملأ العين ويفيض منها.

(5) النعّاب فرخ الغراب والمهيض الكسير بعد جبر.

(6) أباح سمح وقدّر والرحيض المغسول تقول يسّر لنا امرءاً نقي العرض طاهره لم يدنسه ذم ولا تنقّص.

(7) المذقة من الشراب الجرعة والحازر اللبن الشديد الحموضة والمخيض اللبن يضرب ويداف ويمزج بالماء.

(8) نابهم أصابهم ونزل بهم ويغنم أي يكسب.

(9) تعنو تذل والنواصي والواحدة ناصية شعر مقدم الرأس تقسم بالله الذي تنحني أمامه الرؤوس يوم وجوه الجمع سود وبيض أي يوم القيامة حين تحشر الخلائق أمام ربّها للحساب فتسود وجوه وتبيض وجوه كل بحسب عمله.

لـولاهُـمُ لَـمْ تَـبْـدُ لـي صـفْـحَـةٌ ولا تَـصـدّيْـتُ لـنَـظْـمِ الـقَـريـضْ[1]

قال الرّاوي:

فوَاللهِ لقدْ صدّعتْ بأبياتِها أعْشارَ القُلوبِ، واستخْرَجَتْ خَبايا الجُيوبِ[2]! حتى ماحَها مَنْ دينُهُ الامْتِياحُ، وارْتاحَ لرِفدِها مَنْ لمْ نخَلْهُ يرْتاحُ[3]! فلمّا افْعَوْعَمَ جَيبُها تِبراً، وأوْلاها كلٌّ مِنّا بِرّاً، تولّتْ يتْلوها الأصاغِرُ، وفُوها بالشّكْرِ فاغِرٌ[4]! فاشْرَأبّتِ الجَماعةُ بعْدَ مَمَرّها؛ إلى سبْرِها لتَبْلوَ مواقِعَ بِرّها. فكفَلْتُ لهُمْ باستِنْباطِ السرّ المرْموزِ، ونهضْتُ أقْفو أثرَ العَجوزِ[5]. حتى انتهَتْ إلى سوقٍ مُغتَصّةٍ بالأنام، مُختصّةٍ بالزّحامِ، فانغَمَسَتْ في الغُمارِ، وامّلَسَتْ منَ الصّبْيَةِ الأغْمارِ[6]. ثمّ عاجَتْ

(1) الصفحة ناحية العنق وتصدّى للشيء انبرى له وأقدم على فعله ونظم القريض أي نظم الشعر تقول لولا أطفالي لما بدا وجهي ولا نظمت شعراً أي لما سألت أحداً.

(2) صدع أي شق وفرّق وأعشار القلوب قطعها وأجزاؤها أي أنها حطمت القلوب ببيانها عن حالها قطعاً كبرمة من فخار قال امرؤ القيس في معلقته: وَمَا ذَرَفَتْ عَيْناكِ إلا لتَضْرِبي بِسَهمَيكِ في أعشارِ قَلْبٍ مُقَتَّلِ. وفسّرها الزوزني بقوله: والأعشار من قولهم: برمة أعشار إذا كانت قطعًا، ولا واحد لها من لفظها وجاء في الأغاني ج 9 عن الأصمعي قوله: في أعشار قلب مقتل قال الأصمعي يعني أنك ما بكيت إلا لتخرقي قلباً معشراً أي مكسراً شبهه بالبرمة إذا كانت قطعاً ويقال برمة أعشار قال ولم أسمع للأعشار واحداً. وخبايا الجيوب ما خبّئ فيها من مال.

(3) ماح أعطى ومنح وامتاح سأل واستعطى أي لقد أعطاها من عادته أن يستعطي والرفد العطاء والصلة وخال ظن يقول فأعطاها من عادته السؤال وارتاح للإحسان إليها من كنا نحسب أن العطاء لا يريحه.

(4) فعم الإناء فعوماً امتلأ وفعم الإناء فعماً ملأه وافعوعم للمبالغة والتبر الذهب وأولاها أي أعطاها وملّكها والبر الإكرام تولت انصرفت وأدبرت ويتلوها الأصاغر أي يتبعها صغارها وفغر فمه فتحه يقول فلما امتلأ جيبها ذهباً وأكرمها كل شخص منا انصرفت يتبعها بنوها وهي تحمد لنا فعلنا.

(5) اشرأب إليه وله مد عنقه لينظر إليه والسبر الفحص والامتحان ولتبلو أي لاختبار ومواقع برها مواضع كرمها وكفل الشيء ضمنه وألزم نفسه بالقيام به واستنبط استخرج والمرموز المخفي ونهض قام وأقفو أي أتبع. يقول فنظرت الجماعة إليها بعد انصرافها تريد اختبارها لتعرف ما إذا كان البر قد وضع في موضعه وأعطي من يستحقه فوعدت الجماعة بتبيان الحقيقة ومضيت على إثر العجوز.

(6) انتهت هنا بمعنى وصلت المكان أو بلغته ومغتصة أي مزدحمة وممتلئة وانغمست غابت من الانغماس في الماء والغمار والغمارة جماعة الناس ولفيفهم التي تغمر الأرض أي تغطيها من =

بخُلُوّ بالٍ، إلى مسجِدٍ خالٍ، فأماطَتِ الجِلْبابَ، ونضَتِ النّقابَ، وأنا ألمَحُها من خَصاصِ البابِ، وأرقُبُ ما ستُبْدي منَ العُجابِ[1]. فلمّا انسرَتْ أُهبَةُ الخفَرِ، رأيتُ مُحَيّا أبي زيدٍ قد سفَرَ! فهمَمْتُ أن أهْجُمَ عليْهِ، لأعنِّفَهُ على ما أجْرى إليْهِ. فاسْلَنْقى اسلِنْقاءَ المتمرّدينَ، ثمّ رفَعَ عَقيرةَ المغرّدينَ، واندفَعَ يُنشِدُ[2]:

يا لَيتَ شِعري أدَهْري ... أحاطَ عِلْماً بقَدْري
وهلْ دَرَى كُنْهَ غَوْري ... في الخَدْعِ أم ليس يدْري[3]
كمْ قدْ قمَرْتُ بَنيهِ ... بحيلَتي وبمَكْري
وكمْ برزْتُ بعُرْفٍ ... عليهِمِ وبِنُكْرِ[4]

= غمر الماء الشيء وروى الشريشي عن ابن الأنباري أن الغمار خطأ من أخطاء العامة وأن الصواب القول الدخول في خمار الناس يستتر بهم فالخمار لستر الرأس وتغطيته ومنه الخمر التي تستر العقل وتغيّبه وأملست أي أفلتت بسهولة ويسر والإملاس سقوط الشيء من يدك دون أن تشعر به والأغمار وواحدها غمر وهو الجاهل.

(1) عاج مال وأماطت نزعت والجلباب ثوب أوسع من الخمار يتجلبب به أي يلتفّ فيه والجلباب كالملحفة للمرأة والرداء للرجل ونضت أي نحّت وجردت ونزعت والنقاب غطاء الوجه وألمحها أنظرها والخصاص الفرج أو الشقوق في الباب ورقب أي انتظر وأبدى أظهر والعجاب ما يدعو إلى العجب من قول أو فعل.

(2) انسرت أي انكشفت وزالت والأهبة العدّة والخفر الحياء يقول إنها لما أزالت عنها لباسها الذي استترت به عنّا حياء والمحيّا الوجه وسفر ظهر وبان وانكشف وأهجم عليه آخذه على غفلة وأعنّفه لأعيّره وألومه وأقبّح فعله وجرى وأجرى إليه قصده وفي رواية ما اجترأ عليه أي تجاسر على فعله واسلنقى اسلنقاء صار على ظهره ونام منبسطاً وتروى استلقى والمعنى واحد والمتمردين الشياطين ومن لا يرجى صلاحه والعقيرة الصوت وهي في الأصل الجارحة المقطوعة وذلك أن رجلاً عقرت رجله فصرخ فقيل لكل من رفع صوته رفع عقيرته والمغرّد المغني والمنشد والمطرب في الغناء ويقال غرد العصفور إذا غنى.

(3) ليت أداة تمن للمستحيل أو الممكن قليلاً وليت شعري معناه ليت درايتي وفطنتي وليت شعري أباك ما صنع أي ليتني أعلم أباك ما صنع وأحاط علماً بالأمر يبغي علمه به جميع جهاته وقدري قيمتي ودرى علم وكنه الشيء حقيقته والغور آخر الأمر وأصل الغور القاع من الأرض الحرجة والمنخفضة.

(4) قمر وقد مرّ غلب وخدع وبرز ظهر والعرف بمعنى المعروف والنكر نقيضه.

أَضْــطَــادُ قَــوْمــاً بِــوَعْــظٍ وآخــريــنَ بــشِــعْــرِ
وأســتــفِــزُّ بِــخَــلٍّ عــقْــلاً وعَــقْــلاً بــخَــمْــرِ (1)
وتــارَةً أنــا صــخْــرٌ وتــارَةً أُخــتُ صــخْــرِ (2)
ولَــوْ ســلَــكْــتُ سَــبــيــلاً مــألــوفَــةً طــولَ عُــمــري
لَــخــابَ قِــدْحــي وقَــدْحــي ودامَ عُــسْــري وخُــسْــري (3)
فــقُــلْ لــمَــنْ لامَ هــذا عُــذري فــدونَــكَ عُــذري (4)

قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ:

فلمّا ظهرْتُ على جليّةِ أمرِهِ، وبَديعَةِ أمْرِهِ، وما زخْرَفَ في شِعرِه منْ عُذرِهِ. علِمْتُ أنّ شيطانَهُ المَريدَ، لا يسمَعُ التّفْنيدَ(5)، ولا يفعَلُ إلا ما يُريدُ. فثنَيْتُ إلى

(1) استفزه استخفه وأثاره وهنا بمعنى استخف وخدع واستفزه من المكان أخرجه منه والخل كناية عن الشر والخمر كناية عن النقيض فلقد اعتادت العرب القول: «ما عنده خل ولا خمر» أي ما عنده شر ولا خير.

(2) أما صخر فسيد قومه بني سليم وكان رجلاً جميلاً وأما أخته فتماضر وتدعى الخنساء وهي أشهر شواعر العرب ادركت الإسلام واشتهرت برثائها أخيها يقول أن يظهر مرة بزي الرجال ومرة بزي النساء.

(3) سلك الطريق سار فيها والمكان دخله والمألوفة المعروفة المعتادة من ألف الأمر أي اعتاده وخاب خسر وفشل والقدح بكسر القاف أحد سهام القرعة والميسر والقدح بفتح القاف مصدر قدح الزند أي ضربه ليوري ناراً والعسر الضيق وهو عكس اليسر والخسر الخسارة والنقصان يقول ولو أنني مشيت درباً مألوفة لا أحيد عنها ما حييت لخابت قرعتي وما أورى زندي ولدام بؤسي وضيقي.

(4) دونك أي خذ إليك يقول فهذا عذري خذه لمن يلومني ويعتب عليّ.

(5) ظهر على الشيء اطلع ووقف عليه وعلم حقيقته وجلية الأمر حقيقته مجلوة لا لبس فيها وإمره بكسر الهمزة دهاؤه وخداعه والأمر العظيم وفي سورة الكف الآية 71: ﴿قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ وبديعة إمره أي المعجب من خداعه وما أتى من أمر وزخرف أي زيّن والمريد من الشياطين العاتي الخبيث الذي لا خير فيه البتة بل هو شر كله والتفنيد التمحيص واللوم والتوبيخ وفنّد الرأي إذا حجه وضعّفه.

أصحابي عِناني، وأبثثتُهمْ ما أثبتَهُ عِياني. فوجَموا لضَيْعَةِ الجوائِزِ، وتعاهَدوا على محرَمَةِ العَجائِزِ[1].

(1) ثنيت أي عطفت والعنان وهو مقود الدابة وثنى العنان عطفه وطواه وهو هنا كناية عن الانقلاب عن فعل والعودة عنه وأبثّ أي أخبر وأثبت أي حقق وتأكّد والعيان المعاينة ووجم حزن حتى أمسك عن الكلام وضيعة الشيء ضياعه والجوائز العطايا وتعاهدوا أي توافقوا واتفقوا والمحرمة الحرمان يقول فرجعت من حيث أتيت وأخبرت أصحابي بما رأته عيناي فأحزنهم الأمر وسكتوا وتعاهدنا عي أن لا نبر أو نرفد عجوزاً.

المقامة المكّيّة

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

نهضْتُ من مدينةِ السّلامِ، لحِجّةِ الإسلامِ! فلمّا قضيْتُ بعَونِ اللهِ التّفَثَ، واستبَحْتُ الطّيبَ والرَّفَثَ[1]. صادَفَ موسِمُ الخيْفِ، معْمَعانَ الصّيفِ[2].

(1) مدينة السلام اسم لبغداد التي بناها الخليفة العباسي الثاني المنصور وسميت بذلك لأنها على شاطي دجلة واسمه السلام ووادي السلام فأضيفت إليه والحج والواحدة حجة هو أحد أركان الإسلام وبعون الله أي بتأييده والتفث يكون في مناسك الحج وهو ما كان من نحو قص أظفار وحلق الرأس ورمي الجمار والذبح والنحر وإذهاب الشعث والوسخ وفي سورة الحج الآية 29: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ واستباح الشيء أقدم عليه وجعله مباحاً والطيب والجمع أطياب وطيوب كل ذي رائحة عطرة والرفث ما لايحسن التصريح به وينبغي أن يكنّى عنه من قول أو عمل والمراد النيكِ والجماع بعامة نقول رفث يرفث رفثاً وأرفث وفي الآية 187 من سورة البقرة: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. والمراد هنا الجماع والنكاح وعدّى بإلى لتضمنه فعل الإفضاء.

(2) الموسم الموضع الذي يجتمع فيه الناس من عيد أو سوق وكثر استعماله لوقت اجتماع الحاج وسوقهم في مكة والخيف خيف منى وهو مكان فيه مجمع الحاج والمعمعان شدة الحر وتوقّده وشدة البرد الأول هنا هو المراد واستظهر الشيء جعله خلف ظهره وقاية وهي هنا بمعنى استظلّ واستظهر تأتي بمعنى إحتاط واستعدّ ويقي يحمي من الشيء ويمنع وحر الظهيرة حرّ منتصف النهار وتدعى الهاجرة والطراف الخيمة من أدم أي جلد والرفقة الصحب والظراف والواحد ظريف النبيل المهذّب وحمي اشتدت سخونته وحرارته والوطيس التنور يحمى فيطبخ فيه والحصباء الحصى الصغار يشتد حرّها حتى تلسع قدم السائر حتى لكأنها التنور حرارة والوطيس المعركة ويروى أن النبي هو أول من استعمل هذه العبارة: «الآن حمي الوطيس» قالها يوم حنين على ما جاء في كتب السيرة والحديث وأعشى أي أعمى وغشي فلا يستطيع المرء النظر كالنور الباهر مثلاً يعشي البصر والهجير حر منتصف النهار والحرباء عظاية معروفة تستقبل الشمس وتدور معها كلما دارت.

فاستَظْهَرْتُ للضّرورةِ، بِما يَقِي حرَّ الظّهيرةِ. فبَينَما أنا تحتَ طِرافٍ، مع رُفقَةٍ ظِرافٍ، وقدْ حَمِيَ وَطيسُ الحصْباء، وأغشى الهَجيرُ عينَ الحِرْباء[1]؛ إذ هجَمَ علينْا شيخٌ مُتَسَعْسِعٌ، يتلوهُ فتًى مترَعرِعٌ. فسلّمَ الشيخُ تسْليمَ أديبٍ أريبٍ، وحاوَرَ مُحاوَرَةَ قَريبٍ لا غَريبٍ[2]. فأُعْجِبْنا بما نثَرَ منْ سِمْطِهِ، وعجِبْنا منِ انبساطِه قبلَ بسْطِهِ، وقُلْنا لهُ: ما أنتَ؟! وكيفَ ولَجْتَ وما استأذَنْتَ؟! فقال: أما أنا فعَافٍ، وطالِبُ إسْعافٍ، وسِرُّ ضُرّي غيرُ خافٍ، والنّظَرُ إليّ شفيعٌ لي كافٍ[3]! وأمّا الانْسِيابُ، الذي علِقَ بهِ الارتِيابُ، فَما هوَ بعُجابٍ؛ إذ ما علَى الكُرَماء منْ حِجابٍ[4]! فسألْناهُ: أنّى اهْتَدَى إليْنا، وبِمَ استَدَلّ علَيْنا!؟ فقال: إنّ للكرَمِ نشْراً تَنُمّ بهِ نفَحاتُهُ[5]، وتُرْشِدُ إلى روضِهِ

(1) هجم علينا دخل فجأة والمتسعسع الهرم المتقارب الخطو ويتلوه يتبعه والمترعرع الشاب الحدث المتزايد والسريع الحركة وترعرع الولد شبّ ونما وأخذ في الزيادة في طوله وخلقته والأديب العاقل المهذب والأريب الفطن وحاور راجع في الكلام والقريب ذو القرابة وعكسه الغريب.

(2) أعجبنا فتنّا وأخذنا والسمط خيط الجوهر ونثر من سمطه أي أبدى وفرّق من كلامه وكأن كلامه جواهر ينثرها والانبساط الدالّة ورفع الكلفة والتحشم والبسط السماح بالانبساط وفتح السبيل لذلك يقول واجبنا أنه رفع التكلف قبل أن نأذن ونسمح له بذلك وولج دخل واستأذن طلب الإذن.

(3) العافي والجمع عفاة السائل طالب المعروف والإسعاف المعاونة وقضاء الحاجة وضرّي ضرري وسوء حالي وخاف مستتر والشفيع صاحب الشفاعة والطالب لغيره والكافي المغني عن غيره يقول أما أنا فسائل محتاج أطلب المعونة وما بؤسي بالخفي المستتر ثم إن النظر إلي يشفع لي فهيئتي تنبئ عما أنا فيه من ضيق.

(4) الانسياب الدخول بسهولة ويسر من انسياب الحية أي جريها والارتياب الشك والإنكار والعجاب العجيب المعجب والحجاب الستر المانع وكانت تتخذه السادة والولاة والخلفاء ليحجبوا عنهم الخلق فلا يدخل عليهم إلا من رضوا بدخوله وأذنوا له والحجابة وظيفة مستحدثة في العهد الأموي يقول أما ما رابكم من أمري أي دخولي عليكم بيسر فسببه أنكم قوم كرام لا تتخذون حجاباً يحول بينكم وبين طالب المعروف.

(5) أنّى أداة استفهام بمعنى من أين وكيف ومتى وفي آل عمران 37 في القران: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ وتأتي كأداة شرط كقولك: «أنّى تجلس اجلس» بمعنى أين أو حيثما ولكن الاستفهام هنا هو المراد والنشر العرف والرائحة الطيبة الزكية وتنم به تخبر به وعنه والنميمة الغيبة والإخبار عنك بما تكره ولكنها استعيرت لمطلق الإخبار والنفحات والواحدة نفحة والنفحة المرّة من نفح أي ضاع وانتشر وفاح الطيب.

فوْحاتُهُ! فاستَدْلَلْتُ بتأرّجِ عَرْفِكُمْ، على تبلّجِ عُرفِكُم[1]! وبشّرَني تضوُّعُ رندِكُمْ، بحُسْنِ المُنقَلَبِ منْ عِندِكُم! فاستخْبَرْناهُ حينَئِذٍ عنْ لُبانَتِهِ، لنتَكفّلَ بإعانتِهِ[2]، فقال: إنّ لي مأرَباً، ولفَتايَ مَطلَباً[3]! فقُلْنا لهُ: كِلا المَرامَينِ سيُقْضى، وكِلاكُما سوفَ يرْضى! ولكِنِ الكُبرَ الكُبْرَا! فقال: أجَلْ ومنْ دَحا السّبْعَ الغُبْرَا! ثمّ وثبَ للمَقالِ، كالمُنشَطِ منَ العِقالِ، وأنشَدَ[4]:

إنّي امْرُؤٌ أُبْدِعَ بي ... بعدَ الوَجى والتّعَبِ
وشُقّتي شاسِعةٌ ... يقْصُرُ عنها خَبَبي[5]
وما معي خرْدَلَةٌ ... مطبوعةٌ منْ ذهَبِ
فحيلَتي مُنسَدّةٌ ... وحَيرَتي تلعَبُ بي[6]

---

(1) ترشد أي تهدي وتدلّ والروض الأرض المخضرّة بالنبات والفوحات الروائح العطرة وتضوعها وأستدل أهتدي والتأرج انتشار الأرج وهو العرف الذكي والرائحة الطيبة والعرف بالفتح الرائحة بعامة طيبة كانت أم نتنة ولكن عم استعمالها في الطيب والذكي وتبلّج.

(2) بشّر أي أخبر أخباراً سارة والتضوع فوح الرائحة والرند نبات عطر ويتضوع أي ينتشر عطره وحسن المنقلب هو حسن المآل والعاقبة والاستخبار السؤال عن الخبر واستخبره سأله عن خبره واللبانة الحاجة من غير فاقة ولبّن اتخذ مجلساً تقضى فيه اللبانة ونتكفل نضمن ونلزم أنفسنا وإعانته أي مساعدته.

(3) المأرب الحاجة والأمنية والمطلب.

(4) المرامان أي المطلبان ويقضي أي ينجز والكبر الكبر أي قدم الأكبر وتقديم الأكبر سنة على ما روى ابن عمر عن النبي الذي قال: أمرني جبريل عليه السلام أن أقدّم الأكبر. وأجل حرف جواب بمعنى نعم يستعمل تصديقاً للمخبر وإعلاناً للمستخبر ووعداً للطالب ومن دحا وهي هنا قسم أي والذي بسط الأراضين السبع فالغبراء هي الأرض وفي سورة الطلاق الآية 12: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾. ووثب أي نهض وقام وقفز وطفر للمقال أي للقول ونشط الحبل عقده أنشوطة وأنشطه أي حلّه والمنشط المحلول والعقال حبل هو قيد البعير يعقل به يقول فوثب كأن عقاله قد حلّ.

(5) أبدع به أي عطبت وكلّت ناقته فتخلّف عن رفقته والوجى وجع الحافر من الحفاء والشقة الناحية يقصدها المسافر والشاسعة البعيدة ويقصر أي يعجز والخبب ضرب من العدو دون الجري وخبّ الفرس إذا راوح بين يديه.

(6) الخردل حب هو الغاية في الصغر وضآلة الحجم ويضرب لذلك مثلاً والمطبوعة أي المصنوعة =

إن ارتَحَلْتُ راجِلاً ... خِفْتُ دَواعي العَطَبِ
وإنْ تخلَّفْتُ عنِ الرُّفْـ ... ـقَةِ ضاقَ مَذْهَبي[1]
فزَفْرَتي في صُعُدٍ ... وعَبْرتي في صبَبِ
وأنتُمُ مُنتجَعُ الرّا ... جي ومَرْمَى الطّلَبِ[2]
لُهاكُمُ منهَلّةٌ ... ولا انْهِلالَ السُّحُبِ
وجارُكُمْ في حرَمٍ ... ووَفْرُكُمْ في حرَبِ[3]
ما لاذَ مُرْتاعٌ بكُمْ ... فخافَ نابَ النُّوَبِ
ولا استَدَرّ آمِلٌ ... حِباءَكُمْ فما حُبي[4]
فانعَطِفوا في قِصّتي ... وأحسِنوا مُنقلَبي
فلوْ بلَوْتُمْ عيشَتي ... في مطْعمي ومَشرَبي
لساءَكُمْ ضُرّي الذي ... أسلَمَني للكُرَبِ[5]

= ومنسدّة أي منغلقة وحيرتي تلعب بي أي أنه لا يكاد يعرف سبيلاً لتيسير أمره لفرط حيرته حتى لكأنها تلعب به.

(1) ارتحل أي سافر والراجل الماشي على قدميه والدواعي الأسباب والعطب الهلاك وتخلّف تأخر والرفقة الصحب والمذهب الطريق يقول فإن سافرت راجلاً لم آمن أسباب الهلاك وإن تأخرت عن صحبي ضاق بي السبيل.

(2) الزفرة النفس الخارج وفي صعد أي في ارتفاع كناية عن ضيقه ويأسه وعبرتي أي ودمعتي في صبب في انحدار وانسكاب والمنتجع وقد تقدم المرعى الخصيب والراجل الآمل ومرمى الطلب أي غايته ومقصوده.

(3) لهاكم أي عطاياكم والوحدة لهوة ومنهلّة أي منصبّة والسحب والواحدة سحابة وهي الغيمة وجاركم أي المحتمي واللائذ بكم في حرم أي في منعة واحترام ووفركم أي ومالكم وحريبه أي سلبه ماله كله يقول إن كرمكم منسكب ومنصبّ انسكاب السحاب الماطر ومن احتمى بكم كان في منعة وحرمة وأما مالكم فمسلوب لكرمكم وجودكم.

(4) لاذ لجأ واحتمى والمرتاع الخائف والنوب والواحدة نائبة على غير قياس الداهية من حوادث الدهر ومصائبه وناب النوب للمجاز فالناب للسبع إن كل من احتمى بكم لم يخف شرّة مصائب الدهر واستدرّ استحلب والآمل الراجي والحباء العطاء والقصر هنا للضرورة وما حبي أي ما أعطي.

(5) انعطف أي مال والمنقلب المرجع والمآل وبلوتم أي خبرتم وساءكم أي أحزنكم وضري سوء =

ولَوْ خبَرْتُمْ حسَبي ... ونسَبي ومذْهَبي
وما حوَتْ معرِفَتي ... منَ العُلومِ النُّخَبِ
لما اعتَرَتْكُمْ شُبهَةٌ ... في أنّ دائي أدَبي[1]
فلَيْتَ أنّي لمْ أكُنْ ... أُرضِعْتُ ثَدْيَ الأدَبِ
فقد دَهاني شُؤمُه ... وعَقّني فيهِ أبي[2]

فقُلْنا له: أمّا أنتَ فقدْ صرّحَتْ أبياتُكَ بفاقَتِك، وعطَبِ ناقَتِكَ! وسنُعْطيكَ ما يوصّلُكَ إلى بلدِكَ! فما مأرَبَةُ ولَدِكَ[3]؟ فقال له: قُمْ يا بني كما قام أبوكَ، وفُهْ بما في نفسِك لا فُضّ فوكَ! فنهضَ نُهوضَ البطَلِ للبِرازِ! وأصْلَتَ لِساناً كالعضْبِ الجُرازِ، وأنشأ يقول[4]:

يا سادَةً في المَعالي ... لهُمْ مبانٍ مَشيدَهْ
ومَنْ إذا نابَ خطْبٌ ... قاموا بدَفْعِ المكيدَهْ

= حالي وأسلمني أي سلمني وتركني والكرب والواحدة كربة وهي الهم والحزن يأخذ بالنفس. يقول فميلوا إلى قصتي أو خبري وأحسنوا خاتمة أمري فأنتم لو خبرتم عيشتي في مأكلي ومشربي لأحزنكم البؤس الذي أعيشه وتركني فريسة الهم.

(1) الحسب الشرف وإباء أشراف بأفعال كريمة والنسب الأصل الذي ينتسب إليه المرء من آباء وأجداد والمذهب الطريقة والمعتقد وحوت أي ضمت والنخب أي المختارة واعتراه أصابه وألمّ به وقصده وعلق به والشبهة الشك والريبة والداء المرض يقول ولو عرفتم وبلوتم حسبي ونسبي وطريقتي ومعتقدي وما أكنّ من علوم منتقاة لما ارتبتم بأنني امرؤ أدركته حرفة الأدب فأعيته.

(2) دهاني أصابني ونابني والشؤم النحس وعقّني أي قطع رحمي وغالباً ما يكون العقوق في الإبن يقول ألا ليت أني لم أكن قد تلقنت الأدب فلقد أدركني وأصابني نحسه وكان أبي عاقاً أساء إلي إذ دفعني لتعلّمه.

(3) صرّح أي بين والفاقة الفقر وعطب ناقتك أي انكسارها وكلالها وهو ما صرح به في قوله أبدع بي والمأربة الحاجة والمطلب.

(4) فه فعل أمر من فاه أي تكلّم ولا فض فوك جملة دعاء أن لا تتكسر أسنانه أو تقع من فضّ الخاتم إذا كسره ونهض قام والبطل الفارس الشجاع وللبراز أي للمنازلة والحر وأصلت أي جرّد وأخرج بسرعة والعضب من أسماء السيف والجراز الماضي والقاطع الحاد.

ومن يهونُ عليهِمْ … بذْلُ الكُنوزِ العَتيدَهْ
أريدُ منكُمْ شِواءً … وجرْدَقاً وعصيدَهْ[1]
فإنْ غَلا فرُقاقٌ … بهِ تُوارَى الشّهيدَهْ
أو لمْ يكُنْ ذا ولا ذا … فشُبْعَةٌ منْ ثَريدَهْ[2]
فإنْ تعذّرْنَ طُرّاً … فعجْوَةٌ ونَهيدَهْ
فأحْضِروا ما تسنّى … ولوْ شَظًى منْ قَديدَهْ
وروِّجوهُ فنَفْسي … لِما يروجُ مُريدَهْ
والزّادُ لا بُدّ منهُ … لرِحْلَةٍ لي بَعيدَهْ[3]
وأنتُمُ خيرُ رهْطٍ … تُدعَوْنَ عندَ الشّديدَهْ
أياديكُمُ كلَّ يومٍ … لَها أيادٍ جَديدَهْ
وراحُكُمْ واصِلاتٌ … شمْلَ الصِّلاتِ المُفيدَهْ[4]

---

(1) المباني والواحد مبنى بمعنى البناء والمشيد المرتفع العالي من شاد إذا رفع وناب خطب أي وقع وحصل أمر عظيم ودفع المكيدة وهي الكيد صدّها وردّها والكنوز والواحد كنز وهو المدفون في الأرض من المال وكل مجموع مدخر يُتنافس فيه وما يحرز فيه المال كالصندوق وأحسب أن هذا الأخير هو المراد والعتيدة الحاضة المذخورة والجسيمة والشواء اللحم المشوي والجردق وهو فارسي معرب والعصيدة دقيق يلتّ بالسمن ويطبخ.

(2) الرقاق الخبز الرقيق وتوارى أي تغيّب وتستر والشهيدة الشاة المشوية وقيل الشهيدة الهريسة وقيل السمكة المحشوة والثريد وهو الخبز يبلّ بالمرق ويؤكل.

(3) تعذّر الشيء إذا لم يتيسّر وطراً أي جميعاً والعجوة أجود التمر والنهيدة الزبدة التي لم يتم روب لبنها وهي ما تعرف الآن بالقشدة والتمر بالزبد طعام يلذّ للعرب أكله وأحضروا أي هاتوا وما تسنّى أي ما تيسّر وحضر والشظى والواحدة شظية القطعة الصغيرة من خشب ونحوه والقديد اللحم المجفف وروّجوه أي عجّلوه وهاتوا به على وجه السرعة ومريدة أي راغبة ولا بد منه أي قد وجب عليكم فالتزموه لي.

(4) الرهط القوم وتدعون أي تُطلبون ويحتاج إليكم والشديدة النازلة من الأمور وأيديكم والواحدة يد وهي العضو المعروف وتأتي بمعنى المعونة والدعم والمنة والراح والواحدة راحة وهي باطن الكف واصلات أي تصل ما انقطع والشمل ما تفرق يقال: «جمع الله شملهم» ويقال: «فرق الله شملهم» وما انقطع والصلات العطايا والمنح والواحدة صلة.

وبُـغْـيَـتـي فـي مَـطـاوي مـا تَـرفِـدونَ زهـيـدَهْ
وفـيّ أجْـرٌ وعُـقْـبَـى تـنْـفـيسِ كَـرْبـي حَـمـيـدَهْ
ولـي نـتـائِـجُ فِـكْـرٍ يـفـضَـحْـنَ كُـلّ قَـصـيـدَهْ[1]

قال الحارثُ بنُ هَمّامٍ:

فلمّا رأيْنا الشّبْلَ يُشبِهُ الأسَدَ، أرحَلْنا الوالِدَ وزوّدْنا الولَدَ! فقابَلا الصُّنْعَ بشُكْرٍ نشَرَا أرديَتَهُ، وأدّيا بِه ديَتَهُ[2]! ولمّا عزَما على الانْطِلاقِ، وعَقَدا للرّحلَةِ حُبُكَ النّطاقِ، قُلتُ للشّيخِ: هلْ ضاهَتْ عِدَتُنا عِدَةَ عُرْقوبٍ، أو هلْ بقيَتْ حاجةٌ في نفْسِ يعْقوبَ[3]؟ فقال: حاشَ للهِ وكَلاّ! بل جَلّ مَعروفُكُمْ وجَلّى[4]! فقُلْتُ لهُ: فَدِنّا كما

(1) البغية المطلب والمراد وفي مطاوي ما ترفدون أي ضمن ما تعطون وتهبون ومطاوي الثوب ما يطوى منه ومعاطفه وزهيدة أي قليلة وفي أجر أي أن من يرفدني مأجور يشير إلى حديث عن أنس عن الرسول يقول: «من أطعم أخاه المؤمن طعاماً وافق به شهوته أدخله الله الجنّة» والعقبى العاقبة وتنفيس الكرب تفريج الهم وحميدة أي جيدة محمودة لما فيها من أجر ولما سأثني به من شعري ولي نتائج فكر أي ولي كلام بديع يتولّد من فكري يعني بذلك أشعاره التي تفضح أي تزري وتبين عيوب كل قصيدة من قصائد الشعراء.

(2) الشبل ولد الأسد وأرحلنا الرجل أعطيناه راحلة يركبها والصنع الجميل والشكر الحمد ونشراً أرديته أي أعلناه وجهراً به وأذاعاه وأدّى أي أعطى ودفع وقضى والدية الحق أي أن الشكر كان دية المعروف الذي نالاه فأدّياها به.

(3) الانطلاق الذهاب والانصراف وعقد أي ربط وشدّ وحبك النطاق خيوط أو شرك يشدّ بها النطاق وهو والمِنطقة كالحزام يقول إنهما تحزّما للارتحال وضاهت ساوت وماثلت وشابهت والعدة وقد تقدمت الوعد وعرقوب رجل يضرب به المثل في الكذب ونكث الوعود وخلاصة أمره بحسب ما جاء في خزانة الأدب للبغدادي أنه كان من الأوس والخزرج وعد رجلاً ثمرة نخلةٍ له فجاءه الرجل حين أطلعت فقال له: دعها حتى تصير بلحاً فلما أبلحت جاءه الرجل فقال: دعها حتى تصير رطباً. فلما أرطبت قال: دعها حتى تصير تمراً فلما أتمرت قطعها ليلاً ولم يعطه منها شيئاً.
وجاء في قصيدة البردة لكعب بن زهير التي مدح بها النبي قوله:
«كـانـت مـواعـيـد عُـرْقُـوبٍ لـهـا مَـثَـلاً ومـا مـواعـيـدُهـا إلاّ الأبـاطِـيـلُ».
والحاجة في نفس يعقوب مصدرها الآية 68 في سورة يوسف: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾. يقول فسألت الشيخ هل صدقناك الوعد بتقديم الرحلة لك والزاد لأبنك أما كنا كعرقوب وهل بقي ما تريد وتتمنى.

(4) حاشا أداة استثناء إلا أنها تنفرد في تنزيه المستثنى عن وقوعه فيما يدور الكلام عليه ويقال حاش=

دِنّاكَ، وأفِدْنا كما أفَدْناكَ[1]! أينَ الدُّوَيْرَةُ، فقدْ ملَكَتْنا فيكَ الحَيرَةُ؟ فتنفّسَ تنفُّسَ منِ ادّكَرَ أوطانَهُ، وأنشدَ والشّهيقُ يلَعثِمُ لسانَهُ[2]:

سَـــروجُ داري ولــــكِــــنْ ... كـيـفَ الـسّـبـيـلُ إلَـيْـهـا

وقـــدْ أنـــاخَ الأعــــادي ... بـهـا وأخْـنَـوْا عـلَـيْـهـا

فـــوالّـــتـــي سِـــرْتُ أبْـــغـــي ... حَـطّ الـذُّنـوبِ لـدَيْـهـا

مـــا راقَ طَـــرْفـــيَ شـــيءٌ ... مُـذْ غِـبـتُ عـنْ طـرَفَـيْـهـا

ثمّ اغرَوْرَقَتْ عيناهُ بالدّموعِ، وآذَنَتْ مَدامِعُهُ بالهُموعِ، فكَرِهَ أن يستَوكِفَها، ولم يملِكْ أن يكَفْكِفَها! فقطَعَ إنْشادَهُ المُستَحْلى، وأوجَزَ في الوَداعِ وولّى[3].

= لله أي تنزيهاً له كأنه يتبرّأ من ذلك الشيء وفي سورة يوسف الآية 31: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾. وكلاّ ومعناها الزجر أي ليس الأمر كما تظن وجلّ عظم وجلّى سبق والمجلّي من الخيل السابق يقول لقد عظم صنيعكم وكشف الهم وأزاحه.

(1) دنّا أي جازنا من دان يدين والدين هو الجزاء ويقال كما تدين تدان وحدثنا بحديثك كما دناك أي صنعنا معك من المعروف.

(2) الدويرة أي البلدة والمسكن وملكتنا غلبتنا واستبدت بنا واذكر والأصل اذدكر فأدغم أي تذكّر والشهيق تردد النفس مع سماع الصوت من الحلق ويلعثم يلوي ويعقل.

(3) أناخ أي نزل وأخنى عليه أي أهلكه وأفسده. يقول الشريف الرضي: أرَى بَغدادَ قَدْ أخنَى عَلَيهَا وصبحها بغارته الجليد.

ويقول لسان الدين بن الخطيب: عهود أنس وأيام لنا انصرمت أخنى عليها الذي أخنى على لبد.

أبغي أي أريد وحطّ الذنوب إلقاؤها وإنزالها والتخلّص منها والذنوب الآثام والخطايا ولديها أي عندها وهو هنا يقسم بمكّة التي إذا حجّ المرء ودعا الله حطّ ذنوبه عنه وفي سورة البقرة الآية 58: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾.

وفي سورة الأعراف 161: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾.

وما راق أي ما حسن وما أعجب وطرفي أي نظري والطرفان الجهتان يقول لم أر سروج ولا أعجبني مرأى مذ غبت عنها واغرورق تفعيل من غرق أي سالت عيناه بالدمع حتى غرقتا وآذنت أي أعلمت والهموع السيلان واستوكف أي استقطر واستدرّ وأجرى ولم يملك أي لم يستطع أن يكفكفها أي يردها ويمنعها والمستحلى المستعذب وأوجز أي اختصر وأسرع وولّى أي وانصرف ومضى.

المقامة الفَرَضيّة

أخبرَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

أرِقْتُ ذاتَ ليلَةٍ حالِكَةِ الجِلْبابِ، هامِيَةِ الرَّبابِ، ولا أرَقَ صَبٍّ طُرِدَ عنِ الباب، ومُنِيَ بصَدِّ الأحْبابِ[1]! فلمْ تزَلِ الأفكارُ يهِجْنَ همّي، ويُجِلْنَ في الوَساوِسِ وهْمي، حتى تمنّيْتُ، لمَضَضِ ما عانَيْتُ، أنْ أُرْزَقَ سَميراً منَ الفُضَلاءِ، ليُقصّرَ طولَ ليلَتي اللّيْلاءِ[2]. فما انقَضَتْ مُنيَتي، ولا أُغمِضَتْ مُقلَتي، حتى قرَعَ البابَ قارِعٌ، لهُ صوتٌ خاشِعٌ[3]! فقلتُ في نفسي: لعلّ غَرْسَ التّمني قد أثمَرَ، وليْلَ الحظّ قد أقْمَرَ[4]!

---

(1) أرق أي سهر ولم ينم والحالك الشديد السواد والجلباب الثوب يكني بالثوب الأسود عن سواد وعتمة ليلته وهمى أي سال والرباب السحاب والواحدة ربابة وهي السحابة رقيقة سوداء أو بيضاء والصب العاشق المتيّم ومني أي أصيب والصد الهجر.

(2) يهجن يحركن ويثرن وأجال أي حرّك وأداره والوساوس والواحدة وسوسة حديث النفس أو الكلام الخفي وهو ما يخطر بالبال ويهجس بالضمير ولإغراء الشيطان الإنسان بالشر وتزيينه له وفي سورة الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ مَلِكِ ٱلنَّاسِ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾. ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾. والوهم البال والخاطر وما يقع في القلب من خواطر وتمنى الشيء أحب أن يصير إليه وأراده والمضض الحامض من اللبن وهو وجع المصيبة والحرقة وعانى أي قاسى وخبر الشيء مع ألم وأرزق أي يساق إلي كرزق وحظ والسمير المحدث بالليل والليلاء صفة الليلة الطويلة الحالكة العتمة.

(3) انقضت هنا بمعنى تحققت والمقلة العين وقرع ضرب ودقّ والخاشع من الأصوات الخفيض اللين.

(4) أثمر آتى أكله وغرس التمني أي ما تمنّاه ورجاه واستعار الغرس ما يغرس في الأرض لما كان يأمل ويرجو حصوله وليل الحظ كناية عن سوء البخت وقد أقمر أي قد طلع قمره فاستنار ليله الكئيب.

فنهَضتُ إليْهِ عَجلانَ، وقلتُ: مَنِ الطّارِقُ الآن؟ فقال: غَريبٌ أجَنّهُ الليلُ، وغشِيَهُ السّيْلُ؛ ويبْتَغي الإيواءَ لا غَير، وإذا أسْحَرَ قدّمَ السّيرَ[1]!

قال:

فلمّا دَلّ شُعاعُهُ على شمْسِهِ، ونَمّ عُنوانُهُ بسِرّ طِرْسِهِ[2]، علِمْتُ أنّ مُسامرَتَهُ غُنْمٌ، ومُساهَرَتَهُ نُعْمٌ. ففتَحْتُ البابَ بابتِسامٍ، وقلتُ: ادخُلوها بسَلامٍ[3]. فدخَلَ شخصٌ قد حنى الدّهرُ صَعْدَتَهُ، وبلّلَ القَطْرُ بُردَتَهُ. فحَيّا بلِسانٍ عضْبٍ، وبَيانٍ عذْبٍ! ثمّ شكرَ على تلبِيَةِ صوتِه، واعتَذَرَ منَ الطُّروقِ في غيرِ وقتِه[4]، فدانَيْتُهُ بالمِصْباحِ المتّقِدِ، وتأمّلْتُهُ تأمّلَ المُنتَقِدِ، فألفَيْتُهُ شيخَنا أبا زَيْدٍ بِلا رَيبٍ، ولا رَجْمِ غيْبٍ[5]! فأحْلَلْتُه محلّ مَنْ أظفَرَني بقُصْوى الطّلَبِ، ونقَلَني منْ وقْذِ الكُرَبِ، إلى رَوْحِ الطّرَبِ[6]! ثمّ أخذَ يشْكو الأينَ! وأخذْتُ في كيفَ وأينَ! فقال: أبلِغْني ريقي! فقد

(1) العجلان المسرع المستعجل والطارق من يأتي ليلاً وأجنّ ستر وغشي غطّى وغمر وحلّ بالشيء أو المرء والسيل الماء الكثر وماء المطر السائل متدفقاً والإيواء وهو مصدر آوى الرجل مثلاً أي أنزله عنده وفي حماه وضمه إليه وأسحر أي دخل في وقت السحر وهو آخر الليل وقدّم السير أي مضى لشأنه وانصرف.

(2) نمّ أي أخبر والعنوان ما يكتب على ظهر الكتاب وهو الطرس أي الصحيفة أو الكتاب الذي محي ثم كتب يقول إن كلامه أنبأ عن مراده ودلّ عليه كما يدل الشعاع على الشمس والعنوان على موضوع الطرس.

(3) الغنم المكسب والغنيمة والمسامرة والمساهرة معناهما واحد والنعم النعمة والسلام الأمن والسلامة وانظر الآية 46 من سورة الحجر: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾.

(4) حنى أي أمال وقوّس والصعدة القناة أو الرمح الطويل وكنّى بها عن القامة والقطر المطر أو ما قطر من الماء أو غيره والبردة الثوب وحيّا سلّم ونطق بالتحيّة والعضب القاطع الماضي والبيان الفصاحة وقد تقدم والعذب الحلو والتلبية الإجابة بلبيك والطروق القدوم ليلاً.

(5) داناه أي دنا واقترب منه والمتقد أي الموقد المشتعل والمتوهج وتأمل نظر ملياً والمنتقد الفاحص الذي يميز بين الزائف والجيد وفي رواية المفتقد من تفقده أي تطلبه والأولى أولى وألفى وجد والرجم بالغيب التكهن والتكلم بالظن دون عيان.

(6) أحللته أي أنزلته في محل أي في مكان أظفرني أكسبني وجعلني أفوز وقصوى الأمر غايته ونهايته الأبعد وقصوى الطلب أي غايته والوقذ الضرب الشديد الذي يشرف المرء منه على الموت والكرب الهم وروح الطرب راحته والطرب السرور وأخذ بالشيء شرع به.

أتعَبَني طَريقي! فظَنَنْتُهُ مُستَبْطِناً للسّغَبِ، مُتكاسِلاً لهَذا السّبَبِ[1]. فأحضَرْتُهُ ما يُحْضَرُ للضّيفِ المُفاجي، في اللّيلِ الدّاجي. فانقَبَضَ انقِباضَ المُحتَشِمِ، وأعْرَضَ إعْراضَ البَشِمِ[2]. فسُؤتُ ظَنّاً بامتِناعِهِ، وأحْفَظَني حؤولُ طِباعِهِ؛ حتى كِدْتُ أُغْلِظُ لهُ في الكلامِ، وألْسَعُهُ بحُمَةِ المَلامِ[3]. فتبيّنَ منْ لَمَحاتِ ناظِري، ما خامَرَ خاطِري، فقال: يا ضَعيفَ الثّقةِ، بأهلِ المِقَةِ! عدِّ عمّا أخطَرْتَهُ بالَكَ، واسْتَمِعْ إليّ لا أبا لكَ! فقلْتُ: هاتِ، يا أخا التُرّهاتِ[4]! فقال: اعْلَمْ أني بِتُّ البارِحَةَ حَليفَ إفْلاسٍ، ونَجيَّ وسْواسٍ، فلمّا قضى الليلُ نحْبَهُ، وغوّرَ الصُبحُ شُهْبَهُ[5]، غدَوْتُ وقْتَ الإشْراقِ، إلى بعضِ الأسْواقِ، متصدّياً لصَيْدٍ يسْنَحُ، أو حُرٍّ يسمَحُ، فلحَظْتُ بها تمْراً قد حَسُنَ تصْفيفُهُ، وأحسَنَ إليْهِ مَصيفُهُ[6]. فجمعَ على التّحقيقِ، صَفاءَ الرّحيقِ،

(1) الأين الإعياء والتعب وكيف سؤال عن الحال وأين سؤال عن المكان وأبلعني ريقي أي لا تعجل علي بالأسئلة وأمهلني فأبلع ريقي وفي رواية عن ابن سريج الفقيه وقد تقدم ذكره أنه جادل فقيهاً فأحرجه بسؤال فقال الفقيه أبلعني ريقي أي أمهلني فأجابه لقد أبلعتك الفراتين واستبطن الشيء أخفاه والسغب شدة الجوع.

(2) أحضرته أي أتيته وقدمت له والمفاجي المباغت دون علم أو خبر والداجي المظلم وانقبض تجمع وانطوى والمحتشم المستحيى وأعرض مال ونحى وجهه والبشم المتخم والبشم التخمة والسآمة.

(3) سؤت ظناً أي ساء ظني وأحفظني أي أثار حفيظتي أي أغضبني والحفيظة الحقد والموجدة حؤول أي تغيّر والطباع الخلائق وأغلظ في الكلام تكلم بشدة وعنف ولسع أي قرص والحمة إبرة العقرب تلسع بها والملام اللوم والتثريب يقول فرابني إعراضه عن الطعام وأثار عضبي وموجدتي تغير خلقه فكدت أن أعنفه وألسعه بإبرة اللوم والتأنيب.

(4) لمحات ناظري أي نظراتي وخامر أي خالط والخاطر الذهن والبال وأهل المقة أهل الحب والوداد وعدّ فعل أمر بمعنى دع أو تجاوز وأخطرته بالك أي ما فكرت فيه ولا أبا لك جملة دعاء على الشخص معناها لا أب حر لك وهات اسم فعل بمعنى أعطني والترهات الأباطيل والعجائب وأصلها الطرق الصغار المتشعبة عن الطريق الأعظم وفي تاج العروس: الترهات البواطل من واحد وفي الصحاح الترهات غير الجادة الطرق تتشعب الواحدة ترهة فارسي معرب وأخو الشيء صاحبه.

(5) بات أقام في المكان نام أم لم ينم والحليف القرين والملازم والإفلاس الفقر ونجيّ أي محدّث والوسواس قد تقدم وقضى نحبه هلك ومات واستعار ذلك لليل والنحب النذر والأجل وغوّر أي غيّب وأخلى والشهب النجوم.

(6) والغدو الذهاب في الغدوة أو الغداة أي ما بين الفجر وطلوع الشمس وغدا عكس راح ووقت =

وقُنوءَ العَقيقِ! وقُبالتَهُ لِبَأٌ قد برزَ كالإبْريزِ الأصفَرِ، وانجلى في اللونِ المزَعْفَرِ[1]! فهو يُثْني على طاهِيهِ، بلِسانِ تناهِيهِ! ويصوِّبُ رأيَ مُشتَريهِ، ولوْ نقَدَ حبّةَ القلْبِ فيهِ[2] فأسرَتْني الشّهوةُ بأشْطانِها، وأسلَمَتْني العَيْمَةُ إلى سُلْطانِها[3]؛ فبَقيتُ أحْيَرَ من ضَبّ، وأذْهَلَ من صَبّ! لا وُجْدَ يوصِلُني إلى نيْلِ المُرادِ، ولذّةِ الازْدِرادِ! ولا قدَمَ تُطاوعُني على الذّهابِ، مع حُرقَةِ الالتِهابِ[4]! لكِنْ حَداني القرَمُ وسوْرَتُهُ، والسّغَبُ وفَورَتُهُ، على أنْ أنتَجِعَ كُلَّ أرضٍ، وأقتَنِعَ منَ الوِرْدِ ببَرْضٍ. فلَمْ أزَلْ سَحابةَ ذلِكَ النّهارِ، أُدْلي دَلْوي إلى الأنْهارِ، وهيَ لا ترْجِعُ ببِلّةٍ، ولا تجْلُبُ نقْعَ غُلّةٍ[5]. إلى أنْ صفَتِ

= الإشراق أي وقت ارتفاع الشمس والأسواق والواحد سوق لأن الأشياء تساق إليها وهو مكان تباع فيه الحاجات ومتصدياً أي متعرضاً ويسنح يمر وسنعرض بالتفصيل لتطير العربي من البارح وتفاؤله بالبارح أي الذي يمر من جهة اليسار والحر السيد الكريم ويسمح أي يجود ويعطي وحسن أي كان حسناً والتصفيف أي الترتيب وأحسن إليه مصيفه أي صنع إليه معروفاً والمصيف زمن الصيف أي أن الصيف قد أنضجه وأوفاه حقه.

(1) على التحقيق أي يقيناً والرحيق الخمر والشراب الصافي والقنوء الحمرة والعقيق حجر كريم يضرب بحمرته المثل وقبالته أي في مواجهته واللبأ أول ما يحلب من اللبن الحليب وبرز ظهر والإبريز الذهب الخالص والمزعفر المصبوغ بالزعفران ويروى المعصفر وهو المصبوغ بالعصفر وهو صبغ أصفر اللون.

(2) يثني أي يمدح ويشكر والطاهي الطابخ ومصلح الطعام وتناهيه أي اكتماله في الحسن وجعل ذلك لسان حاله في شكر الطاهي ويصوّب الرأي يسدّده أو يراه صائباً والأخير هو المراد هنا ونقد أي دفع نقداً وحبة القلب سواده.

(3) أسرتني أخذتني أسيراً أي ربطتني وقيدتني والأشطان الحبال ويقول عنترة بن شداد في معلقته:

يدعون عنترَ والرِّماحُ كأنها ... اشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ

والعيمة شهوة اللبن والسلطان الحول والتسلط.

(4) أحير أي أكثر حيرة والضب حيوان من الزحافات صغير الرأس قصير العنق يكثر في جزيرة العرب حيث يصاد ويؤكل والعبارة أحير من ضب تضرب مثلاً لأنه إذا فارق جُحْره لم يَهْتَدِ للرجوع على ما روى الميداني في مجمع الأمثال وأذهل أي أشغل قلباً والصب العاشق.

(5) الوجد الغنى والمال والازدراد كثرة الأكل وابتلاعه وحداني أي ساقني والقرم الشهوة إلى اللحم ولكنه هنا الشهوة إلى الأكل بعامة وسورة الشيء شرّته وحدّته وشدته والفورة الغليان والسغب الجوع وقد تقدّم وانتجع أي أقصد وأقتنع أي أكتفي والورد القدوم على ماء الشرب والبرض القليل من الماء يقول لكن حدة الشهوة وقوة الجوع حملاني على الانتجاع أي طلب النجعة وأن

الشمسُ للغُروبِ، وضعُفَتِ النّفسُ منَ اللّغوبِ[1]؛ فرُحْتُ بكبِدٍ حرّى، وانثَنَيْتُ أقدّمُ رِجْلاً وأؤخّرُ أخرى[2]. وبينَما أنا أسعى وأقعُدُ، وأهُبُّ وأرْكُدُ؛ إذ قابَلَني شيخٌ يتأوّهُ أهّةَ الثّكْلانِ، وعيناهُ تهمُلانِ[3]. فما شغَلني ما أنا فيهِ منْ داء الذّيبِ، والخَوى المُذيبِ، عنْ تَعاطي مُداخَلَتِهِ، والطّمعِ في مُخاتَلَتِهِ[4]. فقلتُ لهُ: يا هَذا إنّ لبُكائِكَ سِرّاً، ووَراء تحرُّقِكَ لشَرّاً! فأطْلِعْني على بُرَحائِكَ، واتّخِذْني منْ نُصَحائِكَ! فإنّكَ ستجِدُ مني طَبّاً آسِياً، أو عوْناً مؤاسياً[5]! فقال: واللهِ ما تأوّهي منْ عيشٍ فاتَ، ولا

= أكتفي من الماء ولو بحسوة أو جرعة وسحابة النهار أي طول النهار وأدلى الدلو أنزله في البئر ليمتح والدلو السطل والبلّة ما يبل ولا تجلب أي لا تأتي ولا تحضر ونقع غلة أي إرواء العطش فالغلّة العطش الشديد ونقع الماء العطش سكّنه.

(1) صغا الواوي واليائي من المادة بمعنى الميل الحسي كميل الحنك أو الشق أو الشمس للغروب والميل المعنوي كقولهم صغاه معك أي ميله وفي سورة التحريم الآية 4: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وفي الأنعام الآية 113 ولتصغى إليه أفئدة المؤمنين أي تميل إليه يستمع على أن المراد هنا الميل الحسي وهو جنوح الشمس للغروب واللغوب التعب وشدة الإعياء.

(2) الحرّى الملتهبة والكبد الحرى تستعمل في حالات الهوى الشديد والحزن العميق وما شاكل وانثنيت أي عدت ورجعت أقدّم رجلاً وأؤخر أخرى أي متردداً فالعبارة هذه تضرب مثلاً لمن يهم بأمر ثم يعود فيحجم عنه لأنه يعجز عن الحزم.

(3) سعى إليه أي قصده وسعى الرجل مشى وعدا وأهبّ وأركد أي أتحرّك وأسكن وأهدأ والخلاصة وصف تردده بين حالي الإقدام والنكوص ناهيك بأن الركود والهبوب يكونان للريح ويتأوّه أي يتوجع ويكثر من قول آه وهوما ينطق به الموجوع والحزين والثكلان والثاكل والثكلى وقد تقدم ذكر ذلك من فقد أحبابه وتخصص لفقد الولد وتهملان أي تسيلان.

(4) شغله أي ألهاه وداء الذيب الجوع والخوى خلو الجوف من الطعام والخواء والخوي الخلاء كأن تخلو البلاد أو الديار من أهلها والفراغ وفي سورة البقرة 259 والكهف 42 والحج 45 تكررت عبارة خاوية على عروشها بمعنى ساقطة على سقوفها والمذيب الذي يذيب اللحم والقوى وتعاطي الشيء تناوله والمداخلة معرفة دخيلة المرء أي سرّه وما يضمر بمخالطته والدنو منه والمخاتلة المخادعة يقول فلم يردعني جوعي وسغبي المضني عن الدنو منه للوقوف على سر بكائه طمعاً بمخادعته.

(5) التحرّق التوجّع وأطلعه على الأمر أوقفه عليه وأعلمه به والبرحاء شدة الأذى والمشقّة ويقول أبو تمام:

ومما ضرّمَ البرحاءَ أنّي ... شَكَوْتُ فما شَكَوْتُ إلى رَحِيمِ

والطبّ الحاذق الماهر والآسي الطبيب والعون النصرة والدعم والمواسي المعين والمواساة تكون بالنفس أو المال.

منْ دهْرٍ افْتاتَ! بلْ لانقِراضِ العِلمِ ودُروسهِ، وأفولِ أقمارِهِ وشُموسِهِ[1]! فقلت: وأيّ حادثَةٍ نجمَتْ، وقضيّةٍ استعْجَمتْ، حتى هاجَتْ لكَ الأسَفَ، على فقْدِ منْ سلَفَ[2]؟ فأبْرَزَ رُقعَةً منْ كُمّهِ، وأقسَمَ بأبيهِ وأمّه، لقدْ أنزَلَها بأعْلامِ المدارِسِ، فما امتازوا عنِ الأعْلامِ الدّوارِسِ[3]! واستنْطَقَ لَها أحْبارَ المَحابِرِ، فخرِسوا ولا خرَسَ سُكّانِ المقابِرِ[4]! فقلتُ: أرِنيها، فلعلّي أُغْني فيها! فقال: ما أبعَدْتَ في المَرامِ، فرُبّ رمْيَةٍ منْ غيرِ رامٍ! ثمّ ناوَلنيها، فإذا المكْتوبُ فيها[5]:

---

(1) فات أي انقضى ومر وافتات أي تجنّى وجار وظلم والانقراض الانقطاع والزوال والفناء والذهاب والدروس وفيها تورية لطيفة فهي إما أن تكون من درس أي فني وعفا وذهب وصار كالطلل الدارس أو أن تكون جمع درس وهو ما يقبل المتعلم عليه للتعلّم والأفول المغيب وتكون للشمس والقمر والنجوم وكنى بأقمار العلم وشموسه عن المتقدمين من أعلام العلم والفقه يقول مقسماً إنه ليبكي لحادث حدث له بل لأن معاهد العلم خلت من أعلامها.

(2) نجم أي ظهر والقضية المسألة والقول يحكم بصوابه أو بخلاف ذلك واستعجمت أي استبهمت وأشكلت يقول كثيّر عزّة:

أَأَطْلالَ دَارٍ بالنِّباعِ فَحُمَّتِ ... سألتُ فلمّا استعجمتْ ثم صُمَّتِ

ويقول ابن الرومي:

إذا استعجم التأويل يوماً على امرىء ... فأعوصُ ما فيه لديك مُتَرْجَمُ

وهاجت أثارت وهيّجت والأسف الحزن ومن سلف أي من سبق ومات ومضى.

(3) أبرز أي أظهر والرقعة القطعة من الورق التي تكتب وأنزل الشيء أو المرء أي جعله ينزل وقد هيّأ له منزلاً ومنه إنزال الوحي والمطر والكتاب والميزان والمن والسلوى والنعاس واللباس وأما هنا فهي بمعنى عرضها أي الرقعة على أعلام والواحد علم أي سيد القوم والسيد المشهور والمدارس والواحدة مدرس المكان والمحضر الذي يدرس فيها للعلم وامتازوا أي افترقوا أو تميزوا والأعلام والواحد علم الجبل أو العلامة والدوارس من درس أي عفا وامّحى أثره يقول لقد عرضت رقعتي على سادة العلم في هذا الزمان فوجدتهم لايفقهون شيئاً وكأنهم أطلال وعلامات دارسة.

(4) استنطق استخبر والأحبار والواحد حبر أي العالم والمحابر والواحدة محبرة وهي وعاء الحبر والمداد الذي يكتب به وأحبار المحابر أي العلماء الكتبة يقول واستفتيت العلماء الدونين والكتبة فخرسوا وكأنهم موتى لا ينطقون.

(5) أرنيها فعل أمر رأى يعني أطلعني عليها ولعلّ أداة تفيد ترجّي حصول الأمر المحبوب أو التخوّف من حصول الأمر المكروه وفي سورة طه الآية 44: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ وفي الآية 12 من سورة هود: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ﴾ وأغني أي أنفع وأكفي وأجزي

أيّـهـا الـعـالِـمُ الـفَـقـيـهُ الـذي فـا قَ ذُكـاءً فـمـا لـهُ مـنْ شَـبـيـهِ
أفْـتِـنـا فـي قـضـيّـةٍ حـادَ عـنْـهـا كـلُّ قـاضٍ وحـارَ كـلُّ فَـقـيـهِ[1]
رجُـلٌ مـاتَ عـنْ أخٍ مـسـلِـمٍ حُـ رٍ تـقـيٍّ مـنْ أمّـهِ وأبـيـهِ
ولـهُ زوْجَـةٌ لـهـا أيّـهـا الـحَـبْـ رُ أخٌ خـالِـصٌ بـلا تَـمـويـهِ[2]
فـحـوَتْ فـرْضَـهـا وحـازَ أخـوهـا مـا تـبَـقّـى بـالإرثِ دونَ أخـيـهِ

= وفي سورة يوسف الآية 67: ﴿وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ والمرام الطلب وربّ حرف جر يفيد التقليل والرمية المرّة من رمى والصيد ذكراً كان أم أنثى والعبارة كلها مثل عربي قديم هاكم حكايته كما رواها الميداني في مجمع الأمثال: رُبَّ رَمْيَةٍ مِنْ غَيْرِ رَامٍ أي: رُبَّ رميةٍ مصيبة حَصَلت من رام مخطئ لا أن تكون رمية من غير رام فإن هذا لا يكون قط وأول من قال ذلك الْحَكَم بن عَبْد يَغُوث المنقري وكان أرمى أهلِ زمانه وآلى يميناً ليذبَحَنَّ على الغَبْغَبِ مَهَاة ويروى ليدجنَّ فحمل قوسَه وكِنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئاً فرجع كئيباً حزيناً وبات ليلته على ذلك ثم خرج إلى قومه فقال: ما أنتم صانعون فإني قاتلٌ نفسي أسفاً إن لم أذبحها اليوم؟ ويروى أدجها فقال له الحُصَيْن بن عبد يَغُوث أخوه: يا أخي دج مكانها عَشْراً من الإبل ولا تقتل نفسك قال: لا واللاتِ والعُزَّى لا أظلم عاترة وأترك النافرة فقال ابنه المُطْعِمُ بن الحكم: يا أبة احملني معك أرْفِدْكَ فقال له أبوه: وما أحمل من رعش وَهِلْ جَبَان فشل فضحك الغلام وقال: إن لم تر أوْدَاجَها تخالط أمشاجها فاجعلني وداجها فانطلقا فإذا هما بمَهَاة فرماها الحكمُ فأخطأها ثم مرت به أُخرى فرماها فأخطأها فقال: يا أبة أعْطِنِي القوسَ فأعطاه فرماها فلم يخطئها فقال أبوه: رُبَّ رميةٍ من غير رَامٍ.

(1) فقه فهم بعد جهل وفقه الكلام فهمه حق فهم والفقه جودة العلم والعلم بأحكام الشريعة وأصول الدين وقد غلب هذا التعريف على علم الدين فيما بعد ومصادره الكتاب والسنة والإجماع ويقوم الأخير على اجتهاد أولي الأمر بما اشتمل عليه من قياس واستحسان ومصالح مرسلة وهي المصالح التي لم تتقيّد بحكم خاص ينطبق عليها في كل زمان ومكان بل ينظر فيها أولو الأمر بحسب الحال والزمان وأما الفقيه فذو الفقاهة العالم بالشيء والعالم بأحكام الشريعة وهو المراد هنا فاق فضل وزاد والذكاء حدة الذهن والشبيه الند والإفتاء تبيين المبهم وإيضاحه كما في سورة يوسف الآية 46: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ والإفتاء إعطاء الرأي في المشكل الحقوقي أو الفقهي وأفتنا فعل أمر من أفتى والقضية المسألة وحاد عنها أي تجنّبها ومال عنها والقاضي والفقيه في هذا السياق واحد لأن القاضي الذي يفتي في المواريث والأحكام الشرعية يلزم أن يكون فقيهاً عالماً بأحكام الشريعة وحار أي تحيّر.

(2) الحبر العالم والتمويه الزيف والكذب والشك.

فـاشْـفِـنـا بـالـجَـوابِ عـمّـا سـألْـنـا   فـهْـوَ نـصٌّ لا خُـلْـفَ يـوجَـدُ فـيـهِ[1]

فلمّا قرأتُ شِعْرَها، ولمحتُ سرّها؛ قلتُ له: على الخَبيرِ بها سقَطْتَ، وعندَ ابنِ بجْدَتِها حططْتَ[2]! إلا أني مُضطرِمُ الأحْشاء، مُضطَرٌّ إلى العَشاء، فأكْرِمْ مثْوايَ، ثم استَمِعْ فتْوايَ[3]! فقال: لقد أنصَفْتَ في الاشتِراطِ، وتجافَيْتَ عنِ الاشتِطاطِ! فصِرْ معي، إلى مربَعي؛ لتَظْفَرَ بما تبْتَغي، وتنقَلِبَ كما ينْبَغي[4]!

قال:

فصاحَبْتُهُ إلى ذَراهُ ،كما حكَمَ اللهُ! فأدخَلَني بيتاً أحرجَ من التّابوتِ، وأوْهَنَ منْ بيتِ العنكَبوتِ! إلا أنّهُ جبَرَ ضيقَ ربْعِهِ ،بتوْسِعَةِ ذرْعِهِ[5]! فحكّمَني في القِرى،

(1) حوت أي حازت والخلف الخلاف والتباين وهنا ننقل عن الشريشي الفوائد الكامنة في هذه الأبيات لكي تستقيم الفتوى فيقول: فائدة ذكر الأخ إثبات النسب لأن الأجنبي لا يرث وفائدة ذكر المسلم أن أهل دينين لا يتوارثان وفائدة ذكر الحر أن العبد لا يرث الحر وأما التقي فما لقيت من أشياخنا من نبّه عليه حتى حدثني به الفقيه أبو العباس الليثي، عرف بالحضار، فقال فائدة لطيفة وهي التحرّز من قاتل العمد لأنه لا يرث وليّه فأراد أن موجبات التوارث قد كملت لهذا الوارث ومع هذا لم يرث أخاه.

(2) لمحت سرّها نظرته واطلعت عليها وسقطت أي وقعت وابن بجدتها عبارة تقال للخبير العارف بالأرض ثم عممت لتعني كذلك عالم حاذق في علمه ويقال بجد في المكان أي أقام به وبجدت الإبل المرعى أي لزمته والبجدة المرة من بجد وهي أيضاً الأهل والتراب ودخيلة الأمر وبطانته وحط أي نزل وهي كوقع وتعنيان أنك قد نزلت على العالم بالأمر العلم كله.

(3) المضطرم المتقد والمشتعل والملتهب والأحشاء ما انطوت عليه الضلوع غير أن المراد البطن بخاصة لفرط جوعه واحتياجه إلى ما يأكله المثوى المنزل والمقام وأكرم مثواي أي أحسن مقامي ومنزلي والفتوى الجواب عن المشكل من المسائل الشرعية والقانونية.

(4) أنصفت أي عدلت وكنت منصفاً والاشتراط هو الشرط وتجافيت أي ابتعدت ونأيت والشطط والاشتطاط الجور ومجاوزة الحد وصر فعل أمر من صار بمعنى كن وتحول والمربع المنزل وظفر فاز وتبتغي أي تطلب وتنقلب أي ترجع كما ينبغي أي على الوجه الصحيح الواجب.

(5) ذراه أي منزله والذرا كل ما استتر به وساحة الدار ونواحيها والملجأ وحكم الله إشارة إلى الآية 53 في سورة الأحزاب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾. وأحرج أي أضيق وأوهن أي أضعف وجبر أصلح والربع المنزل وتوسعة الشيء جعله واسعاً والذرع الصدر والخلق يقول كان بيته ضيقاً واهناً غير أن صاحبه عوض عن ذلك بطيب بسعة الخلق وطيب الاحتمال.

ومطايِبِ ما يُشتَرى؛ فقلتُ: أريدُ أزهى راكبٍ على أشهى مرْكوبٍ، وأنْفَعَ صاحِبٍ مع أضرّ مصْحوبٍ! فأفكَرَ ساعةً طويلةً، ثمّ قال: لعلّك تعْني بنْتَ نُخَيلةٍ، معَ لِباء سُخَيلةٍ[1]؟ فقلتُ: إياهُما عنَيْتُ، ولأجْلِهِما تعنّيْتُ. فنهَضَ نشيطاً، ثمّ ربَضَ مُستَشيطاً، وقال: اعْلَمْ أصلحَكَ اللهُ أنّ الصّدْقَ نَباهةٌ، والكذِبَ عاهَةٌ[2]! فلا يحمِلنّكَ الجوعُ الذي هوَ شِعارُ الأنبِياء، وحِليَةُ الأولِياء، على أنْ تلْحَقَ بمَنْ مانَ، وتتخلّقَ بالخُلُقِ الذي يُجانِبُ الإيمانَ[3]. فقدْ تجوعُ الحُرّةُ ولا تأكُلُ بثَدْيَيها! وتأبى الدنيّةَ ولوِ اضطُرّتْ إلَيْها[4]! ثمّ إنّي لستُ لك بزَبونٍ، ولا أُغضي على صَفقَةِ مغْبونٍ!

---

(1) حكّمني أي جعل الحكم لي والقرى ما يقدّم للضيف من طعام ومطايب وهي على ما روى الشريشي جمع طيب على غير قياس والأصح أطايب كما روى ابن السكيت وأما المطايب فيخصها ثعلب بالتمر ويخص الأطايب بالمنتقى الطيب من اللحم وأزهى أي أحسن وأعجب منظراً ويقال زها البسر إذا احمرّ ويريد بالراكب اللبأ وبالمركوب التمر وذلك لأنهم يشقون التمرة فيغترفون بنصفها من وعاء اللبأ وأنفع صاحب هو التمر وأضرّ مصحوب اللبأ ويعلل الشريشي ضرر اللبأ بقوله إنه لبن لم ينضج والنار تقطع بعض ضرره والنخيلة تصغير النخلة والسخيلة تصغير السخلة ولد الشاة ذكراً كان أم أنثى.

(2) عنيت أي قصدت ورميت وتعنّيت من العناء أي تعبت ونهض نشيطاً أي قام مسرعاً خفيفاً مجداً وربض أي نزل ويقال ربض الأسد أي قعد على إليتيه والمستشيط الشديد الغضب والنباهة الشرف والرفعة والعاهة المرض والآفة والعيب.

(3) يحملنك أي يدعوك ويلجئك وشعار أي علامة والحلية ما يُتحلّى ويتزيّن به والأولياء والواحد ولي الصالحين من الخلق كالقديسين ومن شاكلهم ومان كذب وتخلّق بخلق تطبّع به ويجانب أي ينافي يقول فلا تدع جوعك وهو علامة الأنبياء والصالحين يحملك على اتباع من كذب ويجعلك تتصف بصفات ليست من الإيمان بشيء.

(4) مثل عربي وهاكم حكايته كما رواها الميداني في مجمع الأمثال: وجاء في مجمع الأمثال للميداني تَجُوعُ الحُرَّةُ وَلاَ تَأكُلُ بِثَدْيَيْهَا.

أي لا تكون ظِئْراً وإنْ آذاها الجوع ويروى: «ولا تأكل ثدييها» وأول من قال ذلك الحارث بن سليل الأسَدِي وكان حليفاً لعَلْقَمَة بن خَصَفة الطائي فزارُه فنظر إلى ابنته الزَّبَّاء - وكانت من أجمل أهل دهرها - فأعْجِبَ بها فقال له: أتيتُكَ خاطباً فقال له علقمة: أنت كُفْءُ كريم فأقِمْ ننظر في أمرك ثم انكفأ إلى أمها فقال: إن الحارث بن سليل سيدُ قومه حَسَباً ومَنْصِباً وبيتاً وقد خطب إلينا الزبّاء فلا ينصرفَنَّ إلا بحاجته فقالت امرأته لابنتها: أيُّ الرجالِ أحبُّ إليك: الكَهْلُ الجَحْجَاح الواصِلُ المَنّاح أم الفتى الوَضّاح؟ قالت: لا بل الفتى الوضاح قالت: إن الفتى يُغِيرُك وإن الشيخ =

وها أنا قد أنذَرْتُكَ قبلَ أنْ ينهَتِكَ السِّتْرُ، وينعَقِدَ فيما بينَنا الوِتْرُ[1]! فلا تُلْغِ تدبُّرَ الإنْذارِ، وحَذارِ منَ المُكاذبَةِ حَذارِ[2]! فقلْتُ لهُ: والذي حرّمَ أكْلَ الرِّبا، وأحَلّ أكْلَ اللِّبا، ما فُهْتُ بزورٍ، ولا دلّيْتُكَ بغُرورٍ! وستخْبُرُ حَقيقَةَ الأمْرِ، وتحْمَدُ بذْلَ اللِّبا والتّمْرِ[3]! فهشّ هَشاشَةَ المصْدوقِ، وانطلَقَ مُغِذّاً إلى السّوقِ! فما كان بأسرَعَ منْ أنْ

= يَمِيرُك وليس الكَهْل الفاضل الكثيرُ النائِل كالحديث السنّ الكثير المَنّ قالت: يا أمتاه إن الفَتَاة تحبُّ الفتى كحبِّ الرعاء أنيقَ الكَلاَ قالت: أي بُنَيّة إن الفتى شديد الحِجاب كثير العِتاب قالت: إن الشيخ يُبْلِي شبابي ويدنس ثيابي ويُشْمت بي أترابي فلم تزل أمها بها حتى غلبتها على رأيها فتزوجها الحارث على مائة وخمسين من الإبل وخادم وألف درهم فابْتَنَى بها ثم رَحَل بها إلى قومه فبينا هو ذاتَ يوم جالسٌ بفِناء قومه وهي إلى جانبه إذ أقبَلَ إليه شَبَابٌ من بني أسد يعتلجون فتنفّست صُعَداء ثم أرْخَتْ عينيها بالبكاء فقال لها: ما يُبْكِيكِ؟ قالت: مالي وللشيوخ الناهضين كالفُرُوخ فقال لها: ثَكِلَتْكِ أمُّكِ تَجُوع الحرة ولا تأكل بثدييها.

قال أبو عبيد: فإن كان الأصل على هذا الحديث فهو على المثل السائر: «لا تأكل ثدييها» وكان بعضُ العلماء يقول: هذا لا يجوز وإنما هو «لا تأكل بثدييها» قلت: كلاهما في المعنى سَوَاء لأن معنى «لا تأكل ثدييها» لا تأكل أجْرَةَ ثدييها ومعنى «بثدييها» أي لا تعيش بسبب ثَدْيِيها وبما يُغِلاَّن عليها ثم قال الحارث لها: أما وأبيك لرُبَّ غارةٍ شهدتها وسَبِيَّة أردفتها وخَمْرة شربتها فالحقي بأهلك فلا حاجة لي فيك وتأبى أي تمتنع وترذل والدنية القبيحة من الخصال واضطرّت إلى الشيء ألجأت إليه.

(1) الزبون الحرب يدفع بعضها بعضاً والمشتري من البائع والأبله والغبي والمراد القول لست من ذوي معاملتك وأغضى أي أسدل جفنه والمراد لا أسكت لك على الخداع والمغبون من المخدوع في البيع دون القيمة وأنذر أي نبّه مع وعيد وينهتك ينقطع ويتمزّق وينعقد أي يرتبط والوتر العداوة يقول أنا لست ذوي معاملتك ولا أقبل الخداع وقد حذرتك قبل انكشاف الأمر والفضيحة وقبل أن تبدأ العداوة بيننا.

(2) ألغى أي أبطل والتدبّر التفكّر في الشيء والنظر فيه يقول فلا تبطل النظر في إنذاري وعواقبه واحذر الكذب.

(3) يقسم بالذي حرم الربا وفي ذلك إشارة إلى سورة البقرة الآية 275: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ﴾. وفاه أي نطق والزور الباطل ودلّيتك اما أن تكون من الدلالة والأصل دللتك أي أرشدتك وإما من دلّى تدلية أي أرسله فنزل ومنه دلاّه بغرور أي غرّه وأوقعه في ما يريد ودلاّه في المهواة أي أنزله فيها وأحسب أن التدلية هنا هي المراد والغرور ما يغر الإنسان ويخدعه ومنه القول إنما الدنيا غرور أي وهم باطل مخادع وخبر الشيء امتحنه وجرّبه وتحمد الشيء أي تشكره وتثني عليه وتجد عاقبته حميدة والبذل العطاء والتقديم.

أقبَلَ بهِما يذْلَحُ، ووجْهُهُ منَ التّعبِ يكلَحُ[1]. فوضَعَهُما لديّ، وضَعَ المُمْتَنّ عليّ، وقال: اضرِبْ الجيْشَ بالجيْشِ، تحْظَ بلَذّةِ العيشِ[2]! فحسَرْتُ عن ساعِدِ النّهمِ، وحملْتُ حملَةَ الفيلِ المُلتَهِمِ! وهو يلْحَظُني كما يلحَظُ الحَنِقُ، ويوَدّ منَ الغيْظِ لو اختَنِقُ[3]! حتى إذا هلقَمْتُ النّوعينِ، وغادرْتُهُما أثَراً بعْدَ عينٍ[4]، أقرَدْتُ حيْرَةً في إظْلالِ البَياتِ، وفِكرةً في جَوابِ الأبْياتِ[5]. فما لبِثَ أن قام، وأحضَرَ الدّواةَ والأقْلامَ، وقال: قد ملأتَ الجرابَ! فأمْلِ الجَوابَ. وإلا فتهيّأ إنْ نكَلْتَ، لاغْتِرامِ ما أكلْتَ! فقلْتُ له: ما عِندي إلا التّحقيقُ، فاكتُبِ الجوابَ وباللهِ التّوْفيقُ[6]:

قُلْ لِمَنْ يُلغِزُ المسائِلَ إني ... كاشِفٌ سِرّها الذي تُخْفيهِ
إنّ ذا الميّتَ الذي قدّمَ الشّرْ ... عُ أخا عِرسِهِ على ابنِ أبيهِ[7]
رجُلٌ زوّجَ ابنَهُ عنْ رِضاهُ ... بحَماةٍ لهُ ولا غَرْوَ فيهِ

---

(1) هشّ لان واسترخى وهنا بمعنى فرح والمصدوق من قيل له صدقاً وعرفه كذلك والمغذّ المسرع المجدّ وأقبل أتى ويدلح يمشي متثاقلاً ويقال دلح البعير بالحمل ويكلح يغدو كالحاً أي عابساً متكشّراً والسحابة الدلوح المتاقلة لفرط ما فيها من ماء.

(2) لديّ أي عندي أو بين يدي والممتن المتفضل واضرب الجيش بالجيش أي اخلطهما والمراد الأسنان العليا والسفلى وتحظى تفوز وتنعم.

(3) حسر أي كشف وأزاح الستر وهنا شمّر والنهم الشراهية والحرص على الأكل والحملة الكرة فحمل عليه هاجمه وكرّ عليه والملتهم المبتلع ما يجد ويلحظني يرمقني وينظر إليّ بطرف عينه والحنق المغتاظ ويودّ أي يحبّ ويتمنّى.

(4) الهلقمة الابتلاع والازدراد بسرعة وغادره أي تركه وأثراً بعد عين أي ذكرى بعد حقيقة وعيان.

(5) أقرد الرجل سكت عيّاً والمتحرك سكن وأيضاً ذلّ وتماوت والمراد السكون محتاراً وأظلّ الأمر حان وأشرف والبيات المبيت بقول وبعد أن التهمت الطعام سكنت وهدأت فكراً بالجواب وأنا على وشك أن أنام والجراب كناية عن البطن وأملى عليه ألقى عليه وقال له ما يكتب.

(6) وإلاّ أداة تحذير تأتي بمعنى إذا لم أو إن لم لا تؤثر في إعراب ما يليها من اسم أو فعل أو أداة وتهيّأ فعل أمر بمعنى استعد ونكل نكص وتراجع واغترم أوجب الغرامة على نفسه والغرامة ما يلتزم المرء أداءه من المال تعويضاً أو قصاصاً.

(7) يلغز أي يستر ويعمّي والشرع الشريعة وعرس الرجل زوجته.

ثـمّ مـاتَ ابـنُـهُ وقـدْ عـلِـقَـتْ مـنْـهُ فـجـاءتْ بـابـنٍ يـسُـرّ ذويـهِ[1]
فـهُـو ابـنُ ابـنِـهِ بـغـيـرِ مِـراءٍ وأخـو عِـرسِـهِ بـلا تَـمْـويـهِ
وابنُ الابنِ الصّريحُ أدنى إلى الجَـدّ وأوْلـى بـإرْثِـهِ مـنْ أخـيـهِ[2]
فـلِـذا حـيـنَ مـاتَ أوجـبَ لـلـزّوْجَـةِ ثُـمْـنُ الـتُّـراثِ تـسـتَـوفـيـهِ
وحوى ابنُ ابنِهِ الذي هوَ في الأصْـلِ أخـوهـا مـنْ أمّـهـا بـاقِـيـهِ[3]
وتـخـلّـى الأخُ الـشّـقـيـقُ مـنَ الإرْثِ وقُـلْـنـا يـكـفـيـكَ أن تـبـكـيـهِ
هـاكَ مني الفُتْيا التي يحتَذيها كـلُّ قـاضٍ يـقـضـي وكـلُّ فَـقـيـهِ[4]

قال: فلمّا أثبَتّ الجوابَ، واستَثبتُّ منهُ الصّوابَ، قال لي: أهلَكَ والليلَ، فشمِّرِ الذّيْلَ، وبادرِ السّيْلَ[5]! فقلتُ: إني بِدارِ غُربَةٍ، وفي إيوائي أفضَلُ قُربَةٍ؛ لا

(1) الحماة أم الزوجة أو الزوج ولا غرو فيه أي لا عجب وعلقت المرأة أي حملت وذوو الرجل قرابته ويسرّ يفرح.

(2) المراء الجدال والمماراة والتمويه الكذب والتزيين والصريح في النسب الخالص الصحيح وأدنى أي أقرب وأولى أي أحقّ والإرث الميراث.

(3) أوجب الشيء اعتدّه وجعله واجباً والبيع ألزمه واستوفى الحق أخذه تاماً.

(4) تخلّى عن الشيء تركه وصارا خلواً منه والأخ الشقيق والأخت الشقيقة من كانا من الأب والأم وهاك أي خذ ويحتذيها أي يتبعها ويعمل بها. هذا وسننقل عن الشريشي تقريب هذا اللغز ليتيسّر فهمه. يقول: رجل وابنه وامرأة وابنتها، تزوج الرجل البنت والإبن الأم فمات الإبن وقد حملت منه الأم فوضعت غلاماً، فكان للرجل ابن ابنه، ولزوجته أخاً لأم، ثم مات الرجل وترك أخاً فورثت زوجته الثمن، وأخوها من أمها الباقي، لأنه ابن ابن الميت وهو يحجب الأخ كما كان يحجبه الإبن لو كان حياً. ولمزيد من الإيضاح ينظر في الآية 12 من سورة النساء التي تعنى بالمواريث: ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

(5) أثبت الشيء عرفه حق المعرفة وجعله ثابتاً في محله وحبسه والحقّ أكّده بالبينة والاسم أو ما شاكله في الكتاب أي دوّنه وأحسب أن هذا هو المراد وإلا فهو من تأكيد الأمر بالبينة واستثبت =

سيّما وقد أغدَفَ جُنْحُ الظّلامِ، وسبّحَ الرّعدُ في الغَمامِ[1]. فقال: اغْرُبْ عافاكَ اللهُ إلى حيثُ شِيتَ، ولا تطمَعْ في أنْ تبيتَ! فقلتُ: ولِمَ ذاكَ، معَ خُلوّ ذَراكَ؟ قال: لأني أنعَمْتُ النظَرَ، في التِقامِكَ ما حضَرَ، حتى لمْ تُبْقِ ولمْ تذَرْ[2]. فرأيتُك لا تنظُرُ في مصلحَتِكَ، ولا تُراعي حِفْظَ صحّتِكَ! ومَنْ أمعَنَ فيما أمعنْتَ، وتبطّنَ ما تبطّنْتَ، لم يكَدْ يخلُصُ منْ كِظّةٍ مُدنِفَةٍ، أو هيْضَةٍ مُتلِفَةٍ[3]. فدَعْني باللهِ كَفافاً، واخْرُجْ عني ما دُمْتَ مُعافًى! فوَالذي يُحْيي ويُميتُ، ما لكَ عِندي مَبيتٌ[4]! فلمّا سمِعْتُ أَلِيّتَهُ، وبلَوْتُ بليّتَهُ، خرجْتُ منْ بيتِه بالرّغْمِ، وتزوّدِ الغَمّ[5]؛ تجودُني السّماءُ، وتخبِطُ بيَ

= أي تحقق وتأكّد وأما قوله أهلك والليل فقول عربي قديم ويحسب ما جاء في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري فانها تعني: أذكر أهلك وبعدهم والليل وظلمته فبادر. وبادر فعل أمر من المبادرة وهي المسابقة والسيل الماء الكثير يقول تذكر أهلك وبادرهم قبل الليل واسبق السيل وأما تشمير الذيل فرفع الثوب إلى الساقين كناية عن السعي الجاد.

(1) في دار غربة أي أنه غريب والإيواء الضم وتقديم المبيت والملجأ والقربة ما يتقرب به المرء من أعمال الخير والبر وأغدف أي أسبل وأرسل ومنه قول عنترة مخاطباً عبلة:

إنْ تـغـدفـي دونـي الـقـنـاع فـانـنـي طـبٌّ بـأخـذ الـفـارس الـمـسـتـلـئـم

أي إن تنزلي قناع وجهك فإنني عليم وحاذق بأخذ الفارس الذي يرتدي اللأمة وهي الدرع هذا ويقال للغراب غداف لسبوغ ريشه ولقد استعار جناح الغداف لسواده لليل النازل وسبّح رفع صوته بالتسبيح أي الثناء على الله والغمام الرعد وتسبيح الرعد أي صوته نذير مطر.

(2) اغرب فعل أمر بمعنى ابتعد وانصرف وحيث شيت أي حيت تريد من شاء الشيء إذا أراده.

(3) خلو الذرا أي أن البيت وقد تقدم ذكره خال لا سكان فيه وأنعم النظر تأمل جيداً والالتقام الأكل ولم تبق ولم تذر أي لم تترك ومن الطعام لم تدع شيئاً وراعى الأمر حفظه ولاحظه محسناً إليه وأمعن أي أكثر وتبطّن أي جعل في بطنه ويخلص ينجو والكظة امتلاء البطن والمدنفة الممرضة والهيضة انطلاق البطن بالقيء والإسهال.

(4) دعني أي اتركني وكفافاً أي مسالمة يعني تكف عني وأكف عنك والمعافى الصحيح السالم لا علة فيه والألية القسم وبلوت أي خبرت وبليته أي أمره وحاله وبالرغم أي بالكره والقسر والتزود اتخاذ الزاد يقول انه خرج رغماً عنه وزاده الهم والغم والكرب.

(5) تجودني السماء أي تمطرني بالجود بالفتح أي المطر والخبط في الظلماء هو المشي بدون توقٍّ وعلى غير هدى وتتقاذف بي الأبواب كناية عن عدم إيوائه في البيوت وكأن الأبواب تقذفه عنها وترميه الواحد يلقي به إلى الآخر ولطف القضاء أي رفق الله وقدره واليد البيضاء الصنيع الحسن والنعمة الكريمة.

الظَّلْماءُ! وتَنبَحُني الكِلابُ، وتتقاذَفُ بيَ الأبوابُ! حتى ساقَني إلَيكَ لُطفُ القضاء، فشُكْراً ليَدِه البَيضاء[1]. فقلتُ لهُ: أحْبِبْ بلِقائِكَ المُتاحِ، إلى قلْبيَ المُرْتاحِ! ثمّ أخذَ يفْتَنّ بحِكاياتِهِ، ويُشْمِطُ مُضحِكاتِهِ بمُبْكِياتِه، إلى أنْ عطَسَ أنْفُ الصّباحِ، وهتَفَ داعي الفَلاحِ، فتأهّبَ لإجابَةِ الدّاعي، ثمّ عطَفَ إلى وَداعي. فعُقْتُه عنِ الانبِعاثِ، وقلتُ: الضّيافَةُ ثلاثٌ! فناشَدَ وحرّجَ، ثمّ أمَّ المَخرَجَ، وأنشدَ إذ عرّجَ[2]:

لا تـزُرْ مـنْ تُـحـبّ فـي كـلّ شـهـرٍ … غـيـرَ يـومٍ ولا تـزِدْهُ عـلـيـهِ
فـاجْـتِـلاءُ الـهِـلالِ فـي الـشـهْـرِ يـومٌ … ثـمّ لا تـنـظُـرُ الـعُـيـونُ إلـيْـهِ[3]

قال الحارثُ بنُ هَمّام:

فودّعتُهُ بقلْبٍ دامي القَرْحِ، ووددْتُ لوْ أنّ ليلَتي بطيئَةُ الصُبْحِ[4]!

(1) أحبب أي ما أحبّ لقاءك إلى قلبي والمتاح المقدّر والمرتاح المنتعش طرباً ويفتن أي يتفنن وينوّع ويشمط أي يخلط وعطس أنف الصباح أي بدأ ينبلج نوره وهتف صاح وداعي الفلاح المؤذن والفلاح الفوز والغنيمة وتأهب استعد والداعي هو المؤذن وتأهب استعد والإجابة الرد والتلبية وهي المراد والعبارة تعني تأهب لصلاة الصبح وعطف مال وعرج وعقته أي منعته وجعلت لما يريد من أمر عائقاً يعيقه والانبعات السير والتوجه والثلاث يعني بها ثلاثة أيام تواضع العرب على إيواء الضيف ثلاثة أيام دون سؤال حتى إذا انقضت الأيام الثلاثة حق له الذهاب.

(2) ناشد أي حلّف وحرّج أي ضيّق والحرج الإثم وأمّ أي قصد وعرّج مال.

(3) اجتلاء الهلال النظر إليه ومشاهدته في رمضان لإثبات الرؤية.

(4) دامي أي يسيل منه الدم والقرح الجرح ووددت أي تمنيت.

المقامة المغربيّة

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال:

شهِدْتُ صَلاةَ المغرِبِ، في بعضِ مساجِدِ المغرِبِ. فلمّا أدّيتُها بفضْلِها، وشفَعْتُها بنَفْلِها[1]، أخذَ طرْفي رُفقَةً قدِ انتَبَذوا ناحيةً، وامْتازوا صَفوةً صافيَةً، وهُمْ يتعاطَونَ كأسَ المُنافَثَةِ، ويقتَدِحونَ زِنادَ المُباحثَةِ[2]. فرغِبْتُ في مُحادثَتِهِمْ لكلِمَةٍ تُستَفادُ، أو أدبٍ يُستَزادُ. فسعَيْتُ إليهِمْ، سعْيَ المتطفّلِ عليْهِمْ؛ وقلتُ لهُمْ[3]: أتقْبَلون نَزيلاً يطلُبُ جنى الأسْمارِ، لا جنّةَ الثّمارِ، ويبْغي مُلَحَ الحِوارِ، لا مَلْحاءَ

(1) شهد الصلاة حضرها وأقامها مع سواه والمغرب يبدأ من ليبيا إلى المحيط وأدى الشيء أتمّه وبفضلها أي بكمالها ويعني أنه صلاها في الجماعة وأشفع أي اتبع والنفل والنوافل ما زيد على الفرائض والواجبات.

(2) أخذ طرفي أي لمح بصري والرفقة الصحبة وانتبذوا أي ابتعدوا وفي سورة مريم الآية 16: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾. وفي رواية انتدوا أي اجتمعوا وأحسب أن الأولى أولى بالسياق وذلك أنهم ما كانوا في مقابل الناظر إذا نظر ولا يراهم إلا إذا أجال الطرف وامتاز عن غيره بان فضله وبدا وانفصل عنه والثانية المراد والصفوة خيار الشيء وخالصه والصافي الرائق الذي لم يكدّره شيء والتعاطي التداول والمنافثة من نفث وهو فعل يعني البصاق والنفخ السحري والإبداع الشعري ومن عبارات الزمان الماضي قولهم «إنها نفثة مصدور» ويعنون بذلك القطعة الأدبية شعراً كانت أم نثراً التي تبوح بمواجع قائلها وعليه فإن المنافثة هنا تعني المحادثة وقدح الزند قد تقدم وهو فعل ضرب الزند لإيراء النار واستخراجها والمباحثة من بحث وهي هنا بمعنى المناظرة والجدال الأدبي.

(3) رغب في الشيء وبه أراده وأحبّه والمحادثة الحديث والكلام وسعى أي قصدت والمتطفل من يحل ضيفاً من غير أن يدعى وهو الطفيلي والمتطفّل وكان الطفيليون طائفة لها أدبها ودستورها وأشهر أعلامهم أشعب أما التطفّل لغة فنسبة إلى رجل اسمه طفيل الدارمي واسمه مشتق من الطّفَل أي إقبال الليل على النهار.

الحُوارِ[1]؟ فحَلّوا ليَ الحِبى، وقالوا: مرْحباً مرحَباً! فلَمْ أجلِسْ إلا لمحَةَ بارِقٍ خاطِفٍ، أو نغبَةَ طائِرٍ خائِفٍ[2]. حتى غَشيَنا جوّابٌ، على عاتِقِه جِرابٌ، فحيّانا بالكلِمتَينِ، وحيّا المسجدَ بالتّسليمتَينِ، ثمّ قال[3]:

يا أولي الألبابِ، والفضلِ اللُّبابِ! أما تعلَمونَ أنّ أنفَسَ القُرُباتِ، تنْفيسُ الكُرُباتِ!؟ وأمْتَنَ أسبابِ النّجاةِ، مؤاساةُ ذوي الحاجاتِ[4]!؟ وإني ومَنْ أحلّني ساحتَكُمْ، وأتاحَ ليَ استِماحتَكُمْ؛ لشَريدُ محلٍّ قاصٍ، وبَريدُ صِبيَةٍ خِماصٍ[5]! فهلْ

---

(1) قبل أي رضي والنزيل الضيف النازل والأسمار والواحد سمر وهو حديث ومذاكرة الليل وقد تقدم وجنى الأسمار اقتطاف ما فيها من فوائد وطرف ومتعة والجنى والجنيّ كل ما يجنى من ثمر الأشجار وفي سورة مريم الآية 25: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾. والملح والواحدة ملحة المستحسن من الكلام والحوار مراجعة القول وأما الملحاء فلحمة ما بين الكاهل والعجز وهي الأطيب وأما الحوار ففصيل الناقة لم يزد عمره على العام. يقول أترضون بي ضيفاً يهوى السمر وطرف الحديث وبها يرغب لا باللحم ولا الطعام.

(2) حلوا أي فكّوا والحبا والواحدة حبوة فهي طريقة في القعود وخلاصة أمرها نقلاً عن الشريشي «كانت العرب ليس لها في البوادي حيطان تستند إليها في مجتمعهم، فكان الرجل يقيم ركبتيه في جلوسه، فيضع عليهما أو يدير بهما ثوباً ويعقد عليه يديه ويستريح إليها ويقو م ذلك له مقام الاستناد فيقال لذلك العقد الحبوة». وحل الحبا كناية عن إكرامه والترحيب به بقولهم مرحبا أي انزل على الرحب والسعة واللمحة اللمعة ويكني بذلك عن قصر المدة والخاطف الذي يخطف البصر بسرعة لقوته والتماعه والنغبة الجرعة بأن يدخل الطائر منقاره ويخرجه بسرعة.

(3) غشينا دخل علينا فجأة والجوّاب قطّاع للأرض بمشيه والعاتق ما بين المنكب والعنق والجراب وعاء من جلد يحفظ فيه الزاد وحيّانا ألقى علينا التحية والكلمتان قوله السلام عليكم وتسليمتا المسجد هما الصلاة ركعتين عند الدخول وعند الخروج وقد أخرج الفاكهي في أخبار مكة حديثاً عن ابن عباس في تفسير الآية 61 من سورة النور: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتٗا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةٗ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةٗ طَيِّبَةٗ﴾، قال: «هو المسجد، يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

(4) أولو الألباب أهل العقل فاللب هو ما ذكي من العقل فكل لب عقل وليس كل عقل لباً واللب خالص كل شيء فلب الموضوع خلاصته واللب من الثمرة ما في جوفه مما يؤكل ويرمى القشر المحيط به والفضل الإحسان والبقية والزيادة واللباب الخالص من كل شيء ويقال فلان لباب قومه أي المختار الخالص بينهم وأنفس أي أثمن وأفضل وأغلى والقربات والواحدة قربة وقد تقدمت ما يتقرب به إلى الله والتنفيس التفريج والكربات والواحدة كربة وهي الهم وأمتن أي أشد وأقوى والنجاة التخلّص والمواساة العطف وجعل الآخر أسوة بك.

(5) أحلني أنزلني والمراد الله فهو يقسم به وأتاح أي رخّص وأذن وقدّر واستماحتكم الطلب منكم =

في الجَماعةِ، منْ يفثأُ حُمَيّا المَجاعَةِ؟ فقالوا له: يا هذا إنّك حضرْتَ بعْدَ العِشاء، ولمْ يبْقَ إلا فَضلاتُ العَشاء[1]. فإنْ كنتَ بها قَنوعاً، فما تجِدُ فينا مَنوعاً[2]. فقال: إنّ أخا الشّدائِدِ، ليَقْنَعُ بلَفَظاتِ المَوائِدِ، ونُفاضاتِ المَزاوِدِ! فأمرَ كُلٌّ منهُمْ عبْدَهُ؛ أنْ يزوّدَهُ ما عِندَهُ. فأعجَبَهُ الصُنْعُ وشكرَ عليْهِ، وجلَسَ يرْقُبُ ما يُحْمَلُ إليْهِ[3]. وثُبْنا نحنُ إلى استِثارَةِ مُلَحِ الأدَبِ وعُيونِه، واستِنْباطِ مَعينِهِ من عُيونِهِ. إلى أنْ جُلْنا فيما لا يَستَحيلُ بالانعِكاسِ، كقولكَ ساكِبُ كاسٍ! فتَداعَينا إلى أنْ نستَنتِجَ لهُ الأفكارَ، ونفتَرِعَ منهُ الأبْكارَ[4]، على أنْ ينظِمَ البادِئُ ثلاثَ جُماناتٍ في عِقدِهِ، ثمّ تتدرّج

= وسؤالكم والشريد الهارب والقاصي البعيد النائي والبريد الرسول والصبية واحدها صبي والخماص الجياع لأن الخمص ضمور البطن جوعاً ولكنه قد يكون خلقة قد يقول مهيار الديلمي:

فما لكِ يا دنيا وأنتِ بطينةٌ ونحن خماصٌ تبخلين ونسمحُ.

(1) فثأ كسر وسكّن وفثأ الشيء عنه كفّه عنه والحميا وغالباً ما تقال في الخمرة فهي حدتها وسورتها وبلوغها من الشارب وهي الخمر نفسها وهي شدة الغضب وأوله وسورة الشباب ونشاطه وهي هنا حدة الجوع والعشاء بكسر العين أول الظلام وبفتحها طعام العشي والفضلات ما بقي من الطعام.

(2) قنع بالشيء رضي به واجتزأ والمنوع من يمنع.

(3) الشديدة كل كريهة من نوازل الدهر وأخو الشدائد من ابتلي وتمرّس بها ولفاظات ما يلفظ أو يطرح من الشيء والموائد وواحدتها مائدة ما يوضع عليه الطعام والنفاضة ما ينفض أي يحرّك لينزل ما فيه أو علق عليه كالجراب أو الثوب والمزاود أوعية الزاد وزوّده أعطاه زاداً والصنع الصنيع والجميل ويرقب أي ينتظر وينظر ويحرس وهنا سنثبت فائدة نقلها الشريشي عن درة الغواص في الجلوس والقعود قال: «ويقولون للقائم: اجلس، والاختيار على ما حكاه الخليل بن أحمد أن يقال لمن كان قائماً: اقعد، ولمن كان نائماً أو ساجداً: اجلس، وعلل بعضهم لهذا الاختيار، بأن القعود هو الانتقال من علو إلى سفل، ولهذا قيل لمن أصيب برجله: مقعد، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو، ومنه سميت نجد جلساً لارتفاعها وقيل لمن أتاها: جالس، وقد جلس، ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق:

«قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس»

ويحمل إليه أي يقدّم ويعطى له.

(4) ثاب أي رجع واستثارة الشيء جعله يثور وهي هنا استخراجه وعيون الأدب المختار منه والاستنباط الاستخراج والمعين الماء الجاري وقد ورد في القرآن مراراً كما في سورة المؤمنين الآية 50: ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾. والعيون والواحدة عين مصب الماء والمراد هنا استخراج الشيء من أهله ومعدنه وجال دار وطاف ولم يستقر ويستحيل يتغير والانعكاس القلب =

الزّياداتُ منْ بعدِهِ؛ فيرَبّعُ ذو ميمَنَتِهِ في نظْمِهِ، ويُسبّعُ صاحِبُ ميسرَتِهِ على رغْمِهِ(1).

قال الرّاوي:

وكنّا قدِ انتظَمْنا عِدّةَ أصابِعِ الكفّ، وتألّفْنا أُلفَةَ أصْحابِ الكهْفِ! فابْتَدَرَ لعِظَمِ مِحْنَتي، صاحبُ ميمَنَتي، وقال(2):

لُمْ أخاً ملّ!

وقال مُيامِنُهُ:

كبّرْ رَجاءَ أجْرِ ربّكَ!

وقال الذي يليهِ:

منْ يَرُبّ إذا برّ ينْمُ!

وقال الآخرُ:

سكّتْ كلَّ منْ نمّ لك تكِسْ!(3)

---

* أي رد الأول على الآخر كقوله ساكب كاس فهي إذا قرأتها من آخر حرف رجوعاً إلى أول حرف وجدتها هي هي وسكب صبّ والكاس قدح الخمر وتداعينا أي دعا بعضنا بعضاً واستنتج استدعى النتاج وهي هنا بمعنى إعمال الفكر والجهد العقلي وافترع افتض تقال في البكر إذا افتض بكارتها الذكر والأبكار والواحدة بكر الفتاة العذراء والأبكار تقال لكل معنى جيد وبليغ غير مسبوق أو مطروق كأنه بكر لم يمسها أحد.

(1) البادي المبتدي والجمانة حبة من الفضة تجعل على هيئة حبة اللؤلؤ والمراد هنا النفيس من القول والعقد الجملة ينظم كلامها فتبدو كالعقد في جيد المرأة حلاوة ونفاسة وتتدرّج تتابع أولاً فأول ويربع أي يجعل عدد الكلمات أربعاً إذا كان من سبقه نظم ثلاث كلمات ويسبع أي ينظم سبعاً وذو الميمنة من كان على يمينه وذو الميسرة من كان على يساره وعلى رغمه أي غصباً عنه يبقى القول إن الفتح والضم في فعلي ربّع وسبع يجوزان.

(2) انتظمنا أي اجتمعنا وعدّة أي عدد أي عشرة أشخاص بعدد أصابع الكف وتألّفنا أي تصاحبنا والكهف الغار وأهل الكهف شباب بسطت روايتهم في سورة الكهف وهي في تاريخ الطبري ج 2 ص 7-9 وخلاصتها أن شباباً نجوا بدينهم من ملك ظالم فلاذوا بغار وناموا هناك بضعة قرون ثم أفاقوا. وابتدر سارع والمحنة البلاء والمقصود أن مسارعة صاحب الميمنة للبدء تعني أنه سيكون هو ملزماً بالتسبيع وفي ذلك ما فيه من عناء ومشقة.

(3) اللوم التثريب والتأنيب والملل الضجر وميامنه أي من كان على يمينه وكبّر أي اجعل كبيراً ورجاء=

وأفضَتِ النّوبَةُ إليّ، وقد تعيّنَ نظْمُ السّمْطِ السُباعيّ عليّ[1]، فلمْ يزَلْ فِكري يصوغُ ويكْسِرُ، ويُثْري ويُعسِرُ[2]، وفي ضِمْنِ ذلِك أستَطْعِمُ، فلا أجدُ منْ يُطعِمُ، إلى أن ركَدَ النّسيمُ؛ وحصْحَصَ التّسليمُ[3]! فقلتُ لأصْحابي: لو حضَرَ السَّروجيّ هذا المَقامَ، لشَفى الدّاءَ العُقامَ! فقالوا: لو نزَلَتْ هذهِ بإياسٍ، لأمْسَكَ على ياسٍ[4]! وجعلْنا نُفيضُ في استِصْعابِها، واستِغْلاقِ بابِها، وذلِك الزّوْرُ المُعتَري، يلحَظُنا لحْظَ المُزدَري، ويؤلّفُ الدُرَرَ ونحنُ لا ندْري[5]! فلمّا عثَرَ على افتِضاحِنا، ونُضوبِ ضحْضاحِنا[6]، قال: يا قومُ! إنّ منَ العَناء العظيمِ، استيلادَ العَقيمِ، والاستِشْفاءَ

= ربك الأمل به ويليه أي يتبعه أو جاء بعده وربّ يرُبّ ربّاً القوم ساسهم والنعمة زادها والشيء جمعه وملكه والأمر أصلحه والصبي رباه حتى أدرك وبرّ الولد أبويه أطاعهما وأحسن معاملتهما ووصلهما وبر المرءُ اتسع في الإحسان وبرّ السائل وصله وأحسن إليه والشخص وادّه وحابّه والعبارة تقول إن من يحفظ الصنيع ويبرّ يزداد خيراً ونعمة وسكّت فعل أمر من سكت ونم أي سعى بالنميمة أي الغيبة وتكس أي تكون كيّساً والكيّس العاقل الحصيف الفطن.

(1) أفضت أي آلت وانتهت والنوبة الفرصة والدولة وتعيّن الشيء عليك لزمك بعينه والنظم تأليف الأشياء وضم بعضها إلى بعض وهنا في ترتيب الكلام وتقفيته والسمط الخيط يعقد فيه اللؤلؤ أو ما شاكله أراد به الجملة والسباعي المؤلف من سبع كلمات.

(2) يصوغ أي يصنع ويثري أي يستغني ويعسر أي يفتقر.

(3) استطعم أي طلب الطعام ونقل الشريشي عن الإمام علي قوله: «إذا استطعم الإمام فأطعموه» وفسّرها بقوله إذا أرتج عليه أي عصي القول عليه واستغلق فافتحوا له وهو تفسير يناسب السياق وركد هدأ والنسيم الريح اللينة لا تحرّك شجراً وحصحص الحق ظهر وتبين وفي سورة يوسف الآية 51: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ﴾ والتسليم الإقرار بالعجز.

(4) المقام الموقف والعقام والداء المرض والعقام الذي لا دواء له وإياس بن معاوية المزني المتوفى سنة 739 م وإياس من نبهاء القضاة ضرب به المثل فقيل أذكى من إياس ويقول أبو تمام:

إقدامَ عمروٍ في سماحةِ حاتمٍ ... في حلمِ أحنفَ في ذكاءِ إياسِ

وأمسك أي كف وترك ما كان فيه والياس اليأس.

(5) أفاض في الحديث اندفع فيه وأفاض من المكان غادره وخرج منه والاستغلاق صعوبة فتح الشيء واستغلق على الرجل أرتج عليه فلم يجد وجهاً للتكلم والزور الزائر ويقال للمفرد والمثنى والجمع والمعتري القاصد والمزدري أي المحتقر ويؤلّف أي يجمع الدرر والواحدة درة كناية عن جيد الكلام وعيونه.

(6) عثر على الشيء وجده واطلع عليه والافتضاح هنا العجز والاشتهار به والضحضاح الماء الذي لا عمق له والنضوب الجفاف والغوران في الأرض.

بالسّقيمِ، وفوْقَ كلّ ذي عِلمٍ عليمٌ[1]! ثمّ أقبَل عليّ وقال: سأنوبُ منابَكَ، وأكفيكَ ما نابَكَ! فإنْ شِئْتَ أن تنثُرَ، ولا تعثُرَ، فقُلْ مُخاطِباً لمَنْ ذمّ البُخْلَ، وأكثَرَ العذْلَ[2]:

لُذْ بكلّ مؤمّلٍ إذا لَمّ وملَك بذَلَ!

وإنْ أحببْتَ أن تنظِمَ، فقُلْ للذي تُعظِمُ[3]:

أُسْ أرْمَلاً إذا عَرا ... وارْعَ إذا المَرْءُ أسا

أسْنِدْ أخا نَباهَةٍ ... أبِنْ إخاءَ دَنِسا[4]

أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ ... مُشاغِبٍ إنْ جَلَسا

أُسْرُ إذا هَبّ مِراً ... وارْمِ بهِ إذا رَسا

أُسْكُنْ تَقَوَّ فعَسى ... يُسْعِفُ وقْتٌ نكَسا[5]

---

(1) العناء التعب والمشقة والاستيلاد طلب الولد والعقيم العاقر التي لا تلد والاستشفاء التداوي والسقيم المريض وأما قوله وفوق كل ذي علم عليم فالعبارة قرآنية من سورة يوسف الآية 76.

(2) أنوب أي أكون نائباً عنك وأقوم مقامك وأكفيك أي أقوم مقامك في دفعه عنك ونابك أصابك وعراك وشئت أردت وتنثر أي تقول نثراً وتعثر أي زل وكبا وفي الكلام إذا سقط وأكثر أي زاد وأفرط والعذل اللوم والتثريب.

(3) لذ فعل أمر من لاذ أي لجأ والمؤمّل المرجو والمنشود لفعل الخير ولَمّ جمع وبذل تكرّم وأحسن والعبارة كلها تقرأ طرداً وعكساً أي كسابقاتها من العبارات وتعظم أي ترى عظيماً.

(4) أس أي أعط والأوس الإعطاء والأرمل الفقير إذا أفنى زاده وعرا قصد وارع أي احفظ وصن واحرس وأسى أتى بسوء وأساء وعليه فيكون معنى ارع بمعنى تجاوز خطأ المخطئ وارع حقه وأسند أي أعن وأرفع وأخو النباهة الشريف الذكي الفطن وابن فعل أمر بمعنى قطع وأبعد والإخاء المؤاخاة والتدنيس التقذير وتلويث العرض والسمعة.

(5) اسل فعل أمر من السلو وهو الترك والزهادة والجناب الجانب والغاشم الظالم والمشاغب المسرع للشر يقول وازهد بصحبة الظالم أسر وقد تكون بضم الراء بمعنى سرياً وسيداً أو بكسر الراء فتكون بمعنى اكشف وأزل أو بمعنى باعد وفارق من السرى وهو سير الليل وهبّ أي هاج وتحرك والمرا أي المماراة وهي الجدال ومدافعة الحق وعدم الانقياد له وارم به أي انبذه واطرحه ورسا ثبت في مكانه والرسو يكون للمركب يقول كن سرياً إذا هبت ريح الجدال وارم به واطرحه إذا ما هدأ أو مرّ وابتعد عن المراء والجدال إذا هب ريحه وانبذه وباعده حين يهدأ واسكن أمر من السكون أي اهدأ وتقوّ جواب الأمر ويريد تتقوّى أي تصبح قوياً وعسى اداة تدل على ترجي حدوث الأمر ولا تغيّر حركات ما بعدها ويسعف أي يساعد ويوافق ونكس أي قلب وهي هنا بمعنى قصّر بك يقول واهدأ تصبح قوياً فلربما أتاك زمان يسعفك بعد أن قصّر بك.

قال:

فلمّا سحرَنا بآياتِه، وحسرَنا ببُعْدِ غاياتِه، مدحْناهُ حتى استَعْفى، ومنحْناهُ إلى أنِ استكْفى. ثمّ شمّرَ ثيابَهُ، وازدَفَرَ جِرابَهُ، ونهضَ يُنشِدُ[1]:

لـلّـهِ دَرُّ عِـصـابَـةٍ   صُـدُقِ الـمَـقـالِ مَـقـاوِلا
فـاقـوا الأنـامَ فـضـائِـلاً   مـأثـورَةً وفـواضِـلا[2]
حـاورْتُـهـم فـوجَـدتُ سـحْـ   بـانـاً لـديْـهِـمْ بـاقِـلا[3]
وحـلَـلْـتُ فـيـهِـمْ سـائِـلاً   فـلَـقـيـتُ جـوداً سـائِـلا
أقـسَـمْـتُ لـوْ كـان الـكِـرا   مُ حـيـاً لـكـانـوا وابِـلا[4]

ثم خَطا قِيدَ رُمحَينِ، وعادَ مُستَعيذاً من الحَينِ، وقال[5]:

---

(1) سحرنا أي فتننا وتركنا مسحورين وآياته عجائبه للطفها ودقة مأخذها وحسرنا أي قطعنا وأعجزنا وغاياته مراميه وبعد الغايات هنا الاتساع في القول والقدرة عليه ومدحه أثنى عليه واستعفى أي طلب العفو وقال عافوني منه وسألنا أن نكفّ ومنحناه أعطيناه واستكفى قال كفى وشمّر بمعنى تأهّب وقد مرّت وازدفر أي حمل على ظهره والجراب تقدم.

(2) لله درّ عبارة للتعجب بمعنى لله ما فيه من كثرة الخير والدرّ اللبن الكثير والعصابة الجماعة وصدق بضم الصاد والدال والواحد صادق والمقال أي القول والمقاول والواحد مقول وهو اللسان وهو المقول البين القول والظريف من الناس وفاق فضل وزاد على غيره والفضائل والواحدة فضيلة المحمود من الأفعال وتفضل به على غيرك والمأثور المشهور والمتحدّث به والفضائل والواحدة فضيلة العطية واليد.

(3) حاورتهم أي خاطبتهم وراجعتهم في الحديث وسحبان وهو سحبان الوائلي وبه يضرب المثل بالفصاحة خطيب بليغ عمّر حتى العهد الأموي ومات سنة 674 م وصفه معاوية أنه أخطب العرب فقال سحبان والعجم والإنس والجن وباقل وهو باقل الإيادي رجل جاهلي ضرب المثل في العيّ والبله يقول لقد راجعتهم الحديث فوجدت سحبان عيّاً كباقل عندهم لفصاحتهم وبلاغتهم.

(4) سائلاً أي طالباً والجود الكرم والنوال والسائل من سال الماء إذا جرى وأقسمت أي أقسم وأحف والحيا الغيث والمطر والوابل المطر الغزير يقول وإني لأقسم لئن كان الكرام والأجواد مطراً فان هذه الجماعة هي أشد المطر وأغزره وأعظمه قطراً.

(5) خطا مشى ونقل خطاه وقيد أي قدر ومستعيذاً أي مستجيراً والحين الموت والهلاك.

يا عِزَّ مَنْ عدِمَ الآلَ، وكَنْزَ منْ سُلِبَ المالَ! إن الغاسِقَ قدْ وقَبَ، ووجْهَ المحجّةِ قدِ انتقَبَ[1]، وبيْني وبينَ كِنّي ليلٌ دامِسٌ، وطريقٌ طامِسٌ. فهلْ منْ مِصباحٍ يؤْمِنُني العِثارَ، ويُبيِّنُ ليَ الآثارَ[2]؟

قال:

فلمّا جِيءَ بالمُلتَمَسِ، وجلّى الوجوهَ ضوءُ القبَسِ؛ رأيتُ صاحِبَ صيْدِنا، هوَ أبو زيدِنا[3]! فقلتُ لأصحابي: هذا الذي أشَرْتُ إلى أنهُ إذا نطَقَ أصابَ، وإنِ استُمْطِرَ صابَ[4]! فأتلَعوا نحوَه الأعْناقَ، وأحدَقوا بهِ الأحْداقَ، وسألوهُ أنْ يُسامِرَهُمْ ليلَتَهُ، على أن يجْبِروا عَيلَتَهُ[5]. فقال: حُبّاً لِما أحبَبْتُمْ، ورُحْباً بكُمْ إذا رحّبْتُمْ! غيرَ أني قصدتُكُمْ وأطْفالي يتضوّرونَ منَ الجوعِ، ويدْعونَ لي بوشْكِ الرّجوعِ[6]، وإنِ

(1) العزّ أي الرفعة وعدم أي خسر وفقد والآل الأهل والكنز ما يذخر من مال ونفائس وقد تقدم وسلب أي غصب وسرق منه يقول أنتم رفعة من لا أهل له وذخيرة من غصب ماله والغاسق الليل إذا دخل في كل شيء وأصل المادة يدور على الانصباب والسيلان ومنه انصباب الليل على الكائنات فيكون ظلام ووقب أي دخل ووقب الليل إذا دخل في كل شيء وشمله بظلامه وفي سورة الفلق الآية الثانية: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾. وقيل الغاسق هو القمر ووقب القمر إذا دخل في الظلام الذي يكسفه والمحجّة الطريق وانتقب استتر وجعل من الظلام نقاباً وهو ما يغطى به الوجه.

(2) الكنّ المنزل يكتن فيه والدامس الحالك الظلمة والطامس الممحوة الأثر والدارسة لأن الظلام قد عفى عليها وغطاها فلا تبين ويؤمنني أي يقيني ويدفع عني والعثار العثرة والسقوط والآثار آثار المشي على الطريق.

(3) المُلتمس أي المطلوب وجلّى أي أبان وأبرز والقبس النار أو شعلة منها وفي سورة طه الآية 10: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾ وصاحب صيدنا أي صاحب فائدتنا وفسّرها الشريشي الذي اصطاد أموالنا وأفضّل الأولى.

(4) استمطر أي طلب منه المطر وصاب المطر إذا نزل منصباً يقول إنه أبو زيد الذي يقول فيجيد ولا يخطئ ويمطر فيغدق وكنّى بالمطر العظيم عن العلم الواسع.

(5) أتلعوا أي مدّوا وتطاولوا ليروا وأحدقوا أي أحاطوا وتحلّقوا والأحداق والواحدة حدقة سواد العين المستدير وسطها ويجبروا أي من الجبر وهو عكس الكسر أي يسدوا عيلته فاقته وحاجته.

(6) حباً أي أحبب بما أحببتم ورحباً بكم أي مرحباً بكم كما رحّبتم بي يتضور جوعاً أي يصيح ويضطرب من الجوع والوشك السرعة يقول إني أحبّ ما تحبون وأرحب بكم كما رحبتم بي ولكنني أتيتكم وأولادي يصيحون ويضطربون جوعاً ويرجون رجوعي بسرعة وشيكة.

استَراثوني خامرَهُم الطَّيشُ، ولَمْ يصْفُ لهمُ العيشُ. فدَعوني لأذهبَ فأسُدَّ مَخْمَصَتَهُمْ، وأُسيغَ غُصّتَهُمْ[1]، ثمّ أنقَلِبَ إليكُمْ على الأثَرِ، متأهّباً للسّمَرِ، إلى السّحَرِ[2]. فقُلْنا لأحدِ الغِلْمَةِ: اتبَعْهُ إلى فِئَتِه، ليكونَ أسرعَ لفَيْئَتِهِ! فانطلَقَ معَهُ مضطَبِناً جِرابَه، ومُحَثْحِثاً إيابَه، فأبْطأَ بطأً جاوزَ حدّهُ، ثمّ عادَ الغُلامُ وحدَهُ[3]. فقُلْنا له: ما عندَكَ من الحديث، عنِ الخبيثِ؟ فقال: أخذَ بي في طُرُقٍ مُتعِبَةٍ، وسُبُلٍ متشعّبَةٍ، حتى أفضَيْنا إلى دُوَيْرَةٍ خرِبَةٍ. فقال: هاهُنا مُناخي، ووكْرُ أفْراخي[4]! ثمّ استَفْتَحَ بابَهُ، واختلَجَ مني جِرابَهُ، وقال: لَعمْري لقدْ خفّفْتَ عني، واستوْجَبْتَ الحُسْنى مني[5]! فهاكَ نصيحةً هيَ منْ نفائِسِ النّصائحِ، ومغارِسِ المصالِحِ، وأنشدَ[6]:

(1) استراثوني أي استبطأوني وخامرهم داخلهم والطيش النزق وخفة العقل ويصفو أي يروق ودعوني فعل أمر بمعنى اتركوني والمخمصة الجوع وأسيغ أي أزيل وأسهّل والغصة ما يختنق به وإساغتها تسهيلها حتى يمكن لصاحبها أن يبتلع.

(2) أنقلب أرجع وعلى الأثر أي تواً وفي الحين والطريق الذي أمضب فيه ومتأهباً أي مستعداً والسمر حديث الليل والسحر آخر الليل.

(3) الغلمة الواحد منها غلام والفئة الجماعة وفي رواية الفتية وأحبّذ الأولى فهي بكلام الحريري أشبه والفيئة العودة والإياب والرجوع واضطبن حمل على ضبنه أي خصره وحثحث أي عجّل وإيابه أي رجوعه وأبطأ تأخر.

(4) الخبيث الذكر من الشياطين وهو هنا الماكر المخاتل الفاسد الأفعال أخذ بي أمسك وفي سورة الأعراف الآية 150: ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ﴾. وأخذ بي هنا تعني قادني وأخذني والسبل والواحد سبيل الطرق والمتشعبة المتفرقة التي تخرج منها شعب إلى كل جهة يقول لقد أخذني في دروب متشعبة حتى اختلط علي الأمر فعدت لا أهتدي إلى المنزل وأفضى أي وصل والدويرة تصغير الدارة والمناخ المنزل والأصل مكان إناخة البعير والوكر العش وواحد الأفراخ الفرخ وكنى بذلك عن أطفاله.

(5) استفتح أي طلب الفتح وهي هنا ضرب الباب وقال افتحوا واختلج أي أخذ بسرعة وانتزع ولعمري أي أقسم بديني فالعمر هو الحياة وهو الدين واستوجب صار واجباً له والحسنى الكرامة والفعل الحسن.

(6) هاك أي خذ والنصيحة القول الخالي من الفساد والغش والدعوة والهداية إلى ما فيه خير والنفائس والواحدة نفيسة الذخائر الثمينة ومغارس أي منابت والمصالح والواحدة مصلحة ما يأتي منه صلاح الحال.

إذا مـا حـوَيْـتَ جـنـى نـخـلَـةٍ ... فـلا تـقـرُبَـنْـهـا إلـى قـابِـلِ
وإمّـا سـقَـطْـتَ عـلـى بـيْـدَرٍ ... فحوْصِلْ من السُنبلِ الحاصِلِ[1]
ولا تـلـبَـثَـنّ إذا مـا لـقَـطْـتَ ... فـتَـنـشَـبَ فـي كـفّـةِ الـحـابِـلِ
ولا تـوغِـلَـنّ إذا مـا سـبـحْـتَ ... فـإنّ الـسّـلامـةَ فـي الـسـاحِـلِ[2]
وخـاطـبْ بـهـاتِ وجـاوِبْ بـسـوْفَ ... وبِـعْ آجِـلاً مـنـكَ بـالـعـاجِـلِ
ولا تُـكـثِـرَنّ عـلـى صـاحِـبٍ ... فـمـا مـلّ قـطُّ سـوى الـواصِـلِ[3]

ثم قال: اخزُنْها في تأمورِكَ، واقْتَدِ بها في أمورِكَ! وبادِرْ إلى صحْبِكَ، في كِلاءةِ ربّكَ[4]! فإذا بلَغْتَهُمْ فأبْلِغْهُمْ تحيّتي، واتْلُ عليْهِمْ وصيّتي، وقُلْ لهُمْ عنّي: إنّ السهَرَ في الخُرافاتِ، لَمِنْ أعظمِ الآفاتِ! ولستُ أُلْغي احتِراسي، ولا أجلُبُ الهوَسَ إلى راسي[5]!

---

(1) حويت أي جمعت وحزت وجنى النخلة ثمرها وقرب من الشيء دنا منه وقابل أي العام المقبل والبيدر المكان الذي يدرس فيه القمح أي يفصل الحب فيه عن القشر وحوصل أي املأ حوصلتك أي بطنك والحوصلة للطائر والحاصل أي المتوفّر يقول لا تعد إلى نخلة قطفت ثمارها قبل عام واملأ بطنك مما توفرّ لك.

(2) لا تلبثن فعل أمر بمعنى لا تلبث أي لا تقم ولا تتمهّل ولقط أخذ الشيء دون تعب ونشب أي علق والكفة الشبكة والحابل الصائد يقول وإذا ما أخذت شيئاً سنح دون عناء فانج بنفسك سريعاً كيلا تعلق بشبكة صياد يصيدك وأوغل أي أسرع وأمعن ومضى بعيداً يقول واسبح إذا ما سبحت قريباً من الشاطئ ففي ذلك سلامة وأمن لقربك من اليابسة.

(3) هات أي أعطني وجاوب أي أجب وسوف أداة تفيد المستقبل وهي مرادفة للسين إلا أنها أوسع منها مدة وبع فعل أمر من باع والآجل أي البعيد والعاجل القريب السريع يقول فخذ ولا تعط بل عد بقولك سوف أفعل وبع الآجل منك بالعاجل أي الحاصل المتحقق بما قد يحصل في الآتي ولا تكثرن على صاحب أي لا تكثر زياراتك له وملّ أي صار مملاً ومضجراً والواصل من يصل الحاجة بالحاجة يقول ولا تكثر زياراتك لصاحبك فمن أفرط في وصل الحاجات واتباعها الواحدة بالأخرى صار مملاً لا ترتجى زيارته.

(4) اخزنها أي احفظها واجعلها وتأمورك أي قلبك واقتد أي واتّبعها واجعلها إماماً وبادر أي وأسرع والكلاءة الحفظ أي واحفظ قولي في قلبك وأسرع إلى رفقتك في حفظ ربك وأمانه.

(5) بلغتهم أي وصلتهم وأبلغهم أي أوصل إليهم أي قل لهم والخرافات والواحدة خرافة حديث

قال الراوي:

فلمّا وقفْنا على فحْوى شِعرِهِ، واطّلَعْنا على نُكْرِهِ ومكرِهِ، تلاوَمْنا على ترْكِهِ، والاغتِرارِ بإفْكِهِ. ثمّ تفرّقْنا بوجوهٍ باسِرَةٍ، وصفقَةٍ خاسِرةٍ[1].

= اللهو والأباطيل والآفات وقد تقدمت واحدتها الآفة العاهة وعرض يفسد ما يصيبه وألغى أي ترك وأزال والاحتراس التوقي والحذر والحرص وجلب الشيء أتى به والهوس شيء من الجنون وخفة العقل.

(1) وقفنا أي أطلعنا والفحوى المضمون والمعنى والنكرالدهاء والفطنة وهو أيضاً ما اشتد وصعُب وكرهته واستوحشت منه النفوس وفي سورة الكهف الآية 74: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾. وأنا أميل إلى هذا المعنى ومكره أي حيلته وتلاومنا أي لام واحدنا الآخر ولمنا بعضنا بعضاً وتركه تخليته والسماح له بالانصراف والاغترار الانخداع والإفك الكذب والمين وبسر ككتب نظر بكراهة شديدة أو كلح وتغير فهو باسر وهي باسرة وهو المراد هنا وفي سورة القيامة الآية 24: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ والصفقة البيعة والتجارة والخاسرة المغبونة.

المقامة القَهقَرِيّة

حدّث الحارثُ بنُ همّام قال:

لحظْتُ في بعضِ مطارحِ البَينِ، ومطامِحِ العينِ؛ فِتيَةً عليهِمْ سِيما الحِجى، وطُلاوَةُ نُجومِ الدُجى[1] وهمْ في مُماراةٍ مشتَدّةِ الهُبوبِ، ومُباراةٍ مشتطّةِ الألْهوبِ[2]! فهزّني لقَصْدِهِمْ هوى المُحاضرَةِ، واستِحْلاءُ جنى المُناظرَةِ! فلمّا التحقْتُ برهْطِهِمْ، وانتظمْتُ في سِمْطِهِمْ، قالوا: أأنتَ ممّنْ يُبْلى في الهَيْجاء، ويُلْقي دَلْوَهُ في الدِّلاء[3]؟ فقلت: بل أنا منْ نظّارَةِ الحرْبِ، لا منْ أبناء الطّعْنِ والضّرْبِ.

---

(1) اسم المقامة سببه أن في فيها نصاً يقرأ طرداً وعكساً أي من أوله إلى آخره ومن آخره إلى أوله دون تغيير ولو بحرف واحد. القَهْقَرَى: الرجوع إلى خلف. وفي اللسان لابن منظور: فإذا قلت: رَجَعْتُ القَهْقَرَى، فكأنك قلت: رجعت الرجوعَ الذي يعرف بهذا الاسم لأن القَهْقَرَى ضرب من الرجوع؛ وقَهْقَر الرجلُ في مِشْيَته: فعل ذلك وتَقَهْقَر: تَرَاجَعَ على قفاه. ويقال: رجع فلانٌ القَهْقَرَى. والرجل يُقَهْقِرُ في مِشْيَته إذا تَرَاجَعَ على قفاه قَهْقَرة. والقَهْقَرَى: مصدر قَهْقَرَ إذا رجع على عقبيه ولحظ الشيء نظر إليه بمؤخر العين والمطارح والواحد مطرح وهو الموضع الذي تطرح نفسك أي ترميها فيها على الرامي هنا هو البين أي البعد والفراق وبالجملة فمطارح البين هي ديار الغربة ومطامح العين المواضع والأمكنة الحسنة التي تشوفت لها العين والحِجَى العقل والفِطْنة؛ والجمع أحْجَاءٌ والسيما الهيئة والعلامة والطلاوة الحسن والبهجة والدجى الظلمة.

(2) والمماراة الجدل والخصام ومشتدة أي شدتها ترتفع وتزداد والهبوب للريح ثورتها وهياجها واستعير الهبوب والشدة لارتفاع لحدة الجدل والمباراة المعارضة والمسابقة ومشتطة أي مبتعدة ومتجاوزة الحد والاشتطاط يكون في الجور والظلم والألهوب شدة الجري.

(3) هزّني حركني وأثارني وقصدهم إتيانهم والتوجه إليهم وهوى الشيء عشقه وأحبّه والمحاضرة مجالسة العلماء واستحلى الشيء وجده حلواً وحسناً وجنى المناظرة أي ثمرها وفوائدها والمناظرة الجدل لإثبات المطلوب ونفيه أو نفي دليه مع الخصم والتحق به أدركه وانضم إليه ولصق به والرهط عدد يجمع من الثلاثة إلى العشرة وانتظمت أي وانخرطت والسمط تقدّم تفسيره=

فأضْرَبوا عن حِجاجي، وأفاضوا في التّحاجي[1]. وكانَ في بحبوحةِ حلْقَتِهِمْ، وإكْليلِ رُفقَتِهِمْ، شيخٌ قد برَتْهُ الهُمومُ، ولوّحَتْهُ السَّمومُ، حتى عادَ أنْحلَ منْ قلَمٍ، وأقْحلَ منْ جلَمٍ[2]! إلا أنهُ كان يُبدي العُجابَ، إذا أجابَ، ويُنْسي سحْبانَ، كلّما أبانَ. فأُعجِبْتُ بما أوتيَ من الإصابَةِ، والتّبريزِ على تلكَ العِصابةِ[3]. وما زالَ يفضَحُ كلَّ مُعمًّى، ويُصْمي في كلّ مرْمًى؛ إلى أن خلَتِ الجِعابُ، ونفِدَ السّؤالُ والجوابُ[4]. فلما رأى إنْفاضَ القوْمِ، واضْطِرارَهُمْ إلى الصّومِ. عرّضَ بالمُطارَحَةِ، واستأذَنَ في المُفاتَحةِ. فقالوا له: حبّذا! ومنْ لنا بِذا[5]؟ فقال: أتعرِفونَ رِسالةً أرْضُها سماؤها،

= مراراً ويبلى الرجل أي يظهر ما عنده ويقال أبلى في الحرب بلاء حسناً أي أظهر ما عنده حتى ابتلاه الناس وخبروه والهيجاء من أسماء الحرب ويلقي أي يرمي ويسقط والدلو وعاء يمتح أي يرفع فيه الماء من البئر وإلقاء الدلو في الدلاء أو بينهم مثل مؤداه أن يأخذ المرء بنصيب مع الناس ويقول الإمام علي بن أبي طالب:

وما طلب المعيشة بالتمني ... وَلَكِنْ أَلْقِ دَلْوَكَ في الدِّلاءِ

(1) النظارة من نظر من يتنحون بعيداً وفي موضع مرتفع مشرف فينظرون ما يجري أمامهم ولا يشهدونه وأبناء الشيء أصحابه والمتمرسون به والطعن والطعان القتال بالرمح والضرب القتال بالسيف يقول إن ممن يشهد القتال ولا يحارب يعني أنه جاءهم وحضر مجلسهم للاستماع لا للمناظرة واضربوا أي أعرضوا والحجاج إيراد الحجة والبرهان في المناظرة فإذا أوردت الحجة على الخصم تكون قد حججته أي غلبته وأفاضوا أي اندفعوا والتحاجي أي تبادل الألغاز والواحدة أحجية.

(2) البحبوحة من كل شيء وسطه وخياره والحلقة الدائرة وكذلك الإكليل وأصله عصابة مكللة مزينة بالجواهر تعتمرها الملوك وبرته الهموم أي أذهبت لحمه وأنحفته وأنحلته ولوّحته غيرته وأضرت بصورته وأضمرته والسموم الريح الحارة وأنحل أي أضعف وأنحف وأقحل أي أيبس والجلم المقص والصحيح أن يقول جلمان أو مقراضان ومقصان لأنهما اثنان وهذا التصحيح من الحريري نفسه في درة الغواص ولكنه أباح لنفسه ما حرّمه على غيره.

(3) العجاب العجيب والمدهش وسحبان تقدّم ذكره في المقامة السابقة وأبان أفصح وأظهر والتبريز السبق والتقدم على الغير من برز عليه إذا ظهر وتقدم عليه وغلبه والعصابة الجماعة.

(4) يفضح أي يهتك ستر كل معمّى أي مستغلق وملتبس ويصمي أي يصيب المقتل والجعاب والواحدة جعبة وعاء السهام وكنى بها هنا عن الأذهان ونفد فني.

(5) الإنفاض فناء الزاد وتحريك كيسه لطرح ما فيه من فتات وهو هنا نفاد ما عند القوم من مواضيع للقول والصوم الإمساك عن الطعام والشراب وهو هنا الإمساك عن الكلام وعرّض بالشيء ذكره =

وصُبحُها مساؤها؟ نُسِجَتْ على مِنوالَين، وتجلّتْ في لوْنَين[1]؟ وصلّتْ إلى جِهَتَين، وبدتْ ذات وجهَين؟ إنْ بزغَتْ منْ مشرِقِها، فناهيكَ برَونَقِها! وإنْ طلعَتْ منْ مغرِبِها، فَيا لعَجَبِها[2]!؟

قال: فكأنّ القومَ رُموا بالصُّماتِ، أو حقّتْ عليهِمْ كلمةُ الإنْصاتِ. فما نَبَسَ منهُمْ إنسانٌ، ولا فاهَ لأحدِهِمْ لِسانٌ[3]! فحينَ رآهُم بُكْماً كالأنْعامِ، وصُموتاً كالأصْنامِ، قال لهُمْ: قدْ أجّلتُكُمْ أجَلَ العِدّةِ، وأرخَيت لكُمْ طِوَلَ المُدّةِ! ثم هاهُنا مجمَعُ الشّمْلِ، وموقِفُ الفصْلِ[4]! فإنْ سمحَتْ خواطرُكُمْ مدَحْنا، وإنْ صلَدَتْ زِنادُكُمْ قدَحْنا[5]! فقالوا لهُ: واللهِ ما لَنا في لُجّةِ هذا البحرِ مسبَحٌ، ولا في ساحِلِهِ

= والمطارحة ما يأخذه المتعلّم عن المعلّم واستأذن أي طلب الإذن والرخصة والمفاتحة استفتاح الكلام والبدء به وحبّذا أداة مدح واستحسان مركبة من حبب وذا ويجوز أن تدخل عليها الياء ومن لنا أي من أين لنا أو من يضمن لنا وذا أي هذا الذي إليه أشرت أو ذكرت.

(1) عنى بالأرض النهاية وبالسماء البداية وكذلك عنى بالمساء والصبح ومراده أتعرفون كلاماً يقرأ مقلوباً كما يقرأ طرداً دون تغيّر في اللفظ ونسجت حيكت والمنوال خشبة الحائك ينسج عليها والمراد بالمنوالين الاتجاهان في قراءة الكلام وكذا قل في معنى اللونين كما سيرى القارىء.

(2) بزغت أي طلعت والبزوغ للشمس والمشرق مكان الشروق وهو هنا مطلع الرسالة وبدايتها أي إن قرأت من بدايتها فيا لرونقها أي حسنها وملاحتها والمغرب العكس أي إذا قرأت من آخرها إلى أولها.

(3) رمي بالشيء ضرب به أو ألقي عليه والصمات الصمت والسكوت وحقّت أي وجبت والإنصات الاستماع والإصغاء ونبس الحرف لفظه في مهلة وخوف وفاه نطق.

(4) البكم الخرس وامتناع النطق والأنعام والنعم البقر والغنم والإبل لأنها عند العرب أجلّ النعم وكانت أصلاً في الإبل هذا وقيل إنها نعم لنعومة مشيها ولينها قبل التوسّع في المعنى المشار إليه الأصنام التماثيل التي تعبد وصموتاً أي ساكتين لا ينطقون والعدّة ما يعدّ يقال انقضت عدة الرجل أي أعوام أجله وعدة المرأة ما تعدّه من أيام وأقراء للتخلص من زواج سابق وتستطيع الزواج بعدها وأرى هذا المعنى هو الأولى وليس ما أخذ به الشريشي فقال المراد عدة الموت لأنها أطول العدد وأرخى أي جعل الشيء رخواً وأرخى الفرس وللفرس طوّل لها الحبل وأمدّ لها به ومجمع الشمل حيث نجتمع والشمل ما تفرّق وما اجتمع يقال فرّق الله شملهم وجمع الله شملهم والفصل القضاء والحكم أو الجد الذي لا هزل معه.

(5) صلد الرجل أي كان كزّ اليدين بخيلاً وصلدت الأرض إذا يبست فلم تنبت شيئاً وصلد الزند أي =

مسرَحٌ. فأرِحْ أفكارَنا منَ الكدّ، وهنّئِ العطيّةَ بالنّقْدِ[1]! واتّخِذْنا إخواناً يثِبونَ إذا وثَبْتَ، ويُثيبونَ متى استَثَبْتَ! فأطْرَقَ ساعةً، ثمّ قال: سمْعاً لكُمْ وطاعةً! فاستَمْلوا مني، وانقُلوا عني[2]:

الإنسانُ، صَنيعةُ الإحسانِ! وربُّ الجَميلِ، فِعْلُ النّدْبِ! وشيمَةُ الحُرّ، ذخيرَةُ الحمْدِ[3]! وكسْبُ الشُّكْرِ، استِثْمارُ السّعادةِ! وعُنوانُ الكرَمِ، تباشيرُ البِشْرِ! واستِعْمالُ المُداراةِ يوجِبُ المُصافاةَ! وعقْدُ المحبّةِ يقتَضي النُّصْحَ[4]! وصِدْقُ الحديثِ، حِليةُ اللّسانِ! وفصاحَةُ المنطِقِ، سحرُ الألْبابِ! وشرَكُ الهوى، آفَةُ

= صوت ولم يور أي لم يشعل وقدح ضرب الزناد لإيراء النار وقدح أي ذم يقول فإذا تكرمتم عليّ مدحتكم وإذا لم تضطرم ناركم كناية البخل وهو المعنى الأول لفعل صلد قدحناكم أي ذممناكم ونعينا عليكم بخلكم.

(1) اللجة معظم الماء والمسبح الموضع يسبح فيه والمسرح الموضوع يُسرح فيه أي يمشى ويتصرف يقولون إنه ماء عظيم لا نحسن الخوض فيه وساحل لا نذهب لنا فيه كناية عن صعوبة ما رماهم به وأرح فعل أمر من الراحة والكد التعب والجهد والنصب وهنّئ فعل أمر بمعنى اجعل هنيئاً وطيّب أو أسغ والنقد حضور المال والمعنى أرحنا من هذا التعب واجعل كرمك سائغاً هنيئاً بأن تبذله فوراً دون تأجيل والمراد بالعطية الرسالة.

(2) اتخذ أي جعل ووثب نهض وقام وطفر وأثاب وهب الثواب أي أعطى وتكرّم واستثاب طلب الثواب وأطرق أمال رأسه إلى صدره ولم يتكلم وسمعاً وطاعة عبارة تقال في مقام الإجابة على ما يطلبه الطالب فسمع أدرك وسمع له أطاعه واستملى أي سمع وكتب ما يملى عليه وانقلوا عني أي بلّغوا عني.

(3) الصنيعة ما يصطنعه الإنسان من الخير لغيره وربّ القوم ساسهم والصبي ربّاه والنعمة زادها والأمر أصبحه والشيء ملكه والجميل المعروف والندب الخفيف في الحاجة والظريف النجيب وأحسب أنه المراد والشيمة الخلق والطبيعة والذخيرة ما يكنز ويدّخر والحمد الشكر يقول ومن خلق السيّد الكيّس الظريف الحرّ زيادة النعمة بالقيام بحمدها.

(4) الكسب جمع الشيء علماً كان أم مالاً أم حمداً الاستثمار طلب الثمر وهو أيضاً تنمية المال بتحويل المدّخر منه إلى أشكال مختلفة من الرأسمال بغية الاستفادة والتباشير أوائل الشيء تنذر به فتباشير الصبح أوله وتباشير الثمر أولها والبشر طلاقة الوجه وبشاشته يقول وعلامة الكرم بشاشة الوجه والمداراة الملاطفة والمصانعة واستمالة القلوب والمصافاة إخلاص الصحبة وتنزيهها وعقد المحبة انعقادها بين اثنين ويقتضي يستلزم ويستوجب والنصح الوعظ والإرشاد يقول ومن شروط المحبة الإخلاص في القول والهداية.

النّفوسِ! وملَلُ الخلائقِ، شَينُ الخلائقِ[1]! وسوءُ الطّمعِ، يُبايِنُ الورَعَ! والتِزامُ الحَزامَةِ، زِمامُ السّلامَةِ[2]! وتطلُّبُ المثالِبِ، شرُّ المَعايِبِ! وتتبُّعُ العثَراتِ، يُدْحِضُ المودّاتِ[3]! وخُلوصُ النيّةِ، خُلاصةُ العطيّةِ! وتهنِئةُ النّوالِ، ثمَنُ السّؤالِ[4]! وتكلُّفُ الكُلَفِ، يسهِّلُ الخَلَفَ! وتيقُّنُ المَعونَةِ، يُسَنّي المؤونَةَ! وفضْلُ الصّدْرِ، سعَةُ الصّدرِ! وزينَةُ الرُعاةِ، مقْتُ السُعاةِ! وجَزاءُ المدائِحِ، بثُّ المَنائِحِ[5]! ومهْرُ الوسائِلِ، تشفيعُ المسائِلِ! ومجلَبَةُ الغَوايةِ، استِغْراقُ الغايةِ! وتجاوزُ الحدّ، يُكِلّ الحدَّ! وتعدّي

---

(1) الحلية الزينة والألباب العقول يقول وزينة اللسان الصدق والقول الفصيح أي الظاهر المعنى والحسن النظم وغير الملتبس ولا عيب فيه يفتن العقول والشرك ما يصطاد به يقول والفخ الذي تقع فيه النفوس هو الميل إلى الهوى وهو آفتها داؤها والخلائق الناس والخلق والشين العيب والخلائق الطبائع يقول وملل الناس وتضجرها عيب في الطبع.

(2) يباين أي يخالف وينافي والورع الكفّ عن الشبهات فضلاً عما لايحلّ والتزام الشيء التمسك به والحزامة الحزم وهو جودة الرأي وإحكام الأمور وأصل الحزم الجمع والشد والزمام مقود البعير يقول إن التمسّك بالحزم هو مقود السلامة أي أن جودة الرأي وأعماله تفضي إلى السلامة.

(3) تطلب الشيء تتبعه والسعي وراءه والمثالب المساوئ والعثرات الهفوات والسقطات ويدحض أي يبطل والمودات واحدتها مودة وهي المحبة والألفة يقول إن النظر في عيوب الآخرين وتتبعه معيب وإن مراقبة هفوات الآخرين تزيل المحبة وتبطلها.

(4) النية ما يضمر المرء وخلوصها صفاؤها والخلاصة ما خلص وصفا من الشيء وتهنئة الشيء جعله هنيئاً سائغاً والنوال العطاء يقول تكرمك بنية خالصة سليمة يجعل العطية صافية لا عيب فيها وإساغة العطاء والتكرم به بسماح ويسر يكون ثمناً للسؤال أي يعوض عن ذل المسألة.

(5) تكلّف الأمر تجشمه وحمله على مشقة وعسرة والخلف البدل والعوض يقول إن تجشم الأمر لمساعدة الغير يسهل العوض والبدل من الله والتيقن التحقق والتأكد ويسنّي أي يسهّل والمؤونة خدمة الضيف وما ينفق عليه يقول والتأكد من عون الله يسهّل الإنفاق على الضيف أو المحتاج بعامة والفضل هو الزيادة والصدر سيد القوم والمقدم في الأمور وسعة الصدر كناية عن الحلم والتحمل والسخاء يقول ان السيد يفضل على غيره بسعة صدره وتحمله والرعاة والواحد راع هم ولاة الأمور والمقت البغض والسعاة من يسعون بالنميمة والغيبة ويقول الشريشي إنهم العمال الذين يجبون الزكاة ولا أحسب الأمر كذلك بل أميل إلى الأولى يقول وزينة ولاة الأمر نبذهم كل سيّئ خلق يغتاب ويدس في حضرته والمدائح والواحدة مدحة وهي وصف الآخر بكل جيد وشريف من الصفات والبث إذاعة الشيء ونشره والمنائح والواحدة منحة هي العطايا يقول وجزاء المديح العطاء وبذل المال.

الأدَبِ، يُحبِطُ القُرَبَ! وتناسي الحُقوقِ، يُنشِئُ العُقوقَ[1]! وتحاشي الرِّيَبِ، يرفَعُ الرُّتَبَ! وارتِفاعُ الأخطارِ، باقتِحامِ الأخطارِ! وتنوُّهُ الأقْدارِ، بمؤاتاةِ الأقْدارِ! وشرَفُ الأعْمالِ، في تقْصيرِ الآمالِ! وإطالةُ الفِكرَةِ، تنقيحُ الحِكمَةِ! ورأسُ الرّئاسةِ، تهذُّبُ السّياسَةِ[2]! ومع اللّجاجَةِ، تُلْغى الحاجةُ! وعندَ الأوْجالِ، تتفاضَلُ الرّجالُ! وبتفاضُلِ الهِمَمِ، تتفاوتُ القِيَمُ! وبتزيُّدِ السّفيرِ، يهِنُ التّدبيرُ[3]! وبخلَلِ الأحوالِ،

(1) المهر الحق ومنه مهر المرأة في الزواج والوسائل والواحدة وسيلة وهي السبب الذي تجعله بينك وبين ما تريد الوصول إليه والتشفيع قبول الشفاعة والمسائل والواحدة مسألة وهي سؤال المحتاج يقول وحق أو ثمن الوسيلة قضاء الحاجة ومجلبة من جلب التي تجلب والغواية الضلالة والاستغراق استيعاب الأمر وتجاوز الغاية في ذلك وتجاوز الشيء تعداه إلى غيره والحد الفاصل بين شيئين أو أمرين ويكلّ أي يوهي ويضعف ويوهن والحد الثانية الشفرة وتعدي الشيء تجاوزه ويحبط أي يفسد ويبطل والقرب ما يتقرّب به من أعمال صالحة والتناسي تعمّد النسيان أو التظاهر به وينشئ أي يولد وينتج والعقوق الجفاء والمقاطعة وغالباً ما يكون العقوق في الابن تجاه أبويه.

(2) التحاشي التجنّب والريب كل شبهة وما يرتاب بأمره من فعل والرتب والواحدة رتبة المنزلة والخطر والجمع أخطار هو ارتفاع القدر والمكانة وهو معنى الخطر الأول وهو الإشراف على الهلكة أو ما يخاف منه الهلكة وهو معنى الخطر الثاني يقول إن ارتفاع القدر يكون باقتحام أي دخول ما يخشى منه الهلكة دخولاً شديداً وتنوّه أي ارتفاع والأقدار الأولى وواحدها قدر أي الرتبة المنزلة والأقدار الثانية والواحد قدر وهو ما قدّر الله في سابق علمه والمواتاة الموافقة يقول إن ارتفاع المكانة منوط بإرادة الله وتقديره وشرف شيء علوه وارتفاعه والآمال والواحد أمل ما يرجى من كسب أو ولد أو ما شكل يقول وإن أفضل الأعمال وأشرفها الزهد في الدنيا وإطالة الفكرة أي التفكير في الكون والكائنات ومبدعها طويلاً والتنقيح التشذيب والتخليص أي أن التفكير في الوجود يطهّر الحكمة من شوائبها ويجعلها خالصة ورأس الشيء أجوده أو أعلى ما فيه والرئاسة السيادة والتقدم على الآخرين والتهذّب التخلّص والسياسة حسن التدبير والقيام بأمور الخلق والمصانعة يقول إن رأس الرئاسة وأجود رئاسة تلك التي يكون تدبيرها خالصاً دون شائبة أو عيب.

(3) اللجاجة الإلحاح والتمادي في العناد وتلغى أي تطرح وتترك وفي رواية تلفى أي توجد وأحسبها المراد فهي أشبه بالسياق والحاجة ما يحتاج إليه والأوجال والواحد وجل أي الفزع والهلع وتتفاضل تتمايز يقول عند الخوف تتمايز الرجال فيبدو فضل الشجاع الجسور على الجبان والصابر على الجازع والهمم والواحدة همّة وهي أول العزم يقول وبتباين الهمم تتباين أي تتفاوت القيم أي المنازل والمراتب والتزيّد جعل زيادة على المفروض والسفير الرسول وتزيّد السفير تعدي ما أمر به وإضافة زيادة من عنده ويهن أي يضعف وفي رواية يهي من وهى أي سقط وتخرّق يقول إن من شأن السفير إذا زاد في الرسالة أن يوهي أو يوهن المراد من السفارة.

تَتبيّنُ الأهْوالُ! وبموجَبِ الصّبرِ، ثَمَرَةُ النّصْرِ! واستِحقاقُ الإحْمادِ، بحسَبِ الاجْتِهادِ[1]! ووجوبُ المُلاحظَةِ، كِفاءُ المُحافظَةِ! وصفاءُ الموالي، بتعهُّدِ المَوالي[2]! وتحلّي المُروءاتِ، بحِفْظِ الأماناتِ! واختِبارُ الإخْوانِ، بتخْفيفِ الأحْزانِ! ودفْعُ الأعْداءِ، بكفّ الأوِدّاءِ! وامتِحانُ العُقَلاءِ، بمُقارَنَةِ الجُهَلاءِ[3]! وتبصُّرُ العَواقِبِ، يؤمِنُ المَعاطِبَ! واتّقاءُ الشُّنْعَةِ، ينشُرُ السُّمْعَةَ! وقُبْحُ الجَفاءِ، يُنافي الوَفاءَ! وجوهَرُ الأحْرارِ، عندَ الأسْرارِ[4]!

(1) الخلل الوهن والفساد ومنفرج ما بين الشيئين وتتبيّن تظهر وتبدو والأهوال واحدتها هول المخافة من الأمر والشدائد يقول يظهر الهول بظهور الفساد والوهن وبموجب أي بحسب يقول إن النصر عاقبة الصبر وثمرته والثمرة تتفاوت جودتها بحسب قوة الصبر واستحقاق الشيء نيله عن جدارة والإحماد الحمد وأن يكون المرء محموداً والاجتهاد بلوغ الجهد وإفراغ الوسع وهو أقصى الطاقة يقول يكون حمد المرء تبعاً لاجتهاده وكدّه.

(2) الوجوب اللزوم والملاحظة المراقبة وكفاء حاله يكون بها شيء مساوياً لشيء آخر والمحافظة التحرّز يقول إن لزوم المراقبة يساوي التحرّز والصون والموالي من والى أي ناصر وصادق وتابع الشيء والتعهّد أي التفقد والموالي والواحد مولى بنو العم وقيل من والاك بعتق أو حلف أو صحبة فكل واحد مولى للآخر. يقول إذا تعاهدت من والاك بما يوجبه ولاؤه من رعايته صفت مودته لك.

(3) التحلّي التزيّن والمروءات والواحدة مروءة وهي النخوة وكمال الرجولية والأدب يقف بالمرء مع مزايا الخير وجميل العادات والأمانات واحدتها أمانة وهي عدم الخيانة والوديعة وفي سورة النساء الآية 58: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾. والأمانات كل ما فرض على العباد وهي أيضاً التعاليم الإلهية والشريعة وفي سورة الأحزاب الآية 73: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾. يقول زينة المروءة حفظ الأمانة سواء كانت وديعة بشر أم وديعة خالق واختبار أي امتحان والإخوان الصحب يقول امتحان الصاحب يكون في قدرته على إنقاص الحزن وتفريج الهم أي يظهر الصديق الصدوق في الملمات ودفع أي وصد والأوداء أي المحبون والواحد وديد يقول ويد المحب تصد العدو وتدفعه ومقارنة من قارن أي صاحب والجهل هو الخفة والطيش والنزق وعدم المعرفة والواحد جاهل يقول ويتبين عقل العاقل بصحبته الجاهل.

(4) التبصّر النظر والتفكر في الأمر والعواقب النتائج ويؤمن أي يقي ويصون والمعاطب أي المهالك يقول من نظر في أمره صان نفسه وحماها من المهالك والاتقاء الدفع والتحرّز والشنعة الفعل الشنيع وينشر أي يذيع والسمعة الذكر الحسن يقول وتجنب الفاحشات مجلبة للذكر الحسن والجفاء الإعراض عن الصاحب والغلظ في الصحبة وينافي أي يباين والوفاء من وفى بالشيء =

ثمّ قال:

هذهِ مِئَتا لفظَةٍ؛ تحتوي على أدَبٍ وعِظَةٍ! فمَنْ ساقَها هذا المَساقَ، فلا مِراءَ ولا شِقاقَ، ومنْ رامَ عكْسَ قالَبِها، وأنْ يردّها على عقِبِها؛ فلْيَقُلْ[1]:

الأسْرارُ، عندَ الأحرارِ! وجوهرُ الوَفاء، ينافي الجَفاء! وقُبْحُ السُمعةِ، ينشُرُ الشُنعَةَ! ثمّ على هذا المسحَبِ فليَسْحَبْها، ولا يرْهَبْها، حتى تكونَ خاتِمَةُ فِقَرِها، وآخِرَةُ دُرَرِها: ورَبُّ الإحسانِ، صنيعَةُ الإنسانِ[2]!

قال الراوي:

فلمّا صدَعَ برسالَتِه الفَريدةِ، وأُملوحَتِهِ المُفيدةِ، علِمْنا كيفَ يتفاضَلُ الإنْشاءُ،

= أي أتمه وحافظ عليه وأدّاه وهو أي الوفاء نقيض الغدر يقول وغلظة الصاحب وهجره القبيح ليس من الوفاء بشيء وجوهر الشيء ما وضعت عليه جبلّته وطبيعته وسجيته يقول وطبيعة الحر تظهر عند الأسرار والواحد سر أي بقدرته على كتمانها وحفظ أصحابها ممن ائتمنه عليها بعدم البوح بها. .

(1) العظة كلام الواعظ وما يتعظ به بعامة وساق الماشية حثها على السير من خلفها وساق الحديث سرده وتلاه وسلسله وهو المراد هنا والمساق النحو والأسلوب والنمط والمراء الجدل والشقاق الخلاف يقول فمن سرد هذه الألفاظ كما سردت فليس ثمة ما يقال ولا سبيل للجدل في ذلك ورام أي أراد وقالبها أي المثال وهو ما يعمل عليه الشيء كالقالب الذي تفرغ فيه الجواهر ليكون مثالاً لما يصنع منها وقالب الحجر وردّه على عقبيه أي أرجعه من حيث أتى والعقب هو مؤخر الرجل والرد على العقب هو القهقرة أي الرجوع إلى خلف والوجه يستقبل من أمام يقول فمن أراد تلاوتها من آخرها إلى أولها ثم يضرب مثلاً فآخر جملة كانت «وقبح الجفاء ينافي الوفاء وجوهر الأحرار عند الأسرار» تصبح بالقراءة من خلف إلى أمام الأسرار عند الأحرار وجوهر الوفاء الخ كما هو واضح في المتن.

(2) المسحب الطريق الذي يجر فيه الشيء وسحب جر ورهب خاف وخاتمة الشيء آخره والفقر والواحدة فقرة الجملة المختارة من الكلام ويقول الشريشي: «الفقر في غير الموزون مثل القوافي في الموزون والفقر مشتقة من فقار الظهر لأنها تنقطع على قافيتين أو ثلاث وهذا هو الفرق بين الفقر والأسجاع إذ الأسجاع ترجع كلها إلى قافية واحدة» يقول فإذا قرئت على هذه الصورة فستكون الدرة الأخيرة أي الجملة الأخيرة «وربّ الإحسان صنيعة الإنسان» والتي قرأناها في أول الرسالة على هذا النحو «الإنسان صنيعة الإحسان وربّ الجميل الخ».

وأنّ الفضلَ بيدِ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ[1]! ثمّ اعْتَلَقَ كلٌّ منّا بذَيلِه، وفلَذَ لهُ فِلذَةً من نَيْلِهِ، فأبى قَبولَ فِلْذَتي، وقال: لستُ أرْزأُ تلامِذَتي! فقلتُ له: كُنْ أبا زيدٍ على شُحوبِ سَحنتِكَ، ونُضوبِ ماء وجْنتِكَ! فقال: أنا هوَ على نُحولي وقُحولي، وقَشَفِ مُحولي[2]. فأخذْتُ في تثريبِهِ، على تشْريقِه وتغريبِه. فحوْلَقَ واسترْجَعَ، ثمّ أنشدَ منْ قلْبٍ موجَعٍ[3]:

سَلَّ الزّمانُ عليّ عضْبَهْ ... لِيَروعَني وأحَدَّ غَرْبَهْ
واستَلّ منْ جَفْني كَرا ... هُ مُراغِماً وأسالَ غَرْبَهْ[4]
وأجالَني في الأفْقِ أطْـ ... ـوي شرْقَهُ وأجوبُ غرْبَهْ

(1) صدع بالحجّة تكلم بها علانية وصدع في الأمر مضى به وصدع بالأمر أصاب به موضعه وجاهر به وأحسب أن المعنى الأول هو المراد وليس صدع أي شق ولم يفرّق أو كشف وبيّن ففي سورة الحجر الآية 94: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾. والتي أخذ بها الشريشي والفريدة أي الوحيدة التي لا نظير لها والأملوحة الملحة الصغيرة المستحسنة ويتفاضل يتمايز فيفضل الواحد على الآخر والإنشاء صناعة الكتابة وقوله وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فآية قرآنية تكررت في آل عمران 73 والحديد 29.

(2) اعتلق أي أمسك وتعلّق والذيل طرف الثوب وفلذ أي قطع والفلذة القطعة وأصلها القطعة من كبد البعير والنيل العطاء يقول فأمسك كل واحد بذيله وأعطاه شيئاً. وأبى أي امتنع ورزأ أنقص وخسّر وقوله كن فلاناً تقولها العرب وتعني أأنت فلان؟ والشحوب التغيّر في اللون والنضوب ويقال في السائل النقص والجفاف والغؤور والوجنة الخد أو ما ارتفع منه. يقول فامتنع عن أخذ شيء مني وقال لا آخذ من تلاميذي فقلت أأنت أبو زيد ولو أن لونك قد تغيّر ونحلت فنضب ماء خديك. والنحول الضعف وذهاب اللحم والقحول اليبس والقشف تغيّر الهيئة ورثاثتها وسوء الحال وضيق العيش والتغيّر من تلويح الشمس وقذارة الجلد حين لا يتعهد بالنظافة والمحول تغيّر الجسم ويبسه كالأرض حين ينقطع عنها المطر.

(3) التثريب اللوم والتشريق الذهاب إلى الشرق والتغريب إلى الغرب يقول فلمته لجولانه الدائم. فحولق أي قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله» ويقال حوقل أيضاً واسترجع أي قال: «إنّا لله وإنا إليه راجعون».

(4) سلّ السيف جرّده والعضب هو السيف القاطع ويروعني أي يرعبني وأحدّ أي أمضى وشحذ وأرهف والغرب الحد والشفرة واستل انتزع خلسة والكرى النوم وراغم مراغمة أي غاضب ونابذ وعادى وعلى رغم والراغم الذليل وأسال أي أهرق وأجرى والغرب مجرى الدمع وفيضه.

فَــبِــكُــلِّ جَــوٍّ طَــلْــعَــةٌ فــي كــلّ يــومٍ لــي وغَــرْبَــهْ[1]
وكــذا الــمُــغــرِّبُ شــخــصُــهُ مــتــغــرِّبٌ ونــواهُ غَــرْبَــهْ[2]

ثمّ ولّى يجُرّ عِطفَيْهِ، ويخطِرُ بيَدَيْهِ، ونحنُ بين متلفّتٍ إليهِ، ومتهافِتٍ عليهِ، ثمّ لمْ نلبَثْ أن حللْنا الحِبى، وتفرّقنا أياديَ سَبا[3].

---

(1) أجالني جعلني أجول والأفق من الطريق سننه ووجهه وهو ما ظهر من نواحي الفلك ماساً أطراف الأرض وهو مهب الرياح وطوى البلاد قطعها وجاب البلاد قطعها سيراً والجو ما بين الأرض والسماء والبرّ الواسع والطلعة الواحدة من الطلوع والغربة الواحدة من الغروب يقول ولي طلعة في كل بر وغربة.

(2) المغرّب المبعد والمتغرّب الملازم للغربة والنوى السفرة أو الجهة التي ينويها وغربة أي بعيدة يقول وهذا حال من يأتي بالغريب فشخصه ملازم للغربة وما ينويه بعيد.

(3) ولّى أي انصرف ويجرّ أي يسحب والعطفان جانبا الرداء كناية عن التكبّر ويخطر أي يحرّك والمتلفت أي الناظر والمتهافت أي المتساقط أسفاً على فراقه ولم نلبث أي سرعان والحبا تقدم شرحها ومعنى حل الحبى انقضاء الجلسة والقيام تفرقوا أيادي سبأ مثل عربي يراد به وصف تفرق الجمع كل إلى جهة وأصل المثل كما جاء في زهر الأكم في الأمثال والحكم لليوسي مع شيء من الاختصار:

وسبأ قيل أبو قبائل اليمن وهو لقب. وقيل سبأ اسم أمهم وتسمى البلدة سبأ باسم سكانها وكانت أخصب بلاد الله كما الله تعالى: جنتانِ عن يمينٍ وشمال. قيل: وكانت مسافة شهر في شهر للراكب المجد يسير الماشي في الجنان من أولها إلى آخرها لا يفارقه الظل، مع تدفق الماء وصفاء الهواء واتساع الفضاء. فمكثوا مدة في أمن لا يعاني ملك إلاّ قصموه. وكانت في بدء الأمر تركبها السيول فجمع ملك حمير أهل مملكته وشاورهم فاتخذوا سداً في بدء جريان الماء ورصفوه بالحجارة والحديد وجعلوا فيه مخارق للماء. فإذا جاءت السيول انقسمت على وجه يعمهم نفعه في الجنات والمزروعات.

فلما كفروا نعم الله تعالى ورأوا ملكهم لا يبيده شيء وعبدوا الشمس سلط الله على سدهم فأرة فخرقته وأرسل عليهم السيل فمزقهم الله كل ممزق وأباد خضراءهم كما قال في القرآن..

فحكي أنه لمّا انتهى الملك إلى عمرو بن عامر المعروف بمزيقياء وسمي بذلك لأنه كان يلبس حلة حتى إذا أمسى مزقها أنفة من أن تعاد عليه أو يلبسها غيره أو لأنه مزق الأزد في البلاد. وكان أخوه عمران كاهناً فأتته كاهنة وأخبرته بدنو فساد السد وفيض السيل وأنذرته فقال لها: وما آية ذلك: فقالت: إذا رأيت جرذاً يكثر بيده الحفر ويقلب برجليه الصخر فاعلم أنه قد اقترب الأمر. قال: وما الأمر؟ قالت: وعد من الله ينزل فيغيرك يا عمرو! ثم إنَّ عمراً يوماً نظر في السد فرأى جرذاً يقلب صخرة ما يقلبها خمسون رجلاً. =

. . . .

= فأجمع على الخروج منها. واحتال في بيع ماله وإنَّ لا ينكر الناس عليه. فقال لابنه: إني صانع طعاماً وداع إليه أهل مأرب، فأردد على كلامي إذا تكلمت! ففعل ورد عليه ابنه أقبح الرد، فتغاضب عمرو وصاح: واذلاه! يجبهني صبي! وحلف ألا يقيم ببلد فيه ضيم. فجعل يبيع أمواله وقومه يقولون بعضهم لبعض: اغتنموا غضبة عمرو قبل إنَّ يرضى! واشتروا منه. فلما باع واجتمعت له أمواله أخبرهم خبر السد والسيل، وأجمعوا على الجلاء، فقال لهم عمران: إني أصف لكم بلداناً، فاختاروا أيّها شئتم، من كان منكم ذا غنم بعيد، وجمل غير شرود، فليلحق بالشرود، فليلحق بالشعب من كؤود! فلحق به همدان. ثم قال: ومن كان منكم ذا سياسة وصبر، على أزمات الدهر، فليلحق ببطن مر! فلحق به خزاعة. قال: ومن منكم يريد الراسخات في الوحل، المطعمات في المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل! فنزلها الأوس والخزرج. قال: ومن كان يريد الخمر والخمير، والأمر والتأمير، فليلحق ببصرى وسدير! وهي أرض الشام. فلحق بها غسان. قال: ومن كان منكم يريد الثياب والرقاق والخيل العتاق، والذهب والأوراق، فليلحق بالعراق فلحق بها ملك بن فهم الأزدي. وتخلف مالك اليماني في قومه حتى أخرجهم السيل منها، فنزلوا نجران وانتسبوا في مذحج، ودخلت جماعة منهم على معد، فأخرجتهم معد بعد حروب، ونزلوا بجبل السراة، على تخوم الشام. فلما تفرقت قبائل سبأ هذا التفرق، وتمزقوا هذا التمزق، ضربت العرب بهم المثل فقالوا: ذهب القوم أيدي سبأ وأيادي سبأ، أي تفرقوا في كل طريق ووجهة، إما على أنَّ اليد بمعنى الجارحة، لأنهم كانوا، إذ كانوا مجتمعين، يداً واحدة. فلما تفرقوا صارت اليد أيادي كثيرة؛ أو بمعنى النعمة، أي تفرقوا تفرق نعم سبأ، أو كائنين كنعم أهل سبأ، أو بمعنى الطريق، أي تفرقوا في كل طريق أهل سبا، حيث تمزقوا، وأيدي سبأ جعل اسما مركباً كمعدي كرب وسكنت الياء تخفيفا وإنَّ انتصب.

المقامة السّنجاريّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

قفَلتُ ذاتَ مرّةٍ منَ الشامِ؛ أنحو مدينةَ السّلامِ. في ركبٍ من بني نُمَيرٍ، ورُفقَةٍ أولي خيرٍ ومَيرٍ[1]. ومعَنا أبو زيدٍ السّروجيُّ عُقلَةُ العَجْلانِ، وسَلْوَةُ الثّكْلانِ، وأعجوبَةُ الزّمانِ، والمُشارُ إليْهِ بالبَنانِ، في البَيانِ[2]! فصادَفَ نزولُنا سِنْجارَ؛ أنْ أوْلَمَ بها أحدُ التّجارِ. فدَعا إلى مأدُبَتِه الجَفلى، من أهلِ الحضارةِ والفَلا، حتى سرَتْ دعوتُهُ إلى القافِلَةِ، وجمَعَ فيها بينَ الفَريضةِ والنّافِلَةِ[3]. فلمّا أجَبْنا مُنادِيَهُ،

---

(1) قفل عاد من السفر وأنحو أي أقصد ومدينة السلام بغداد وقد تقدم ذكرها والركب والواحد راكب من ركبان الإبل والخيل ونقل الشريشي عن ابن يعقوب قوله: «لا يكون الركب إلاّ في الإبل» وكذا قال الخليل أما الحريري نفسه فلقد قال في درّة الغواص: «والراكب هو راكب البعير خاصة، وجمعه ركبان، فأما الركب والأركوب فقد جوز الخليل أن يطلق اسمهما على راكبي كل دابة إلا أن الأركوب أكثر من الركب عدة وأوفى جماعة. وبنو نمير قبيلة من العرب وأولو خير أي أهل غنى وثروة والمير الصلة والصدقة.

(2) عقلة العجلان أي حابس المستعجل فعقل أي حبس وأمسك والعقلة ما يعقل به كالقيد والسلوة ما يسلو به المرء حزنه وهمّه والثكلان الحزين لفقد ولد أو حبيب يقول ومعنا السروجي الذي لحلاوة حديثه وأنس محضره يمسك المستعجل وينسي الحزين حزنه والبنان طرف الإصبع ويشار إليه بالبنان تقال في كل مشهور من الخلق سواء كانت شهرته لخير أم لسوء والبيان تقدّم ذكره.

(3) سنجار بلدة في العراق وهي مركز قضاء سنجار محافظة نينوى وأولم أي صنع وليمة والوليمة طعام العرس أما المأدبة فطعام يدعى إليه الناس والجفلى الدعوة العامة دون تخصيص والحضارة هنا تعني أهل الحضر والفلا أهل البادية والقفار وسرت أي سارت وأصل السرى سير الليل وهي هنا بمعنى بلغت ووصلت والقافلة الرفقة الراجعة من سفرها وقيل إنها سميت كذلك تفاؤلاً لقفولها أي عودتها من سفرها على ما قال الأزهري ونقل الشريشي عنه والفريضة ما هو مفروض=

وحللْنا نادِيَهُ، أحضَرَ منْ أطعِمَةِ اليدِ واليَدَيْنِ، ما حَلا في الفَمِ وحَليَ بالعَينِ. ثمّ قدّمَ جاماً كأنّما جُمّدَ من الهَواء، أو جُمِعَ منَ الهَباء، أو صِيغَ منْ نورِ الفضاء، أو قُشِرَ منَ الدُرّةِ البيضاء[1]! وقد أودِعَ لَفائِفَ النّعيمِ، وضُمّخَ بالطّيبِ العَميمِ، وسيقَ إليْهِ شِرْبٌ منْ تسْنيمٍ، وسفَرَ عنْ مرْأى وسيمٍ، وأرَجٍ نَسيمٍ[2]! فلمّا اضطَرَمَتْ بمحْضَرِهِ الشّهَواتُ، وقرِمَتْ إلى مخْبَرِهِ اللّهَواتُ، وشارَفَ أنْ تُشَنّ على سِرْبِهِ الغاراتُ، ويُنادَى عندَ نهْبِهِ: يا للثّاراتِ! نشَزَ أبو زيدٍ كالمجْنونِ، وتباعَدَ عنهُ تباعُدَ الضّبّ منَ النّونِ[3]. فراوَدناهُ على أن يعودَ، وأنْ لا يكونَ كقُدارٍ في ثمودَا فقال: والذي يُنشِرُ

= شرعاً كالصلوات الخمس وأما النافلة فما زاد على المفروض شرعاً كصلاة الليل والتي جاء فيها في سورة الإسراء الآية 79: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾. على أن المراد بالفرض كبار القوم من تجار وأثرياء ووجوه وسادة وأقارب جرت العادة بدعوتهم إلى الولائم والمآدب وأما النافلة فعامّة الناس.

(1) المنادي الداعي وحللنا أي نزلنا وناديه أي مجلسه وأطعمة اليد ما طبخ كالثريد وما شاكله وأما أطعمة اليدين فما يؤكل بهما كالشواء والدجاج وما شاكلهما وحلا أي كان حلو الطعم وحلي أي حسن وكان حلو المنظر والجام الكوب أو الإناء من زجاج أو فضة ولكنه هنا من زجاج بدلالة ما سيلي وجمّد جعل جامداً وقوله من الهواء كناية عن شفافية الإناء موضوع الوصف والهباء أدق الغبار يظهر من ضوء الشمس الداخل من الشقوق والصدوع والكوى وصيغ أي صنع من نور وقشر أي أنتزع قشراً من الذرة البيضاء لصفائه ولمعانه وشفافيته.

(2) أودع ضُمّن وجعل فيه واللفائف ما لفّ والمراد الحلوى التي تلفّ ويطوى بعضها على بعض وضمّخ أي لطّخ وتكون في الغالية أي الدهون تلطّخ بها اللحى والرؤوس لرائحتها الزكية وتكون في المعطّرات بعامة والعميم أي التام والكثيروسيق أي حمل والشرب الحظ من الماء وتسنيم عين في الجنة كأنها سمّيت بذلك لعلو مكانها فالسنام أعلى ظهر البعير وفي سورة المطففين الآية 27: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾. وسفر أي كشف والمرأى المنظر والوسيم الحسن والأرج العبير وطيب الرائحة والنسيم الريح اللينة الهبوب.

(3) اضطرمت أي اتقدت واشتعلت والقرم في أصل معناه الشهوة الشديدة لأكل اللحم ثم سيق إلى شهوة الأكل بعامة والمخبر العلم بالشيء وتجربة ما فيه واللهوات والواحدة لهاة وهي اللحمة المشرفة على الحلق في أقصى سقف الفم يقول إن اللهوات اشتهت أن تختبره أي أن تتذوقه وشارف أي قارب وكاد وشنّ الماء صبّه متفرقاً والغارات صبّها من كل جهة والسرب القطيع من الظباء وغيرها وجماعة النساء والطير والنخل والحرم والعيال ومحصّلة القول أن السرب هنا يعني الجماعة من الشيء والغارات والواحدة غارة اسم من الإغارة وهي الخيل المغيرة وشنّ الغارة =

الأمْواتَ منَ الرِّجامِ، لا عُذتُ دونَ رفْعِ الجامِ! فلمْ نجِدْ بُدّاً منْ تألُّفِهِ، وإبْرارِ حَلِفِهِ. فأشَلْناهُ والعُقولُ معَهُ شائِلَةٌ، والدّموعُ علَيْهِ سائِلَةٌ! فلمّا فاءَ إلى مجْثِمِهِ[1]، وخلَصَ

= عليهم أي فرق الخيل وصبها عليهم من كل ناحية والنهب السلب وياللثارات والواحد ثأروهو الطلب بالدم وهو الدم المهرق بغياً والعبارة تقولها العرب عند لقائها بمن وترها بدم أو نفس أو مال ونشز أي ارتفع وامتنع في مكانه أو كان قاعداً فقام والضب حيوان تقدم ذكره والنون الحوت وفي سورة الأنبياء الآية 87 عن ذي النون أي صاحب الحوت والعبارة كلها مثل عربي قديم يضرب في استحالة الجمع بين نقيضين أو عدوين وجاء في زهر الأكم لليوسي: جمع بين الضب والنون: الضب حيوان معروف، وجمعه ضباب وأضب، وكنيته أبو حسل، والحسل ولده، كما سيأتي، والنون: الحوت، وجمعه نينان. وهذا المثل كالذي قبله في المعنى، لأن الضب حيوان بري، ولا يرد الماء ويلازم الصحراء، وأكثر ما يكون في الكدى وجاء في حيوان الجاحظ ج 6 ص 133 نقله عن الكميت قوله:

وَلَوْ أنَّهُمْ جاؤوا بشيءٍ مُقَارِبٍ ... لِشَيءٍ وبالشَّكْلِ المقارِبِ للشَّكْلِ
ولَكِنَّهُمْ جاؤوا بحِيتانِ لُجَّةٍ ... قَوامسَ والمكْنيِّ فينا أبا حِسْلِ

والقوامس والواحد قاموس معظم البحر وأبعده غوراً ومنه استعير اللفظ لكل معجم في اللغة وأما الحسل فولد الضب.

(1) راوده على الشيء أو عنه أراده عليه وراوده عن أو على نفسه بمعنى طلب منه المنكر غير أن المعنى الأول هو المراد وأما قدار فيضرب مثلاً للشؤم فيقال أشأم من قدار وأشأم من أحيمر عاد وهذه قصته كما رواها المقدسي في البدء والتاريخ مع قليل من الحذف ج 1 ص 133: .... قال ابن إسحاق فلما هلكت عاد عمرت ثمود بعدها وكثروا وانتشروا ومنازلهم بين المدينة والشام ونحتوا البيوت في الصخور ثم عتوا على الله وعبدوا غيره فبعث الله إليهم صالحاً وهو من أوسطهم نسباً وأفضلهم موضعاً فقال له عظيم ثمود جندع بن عمرو إن أخرجت لنا من هذه الصخرة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت آمنا بك واتبعناك فنظروا إلى الهضبة تمخض بالناقة ثم انتقضت فانصدعت عن ناقة كما سألوا فآمن به جندع ومن كان معه قال فمكثت الناقة ترعى ما شاء الله من الشجر وتشرب اللبن ثم ينتج لها فيحتلبون ما شاء الله من لبن وكان امرأتان من أشرف ثمود ذواتي أموال أضر بهما شرب الناقة الماء فاحتالتا في عقر الناقة فدعت عنيزة قدار بن سالف وكان لها بنات فائقات الحسن والجمال فقالت أزوجك أي بناتي شئت إن أنت عقرت الناقة فانطلق قدار فرصد وأصحابه الناقة حين صدرت إلى الماء وقد كمن لها قدار بسهم فانتظم عضلة ساقها ثم كشف قدار عرقوبها فخرت ورغت رغاءة واحدة تحذر سقيها ثم نحروها وانطلق سقبها حتى أتى جبلاً لاذ به ففزع من آمن من قوم صالح إليه وقد كان حذرهم عقر الناقة ووعدهم العذاب إن هم مسوها بسوء فقال لهم أدركوا السقب فان أنتم أدركتم السقب فلعل العذاب يؤخر عنكم فراموا كل المرام وتشامخت بهم الصخرة ودعت عليهم ثلاث =

منْ مأثِمِهِ، سألناهُ لمَ قامَ، ولأيِّ معنًى استرْفَعَ الجامَ؟ فقال: إنَّ الزّجاجَ نَمّامٌ! وإني آليتُ مُذْ أعوامٍ، أنْ لا يضُمّني ونموماً مَقامٌ. فقُلنا لهُ: وما سببُ يَمينِكَ الصِّرّى، وإليّتِكَ الحرّى[1]؟ فقال: إنهُ كانَ لي جارٌ لسانُهُ يتقرّبُ، وقلبُهُ عقرَبٌ! ولفظُهُ شهدٌ ينقَعُ، وخَبْؤهُ سمٌّ منقَعٌ! فمِلْتُ لمُجاورَتِهِ، إلى مُحاورَتِهِ، واغترَرْتُ بمُكاشَرَتِهِ، في مُعاشرَتِهِ[2]. واستهْوَتْني خُضرَةُ دِمْنَتِهِ، لمُنادَمَتِهِ، وأغرَتْني خُدْعَةُ سمَتِهِ، بمُناسمَتِهِ. فمازَجْتُهُ وعندي أنّهُ جارٌ مُكاسرٌ، فبانَ أنّهُ عُقابٌ كاسِرٌ[3]! وأنَسْتُهُ على أنهُ حِبٌّ

= دعوات فأخبر صالح بذلك فقال ابشروا بالعذاب وقالوا متى هو قال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب فأصبحوا غداة يوم المؤنس وجوههم مصفرة وأصبحوا يوم العروبة وجوههم محمرة وأصبحوا يوم شيار وجوههم مسودة ثم صبحهم العذاب غداة يوم أول وهو صيحة. وقد أتى القرآن على ذكر الأمر في سورة القمر الآيات 23-31. وينشر أي يبعث والرجام الحجارة وهي هنا القبور وتألّفه لإرضائه وضمّه وإبرار من أبرّ اليمين أي أمضاها على الصدق والقسم الحلفة أو اليمين وأشلناه أي رفعناه وشائلة أي مرتفعة وفاء رجع وعاد ومجثمه أي مبركه أو مقعده أو موضعه وخلص أي نجا والمأثم الخطيئة والإثم وخلاصه من المأثم هو أنه عاد وقد أبرّ بيمينه ولم ينكثه.

(1) النمام من نمّ أي الذي يذيع السرّ ولا يكتمه وآليت أي عزمت وحلفت ويضمني يجمعني والصرّ من أصرّ على الشيء أي ثبت عليه ولم يقلع عنه والألية هي اليمين والحلفة والقسم والحرى الشديدة الأكيدة وهي في الأصل الشديدة العطش.

(2) يتقرّب أي يتودد ولفظه أي نطقه والشهد العسل وينقع أي يروي ويطفئ العطش وخبؤه أي باطنه وما يضمر ومنقع أي أديم حبسه وأنقع سم الحية أي ثبت ودام ومال إلى الشيء أراده ورغب فيه وأحبّه يقول وبسبب الجوار أحببت محادثته واغتررت أي خدعت ومكاشرته أي تبسّمه لي والمعاشرة المصاحبة يقول وخدعني تبسمه لي.

(3) واستهوتني أي استمالتني وذهبت بعقلي وهواي والخضرة النداوة والحسن والدمنة كما جاء في الاشتقاق «مَوضع مرابِض الغنم وأبعارِها» وهي الثرى قد يغطي الدمنة، من البعر، فينبت النبات في الثرى وفي الحديث أن النبي قال: «إياكم وخضراء الدمن» قيل وما خضراء الدمن قال المرأة الحسناء في المنبت السوء لأن ما ينبت في الدمنة وإن كان ناضراً لا يكون تامراً ويقول زفر بن الحارث:

«وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا»

والمنادمة المصاحبة والمجالسة على الشراب ولكنها هنا بمعنى المصاحبة وأغرتني أي حسّنت إلي وحضّتني والخدعة الحيلة والسمت الهيئة والعلامة والمناسمة أي المصاحبة والمناسمة المسارّة =

مؤانِسٌ، فظهرَ أنهُ حُبابٌ مؤالِسٌ! ومالحْتُهُ ولا أعلَمُ أنهُ عندَ نقْدِهِ، ممّنْ يُفرَحُ بفَقْدِهِ! وعاقرْتُهُ ولم أدْرِ أنهُ بعدَ فرّهِ، ممّنْ يُطرَبُ لمَفرّهِ[1]! وكانتْ عندي جاريةٌ، لا يوجَدُ لها في الجَمالِ مُجاريَةٌ؛ إنْ سفرَتْ خجِلَ النّيِّرانِ، وصَلِيَتِ القُلوبُ بالنّيرانِ! وإنْ بسَمَتْ أزرَتْ بالجُمانِ، وبيعَ المرْجانُ، بالمجّانِ[2]! وإنْ رنَتْ هيّجَتِ البلابِلَ، وحقّقَتْ سحْرَ بابِلَ! وإنْ نطقَتْ عقَلَتْ لُبّ العاقِلِ، واستنْزَلَتِ العُصْمَ من المعاقِلِ! وإنْ قرأتْ شفَتِ المفْؤودَ، وأحيَتِ الموؤودَ، وخِلْتَها أُوتِيَتْ منْ مَزاميرِ آلِ داودَ[3]! وإنْ غنّتْ ظلّ معبَدٌ لها عبْداً، وقيلَ سُحْقاً لإسْحَقَ وبُعْداً! وإنْ زمرَتْ أضحى زُنامٌ

= والمحادثة والمقاربة والمكاسر القريب الدار والملاصق لكسر البيت أي جانبه والعقاب جنس طير من فصيلة الصقريات والكاسر أي الذي يكسر جناحيه أي يضمهما ليحطّ على الصيد.

(1) وآنس أي أبصر وفي سورة النمل الآية 7: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾. والحبّ الحبيب والموانس المؤنس وظهر أي بدا وبان والحباب الحيّة الخبيثة والمؤالس المخادع الخائن الغادر ومالحته بمعنى آكلته وعند العرب قيمة للمواكلة من المعيب خيانتها ومن خانها قيل فيه خان الخبز والملح وأصل الممالحة الرضاع وكأنه رضع معه الكأس والنقد الاختبار والامتحان والفقد الموت وعاقرته أي نادمته وشربت معه العقار أي الخمر وقيل عاقدته أي عاهدته وعقدت يدي على يده وأحسب أنها أشبه بالسياق من عاقرته وفرّه أي اختباره وفرّ عن الأمر بحث عنه ليعرف حقيقته وفرّ الدابة كشف عن أسنانها ليعرف سنها ويطرب أي يفرح ويسر ولمفرّه أي لهربه.

(2) الجمال الحسن وفي رواية الكمال ومجارية أي مبارية وسفرت كشفت عن وجهها وخجل استحى والنّيّران الشمس والقمر وأزرى به أو عليه عابه وأنقص منه عليه والجمان والواحدة جمانة وهي اللؤلؤة وقيل الحبة تصاغ من الفضة والمرجان خرز أحمر يستخرج من البحر ويصاغ وليس هو اللؤلؤ الصغار كما رأى الشريشي بدليل الآية 22 من سورة الرحمن: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾. وبالمجّان أي بلا عوض أو ثمن يقول فإذا ابتسمت بان نقص اللؤلؤ لبياض أسنانها وبيع المرجان بلا ثمن لحمرة فمها.

(3) رنت أي نظرت وهيّجت إثارة والبلابل والواحد بلبال وهو الهم الشديد والوسوسة وبرحاء الصدر وبابل مدينة في العراق ينسب إليها السحر وعقلت أي ربطت وأمسكت واللب العقل والعصم والواحد الأعصم وهو الوعل أو التيس الجبلي والمعاقل الحصون والجبال المرتفعة وقد فسّر واحد العصم بالمعتصمين بالحصون ينزلون لسحرها وأرى التفسير وجيهاً وشفت أبرأت والمفؤود الذي يشتكي فؤاده والمؤود من دفن حيّاً وخلتها أي حسبتها أوتيت أي أعطيت ومزامير والواحد مزمار ولكنه هنا يعني الصوت كناية عن حسن صوتها وداود هو داود النبي وقد اشتهر بمزاميره التي كان يغنيها إنابة وتعبّداً واستغفاراً واشتهر في الإسلام بحسن الصوت والترجيع.

عندَها زَنيماً، بعدَ أن كان لجيلِهِ زعيماً، وبالإطْرابِ زعيماً[1]! وإنْ رقصَتْ أمالَتِ العَمائِمَ عنِ الرؤوسِ، وأنستْكَ رقْصَ الحبَبِ في الكؤوسِ! فكُنتُ أزدَري معَه حُمْرَ النَّعَمِ، وأُحَلّي بتمَلّيها جيدَ النِّعَمِ[2]! وأحْجُبُ مرْآها عنِ الشّمسِ والقمَرِ، وأذودُ ذِكْراها عنْ شرائِعِ السّمَرِ! وأنا معَ ذلِكَ أليحُ، منْ أن تسْري بريّاها ريحٌ، أو يَكْهُنَ بها

(1) معبد هو أبو عباد المدني معبد بن وهب المغني (..- 126هـ = ..- 743 م) نابغة الغناء العربي في العصر الأموي. ونشأ في المدينة يرعى الغنم لمواليه، وربما اشتغل في التجارة. ولما ظهر نبوغه في الغناء أقبل عليه كبراء المدينة. ثم رحل إلى الشام فاتصل بأمرائها وارتفع شأنه. وكان أديبا فصيحاً. وعاش طويلاً إلى أن انقطع صوته. ومات في عسكر الوليد ابن يزيد. عن الأعلام للزركلي وسحقاً أي بعداً وأما إسحاق فهو على ماجاء في تاريخ بغداد: إسحاق بن إبراهيم بن ميمون أبو محمد التميمي المعروف والده بالموصلي يقال إنه ولد في سنة خمسين ومائة وقيل ولد بعد ذلك وكتب الحديث عن سفيان بن عيينة وهشيم بن بشر وأبي معاوية الضرير وطبقتهم وأخذ الأدب عن أبي سعيد الأصمعي وأبي عبيدة ونحوهما وبرع في علم الغناء وغلب عليه فنسب إليه وكان حسن المعرفة حلو النادرة مليح المحاضرة جيد الشعر مذكوراً بالسخاء معظماً عند الخلفاء وهو صاحب كتاب الأغاني الذي يرويه عنه ابنه حماد. وزمرت أي نفخت في المزمار وأضحى أي صار وأما زنام فهو المشهور بزنام الزامر المتوفى نحو 235 هـ = ... - نحو 850 م وهو أول من اشتهر في العرب باستعمال (الناي) وذهب بعضهم إلى أنه أول من أحدثه. وكانت العامة في المغرب أيام الشريشي (في أوائل القرن الثالث عشر للميلاد) تسمي الناي (الزلامي) تحريفاً عن (الزنامي) نسبة إلى زنام. وكان من مطربي الخلفاء الرشيد والمعتصم والواثق، العباسيين، وله معهم أخبار. وعده الثعالبي من صدور مطربي المتوكل أيضاً. وكان يضرب بزمره المثل. وذكره البحتري في شعره. عن الأعلام للزركلي وفي الجملة فأخبار المغنين الثلاثة هؤلاء مبسوطة في كتاب الأغاني بخاصة والزنيم الدعي الملصق بالقوم وفي سورة القلم الآية 13: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ وجيله أهل زمانه وعصره والزعيم الرئيس والمقدم والزعيم الثانية الكافل والضامن وفي سورة يوسف الآية 72: ﴿قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾.

(2) الحبب الفقاقيع تعلو الخمرة في الكأس وأزدري أي أحتقر والنعم الإبل والحمر أكرمها وفي العربية يقولون أحبّ لو أن لي كذا حمر النعم أو ما أحب فعل كذا ولو كانت لي حمر النعم وفي الحديث: صَفَرَة فِي سَبِيلِ الله خَيْر مِنْ حُمُر النَّعَم والصفرة الجوعة. وأحلّي أي أزيّن وملّى الله عمره تملية أطاله ومتّعه به وملّى الله حبيبَه أي متعه به وأعاشه معه طويلاً ومُلّي عمره استمتع به وعليه يكون قوله تملّيها بمعنى بطول عمرها ومدّتها والجيد العنق والنعم والواحدة نعمة ما أنعم الله به على المرء يقول وكنت أزيّن بها عنق النعم وكأنها عقد من جواهر نفيسة.

سَطيحٌ، أو ينمّ علَيْها برْقٌ مُليحٌ(1)! فاتّفقَ لوشْلِ الحظّ المبْخوسِ، ونكْدِ الطّالِعِ المنْحوسِ؛ أنْ أنْطَقَتْني بوصْفِها حُمَيّا المُدامِ، عندَ الجارِ النّمّامِ. ثمّ ثابَ الفهْمُ، بعدَ أن صرِدَ السّهْمُ(2). فأحسَسْتُ الخبالَ والوَبالَ، وضَيعَةَ ما أُودِعَ ذلِكَ الغِرْبالُ(3). بيدَ أني عاهدْتُهُ على عكْمِ ما لفظْتُهُ، وأنْ يحفَظَ السّرَّ ولوْ أحفَظْتُهُ. فزعَمَ أنهُ يخزُنُ الأسرارَ، كما يخزُنُ اللّئيمُ الدّينارَ! وأنهُ لا يهتِكُ الأسْتارَ، ولو عُرِّضَ لأنْ يلِجَ النارَ(4). فما إنْ غبَرَ على ذلِكَ الزّمانِ، إلا يومٌ أو يومانِ؛ حتى بَدا إلى أميرِ تِلْكَ المَدَرَةِ، وواليها ذي المَقدُرةِ، أنْ يقصِدَ بابَ قَيلِهِ، مجدِّداً عرْضَ خيلِهِ، ومُستَمطِراً

(1) احجب أي استر ومرآها أي رؤيتها وأذود أي أصدّ وادفع وأذبّ وذكراها أي ذكرها والشرائع الطرق والسمر حديث الليل أي انه كان يكتم ذكرها فلا يرد في أحاديث السمر المتشعبة وكأنها الطرق وأليح أي أشفق وأحاذر والريّا الرائحة الطيبة ويكهن أي يتنبأ ويخبر وسطيح كاهن جاهلي ورد ذكره في كتب السيرة فلقد تنبأ بالمبعث النبوي هو وكاهن آخر اسمه شق واسمه سطيح لأنه كان لا يستطيع القعود أو القيام ونمّ أخبر وأذاع السر والمليح الكثير الظهور وألح السحاب بالمطر دام مطره وبالمكان أقام به وبالجملة فالإلحاح الإلحاف والمواظبة والثبات على الشيء.

(2) اتفق أي صادف أي وقع عرضاً دون تدبير مسبق والوشك السرعة وفي رواية الوشل وهو الحظ القليل من الماء وأرى الثانية بالسياق أشبه فهي تعني هنا قلة الحظ ونقصانه والمبخوس المنقوص والنكد الشؤم والعسر والطالع نجم الإنسان والمنحوس المشؤوم والحميا سورة الخمرة وحدتها وهي الخمر نفيها ولكن الأولى هي المراد والمدام من أسماء الخمرة والنمّام الذي يذيع الأسرار ويهتكها ويبوح بها وثاب أي عاد ورجع والفهم العقل والوعي وصرد السهم خرج وانطلق من قوسه وأراد بالسهم ما قاله عن جاريته وسمعه الجار.

(3) أحسست أي شعرت والخبال الفساد والعياء والنقصان واضطراب يشبه الجنون وهو الهلاك وفي سورة آل عمران الآية 118: ﴿يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾. أي لايدّخرون وسعاً في فسادك وإفسادك وكذلك ورد اللفظ في سورة التوبة الآية 47. والوبال الضرر والمكروه وسوء العاقبة وضيعة الشيء خسارته عند وضعه في غير موضعه وأودع أي أؤتمن والغربال آلة ذات ثقوب نشأت من تقاطع أوتار مشدودة ويستعمل لتصفية حبوب البر ويكنّى به عن النمّام الذي لا يكتم سرّاً وقد هجا الحطيئة أمه فوصفها أنها غربال إذا استودعت سراً.

(4) بيد أداة استدراك بمعنى لكن وتدخل على جملة أولها أنّ وهي هنا بمعنى غير أني وعاهد جعل بينه وبين الآخر عهداً أي ميثاقاً بحلفة أو ما شاكل وعكم أي ربط وشد وهي هنا بمعنى حفظ وصان ولفظته تكلّمت به وأحفظ أي أغضب وأسخط وزعم ادّعى وخزن الشيء أحرزه وادّخره والسرّ كتمه وهتك الستر كشفه وعرّض الشيء للشيء جعله عرضاً له ويلج من ولج أي يدخل.

عارِضَ نيلِهِ. وارْتادَ أنْ تصحَبَهُ تُحْفَةٌ تُلائِمُ هواهُ، ليُقدِّمَها بينَ يدَيْ نجْواهُ[1]. وجعلَ يبذُلُ الجعائلَ لروّادِهِ، ويُسنّي المراغِبَ لمَنْ يُظْفِرُهُ بمُرادِهِ. فأسَفَّ ذلِكَ الجارُ الختّارُ إلى بُذولِهِ، وعصى في ادّراعِ العارِ عذْلِ عَذولِهِ؛ فأتى الوالي ناشِراً أذُنَيْهِ، وأبثّهُ ما كُنتُ أسرَرْتُهُ إليْهِ[2]. فما راعَني إلا انسِيابُ صاغِيَتِه إليّ، وانثِيالُ حفَدَتِهِ عليّ؛ يَسومُني إيثارَهُ بالدُرّةِ اليَتيمةِ، على أنْ أتحكّمَ عليْهِ في القِيمةِ[3]. فغَشِيَني منَ الهمّ، ما غشِيَ فِرعَونَ وجنودَهُ منَ اليَمّ. ولمْ أزلْ أدافِعُ عنها ولا يُغْني الدّفاعُ، وأستَشفِعُ إليْهِ ولا يُجْدي الاستِشْفاعُ[4]، وكلّما رأى منّي ازدِيادَ الاعْتِياصِ، وارتِيادَ المَناصِ، تجرّمَ وتضرّمَ، وحرّقَ عليّ الأُرَّمَ[5]. ونفْسي معَ ذلِكَ لا تسمَحُ بمُفارَقَةِ بدْري، ولا

---

(1) غبر أي مضى وبدا خطر له في الشيء رأي والمدرة البلدة ومدرة الرجل بيته وهذا سيّد مدرته أي سيد قريته والقيل الرئيس والواحد من ملوك حمير وعرض الخيل يعني عرض الجند واستمطر أي طلب المطر والعارض السحاب المعترض في الأرض وفي سورة الأحقاف الآية 24: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾. والنيل العطاء وارتاد أي وطلب وتصحبه ترافقه والتحفة الهدية النفيسة والطرفة القيّمة وتلائم أي توافق وتناسب وهواه ميله وإرادته ونجواه أي حديثه.

(2) يبذل يعطي والجعائل واحدها الجعالة وهي أجرة المستعجل وحقه وكذلك الجعل وروّاده زواره وطلاّبه ويسنّي أي يعظم العطاء والمراغب وقيل الرغائب وهي ما يرغب فيه من الأموال والعطايا وأسفّ أي انحطّ ودنا وتكون في الطائر إذا تدلّى نحو الأرض ليلتقط شيئاً والختّار من ختر وهو المخادع الغدار والبذول والواحد بذل وهو العطاء والادراع اتخاذ الدرع ولبسه واستعار ذلك للبس العار والعذل اللوم والعذول اللائم يقول فانحط ذلك الغدار لنيل العطايا وتقمّص الفضيحة قميصاً ودرعاً غير مبال بلوم لائم وعبارة ناشراً أذنيه تقال في حال الطمع وأبثّه أي باح له وأطلعه وأسررته إليه أي أخبرته به على أنه سر لا يذاع.

(3) راع أي أفزع وما راعني تقال للتعبير عن المفاجأة والبغتة والانسياب المشي السريع وتدافع الحية في زحفها والصاغية الحاشية ومن يميل إليه والانثيال الانصباب والتتابع والانهيال والحفدة الخدم والأتباع من حفد أي خدم وأعان ويسوم السلعة يطلب شراءها بثمن يذكره وإيثاره أي تفضيله على النفس والدرة اليتيمة الجوهرة التي لانظير لها ولا تقدّر بمال وأتحكّم أي يكون الحكم لي.

(4) غشيني غمرني وانتابني واليم البحر والعبارة إشارة إلى فرار موسى بأهله ولحاق فرعون وجنوده بهم وغرقهم في البحر والخبر مبسوط في القرآن في مواضع متفرقة من السور كطه والقصص ويونس والشعراء الخ ولا يغني أي لايجدي ولا يفيد والاستشفاع الاستعانة وطلب الشفاعة.

(5) الاعتياص التصعّب والامتناع والارتياد طلب المكان مراراً والمناص المهرب والملجأ والمفر =

بأنْ أنزِعَ قلْبي منْ صدري. حتى آلَ الوَعيدُ إيقاعاً، والتّقريعُ قِراعاً. فقادَني الإشْفاقُ منَ الحَينِ، إلى أن قِضْتُهُ سوادَ العَينِ، بصُفرةِ العَينِ[1]. ولم يحْظَ الواشي بغيرِ الإثْمِ والشَّينِ. فعاهدتُ اللهَ تَعالى مُذْ ذلِك العهْدِ، أنْ لا أُحاضِرَ نمّاماً منْ بعْدُ! والزّجاجُ مخصوصٌ بهذِه الطّباعِ الذّميمةِ، وبهِ يُضرَبُ المثَلُ في النّميمةِ. فقدْ جرى عليْهِ سيْلُ يميني، ولذلِكُمُ السّببِ لمْ تمْتَدّ إلَيْهِ يَميني[2]:

فلا تعذِلوني بعدَما قد شرحتُهُ ... على أنْ حُرِمْتمْ بي اقتِطافَ القطائِفِ
فقد بانَ عُذري في صَنيعي وإنّني ... سأرْتُقُ فَتقي من تَليدي وطارِفي
على أنّ ما زوّدْتُكُمْ من فُكاهَةٍ ... ألذُّ من الحُلْوى لدَى كل عارِفِ[3]

= وتجرّمه ادّعى عليه الجرم وان لم يجرم وتضرّم التهب واشتدّ غضبه وحرّق الأرم إذا عض على أسنانه حتى سمع صريفها من شدّة الغيظ والأرم الأضراس وقيل الأسنان.

(1) البدر القمر إذا اكتمل وهو هنا كناية عن الجارية وكذلك القلب في الصدر وآل صار وتحول والوعيد التهديد والإيقاع من أوقع به أي أوصله إلى مكروه والتقريع التأنيب والتوبيخ والتعنيف والقراع القتال والضرب وقادني أي حملني على الشيء أو جرّني إليه والإشفاق الخوف والحين المنية والهلاك وقضته بمعنى قايضته أي بادلته وسواد العين أكرم شيء فيها وتقال في الأحبة من أولاد أو من إليهم وسواد العين كناية عن الجارية وصفرة العين أي الذهب الأصفر.

(2) يحظى من الحظوة وهي النصيب أي لم ينل ولم يكسب أو يفز والإثم الخطيئة والشين الفضيحة والعار ومذ ومنذ ومن أدوات جر تفيد الابتداء ولكن مذ ومنذ تفيد الابتداء والاستمرار والعهد الزمان والميثاق وأحسب أن الأول هو المراد وحاضره أي جالسه وكان بحضرته والنمام الواشي الذي لا يكتم السرّ والذميمة من ذم إذا عاب أو انتقص أو أزرى. والقول أنم من الزجاج بما وعاه أو حواه مثل عربي هو عجز بيت لابن المعتز وقد جاء على لسان الحسين بن بشر قوله:

لحى الله امرءاً أوعاك سراً ... لتكتمه وفض الله فاه
فإنك بالذي استوعبت منه ... أنم من الزجاج بما حواه

ويميني الأولى قسمي واليمين الثانية أي اليد اليمنى

(3) عذل أي لام وشرح أي بيّن وأوضح والاقتطاف الجنى وتناول الثمر عن الشجرة والقطائف ما يقطف ولكنها هنا الحلوى المشهورة وهي عبارة عن رقاق تطوى على لوز وجوز وسكر وما زهر وتغمس في القطر وغالباً ما تكون في رمضان وبان ظهر وبرز وعذري أي ما أعتذر به وأبرر صنيعي أي فعلتي ورتق أي أصلح وسدّ الفتق الخرق ويكون في الثوب إذا انخرق أو تمزق والتليد القديم من المال والطريف أي ما جمع واكتسب بآخرة يقول كفوا عن لومي إذا حرمتم أكل =

قال الحارثُ بنُ همّام:

فقبِلْنا اعتِذارَهُ، وقبّلنا عِذارَهُ. وقُلْنا لهُ: قِدْماً وقذَتِ النّميمةُ خيرَ البشَرِ، حتى انتشَرَ عنْ حمّالةِ الحطبِ ما انتشَرَ[1]! ثمّ سألْناهُ عما أحدَثَ جارُهُ القتّاتُ، ودُخْلُلُهُ المُفْتاتُ، بعدَ أن راشَ لهُ نبلَ السّعايَةِ، وجذَمَ حبْلَ الرّعايةِ[2]؟ فقال: أخذَ في الاستِخْذاء والاستِكانَةِ، والاستِشْفاعِ إليّ بذَوي المكانةِ. وكنتُ حرّجتُ على نفسي، أنْ لا يستَرْجِعَهُ أُنسي، أو يرْجِع إليّ أمْسي[3]. فلمْ يكُنْ لهُ مني سِوى الردّ، والإضرارِ على الصّدّ، وهوَ لا يكتَئِبُ منَ النّجْهِ، ولا يتّئِبُ منْ وقاحةِ الوجهِ[4]. بلْ يُلِظّ بالوَسائِلِ، ويُلحّ في المسائِلِ. فما أنقذَني منْ إبْرامِهِ، ولا أبْعَدَ عليْهِ نَيْلَ مَرامِهِ، إلا أبياتٌ نفثَ بها الصّدرُ الموتورُ، والخاطرُ المبْتورُ؛ فإنّها كانتْ مَذْخَرَةً لشيطانِهِ، ومسجَنَةً لهُ في أوطانِهِ[5]! وعندَ انتِشارِها بتّ طَلاقَ الحُبورِ، ودَعا بالويْلِ والثّبورِ،

= القطائف بسببي فقد ظهر عذري باظهار السبب ثم إنني قد عوضتكم بحديث فكه هو ألذ عند من يعقل من كل لذيذ.

(1) العذار شعر الخد وقبّل أي لثم وقدماً أي قديماً ووقذت أي آلمت وأمضّت وخير البشر النبي محمد بن عبد الله وحمالة الحطب هي أم جميل زوجة عمه أبي لهب والتي نزلت فيها سورة المسد ونبزها الكتاب بلقب حمالة الحطب فهي كانت تغتاب النبي وتنال منه فكأنها تحمل الحطب لتذكي النار وتهيجها وقيل إنها كانت تطرح الشوك في طريقه وانتشر ذاع وتفرّق.

(2) أحدث أي فعل والقتات الماشي بالنميمة الكذب ودخلل المرء خاصته العالم بأمره والمفتات من افتأت أي تجنّى واستبدّ برأيه وراش النبل أي السهم إذا جعل له ريشاً أو أصلح ريشه كناية عن السعي في الأذى والسعاية المشي بالنميمة وجذم أي قطع وبتر والرعاية حفظ الصداقة وحبلها كناية عن امتدادها واستمرارها.

(3) أخذ بالشيء بدأ وشرع به والاستخذاء الخضوع والاستكانة التذلل وذوو المكانة أي أصحاب الجاه والرتبة وحرّج أي ضيق بيمين أكيدة ويسترجعه أي يستعيده والأنس البهجة والارتياح والطمأنينة ولطف المعاشرة والأخيرة المراد ويرجع أي يعيد والأمس اليوم الذي كان وتطلق على الماضي بعامة.

(4) الإصرار العزيمة واللزوم والصد الهجر والجفاء والإعراض ويكتئب أي يحزن أو يهتم والنجّه الجفاء والردع ويتّئب من اتأب أي رجع بخزي عن حاجته ووقاحة الوجه تعني الصلابة وقلة الحياء والصفاقة.

(5) ألظ بالشيء أي لزمه ويلظ يكثر اللزوم بالشيء والإلحاح الإكثار وأنقذني خلصني والإبرام الإملال=

ويَئِسَ منْ نشْرِ وصُلي المقْبورِ، كما يئِسَ الكُفّارُ منْ أصحابِ القُبورِ[1]! فناشَدْناهُ أنْ يُنشِدَنا إيّاها، ويُنشِقنا ريّاها، فقال: أجَلْ! خُلِقَ الإنسانُ منْ عجَلٍ! ثمّ أنشدَ لا يَزْويهِ خجَلٌ، ولا يثْنيهِ وجَلٌ[2]:

ونَديمٍ محَضْتُهُ صِدْقَ ودّي	إذْ توهّمْتُهُ صَديقاً حَميما
ثمّ أولَيتُهُ قَطيعةَ قالٍ	حينَ ألفَيتُهُ صَديداً حَميما[3]
خِلتُهُ قبلَ أنْ يُجرَّبَ إلْفاً	ذا ذِمامٍ فبانَ جِلْفاً ذَميما
وتخيّرْتُهُ كليماً فأمْسى	منهُ قلْبي بما جَناهُ كَليما[4]
وتظنّيْتُهُ مُعيناً رَحيماً	فتبيّنتُهُ لَعيناً رَجيما
وتراءَيْتُهُ مُريداً فجلّى	عنهُ سَبْكي لهُ مَريداً لَئيما[5]

= والإضجار والثقل والمرام الغاية والموتور من قتل له قتيل فلم يدرك ثأره والمبتور المقطوع ودحر أي صدّ وأبعد والمسجنة السجن يقول فما خلصني من ثقله وقلة حيائه غير أبيات طلعت من صدر حزين كئيب لم يدرك ثأره وخاطر مكسور بما جرى فكأن تلك الأبيات قد صدت شيطانه وسجنته في بلده.

(1) بت أي قطع وجزم وبت الطلاق أي إمضاؤه فلا رجعة فيه والحبور البشر والفرح والثبور أي الهلاك والعبارة تقال عندما يحيق الخطر العظيم ويدهم والنشر البعث والمقبور أي المدفون وعبارة: ﴿كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ فمن سورة الممتحنة الآية 13.

(2) نشق أي شم والريّا الرائحة الذكية العاطرة وأجل حرف جواب بمعنى نعم وأما عبارة: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ﴾ فمن الآية37 في سورة الأنبياء ويزويه أي يقبضه والخجل الحياء ويثنيه أي يصده أو يرجعه عما هو فيه ويردّه والوجل الخوف.

(3) النديم الجليس على الشراب ومحضته أي أعطيته محضاً أي خالصاً نقياً والودّ الحب وصدق الود أي صادقه وتوهّمته أي تخيّلته وحسبته والحميم الصديق المقرّب والخاص من الإخوان والأصحاب وأوليته الشيء أي صنعته إليه والقطيعة الهجر والقالي المبغض وألفيته أي وجدته والصديد ما يسيل من الجرح ويختلط بالقيح والحميم الساخن والحار.

(4) خلته أي حسبته والألف الصاحب وذو ذمام أي له ذمّة وعهد وبان ظهر والجلف الجافي السيّئ الخلق والذميم المذموم وتخيرته أي اخترته والكليم من يكلّمه وموسى يسمّى كليم الله وجناه من الجناية أي ارتكبه واقترفه كليماً أي مجروحاً.

(5) وتظنّيته أي حسبته والأصل تظننته ثم أبدلت النون ياء والتظنن إعمال الظن والمعين المساعد وتبينته أي بان لي واللعين الملعون الطريد والرجيم المرجوم واللعين والرجيم كلاهما من صفات=

وتــوسّــمْــتُ أنْ يــهُــبّ نَــسـيــمــاً فــأبــى أن يــهُــبّ إلا سَــمــومــا

بِــتُّ مــن لــسْــعِــهِ الــذي أعــجــزَ الــرّا قــي سَــليــمــاً وبــاتَ مــنــي سَــلــيــمــا[1]

وبَــدا نــهــجُــهُ غَــداةَ افــتــرَقْــنــا مُــستَــقيــمــاً والــجسْمُ مــنــي سَــقيــمــا

لــم يــكــنْ رائِــعــاً خَــصــيــبــاً ولــكِــنْ كــان بــالــشرّ رائِــعــاً لــي خَــصــيــمــا[2]

قــلــتُ لــمّــا بــلَــوْتُــهُ لــيــتَــهُ كــا نَ عــديــمــاً ولــمْ يــكُــنْ لــي نَــديــمــا

بــغّــضَ الــصّــبْــحَ حــيــنَ نــمّ إلــى قــلْــبــي لأنّ الــصّــبــاحَ يُــلْــفــى نَــمــومــا[3]

ودَعــانــي إلــى هــوَى الــلــيــلِ إذْ كــا نَ ســوادُ الــدُجــى رَقــيــبــاً كَــتــومــا

وكــفــى مَــنْ يَــشــي ولــوْ فــاهَ بــالــصّــدْ قِ أثــامــاً فــيــمــا أتــاهُ ولــومــا[4]

قال:

فلمّا سمِعَ ربُّ البيتِ قَريضَهُ وسجْعَهُ، واستمْلَحَ تقريظَهُ وسبْعَهُ. بوّأهُ مِهادَ

= الشيطان وتراءيته من تراءى لي الشيء أي ظهر بعض الظهور والمريد المحب وجلّى أي كشف وسبكي أي تجريبي واختباري والمريد الثانية الكثير الشروالخبيث وهي من صفات الشيطان واللئيم الوضيع الخسيس.

(1) توسّم أي ظن ورجى حين رأى السمت أي العلامة والنسيم الريح اللينة الهبوب والسموم الريح الحارة وبتّ أي قضيت ليلي واللسع اللدغ والقرص ويكون من العقارب أو الأفاعي وأعجز أي عجز عنه وقصّر والراقي من يداوي الملسوع بالرقى وهو هنا بمعنى الطبيب والسليم من لدغته أفعى والسليم الثانية الصحيح المعافى.

(2) النهج أي الطريق والغداة وقت ما بين الفجر وطلوع الشمس وهيا هنا بمعنى حين والمستقيم المستوي والسقيم المريض العليل والرائع الحسن المنظر والخصيب ذو الخصب والنعمة والرائع الثانية المخيف المفزع والخصيم المخاصم والعدو يقول وبدت لي أموره جيدة حين افترقنا في حين كنت أنا مريضاً لما أفرط منه فهو ما كان مثمراً ولا حسن الهيئة بل كان خصماً مخيفاً.

(3) بلوته أي خبرته وجرّبته والعديم المعدوم من العدم وبغّض أي جعل بغيضاً والصبح الصباح ونميمة الصباح أن نوره يبرز كل شيء ويظهر ما ستره الليل.

(4) الرقيب من يراقب ويحافظ والكتوم الذي لايبوح. يقول لقد جعلني بنميمته أكره كل نمام حتى الصبح لأنه ينوره كمن ينم عن أسرار الليل وجعلني أعشق الليل لأنه كتوم عتمته تستر وكفى أي حسب ومن يشي أي من ينمّ وفاه نطق والآثام والواحد إثم الخطايا وما أتاه أي ما اقترفه وارتكبه واللؤم الضعة والدناءة والخسة يقول وحسب النمام إلى جانب أنه ارتكب إثماً فيما فعل فإنه يكتسب خسة ووضاعة بفعله.

كرامَتِهِ، وصدّرَهُ على تكرِمتِهِ. ثم استحْضَرَ عشْرَ صِحافٍ منَ الغرَبِ، فيها حَلْواءُ القَنْدِ والضَرْبِ[1]! وقال لهُ: لا يستَوي أصحابُ النّارِ وأصحابُ الجَنّةِ! ولا يسَعُ أنْ يُجعَلَ البَريءُ كذي الظِّنّةِ! وهذهِ الآنِيةُ تتنزّلُ منزلَةَ الأبْرارِ، في صوْنِ الأسْرارِ، فلا تولِها الإبْعادَ، ولا تُلحِقْ هوداً بعادَ[2]! ثم أمر خادمَهُ بنقْلِها إلى مثْواهُ، ليحْكُمَ فيها بما يهْواهُ[3]. فأقبلَ عليْنا أبو زيدٍ وقال: اقرأوا سورةَ الفتْحِ، وأبشِروا باندِمالِ القرْحِ! فقدْ جبرَ اللهُ ثُكْلَكُمْ، وسنّى أكْلكُمْ، وجمعَ في ظِلّ الحَلْواء شمْلَكُمْ[4]! وعسَى أنْ تكرَهوا شيئاً وهوَ خيرٌ لكُمْ[5]! ولمّا همّ بالانصِرافِ، مالَ إلى استِهداء

(1) القريض الشعر والسجع النثر المقفّى وفي المقدمة بيان واف واستملح استلطف ورأى مليحاً والتقريظ الثناء والمدح والسبع الذم وبوّأه أي أنزله. يقول كثير عزّة:

لكالمُرتجي ظلَّ الغمامةِ كُلّما ... تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلّتِ

والمهاد الفراش وصدّره أي أجلسه في الصدر والتكرمة الوسادة وما يجلس الضيف عليه واستحضر الشيء أي طلب وسعى في إحضاره والصحاف والواحدة صحفة وهي القصعة الكبيرة العريضة للطعام والغرب الذهب أو الفضة وفي الصحاح أنه ضرب من الشجر اسمه بالفارسية اسفيدار وفي لسان العرب اسبيدار وأحسب أن المراد الفضة ففي الاشتقاق إن الغرب للفضة والنضار للذهب وذلك لحرص السروجي على نيلها وأخذها والقند عسل قصب السكر إذا جمّد واللفظ فارسي معرب وهو كند والضرب العسل الأبيض.

(2) العبارة قرآنية وردت في سورة الحشر الآية 20: ﴿لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾. ولا يسع أي لا يمكن ولا يجوز وذو الظنّة المتهم بتهمة والبريء هنا هي آنية الفضة أما المتهم فأقداح الزجاج النمّام والآنية واحدها إناء وهو وعاء والصون الحفظ ولا تولها أي لا تجعل حظها منك الإبعاد وتلحق أي تتبع وأما عاد فشعب من شعوب العرب البائدة سكنوا أعالي الحجاز بالقرب من ديار ثمود وقد اضطهدوا هوداً النبي فأهلكهم الله كما جاء في سورة هود وسورة الشعراء وسور أخرى.

(3) مثواه أي منزله ويحكم فيها أي يرى رأيه ويقرر بما يهواه أي كما يشاء ويرغب.

(4) يقول اقرأوا سورة الفتح لأن الله قد فتح عليكم والاندمال الالتئام والشفاء والقرح الجرح والثكل الفقد والخسارة وهو هنا حرمانهم الأكل من الجامات الزجاجية وسنّى يسّر وسهّل والأكل ما يؤكل والحلواء كل طعام حلو وشملكم ما تفرّق من أمركم.

(5) ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ العبارة آية قرآنية رقمها 216 من سورة البقرة.

الصِّحافِ؛ فقال للآدِبِ: إنّ من دلائِلِ الظّرْفِ، سماحَةَ المُهدي بالظّرْفِ! فقال: كلاهُما لكَ والغُلامُ، فاحذِفِ الكلامَ، وانهضْ بسَلامِ[1]! فوثَبَ في الجوابِ، وشكرَهُ شُكرَ الرّوضِ للسّحابِ، ثمّ اقْتادَنا أبو زيْدٍ إلى حِوائِهِ، وحكّمَنا في حَلْوائهِ[2]، وجعلَ يقلّبُ الأواني بيَدِهِ، ويفُضّ عدَدَها على عدَدِه[3]، ثمّ قال: لستُ أدري أأشكو ذلِك النّمّامَ أم أشكُرُ، وأتناسَى فَعْلَتَهُ التي فعلَها أم أذكُرُ؟ فإنهُ وإنْ كان أسْلَفَ الجريمَةَ، ونمْنَمَ النّميمَةَ، فمِنْ غيمِهِ انهلّتْ هذِهِ الدّيمَةُ، وبسيفِهِ انحازَتْ هذه الغَنيمةُ! وقد خطرَ ببالي، أن أرْجِعَ إلى أشْبالي، وأقنَعَ بما تسنّى لي، وأنْ لا أُتعِبَ نفْسي ولا أجْمالي[4]. وأنا أودّعُكُمْ وداعَ مُحافِظٍ، وأستودِعُكُمْ خيرَ حافِظٍ! ثمّ اسْتَوى على راحِلَتِهِ، راجِعاً في حافرَتِه، ولاوِياً إلى زافِرَتِهِ؛ فغادَرَنا بعدَ أنْ وخدَتْ عنْسُهُ، وزايَلَنا أُنْسُهُ. كدَسْتٍ غابَ صدرُهُ، أو ليلٍ أفَلَ بدْرُهُ[5].

---

(1) همّ بالشيء أراده وعزم عليه والاستهداء طلب الهدية والصحاف الآنية والآدب الداعي إلى المأدبة وواحدة الدلائل دلالة وهي العلامة والظرف الكياسة وحسن الخلق والتصرف والسماحة الجود والعطاء عن طيب خاطروالمهدي أي من أهدى والظرف الوعاء يقول إن من علامات الكياسة أن يهدي المرء الهدية مع وعائها واحذف أي اقطع وامح وانهض فعل أمر بمعنى قم.

(2) ووثب تقدم ذكره والجواب أي الرد يعني أن رده كان القيام سريعاً والروض المكان المعشب المزهر يقول إنني أسمح لك بالآنية وبالغلام فدع القول وقم بسلام فقام وشكره كما تشكر الروضة الغيم الممطر واقتادنا أي ساقنا وأخذنا والحواء البيت الذي يحوي المرء وحكّمنا أي ترك لنا التصرف بالحلواء.

(3) يفضّ أي يفرق وعدده أي عدد أصحابه.

(4) أتناسى أحمل نفسي على النسيان وأسلف أي قدم في السالف أي فيما مضى والجريمة الجرم والذنب ونمنم أي نقش وحسّن وانهلت أمطرت وانسكبت وانصبت وسالت والديمة المطر يدوم أياماً وانحازت لي أي اجتمعت وصارت بحوزتي أي ملكي وخطر ببالي أي فكّرت وحثتني نفسي وأشبالي والواحد شبل وهو ابن الأسد أي أولادي وتسنّى أي تيسّر وأجمالي واحدها جمل.

(5) المحافظ من يحفظ الود ويرعاه وأستودعكم أي أترككم أمانة ووديعة وخير حافظ هو الله واستوى على الدابة ركبها وتمكن والراحلة الناقة وتصح في الجمل أيضاً وحافرته أي الطريق التي أتى منها ولاوياً أي عاطفاً وزافرته أي جماعته وعشيرته وغادرنا أي فارقنا ووخدت أي أسرعت والعنس الناقة الصلبة وزايلنا أي زال عنا وفارقنا والدست المجلس وصدر المجلس أعيانه وأفل أي غاب ويقال في القمر وفي الشمس.

المقامة النّصيبيّة

روى الحارثُ بنُ همّام قال:

أمْحَلَ العِراقُ ذاتَ العُوَيْمِ، لإخلافِ أنواء الغَيْمِ. وتحدّثَ الرُكْبانُ بريفِ نَصيبِينَ، وبُلَهْنِيَةِ أهلِها المُخصِبينَ[1]. فاقتَعَدْتُ مَهْرِيّاً، واعْتقلْتُ سمْهَرياً؛ وسِرْتُ تلفِظُني أرضٌ إلى أرضٍ، ويجذِبُني رفْعٌ منْ خفْضٍ، حتى بلغْتُها نِقْضاً على نِقضٍ[2]. فلمّا أنخْتُ بمغْناها الخصيبِ، وضربْتُ في مرْعاها بنَصيبٍ؛ نوَيْتُ أن أُلْقيَ بها جِراني، وأتّخذَ أهلَها جيراني، إلى أنْ تحْيا السّنَةُ الجَمادُ، وتتعهّدُ أرضَ قوْمي العِهادُ[3]. فواللهِ ما تَمَضْمَضَتْ مُقلَتي بنوْمِها، ولا تمخّضَتْ ليْلَتي عن يومِها، دونَ

(1) أمحل المكان إذا انحبس المطر عنه وأجدب والعويم تصغير العام والإخلاف هو أن تقول أو تعد فلا تفي ولا تفعل ما قلته وإخلاف الغيم يعني انحباس المطر والأنواء والواحد نوء والركبان والواحد راكب جماعات المسافرين والريف المخصب من الأمكنة ونصيبين مدينة في ما بين النهرين وهي في تركيا حالياً والبلهنية رخاء العيش وسعته.

(2) اقتعدت أي ركبت والمهري البعير المنسوب إلى مهرة وهي قبيلة من قضاعة إبلهم أنجب الإبل وهي صغار بيض ثم تعدى الاستعمال إلى كل بعير نجيب واعتقل أي حبس وأمسك والسمهري الرمح الصلب نسبة إلى سمهر واعتقال الرمح يكون بحبسه بين الساق والركاب وتلفظني من لفظ أي رمى وجذب أي شدّ والرفع المرتفع من الأرض والخفض المنخفض منها أي إنه كان يصعد ويهبط في سفره من مرتفع إلى واد والنقض الهزيل ومعنى العبارة يقول حتى وصلت وأنا هزيل على بعير هزيل لطول المسافة وصعوبتها.

(3) أنخت أي بركت والمغنى المنزل والخصيب الكثير المرعى والنصيب الحظ والقسمة وضرب بنصيب في الشيء أي أخذ حظه منه والجران مقدم عنق البعير وألقى على هذا جرانه أي وطّن نفسه عليه يقول إنه قد رأى رأيه في الإقامة والسكنى هناك والسنة الجماد السنة التي لا مطر فيها وإحياء السنة يكون بزوال القحط وتتعهّد أي تزور وتتفقد والعهاد كثرة المطر.

أن ألفَيْتُ أبا زيدٍ السَّروجيَّ يجولُ في أرجاء نَصيبينَ، ويخبِطُ بها خبْطَ المُصابينَ والمُصيبينَ؛ وهوَ ينثُرُ منْ فيهِ الدُرَرَ، ويحتلِبُ بكفّيْهِ الدِّرَرَ[1]! فوجدْتُ بها جِهاديَ قد حازَ مَغنَماً، وقِدْحيَ الفَذّ قد صار توْأماً. ولم أزلْ أتْبَعُ ظِلّهُ أينَما انبعَثَ، وألتَقِطُ لفظَهُ كلّما نفثَ؛ إلى أنْ عراهُ مرضٌ امتدّ مَداهُ، وعرَقَتْهُ مُداه[2]، حتى كادَ يسلُبُه ثوبَ المَحْيا، ويسلّمُهُ إلى أبي يَحْيى[3]! فوجدْتُ لفَوْتِ لُقياهُ، وانقِطاعِ سُقْياهُ؛ ما يجدُهُ المُبعَدُ عن مرامِهِ، والمُرضَعُ عندَ فِطامِهِ! ثمّ أرْجِفَ بأنّ رهْنَهُ قد غلِقَ، ومِخْلَبَ الحِمامِ بهِ قد علِقَ، فقَلِقَ صحْبُهُ لإرْجافِ المُرْجِفينَ، وانثالوا إلى عَقوَتِهِ مُوجِفينَ[4]:

---

(1) المضمضة تحريك وتدوير الماء في الفم وتمضمض المقلة أي العين بنومها كناية عن أنه قد لقي السروجي قبل نومه في ليلته تلك والمخاض هو الطلق أي وجع الولادة والكناية في العبارة كسابقتها تعني أنه قد لقي صاحبه في يوم وصوله قبل أن يلد الليل اليوم التالي وقبل أن تذوق عينه النوم ودون ظرف مكان منصوب تختلف معانيه بالنسبة إلى ما يضاف إليه فيعني أمام وخلف وفوق وتحت وغير وقبل ويصير اسم فعل بمعنى خذ أما هنا فهو بمعنى غير وألفى لقي ويجول يتنقل ويتردد والأرجاء النواحي والخبط المشي على غير هدى أو من دون غاية والمصابون أي المجانين والمصيبون من أصاب أي لم يخطئ وأدرك غايته. يقول كان يمشي مسرعاً كمن يمشي على غير هدى أو المصيب العارف بغايته وينثر أي يلقي ويفرق والدرر بضم الدال والواحدة درة كناية عن فرائد القول والدرر بكسر الدال يعني الحليب ومؤدى العبارة أنه يقول كلاماً بليغاً وينال عليه عطاء حسناً.

(2) الجهاد الكد والمشقة وحاز نال وامتلك والمغنم الغنيمة والقدح سهم من سهام الميسر والفذ الأول والتوأم هو الثاني يعني أنه كان وحده فصار زوجاً مع أبي زيد واتبع ظلّه كناية عن الملازمة وعدم الافتراق وانبعث أي نهض وتوجّه وهنا بمعنى سار واتجه وقصد والتقط أي جمعه من هنا وهناك ولقطه عن الأرض ونفث وقد تقدم غير أنه هنا بمعنى تكلّم ونطق وعراه أصابه وأحاق به وامتد أي طال ومداه أمده وعرقته أي كشطت لحمه عن عظمه ومداه والوادة مدية وهي السكين والعبارة كناية هزال أبي زيد تحت وطأة المرض.

(3) كاد فعل يدل على أن قرب حدوث الأمر وسلبه وسلب منه أي انتزع والمحيا الحياة وأبو يحيى كنية ملك الموت.

(4) حيارى والواحد حيران من الحيرة وهي التردد في الأمر وعدم التهدّي له ويميد أي يميل والشجو الحزن والخندريس من أسماء الخمر وأسالوا أي أجروا والغروب أي الدموع والغربة الفيضة من الدمع وعطّوا أي شقوا طولاً والجيوب والواحد جيب ما يُدخل منه الرأس عند لبسه كالقميص وشق الجيوب يكون عند الفجيعة بعزيز أو حبيب وصكّ الخدود لطمها كناية عن الحزن أو الاستهجان =

حَـيـارى يـمـيـدُ بـهـمْ شَـجْـوُهُـمْ   كـأنّـهـمُ ارتَـضـعـوا الـخـنـدَريـسـا
أسـالـوا الـغُـروبَ وعـطّـوا الـجُـيـوبَ   وصـكّـوا الـخـدودَ وشـجّـوا الـرّؤوسـا
يــودونَ لــوْ ســالَــمَــتْــهُ الــمَــنــونُ   وغـالَـتْ نـفـائِـسَـهُـمْ والـنّـفـوسـا[1]

قال الرّاوي:

وكنتُ في مَنِ التفّ بأصْحابِه، وأغذّ إلى بابِه. فلمّا انتهيْنا إلى فِنائِه، وتصدّينا لاستِنْشاء أنْبائِهِ؛ برزَ إليْنا فتاهُ، مُفترّةً شفتاهُ! فاستَطْلَعناهُ طِلْعَ الشيخِ في شَكاتِهِ، وكُنْهَ قُوى حرَكاتِهِ، فقال[2]: قدْ كان في قبْضَةِ المرْضَةِ، وعرْكَةِ الوعْكَةِ، إلى أنْ شفَهُ

= كما في سورة الذاريات الآية 29: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾. وشجّ أي جرح وتكون في الرأس والوجه ويودون أي يحبون وهي هنا بمعنى يتمنون وسالمته أي صالحته والمنون المنية وغالت أي أهلكت والنفائس كل غال وثمين مما كنزوا وادّخروا يقول لقد بكوا وصرخوا وشقوا ثيابهم ولطموا خدودهم وجرحوا رؤوسهم وتمنوا لو أن الموت يتركه فيفدونهم بالثمين مما يملكون وبالأنفس.

(1) وجدت أي أحسست وشعرت وفوت الشيء غيابه عن الباصرة والأصل في الفوت الفرجة بين إصبعين أما هنا فالفوت بمعنى عدم حصول الشيء يقول فأحسست لعدم اللقاء به وانقطاع الشيء توقفه والسقيا الشربة والحظ من الماء وهي هنا كناية عن الفوائد الأدبية التي كان ينهلها من السروجي والمرام الغاية والهدف والقصد والمرضع أي الطفل الذي يرضع والفطام الفصل عن الرضاع وأرجف شاع الخبر وذاع وتداولته الألسن وأصل الإرجاف إخبار الخبر للوقيعة وخلق الاضطراب والفتنة وعبارة بأن رهنه قد غلق قول عربي خلاصة أمره أن الراهن يقول لمن يمسك رهنه إن لم آتك إلى كذا فالرهن لك فإن أتاه بعد ذلك الحين بالدين قال له قد غلق الرهن ثم استعملت العبارة في الوقوع في أمر لا خلاص منه وهو هنا الموت ويروى عن الخليفة المأمون أنه حين حضرته الوفاة، جلست عند رأسه جارية كان بها مشغوفاً، وقد أخذته غشية، فجعلت تبكيه، وأنشأت تقول: يا ملكاً لست بناسيه . . . وليتني بالنفس أفديه \ فأفاق من غشيته، ونظر إليها، وأنشأ يقول: باكيتي من جزعٍ أقصرى . . . قد غلق الرهن بما فيه.
والمخلب ظفر الطائر الصائد والحمام الموت وعلق به أي نشب وتعلّق به وانثالوا أي انهالوا وتتابعوا وانصبّوا والعقوة الموضع وفي الأصل فناء الدار وموجفين من أوجف وتعني أسرع في سيره وأوجف الشيءَ جعله يضطرب.

(2) أصل الالتفاف التجمّع والتكاثف والتف هنا بعنى انضم إلى القوم أو التحق بهم وكان واحداً منهم وأغذ أي حث السير وأسرع وفناء الدار ساحته وعرصته وهو هنا المنزل نفسه وتصدّى للشيء =

الدَّنَفُ، واستشفَّهُ التَّلَفُ. ثمّ منّ اللهُ تَعالى بتقويةِ ذمائِهِ، فأفاقَ منْ إغمائِهِ[1]. فارْجِعوا أدراجَكُمْ، وانْضوا انزِعاجَكُمْ! فكأنْ قد غَدا وراحَ، وساقاكُمُ الرّاحَ! فأعْظَمْنا بُشْراهُ، واقترَحْنا أنْ نَراهُ. فدخَلَ مؤذِناً بِنا، ثمّ خرَجَ آذِناً لنا[2]. فلَقينا منْهُ لَقًى، ولِساناً طلْقاً. وجلسْنا مُحدِقين بسَريرِهِ، محدّقينَ إلى أساريرِه. فقلّبَ طرْفَهُ في الجَماعةِ، ثمّ قال: اجْتَلوها بنتَ السّاعةِ! وأنشَدَ[3]:

عــافــانــيَ اللهُ وشُــكْــراً لــهُ ... مــنْ عِــلّــةٍ كــادتْ تُــعَــفّــيــنــي
ومَــنّ بــالــبُــرْءِ عــلــى أنّــهُ ... لا بُــدّ مــنْ حَــتْــفٍ سَــيَــبْــريــنــي[4]
مــا يَــتَــنــاســانــي ولــكــنّــهُ ... إلــى تــقَــضّــي الأُكْــلِ يُــنْــســيــنــي

= أي تعرّض له واستنشاء أنبائه استطلاع أخباره والوقوف عليها ويرز أي خرج وظهر وفتاه أي ابنه وافترار الشفتين يعني الضحك واستطلع أي استعلم واستخبر والطلع الاطلاع أي خبره وحقيقة أمره والشكاة ما يشكى منه أي مرضه وكنه الشيء حقيقته.

(1) عرك الشيء إذا دلكته بيديك والوعكة من وعك إذا اشتدّ وتقال في الحمى والحر وشفّه أضناه وأوجعه وأضمره والدّنف المرض واستشفّه أي استقصى بقية قوته والتلف الهلاك. يقول لقد كان في قبضة المرض فدلكته الحمّى حتى أوهنته وآلمه وأضمره الداء حتى كاد أن يتلف ومنّ أي تكرّم وسمح والذماء قوى النفس وبقيتها والإغماء الغشية وغياب الوعي الطارئ في المرض.

(2) ارجعوا أدراجكم أي عودوا من حيث أتيتم ونضى كشف وأزال يقول واتركوا انزعاجكم والانزعاج القلق ونقيض السكينة والطمأنينة وكأن اداة تستعمل للتشبيه وتدخل على الاسم والفعل الماضي المسبق بـ«قد» والمضارع المنفي بـ«لم» فلا تؤثر في إعراب ما بعدها وغدا أي ذهب غدوة وهي نقيض راح يقول فكأنكم قد أخذ يذهب في الصباح والعشي وساقاكم أي شرب معكم والراح من أسماء الخمر وأعظم أي رأى عظيماً والبشرى الخبر السار واقترحنا أي طلبنا واصل الاقتراح السؤال على وجه التحكم ومؤذناً من آذن أي أعلم وأخبر وآذناً أي معطياً الإذن والرخصة.

(3) لقينا أي وجدنا واللقى الطريح وهي هنا بمعنى المنهك الضعيف الملقى واللسان الطلق الفصيح وأحدق بالشيء أحاط به وحدّق نظر بحدّة وتمعّن والأسارير خطوط باطن الكف والجبهة والوجه وقلّب طرفه أي نقل نظره واجتلوها فعل أمر من اجتلى البكر وهو إجلاسها على المنصّة وإظهارها زينتها على أن الضمير عائد للأبيات التي ستلي وبنت الساعة أي إنه نظمها في ساعته.

(4) عافاني أي أبرأني وشفاني والعلّة الداء والمرض وتعفيني أي تمحو أثري أي تكرّم وأنعم والبرء الشفاء والحتف الموت ويبريني أي يهلكني ويذهب بلحمي.

إنْ حُمّ لمْ يُغنِ حَميمٌ ولا حمَى كُلَيبٍ منهُ يخميني[1]
وما أُبالي أدَنا يومُهُ أم أُخِّرَ الحَينُ إلى حينِ
فأيُّ فخرٍ في حَياةٍ أرى فيها البَلايا ثمّ تُبْليني[2]

قال:

فدعَوْنا لهُ بامتِدادِ الأجلِ، وارتِدادِ الوجَلِ! ثمّ تداعَيْنا إلى القِيامِ، لاتّقاءِ الإبْرامِ، فقالَ: كلاّ بلِ البَثوا بَياضَ يومِكُمْ عِندي! لتَشْفوا بالمُفاكَهَةِ وجْدي! فإنّ مُناجاتَكُمْ قوتُ نفْسي، ومَغْناطيسُ أُنسي[3]! فتحرّيْنا مرْضاتَهُ، وتحامَيْنا مُعاصاتَهُ؛ وأقبَلْنا على الحَديثِ نمْخُضُ زُبْدَهُ، ونُلْغي زبَدَه، إلى أنْ حانَ وقتُ المَقيلِ، وكلّتِ الألسُنُ منَ القالِ والقيلِ[4]. وكان يوْماً حاميَ الوَديقَةِ، يانِعَ الحَديقَةِ! فقال: إنّ

(1) الأكل الرزق المقدر أكله وتقضي الشيء بلوغه كماله وتمامه وينسيني من نسأ أي أجّل وأمهل وحمّ وتقال في القضاء أي وقع وصار المقدر وقضي ويغني يجدي ويجزي وينفع والحميم والصديق المقرّب والحمى ما يحمي وحمى كليب ما وقع في حمى كليب وهو أخو المهلهل الشاعر بلغ من التعدّي على حماه أن نشبت حرب بين قبيلتي بكر وتغلب طالت مدة أربعة عقود وحمى كليب يضرب للمنعة. يقول لم يتناس الخالق أمري ولكنه أجّلني إلى زمان مقدّر أكون قد استوفيت فيه ما كتب لي من رزق وعمر حتى إذا حمّ القضاء لن يدفعه عني لا الصديق الوفي ولا الجار القوي حتى ولو كان ككليب في المنعة.

(2) ما أبالي أي لا أعبأ ولا آبه ودنا أي أشرف واقترب ويومه والضمير عائد إلى الحين أي الموت وإلى حين أي إلى أجل وأي فخر والفخر العظمة والتعالي وفي رواية وأي خير والبلايا والواحدة بلوى الرزيئة والمصيبة والاختبار وتبليني أي تخلقني.

(3) الأجل غاية الوقت في الموت يقول فدعونا له بطول العمر وارتداد أي انحسار وزوال ورجوع والوجل الخوف وتداعينا أي دعا بعضنا بعضاً للقيام أي للنهوض كناية عن الخروج واتقاء الشيء دفعه والاحتماء منه والإبرام الإملال والاضجار والتثقيل وكلا أداة ردع وزجر وقد تأتي بمعنى ألا الاستفتاحية ولكنها هنا للردع والبثوا فعل أمر من لبث إذا مكث وأقام وبياض اليوم كناية عن النهار بطوله والمفاكهة طيب المحادثة والوجد ما يجده المرء من حب شديد والمناجاة المحادثة والمسارّة والقوت الغذاء والحياة والمغناطيس حجر يجذب الحديد إليه يقول إن في محادثتهم حياة لنفسه ومجلبة لأنسه وكأنها قوت يقتات به وحجر يجذب إليه البهجة والانشراح.

(4) تحرّى الشيء قصده وتحاماه أي تجنّبه والمخض للحليب تحريكه في وعائه حتى ينفصل زبده عن السائل ومخض الحديث كناية عن الأخذ فيه لتجنى فوائده ونلغي أي نطرح وننبذ وننفي والزبد =

النّعاسَ قدْ أمالَ الأعْناقَ، وراودَ الآماقَ! وهو خصْمٌ ألَدُّ، وخِطْبٌ لا يُرَدُّ! فصِلوا حبْلَهُ بالقَيْلولَةِ، واقْتَدوا فيهِ بالآثارِ المنقولةِ[1]!

قال الرّاوي:

فاتّبعْنا ما قالَ، وقِلْنا وقالَ. فضربَ اللهُ على الآذانِ، وأفرَغَ السِّنَةَ في الأجْفانِ، حتى خرَجْنا منْ حُكْمِ الوجودِ، وصُرِفْنا بالهُجودِ، عنِ السّجودِ؛ فما استيْقَظْنا إلا والحرُّ قدْ باخَ، واليومُ قد شاخَ[2]. فتكرّعْنا لصَلاةِ العَجْماوَيْنِ، وأدّيْنا ما حَلّ منَ الدّينِ. ثمّ تحثْحَثْنا للارْتِحالِ، إلى مُلْقى الرِّحالِ[3]. فالتَفَتَ أبو زيدٍ إلى شِبلِهِ، وكان على شاكِلَتِه وشكْلِهِ؛ وقال: إني لإخالُ أبا عَمْرَةَ، قد أضْرَمَ في أحشائِهِم الجَمرَةَ!

= الرغوة وما يعلو الماء مما لا خير فيه وحان أي جاء والمقيل النوم وقت الظهر وهو القيلولة وكلّ أي تعب والقال والقيل الكلام والأخذ والرد فيه.

(1) الحامي الشديد السخونة والوديقة شدة الحر واليانع الأحمرمن كل شيء والناضج من الثمر والحديقة الروضة وكل بستان أحيط بحائط والآماق والواحد ماق على ما جاء في الجراثيم لابن قتيبة والماق والموق: واحدٌ، وهو طرفها (أي طرف العين) الذي يلي الأنف. والألدّ الممعن في الخصومة والخطب الذي يخطب المرأة من أهلها وصلوا حبله أي لا تقطعوه واقتدوا أي اتبعوا والآثار المنقولة ما روي ونقل من أحاديث عن النبي محمد والمراد هنا قوله في حديث أخرجه الهندي في كنز العمال: «قيلوا فإن الشيطان لا يقيل».

(2) وقلنا وقال من القيلولة أي نمنا ونام والضرب إيقاع شيء على شيء ثم ولاختلاف ما يوقع يختلف التفسير فثمة الضرب الحسي كضرب اليد أو السيف ومعنى الذهاب في الأرض ونحوها لإيقاع الأقدام عليها ولإيراد المثل لإنه ذكر شيء يظهر أثره في غيره وبمعنى التغطية كضرب الخيمة وكعبارة الضرب على الآذان وهي في سورة الكهف الآية 11 بمعنى التغطية وهي المراد هنا فآذان القوم وكأنها غطيت فلا يسمعون كما يأتي الضرب في معنى التغطية الكلية وبمعنى الإعراض. وأفرغ أي وصبّ والسنة والوسن والفعل وسِن النوم الخفيف وقيل هو فتور يسبق النوم أو أول النوم وفي سورة البقرة الآية 255: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾. والوجود هنا الحياة يقول فكأنناخرجنا من حكم الحياة فبتنا لا نعي شيئاً وصرفنا أي أبعدنا والهجود أي الرقاد والنوم والسجود الخضوع والانحناء في الصلاة وباخ الحر سكن وخفت حدّته وشاخ اليوم قارب النهاية.

(3) تكرّعنا أي غسلنا أكارعنا كناية عن الوضوء والعجماوين صلاة الظهر والعصر وسماهما كذلك لإخفات الصوت والإسرار في قراءتهما وأدى الدين قضاه ودفعه وتحثحثنا أي تحركنا وتهيّأنا وملقى الشيء موضعه.

فاسْتَدْعِ أبا جامِعٍ، فإنّهُ بُشرى كُلّ جائِعٍ! وأردِفْهُ بأبي نُعَيمٍ، الصّابِرِ على كلّ ضَيْمٍ! ثمّ عزّزْ بأبي حَبيبٍ، المُحبَّبِ إلى كلّ لَبيبٍ! المقَلَّبِ بينَ إحْراقٍ وتعْذيبٍ[1]! وأهْبْ بأبي ثَقيفٍ، فحبّذا هوَ منْ أليفٍ! وهلُمّ بأبي عوْنٍ، فما مثلُهُ منْ عوْنٍ! ولوِ استحْضَرْتَ أبا جميلٍ، لجَمّلَ أيّ تجْميلٍ! وحَيَّ هلَ بأمّ القِرَى، المذَكِّرةِ بكِسْرى! ولا تتناسَ أمّ جابِرٍ، فكمْ لها منْ ذاكِرٍ! ونادِ أمّ الفرَجِ، ثمّ افتِكْ بها ولا حرَجَ[2]! واختِمْ بأبي رَزينٍ، فهُو مسْلاةُ كلّ حزينٍ! وإنْ تقْرُنْ بهِ أبا العَلاءِ، تمْحُ اسمَكَ من

(1) على شاكلته أي على طريقته وطبيعته ويشبهه والشكل المثل وإخال أظن وأبو عمرة أي الجوع وأضرم أوقد وأشعل والجمرة كنّى بها عن الجوع فاستدع أي فاطلب وادع وأبو جامع الخوان وهو المائدة لاجتماع القوم حوله للأكل وأردفه أي ألحقه وأتبعه وأبو نعيم الخبز الحواري المصنوع من خالص الدقيق والضيم الذل والحواري صابر لأنه على رأي الشريشي «لا يصل من صورة البر إلى الخبز إلاّ بعد علاج شديد وتغيير له من حال إلى حال» وعزّز أي قوّ وأعن وأبو حبيب هو الجدي من المعز واللبيب الفطن وقوله المقلّب بين إحراق وتعذيب يريد بذلك أن الجدي يقلب على النار ليصير شواء.

(2) أهب من أهاب بالمرء إذا دعاه وناشده وحمله على فعل أمر ما وأبو ثقيف الخب لأنه يثقف الطعام أي يحذقه فيطيب للأكل والأليف المألوف والصاحب وقوله حبذا أي أحبب به إشارة إلى حديث نبوي يقول: «نِعْمَ الإِدَامُ الْخَلُّ» وهلم كلمة دعاء بمعنى تعال وأقبل وتأتي أيضاً بمعنى إحضار شيء وإعطائه وللعرب في هلم لغتان في الاستعمال فأهل الحجاز يجرونها مجرى اسم فعل الأمر تلزم حالة واحدة لا تتغيّر لتثنية أو جمع أو تأنيث فتقول هلم يا رجل ويا رجلان ويا امرأتان وأما أهل نجد أو التميميون فيجرونها مجرى فعل أمر يتصرف فيقولون هلمّ وهلمّي وهلمّوا وهلممن هذا وقد ورد اللفظ على لغة الحجاز في القرآن في موضعين؛ الأنعام الآية 150 والأحزاب الآية 18 وأبو عون هو الملح لأنه يستعان به على الطعام والعون المعين والناصر والمساعد وأبو جميل أي البقل لأنه يحسّن ويجمل بحضرته الإدام ويزيّنه وحي اسم فعل للأمر بمعنى أقبل وأسرع وعجّل وجاء في تهذيب اللغة «العرب تقول حيَّ هَلْ بفلان وحيَّ هلَ بفلان وحيّ هَلاً بفلان أي اعْجل» وأم الشيء رأسه ومعظمه ومكة أم القرى والفاتحة أم الكتاب والقرى بكسر القاف طعام الضيف وأم القِرى السكباج مرق يعمل من لحم وخل عمل أول مرة لكسرى أنوشروان وأم جابر الهريسة وهي لحم مسلوق بماء وملح حتى ينضج جيداً ويدق بالهاون حتى يتفتت ثم يغلى بمرقه الحليب والأرز أو الخبز ثم يضاف اللحم ويخلط به ويبزّر وأم الفرج وهي الجوذابة وهي خبز يلف به فروج أو لحم ويوضع في التنور حتى غذا سال ودكه فيه صار خبزاً بادام والفتك القتل على حين غرّة والمراد الأكل ولا حرج أي ولا إثم ولا تضييق.

البُخَلاءِ! وإيّاكَ واستِدْناءَ المُرْجِفَينِ، قبلَ استِقلالِ حُمولِ البَينِ[1]! وإذا نزَعَ القَوْمُ عنِ المِراسِ، وصافَحوا أبا إياسٍ؛ فأطِفْ علَيْهِمْ أبا السَّرْوِ، فإنّهُ عُنْوانُ السَّرْوِ[2]!

قال:

ففَقِهَ ابنُهُ لَطائِفَ رُموزِهِ، بلَطافَةِ تمْييزِهِ! فطافَ علَيْنا بالطّيّباتِ والطِّيبِ، إلى أنْ آذَنَتْ الشّمسُ بالمَغيبِ. فلمّا أجْمَعْنا على التّوديعِ، قُلْنا لهُ: ألَمْ ترَ إلى هذا اليومِ البديعِ؟ كيفَ بَدا صُبحُهُ قَمْطَريراً، ومُمْسِيُهُ مُستَنيراً؟ فسجَدَ حتى أطالَ، ثمّ رفَعَ رأسَهُ وقالَ[3]:

لا تيأسَنْ عندَ النُّوَبْ ... منْ فرْجَةٍ تجلو الكُرَبْ
فلَكَمْ سَمومٍ هبّ ثـ ... ـمّ جرَى نسيمًا وانقَلَبْ[4]

(1) واختم أي وانه وأبو رزين هو الخبيص وهو حلواء تصنع مثلاً من من تمر وسمن يخبص بعضه ببعض وهو أبو رزين «لفضله في الطعام وشرفه ورجحان ثمنه» على علل الشريشي والخبيص قد يعمل من لوز وسكر ومنكّهات عديدة وهو آخر ما يؤكل والرزين من الرجال الوقور الراجح والمسلاة من السلو أي زوال الغم وتقرن به أي تضم إليه وتلحق به وأبو العلاء هو الفالوذج وهو حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل وقد أدركت أهلي يصنعونها تحت اسم البالوزة وهو يشبه ما نعرف الآن باسم المهلبية ويروى أن عبدالله بن جدعان قد أكل الفالوذج عند كسرى فأعجبه وسأل عنه فقيل له لباب البر مع عسل النحل أي العسل مع النشا فأولم لأهل مكة عند عودته وصار الفالوذج معروفاً في بلاد العرب وإيّاك أي حاذر واستدناء أي تقريب والمرجفين أي الطست والإبريق لغسل الأيدي وهما مرجفان لأنهما يؤذنان بصوتيهما بالفراغ من الأكل والإرجاف سبق ذكره واستقلال الحمول أي الهوادج ارتفاعها والبين الفراق يقول وحاذر تقديم الإبريق والطست قبل أن يكمل القوم طعامهم وترتفع الهوادج للفراق ويعني بالهوادج الموائد.

(2) نزع أي كف وتنحى والمراس المعالجة وعنى بذلك غسل الأيدي ودلكها الواحدة بالأخرى وصافحوا أي سلّموا بالكف وأبو إياس الغسول وأطف أي أدر وأبو السرو البخور والسرو الشرف والكرامة والسخاء في المروءة ويقال للرجل سري إذا كان سيّد قومه أو أحد سادة قومه وعنوان السرو أي عنوان المروءة.

(3) فقه أي فهم ووعى ولطائف أي دقائق ورموزه إشاراته وآذنت أعلمت وهي هنا بمعنى قاربت ودنت وأجمعنا عزمنا جميعاً والقمطرير الطويل والشديد وهو من صفات يوم القيامة كما في الآية العاشرة من سورة الإنسان والمسي وقت المساء والمستنير المضيء.

(4) لا تيأسن أي لا تقنط والنوب والواحدة نُوبة وهي كالنائبة تعني المصيبة والنازلة والفرجة الراحة =

وسَــحــابِ مــكْــروهٍ تــنــ شّــا فــاضْــمَــحَــلّ ومــا ســكَــبْ
ودُخــانِ خــطْــبٍ خِــيــفَ مــنْــ ـهُ فــمــا اسْــتَــبــانَ لــهُ لــهَــبْ[1]
ولَــطــالَــمــا طــلَــعَ الأســى وعــلــى تَــفــيــئَــتِــه غــرَبْ
فــاصْــبِــرْ إذا مــا نــابَ روْ عٌ فــالــزّمــانُ أبــو الــعــجَــبْ
وتــرَجّ مــنْ رَوْحِ الإلــ ـهِ لَــطــائِــفــاً لا تُــحْــتَــسَــبْ[2]

قال:

فاستَمْلَيْنا منْهُ أبياتَهُ الغُرّ، ووالَيْنا للهِ تَعالى الشُّكْرَ! وودّعْناهُ مسرورينَ ببُرْئِهِ، مَغْمورينَ ببِرّهِ[3].

= وتجلو الكرب أي تزيل الغم والسموم الريح الحارة والنسيم اللين من الريح وانقلب أي تغيّر وتحوّل.

(1) تنشّا أي نشأ وابتدأ وظهر واضمحلّ زال وسكب أي أمطر والخطب الأمر الشديد واستبان أي ظهر واللهب لسان النار يقول ورب سحاب مكروه ظهر ثم تلاشى وما أمطر ورب دخان أمر مخيف طلع ثم لم يبد له لهب أي ظل دون نار.

(2) الأسى الحزن والتفيئة الإبّان والحين يقول ولكم ظهر حزن ولكنه سرعان ما غاب وزال في حينه وناب أي أصاب والروع الهول وترجّ أي انتظر وارج واللطائف المنن والنعم ولا تحتسب أي لا تعد ولا تحصى يقول فاصبر إذا ما أصابك فزع فالزمان يلد العجائب وارج رحمة ربك فمننه ونعمه لا تعد ولا تحصى.

(3) استملينا أي طلبنا إليه أن يملي علينا فنكتب ووالينا أي تابعنا والغرّ البيض والبرء الشفاء والبرّ الإحسان والعطاء.

وبعد فالحق هنا هذه القطع وقد اخترتها من كتب الأدب تضم بعض ما في العربية من كنى والقطعة الأولى عن نثر الدر للآبي.

ألقاب الأطعمة وغيرها على مذهب الطفيليين: الطشت والإبريق: بشر وبشير. الخوان: أبو جامع. السفرة: أبو رجاء. الخبز: أبو جابر. اللحم: أبو عاصم. الملح: أبو عون. القدر: ميمون الزنجي. الغضارة: أم الفرج. الحواري: نجوم الفكة. البقل: زحام بلا منفعة. الجوز والجبن: معاوية وعمرو بن العاص. الرواصل: يأجوج ومأجوج. البيض: بنات نعش. الثريد: جبير بن مطعم. الجبم: راشد الخناق. الجوز: أبو القعقاع. الزيتون: خنافس الخوان. الصحناءة: أم البلايا. الباذنجان: قباب ياسر. الكامخ: عرق الشيطان. البوارد: برائد الخير. البزماورد: أبو كامل الطيالسي. السنبوسك: جامع سفيان. الماء: أبو غياث. الخردل: =

. . . .

= أبو كلثوم: الجلاد. الدجاجة: سمانة القوادة. البطة: بهادة السوسية. الحمل: شهيد بن شهيد. الجدي: أبو العريان. الرقاق: أبو الطيالس. التير: وضاح اليمن. الرغيف السميد: أبو بدر. السكباج: أم عاصم. المضيرة: أم الفضل. الكشكية: أم حفص. الهريسة: أم الخير. الرأس: قيم الحمام. ماء البلاقلاء: أبو حاضر. السمك: أبو سابح. الأكارع: أبو الخرق. الخل: أبو العباس. الفتيت: أبو نافج. القنّبيطية: دويرة الرومية. المغمومة: المقنع الكندي. المريء: أبو مهارش. الزبيبة: أبو الأسود الدؤلي. القشمشية: أم الحمال. الملبقة: أم سهل. الطباهجة: زلزل المغنى. البقيلة: المشؤومة. القلية: الناعية. المصلية: أم بشير. الأرز: أبو الأشهب. النرجسية: أم الثريا. الجوذاب: أم الحسن. الفالوذج: أبو مضاء. السكر: أبو الطيب. الطبرزد: أبو شيبة الخوري. اللحم المشوي: الروح الأمين. العسل: أم المؤمنين. الخبيص: أبو نعيم. الحلواء: خاتم النبيين. الكفدوس: موطأ مالك. اللوزينج: بكير الطرائفي. القطائف: قبور الشهداء. الفراريج: بنات المؤذن. السويق: أم حبيب. الخلال: أبو البأس. الأشنان والمخلب: منكر ونكير. النبيذ: أبو غالب. الغرابة: أم رزين. النقل: أبو تمام. النرجس: أبو العيناء. السايكسي: أم فرعون. القدح: أبو قريب. النبيقة: أم الفتيان. الصراحيّة: أم القاسم. القطارمير: أبو مزاحم. المغنى: أبو الأنس. الزامر: حميد الكوسج. المواخر: أبو صابر. القحبة: أم ياسر. المخنث: أبو عطية. الثقيل: أبو ثهلان. القوّاد: أبو مغيث. المسخرة: الضحاك بن قيس. العربدة: ضرار بن مخرق. الطفيلي: أبو الصقر الليثي. الذي يتبع الطفيلي: زائدة بن مزيد. القفل: أبو منيع. المفتاح: أبو الفرج. الدينار: أصفر سليم. الدرهم: أبو واضح.

والقطعة الثانية من كشكول البهائي: نبذ من الكنى: يقال للأسد أبو الحارث، وللضبع أم عامر، وللثعلب أبو الحصين.

وللنمر أبو عون، وللذئب أبو زياد. ويقال للديك أبو نبهان، وللهرة أم خداش، وللدجاجة أم حفص، وللفأرة أم فساد، وللخنفساء أم سالم. ويقال للدينار أبو الحسن، وللدرهم أبو صالح، وللخبز أبو جابر، وللملح أبو صابر، وللبغل أبو جميل، وللحم أبو الخصيب.

وللأرز أبو لؤلؤة، وللجبن أبو مسافر، وللجوز أبو مقابل، وللبن أبو الأبيض، وللبيض أبو الأصفر، وللهريسة أم جابر، وللثريد أبو راجع، وللماء أبو حيان، وللأشنان أبو البقاء.

والقطعة الثالثة من محاضرات الراغب: كنى الأطعمة وأسماؤها الأعلام عند الصوفية: قد أكثر الناس من ذلك وذكرت منه طرفاً هو اقرب: الخبز أبو جابر، والسكباج أم القدور، والقلية زلزل المغني، والطباهج الزرزر الصناج، والمضيرة الشيخ اليهودي، أبو الزئبق البقل، أبو زحام بلا منفعة الخل، أبو عامر الغضبان. الخيار أبو الأخضر. البندق القثاء. أبو القرون البصل. أبو قمصان الدجاج. أم حفص الفروج. بنات المؤذن السكر. أبو شيبة الخوزي. عن محاضرات الأدباء للراغب.

المقامة الفارقيّة

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قالَ:

يمّمْتُ ميّافَارِقينَ، معَ رُفقةٍ مُوافِقينَ؛ لا يُمارونَ في المُناجاةِ، ولا يدْرونَ ما طعْمُ المُداجاةِ! فكُنتُ بهِمْ كمَنْ لمْ يرِمْ عنْ وَجارِهِ، ولا ظعَنَ عنْ أليفِهِ وجارِهِ[1]. فلمّا أنخْنا بها مطايا التّسْيارِ، وانتقلْنا عنِ الأكوارِ، إلى الأوْكارِ؛ تواصَيْنا بتَذْكارِ الصُحْبَةِ، وتناهَيْنا عنِ التّقاطُعِ في الغُربَةِ. واتّخذْنا نادِياً نعتَمِرُهُ طرَفَي النهارِ، ونتَهادَى فيهِ طُرَفَ الأخْبارِ[2]. فبَيْنَما نحنُ بهِ في بعضِ الأيامِ، وقد انتظَمْنا في سِلكِ الالتِئامِ، وقفَ علَيْنا ذو مِقْوَلٍ جريّ، وجرْسٍ جهْوَريّ؛ فحَيّا تحيّةَ نفّاثٍ في العُقَدِ، قنّاصٍ للأسَدِ، والنّقَدِ! ثمّ قال[3]:

(1) يمم أي قصد وميافارقين قاعدة بلاد ديار بكر في تركيا ويمارون أي يجادلون والمناجاة أي المحادثة ويدرون أي يعلمون والمداجاة المساترة بالعداوة وعدم إظهارها ويرم من رام عن المكان زايله وفارقه ولا يقال إلاّ منفياً ووجاره أي جحره وهو في الأصل للضبع والمراد بلده أو موطنه وظعن أي رحل والأليف الصاحب والجار من يسكن في جوارك يقول إنه شعر وسط صحبه وكأنه لم يبارح منزله ولا ترك صحبه وجيرانه.

(2) أنخنا من أناخ الجمل إذا أبركه والمطايا والواحدة مطية ما يركب وهي الناقة التي تركب والتسيار السير الكثير والأكوار والواحد كور وهو الرحل والأوكار والواحد وكر وهو البيت وفي الأصل هو عش الطائر وتواصينا أوصى بعضنا بعضاً وتناهينا أي نهى واحدنا الآخر والتقاطع القطيعة والصرم والهجر والنادي المجلس ونعتمره أي نقصده والاعتمار هو أن تقصد مكاناً عامراً وتزوره ومنه عمرة الحج وطرفا النهار الغداة والعشية وطرف الأخبار أي الأخبار المستملحة والطريفة أي الجديدة.

(3) وانتظمنا أي تألفنا وانضم بعضنا إلى بعض والالتئام التوافق والسلك خيط النظام يقول إنهم اجتمعوا اجتماع الخرز وقد انتظمت في خيط العقد والمقول اللسان. يقول الشريف الرضي: =

عِـنـديَ يـا قـومُ حـديـثٌ عَـجـيـبْ فـيـهِ اعْـتِـبـارٌ لِـلّـبـيـبِ الأريـبْ
رأيـتُ فـي رَيْـعـانِ عُـمْـري أخـا بـأسٍ لـهُ حـدُّ الـحُـسـامِ الـقَـضـيـبْ
يُـقْـدِمُ فـي الـمَـعْـرَكِ إقْـدامَ مـنْ يـوقِـنُ بـالـفَـتْـكِ ولا يـسْـتَـريـبْ(1)
فـيُـفْـرِجُ الـضّـيـقَ بـكَـرّاتِـه حتى يُرى ما كـان ضَـنْـكـاً رَحـيـبْ
مـا بـارَزَ الأقْـرانَ إلا انْـثَـنـى عنْ موقِفِ الطّعْنِ برُمحٍ خضيبْ
ولا سَـمـا يـفـتَـحُ مُـسـتَـصْـعِـبـاً مُـستَغْلِقَ الـبابِ مَـنـيـعـاً مَـهـيـبْ
إلا ونـودِي حـيـنَ يـسْـمـو لـهُ نـصْـرٌ مـنَ اللهِ وفـتْـحٌ قَـريـبْ(2)

= مـا مـقـامـي عـلـى الـهـوان وعـنـدي مِـقْـوَلٌ صَـارِمٌ وَأنْـفٌ حَـمِـيٌّ.

والجريء الجسور والمقدام والجرس الصوت والجهوري الشديد العالي والنفاث من ينفث أي ينفخ والعقد واحدتها عقدة وهي ما يعقده الساحر من خيوط يريد بها الأذى لشخص ما وفي سورة الفلق ذكر للنفاثات في العقد وهم الرجال والنساء على السواء والنفث نفخ بريق أو من دون ريق والقنّاص من يقنص أي يصيد والأسد والواحد أسد والنقد وهي صغار الغنم تكون في البحرين وصفتها قصر القوائم وصباحة الوجوه وجودة الصوف.

(1) الاعتبار العظة والعبرة واللبيب هو العاقل والأريب هو العاقل الحصيف وريعان الشيء أوله واخو الباس الشجاع المقدام وحدّ السيف شفرته والحسام السيف والقضيب من قضب أي قطع والإقدام في المعركة الهجوم الجسور والكرّ والتقدم ويوقن من أيقن أي علم وتحقق والفتك البطش ويستريب أي يرتاب ويشكّ يقول سأقص عليكم حديثاً عجيباً فيه عبرة للعاقل الحصيف المعتبر فلقد رأيت وأنا في أول العمر شجاعاً بشفرة بتارة ماضية وكان يكرّ في المعركة كرّ المتيقن المتأكد من بطشه ولا يخامره شك.

(2) ويفرّج أي يفسح ويوسع والكرات والواحدة كرّة أي الهجمة أو الحملة في الحرب وحتى يُرى أي يبدو والضنك الضيق والرحيب الفسيح وبارز أي قاتل والأقران والواحد قِرن المثيل والشبيه في الشدة والقتال وانثنى أي عاد والخضيب أي المخضب وغالباً ما يكون بالدم وسما أي ارتفع والمستصعب أي ما يرى صعباً في نظر الغير ومستغلق الباب أي محكم الإغلاق والمنيع أي الحصين والمهيب المخيف من هاب الشيء إذا خافه ونصر من الله وفتح قريب عبارة قرآنية من سورة الصف الآية 13. يقول وهذا الجسور يفتح في حملاته ويوسع كل ضيق حتى يبدو ما كان كذلك فسيحاً رحباً وما تصدى للأقران إلا عاد مخضباً بالدم ولا قام وارتفع ليفتح مكان صعباً موصد الباب مهيباً إلا ونودي حين يقوم بالقول نصر من الله وفتح قريب. أقول ان السيد الجسور ذاك ليس إلا أير السروجي في شبابه وأما الأماكن الضيقة المستصعبة فهي فروج الأبكار يفتحها ويعود مخضباً بدم البكارة.

هـذا وكـمْ مـن لـيـلَـةٍ بـاتَـهـا يَـميسُ فـي بُـرْدِ الـشّـبـابِ الـقَـشيـبْ
يـرتَـشِـفُ الـغِـيـدَ ويـرشُـفْـنَـهُ وهْـوَ لـدى الـكُـلّ الـمُـفَـدّى الـحبيـبْ
فـلـم يـزَلْ يـبـتَـزّهُ دهـرُهُ ما فـيـهِ مـنْ بطْـشٍ وعـودٍ صَـلـيـبْ
حـتـى أصـارَتْـهُ الـلّـيـالـي لَـقًـى يَـعـافُـهُ مـنْ كـان مـنـهُ قَـريـبْ(1)
قـد أعـجـزَ الـرّاقـيَ تـحْـلـيـلُ مـا بـهِ مـنَ الـدّاء وأعْـيـا الـطّـبـيـبْ
وصـارَمَ الـبـيـضَ وصـارَمْـنَـهُ من بعدِ ما كـانَ الـمُـجابَ الـمُجيبْ
وآضَ كـالـمـنْـكـوسِ فـي خَـلْـقِـهِ ومَـنْ يَـعِـشْ يَـلـقَ دواهـي الـمَـشيـبْ
وهـا هُـوَ الـيـومَ مُـسَـجّـى فـمَـنْ يـرْغَـبُ فـي تـكْـفـيـنِ ميْـتٍ غَـريـبْ(2)

---

(1) يميس أي يتبختر والبرد الثوب المخطط والقشيب الجديد وبرد الشباب كناية عن رواء الشباب وحسنه وكأنه ثوب مخطط وقد استخدمت العبارة كثيراً فيقول أبو العلاء المعري: بُرْدُ الشّبابِ ويُرْدُ الناسجِ ابتُذِلا وهَل يَدومُ على البَرْدَينِ بُرْدان؟\ ويقول أبو الشيص: عُوِّضْتُ عن بُرْد الشباب مُلاءَةً خَلَقاً وبئسَ معوضَة المعتاضِ\ويقول السري الرّفاء: وقطَعْتَ الشّبابَ فيه إلى أن هَمَّ بُرْدُ الشّبابِ بالإخلاقِ. ومن النافل القول إن عبارة برد الشباب غالباً ما تأتي في سياق الأسف والحسرة على زمان الصبا. ويرتشف أي يمص ويبالغ في المص والمراد التقبيل ومص الرضاب والغيد والواحدة غادة وهي المرأة اللينة البيّنة الغيد أي النعومة وقد تكون الواحدة غيداء ومذكرها أغيد وهي المرأة المتثنية ليناً والطويلة العنق والناعمة البشرة والكاملة الجمال والمفدّى أي من يفدى بالنفوس والأموال. وابتزّ أي سلب وجرّد وأخذ بقهر والبطش القوة وشدّة التناول والعود الصليب أي الشديد القوة كناية عن الفتوة وقوة الشباب وأصارته حولته وغيرته وجعلته ولقى وقد وردت في المقامة السابقة أي الملقى الطريح الذي لا يستطيع القيام والنهوض ويعافه أي يمجّه ويتجنّبه ويمقته ويكرهه يقول وكم من ليلة قضاها وهو يقبل الناعمات الحسناوات ويقبلنه ويفدينه بكل غال وظل هكذا والدهر يجرّده من قوته ويسلبه صلابته حتى صار طريحاً يكرهه من كان منه قريباً وشغوفاً به.

(2) الراقي من يصنع الرقى والواحدة رقية وهي ما يكتب أو ينطق به من معميات سحرية الغاية منها إبراء المريض والتحليل هنا هو جعل المرء في حل من الشيء أي تخليصه منه والداء المرض وأعيا أي أعجز وأتعب والطبيب هو الآسي الذي ينظر في الأمراض ويصف لها الأدوية والعلاجات وصارم أي هجر وقاطع والبيض النساء الحسان والمجاب من يقول فيطاع من أجاب إذا ردّ على النداء ولبّاه وآض أي رجع وعاد والمنكوس من نكس أي عاد إلى ما كان عليه من ضعف والنكس في المرض أن يبرأ المريض ثم يعود فيمرض ثم يبرأ ثم يمرض والدواهي والواحدة داهية أي المصيبة والنازلة ودواهي المشيب مصائبه من هرم وضعف وادواء ومسجّى =

ثمّ إنهُ أعلنَ بالنّحيبِ، وبكى بُكاءَ المُحبّ على الحَبيبِ. ولما رقأتْ دمعَتُهُ، وانْفثأتْ لوْعَتُهُ، قال[1]: يا نُجعَةَ الرّوادِ، وقُدوَةَ الأجْوادِ! واللهِ ما نَطَقْتُ ببُهْتانٍ، ولا أخبَرْتُكُمْ إلا عنْ عِيانٍ. ولوْ كان في عَصايَ سيْرٌ، ولغَيمي مُطَيْرٌ؛ لاستأثَرْتُ بما دعَوْتُكُمْ إليْهِ، ولما وقَفْتُ موقِفَ الدّالّ علَيْهِ. ولكنْ كيفَ الطّيرانُ بلا جَناحٍ، وهلْ على منْ لا يجِدُ منْ جُناحٍ[2]؟

قال الرّاوي:

فطفِقَ القومُ يأتَمِرونَ، في ما يأمُرونَ، ويتخافَتونَ، في ما يأتُونَ. فتوهّمَ أنهُمْ يتمالَؤون على صَرْفِهِ بحِرْمانٍ، أو مُطالَبَتِه ببُرْهانٍ. ففرطَ منهُ أنْ قال[3]: يا يلامِعَ القاعِ، ويَرامِعَ البِقاعِ! ما هذا الارْتِياء، الذي يأباهُ الحَياء؟ حتى كأنّكُمْ كُلّفْتُمْ مشَقّةً، لا شُقّةً! أوِ استُوهِبتُمْ بلدَةً، لا بُرْدَةً! أو هُزِزْتُمْ لكِسوَةِ البيْتِ، لا لتَكْفينِ الميْتِ[4]!

= من سجّى الميت إذا غطاه ويرغب أي يريد والتكفين لف الجثمان بالكفن يقول لقد أعيا الطبيب وأتعبه حاله وأعجز الراقي وهجرته الجميلات بعد أن كان يقول فيجاب وعاد كالمريض المتردد بين العافية والعلة وهذا حال من يطول به العمر وتتابه مصائب الهرم على أنه الآن ميت مسجّى فهل من كريم يود المشاركة في تكفين غريب الديار ذاك.

(1) أعلن بالشيء أي جهر به والنحيب رفع الصوت بالبكاء ورقأت الدمعة أي ارتفعت وانقطعت وانفثأت أي سكنت وسكنت واللوعة.

(2) الحرقة النجعة وقد تقدمت مراراً ما يقصد ويراد من مرعى والرواد الطلاب والقصّاد والقدوة المثال والأجواد والواحد جواد السخي الكريم والبهتان الكذب والمحال والعيان ما رأته بالعين والسير في العصا شراك من جلد يدخل في ثقب في رأسها ويعقد منه حلقة يدخل فيها المرء يده فتكون أشدّ لاعتماده عليها وضربه بها والعبارة مثل عربي قديم يضرب لمن كان بلا حول ولا قوة والمطير تصغير المطر والمراد به المال والمعنى يوافق ما تقدّم لاستأثرت أي لآثرت نفسي واختصصت بالأمر وانفردت به من دونكم والجناح الإثم.

(3) طفق أي أخذ وجعل ويأتمرون أي يتشاورون في الأمر ويتخافتون أي يتناجون ويتحدثون بصوت خافت ويسرّون الكلام وما يأتون أي ما سيفعلون وتوهم أي ظن وحسب ويتمالؤون من مالأ ممالأة ومِلاءً أي ساعد وأعان وصرفه أي ردّه وبحرمان أي محروماً والبرهان الدليل وفرط سبق.

(4) اليلامع والواحد يلمع السراب يحسبه الناظر ماء وليس كذلك والقاع منخفض الأرض والقعر والأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال واليرامع والواحدة يرمع وهي الحصاة البيضاء أو =

أُفٍّ لمَنْ لا تَنْدى صَفاتُهُ، ولا ترْشَحُ حَصاتُهُ! فلمّا بصُرَتِ الجَماعَةُ بذِلاقَتِهِ، ومرارَةِ مَذاقَتِهِ؛ رفاْهُ كُلٌّ منْهُمْ بنَيْلِهِ، واحتَمَلَ طلَّهُ خوْفَ سيْلِهِ[1].

قال الحارثُ بنُ همّام:

وكان هذا السّائلُ واقِفاً خلْفي، ومُحتَجِباً بظهْري عنْ طرْفي. فلمّا أرْضاهُ القومُ بسَيْبِهِمْ، وحقّ عليّ التّأسّي بهِمْ؛ خلَعْتُ خاتَمي من خِنصِري، ولفتّ إليهِ بصَري؛ فإذا هوَ شيخُنا السَّروجيُّ بِلا فِريَةٍ، ولا مِرْيَةٍ! فأيقَنْتُ أنّها أكذوبَةٌ تكذّبَها، وأُحبولَةٌ نصبَها[2]. إلا أنّني طويْتُهُ على غَرّهِ. وصُنْتُ شَغاهُ عنْ فرّهِ؛ فحَصَبْتُهُ بالخاتَمِ، وقلتُ: أرصِدْهُ لنفَقَةِ المأتَمِ! فقال: واهاً لكَ! فما أضْرَمَ شُعْلَتَك، وأكْرَمَ فَعْلَتَكَ! ثمّ انطلَقَ يسْعى قُدُماً، ويهرْوِلُ هرْولَتهُ قِدْماً[3]! فنزَعْتُ إلى عِرْفانِ ميّتِه، وامتِحانِ دعْوى

= الحجر الرخو والبقاع واحدتها بقعة والعبارتان تسيران مسرى المثل في من ليس مظهره كمخبره والارتياء المشاورة وتدبير الرأي ويأباه ينكره ويرفضه ويأنفه والمشقّة العناء والشقّة الثوب غير مخيط واستوهبتم طلب إليكم أن تهبوا أي تعطوا والبردة الكساء يرتدى به وهززتم أي حرّكتم وكسوة البيت ما تكسى به الكعبة.

(1) أف اسم فعل للتكرّه والتضجر وفي سورة الإسراء في الآية 33: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾. وفي سورة الأنبياء الآية 67: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ وكذلك في سورة الأحقاف الآية 17: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ وندى أي ابتل والصفاة الصخرة الملساء العظيمة وترشح من رشح أي عرق وندي وتحلّب منه الماء أو ما شاكله والحصاة الحجر وذلك كناية عن يد البخيل الكزّ وبصرت أي رأت وعاينت ووقفت على الشيء والذلاقة فصاحة اللسان ولسان ذلق أي ذرب ورفأ الثوب أصلحه ورتقه ورفأه حاباه والنيل العطاء واحتمل أي تحمّل والطلّ المطر القليل والندى والسيل عكس ذلك أراد بأ كل واحد وصله متحملاً القليل من حدة لسانة ليجتنب ويتقي معرّة المزيد والأشد إيلاماً.

(2) محتجباً أي مستتراً وطرفي أي بصري والسيب العطاء وحقّ عليّ أي صار لازماً وواجباً والتأسّي التمثل والاقتداء وخلعت أي جذبت ونزعت والخنصر أصغر الأصابع ولفتّ أي رددت وبصري أي نظري والفرية اسم من الافتراء وهو اختلاق الكذب والمرية الريب والشك وأيقنت أي تأكدت وتحققت والأكذوبة الكذبة وتكذّبها أي فعلها والأحبولة الفخ والشرك بهما يصاد.

(3) طويته أي لففته وعلى غرّه أي على طيّه الأول والغرّ كسور الثوب واطو الثوب على غرّه أي على كسور طيّه والمراد تعام واترك الأمر على ما كان عليه وصنت أي حميت وشغاه أي عيبه فرّه وقد تقدّم ذلك فحص أسنان الفرس لمعرفة سنها والشغا عيب كبروز سن أو خروج حنك ومؤدى =

حميّتِهِ؛ فقرَعْتُ ظُنبوبي، وألْهبْتُ ألْهوبي، حتى أدركْتُه على غَلوَةٍ، واجتَلَيْتُهُ في خَلوَةٍ. فأخَذْتُ بجُمْعِ أرْدانِه، وعُقْتُهُ عن سُنَنِ مِيْدانِهِ، وقلتُ لهُ[1]: واللهِ ما لك منّي ملْجأٌ ولا منْجًى، أو تُريني ميْتَكَ المُسَجّى! فكشفَ عنْ سراويلِه، وأشار إلى غُرْمولِهِا فقلتُ لهُ: قاتلَكَ اللهُ فما ألْعبَكَ بالنُهى، وأحيَلَكَ على اللُّهَى! ثمّ عُدْتُ إلى أصحابي عوْدَ الرّائِدِ الذي لا يكذِبُ أهلَهُ، ولا يُبَرقِشُ قولَهُ؛ فأخبَرْتُهُمْ بالذي رأيتُ، وما

= العبارة انه ستر عليه ولم يعرّف عنه وحصبته أي رميته بالشيء وكأنني أرجمه به فالحصباء الحصى الصغار وأرصده فعل أمر من رصد بمعنى أعدّه وهيّاه ووقفه في سبيل أمر ما وواهاً له ويه كلمة تعجب من طيب الشيء كأن تقول أعجب به ما أطيبه وتأتي للتلهف كقولنا واهاً على ما فات ما أضرم أي ما أشد اشتعال والتهاب نارك والشعلة لسان النار وانطلق مضى ويسعى أي يمشي وقدماً إي إلى قدام أي إلى الأمام ويهرول أي يسرع في مشيه وقِدماً أي قديماً يعني أنه يسرع كما أسرع في السابق.

(1) نزع إلى الشيء حنّ واشتاق ورغب وعرفان أي معرفة والامتحان الاختبار والتحقق والدعوى الزعم من الادّعاء والحميّة الأنفة والغيرة والمروءة والنخوة وقرعت أي ضربت والظنبوب مقدّم عظم الساق وقرع الظنبوب مثل يقال للتعبير عن السرعة في السير يقول الشريف الرضي:

لا تَصْحَبِ الدّهرَ إلاّ غيرَ مُنتَظِرٍ ... فالهم يطرده قرع الظنابيب.

ويقول سلامة بن جندل:

كنّا، إذا ما أتانا صارخٌ فزعٌ ... كان الصُراخُ له قرعَ الظنابيبِ.

وألهب الفرس إذا اشتد جريه وعدوه حتى يثور الغبار والمعنى أنه حثه بقوة والألهوب شدة الجري واجتهاد الفرس في عدوه حتى يثير الغبار أو يخرج من حوافره النار. يقول امرؤ القيس:

فللساق ألهوبٌ وللسوط درةٌ ... وللزجر منه وقع أهوج منعب.

ومعنى البيت أنه إذا حركه أي حرك الحصان بساقه ألهبه جرياً وأما السوط فيدرّ الجري وإذا زجره وقع الزجر منه موقعه من الأهوج الذي لا عقل له فيشتد جرياً وعدواً وأما المنعب فالمستعين بعنقه عند الجري.

وأدركته أي لحقت به والغلوة مقدار رمية السهم واجتليته أي نظرته والخلوة الخلاء وأخذت بالشيء أمسكت به وجمع الشيء كله والأردان والواحد ردن وهو أصل الكم أو طرفه الواسع وعقته أي أخرته وصرفته والسنن الطريقة والميدان موضع الجري والعدو يقول لقد شاقني أن أقف على حقيقة ما ادعاه وأن أرى ميته فمضيت أعدو وأشتد عدواً خلفه حتى لحقت به بعد مسافة ورأيته في خلوة فأخذت بكمه وأخرته عن ركضه.

ورّيتُ ولا رأيتُ! فقَهْقهوا منْ كَيْتَ وكَيْتَ، ولعَنوا ذلِكَ المَيْتَ[1]!

(1) الملجأ الموضع يلجأ إليه والمنجى الموضع ينجو المرء فيه والمسجّى وقد تقدّم الميت وقد غطّي والسراويل والواحد سروال لباس يستر النصف الأسفل من الجسم وأشار أي أومأ بيده أو بغير ذلك والغرمول قضيب الفرس أو الحمار ويقول الفيرزوآبادي: الغُرْمُوْل الذَّكَرُ الضخْمُ الرِّخْوُ. والغَرَامِيْل هَضَباتٌ حُمرٌ، الواحِدُ غُرْمُولٌ. ويرثي ابن الحجاج امرأة سقطت من على سطح فيقول مبيناً حقيقة ما جرى:

عفا الله عنها إنها يوم ودّعت — أجل فقيد في التراب مغيّبِ
ولو أنها اعتلّت لكان مصابها — أخفّ على قلب الحزين المعذّبِ
ولكن رأت في الأرض أفعى مجندلا — على قدر غرمول الحمار المشعّبِ
فظنّته أيراً والظنون كواذبٌ — إذا أخبرت عن علم ما في المغيّبِ

هذا ومن شاء معرفة الأسماء ونسبتها فعليه بفقه اللغة للثعالبي حتى يقف على الأمر ويكون على بينة فلا يخلط الغرمول بالجردان وهذا الأخير بغيره. والنهى العقول والواحد نهية وأحيلك أي ما أشد حيلتك واللهى والواحدة لهوة وهي العطية وأصلها القبضة من الحب يلقيها الطاحن في فم الرحى والرائد الذي يطلب الكلأ والماء فيرتاد نيابة عن أهله وعشيرته الأرض حتى إذا وجد مراده ومبتغاه أخبرهم فقصدوا المكان وعبارة الرائد لا يكذب أهله مثل عربي قديم ومعناه على ما جاء في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: الرائد الذي يتقدم القوم لطلب الماء والكلأ لهم فإن كذبهم أفسد أمرهم وأمر نفسه معهم لأنه واحد منهم يضرب مثلاً للنصيح غير المتهم على من تنصح له وأصله في العربية من قولهم راد يرود إذا جاء وذهب ونظر يميناً وشمالاً ومن ثم قيل ارتاد الشيء إذا طلبه لأن الطالب يتردد في حاجته حتى ينالها ويبرقش أي يزيّن ويزخرف وورّيت أي تكلمت تورية أو سترت القول وأظهرت غيره وراءى أي استعمل الرياء والقهقهة الإغراق في الضحك وكيت وكيت كناية عن الجمل في الحديث ولا تستعملان إلا مكررتين مع العطف بينهما أو بدونه وتأتيان بمعنى كذا وكذا.

أما الفقيد الغالي الملعون على لسان الجماعة في ختام المقامة أي متاع السروجي فلقد سبقه فقيد آخر في العربية يخص راشد بن إسحاق الذي وقف الكثير من شعره في رثاء فقيده العزيز وقد جمع ذلك ديوان صدر منذ قليل وأرى مع الشريشي أن لأبي حكيمة راشد بن إسحاق أثره في هذه المقامة. ومهما يكن وجه الأمر فانني سأثبت هنا شيئاً من شعره. يقول وهو من أجمل ما قرأت في هذا المعنى:

ينام على كف الفتاة وتارةً له — حركاتٌ ما يحسّ بها الكفُّ
كما يرفع الفرخ ابن يومين رأسه — إلى والديه ثم يدركه الضعفُ

ويقول:

يحسدني إبليس داءين أصبحا — برأسي وجسمي دملاً وزكاما
فليتهما كانا به وأزيده — زمانة أير لا يطيق قياما
إذا انتبهت للنيك أرباب معشرٍ — توسّد إحدى خصيتيه وناما

المقامة الرّازيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

عُنيتُ مذْ أحْكَمتُ تَدبيري، وعرَفْتُ قَبيلي منْ دَبيري؛ بأنْ أُصْغيَ إلى العِظاتِ، وأُلْغيَ الكَلِمَ المُحْفِظاتِ؛ لأتحلّى بمَحاسِنِ الأخْلاقِ، وأتخلّى ممّا يَسِمُ بالإخْلاقِ[1]. وما زِلتُ آخُذُ نفْسي بهذا الأدَبِ، وأُخْمِدُ بهِ جمْرَةَ الغضَبِ، حتى صارَ التطبُّعُ فيهِ طِباعاً، والتكلّفُ لهُ هوًى مُطاعاً. فلمّا حللْتُ بالرَّيّ، وقد حللْتُ حِبى الغَيّ، وعرَفْتُ الحَيَّ منَ اللّيّ[2]؛ رأيتُ به ذاتَ بُكرةٍ، زُمرةً في إثْرِ زُمرَةٍ؛ وهمْ مُنتَشِرونَ انتِشارَ الجرادِ، ومُستَنّونَ استِنانَ الجِيادِ، ومتواصِفونَ واعِظاً يقصِدونَهُ، ويُحِلّون ابنَ سَمْعونَ دونَهُ[3]. فلمْ يتكاءدْني لاستِماعِ المَواعِظِ، واختِيارِ الواعِظِ، أنْ

---

(1) عني بالشيء اهتم به وأولاه عنايته وأحكم الشيء أتقنه وأجاده والقبيل والدبير ما يقبل عليه المرء أو يدبر عنه من أمر والمراد ما يضر وينفع وأصغى إلى الحديث أمال رأسه إليه وأحسن الاستماع والعظات والواحدة عظة هي الموعظة وألغي أي أطّرح وأنبذ والكلم واحدها كلمة والمحفظات من أحفظ إذا أغضب وأسخط وتحلّى أي تزين وتخلى أي نبذ وترك ويسم أي يترك وسماً أي علامة وأثراً والإخلاق من أخلق إذا أوهن ومزّق وأبلى.

(2) أخذ نفسه بالشيء راضها عليه والتزم به وأخمد أي أطفئ والتطبّع تكلّف طبيعة غير تلك التي هي أصل في المرء والطباع السجايا وتكلّف الشيء فعله بمشقة وجهد والريّ مدينة قديمة في شمال إيران جنوب شرقي طهران فتحها العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام 642 م وحلّ الحبى تقدّم ذكره مراراً وهو كناية عن ترك الغي أي الضلال والحي من حويت الشيء أي حزته وجمعته واللي من لويت الرجل أي مطلته ومنعته حقه فالحي مدح واللي ذم والعرب تقول لا يعرف الحي من اللي أو الحو من اللو لمن تستجهله وتنفي عنه الفطنة ولكنه إذا عرف المرء الحي واللي فلقد عرف الخير والشر والنافع والضار.

(3) البكرة أول الصبح إلى طلوع الشمس وفي سورة مريم الآية 11: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ =

أُقاسيَ اللاّغِطَ، وأحتمِلَ الضّاغِطَ. فأصْحبْتُ إصْحابَ المِطْواعَةِ، وانخرطْتُ في سِلْكِ الجَماعَةِ[1]. حتى أفضيْنا إلى نادٍ حشَدَ النّبيهَ والمغْمورَ، وفي وسَطِ هالَتِهِ، ووسْطِ أهِلّتِهِ؛ شيخٌ قد تقوّس واقْعَنْسَسَ، وتقلْنَسَ وتطلّسَ، وهوَ يصدَعُ بوعْظٍ يشْفي الصّدورَ، ويُلينُ الصّخورَ. فسمِعْتُهُ يقولُ، وقدِ افتَتَنَتْ بهِ العُقولُ[2]:

= ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ والزمرة الجماعة وفي إثره أي خلفه أو ما يليه وقريباً منه ومنتشرون أي متفرقون والجراد الحشرة المعروفة سميّت كذلك لأنها تجرد الأرض من النبات ومستنون من الاستنان للحصان أي العدو والقمص إقبالاً وإدباراً من نشاط أو زعل واستن الماء انصب واستنّ به الهوى ذهب به كل مذهب والجياد الخيل وواحدها جواد وهو الحصان ومتواصفون أي يصف واحدهم للآخر والواعظ المحدّث والقاصّ الذي يقف فيعظ الخلق فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحذّرهم العقاب وأحلّ الشخص أي أنزله منزلاً ورتبة وابن سمعون هو أبو الحسين، محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عنبس بن سمعون (300 - 387هـ = 912 - 997 م) ،زاهد واعظ، يلقب «الناطق بالحكمة» مولده ووفاته ببغداد.

(1) كأد كأداً أي كثب والكأداء الشدة والحزن والحذار والليل المظلم والصعبة الشاقة المصعد كقولهم عقبة كأداء ولم يتكاءدني أي لم يشق ويصعب عليّ والاختبار مرّ وتقدّم وهو الامتحان والتجريب وقاسى مقاساة كابد وعانى وفي رواية أقاصى من قاصى أي أقصى وأبعد وباعد وأراه بالسياق أشبه واللاغط من لغط أي صاح بكلام لا يفهم واللغط الجلبة وما لايفهم من أصوات واحتمل الشيء صبر عليه والضاغط المزاحم الذي يضغط حتى يضيق وينقطع النفس من المضغوط يقول إنه لم يبال بجلبة اللاغطين ولا ضغط الضاغطين في سعيه للدنو من الواعظ وأصحبت من أصحب إذا اتخذ أصحاباً والمطواعة والمطواع المتناهي في الطاعة والانقياد وانخرط في الأمر ركب رأسه فيه متهوراً وانخرط في المكان دخل فيه مسرعاً يقول وانقدت كما انقاد المنقادون ودخلت في الجماعة مسرعاً فصرت منهم.

(2) أفضى إلى المكان وصله وبلغه والنادي المجلس والأمير أي الحاكم والمأمور من يأتمر بالأمر والمراد العامة من الناس وحشد أي جمع النبيه وهو من له ذكر وشهرة والمغمور المجهول والنكرة والخامل الذكر والهالة دائرة تكون حول القمر وهي هنا الناس وقد تحلّقوا حول الخطيب الواعظ والأهلّة أي السادة الأشراف في ذلك الجمع أو المجلس وتقوّس أي انحنى كالقوس واقعنسس أي احدودب من الهرم وفي الاشتقاق لابن دريد: اقْعَنْسَسَ الرجلُ، إذا أدخلَ أرسَه في عنقه وانقبضَ. قال الراجز: بئسَ مَقام الشّيخ أمرِسْ أمرِسِ إمّا على قَعْوٍ وإمّا اقعنسس أمرِسْ، أي سَوِّ المرَس على المَحالة، وهو الحبل. والمَحالة: البَكرة العظيمة. وأمّا اقعنسس ادخُل تحتَها. والقَعْو: الحديدة التي تَدُور عليها البَكْرة وتقلنس أي اعتمر القلنسوة على رأسه وتطلس أي لبس الطيلسان وهو كساء أخضر يلبسه الخواص والصدع الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط=

إبنَ آدمَ ما أغْراكَ بما يغُرُّك، وأضراكَ بما يضُرُّك! وألْهجكَ بما يُطْغيكَ، وأبهجَكَ بمنْ يُطريكَ! تُعْنى بما يُعَنّيكَ، وتهمِلُ ما يعْنيكَ! وتنزِعُ في قوْسِ تعدّيكَ، وترْتَدي الحِرْصَ الذي يُرْديكَ[1]! لا بالكَفافِ تقْتَنِعُ، ولا منَ الحَرامِ تمْتَنِعُ، ولا للعِظاتِ تستَمِعُ، ولا بالوَعيدِ ترْتَدِعُ! دأبُكَ أنْ تتقلّبَ معَ الأهْواء، وتخبِطَ خبْطَ العَشْواء[2]! وهمُّكَ أن تدأبَ في الاحتِراثِ، وتجْمَعَ التُراثَ للوُرّاثِ! يُعجِبُكَ التّكاثُرُ بما لدَيكَ، ولا تذكُرُ ما بينَ يدَيْكَ! وتسعى أبداً لغارَيْكَ، ولا تُبالي ألَكَ أمْ علَيكَ! أتظُنّ أنْ ستُترَكُ سُدًى، وأن لا تُحاسَبَ غداً[3]؟! أم تحْسَبُ أنّ الموتَ يقبَلُ

= ويقال في غير الصلب كالنهر والفلاة فيقال صدعهما أي قطعهما بسيره ومنه الصداع كأنه شق في الرأس ومن هذا كله سيق المعنى إلى المعنوي فصار الصدع الفصل بين الحق والباطل والجهر بالحق وهو المراد هنا وفي سورة الحجر الآية 94: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾. أي فاجهر بالحق وافتتنت به أي أعجبت به واستمالها. .

(1) ما أغراك ما أشد ولعك ويغرّك يخدعك ويضلك وما أضراك أي ما أجسرك وأجراك وألهجك من لهج بالشيء أي أغري به وثابر عليه ويطغيك أي يجعلك ظالماً طاغياً متجاوزاً الحد والقدر وأبهجك أي ما أشد سرورك وفرحك ويطريك أي يمدحك ويثني عليك في وجهك وتعنى أي تهتم وتشتغل ويعنيك أي يجعلك في عناء ويتعبك وتهمل تترك أو تصرف النظر عما يعنيك أي يخصك ويلزمك وتنزع أي تجذب وترمي والتعدي الظلم وتجاوز الحد وترتدي أي تلبس من الرداء وهو الثوب والحرص أسوأ الطمع ويرديك أي يميتك ويهلكك.

(2) الكفاف ما يكفي من القوت وتقتنع أي تقنع وتجتزئ والحرام كل ما حرّمه الله وتمتنع أي تمنع نفسك والوعيد التهديد والوعد بالشر وقد ورد لفظ الوعيد بهذا المعنى مراراً في القرآن وهو ما يشير إليه الواعظ وترتدع أي تنزجر وتكفّ من ردع والدأب العادة والديدن والأهواء واحدها هوى وهو الميل وتخبط أي تسير على غير هدى وخبط العشواء هو سير الناقة التي لا تبصر. يقول زهير بن أبي سلمى في معلقته:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب ... تمته ومن تخطئ يعمر فيهرم

(3) الاحتراث الكسب والتراث المال الموروث أو ما يترك الميت خلفه بعامة من ميراث والوراث أي الورثة والتكاثر أي التفاخر والمباراة في جمع الأموال وفي سورة الحديد الآية 20: ﴿وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾. وفي سورة التكاثر الآية 1: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾. أي شغلكم عن دينكم الفخر بالمال والتباري في جمعه وما بين يديك أي ما هو أمامك ويريد بذلك الآخرة ويوم الدين. وتسعى من سعى أي قصد وعمل للشيء ولغاريك يعني لفمك وفرجك أي تسعى لتسد وتقضي شهوة فمك وفرجك وتبالي أي تأبه وتهتم وقوله ألك أم عليك يعني لا تأبه وتلتفت إلى =

الرُّشَى، أو يُميّزُ بين الأسدِ والرّشا!؟ كلاّ واللهِ لنْ يدفَعَ المَنونَ، مالٌ ولا بَنونَ! ولا ينفَعُ أهلَ القُبورِ، سِوى العمَلِ المبْرورِ[1]! فطوبى لمَنْ سَمِعَ ووَعى، وحقّقَ ما ادّعى! ونهى النّفْسَ عنِ الهوَى، وعلِمَ أنّ الفائِزَ منِ ارْعَوى! وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى، وأنّ سعيَهُ سوفَ يُرى!

ثمّ أنشدَ إنْشادَ وجِلٍ، بصوتٍ زجِلٍ[2]:

لعَمرُكَ ما تُغني المَغاني ولا الغِنى ... إذا سكَنَ المُثري الثّرَى وثوَى بهِ
فجُدْ في مَراضي اللهِ بالمالِ راضِياً ... بما تقْتَني منْ أجرِهِ وثوابِهِ
وبادِرْ بهِ صرْفَ الزّمانِ فإنّهُ ... بمِخلَبِهِ الأشغى يغولُ ونابِهِ[3]

= أمرك وتتبين ما إذا كان ما تعمله لك أي عملاً يحسب حسنة في حسناتك أو عليك أي سيئة في حساب سيئاتك. يقول همك الكسب ولكنك تجمع لمن سيرثك بعد أن تخلّف ما جمعته وراءك وأنت مفتون بمالك تفخر به وتنسى يوماً ستحاسب فيه وتقصر همك على بطنك وفرجك ولا تأبه لعاقبة فعلك وهل ستكون مما يثقل ميزانك يوم الحساب. وأتظن أي أتحسب وسدى أي مهملاً لا يجازى من أسدى الإبل إذا أهملها والعبارة تلاحظ الآية 36 من سورة القيامة: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾.

(1) الرشى والواحدة رشوة العطية تدفع بها مضرة من يقدر عليك من رشا رشوا ويميّز أي يفرق والأسد الحيوان المعروف والرشا الغزال ويدفع أي يرد ويصد والمنون الموت والبنون الأولاد وفي العبارة إشارة إلى الآية 88 من سورة الشعراء: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾. وأهل القبور الأموات والعمل المبرور العمل الصالح المتقبّل.

(2) طوبى لفظ يعني الغبطة والخير والسعادة ووعى أي لقن وفهم الأمر وحقق أي تيقن وادعى أي زعم يقول وهنيئاً لمن سمع وفهم وتيقن من صحة دعواه في إيمانه أو حفظه ونهى النفس عن الهوى عبارة قرآنية من سورة النازعات الآية 40 أي نهى النفس وصدها عن ميلها والفائز أي الظافر وارعوى أي رجع وتاب وأما العبارة التالية فتضمين يكاد أن يكون كاملاً لما جاء في الآيتين 39 - 40 من سورة النجم: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾. والوجل الخائف والزجل من الصوت الشديد والمرتفع المطرّب اللاعب.

(3) لعمرك بمعنى اقسم بحياتك ما تغني أي ما تجدي ولا تنفع والمغاني المنازل والغنى الثروة والمثري الغني والثرى التراب كناية عن الموت والانتهاء إلى قبر يدفن فيه المرء وثوى أي حل ونزل وأقام به. نشير إلى أنه رسم فعل ثوى بالألف ليطابق القوافي التالية وجد فعل أمر من جاد أي اسخ وأعط واقتنى أي اتخذ كأن يقتني بيتاً أو دابة أو أي شيء ولكنه هنا بمعنى اكتسب =

ولا تـأمَـنِ الـدهْـرَ الـخـؤونَ ومَـكْـرَهُ   فـكـمْ خـامِـلٍ أخْـنـى عـلـيـهِ ونـابِـهِ
وعـاصِ هوى النّفسِ الذي ما أطاعَهُ   أخـو ضِـلّـةٍ إلا هـوى مـن عِـقـابِـهِ
وحـافِـظْ عـلـى تـقْـوى الإلـهِ وخـوفِـهِ   لـتـنْـجـوَ مـمـا يُـتّـقـى مـنْ عِـقـابِـهِ(1)
ولا تـلْـهُ عـن تَـذكـارِ ذنـبِـكَ وابـكِـهِ   بدمعٍ يُضاهي المُزْنَ حالَ مَصابِهِ(2)
ومـثّـلْ لـعـيـنَـيْـكَ الـحِـمـامَ ووقْـعَـهُ   وروْعَـةَ مَـلْـقـاهُ ومـطْـعَـمَ صـابِـهِ
وإنّ قُـصـارى مـنـزِلِ الـحـيّ حُـفـرَةٌ   سـيـنْـزِلُـهـا مُـسـتَـنْـزَلاً عـن قِـبـابِـهِ
فَـواهـاً لـعـبْـدٍ سـاءهُ سـوءُ فـعـلِـهِ   وأبـدى الـتّـلافـي قـبـلَ إغـلاقِ بـابِـهِ(3)

= وحاز يقول واسخ وتكرم بمالك في سبيل الله لكي تقتني أي تكسب أجره وثوابه وبادر أي وسارع وبه تعود إلى المال وصرف الزمان أحداثه وتصرّفه وخطوبه والمخلب للطائر الكاسر بمقام الظفر للإنسان والأشغى المعوج وهو أيضاً ذو الشغا أي من له في فمه سن زادت طولاً أو مالت عن رفيقاتها ولكن المعنى الأول هو المراد ويغول أي يهلك ونابه والهاء تعود إلى صرف الزمان والناب للسبع.

(1) الخؤون أي الخائن الكثير الخيانة والخامل النكرة ومن لا شهرة له والمغمور ولا نباهة أخنى عليه أي أفسد أمره وأخنى عليه الدهر أتى عليه وطال وأهلكه يقول لسان الدين بن الخطيب: عهود أنس وأيام لنا انصرمت أخنى عليها الذي أخنى على لبد. ويقول الشريف الرضي: أرَى بَغدادَ قَدْ أخنَى عَلَيهَا وصبحها بغارته الجليد. والنابه نقيض الخامل فهو الفطن والمشهور وعالي القدر وعاص فعل أمر بمعنى عاند ولا تطع وأخو الضلّة أي الضال فالضلّة هي الضلالة وهوى أي سقط والعقاب والواحدة عقبة الجبل والمكان المرتفع الممتنع وعقابه الثانية نقيض الثواب وهو جزاء الشر أي ما يأتي عقبه أي بعده يقول ولا تركن إلى الدهر فهو خائن وماكر لطالما أتى على الوضيع والرفيع وعاند نفسك ولا تطعها في هواها فما أطاع هوى النفس ضال إلا سقط من عليائه وصن تقوى الله وهي اتقاء الله أي الاحتماء منه ومن غضبه بما يرضيه وخف ربك دائماً كي تفلت من عقابه المخيف.

(2) اللهو الاشتغال عن الشيء بهوى أو طرب أو ما شاكل ويضاهي يساوي ويعادل ويشابه والمزن السحاب الممطر وفي رواية الوبل وهو المطر الغزير وحال مصابه أي حال انسكابه وهطله. يقول ولا تنس ذنبك وتذكره وابكِ بدمع ينهمر انهمار المطر حين يهطل.

(3) مثل الشيء شخّصه وصوّره والحمام الموت ووقعه أي أثره وفعله وروعة ملقاه أي الخوف الشديد عند لقائه والمطعم المذاق والصاب شجر مرّ شديد المرارة وقيل هو الحنظل وطعمه مر. يقول ابن هانئ الأندلسي:
ولـقـد حـلـبـتُ الـدّهـرَ أشـطـرهُ   فـالأعـذَبـانِ الـصّـابُ والـصَّـبِـر =

قال: فظلّ القوْمُ بينَ عَبْرَةٍ يُذْرونَها، وتوْبَةٍ يُظهِرونَها، حتى كادَتِ الشمْسُ تَزولُ، والفَريضَةُ تَعولُ. فلمّا خشعَتِ الأصْواتُ، والتأمَ الإنْصاتُ، واستكَنّتِ العبَراتُ، والعِباراتُ، استصرخ مستصرخ بالأمير الحاضر، وجعل يجأر إليه من عامله الجائر، والأمير صاغٍ إلى خصمهِ، لاهٍ عَن كشْفِ ظُلْمِهِ. فلما يئس من روْحِهِ، استنهض الواعظ لنصحهِ؛ فنهض نهضَةَ الشّمّير، وأنشد مُعرِّضاً بالأمير(1):

عــجــبــاً لــراجٍ أن يــنــال ولايــة   حــتــى إذا مــا نــال بــغــيــتــه بــغــى
يُسْدِي ويُلْحِمُ في المظالمِ والغاً   في وِرْدِها طوْراً وطوْراً مُولِغا(2)

= ويقول علي بن محمد التهامي:

ظبي تجرَّعتُ من تمنعه قدّ   ما من الصاب في الهوى جرعا.

ويقول محمود سامي البارودي:

يغدو الفتى لاهياً بعيشتهِ   وليسَ يدرى ما الصَّابُ والضرَبُ

وقصارى الشيء غايته ومنتهاه ووسعه والحفرة هنا هي القبر ومستنزلاً أي نازلاً منحطاً من غير إرادة ومن قبابه كناية عن مقامه العالي ولواحدة قبة ويراد بها ما يشيد المرء من بناء وواهاً أي عجباً أو ما أعجب وتقال استحساناً والعبد الإنسان بعامة وساءه أي آذاه وآلمه وأبدى أي أظهر وأبرز والتلافي التجنب وتدارك ما فات والهاء في بابه عائدة للتلافي يقول وما أحسن فعل عبد علم إنه قد اقترف سوءاً أو كبيرة فتدارك الأمر قبل أن يغلق الباب ويوصد في وجهه.

(1) العبرة أي الدمعة ويذرونها أي يصبونها والذري يكون للحب لفصل البر عن القش والفريضة ما فرض الله على عباده وهي هنا الصلاة وتعول من عال وعال الميزانُ أي نقص وجار وعاله الأمرُ إذا ثقل عليه وأهمّه والصلاة تعول حين يضيق وقتها ويدنو ويقترب وقت الصلاة التي تليها وخشعت أي هدأت وسكنت والتأم القوم اجتمعوا والجرح التحم وبرأ والتئام الإنصات وهو الاستماع إلى ما كان عليه وكأن بكاء القوم قد جرحه وشقّه واستكنت أي اختفت واستترت والعبرات الدموع والعبارات الجمل وهي هنا الكلام واستصرخ أي صرخ مستغيثاً مستنداً وجأر أي صاح والعامل من يعمل في خدمة الأمير وقد ولاّه على القوم والجائر الظالم الطاغي وصاغ أي مصغ مستمع ولاه أي ملته مشغول وكشف الظلم إزالته وإنصاف المظلوم ويئس أي قنط وفقد الأمل والروح رحمة الله ونسيم الريح والراحة والفرح والسرور وروحه أي رحمته وفي سورة يوسف في الآية 87: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَٰفِرُونَ﴾. واستنهض أي طلب النهوض والقيام والشمّير الماضي في أموره ومعرّضاً من التعريض وهو ان تخاطب شخصاً وتريد آخر كما جاء في المثل« إيّاك أعني وافهمي يا جارة».

(2) الراجي المؤمل والطالب وينال أي يحصل ويحوز والولاية منصب الوالي وهو حاكم البلد =

ما إنْ يُبَالي حينَ يتّبِع الهوى فيها ٱلأصلحَ دِينهُ أم أوْتَغا
يا ويْحَهُ لو كان يُوقِنُ أنَّهُ ما حالةٌ إلاّ تَحُولُ، لَمَا طَغى
أو لو تبيّنَ ما نَدامةُ منْ صَغا سَمْعَاً إلى إفكِ الوشَاةِ لما صَغا[1]
فانْقَدْ لمن أضحى الزمام بكفّهِ وتغاضَ إن ألغى الرعاية أو لغا
وارْعَ المِرارَ إذا دعاك لرعيه ورِدِ الأُجاج إذا حماك السيّغا
واحمل أذاه ولو أمضّكَ مسّهُ وأسالَ غربَ الدمعِ منك وأفرَغا[2]

= والمتسلّط عليها يعيّنه الخليفة أو الأمير والبغية المطلب والهدف وبغى أي ظلم وجار وأسدى الثوب أي أقام سداه وهو ما يمدّ من خيوطه واللحمه إذا نسج فيه اللحمة وهي ما سدي به بين سدى الثوب والمراد أنه يتصرّف طولاً وعرضاً ومقبلاً ومدبراً كما يحلو له وولغ الإناء أي شرب ما فيه بأطراف لسانه أو أدخل لسانه فيه وحرّكه وولغ يقال في الكلب بخاصة والورد المنهل والماء الذي يورد وفي سورة هود الآية 98: ﴿فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾. وطوراً أي حيناً أو تارة ومولغاً من أولغ إذا سقى الكلب. يقول إنه يتصرّف في المظالم وهي شكايات الناس وظلاماتهم والواحدة مظلمة إما بأن يباشرها بنفسه فيرد موردها أو يورد أحداً ينوب منابه في الظلم تجدر الإشارة هنا إلى اللطف في استعارة الولوغ والإيلاغ لارتكاب المظالم فهي حرام ورجس وكذلك الكلب وكل ما يتعلّق به.

(1) ما إن يبالي أي لا يكاد يأبه وأوتغ أي أفسد وأهلك ويايويحه أي يا ويله وويح كلمة ترحّم وتوجّع وقد تأتي بمعنى المدح والتعجّب إلا أن التوجع هنا هو المراد ويوقن من أيقن أي تحقق وتأكّد وتحول تتغيّر وطغى ظلم وجار وتبين اطلّع وعلم وعرف وصغا سمعاً أي أمال سمعه والإفك كذب الوشاة النمامين واختلاقهم. يقول وحين يقوده هواه لا يأبه أهو بصدد إصلاح دينه أم إفساده فويل له فهو لو كان متحققاً من تحوّل الأحوال وتبدّلها لما ظلم وجار ولو علم كيف يندم من أعار أذنه للوشاة واختلاقاتهم لما فعل وأصغى إليهم.

(2) إنقد فعل أمر من الانقياد أي أطع واتبع والزمام المقود أي صارت الأمور بيده وصار حاكمك وتغاض فعل أمر بمعنى تغافل وغض الطرف وألغى أي اطّرح ونبذ وترك والرعاية أي المحافظة وحفظ الحقوق وصونها ولغا من اللغو أي الباطل من الحديث والذي لا يرجى منه نفع وارع من رعى الثور إذا سرح في المرعى وأكل والمرار شجر شديد المرارة إذا أكلت منه الإبل تقلّصت مشافرها ودعاك أي طلب منك ورد فعل أمر من الورود أي الدخول إلى مكان الماء والأجاج المالح والمر من الماء كماء البحر وحماك أي منعك والسيّغ المستساغ والعذب والسهل بلعه يقول أطع حاكمك وتغافل إن هو لم يرعك حق رعايتك أو قال كلاماً لا يجدي وكل المر واشرب المالح والمرّ إذا ما منعك العذب النمير من الماء. وأمضّك أي أوجعك وآلمك وأحرقك والمسّ وقع الشيء وأثره في الجسم وأسال صبّ وأجرى والغرب الدلو الكبيرة وغرب الدمع غزيره.

فلـيُضحِكـنْكَ الـدهـرُ مـنـه إذا نـبـا ... عـنـه وشـبّ لـكـيـدهِ نـارَ الـوغـى
ولـيُـنْـزِلـنّ بـه الـشّـمـاتُ إذا بـدا ... مُـتَـخـلّـيـاً مـن شُـغْـلِـهِ مـتـفـرّغـا
ولَـتـأْويـنّ لـه إذا مـا خـدّه ... أضحى على تُربِ الهوانِ مُمرّغا[1]
هـذا ولـسـوف يُـوقّـف مـوقـفـاً ... فـيـه يُـرى ربُّ الـفـصَـاحـةِ ألْـثَـغـا
ولَـيُـحـشـرنَّ أذلَّ مـن فـقـعِ الـفـلا ... ويـحـاسبنَّ عـلـى الـنقِـيصـةِ والـشَّـغـا
ويُـؤاخـذَنَّ بـمـا اجـتـنـى ومـن اجـتـبـى ... ويطالبنّ بما احتسى وبما ارتغى[2]
ويـنـاقـشـنّ عـلـى الـدقـائـق مـثـل مـا ... قـد كـان يـصـنـع بـالـورى بـل أبـلـغـا
حـتـى يـعـضّ عـلـى الـولايـةِ كـفّـهُ ... ويـودُّ لـو لـم يـبْـغِ مِـنْـهـا مـا بَـغَـى[3]

---

(1) نبا به إذا نفر منه وابتعد عنه ولم يقبله وشبّ النار أضرمها والوغى من أسماء الحرب ولينزلنّ به أي ليحيقنّ به والشمات أي الشماتة وهي الفرح بمصاب الآخر ومتخلّياً أي فارغاً متفرّغاً لا عمل له وأوى البيت وإليه نزل فيه وسكنه وفي سورة الكهف الآية 10: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾. وأيضاً التجأ واعتصم وفي سورة هود الآية 43: ﴿قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ﴾. وأوى له رحمه ورقّ له وهي المراد هنا. والهوان هو الذل. يقول إن الدهر قمين بأن يضحكك منه حين ينبذه ويكيد له وسيلحق به الشماتة حين يصبح ولا عمل له يعمله وسيكون من أمره أنك حتى أنت سترق له وترحمه حين تراه متمرغاً بتراب الهوان والمذلة.

(2) يوقف أي يحمل على الوقوف ورب الفصاحة الفصيح المتمكّن من القول وربّ الشيء صاحبه والألثغ من بلسانه عيب فيحوّل السين ثاء وليحشرن أي ليبعثن ويوم الحشر هو يوم القيامة وأذل أي أكثر ذلاً وهواناً والفقع ضرب من الكمأة البيضاء ينبت على وجه الأرض ولا عروق له ويضرب المثل بالفقع النابت في الأرض الملساء فيقال: «أذل من فقع بقرقرة» لأنه على ما جاء في زهر الأكم لليوسي: «يقال للذليل أذل من فقع بقرقرة وهو فقع بقرقرة لأنه لا يتمنع على من يجتنبه أو لأنه يوطأ بأرجل الناس والبهائم ويمتهن». والنقيصة العيب والوقيعة في الناس وخصلة السوء والشغا وقد تقدم بروز أو افتراق أو ارتفاع السن عن رفيقاتها ويؤاخذن من آخذه بذنبه إذا عاقبه عليه وفي سورة البقرة الآية 286: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا﴾. واجتنى أي جمع واجتبى إما من الجباية أي جمع الأموال أو من الاختيار فيؤاخذ بأخطاء عمّاله ويمكن القول بالإثنين فالأمير يخطئ حين يولّي غير الكفوء وحين يجبي الأموال بحق أو غير حق واحتسى أي شرب وارتغى أي شرب الرغوة يعني أنه سيؤخذ بالكثير والقليل والظاهر والمستتر.

(3) نقش على الشيء استقصى كشفه والدقائق والواحدة دقيقة أي الصغير من الأعمال وأبلغ أي أزيد وأمضى والعض على الكفّ علامة الندم ويبغي أي يريد ويطلب يقول وفي ذلك اليوم سيحاسب =

ثمّ قال:

أيها المتوشّح بالولاية، المترشّحُ للرعاية، دع الإدلال بدولتك، والإغترار بصولتك، فإنّ الدولةَ ريحٌ قُلّب، والإمرة برق خلّب، وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته[1]، فلا تكُ ممن يذر الآخرة ويلغيها، ويظلم الرعية ويؤذيها، وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها[2]، فوالله ما يغفل

= على الصغيرة والكبيرة ويستقصي أمره كما كان يفعل بالرعية وأزيد حتى يعض يديه ندماً على توليه الولاية ويتمنّى لو أنه لم يطلبها ولم يطلب منها ما طلب.

(1) الوشاح نسيج عريض ملوّن يشدّ بين العاتق والكشح وتوشّح أي لبس الوشاح والمراد هنا أنه لبس الولاية أي التصرف بأمور الناس وتقلّدها وترشّح الرجل لأمر أي تهيّأ وتأهل له والترشّح في أصله قوة الفصيل أي ولد الناقة على المشي والرعاية من رعى أي المحافظة ودع فعل أمر بمعنى اترك والإدلال هو فرط الثقة بالمحبة المؤدية إلى الجرأة والغرور بالثقة بل والإفراط في التجنّي يقول الأعشى: ألا قلْ لتيّاكَ ما بالها، أَلِلْبَيْنِ تُحْدَجُ أحْمَالُهَا \ أمْ للدّلالِ، فَإنّ الفَتَاةَ حقٌّ على الشيخِ إدلالها. ويقول أبو العتاهية: ألا ما لسيدتي مالها... تدل فأحمل إدلالها. والدولة الاستيلاء والغلبة والشيء المتداول والفعل دال دَولاً ودولة الزمان إذا انقلب وتغيّر والصولة من صال أي وثب واستطال، والقلّب الكثير التقلّب ومعلوم أن الريح يستعار للحظ إذا أقبل أو أدبر والإمرة أي الامارة والخلّب من البروق ما لايعقبه مطر. يقول لا تغتر بغلبتك الآن ولا بإقبال زمانك فالغلبة ريح كثيرة التقلّب والإمرة برق يعشي العين ويخطف البصر ولكن لا مطر تحته والرعاة والواحد راع ساسة أمور الناس وفي الحديث: «كُلُّكم راعٍ وكُلُّكم مسؤولٌ عن رعيته» والرعية الماشية الراعية ثم صارت تعني عامّة الناس بملاحظة الحديث المثبت أعلاه وأشقاهم أي أكثرهم شقاء وبؤساً والداران الدنيا والآخرة باعتبار أن سياسة الرعية هم في الدنيا ووزر عظيم يحاسب على تفاصيله في الآخرة وساءت رعايته أي أنه لم يحافظ على الرعية ولم يصنها على الوجه المطلوب بل كانت سياسته قبيحة سيئة.

(2) يذر من وذر ووذره يذَره وذراً ألقاه وتركه لا يعتدّ به والأمر ذَرْ والمادة هذه تستعمل في المضارع والأمر وقد وردت في القرآن في مواضع عدة كما في سورة نوح الآية 23: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ ويقول المتنبي:

ذَرَانِي وَالفَلاةَ بِلا دَليلٍ وَوَجْهِي وَالهَجِيرَ بِلا لِثَامِ

ويقول عروة بن حزام:

ألاَ فَاحْمِلانِي بارَكَ الله فِيكُما إلَى حَاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

ويلغيها أي ينكرها ويهملها والعاجلة هي الدنيا ويبتغي الشيء يريده ويشتهيها وقوله: «وَإِذَا تَوَلَّى... فآية قرآنية هي الآية 205 من سورة البقرة وهي بتمامها: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ =

الديّانُ ولا تُهمَلُ يا إنسان، ولا تُلْغَى بالإساءة ولا الإحسان، بل سَيُوضع لك الميزان، وكما تَدينُ تُدان.

قال[1]:

فوجَم الوالي لِما سمِعَ وامتُقِعَ لونُه وانتُقِع، وجعل يتأفَّفُ من الإمْرَةِ، ويُرْدِف الزّفرةَ بالزفرةِ، ثم عَمَدَ إلى الشاكي فأشْكَاه، وإلى المشكوِّ منه فأشْجَاه، وألْطَفَ الواعظَ وحَبَاه، واسْتَدْعى منه أن يغْشَاه[2]. فانقلَبَ عنه المظلومُ منْصوراً، والظالمُ مَحْصوراً، وبرزَ الواعِظُ يتهادَى بينَ رفقَتِهِ، ويتباهَى بفوْزِ صفْقَتِهِ[3]، واعْتَقَبْتُهُ أخطو

= ﴿لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ وتولّى تولياً تكون إما بمعنى قام بالشيء وفعله وإما بمعنى تولاّه أي أحبه ومال إليه أو نصره وقام بأمره ويقال تولى عنه إذا أعرض وتولى تكون بمعنى أدبر وذهب وتولّى إليه قصده وذهب إليه وتولاّه إذا قام بشأنه كأن يتولّى الأمير الإقليم اما في الآية فإما أن يكون بمعنى أدبر وانصرف أو تولّى أمور الخلق وأراني أميل إلى معنى الانصراف فسياق الآية يوحي بذلك.

(1) غفل أي سها عن الشيء وتركه والديّان اسم من أسماء الله الحسنى والديّان من يدين أي من يجازي والدّين يأتي لمعان منها الطاعة والانقياد ومنها الشريعة ومنها الجزاء والديّان مالك يوم الدين وفي حديث في مسند أحمد: «. . . يحشر الناس يوم القيامة أو قال العباد عراة غرلاً بهما قال قلنا وما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم بصوت يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة قال قلنا كيف وأنا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهما قال بالحسنات والسيئات» وتُهمل أي تنسى وتترك وتلغى أي تترك ودان أي جازى وحاسب وكما تدين تدان أي كما تحاسِب ستُحَاسب والميزان الآلة التي تقدّر بها الأشياء ومنه الميزان الذي توزن به الأعمال يوم القيامة وفي سورة الأنبياء 47: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾.

(2) وجم سكت وعجز عن التكلم غيظاً أو خوفاً وامتقع لونه تغيّر من حزن أو خوف أو مرض وكذلك انتقع ويتأفّف أي يتضجّر ويقول أف من كرب أو ملال والإمرة الولاية ويردف أي يلحق والزفرة المرة من الزفير وهو إخراج النفس وعمد أي قصد وأشكاه أي قبل شكواه وأزالها وأشجاه أوقعه في حزن أو قهره وغلبه وألطفه أي كرّمه وأحسن إليه وبرّه وأتحفه وحباه أي أعطاه واستدعى أي طلب الحضور ويغشاه أي يزوره أو يأتيه أو يلمّ به.

(3) انقلب أي انصرف ورجع والمحصور المضيّق عليه والمحبوس ويتهادى يتمايل في مشيته ويتهادى بين اثنين أي يعتمد عليهما في مشيه ويتباهى أي يفخر ويتعاظم والصفقة البيعة وأصل الاسم من صفق اليد على اليد علامة على إتمام البيع على أن المراد هنا هو فوزه في نصرة الشاكي.

مُتَقاصِراً، وأُريهِ لَمْحاً باصِراً. فلمّا اسْتَشَفّ ما أُخفيهِ، وفطِنَ لتقلُّبِ طرْفي فيهِ، قال: خيرُ دَليلَيكَ منْ أرشَدَا ثمّ اقتربَ مني وأنشدَ(1):

أنــا الــذي تــعــرِفُــهُ يــا حــارِثُ حِــدْثُ مُــلــوكٍ فــكِــهٌ مُــنــافِــثُ
أُطــرِبُ مــا لا تُــطْــرِبُ الــمَــثــالِــثُ طــوْراً أخــو جِــدّ وطــوْراً عــابِــثُ(2)
مــا غــيّــرَتْــنــي بــعْــدَكَ الــحَــوادِثُ ولا الــتَــحــى عــودي خــطْــبٌ كــارِثُ
ولا فَــرى حــدّيَ نــابٌ فــارِثُ بــلْ مِــخْــلَــبي بــكُــلّ صــيْــدٍ ضــابِــثُ
وكــلّ ســرْحٍ فــيــهِ ذِئْــبي عــائِــثُ حــتــى كــأنــي لــلأنــامِ وارِثُ
ســامُــهُــمُ وحــامُــهُــمْ ويــافِــثُ(3)

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فقلتُ لهُ: تاللهِ إنّكَ لأبو زيدٍ! ولقدْ قُمتَ للهِ ولا عَمرَو بنَ عُبَيدٍ! فهشّ هَشاشَةَ الكريمِ إذا أُمّ. وقال: اسمَعْ يا ابنَ أُمّ. ثمّ أنشأ يقولُ(4):

---

(1) اعتقبته أي مشيت عقبه أي خلفه كأنك تطأ بصدور قدميك مواطئ عقبيه ومتقاصراً مستخفياً وبطيئاً وأريه لمحاً باصراً أي انظر إليه نظراً شديداً فعل المجدّ واستشفت أبصر واستقصى وفطن أي تنبّه وخير دليليك من أرشد مثل عربي قديم معناه إذا كان لك دليلان فخيرهما من أرشدك أي دلّك وهداك إلى الطريق.

(2) الحِدث من يحدّث القوم ويحدّثونه والفكه الطيّب الحديث والحلو المزاح والمنافث من نافثه إذا حادثه وسارّه وأطربه إطراباً أي جعله يطرب أي يهتز فرحاً والمثالث من أوتار العود وكذلك المثاني وطوراً أي حيناً وأخو الجد الرجل الذي لا هزل معه والعابث الهازل اللاعب.

(3) التحى أي قشر اللحاء وفصله ولحاء العود قشره والكارث من الخطوب الثقيل الصعب وفرى أي شقّ والناب السن وهو هنا بمعنى الخصم أو العدو والفارث من فرث الكرش أي شقها وأخرج ما فيها من الفراثة وفرث وعاء التمر أي شقه فتبدّد ما فيه والمخلب للطائر الكاسر بمقام الظفر للإنسان والضابث من ضبث أي إذا قبض على الشيء بشدة وبطش به والسرح المال السارح من الحيوان وعائث من عاث إذا أفسد وأهلك وسام وحام ويافث هم أبناء نوح وهم بحسب التوراة آباء الأعراق البشرية فالساميون ينتمون إلى سام والسود إلى حام والشعوب الآرية أو الهندوأوروبية إلى يافث.

(4) تالله التاء حرف جر للقسم وفي سورة النحل الآية 56: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾. وقد =

عــلــيْــكَ بــالــصّــدْقِ ولــوْ أنّــهُ أحــرَقَــكَ الــصّــدقُ بــنــارِ الــوَعــيــدْ
وابْــغِ رِضَــى اللهِ فــأغْــبَــى الــوَرى مَنْ أسخَطَ المؤلَى وأرضى العَبيدْ[1]

ثمّ إنّه ودّعَ أخدانَهُ، وانطلَقَ يسحَبُ أرْدانَهُ. فطلبْناهُ منْ بعْدُ بالرَّيّ، واستَنْشَرْنا خبرَهُ منْ مَدارِجِ الطّيّ، فما فينا مَنْ عرَفَ قرارَهُ، ولا دَرى أيُّ الجَرادِ عارَهُ[2].

= تكرر هذا القسم مراراً في القرآن وقمت من قام إذا نهض ووقف ولله أي في سبيل الله وعمرو بن عبيد هو أبو عثمان البصري ،عمرو بن عبيد شيخ معتزلة زمانه والزاهد المشهور له تفسير وكتاب في الرد على القدرية. كان الخليفة العباسي المنصور يجلّه كثيراً وقد رثاه حين مات في 761 م فقال فيه: كلكم يمشي رويد كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد. وهشّ أي فرح واستبشر وأمّ أي قصد ويا ابن أم أي يا أخي.

(1) الوعيد أي التهديد وابغ فعل أمر بمعنى واطلب والأغبى أي الأكثر حمقاً وغباء والأشد بلادة وأسخط أغضب والمولى السيد وهو هنا الله وأما العبيد فالخلق بعامة.

(2) الأخدان والواحد خدن أي أصحابه والردن الذيل من الثوب ويسحب أردانه أي يجر أذياله - وأطراف ثيابه وطلبناه أي بحثنا عنه واستنشرنا أي عملنا على نشر خبره والمدارج والواحدة مدرجة الورقة تكتب فيها الرسالة ويدرج فيها الكتاب وأضافها إلى الطي لأنها تطوى على ما فيها من الكتاب فكأنه قال مما أدرج في الورق من الكتاب وطوي عليه. وقراره أي المكان الذي قرّ فيه وثبت ودرى أي علم والجراد كناية عن الناس وعاره أي ذهب به وأتلفه وعبارة أي الجراد عاره مثل عربي قديم وفي إصلاح المنطق لابن السكيت: «ويقال في مثل ما أدري أي الجراد عاره أيْ أيّ الناس أخذه» وفي مجمع الأمثال للميداني: «ما أدرِي أي الجراد عَارهُ أي أيُّ الناس ذهب به يُقَال: عَارَهُ يعورَهُ ويَعِيره أي ذهب به وأهلكه وأصل المثل أن رجلاً أشفقَ على حماره فربَطَه إلى وَتِد فهجمَ عليه السبع فلم يمكنه الفرار فأهلكه ما احترس له به».

المقامة الفُراتيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أوَيْتُ في بعضِ الفتَراتِ، إلى سقْيِ الفُراتِ؛ فلَقيتُ بها كُتّاباً أبْرَعَ منْ بَني الفُراتِ، وأعْذَبَ أخْلاقاً منَ الماء الفُراتِ[1]! فأطَفْتُ بهِمْ لتهَذُّبِهِمْ، ولا لذَهَبِهِمْ! وكاثَرْتُهُمْ لأدَبِهِم، لا لمآدِبِهِمْ! فجالَسْتُ منهُمْ أضْرابَ قَعْقاعِ بنِ شَوْرٍ، ووصلتُ بهِمْ إلى الكَوْرِ، بعدَ الحَوْرِ[2]. حتى إنّهُمْ أشرَكوني في المرْتَعِ والمرْبَعِ، وأحَلّوني محَلّ

(1) أوى المكان وإليه يأوي أُواء وإوياً نزله وفي نزول المكان معنى الانضمام والالتجاء وفي سورة الكهف الآية 10: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾. والفترات والواحدة فترة وهي المدة تقع بين زمنين أو نبيين كما ويفهم من معنى الفترة السكون والهدنة، وفي سورة المائدة الآية 19: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ والسقي الأرض التي تسقى بغير ماء السماء والفرات نهر طوله 2375 كلم ينبع من أرمينيا ويجري في تركيا مخترقاً جبال طوروس وسورية والعراق ثم يلتقي نهر دجلة فيكونان شط العرب. اعتبر قديماً أحد أنهر الفردوس الأربعة. والكتاب والواحد كاتب هو من يكتب للخليفة أو الوالي كل ما يتعلّق بشؤون الإدارة وفي كتاب الصناعتين «أمّا الكتابة فعليها مدار السلطان» وأبرع أي أحذق وأمهر وبنو الفرات أسرة وزراء وكتّاب عباسيين أشهرهم علي بن محمد الذي تولى ديوان السواد في عهد المعتضد وقتل مع ابنه سنة 924 وجعفر بن محمد أبو الخطّاب أخو علي بن محمد والفضل بن جعفر أو ابن حنزابة وزير الخليفة المقتدر وجعفر بن الفضل الذي استوزره كافور الإخشيدي في مصر وتوفي سنة 1001 والعذب المستساغ والطيب ومن الكلام السلس وغير الوحشي والفرات أشد الماء عذوبة ولقد ورد اللفظ في القرآن في سورة الفرقان الآية 53: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ وقد تكرر اللفظ في القرآن مراراً.

(2) أطاف إطافة به وعليه دار حوله أطاف بالشيء ألمّ به وقاربه وتهذّبهم أي حسن أخلاقهم وكاثر دخل في العدد إذا صاحب فكثّر العدد والمآدب واحدتها المأدبة والضريب واحد الأضراب وهو الشبيه والمثيل وقعقاع بن شور رجل جواد يضرب به المثل في السخاء عاش في زمان معاوية بن أبي سفيان والكور الزيادة والحور النقصان.

الأنْمُلَةِ منَ الإصْبَعِ، واتّخذوني ابنَ أُنسِهِمْ عندَ الوِلايَةِ والعَزْلِ، وخازِنَ سِرّهِمْ في الجِدّ والهزْلِ(1). فاتّفَقَ أنْ نُدِبوا في بعْضِ الأوْقاتِ، لاستِقْراء مَزارِعِ الرُزْداقاتِ؛ فاخْتاروا منَ الجَواري المُنْشآتِ، جاريةً حالِكَةَ الشِّياتِ! تَحْسَبُها جامِدةً وهي تمُرّ مرّ السّحابِ(2)، وتنْسابُ في الحَبابِ كالحُبابِ! ثمّ دعَوْني إلى المُرافَقَةِ، فلبّيتُ بلِسانِ المُوافَقَةِ. فلمّا توَرّكْنا على المَطيّةِ الدّهْماء، وتبَطّنّا الوَلِيّةَ الماشيةَ على الماء، ألفَيْنا بها شيخاً علَيْهِ سحْقُ سِرْبالٍ، وسِبٌّ بالٍ(3). فعافَتِ الجَماعَةُ مَحْضَرَهُ، وعنّفَتْ منْ أحضَرَهُ، وهمّتْ بإبْرازِهِ منَ السّفينةِ، لولا ما ثابَ إلَيْها منَ السّكينَةِ. فلمّا لمحَ منّا

(1) المرتع من رتع كان مخصباً لا يعدم شيئاً يريده ورتع في المقام أقام وتنعّم وأكل وشرب فيه ما شاء والمربع المكان ينبت نباته أول الربيع فينزل فيه يقول مهيار الديلمي: سأهجرُ داركَ لا عنْ قلىً كما يهجرُ المرتعُ المربعُ. وأحلّوني أي أنزلوني أو جعلوني في مكانة والأنملة رأس الإصبع والجمع أنامل وابن أنسهم أي من يأنسون به وإليه وعند الولاية والعزل أي في حالي العمل والعطل والفراغ والخازن الكاتم والحابس.

(2) اتفق أي وقع عرضاً ودون تدبير وندبوا من ندب إلى الأمر أي دعا والاستقراء التتبع والرزداقات والواحد رزداق وهو الرستاق أي السواد والقرى وهو معرّب روستا الفارسية وفي اللسان: «(رستق) اللحياني الرُّزتاق والرُّستاق واحد فارسي معرب ألحقوه بقُرْطاس ويقال رُزْداق ورُستاق والجمع الرَّساتِيقُ وهي السواد وقال ابن السكيت رُسداق ورُزداق ولا تقل رُستاق» والجواري السفن لجريها مع الريح والمنشآت أي المصنوعات وفي سورة الرحمن الآية 24: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾. وفسّرت بالسفن وبالكواكب وغيرذلك وجارية من جرى والحلوكة شدة السواد والشية كل لون يخالف معظم اللون والعلامة وفي سورة البقرة الآية 71: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾. وتحسبها تظنها والعبارة التالية قرآنية أنظر الآية 88 من سورة النمل: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ﴾.

(3) الانسياب المشي السريع والحباب بفتح الحاء ما يعلو الماء أو الخمر من فقاقيع والحباب بضم الحاء الحيّة الخبيثة ولبيّت أي استجبت والموافقة أي القبول وتورّك أي اعتمد على وركه وتورك على الدابة أو المطية يعني طوى رجليه للنزول أو للاستراحة والمطية ما يمتطى أي يركب والدهماء ومذكرها أدهم السوداء ويعني السفينة الحالكة اللون كما تقدّم وتبطّن أي دخل في البطن والولية البرذعة وهي ما يجعل على ظهر الحمار كالسرج للفرس وقد تكون الولية مؤنث الولي وهو المولى والناصر والصديق إلاّ أنني أرى أن الأولى أولى لمناسبتها السياق ولا سيما وأنه جعل السفينة مطية وألفينا أي وجدنا والسحق من الثياب البالي الرثّ والسربال القميص وكا ما يلبس والسبّ الخمار أو العمامة والثوب الرقيق والجمع سبوب.

استثقالَ ظِلّهِ، واستبرادَ طَلّهِ؛ تعرّضَ للمُنافثَةِ، فصُمّتَ، وحمْدَلَ بعدَ أنْ عطَسَ فما شُمّتَ[1]. فأخْرَدَ ينظُرُ فيما آلَتْ حالُهُ إليْهِ، وينتظِرُ نُصرةَ المَبْغيّ عليْهِ. وجُلْنا نحْنُ في شُجونٍ، منْ جِدٍّ ومُجونٍ، إلى أنِ اعتَرَضَ ذِكْرُ الكِتابَتَينِ وفضْلِهِما، وتَبْيانِ أفضَلِهِما[2]، فقالَ قائِلٌ: إنّ كتَبَةَ الإنْشاء أنْبَلُ الكُتّابِ، ومالَ مائِلٌ إلى تفْصيلِ الحُسّابِ. واحتدّ الحِجاجُ، وامتدّ اللّجاجُ، حتى إذا لمْ يبْقَ للجِدالِ مَطرَحٌ، ولا للمِراء مسرَحٌ؛ قال الشيخُ[3]: لقدْ أكثرْتُمْ يا قوْمُ اللّغَطَ، وأثَرْتُم الصّوابَ والغلَطَ! وإنّ جَليّةَ الحُكمِ عِندي، فارتَضوا بنقْدي، ولا تستَفْتوا أحداً بعْدي[4]؛ اعْلَموا أنّ

(1) عافت أي مجّت وكرهت واشمأزّت والمحضر المجلس الذي يحضر المرء فيه وعنّف أي أنّب ولام ووبخ مغلظاً في القول وإبرازه هنا بمعنى إخراجه وطرده والسكينة الطمأنينة والهدوء ولمح أي رأى وأبصر والظل هنا بمعنى الشخص فالظل يوصف بالثقل أو الخفة والمراد الشخص صاحب الظل واستبرد الشيء أو المرء وجده بارداً والطلّ المطر الخفيف وفي سورة البقرة الآية 265: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ والطل أيضاً الندى الثقيل وتعرّض أي تصدّى والمنافثة مرت وهي بمعنى المحادثة وحمدل أي حمد الله فمن السنّة أن تحمد الله بعد العطاس وأن يشمّتك الحاضرون أي يقولون لك يرحمك الله وفي حديث باسناده في الآحاد والمثاني: «قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَقُلِ: الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلْيَقُلْ مَنْ سَمِعَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، وَيَقُولُ هُوَ: يَغْفِرُ اللهُ لِي وَلَكُمْ».

(2) أخرد أي سكت ذلاً وآلت إليه أي صارت والنصرة العون والتأييد والمبغي عليه أي المظلوم وفي العبارة إشارة إلى الآية 60 من سورة الحج: ﴿۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ أو الحديث النبوي كما جاء في المعجم الكبير: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اتقوا دعوة المظلوم فإنها تحمل على الغمام يقول الله جل جلاله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» وجلنا أي تنقلنا والشجون والواحدة شجن أي الطريق والحديث ذو شجون مثل عربي يقال عند تشعّب الحديث وللمثل حكاية تنظر في مجمع الأمثال أو جمهرة العسكري مثلاً والجد نقيض الهزل والمجون خلط الجد بالهزل والإحماض في الحديث واعترض ظهر وعرض والكتابتان كتابة الإنشاء وكتابة الحساب.

(3) أنبل أي أشرف وأسمى والكتبة واحدها كاتب ومال أي انحاز أو عطف أو فضّل والحجاج المحاجّة الجدل تتبادل فيه الحجج والبراهين وامتدّ أي طال واللجاج التمادي في العناد والمطرح أي الموضع والمراء قد تقدم وهو الجدل والمسرح المرعى والمراد لم يبق مكان للجدل يسرح فيه.

(4) اللغط الصوت والجلبة والأصوات المبهمة لا تُفهم وأثرتم من أثار إذا هيّج الشي يريد أنهم قد هيّجوا الصواب والغلط حتى تداخلا واختلطا والجلية البيان وحقيقة الشيء وارتضوا فعل أمر بمعنى اقبلوا واستفتى إذا سأل الفتيا أي الرأي والحكم في مسألة.

صِناعَةَ الإِنْشاء أَرْفَعُ، وصِناعَةَ الحِسابِ أنفَعُ! وقلَمَ المُكاتَبَةِ خاطِبٌ، وقلَمَ المُحاسَبَةِ حاطِبٌ[1]! وأساطيرَ البَلاغَةِ تُنسَخُ لتُدْرَسَ، ودساتيرَ الحُسْباناتِ تُنسَخُ وتُدرَسُ! والمُنشِئُ جُهَينَةُ الأخْبارِ، وحقيبةُ الأسْرارِ، ونَجِيُّ العُظماء، وكَبيرُ النُّدَماء! وقلَمُهُ لِسانُ الدولَةِ، وفارِسُ الجولَةِ، ولُقْمانُ الحِكمَةِ، وتَرْجُمانُ الهِمّةِ[2]! وهوَ البَشيرُ والنّذيرُ، والشّفيعُ والسّفيرُ، بهِ تُستَخْلَصُ الصّياصي، وتُملَكُ النّواصي، ويُقتادُ العاصي، ويُستَدْنى القاصي! وصاحِبُهُ بريءٌ من التّبِعاتِ، آمِنٌ كيْدَ السُّعاةِ، مقرَّظٌ بينَ الجماعاتِ، غيرُ معرَّضٍ لنَظْمِ الجِماعاتِ[3]! فلمّا انتهى في الفضْلِ، إلى هذا

---

(1) أرفع أي أعلى وأسمى وأنفع أجدى وأكثر فائدة ونفعاً والخاطب من يخطب المودة والحاطب من يجمع الحطب ويحتطب. يقول إن قلم الكتابة كلسان الخاطب ينتقي الكلام ويزنه قبل أن ينطق به وأما الحاسب فكمن يجمع الحطب يلتقط ما يعترض طريقه.

(2) الأساطير والواحد سطر أو جمع أسطورة والأول أولى وتنسخ من نسخ أي نقل كتابة وتدرس من درس أي قرأ وتدبّر ما يقرأ والدساتير والواحد دستور وهو الدفتر الذي تكتب فيه أسماء الجند وأرزاقهم وتنسخ أي تمحى وتترك وتدرس من درس البيت إذا زال وصار أثراً بعد عين والمنشئ من يكتب الكتب أي الرسائل في ديوان الرسائل وجهينة قبيلة ورد اسمها في أمثال العرب مثلاً يضرب للإشارة إلى من عنده المعرفة والصدق وحكاية المثل كما أوردها الميداني كالتالي مع كثير من الحذف لضيق المجال: «قال هشام بن الكلبي: كان من حديثه أن حُصَيْن بن عَمْرو بن مُعَاوية بن كِلاب خرج ومعه رجل من جُهَينة يقال له: الأخْنَس بن كعب وكان الأخنس قد أحدثَ في قومه حَدَثاً فخرج هارباً فلقيه الْحُصَيْنُ فقال له: مَن أنت فقال له الحصين: أنا الحصين بن عمرو. . . هل لك أن نتعاقَدَ أن لا نلقى أحداً من عشيرتك أو عشيرتي إلا سلبناه؟ قال: نعم فتعاقدا على ذلك وكلاهما فاتِكٌ يَحْذَر صاحبه. . . . فشربا ساعةً وتحدثا ثم إن الحصين قال: يا أخا جهينة هل أنت للطير زاجر؟ قال: وما ذاك؟ قال: ما تقول هذه العُقَاب الكاسر قال الجهني: وأين تراها؟ قال: هي ذه وتطاوَلَ ورفع رأسه إلى السماء فوضع الجهني بادرةَ السيف في نَحْره فقال: أنا الزاجر والناحِرُ واحتوى على مَتَاعه وانصرف راجعاً إلى قومه فإذا هو بامرأة تَنْشُدُ الحصينَ فقال لها من أنت؟ قالت أنا صخرة امرأة الحصين قال: تُسَائِلَ عن حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ وعِنْدَ جُهَيْنَةَ الْخَبَرُ اليَقِينُ وجهينة الأخبار العارف بها والحقيبة وعاء الزاد والنجيّ من يحدّث ويسارّ وقلمه لسان الدولة أي ينطق عنها لأنه يكتب كتب الوالي أو الخليفة أو الأمير والجولة المرة من جال ولقمان نبي خصّه القرآن بسورة وقرن اسمه بالحكمة والترجمان من يترجم عن غيره أي يعبّر عن كلام غيره بلغة غير لغة الكلام والهمّة أي العزم.

(3) البشير من يخبر الأخبار السارة والنذير من ينذر أي من يتوعّد ويهدد ويخيف والشفيع من يشفع =

الفصْلِ؛ لحَظَ منْ لمَحاتِ القوْمِ أنهُ ازْدَرَعَ حُبّاً وبُغْضاً، وأرْضى بعْضاً وأحفَظَ بعْضاً! فعقّبَ كلامَهُ بأنْ قال[1]: إلاّ أنّ صِناعَةَ الحِسابِ موضوعةٌ على التّحقيقِ، وصَناعَةَ الإنشاءِ مبنيّةٌ على التّلْفيقِ! وقلَمَ الحاسِبِ ضابِطٌ، وقلمَ المُنشِئِ خابِطٌ! وبينَ إتاوَةِ توظيفِ المُعامَلاتِ، وتِلاوَةِ طَواميرِ السّجِلاّتِ؛ بوْنٌ لا يُدرِكُهُ قِياسٌ، ولا يعْتَوِرُهُ التِباسٌ[2]. إذِ الإتاوَةُ تمْلأُ الأكْياسَ، والتّلاوَةُ تُفرِّغُ الرّاسَ! وخَراجُ الأوارِجِ يُغْني

= والسفير من يسعى في صلح بين متخاصمين وتستخلص أي يتم تحصيلها وتملكها والصياصي والواحدة صيصية القرون والحصون . جاء في المحكم لابن سيده: «الصَّياصِي شَوْكُ النسَّاجينَ واحدتُه صِيصِيَّةٌ وقيل صِيصِيَةُ الحائِك الذي يَخُطُّ بِهِ الثوبَ وتُدْعَى المِخَطَّ والصَّياصي القُرَى وقيل الحصون» وفي سورة الأحزاب الآية26: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ والنواصي والواحدة ناصية وهي شعر مقدم الرأس ويراد بملك ذلك ملك الرقاب أي الناس ويقتاد من قاد إذا جر ويستدنى أي يستقرب والقاصي البعيد والتبعات والواحدة تبعة وهي ما يترتب على فعل المرء من حقوق ومسؤوليات والسعاة والواحد ساعي من يمشي بالنميمة والغيبة أو من يجبي الضرائب ومقرّظ أي ممدوح والجماعات بفتح الجيم والواحدة جماعة الناس المجتمعة مثنيٌ عليه والنظم التأليف والجماعات بكسر الجيم دفاتر الرسوم والحسابات يقول إن كاتب الإنساء آمن مكر السعاة سواء كانوا من يسعون بنميم أو يجبون الضرائب فيسرقون مال الرعية والسلطان وليس بحاجة إلى نظم وتأليف حسابات الخراج.

(1) انتهى إلى المكان وصل إليه وبلغه والفصل التفريق والتميز والحكم والفصل الثانية الحد والفارق بين الفصلين هو أن الأول من فصل فصلاً أي قضى وحكم والثاني فصل فصلًا وفصولاً أي فرّق بين أمرين ولحظ أي رأى واللمحات واحدتها لمحة وهي النظرة وازدرع أي زرع وأحفظ أي أسخط يبقى القول بأن الحب والبغض قد يعنيان أن بعض القوم يميلون إلى الحساب وأن بعضهم الآخر من جماعة الترسّل والكتابة وربما كان سبب الحب والبغض الاستحسان والغيرة والحسد ولكنني أميل إلى الأول.

(2) عقّب أي اتبع والتلفيق ضمّ الشيء إلى مثله ولفّق الحديث زخرفه وموّهه بالباطل وأرى أن الثانية هي المراد وأنها تحتمل أيضاً معنى أن الكاتب يلفّق أي يزخرف ويموّه ويضم كلاماً إلى كلام لخدمة ما يريد قوله وضبط الشيء أمسك به فلا يفلت والخابط من خبط من يمشي على غير هدى والإتاوة الخراج والجباية إلى بيت المال والتوظيف من وظّف ووظفه أي عيّن له الرزق والعلف لدابته وإتاوة توظيف المعاملات يعني هنا حساب النفقات من بيت المال والتلاوة القراءة والطوامير واحدها طومار وهو السجل أو الكتاب والسجلاّت واحدها سجل وهو في الأصل الحجر الذي يكتب فيه ثم سمّي كل ما يكتب فيه من قرطاس أو غيره سجلاً وفي سورة الأنبياء =

النّاظِرَ، واستِخْراجُ المَدارِجِ يُعَنّي الناظِرَ[1]. ثمّ إنّ الحسَبَةَ حفَظَةُ الأموالِ، وحمَلَةُ الأثْقالِ، والنّقَلَةُ الأثْباتُ، والسّفَرَةُ الثّقاتُ، وأعْلامُ الإنْصافِ والانتِصافِ، والشّهودُ المَقانِعُ في الاختِلافِ! ومنهُمُ المُستَوْفي الذي هوَ يدُ السّلطانِ، وقُطْبُ الدّيوانِ، وقِسْطاسُ الأعمالِ. والمُهَيمِنُ على العُمّالِ[2]! وإليْهِ المآبُ في السّلْمِ والهرْجِ، وعلَيْهِ المَدارُ في الدّخْلِ والخرْجِ! وبهِ مَناطُ الضّرّ والنّفْعِ، وفي يدِهِ رِباطُ الإعْطاءِ والمنْعِ. ولوْلا قلَمُ الحُسّابِ، لأوْدَتْ ثمرَةُ الاكتِسابِ، ولاتّصَلَ التّغابُنُ إلى يومِ الحِسابِ! ولَكانَ نِظامُ المُعامَلاتِ مَحلولاً، وجُرْحُ الظُّلاماتِ مطْلولاً[3]، وجيدُ

= الآية 104: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ والبون البعد الشاسع ولا يدركه لا يبلغه أو يلحق به وهي هنا بمعنى لا يقدر عليه ويعتوره أي يصيبه أو ينال منه أو يحيق به والالتباس الشبهة والاختلاط.

(1) الأوراج قيل هي القرى والمزارع وقيل دفاتر الحسابات القديمة وقال الشريشي الأوراج أزمّة الخراج وجاء في لسان العرب «والتَّأرِيجُ والإرَاجَةُ شيءٌ من كُتُبِ أصحاب الدواوين التهذيب والأوَارِجَةُ من كُتُب أصحاب الدواوين في الخَرَاج ونحوه ويقال هذا كتابُ التَّأرِيج» ويغني أي يثري ويجعل غنياً والمدارج أي الكتب أي الرسائل ويعنّي أي يتعب ويشقي من العناء والناظر الأولى تعني العامل فيها والناظر الثانية تعني سواد العين.

(2) الحسبة واحدها حاسب والنقلة واحدها ناقل والأثبات واحدها ثبت وهو الحجة والعدل وموضوع الثقة والسفرة والواحد سافر وهو الكاتب وفي سورة عبس الآية 15: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ من سفرت الكتاب أسْفِرُه سفراً كتبته فأنا سافر والجمع سفرة والثقات واحدها ثقة وهو العدل الأمين الذي لا يخون والعلم في الأصل الجبل وهو الرجل المشهور والإنصاف العدل من النصف وهو أن يؤدي الحق من نفسه والانتصاف هو أن تأخذ حقك وتنتصف لغيرك أي تنتصر له والمقانع الذين يُقنع ويُرضى بشهادتهم وأفعالهم والاختلاف رويت الإخلاف وهو جودة الزرع وأخلف الزرع أي طاب وردّ على أصحابه أضعاف ما أنفق فيه والمستوفي من استوفى الشيء أي أخذه كاملاً ولم يدع منه شيئاً وفي سورة المطففون الآية 2: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الديوان دار كتاب الخراج والقطب من الشيء قوامه ومداره والقسطاس الميزان وفي سورة الشعراء الآية 182: ﴿وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ﴾ والمهيمن الحافظ والرقيب والعمال هم الولاة.

(3) المآب المرجع والمآل والسلم والهرج الصلح والحرب والمدار المعوّل والدخل والخرج الوارد والصادر في لغة اليوم والمناط موضع التعليق والرباط ما يربط به وأودى هلك وضاع وثمرة الاكتساب المال الذي جني في تجارة أو زراعة أو حرفة واتصل أي امتد والتغابن هو الوكس والبخس في البياعات وغبنه في البيع أو الشراء خدعه فيه ونقصه في الثمن أو غيره ويوم الحساب =

التّناصُفِ مغْلولاً، وسيْفُ التّظالُمِ مسْلولاً[1]. على أنّ يَراعَ الإنْشاء متَقوِّلٌ، ويَراعَ الحِسابِ متأوِّلٌ! والمُحاسِبَ مناقِشٌ، والمُنشِئَ أبو بَراقِشَ! ولكِلَيْهِما حُمَةٌ حينَ يرْقَى؛ إلى أنْ يُلْقى ويُرْقى! وإعْناتٌ فيما يُنْشا، حتى يُغْشى، ويُرْشى. إلا الذينَ آمَنوا وعمِلوا الصّالِحاتِ وقَليلٌ ما هُمْ[2].

قال الحارِثُ بنُ همّامٍ:

فلمّا أمْتَعَ الأسْماعَ، بما راقَ وراعَ؛ استَنْسَبْناهُ فاسْتَرابَ، وأبَى الانتِسابَ، ولوْ وجَدَ مُنْساباً لانْسابَ. فحصَلْتُ منْ لبْسِهِ على غُمّةٍ، حتى ادّكَرْتُ بعْدَ أمّةٍ[3]. فقُلْتُ:

= هو يوم القيامة وهو في سورة القيامة الآية 9 يوم التغابن أيضاً حين يتغابن الذين استضعفوا والذين استكبروا والظلامات واحدتها ظلامة وهي المظلمة المطلوبة عند الظالم ومطلولاً أي مهدوراً قال تأبط شراً: «إنّ بالشّعب من دون سلع لقتيلاً دمه ما يطلّ» أي دمه لا يهدر.

(1) الجيد العنق والتناصف أخذ كل حقّه والمغلول المقيّد بغل والتظلم أي يظلم كل صاحبه ومسلولاً من سلّ السيف إذا أخرجه.

(2) اليراع هو القلم والمتقوّل من يختلق ما يقوله والمتأوّل الذي يدبّر الكلام ويقدّره ويفسّره والمناقش المستقصي وأبو براقش طائر كثير الألوان ولقد جاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري: «أبو براقش: طائر كالعصفور يتلون ألواناً قال الشاعر: كأبي براقش كل يوم لونه يتخيل. يضرب به المثل في التنقل والتحول. وقال القزويني: إنه طائر حسن الصوت، طويل الرقبة والرجلين، أحمر المنقار في حجم اللقلق، يتلون في كل ساعة يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر». والحمة إبرة العقرب وهي أيضاً سم كل حيوان يلسع وهي المراد هنا ويرقى يرتفع مرتبة ويلقى أي يرمي وهي هنا بمعنى يقال من رتبته ويرقى من الرقية ويرى الشريشي أن المراد بالرقية الرشوة والإعنات من أعنت أي حمّله ما لا طاقة له به وفي سورة البقرة الآية 220: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ وينشا أي يكتب ويغشى أي يقصد ويزار ويرشى يعطى الرشوة وأما العبارة الأخيرة فهي الآية 24 من سورة ص: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾.

(3) أمتع أي أطرب ومتّع ولذّذ والأسماع أي الآذان وراق وراع بمعنى أعجب واستنسبناه سألناه عن نسبه واستراب أي شكّ ووقع في الريبة وأبى أي امتنع والمنساب الموضع ينصرف منه أو يدخل فيه وانساب تقدم مراراً وحصل أي نال وحاز واللبس الخلط وعدم الوضوح والغمّة الكرب والهمّ وادّكرت بعد أمة أي تذكّرت بعد حين أو بعد لأي ما لاحظ سورة يوسف الآية 45: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾.

والذي سخّرَ الفلَكَ الدّوّارَ، والفُلْكَ السّيّارَ، إني لأجِدُ ريحَ أبي زيدٍ(1)! وإنْ كنتُ أعهدُهُ ذا رَواءٍ وأيْدٍ. فتبسّمَ ضاحِكاً من قوْلي(2)، وقال: أنا هوَ على استِحالَةِ حالي وحوْلي! فقلتُ لأصحابي: هذا الذي لا يُفْرى فرِيُّهُ، ولا يُبارَى عبقَرِيُّهُ(3)! فخطَبوا منْهُ الوُدّ، وبذَلوا لهُ الوُجْدَ؛ فرَغِبَ عنِ الأُلفَةِ، ولم يرْغَبْ في التُّحْفَةِ. وقال: أما بعْدَ أنْ سحَقْتُمْ حقّي، لأجلِ سَحْقي، وكسفْتُمْ بالي، لإخْلاقِ سِرْبالي؛ فما أراكُمْ إلا بالعينِ السّخينَةِ، ولا لكُمْ مني إلا صُحْبَةُ السّفينةِ(4)!

ثمّ أنشدَ:

إسمَعْ أُخَيّ وصيّةً من ناصِحٍ ... ما شابَ مَحْضَ النُّصحِ منه بغِشّهِ
لا تَعجَلَنْ بقضيّةٍ مبْتوتَةٍ ... في مدْحِ منْ لمْ تبلُهُ أو خدْشِهِ
وقِفِ القضيّةَ فيهِ حتى تجْتَلي ... وصْفَيْهِ في حالَيْ رِضاهُ وبطْشِهِ(5)

(1) سخّره أي ذلله وكلّفه العمل بلا أجرة والفلك يقع للواحد والجمع وهو مدار النجوم والدوار الذي يدوروالريح الرائحة والجملة تلاحظ سورة يوسف الآية 94: ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ والفلك ويقع للواحد والجمع السفينة.

(2) أعهده أي أعرفه والرواء الفتوة وحسن الهيئة والأيد القوة وفي سورة ص الآية 17: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ وتبسم ضاحكا الخ تلاحظ سورة النمل الآية 19: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

(3) استحالة أي تغيّر والحول القوة والحيلة ويفري أي يقطع ويباري يسابق وعبقريّه أي جنّيه نسبة إلى عبقر وهو واد زعمت العرب أن الجن وشياطين الشعراء تسكنه وعبارة يفري فريه قالها النبي في عمر بن الخطاب.. «فلم أر عبقرياً من الناس يفري فريه».

(4) خطبوا أي طلبوا والود الألفة والصداقة وبذلوا أي قدّموا والوجد الموجود من المال ورغب عن أي زهد وأبى وأعرض وسحق الشيء بالغ في دقّه وسحق الحق هنا هضمه والسحق الثوب البالي وكسف الرجلَ جعل حزيناً متغيّراً وإخلاق الثوب إذا بلي وصار رثّاً والسربال تقدّم والعين السخينة الساخطة وتقال في الحزينة الباكية أيضاً وصحبة السفينة يريد بها المدة التي تستغرقها الرحلة في السفينة.

(5) شاب أي خلط ومحض الشيء خالصه والقضية المبتوتة الحكم القاطع من بتّ الشيء إذا قطعه أو أبرمه وتبله أي تختبره والخدش التجريح والنيل من الشخص يقول لا تعجل بحكم تبرمه فتمدح =

ويَبينَ خُلّبُ برْقِهِ منْ صِدْقِهِ ... للشّائمينَ ووبْلُهُ منْ طَشّهِ
فهُناكَ إنْ ترَ ما يَشينُ فوارِهِ ... كرَماً وإنْ ترَ ما يَزينُ فأفْشِهِ
ومنِ استَحَقّ الارْتِقاءَ فرقّهِ ... ومنِ استحطّ فحُطّهُ في حشّهِ(1)
واعلَمْ بأنّ التّبرَ في عِرْقِ الثّرى ... خافٍ إلى أنْ يُستَثارَ بنَبْشِهِ
وفَضيلةُ الدّينارِ يظْهَرُ سِرُّها ... منْ حَكّهِ لا مِنْ مَلاحَةِ نقْشِهِ
ومنَ الغَباوةِ أن تعظّمَ جاهِلاً ... لصِقالِ ملبَسِهِ ورونَقِ رَقْشِهِ(2)
أو أن تُهينَ مهذّباً في نفسِهِ ... لدُروسِ بِزّتِهِ ورثّةِ فُرْشِهِ
ولَكَمْ أخي طِمْرَينِ هِيبَ لفضْله ... ومفَوّفِ البُرْدَينِ عيبَ لفُحْشِهِ
وإذا الفتى لمْ يغْشَ عاراً لم تكنْ ... أسْمالُهُ إلاّ مَراقي عرْشِهِ
ما إنْ يضُرُّ العَضْبُ كوْنُ قِرابِهِ ... خلَقاً ولا البازِي حَقارَةُ عُشّهِ(3)

= من لم تمتحن أو تجرّحه وقف فعل أمر من وقف أي توقف وتجتلي الشيء تراه وتقف عليه ووصفاه أي صفتاه والبطش الصولة عند الغضب.

(1) البرق الخلب وقد تقدم البرق الذي لا مطر معه وشام البرق إذا نظره والوبل والوابل المطر الكثير والطش المطر القليل ويشين أي يعيب وواره فعل أمر بمعنى إستر أو ادفن وكرماً أي تكرماً منك وفضلاً ويزين أي يليق ويحسن وافشه فعل أمر بمعنى أذاع وأظهر وحدّث بالشيء والارتقاء العلو ورقّه فعل أمر بمعنى ارفعه واستحط أي تدنّى واتّضع وحطّه فعل أمر بمعنى ضعه والحشّ من أسماء الكنيف وهو المستراح وبيت الخلاء في لغة اليوم.

(2) التبر الذهب قبل السبك والثرى التراب وخاف أي مستتر ويستثار أي يستخرج والنبش البحث عن الشيء والحكّ من حكّ الشيء إذا كشطه وقشره والحك للدينار للتأكد أنه غير مزيّف والغباوة الغباء والبلادة والحمق وتعظّم أي ترى عظيماً وصقل الشيء نمّقه والرونق الحسن والطلاوة والإشراق والرقش الزينة والتزويق. يقول لا يظهر الذهب إلا بعد أن يبحث عنه ولا تصبح للدينار الذهبي قيمة إلا بعد حكّه أي اختباره وامتحانه والجهل والغباء هو أن تحترم وتقدر امرءاً لأن ثيابه صقيلة ولأن زينته ذات رواء.

(3) أهان المرء أو الشيء استخف به والمهذب الكيّس النقي مما يشينه والدروس العفاء والإخلاق والبزّة الثياب ورثّ الفراش أي أصبح بالياً وأخو الطمرين من يرتديهما والطمران ثوبان خلقان باليان وهيب أي خيف ومفوّف البردين والواحد برد وقد تقدم وهو الثوب أي مزين البردين والمفوف كما جاء في المخصص لإبن سيده: «البُرْد المُفَوَّف - الذي فيه بَياض وخُطُوط بِيضٌ =

ثمّ ما عتّمَ أنِ استوْقَفَ الملاّحَ، وصعِدَ منَ السّفينةِ وساحَ. فندِمَ كلٌّ منّا على ما فرّطَ في ذاتِه، وأغْضى جفْنَه على قَذاتِهِ. وتعاهَدْنا على أنْ لا نحتَقِرَ شخْصاً لرَثاثَةِ بُرْدِهِ، وأنْ لا نزْدَريَ سيْفاً مخْبوءاً في غِمدِهِ[1].

= من الفُوف - وهو البَياض الذي يكونُ في أظفار الأحداث وقد تقدّم أنّ الفُوف الرَّقِيق» وعيب أي رُمي بالعيب والفحش القبيح من القول والفعل ويغشى عاراً أي يقصد ويأتي ما يعيب والأسمال الثياب البالية والمراقي الدرجات والعرش السرير والمنزلة والعضب من أسماء السيف والقراب غمد السيف وخلقاً أي بالياً والبازي من الطيور الكاسرة والحقارة الضعة والخسّة والعش بيت الطائر. يقول ومن الغباء أن تستهين وتستخف المهذّب الكيّس لأن ثوبه بال وفراشه رث فلكم أجلّ الناس امرءاً يرتدي ثياباً بالية ولكم ذموا المتأنق في هيئته وملبسه لنقصه وقبح كلامه وفعاله ناهيك بأن المرء إذا أعرض عن العيب فإن ثيابه الخلقة تكون مرقاة له والسيف البتار لا يضيره أن يكون جفنه بالياً كما لا يضير البازي أن يكون عشّه حقيراً.

(1) ماعتم أي ما أبطأ ولا تأخر والملاّح النوتي واستوقف أي طلب الوقوف وصعد أي طلع وساح أي ذهب في الأرض وفرّط تفريطاً الشيء وفيه قصّر فيه وضيعه وفي سورة الزمر الآية 56: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ وفي ذاته أي في نفسه وأغضى أي أغمض والقذى التراب الدقيق يدخل في العين وتعاهدنا أي اتفقنا ونزدري أي نحتقر ومخبوءاً في غمده أي في قرابه.

المقامة الشّعريّة

حكَى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

نَبا بي مألَفُ الوطَنِ، في شرْخِ الزّمنِ، لخَطْبٍ خُشِيَ، وخوفٍ غشِيَ؛ فأرَقْتُ كأسَ الكَرى، ونصَصْتُ رِكابَ السُّرَى. وجُبْتُ في سَيْري وُعوراً لم تُدَمّثْها الخُطى، ولا اهتَدَتْ إليْها القَطا[1]! حتى ورَدْتُ حِمَى الخِلافَةِ، والحرَمَ العاصمَ من المَخافَةِ؛ فسرَوْتُ إيجاسَ الرّوْعِ واستِشْعارَهُ، وتسرْبَلْتُ لِباسَ الأمْنِ وشِعارَهُ. وقصَرْتُ همّي على لذّةٍ أجتَنيها، ومُلْحَةٍ أجْتَليها[2]. فبرَزْتُ يوْماً إلى الحريمِ لأرُوضَ طِرْفي، وأُجيلَ في طُرَفِهِ طَرْفي، فإذا فُرْسانٌ مُتتالونَ، ورِجالٌ مُنثالونَ، وشيْخٌ طويلُ اللّسانِ،

(1) نبا إذا قلق ولم يستقم ولم يستقر ومألف الوطن حبّه والمراد بالوطن هنا المنزل ومحل الإقامة والشرخ أول الشيء والخطب الأمر العظيم وخشي خيف وغشى نزل وغطّى وأراق الكأس إذا أهرقها وصبّها والكرى النوم ونصصت من النص وهو أرفع السير وأقصاه والنص منتهى كل شيء والركاب الإبل والسرى السير ليلاً وجبت أي قطعت والوعور واحدها الوعر وهو من الأمكنة المخيف والموحش ومن كل شيء الصعب ودمث أي سهل وليّن والخطى واحدتها خطوة والمراد أرجل البشر وقوائم الدواب واهتدت إليها أي عرفت الطريق وكيف الوصول إليها والقطا طائر يضرب به المثل في الاهتداء.

(2) حمى الخلافة أي بغداد والحمى في أصل معناه موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن ترعى فيه وصار المحظور الذي لا يُقرب من الأشياء والحرم ما لا يحلّ انتهاكه والعاصم الحافظ والمانع والمخافة الخوف وسروت أذهبت وأزلت وفي أساس البلاغة: «سروت الثوب عني: كشفته» والإيجاس التوهم والروع الفزع وتوجسّ شراً أي استشعر وتوهّم الشر قبل وقوعه وتسربلت من سربال وقد تقدم أي لبست والشعار ما تحت الدثار من لباس وقصرت همي أي وقفته وحبسته والهم هنا بمعنى الاهتمام وأجتليها أي أنظرها ومن ذلك جلوة العروس حين تبرز للمحتفلين بالعرس.

قصيرُ الطّيلَسانِ، قد لَبّبَ فتًى جَديدَ الشّبابِ، خلَقَ الجِلْبابِ[1]. فركَضْتُ في إثْرِ النّظّارَةِ، حتى وافَيْنا بابَ الإمارَةِ. وهُناكَ صاحِبُ المَعونَةِ مربِّعاً في دَسْتِهِ، ومُروِّعاً بسَمْتِهِ. فقالَ لهُ الشيخُ: أعَزَّ اللهُ الواليَ، وجعلَ كعْبَهُ العاليَ! إني كفَلْتُ هذا الغُلامَ فَطيماً، وربّيتُهُ يَتيماً[2]، ثمّ لمْ آلُهُ تعْليماً. فلمّا مهَرَ وبَهَرَ، جرّدَ سيْفَ العُدْوانِ وشَهَرَ[3]. ولمْ إخَلْهُ يلْتَوي عليّ ويتّقِحُ، حينَ يرتَوي مني ويلْتَقِحُ. فقالَ لهُ الفتى: عَلامَ عثَرْتَ مني، حتى تنشُرَ هذا الخِزْيَ عني؟ فوَاللهِ ما ستَرْتُ وجْهَ بِرّكَ، ولا هتَكْتُ حِجابَ سِتْرِكَ، ولا شقَقْتُ عَصا أمرِكَ، ولا ألغَيْتُ تِلاوَةَ شُكْرِكَ[4]! فقالَ لهُ الشيخُ:

(1) برزت أي خرجت الحريم موضع حول قصر الملك أو الأمير يجتمع فيه الجند وغيرهم وأروض من راض إذا ساس وذلّل ودرّب وعلّم والطرف بكسر الطاء الفرس والطرف التالية بفتح الطاء وقد تكررت العين والنظر والطرق واحدتها طريق ومتتالون أي متتابعون واحدهم يأتي تلو الآخر ويتبعه ومنثالون أي منصبّون لكثرة جريهم وطويل اللسان كناية عن كثير الكلام والطيلسان كساء أخضر يلبسه الخواص ولبّب أي أمسك بتلابيب الشخص وهو أن يجذبه بثوبه مما يحاذي لبته أي أعلى صدره وجديد الشباب أي حدث في مقتبل العمر.

(2) ركضت أي عدوت وجريت النظارة جمع الناظرين إلى ما يجري وقد تقدّم تفصيلها وفي إثر أي خلفهم ووافينا أي بلغنا ووصلنا وصاحب المعونة من يعينه السلطان لحفظ المدينة وكأنه يعينه في ذلك ومتربعاً من تربع إذا ثنى قدميه تحت فخذيه مخالفاً لهما والدست المرتبة والمجلس والوسادة التي يجلس عليها على أنني أرى أن المراد هنا هو المجلس ومروعاً أي مخيفاً مهيباً وسمته أي هيئته ووقاره والكعب أصله كعب الساق وكعب الرماح ثم أستعير للدعاء بأن يعلو أسفل شيء فيه على أرفع شيء في غيره وكفله إذا عاله وأنفق عليه وقام بأمره وفي سورة آل عمران الآية 44: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وإلقاء الأقلام هنا الاقتراع والفطيم من فصل عن الرضاع واليتيم من فقد أباه قبل أن يبلغ مبلغ الرجال.

(3) لم آل ولم يأل أي لم يقصر ولم يدّخر وسعاً ومهر أي صار ماهراً وبهر العدوّ غلبه وبهرت الشمس أي غمرت بنورها وأحسب أن المراد هنا وجرّد السيف إذا سحبه من قرابه وشهر واستله وأصلته.

(4) خال أي حسب ويلتوي عليه إذا اعتاص واستعصى ويتقح أي يفعل الوقاحة وهي عدم الحياء والصفاقة وارتوى إذا شرب فشبه ويلتقح من اللقحة وهي الناقة الحلوب استعارها واستعار حليبها لمعنى التعلم والاكتفاء من العلم عثرت أي وجدت وعلام أي على أي شيء وتنشر أي تذيع وتظهر والخزي العار والفضيحة والبرّ الإحسان والفضل يؤديه الولد لوالديه وستر وجه البر أي تغطيته يعني العقوق وجحود الوالدين حقهما من الرعاية والصون وهتك أي مزق وحجاب الستر يريد بذلك أنه لم يكشف له ستراً ولم يفضح أمراً وشق العصا مثل يضرب للمخالفة والشقاق =

ويْلَكَ وأيُّ رَيْبٍ أخزى منْ رَيْبِكَ؟ وهلْ عيبٌ أفحَشُ منْ عيبِكَ!؟ وقدِ ادّعيتَ سِحْري واستَلْحَقتَهُ، وانتحَلْتَ شِعْري واستَرَقْتَهُ؟ واستِراقُ الشّعرِ عندَ الشّعراء، أفظَعُ منْ سرِقَةِ البَيْضاء والصّفْراء! وغَيرَتُهُمْ على بَناتِ الأفكارِ ،كغيرَتِهِمْ على البَناتِ الأبكار! فقالَ الوالي للشّيخِ: وهلْ حينَ سرَقَ سلَخَ أم مسخَ أم نسَخَ(1)؟ فقال: والذي جعلَ الشّعْرَ ديوانَ العرَبِ، وتَرْجُمانَ الأدَبِ! ما أحْدَثَ سوى أن بترَ شمْلَ شرْحِهِ، وأغارَ على ثُلُثَيْ سَرْحِهِ. فقال لهُ: أنْشِدْ أبياتَكَ برمّتِها، ليتّضِحَ ما احتازَهُ منْ جُملَتِها. فأنشدَ(2):

يــا خــاطِــبَ الــدّنــيــا الــدّنِــيّــةِ إنّــهــا ... شَــرَكُ الــرّدى وقَــرارَةُ الأكْــدارِ

= ولقد جاء في زهر الأكم لليوسي: «شق العصا. الشق: الصدع والعصا بالقصر العود يضرب به. والعصا أيضاً: اللسان وعظم الساق وجماعة الإسلام. وقولهم: شق فلان العصا أي فارق الجماعة ويقال في الخوارج: شقوا عصا المسلمين»، أي فارقوا جماعتهم. والغى أي محا وأزال والتلاوة القراءة.

(1) ويلك دعاء على المخاطب بالويل بمعنى ويل لك.
والريب الريبة والتهمة وأخزى أكثر عاراً وأشد هواناً وأفحش أي أكثر فحشاً وادّعى الشيء قال به وزعمه لنفسه والسحر يراد به بديع القول إشارة إلى الحديث النبوي: «إن من البيان لسحراً» واستلحق أي ألحق بنفسه تقال في الولد والمراد هنا الشعر أو القول فلقد زعم الفتى أنه له واستلحقه بنسبه أي جعله من فكره وذهنه وانتحل الشيء نسبه إلى نفسه وادعاه والنحلة الدعوى واسترقته أي سرقته وأفظع أي أكثر مرارة وأشنع وأقبح والبيضاء الفضة والصفراء الذهب والغيرة شعور الحبيب بالثورة حين يرى حبيبه يتودد إلى غيره أو حين يرى الغير يتودد إلى حبيبه وبنات الأفكار ما تنتجه العقول من أقوال وأشعار وسلخ ومسخ ونسخ كذا قسّم الحريري أنواع السرقات فالسلخ هو أن يسلخ المعنى ويعيد صياغته والمسخ أخذ النص وتغييره إلى أدنى معنى ومبنى وأما النسخ فنقل النص كما هو كما ينسخ الناسخ الكلام.

(2) والذي جعل يقسم بالله والشعر ديوان العرب عبارة قالها ابن عباس على ما جاء في العمدة لابن رشيق: «وكان ابن عباس يقول: إذا قرأتم شيئاً من كتاب الله فلم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب؛ فإن الشعر ديوان العرب». ومعنى عبارة ديوان العرب أنه كتابهم الذي تدوّن فيه أخبارهم وما أحدث أي ما زاد أو ما غيّر أو ما فعل وبتر أي قطع والشرح التفسير وفتح ما انغلق ويريد بقوله إنه بتر شمل شرحه أنه أخذ شيئاً وترك شيئاً فانفرط بذلك نظام الشرح أي نظام الكلام وأغار أي هجم على الخصم وأوقع به والسرح الماشية يغدى بها ويراح وبرمتها أي بجملتها وأصل معنى الرمّة القطعة من الحبل البالي وليتضح أي ليبين واحتازه أي حازه وضمه إلى نفسه.

دارٌ متى ما أضْحكتْ في يومِها أبْكَتْ غداً بُعْداً لها منْ دارِ
وإذا أظَلّ سَحابُها لم ينتَقِعْ منه صدًى لجَهامِهِ الغرّارِ[1]
غاراتُها ما تنْقَضي وأسيرُها لا يُفتَدى بجلائِلِ الأخْطارِ
كمْ مُزْدَهًى بغُرورِها حتى بَدا متمَرّداً مُتجاوِزَ المِقْدارِ
قلَبَتْ لهُ ظهْرَ المِجَنّ وأولَغَتْ فيهِ المُدى ونزَتْ لأخْذِ الثّارِ[2]
فارْبأ بعُمرِكَ أن يمُرّ مُضَيَّعاً فيها سُدًى من غيرِ ما استِظْهارِ
واقطَعْ علائِقَ حُبّها وطِلابِها تلْقَ الهُدى ورَفاهَةَ الأسْرارِ
وارْقُبْ إذا ما سالَمتْ من كيدِها حرْبَ العِدى وتوثُّبَ الغَدّارِ
واعْلَمْ بأنّ خُطوبَها تفْجا ولوْ طالَ المدى ووَنَتْ سُرى الأقدارِ[3]

---

(1) الخاطب هو الطالب والدنية الوضيعة والشرك الفخ والردى الموت والقرارة موضع يستقر فيه الماء والأكدر والواحد كدر ما يعكّر صفاء الماء وبعداً لها وبعداً له دعاء عليها أو عليه أن يبعدهما الله وأظلّ أي دنا وقرب وانتقع أي ارتوى والصدى العطش وجهامه أي سحابه الذي لا ماء فيه والغرار الخدّاع الذي يغرّ من يراه بما ليس فيه.

(2) الغارات واحدتها الغارة الهجوم بالخيل وتعني أيضاً النهب وما تنقضي أي لا تنتهي وأسيرها أي سجينها ويريد بذل المتشبّث بالدنيا والطامع بها ويفتدى أي يستنقذ بفدية من مال أو غير ذلك والجلائل والواحدة جليلة وهي الشيء العظيم أو الرفيع والواحد خطر وهو كل ما له شرف وقدر المزدهى المعجب والفخور والمتمرّد من تجاوز الحد في الفساد والمجن الترس والمعنى أن الدنيا تغيّرت وساءته وعبارة قلب له ظهر المجن مثل يقال لمن تغير من حال المصاحبة والمسالمة إلى حرب العداء والحرب. وأولغت أي سقت وفعل ولغ يقال للكلاب والمدى والواحدة مدية وهي السكين ونزت أي وثبت والثأر طلب الدم.

(3) إربأ فعل أمر من ربأ إذا ارتفع وجلّ أمره وربأ بنفسه عن الشيء إذا رفعها وصانها عنه ومضيعاً من ضاع وسدى أي مهملاً وأسدى الإبل أي أهملها وفي سورة القيامة الآية 36: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ والاستظهار الاستعداد واتخاذ الظهر أي العون والناصر والعلائق واحدتها علاقة ما تعلّق به الإنسان من مال وزوج وولد وهي الصلة والارتباط وهي الحب والرفاهة العيش الهنيء والأسرار يعني بها البواطن فالمرء إذا ما قطع علائقه بالدنيا بات خالي القلب مرتاح السريرة فلا طمع ولا غيرة ولا ألم وارقب أي انتظر وسالمت صالحت والكيد المكر والغدار من يؤمنك فإذا أمنته خانك والخطوب الأمور العظيمة والنوازل وتفجا أي تباغت وتأتي فجأة والمدى الغاية من الشيء فمدى الدهر طوله وونت أي فترت وضعفت وتباطأت والسرى السير في الليل يقول صن =

فقال لهُ الوالي: ثمّ ماذا، صنعَ هذا؟ فقال: أقْدَمَ للُؤمِهِ في الجَزاء، على أبْياتيَ السُداسيّةِ الأجْزاء؛ فحذَفَ منها جُزءينِ، ونقَصَ منْ أوزانِها وزْنَينِ. حتى صارَ الرُّزْء فيها رُزْءينِ[1]. فقالَ له: بيّنْ ما أخذَ، ومنْ أينَ فلَذَ؟ فقال: أرْعِني سمْعَكَ، وأخْلِ للتّفَهُّمِ عني ذرْعَكَ! حتى تتبيّنَ كيفَ أصْلَتَ عليّ، وتقْدُرَ قدْرَ اجْتِرامِهِ إليّ. ثم أنْشَدَ وأنفاسُهُ تتصعّد[2]:

يـا خـاطِـبَ الـدّنـيـا الـدّنِـيّـ ... ـةِ إنّــهـــا شـــرَكُ الـــرّدى
دارٌ مـــتـــى مـــا أضْـــحـــكـــت ... فـــي يـــومِـــهـــا أبْـــكَـــتْ غـــدا
وإذا أظَـــلّ سَـــحـــابُـــهـــا ... لـــم يـــنـــتَـــقِـــعْ مـــنْـــه صـــدى
غـــاراتُـــهـــا مـــا تـــنْـــقَـــضـــي ... وأســـيـــرُهـــا لا يُـــفـــتَـــدى
كـــمْ مُـــزْدَهًـــى بـــغُـــرورِهـــا ... حـــتـــى بَـــدا مـــتـــمَـــرّدا
قـــلَـــبَـــتْ لـــهُ ظـــهْـــرَ الـــمِـــجَـــ ... ـنّ وأولَـــغَـــتْ فـــيـــهِ الـــمُـــدى
فـــازْبـــأ بـــعُـــمْـــرِكَ أن يـــمُـــرّ ... مُـــضَـــيَّـــعـــاً فـــيـــهـــا سُـــدى
واقـــطَـــعْ عـــلائِـــقَ حُـــبّـــهـــا ... وطِـــلابِـــهـــا تـــلْـــقَ الـــهُـــدى
وارْقُـــبْ إذا مـــا ســـالَـــمـــتْ ... مـــن كـــيـــدِهـــا حـــرْبَ الـــعِـــدى

= عمرك عن الضياع وارفعه ولا تبق مهملاً من غيرظهير وانبذ حب الدنيا ترتح ويقر قرارك وابق على حذر من الدنيا إذا سالمتك فمن شيمها الغدر تأتي مصائبها بغتة ولو طال الزمان وسارت الأقدار في الليل أو الظلام متباطئة ضعيفة.

(1) أقدم أي تقدّم واللؤم الخسة والجزاء المكافأة وسداسية الأجزاء لأن أبياتها من بحر الكامل وأجزاؤه متفاعلن ست مرات والرزء المصيبة والخسارة ولفهم الأمر وإيضاحه فسأثبت مطلع قصيدة السروجي وتحته مطلع قصيدة الفتي:

يـا خـاطِـبَ الـدّنـيـا الـدّنِـيّـةِ إنّـهـا ... شـــرَكُ الـــرّدى وقَـــرارَةُ الأكـــدارِ
يـــا خـــاطِـــبَ الـــدّنـــيـــا الـــدّنِـــيّـــ ... ـةِ إنّـــهـــا شـــرَكُ الـــرّدى

(2) بين فعل أمر بمعنى أظهر وفلذ أي اقتطع وأرعني سمعك أي أصغ إلي وأسمعني وأخل أي أفرغ والذرع القلب والبال وأصلت السيف جرّده وسلّه وتقدر من قدر الشيء إذا قاسه وعرف قدره والاجترام الجرم والذنب وتتصعّد أي تطلع إلى فوق غيظاً وحنقاً.

واعـلَـمْ بـأنّ خُـطـوبَـهـا تـفْـجـا ولـوْ طـالَ الـمـدى

فالتفتَ الوالي إلى الغُلامِ وقال: تبّاً لكَ منْ خِرّيجٍ مارقٍ، وتِلميذٍ سارِقٍ! فقالَ الفَتى: برِئْتُ منَ الأدَبِ وبَنيهِ، ولحِقْتُ بمَنْ يُناويهِ، ويقوّضُ مَبانِيهِ! إنْ كانتْ أبياتُهُ نمَتْ إلى عِلْمي، قبلَ أن ألّفْتُ نظْمي. وإنّما اتّفقَ توارُدُ الخَواطِرِ، كما قدْ يقَعُ الحافِرُ على الحافِرِ[1].

قال:

فكأنّ الواليَ جوّزَ صِدْقَ زعْمِهِ، فندِمَ على بادِرَةِ ذمّهِ. فظَلّ يُفكّرُ في ما يكْشِفُ لهُ عنِ الحقائِقِ، ويميّزُ بهِ الفائِقَ، منَ المائِقِ. فلمْ يرَ إلا أخْذَهُما بالمُناضَلَةِ، ولزّهُما في قرَنِ المُساجَلَةِ[2]. فقالَ لهُما: إنْ أرَدْتُما افتِضاحَ العاطِلِ، واتّضاحَ الحقّ منَ الباطِلِ؛ فترَاسَلا في النّظْمِ وتبارَيا، وتَجاوَلا في حلبَةِ الإجازَةِ وتجارَيا. ليهْلِكَ منْ

(1) تبّ كضرب ونصر أي هلك وخسر وتباً لك دعاء بالهلاك والخسارة وفي سورة المسد الآية 1: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ والخريّج من خرّجه معلّمه والمارق الخارج عن الطاعة وبرئت أي خرجت وتنحيّت وانفصلت وزلت ولحقت أي تبعت ويناويه أي يعاديه ويقوض أي يهدم ويدكّ ونمت أي بلغت ووصلت وألّف النظم أو الكلام جمعه واتفق أي وقع عرضاً دون تدبير وتوارد الخواطر هو أن يفكر اثنان في أمر واحد دون اتفاق ودون أن يطلع واحدهما على ما فكر فيه أو قاله الآخر على رغم بعد المسافة وأحياناً الزمان وأصل القول ورود الحيين الماء من غير مواعدة ووقوع الحافر على الحافر مثل يضرب لتوافق الأشياء. يقول القلقشندي في صبح الأعشى: «واعلم أن الناثر الماهر والشاعر المفلق قد يأتي بكلام سبقه إليه غيره فيأتي بالبيت من الشعر أو القرينة من النثر أو أكثر من ذلك بلفظ الأول من غير زيادة ولا نقصان أو بتغيير لفظ يسير وهذا هو الذي يسميه أهل هذه الصناعة وقوع الحافر على الحافر».

(2) جوّز الشيء أو الرأي رآه جائزاً ممكن الحصول والزعم الدعوى والبادرة ما يفرط من الإنسان عند الحدّة أو الغضب من سقطة في قول أو فعل والذم التقريع والتنقّص وهو نقيض المدح والفائق أي الفاضل والمائق الغبي والأحمق الضعيف التدبير وأخذهما أي إلزامهما والمناضلة المراماة والمجادلة ولزّهما أي ضمّهما وشدهما يقول أبو دلامة حين أجبره الخليفة على الصوم:
ألم تعلموا أنّ الخليفة لزّني بمسجده والقصر، ما لي وللقصر!. والمساجلة في أصل معناها أن يستقي ساقيان فيخرج كل واحد منهما مثل ما يخرج الآخر فأيهما نكل فقد غلب على أن المراد هنا المباراة والمعارضة في النظم والقول.

هلَكَ عنْ بيّنَةٍ، ويحْيا مَنْ حَيّ عنْ بيّنَةٍ[1]. فقالا بلِسان واحِدٍ، وجَوابٍ متوارِدٍ: قدْ رضينا بسَبْرِكَ، فمُرْنا بأمرِكَ! فقال: إني مولَعٌ من أنواعِ البَلاغَةِ بالتّجْنيسِ، وأراهُ لها كالرّئيسِ! فانظِما الآنَ عشَرَةَ أبياتٍ تُلحِمانِها بوَشْيِهِ، وتُرَصّعانِها بحَلْيِهِ! وضمّناها شرْحَ حالي؛ معَ إلْفٍ لي بَديعِ الصّفَةِ، ألمَى الشّفَةِ، مَليحِ التّثَنّي، كثيرِ التّيهِ والتّجَنّي، مُغْرًى بتَناسي العهْدِ، وإطالَةِ الصّدّ، وإخْلافِ الوعْدِ، وأنا لهُ كالعَبْدِ[2]!

قال:

فبرَزَ الشيخُ مُجَلّياً، وتلاهُ الفَتى مُصَلّياً! وتجارَيا بيْتاً فبَيْتاً على هذا النّسَقِ، إلى أن كمُلَ نظْمُ الأبياتِ واتّسَقَ، وهيَ[3]:

---

(1) العاطل الخالي من الحلي وتقال في النساء وهو هنا كناية عن الخالي من الموهبة وتراسلا أي تجاريا وتباريا أي تسابقا وتجاولا من جال في ميدان القتال إذا خرج للمبارزة والحلبة في أصل معناها الخيل تجمع للسباق والإجازة هي أن يقول واحد مصراعاً فيجيبه الآخر بمصراع يتمم البيت وتجاريا أي تسابقا والعبارة التالية قرآنية من الآية 42 من سورة الأنفال: ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(2) التوارد القدوم معاً ومنه توارد الأفكار وقد يعني التوارد التتابع ورضينا أي قبلنا والسير القياس والتجربة ومولع أي مفتون ومغرم والتجنيس هو تناسب اللفظ واختلاف المعنى والرئيس المقدم على غيره يقول إنه مغرم بالجناس ويراه رأس البلاغة وألحم أي نسج وقد تقدم ذكر اللحمة والسدى ووشيه أي نقشه وزينته والضمير عائد للتجنيس يقول انظما شعراً تنقشانه وتزينانه بالتجنيس والترصيع إنزال الجواهر في الحلي أو نظمها في العقد وضمناها أي اجعلا ضمنها أو اجعلاها تحتوي وشرح حالي أي وصف ما بي والإلف المعشوق والخدين والصاحب يقول الهذلي:

«ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر وغصنك ميّاد ففيم تنوح؟»

والألمى والمرأة لمياء من كانت في شفته أو شفتها سمرة وهي من علامات الحسن عند العرب والتثني الانعطاف والتيه الصلف والكبرياء يقول ابن المعتز: «قَمَرٌ فوقَ قَضِيبٍ، لا يرَى العُشّاقَ تِيهَا» ويقول أبو نواس: «مُتَتايِهٌ بِجَمالِهِ صَلِفٌ، لا يُستطاعُ كلامهُ تيها» والتجنّي أن يرمى الآخر بإثم لم يقترفه والمغرى بالشيء المولع به والعهد الوفاء والميثاق وإطالة الشيء مدّه والزيادة في طوله والصد الهجر والإعراض وإخلاف الوعد نكثه وعدم القيام به.

(3) برز أي ظهر والمجلي السابق من الأفراس في المضمار والمصلّي الذي يأتي خلف السابق وتجاريا أي تسابقا وتباريا والنسق ما كان على نظام واحد من كل شيء واتسق أي اجتمع والقمر يتسق إذا اجتمع نوره واستوى أمره وفي سورة الانشقاق الآية 18: ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾.

وأحْوَى حَوى رِقّي بِرِقّةِ ثغْرِهِ | وغادَرَني إلْفَ السُّهادِ بغَدْرِهِ
تصدّى لقتْلي بالصّدودِ وإنّني | لَفي أسرِهِ مُذْ حازَ قلبي بأسْرِهِ
أصدّقُ منهُ الزّورَ خوْفَ ازْوِرارِهِ | وأرْضى استماعَ الهُجرِ خشية هجْرِهِ
وأستَعْذِبُ التّعْذيبَ منهُ وكلّما | أجَدّ عذابي جَدّ بي حُبّ بِرّهِ[1]
تَناسى ذِمامي والتّناسي مذَمّةٌ | وأحفَظَ قلْبي وهْوَ حافِظُ سِرّهِ
وأعجَبُ ما فيهِ التّباهي بعُجْبِهِ | وأكْبِرُهُ عنْ أنْ أفوهَ بكِبرِهِ
لهُ منّيَ المدْحُ الذي طابَ نشْرُهُ | ولي منهُ طيُّ الودّ من بعْدِ نشْرِهِ[2]
ولوْ كان عدلاً ما تجنّى وقد جَنى | عليّ وغيري يجتَني رشْفَ ثغرِهِ
ولوْلا تثَنّيهِ ثنَيْتُ أعنّتي بِداراً | إلى منْ أجْتَلي نورَ بدرِهِ
وإني على تصْريفِ أمري وأمرِهِ | أرى المُرّ حُلواً في انقِيادي لأمرِهِ[3]

---

(1) الأحوى الأسمر الشفة فالحوة حمرة تضرب إلى السواد وحوى أي حاز ورقي أي ملكي أي استرقني فصرت له عبداً رقيقاً ورقة الثغر لطافة المبسم وغادرني أي تركني والسهاد الأرق والسهر وإلف السهاد أي حليفه وملازمه وصاحبه والغدر عدم الوفاء وتصدّى لفعل الشيء إذا انبرى وتعرّض له والصدود الهجر وأسره أي سجنه وحبسه والأسر أن يشدّ المرء بالإسار ويقيّد وبأسره أي بجملته أي كله والزور المين والكذب والازورار أي الإعراض والانقباض يقول عنترة في وصف فرسه في المعركة:

«فازورّ من وقع القنا بلبانهِ | وشكا إليّ بعَبْرةٍ وَتَحَمْحُمِ»

والهجر القبيح من القول والفاحش أيضاً وخشية أي مخافة والهجر الصد والإعراض واستعذب إذا استساغ ووجد الشيء عذباً سائغاً هنيئاً وأجدّ الشيء جدّده وجدّ زاد واجتهد والبر الإحسان يقول واستسغت عذابه بل إنه كلما جدد لي عذاباً اجتهدت في إكرامه ووصله.

(2) الذمام العهد والمذمة العيب وأحفظ أي أسخط وأغضب والتباهي التفاخر والعجب الزهو والكبر والغرور وأكبر أي أعظم وفاه أي نطق وكبره أي كبرياؤه والنشر الأرج والرائحة الطيبة وطاب كان طيباً وطي الودّ كناية عن الصد والإعراض والود المحبة والألفة ونشر الشيء بسطه يقول أمدح مدحاً ينتشر أريجه ويبادلني بأن يطوي حبي كالثوب بعد أن كان مبسوطاً.

(3) العدل الإنصاف والعدل العادل المرضي الشهادة وتجنّى أي أساء واتهم البريء بما لم يقترفه وجنى علي أي أساء لي ويجتني أي يقتطف ورشف الثغر كناية عن التقبيل والتثني الانعطاف في المشية وهو من علامات الدل والحسن وثنيت أي طويت وعطفت والأعنّة والواحد عنان ما تقاد =

فلمّا أنشَداها الوالي مُتراسِلَين، بُهِتَ لذَكاءَيْهِما المُتعادِلَين. وقال: أشهَدُ باللهِ أنّكُما فرْقَدا سماءٍ، وكزَنْدَينِ في وعاءٍ! وأنّ هذا الحدَثَ ليُنْفِقُ ممّا آتاهُ اللهُ، ويستَغْني بوُجْدِهِ عمّنْ سِواهُ. فتُبْ أيها الشيخُ منِ اتّهامِهِ، وثُبْ إلى إكْرامِهِ[1]. فقالَ الشيخُ: هيهاتَ أن تُراجِعَهُ مِقَتي، أو تعْلَقَ بهِ ثِقَتي! وقدْ بلَوْتُ كُفرانَهُ للصّنيعِ، ومُنيتُ منهُ بالعُقوقِ الشّنيعِ[2]. فاعتَرَضَهُ الفتى وقال: يا هذا إنّ اللّجاجَ شؤمٌ، والحنَقَ لؤمٌ! وتحقيقَ الظِّنّةِ إثمٌ، وإعْناتَ البَريءِ ظُلمٌ! وهَبْني اقترَفْتُ جَريرةً، أوِ اجتَرَحْتُ كَبيرةً؛ أمَا تذْكُرُ ما أنشَدْتَني لنفسِكَ، في إبّانِ أُنسِكَ[3]:

= به الدابة وبداراً أي عاجلاً وأجتلي أي أنظر ونور البدر كناية عن الوجه الصبيح يقول ولولا تثنيه في مشيه لانصرفت سريعاً أتأمل محاسن وجه صبيح والتصريف هنا الاختلاف يقول وإنني على رغم الفارق بين ما يفعل وأفعل فإنني راض وأرى مرارة عبوديتي له حلوة مستساغة.

(1) متراسلان أي متتابعان وبهت أي دهش والمتعادلان أي المتساويان والفرقدان نجمان قريبان من القطب الشمالي والزندان في وعاء مثل يضرب للتساوي والتعادل جاء في الأمثال لابن سلام: «قال أبو عبيدة: من أمثالهم في التساوي بين الاثنين: هما زندان في وعاء». وجاء في زهر الأكم: زندان في وعاء: الزند بفتح الأول العود الذي يقدح به. والوعاء معروف. يضرب هذا في تساوي الرجلين فيقال: هما زندان في وعاء وكزندين في وعاء. قال أبو عبيد القاسم بن سلام: ولا يكاد يوضع في المدح. إنما هو في موضع الخساسة والدناءة. فقال البكري: لا أعلم لم جعل في موضع الدناءة إلا أن يتناولوا فيه قولهم اللئيم مزند والتزنيد: التضييق. والحدث أي الفتى وينفق مما آتاه الله أي يؤلف وينظم من قريحته وفكرته التي وهبها إياه الله لا انتحالاً ولا سرقة ويستغني أي يكتفي ويكون غنياً ووجده أي الموجود عنده وتب فعل أمر من تاب أي ارجع فالتوبة هي الرجوع عن المعصية والتوبة تكون من العبد بأن يرجع عن المعصية ومن الله حين يرجع فيغفر للعبد وثب فعل أمر من ثاب بمعنى عاد ورجع.

(2) هيهات حرف تبعيد وفي سورة المؤمنون الآية 36: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ والمراجعة إعادة النظر أو العود إلى فعل وفعله شراً كان أم خيراً والمقة الحب والود والثقة اليقين يقول إنه لأمر بعيد أن أحبّه أو أثق به بعد الذي حدث وبلوت أي خبرت وامتحنت والكفران الإنكار والجحود والصنيع المعروف ومني بالشيء أصيب وابتلي به والعقوق العصيان والمخالفة وهو نقيض البر ويكون غالباً في الأبناء حين لا يبرون آباءهم وأمهاتهم والشنيع القبيح.

(3) اعترضه بمعنى واجهه وردّ عليه ومنعه واللجاج التمادي في العناد والشؤم النحس وهو نقيض اليمن والبركة والحنق الغيظ والغضب والظنة التهمة وتحقيقها أي تصديقها وفي كنز العمال للهندي حديث يقول: «ثلاث لم تسلم منها هذه الأمة الحسد والظن والطيرة ألا أنبئكم بالمخرج=

سـامِـخ أخـاكَ إذا خـلَـطْ مـنـهُ الإصـابَـةَ بـالـغـلَـطْ
وتـجـافَ عـنْ تـعـنـيـفِـه إنْ زاغَ يـومـاً أو قـسَـطْ
واحـفَـظْ صَـنـيـعَـكَ عـنـدَه شـكـرَ الـصَّـنـيـعَـةَ أم غـمَـطْ
وأطِـعْـهُ إنْ عـاصَـى وهُـنْ إنْ عَـزّ وادْنُ إذا شـحَـطْ[1]
واقْـنَ الـوَفـاءَ ولَـوْ أخـلّ بـمـا اشـتـرَطْـتَ ومـا شـرَطْ
واعْـلَـمْ بـأنّـكَ إن طـلـبْـتَ مـهـذّبـاً رُمـتَ الـشّـطَـطْ
مَـنْ ذا الـذي مـا سـاء قـطُّ ومـنْ لـهُ الـحُـسْـنـى فـقـطْ
أوَمَـا تَـرى الـمَـحْـبـوبَ والـمَـكـروهَ لُـزّا فـي نَـمَـطْ[2]

= منها إذا ظننت فلا تحقق، وإذا حسدت فلا تتبع، وإذا تطيرت فامض» والإثم الذنب والحرام والإعنات التضييق والإتعاب وهبني فعل أمر بمعنى احسبني واقترف الأمر فعله وارتكبه ويكون في القبيح عادة والجريرة الإثم والجناية واجترحت مثل ارتكبت واقترفت والكبيرة العظيمة من الخطايا وفي إبان في زمان وعهد ووقت.

(1) سامحه صفح عنه وتجاوزعن ذنبه وخلط أي مزج شيئاً بشيء أو أمراً بأمر والإصابة والغلط نقيضان وتجاف فعل أمر بمعنى ابتعد والتعنيف اللوم والتقريع وزاغ مال وانحرف وفي سورة النجم الآية 17: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ وقد تكرر اللفظ في القرآن مراراً وقسط أي جار وظلم وحاد عن الحق ويعني أيضاً عدل ينظر إلى مادة قسط في القرآن في سورة الجن والبقرة والأحزاب ومواضع غير تلك كثيرة وغمط الصنيعة أي جحد المعروف وأنكره. يقول ولا تبطل معروفك حتى ولو أنكره وجحده وأطعه فعل من أمر من أطاع أي انقاد وعاصى أي عصي وهن فعل أمر من هان أي ذلّ وحقر وادن فعل أمر بمعنى اقترب وشحط بعد ونأى هذا وعبارة إذا عز اخوك فهن مثل عربي ولقد جاء في الأمثال لابن سلام: «قال الأصمعي: من أمثالهم السائرة: إذا عز أخوك فهن. قال أبو عبيد: معناه أنّ مياسرتك صديقك ليس لضيم ركبك به فتدخلك الحمية منه، إنّما هو حسن خلق وتفضل، فإذا عاسرك فياسره».
اقن فعل أمر من قني الشيء يقنوه إذا لزمه وادخره وحفظه مثل اقتناه والوفاء الإخلاص والبقاء على العهد وأخلّ إذا أنقص أو لم يقم بما ألزم نفسه به أو اشترطه على نفسه وما اشترط جعل شرطاً بينكما والشرط إلزام الشيء والتزامه في البيع والمعاملات بعامّة والمهذّب الكيس الأديب ورمت أي أردت وطلبت والشطط تجاوز الحد والقدر وفي سورة الكهف الآية 14 وفي سورة الجن الآية 4: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾ هذا وقد يكون الحريري يلاحظ في هذا البيت بيتاً شهيراً للنابغة الذبياني يقول: .

(2) ولـسـتُ بـمُـسْـتَـبْـقٍ اخـاً لا تـلـمُّـهُ على شَعَثٍ أيُّ الـرجـالِ الـمـهـذبُ؟ =

كـالـشَّـوْكِ يـبْـدو فـي الـغُـصـو نِ مـعَ الـجَـنـيِّ الـمُـلـتَـقَـطْ
ولَـذاذَةُ الـعُـمـرِ الـطَّـويـ ـلِ يَـشـوبُـهـا نـغَـصُ الـشَّـمَـطْ
ولـوِ انـتـقَـدْتَ بَـنـي الـزّمـا نِ وجَـدتَ أكـثـرَهُـم سـقَـطْ
رُضْـتُ الـبَـلاغَـةَ والـبَـرا عَـةَ والـشَّـجـاعَـةَ والـخِـطَـطْ
فـوجَـدتُ أحـسَـنَ مـا يُـرى سـبْـرَ الـعُـلـومِ مـعـاً فـقَـطْ[1]

قال: فجعَلَ الشيخُ يُنَضْنِضُ نضْنَضَةَ الصِّلّ، ويُحملِقُ حملَقَةَ البازي المُطِلّ! ثمّ قال:

والذي زيّنَ السّماء بالشُّهُبِ، وأنزلَ الماء من السُّحُبِ! ما روْغي عنِ الاصْطِلاحِ، إلا لتَوَقّي الافتِضاحِ؛ فإنّ هذا الفتى اعْتادَ أن أمونَهُ، وأُراعيَ شُؤونَهُ[2].

= ولزّا وقد تقدّم فعل لزّ آنفاً أي قرنا والنمط الطريق والنوع يقول إن ما تحبّ وما تكره قد قرنا بقران واحد فلا كمال لأحد أو فيه.

(1) يبدو أي يبين ويظهر والجنيّ الطري من الثمار وفي سورة مريم الآية 25: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا﴾.
والملتقط أي المأخوذ والمقتطف عن الأغصان واللذاذة اللذة والهناءة ويشوبها أي يكدرها ويعكر صفوها والنغص التنغيص والتكدير والشمط اختلاط الشيب بالشعر الأسود وانتقد أي فتّش واختير وأصله في الذهب والفضة وبنو الزمان الناس والسّقط ما لاخير فيه ولا يرجى منه خير وهو في أساسه سقط المتاع أي الرديء منه ورضت من راض الشيء إذا ذلله وراض البلاغة مارسها والبراعة ضروب من البديع كبراعة المطلع وتدعى حسن الابتداء وبراعة الاستهلال وبراعة الطلب والشجاعة الجسارة والجرأة والإقدام والخِطط والواحدة خطّة الأرض التي يختطها المرء لنفسه والخُطّة وجمعها خُطط المشكل من الأمر وشبه القصّة وما خطّ المرء في نفسه وسبر العلوم الغوص والتمعن فيها يقول لكل أمر ما ينقص من كماله فالشوك يؤذي عند القطاف والشيب يتغلغل في الشعر عند طول العمر والناس أكثرهم ممن لا يعتدّ بهم ولقد تمرّست بالبلاغة والبديع وتجاسرت وجبت الآفاق ولم أجد شيئاً أحسن من العلم والتمرس به.

(2) نضنض إذا حرّك لسانه وتقال في الأفاعي والصل حية خبيثة وحملق فتح عينيه ونظر بشدة والبازي طير جارح معروف والمطلّ من أطلّ إذا أشرف على فريسته والشهب واحدها شهاب أي النجم اللامع والسحب واحدتها سحابة وهي الغيمة وروغي من راغ إذا مال عن الشيء والاصطلاح أي الصلح والتوقي الاحتماء والحذر من أمر والافتضاح الفضيحة وأمونه أحتمل مؤونته وأكفيه وراعى الشيء إذا حفظه وسهر عليه وشؤونه أي أموره.

وقد كانَ الدهرُ يسُحّ، فلمْ أكُنْ أشُحّ. فأمّا الآنَ فالوقْتُ عَبوسٌ، وحشْوُ العيْشِ بوسٌ. حتى إنّ بِزّتي هذه عارَةٌ، وبيْتي لا تَطورُ بهِ فارَةٌ[1]!

قال:

فرَقّ لمَقالِهما قلبُ الوالي، وأوى لهُما من غِيَرِ اللّيالي. وصَبا إلى اختِصاصِهِما بالإسعافِ، وأمرَ النّظّارَةَ بالانصِرافِ[2].

قال الرّاوي:

وكُنتُ متشوّفاً إلى مرْأى الشيخِ لعلّي أعلَمُ عِلمَهُ، إذا عاينْتُ وَسْمَهُ. ولم يكُنِ الزّحامُ يسفِرُ عنْهُ، ولا يُفرَجُ لي فأدنوَ منهُ. فلما تقوّضَتِ الصّفوفُ، وأجفَلَ الوقوفُ؛ توسّمْتُهُ فإذا هو أبو زيدٍ والفتى فتاهُ! فعرَفْتُ حينئذ مغْزاهُ في ما أتاهُ[3]. وكِدْتُ أنقَضُّ عليهِ، لأستعْرِفَ إلَيهِ، فزجَرَني بإيماضِ طرْفِهِ، واستَوقفَني بإيماء كفّهِ. فلزِمْتُ موقِفي، وأخّرْتُ منصَرَفي. فقال الوالي: ما مَرامُكَ، ولأي سببٍ مُقامُكَ؟ فابتدَرَهُ الشيخُ وقال: إنهُ أنيسي، وصاحِبُ ملْبوسي! فتسمّحَ عندَ هذا القولِ بتأنيسي، ورخّصَ في جُلوسي[4]. ثمّ أفاضَ عليهِما خِلعتَينِ، ووصلَهُما بنِصابٍ منَ العينِ.

(1) سحّ أي صبّ والفعل للمطر وأشح أي أبخل. يقسم بالله إنه ما حاد عن المصالحة إلا خوفاً من الفضيحة فهو فقير لا يسعه أن يعيل ابنه كما كان يفعل أيام كان الدهر يجود وهو لا يبخل. وعبس فهو عبوس إذا قطّب وجهه من ضيق الصدر وكلح واستعير ذلك لليوم كناية عن الضيق وفي سورة الإنسان الآية 10: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ وحشو الشيء أي باطنه وما حشي به والعيش الحياة والبوس الضرّ والشدّة والبزّة الثوب والعارة أي العارية أي المستعارة ويَطُوْرُ أي يَحُوْمُ حَوَالَيْهِ وَيدْنُو منه وفي المحكم لابن سيده: «وطَوارُ الدّارِ وطِوارُها: ما كانَ مُمْتَداً مَعَها. وفُلانٌ لا يَطُورُ بِي، أي: لا يَقْرَبُ طَوَارِي».

(2) رقّ أي لان ورحم وأوى أي أشفق وغير الليالي أي تغيّرها والليالي كناية عن الزمان والحال وصبا إلى الشيء مال إليه واختصه بالشيء خصّه والإسعاف المعونة والنظارة المتفرّجون.

(3) تشوّف إلى الشيء تطلع إليه ومرأى الشيخ أي رؤيته والوسم العلامة ويسفر أي يكشف ويفرج لي أي يفتح لي فرجة وأدنو أقترب وتقوّضت أي تداعت وتفرّقت وأجفل أي نفر وشرد وأسرع في المشي والوقوف واحدها واقف وتوسّمته أي تأملته ونظرته والمغزى أي المقصد والهدف والغاية والمرام والمطلب وما أتاه أي ما قام به وفعله.

(4) انقضّ أي أنزل وأنصبّ وتقال في الطائر إذا هوى على الفريسة يريدها وأستعرف إليه أي أعرّفه =

واستعْهَدَهُما أن يتَعاشَرا بالمعروفِ، إلى إظْلالِ اليوم المَخوفِ[1]. فنَهضا منْ نادِيهِ، مُنشِدَينِ بشُكْرِ أياديهِ. وتبعْتُهما لأعرِف مثواهُما، وأتزوّدَ من نجْواهُما، فلمّا أجَزْنا حِمى الوالي، وأفضَيْنا إلى الفضاءِ الخالي، أدركَني أحدُ جلاوِزَتِه؛ مُهيباً بي إلى حوزَتِه، فقلتُ لأبي زيدٍ: ما أظنّهُ استَحْضَرَني، إلا ليَستَخبِرَني، فماذا أقولُ؟ وفي أيّ وادٍ معَهُ أجولُ[2]؟ فقال: بيّنْ لهُ غَباوَةَ قلبِهِ، وتلْعابي بلُبِّهِ! ليعْلَمَ أنّ ريحَهُ لاقَتْ إعصاراً، وجدوَلَهُ صادَفَ تيّاراً! فقلتُ: أخافُ أن يتّقدَ غضَبُهُ، فيلْفَحَكَ لهَبُهُ. أو يستَشْرِيَ طيْشُهُ، فيسرِيَ إليكَ بطْشُهُ. فقال: إني أرحَلُ الآنَ إلى الرُّها، وأنّى يلْتَقي سُهَيلٌ والسُّهَى[3]؟ فلمّا حضرْتُ الواليَ وقد خَلا مجلِسُهُ، وانجلَى تعبُّسُهُ، أخذ

= بنفسي وزجر أي نهى وانتهر والإيماض الإشارة بالعين خفية واستوقفني أي طلب مني الوقوف والإيماء الإشارة باليد مثلاً دون كلام ومنصرفي أي ذهابي وانصرافي وما مرامك أي ما طيك والمقام مكان القيام والإقامة وهي هنا بمعنى بقاؤك وابتدره أي عاجله وتسمّح له أي سمح ورخّص أي أعطى الرخصة والإذن والتأنيس المؤانسة وإزالة الوحشة.

(1) أفاض عليهما أعطاهما وأسبغ عليهما والخلعة الثوب والكسوة ووصلهما أي أكرمهما والنصاب عشرون ديناراً من الذهب أو مائتا درهم من الفضة والعين الذهب أو الفضة واستعهدهما أي أخذ عليهما العهد وإظلال الشيء دنوّه وحلوله واليوم المخوف هو يوم الموت.

(2) النادي المجلس وأشاد إذا أثنى وحمد والأيادي واحدتها يد وهي كناية عن المعروف والعطاء وتبعتهما أي لحقت بهما والمثوى مكان الثواء أي الإقامة وأتزوّد أي أتخذ زاداً ونجواهما أي مسارّتهما وفي سورة المجادلة الآية 7: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ ويروى مكان نجواهم فحواهم وفحوى الشيء معناه ومضمونه وأجزنا أي قطعنا وخلّفنا يقول عمر بن أبي ربيعة:

فلما أجزنا ساحةَ الحيِّ قلنَ لي   أَلَمْ تَتَّقِ الأعْدَاءَ والليلُ مُقْمِرُ؟

ويقول امرؤ القيس:

فلما أجزْنا ساحةَ الحيِّ وانتحى   بنا بطنُ خَبْتٍ ذي حِقافٍ عَقَنْقَلِ

وأفضينا أي وصلنا وبلغنا والفضاء الخالي أي الخلاء الذي لا بنيان فيه وأدركه أي لحقه ووصل إليه والجلاوزة واحدها الجلواز وهو الشرطي أو من يخفّ بين يدي الأمير في الذهاب والإياب وأهاب به إذا دعاه إلى الشيء أو حمله عليه والحوزة الناحية واستحضرني طلب حضوري واستخبرني أراد معرفة خبري أو سؤالي عن الخبر وقوله ماذا اقول وفي أي واد أجول يعني ماذا أخبره وكيف أتصرّف معه وفي أي غرض من الحديث آخذ معه.

(3) إنْ كُنْتَ رِيحاً فَقَدْ لاقَيْتَ إعْصاراً. قال أبو عبيدة: الإعصار ريحٌ تهبّ شديدة فيما بين السماء =

يصِفُ أبا زيدٍ وفضلَهُ، ويذُمّ الدهرَ لهُ. ثمّ قال: نشَدْتُك اللهَ ألَسْتَ الذي أعارَهُ الدَّسْتَ؟ فقلت: لا والذي أحلّكَ في هذا الدَّسْتِ! ما أنا بصاحِبِ ذلِك الدّسْتِ. بل أنت الذي تمّ عليهِ الدّسْتُ! فازْوَرّتْ مُقلَتاهُ، واحمرّتْ وجْنَتاهُ، وقال[1]: واللهِ ما أعجزَني قطُّ فضْحُ مُريبٍ، ولا تكْشِيفُ مَعيبٍ. ولكِنْ ما سمِعْتُ بأنّ شيخاً دلّسَ، بعدَما تطلّسَ، وتقلّسَ. فبِهذا تمّ لهُ أنْ لبّسَ، أفتَدْري أينَ سكَعَ، ذلِك اللُّكَعُ[2]؟

= والأرض، يضرب مثلاً للمُدِلّ بنفسه إذا صُلِيَ بمن هو أدهى منه وأشدّ وفي سورة البقرة الآية 266: ﴿فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ فَٱحۡتَرَقَتۡۗ﴾ يقول ابن خفاجة:

«مَن يَلقَ من لاعجٍ وَجدٍ بهِ رِيحاً، فقَد لاقَيتُ إعصارَا» والجدول النهر الصغير وصادف أي قابل صدفة على غير قصد ولا موعد والتيّار موج البحر ولجّته وجريان الماء وتدفّقه ويتّقد أي يضطرم ويشتعل ولفحته النار أي أحرقته واللهب لسان النار واستشرى استفحل واشتد وقوي والطيش خفّة العقل والنزق ويسري أي يسير والبطش السطوة والأخذ بالعنف والقهر والرها مدينة بين النهرين في تركيا كانت عاصمة الآداب السريانية فتحها العرب سنة 639 م. وأنى أي كيف ومن أين وفي سورة مريم الآية 20: ﴿قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ﴾ وفي سورة آل عمران الآية 37: ﴿قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ وسهيل نجم يماني جنوبي والسهى نجم خفي في الثريا أي بنات نعش وهما لا يلتقيان يقول عمر بن أبي ربيعة:

أيـهـا الـمُـنـكِـحُ الـثـريّـا سُـهـيـلاً! عَـمـرَكَ الله كـيـفَ يَـلـتـقِـيَـانِ
هـيَ شـامـيَّـةٌ، إذا مـا اسـتـقـلـتْ وسُـهَـيْـلٌ، إذا اسـتـهَـلّ يَـمَـانِـي

(1) انجلى أي زال وانكشف وتعبّسه أي تجهمه وعبوسه ونشدتك الله أي سألتك بالله ولفظ الدست فارسي معرب ويعني اللباس والوسادة والورق وصدر المجلس والحيلة والذي يكون فيه الغلب في الشطرنج ويقول أدّي شير إن للدست معاني أخرى بالفارسية كاليد والفائدة والنصرة والقوة الخ هذا وقد تكرر لفظ الدست هنا ثلاث مرات ففي المرة الأولى يعني الثياب وفي المرة الثانية المرتبة والمجلس وفي المرة الثالثة يعني دست اللعب والحيلة يقول أستحلفك بالله ألم تعره الدست أي الثوب فقال لا والله الذي أجلسك في الدست أي المرتبة أو صدر المجلس فأنا لست صاحب الدست أي الثوب ولكنك أنت من تم عليه الدست أي غلب واحتيل عليه وازورّت أي مالت وانقلبت ومقلتاه عيناه واحمرّت أي صار لونها أحمر والوجنة الخد وانقلاب العينين واحمرار الوجنتين كناية عن الغضب الشديد.

(2) ما أعجزني أي لم يظهر عجزي ويغلبني وقط تقال للقطع في النفي والفضح هتك الستر والكسف والمريب المتهم والذي يأتي بالريبة والعيب وتكشيف المعيب أي إبرازه وفضحه والتدليس التضليل والخداع والتمويه وتطلّس أي لبس الطيلسان وهو لباس الخاصة وتقلّس أي اعتمر القلنسوة ولبّس أي خلط ودلّس ودرى أي علم وسكع أي ذهب على غيرهداية واللكع اللئيم =

قلت: أشفَقَ منْكَ لتَعَدّي طورِهِ؛ فظعَنَ عنْ بغْدادَ منْ فورِهِ. فقال: لا قرّبَ اللهُ لهُ نَوى، ولا كلأهُ أينَ ثوَى! فما زاوَلْتُ أشَدّ منْ نُكرِهِ، ولا ذُقْتُ أمَرّ منْ مكْرِهِ! ولوْلا حُرمَةُ أدبِهِ، لأوْغَلْتُ في طلَبِهِ؛ إلى أن يقَعَ في يَدي فأُوقِعَ به(1)، وإني لأكرَهُ أن تَشيعَ فَعْلتُهُ بمدينةِ السّلامِ، فأفتَضِحَ بينَ الأنامِ، وتحْبَطَ مكانَتي عندَ الإمامِ، وأصيرَ ضُحْكَةً بين الخاصّ والعامّ. فعاهَدني على أن لا أفوهَ بما اعتَمَدَ، ما دُمْتُ حِلاً بهذا البلَدِ(2).

قال الحارثُ بنُ همّامٍ: فعاهدْتُهُ مُعاهدَةَ منْ لا يتأوّلُ، ووَفَيْتُ لهُ كما وَفى السّمَوْألُ(3).

= والخبيث والخسيس وفي الحديث: «يأتي على الناس زمانٌ يكون أسعدَ الناسِ بالدنيا لُكَعٌ بنُ لُكَعٍ خيرُ الناس يومئذ مؤمنٌ بين كريمين» معناه بين أبوين كريمين فيجتمع له مع إيمانه كرم أبويه وفي القاموس المحيط: «اللُّكَعُ كصُرَدٍ: اللئيمُ والعبدُ والأحمقُ ومَن لا يَتَّجِهُ لِمَنْطِقٍ ولا غيرِه والمُهْرُ والصَّغيرُ والوَسِخُ ويقال في النِداءِ: يا لُكَعُ وللإثْنَيْنِ: يا ذَوَيْ لُكَعَ.

(1) أشفق أي خاف والتعدي أي التجاوز والطور الحد والقدر وظعن أي رحل ومن فوره أي دون تأخر وفي الحال والنوى البعد وكلأه أي حفظه وحماه وثوى أي أقام وحلّ والعبارة دعاء أن لا يقرب الله داره ولا يحفظه أينما كان وزاول أي عالج وتمرس وقاسى والنُكر الدهاء والفطنة والأمر المنكر وفي سورة الكهف الآية 74: ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ والنكر الأمر القاسي والشديد وفي سورة القمر الآية 6: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ وأوغل أي أمعن وبالغ وأوقع به أي عاقبه وتناوله بالشرّ والمكروه والضرب.

(2) تشيع من شاع الخبر إذا ذاع وانتشر والافتضاح انكشاف السر ومدينة السلام بغداد والأنام الناس وتحبط أي تسفل وتسقط وتبطل وفي سورة البقرة الآية 217: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ والمكانة المنزلة والإمام الوالي أو الخليفة وأصير ضحكة أي من يُضحك منه وأفوه أي أنطق وأعتمد أي قصده وفعله السروجي والحل في المكان الساكن والمقيم فيه وفي سورة البلد الآية 2: ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

(3) عاهدته أي أعطيته العهد والميثاق ويتأول أي يحتال ليمينه فيحملها في الباطن على غير ما أوقعها في الظاهر عليه ويريد أنه ثبت له اليمين والسموأل هو ابن عادياء المتوفى حوالى 560م وهو شاعر يهودي اشتهر بالوفاء وضرب به المثل في ذلك لأنه آثر أن يذبح ابنه على ان يفرّط بأمانة تركها عنده امرؤ القيس الشاعر حين مضى إلى القيصر يستنجد به للثأر لأبيه ولاسترجاع ملكه هذا ويجد المريد خبر السموأل وابنه في قصيدة للأعشى مطلعها يقول: =

. . . .

= شُرَيْحُ لا تَتْرُكَنّي بَعْدَ مَا عَلِقَتْ ... حِبالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدّ أظْفارِي

وفيها يقول:

إذْ سامَهُ خُطّتَيْ خَسْفٍ، فَقالَ له: ... مهما تقلهُ، فإنّي سامعٌ حارِ

فَقالَ: ثُكْلٌ وَغَدْرٌ انتَ بَينَهُما، ... فاخترْ وما فيهما حظٌّ لمختارِ

فشكّ غيرَ قليلٍ، ثمّ قالَ لهُ: ... اذبحْ هديّكَ إني مانعٌ جاري

ويقول أبو نواس الحسن بن هانئ.

او كالسموألِ، إذ طافَ الهمامُ بهِ ... في جحفَلٍ لَجِبِ الأصواتِ يرتجسُ

فاختارَ ثُكلاً، ولم يغدرْ بذمّتهِ، ... إذْ قيلَ اشرفْ ترَ الأوداجَ تنبجسُ

المقامة القَطيعيّة

حكى الحارثُ بنُ هَمّامٍ قال(1):

عاشَرتُ بقطيعَةِ الرّبيعِ، في إبّانِ الرّبيعِ، فِتيةً وجوهُهُمْ أبلَجُ من أنوارِهِ، وأخلاقُهُمْ أبهَجُ من أزهارِهِ، وألفاظُهُمْ أرقُّ من نسيمِ أسحارِهِ! فاجتَلَيتُ منهُمْ ما يُزْري على الرّبيعِ الزّاهِرِ، ويُغْني عن رنّاتِ المَزاهِرِ(2)! وكنّا تقاسَمْنا على حِفْظِ الوِدادِ، وحَظْرِ الاستِبْدادِ، وأن لا يتفرّدَ أحدُنا بالتِذاذٍ، ولا يستأثِرَ ولو برَذاذٍ(3).

(1) وتسمّى المقامة بالنحوية أيضاً هذا ويسأل السروجي في هذه المقامة جماعة فيها صاحبه أسئلة نحوية مبهمة ثم يجيب عنها ولكن الحريري شاء إثبات الأجوبة في فصل قائم برأسه تحت عنوان «تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية» بعد الفراغ من المقامة وقد آثرنا هنا أن نضع الجواب كما جاء في الفصل المذكور ولكن بين قوسين في حاشية كل سؤال تسهيلاً على القارئ.

(2) عاشر أي خالط وصاحب وقطيعة الربيع مكان في بغداد ذكره ياقوت في معجمه فقال: «قطيعة الربيع وهي منسوبة إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه وهو والد الفضل وزير المنصور وكانت قطيعة الربيع بالكرخ مزارع الناس من قرية يقال لها بياوري من أعمال بادوريا وهما قطيعتان خارجة وداخلة فالداخلة أقطعه إياها المنصور والخارجة أقطعه إياها المهدي وكان التجار يسكنونها حتى صارت ملكاً لهم دون ولد الربيع» والإبان أي الوقت والفتية واحدها فتى والبلج طلاقة الوجه والأنوار الأزهار يريد أن وجوههم حسنة كأزهار الربيع وأبهج أي أحسن والأسحار والواحد سحر أي آخر الليل واجتلى وقد تكرر اللفظ مراراً أي نظر وأزرى على الشيء أو به عابه ونقض منه والزاهر كثير الزهر والرنّات الأصوات والواحدة رنّة يقول الوليد بن يزيد:

إنـي سـمـعـتُ بـلـبـلٍ ورَا الـمُـصـلّـى بـرَنّـهْ
إذا بـنـاتُ هـشـامٍ يـنـدُبْـنَ والِـدَهُـنّـهْ

والمزاهر والواحد مزهر العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه والأول أولى.

(3) تقاسمنا أي أقسمنا اليمين وحفظ الوداد صون الحب وحظر الشيء منعه والاستبداد أن يستبد =

فأجْمَعْنا في يومٍ سَما دَجْنُهُ، ونَما حُسنُه، وحكَمَ بالاصْطِباحِ مُزْنُهُ؛ على أنْ نلتَهي بالخُروجِ، إلى بعضِ المُروجِ، لنُسرِّحَ النّواظِرَ، في الرّياضِ النّواضِرِ، ونصقلَ الخواطِرَ، بشَيْمِ المَواطِرِ[1]. فبرَزْنا ونحنُ كالشّهورِ عِدّةً، وكنَدْمانَيْ جَذيمَةَ مودّةً[2]؛ إلى حَديقَةٍ أخذَتْ زُخرُفَها وازّيّنَتْ، وتنوّعتْ أزاهيرُها وتلوّنَتْ[3]، ومعَنا الكُمَيتُ الشَّموسُ، والسُقاةُ الشُّموسُ، والشّادي الذي يُطرِبُ السّامِعَ ويُلهيهِ، ويَقْري كلَّ سمْعٍ ما يشتَهيهِ[4]. فلمّا اطمأنّ بِنا الجُلوسُ، ودارَتْ علينا الكؤوسُ؛ وغَلَ علَيْنا

= الواحد برأي عناداً منه أو ينفرد بأمر من دون رفاقه والتفرّد الاستئثار بالشيء دون الغير والالتذاذ التلذذ والاستمتاع والرذاذ أقل المطر.

(1) أجمعنا أي اتفقنا وسما أي ارتفع والدجن السحاب أو الغيم ونما أي زاد وحكم أي قضى والاصطباح الشراب في السحر والصبح ومزنه أي مطره ونلتهي أي نتسلّى والمروج واحدها مرج وهو الأرض الواسعة كثيرة النبت ترعى فيها الدواب وسرّح النظر أي أرسله وأجاله والنواظر العيون والنواضر والواحدة ناضرة ونضرة أي ذات الحسن والرونق والنعومة والصفاء وصقل أي جلى والخواطر أي الأذهان والصقل للسيف أو للمرآة وشيم المطر أو السحب النظر إليه والمواطر يريد بها السحب الممطرة.

(2) وعدّة أي عدداً يعني بذلك أنهم كانوا وهم اثنا عشر شخصاً وفي سورة التوبة الآية 36: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وندماني جذيمة مثل عربي يقال في اخوين أو أكثر طال تصاحبهم ووفاقهم والندمان من هو النديم. جاء في لسان العرب في المادة ندم ما يلي: والنديم الشّريب الذي ينادمه وهو نَدْمَانه أيضاً. ونادمني فلان على الشراب فهو نديمي وندماني. : أما جذيمة فملك كان بشاطئ الفرات وكان له نديمان نادماه أربعين سنة وفي هذه الصحبة يقول متمم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً:

«وكنا كندماني جذيمة حقبةً ... من الدهر حتى قيل لن يتصدعا»

والمودّة من الودّ الحب والألفة.

(3) الحديقة البستان عليه حائط أخذت زخرفها أي تكامل حسنها والعبارة تلاحظ الآية 24 في سورة يونس: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ﴾ وازينت أي وتزينت وتنوّعت أي تعددت واختلفت أنواع زهورها.

(4) الكميت من أسماء الخمرة والكميت الحصان في لونه حمرة والشموس من صفات الخيل وهو الذي لا يمكن أحداً من ظهره قال الأخطل يمدح الأمويين:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم ... وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا

والسقاة واحدها الساقي والشمس والواحدة شمس شبه الساقي بالشمس لبهائه وصباحته وحسنه =

ذِمْرٌ، عليهِ طِمْرٌ، فتجَهّمْناهُ تجهُّمَ الغيدِ الشِّيبَ، ووجَدْنا صفْوَ يومِنا قد شِيبَ[1]، إلا أنهُ سلّمَ تسليمَ أولي الفَهْمِ، وجلسَ يَفُضّ لَطائِمَ النّثْر والنّظْمِ، ونحنُ ننْزَوي منِ انبِساطِهِ، ونَنْبَري لِطَيِّ بِساطِهِ، إلى أنْ غنّى شادِينا المُغْرِبُ، ومُغرِّدُنا المُطْرِبُ[2]:

إلامَ سُعادُ لا تَصِلينَ حَبْلي ... ولا تأوِينَ لي مِمّا أُلاقي

صبَرْتُ عليكِ حتى عيلَ صبْري ... وكادَتْ تبلُغُ الرّوحُ التّراقي

وها أنا قدْ عزَمْتُ على انتِصافٍ ... أُساقي فيهِ خِلّي ما يُساقي

فإنْ وَصْلاً ألَذُّ بهِ فوَصْلٌ ... وإنْ صَرْماً فصرْمٌ كالطّلاقِ[3]

= والشادي من شدا إذا غنى ويلهي أي يشغل ويسلّي ويقري أي يضيف من القرى وهو طعام الضيف.

(1) اطمأن أي سكن وقرّ ووغل أي دخل دون دعوة إلى جلسة شراب فهو واغل ومثله الوارش الذي يدخل دون دعوة إلى وليمة فهو وارش والذمر الشجاع وفي المحكم لابن سيده: «رَجُلٌ ذَمِرٌ وذِمْرٌ وذَمِرٌ وذَمِيرٌ شُجاعٌ، وقِيلَ شُجاعٌ مُنْكَرٌ، وقِيلَ هو الظَّرِيفُ اللَّبِيبُ المِعْوان وفي جمهرة ابن دريد: «ورجل ذِمْر وذَمير، إذا كان داهياً» وكذا في تهذيب اللغة أما ابن فارس فيقول: «(ذمر) الذال والميم والراء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على شِدّةٍ في خَلْق» والطمر تقدّم وهو الثوب الخلق البالي فتجهمناه أي عبسنا وكلحنا في وجهه والغيد والواحدة غيداء وهي الفتاة الناعمة الحسناء والشيب والواحد أشيب أي من شاب شعره وصفو اليوم صفاؤه وأنسه وشيب تعكّر وتكدّر وشيب بشيء أي خالطه ذلك الشيء.

(2) أولو الفهم أي الحصفاء الذين يحسنون التصرّف في المجالس ويفضّ أي يفك واللطائم والواحدة لطيمة وهي وعاء العطر وقيل هي المسك يريد بذلك أن حديثه كان كفعل من يفتح قوارير العطر لحسنه وننزوي أي ننقبض وننكمش وانبرى أي بادر وعجّل وطيّ البساط كناية عن إزعاجه وصرفه وإخراجه من المجلس والبساط ضرب من الطنافس طويل قليل العرض وشادينا أي مغنينا والمغرب من أغرب إذا أتى بالغريب والتغريد للطير والمغرّد الطير إذا غنّى وهو هنا كناية عن حسن غناء المغني حتى لكأنه العصفور يغرّد.

(3) وصل الحبل ربط ببعضه وهو هنا كناية عن الوصل بين الحبيبين وأوى له أي رحمه وأشفق عليه وقد تقدمت المادة بالتفصيل والاقي أجد وأعاني وأوجه وعيل أي قلّ وغلب والتراقي أعلى عظام الصدر وفي سورة القيامة الآية 26: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ﴾ وبلوغ الروح التراقي كناية عن دنو الموت وقرب مفارقة الروح الجسد والانتصاف أخذ الحق والانتصار له وأساقي أي أسقي وخلّي أي صاحبي وصديقي وألذّ به أي أنعم وأتلذذ به والصرم الهجر والقطيعة. يقول إلفي متى يا سعاد لا تصلي حبل ودادي ولا تشفقي عليّ مما أجد ولقد صبرت حتى نفد صبري وقاربت الروح أن =

قال:

فاسَتفْهَمْنا العابثَ بالمَثاني، لِمَ نصَبَ الوصْلَ الأوّلَ ورفَعَ الثّاني[1]؟ فأقْسَمَ بتُربَةِ أبَوَيْه، لقدْ نطَقَ بما اختارَهُ سيبوَيه! فتشَعّبَتْ حينئذٍ آراءُ الجمْع، في تجويزِ النّصبِ والرّفعِ. فقالتْ فِرقَةٌ: رفْعُهُما هوَ الصّوابُ! وقالتْ طائِفَةٌ: لا يجوزُ فيهِما إلا الانتِصابُ! واستَبْهَمَ على آخرينَ الجوابُ[2]. واستعَرَ بينَهُمُ الاصطِخابُ، وذلِكَ الواغِلُ يُبْدي ابتِسامَ ذي معرِفَةٍ، وإنْ لمْ يفُهْ ببِنْتِ شفَةٍ. حتى إذا سكنَتِ الزّماجِرُ، وصمتَ المزْجورُ والزّاجِرُ، قال: يا قومُ أنا أُنَبّئُكُمْ بتأويلِهِ، وأميّزُ صَحيحَ القوْلِ منْ عَليلِهِ[3]! إنهُ لَيَجوزُ رفْعُ الوصْلَينِ ونصْبُهُما، والمُغايَرَةُ في الإعرابِ بينَهُما؛ وذلِكَ بحسَبِ اختِلافِ الإضْمارِ، وتقْديرِ المحْذوفِ في هَذا المِضْمارِ[4].

قال:

ففَرَطَ منَ الجَماعةِ إفْراطٌ في مُماراتِهِ، وانخِراطٌ إلى مُباراتِهِ. فقال: أما إذا

= تفارق الجسد غير أنني عازم الآن على الانتصار لحقي فاسقي صاحبي ما يسقيني فإما وصل أنعم به وإما قطيعة هي كالطلاق لا رجعة فيه.

(1) استفهمنا أي سألنا لنفهم والعابث من عبث أي لعب والمثاني أوتار العود والعابث بها العازف الذي ينقرها ويحرّكها. ولبيان معنى السؤال نقول إن أداة شرط تدخل على فعلين مضارعين فتجزمهما أو على فعل مضارع فتجزمه ويكون جواب الشرط جملة فعلية أو اسمية.

(2) التربة هنا بمعنى المقبرة والمدفن وسيبويه لغوي ولد قرب شيراز ونشأ في البصرة وتتلمذ على الخليل ويعد إمام المذهب البصري وله «الكتاب» في النحو. توفي نحو 796 م وتشعبت أي تفرّقت واختلفت وتجويز الشيء القول بصوابه والانتصاب أي النصب واستبهم أي استغلق.

(3) استعر أي اضطرم واشتدّ اتقاده والاصطخاب الصياح والجلبة ولم يفه أي لم ينطق وبنت الشفة الكلمة وسكنت أي هدأت والزماجر واحدتها زمجرة وهي صوت الأسد في الأصل وصمت أي سكت والمزجور والزاجر أي المردوع أو الممنوع أو المنهي والناهي والرادع والزاجر وأنبّئكم أي أخبركم وتأويله أي تفسير ما يؤول إليه والعبارة قرآنية من الآية 45 من سورة يوسف: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ﴾ وأميّز أي أفرق والصحيح السليم والعليل السقيم أي أنا أفرّق بين القول الصواب والقول الخطأ.

(4) المغايرة المخالفة والإضمار حذف كلمة أو أكثر من الجملة دون أن يلتبس معناها والتقدير حذف الكلمة في اللفظ وإبقاؤها في النية.

دعوْتُمْ نَزالِ، وتلبّبْتُمْ للنّضالِ، فما كلِمَةٌ هيَ إنْ شِئْتُمْ حرْفٌ محْبوبٌ، أوِ اسمٌ لِما فيهِ حرْفٌ حَلوبٌ[1]؟ وأي اسمٍ يتَرَدّدُ بينَ فرْدٍ حازِمٍ، وجمْعٍ مُلازِمٍ[2]؟ وأيّةُ هاءٍ إذا التحقَتْ أماطَتِ الثِّقَلَ، وأطلَقَتِ المُعتقَلَ[3]؟ وأينَ تدخُلُ السينُ فتعزِلُ العامِلَ، منْ غيرِ أن تُجامِلَ[4]؟ . . . .

---

(1) فرط سيق وعجّل وتقدّم والإفراط مجاوزة الحد في فعل أو قول والانخراط الانتظام في الشيء أو أن يركب في أمر ما رأسه متهوراً والأولى أولى وأمّا أداة شرط أو تفصيل أو توكيد ونزال كلمة تقال عند الحرب فكان ينادي المنادي نزال ومعناه لينزل كل قرن إلى قرنه وتلبّبتم أي تشمّرتم وتحزّمتم والنضال المراماة بالسهام والحلوب يريد بها الناقة التي تحلب.
الجواب: (أما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب: فهي نعم إن أردت بها تصديق الأخبار، أو العدة عند السؤال فهي حرف. وإن عنيت بها الإبل فهي اسم. والنعم تذكّر وتؤنّث، وتطلق على الإبل، وعلى كل ماشية فيها إبل. وفي الإبل الحرف، وهي النّاقة الضامة، سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف. وقيل إنه الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل).

(2) الجواب: «وأما الاسم المردد بين فرد حازم وجمع ملازم: فهي سراويل؛ قال بعضهم: هو واحد وجمعه سراويلات. فعلى هذا القول هو فرد. وكنّى عن ضمه الخصر بأنه حازم. وقال آخرون: بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل، فهو على هذا القول جمع. ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف، وإنّما لم ينصرف هذا النوع من الجمع؛ وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة، أوسطها ساكن، لثقله وتفرده دون غيره من الجموع، بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد. وقد كنى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم، كما كنى في التي قبلها عما ينصرف باللازم».

(3) أماطت أي أزالت وكشطت وأطلقت المعتقل أي خلّت سبيل المحبوس. الجواب: «وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل: فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك: صيارفة وصياقلة. فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء بها، لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد؛ نحو رفاهية وكراهية، فخفّ بهذا السبب وصرف لهذه العلة. وقد كنّى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل، كما كنّى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم».

(4) العامل من يعينيه الوالي متصرّفاً بأمور بلد من قبله وعزل العامل أي صرفه من عمله ولكن العامل هنا هو ما يقتضي أثراً إعرابياً في الكلم وتجامل من جامل مجاملة أي أحسن المعاملة وعامل بالجميل. الجواب: «وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل، فهي: التي تدخل على الفعل المستقبل، وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب؛ فيرتفع حينئذ الفعل، وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة، وذلك كقوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ سورة المزمل الآية 20، وتقديره: علم أنه سيكون».

وما منْصوبٌ أبَداً على الظّرْفِ، لا يخْفِضُهُ سوى حرْفٌ[1]؟ وأيّ مُضافٍ أخَلّ منْ عُرَى الإضافَةِ بعُرْوَةٍ، واختلَفَ حُكمُهُ بينَ مساءٍ وغُدوَةٍ[2]؟ وما العامِلُ الذي يتّصلُ آخِرُهُ بأوّلِهِ، ويعمَلُ معكوسُهُ مثلَ عمَلِه[3]؟ وأيّ عمَلٍ نائِبُهُ أرْحَبُ منهُ وَكْراً، وأعظَمُ مَكْراً، وأكثَرُ للهِ تَعالى ذِكْراً[4]؟ وفي أيّ موطِنٍ تلبَسُ الذُّكْرانُ، براقِعَ النّسوانِ؟ وتبرُزُ ربّاتُ الحِجالِ، بعَمائِمِ الرّجالِ[5]؟ وأينَ يجِبُ حِفظُ المَراتِبِ، على المضْروبِ

---

(1) الجواب: «وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو: عند إذ لا يجره غير من خاصة، وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن».

(2) أخلّ أي أفسد وأنقص والعروة الهنة من الثوب يدخل بها الزر وكل ما يؤخذ باليد من حلقة وكل ما يستمسك به ويعوّل عليه وفي سورة لقمان الآية 22 والبقرة 256: ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾. الجواب: «وأما المضاف، الذي أخل من عرى الإضافة بعروة، واختلف حكمه بين مساء وغدوة، فهو: لدن. ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة، وكل ما يأتي بعدها مجرور به، إلاّ غدوة؛ فإن العرب نصبتها بلدن، لكثرة استعمالهم إياها في الكلام، ثم نوّنتها أيضاً ليتبين بذلك أنها منصوبة، لا أنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف. وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً؛ وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك، مما دنا منك وبعد عنك. ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك».

(3) معكوسه أي مقلوبه. الجواب: «وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله، ويعمل معكوسه مثل عمله، فهو: يا، ومعكوسه أي! وكلتاهما من حروف النداء، وعملهما في الاسم المنادى سيان، وإن كانت يا أجول في الكلام، وأكثر في الاستعمال، وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهمزة».

(4) أرحب أي أفسح وأوسع والوكر بيت الطائر. الجواب: «وأما العامل الذي نائبه أرحب منه وكراً، وأعظم مكراً، وأكثر لله تعالى ذكراً، فهو: باء القسم، وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك: أقسم بالله، ولدخولها أيضاً على المضمر كقولك: بك لأفعلن! وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعاً من حروف الشفة، ثم لتقارب معنييهما؛ لأن الواو تفيد الجمع، والباء تفيد الإلصاق، وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان، ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام؛ ولهذا ألغز بأنه أكثر لله تعالى ذكراً! ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم، ولا تعمل غير الجر. والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف، وتجر تارة بالقسم، وتارة بإضمار ربّ، وتنتظم أيضاً مع نواصب الفعل، وأدوات العطف، فلهذا وصفها برحب الوكر، وعظم المكر».

(5) الذكران أي الذكور والبراقع والواحد برقع ما تستر به المرأة وجهها الحجال والواحد حِجل الخلخال وربّات الحجال هن النساء. الجواب: «وأما الموطن، الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان، وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال، فهو: أول مراتب العدد المضاف؛ وذلك ما =

والضّارِبِ[1]؟ وما اسمٌ لا يُعرَفُ إلا باستِضافَةِ كلِمتَينِ، أوِ الاقتِصارِ منه على حرْفَينِ؟ وفي وَضعِهِ الأوّلِ التِزامٌ، وفي الثّاني إلْزامٌ[2]؟ وما وصْفٌ إذا أُردِفَ بالنّونِ، نقَصَ صاحِبُهُ في العُيونِ، وقُوّمَ بالدّونِ، وخرَجَ منَ الزَّبونِ، وتعرّضَ للهُونِ[3]؟ فهَذِهِ ثِنْتا عشْرَةَ مسألةً وفْقَ عدَدِكُمْ، وزِنَةَ لَدَدِكُمْ! ولو زِدْتُمْ زِدْنا، وإنْ عُدْتُمْ عُدْنا[4]!

قال المُخبرُ بهذِهِ الحِكايةِ:

فورَدَ علَيْنا من أحاجِيهِ اللاّتي هالَتْ، لمّا انْهالَتْ؛ ما حارَتْ لهُ الأفكارُ

= بين الثلاثة إلى العشرة؛ فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها، كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ سورة الحاقة الآية 7، والهاء في هذا الموطن، من خصائص المؤنث كقولك: قائم وقائمة، وعالم وعالمة. فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث؛ حتى انقلب كل منهما ضد قالبه، وبرز في بزة صاحبه».

(1) الجواب: «وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب، فهو: حيث يشتبه الفاعل بالمفعول؛ لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما، أو في أحدهما. وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى، أو من أسماء الإشارة نحو ذاك وهذا؛ فيجب حينئذ لإزالة اللبس، إقرار كل منهما في رتبته؛ ليعرف الفاعل منهما بتقدمه، والمفعول بتأخره».

(2) اقتصر على الشيء اكتفى به ولم يتجاوزه. والتزم بالشيء أوجبه على نفسه وألزمه بالشيء أوجبه عليه. الجواب: «وأما الاسم الذي لا يفهم إلاّ باستضافة كلمتين، أو الاقتصار منه على حرفين، فهو: مهما. وفيها قولان: أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى اكفف ومن ما. والقول الثاني، وهو الصّحيح، إن الأصل فيها ما، فزيدت عليها ما أخرى، كما تزاد على أن؛ فصار لفظها ما ما؛ فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد، فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهما. ومهما من أدوات الشرط والجزاء، ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك: مهما تفعل أفعل! وتكون حينئذ ملتزماً للفعل. وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف، فهم المعنى وكنت ملزماً من خاطبته أن يكف».

(3) أردف أي ألحق وقوّم أي قدّرت قيمته والدون الحقير والزبون من الحروب التي يدفع بعضها بعضاً والزبون في الأصل بحسب تاج العروس الناقة إذا زبنت حالبها، إذا ضربته بثفنات رجليها أي بركبتيها ومنه الزبانية لزبنهم أهل النار، أي لدفعهم. وأما الزَبونُ للغنيّ والحريفِ، فليس من كلام أهل البادية بحسب ما جاء في الصحاح هذا وقد فسّر الشريشي الزبون بالكريم والكثير دفع العطايا ولم أجد ذلك في أيّة مظنة. الجواب: «وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون، وقوّم بالدون، وخرج من الزبون، وتعرض للهون، فهو: ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن؛ وهو الذي يتبع الضيف، وينزل في النقد منزلة الزيف».

(4) وفق الشيء ما يطابقه ويساويه والزنة أي الوزن واللدد الاشتطاط في العداوة والخصومة.

وحالَتْ[1]. فلمّا أعجزَنا العَوْمُ في بحرِهِ، واستسْلَمَتْ تَمائِمُنا لسِحْرِهِ، عدَلْنا مِنِ استِثْقالِ الرّوْيَةِ لهُ إلى استِنْزالِ الرّوايَةِ عنهُ، ومِنْ بَغْيِ التّبرّمِ بهِ إلى ابتِغاء التعلّمِ منهُ؛ فقال: والذي نزّلَ النّحْوَ في الكَلامِ، منزِلَةَ المِلْحِ في الطّعامِ، وحجَبَهُ عن بصائِرِ الطّغامِ[2]! لا أنَلْتُكُمْ مَراماً، ولا شفَيْتُ لكُمْ غَراماً، أو تُخوّلَني كلُّ يدٍ، ويخْتَصّني كلٌّ منكُم بيَدٍ[3]! فلمْ يبْقَ في الجماعةِ إلا منْ أذْعَنَ لحُكمِهِ؛ ونبَذَ إليْهِ خُبْأةَ كُمّهِ. فلمّا حصلَتْ تحتَ وِكائِهِ، أضرَمَ شُعلَةَ ذكائِهِ، فكشَفَ حينئذٍ عن أسْرارِ ألْغازِهِ، وبدائِعِ إعْجازِهِ؛ ما جَلا بِهِ صدأ الأذْهانِ، وجلّى مطْلَعَهُ بنورِ البُرْهانِ[4].

---

(1) ورد أي أتى وقدم وورد عليه أصابه وناله والأحاجي والواحدة أحجية اللغز وهالت من الهول أي روّعت وأخافت وانهالت أي انصبّت وحارت أي تحيّرت ودهشت والأفكار هنا بمعنى العقول وحالت أي تغيّرت وحالت حيالًا كل أنثى أي لم تحمل وحالت النخلة والناقة حملت عاماً ولم تحمل آخر. وأحسب أن قوله حالت يرمي إلى عقم الأفكار وعدم اهتدائها إلى جواب كما يحدث للناقة حين يضربها الفحل فلا تحمل.

(2) أعجزنا أي جعلنا نعجز والعوم السباحة واستسلم سلّم بالهزيمة وانقاد والتمائم والواحدة تميمة رقى وتعاويذ سحرية تناط بالطفل مثلاً لحمايته من العين أو السحروعدل عن الشيء مال وأعرض واستثقل الشيء وجده ثقيلاً والروية النظر والتفكر في الأمر وهي هنا بمعنى التأنّي والتروي والرواية عنه أي النقل عنه والبغي الظلم والجور وتجاوز الحد والتبرّم التضجّر والاستثقال وابتغاء الشيء طلبه ونزّل الشيء في الشيء أحلّه فيه والمنزلة الرتبة والدرجة وحجب أي ستر وغطّى والبصائر واحدتها بصيرة والطغام السفلة من الخلق.

(3) أنلتكم أي أعطيتكم وبلّغتكم والمرام البغية والطلب والمراد وشفيت أي أبرأت والغرام الولوع وهو أيضاً العذاب الدائم الملازم بدليل الآية 65 من سورة الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي دائماً ملازماً وأرى هذا التفسير أولى وخوّله الشيء منّ عليه به واليد العطاء والنعمة وفسّرت اليد الأولى بالشخص أو النفس وأنا أميل لذلك فالإعطاء باليد علامة الخضوع والاستسلام يروى عن الحسين بن علي أنه قال حين طلب منه النزول على أمر عبيدالله بن زياد في واقعة الطف: «والله لا أعطي يدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبد».

(4) أذعن أي انقاد وخضع ونبذ أي رمى وطرح والخبأة ما خبىء وحصلت أي صارت والوكاء الخيط يربط به والمراد لما صارت في كيسه وشد الخيط ليربطه وأضرم أي أوقد وأشعل والبدائع الغرائب وهي هنا ما لم يسبق تركيبه من الكلام والإعجاز قول أو فعل يعجز الآخرون عنه حتى ليكاد أن يكون معجزة وجلا أي كشف والصدأ ما يصيب الحديد من كدرة تعلوه وصدأ بالأذهان ما اعتورها من قصور أعاقها عن الإدراك وجلّى أي أوضح وبيّن والبرهان الحجّة وهي هنا بمعنى اليقين.

قال الرّاوي: فهِمْنا، حينَ فهِمْنا! وعجِبْنا، إذْ أُجِبْنا! وندِمْنا، على ما ندّ مِنّا! وأخذْنا نعتَذِرُ إليهِ اعتِذارَ الأكْياسِ، ونعْرِضُ عليهِ ارتِضاعَ الكاسِ، فقالَ: مأرَبٌ لا حَفاوةٌ، ومشْرَبٌ لمْ يبْقَ لهُ عندي حَلاوَةٌ! فأطَلْنا مُراودَتَهُ، ووالَيْنا مُعاوَدَتَهُ، فشمخَ بأنفِهِ صَلَفاً، ونأى بجانِبِه أنَفاً، وأنشدَ[1]:

نَهانيَ الشيْبُ عمّا فيهِ أفْراحي ... فكيفَ أجمَعُ بينَ الرّاحِ والرّاحِ
وهل يجوزُ اصطِباحي من مُعتّقةٍ ... وقد أنارَ مشيبُ الرّأسِ إصْباحي[2]
آلَيتُ لا خامرَتني الخمرُ ما علِقَتْ ... روحي بجِسْمي وألفاظي بإفْصاحي
ولا اكتسَتْ لي بكاساتِ السُلافِ يدٌ ... ولا أجَلتُ قِداحي بينَ أقْداحِ[3]
ولا صرَفْتُ إلى صِرْفٍ مُشَعشَعةٍ ... همّي ولا رُحتُ مُرْتاحاً إلى راحِ[4]

---

(1) هِمنا الأولى من هام إذا تحيّر المرء وذهب في غير طريق والمعنى هنا أننا دهشنا لحسن وروعة ما قال وفهمنا أي وعينا وأدركنا وندّ أي أفلت وفرط والأكياس واحدها كيّس وهو اللبيب الفطن العاقل وارتضاع الكاس أي شرب الخمرة والمأرب أي الحاجة والجمع مآرب وفي سورة طه الآية 18: ﴿وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾ والحفاوة المبالغة بالترحيب والإكرام وفي سورة مريم الآية 47: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ والعبارة مثل عربي يضرب للرجل يتملقك لا رغبة فيك ولا اهتماماً بأمرك، ولكن لغرض يطلبه منك وحاجة ينالها عنك وراوده على أو عن الشيء أراده منه وأطلنا أي فعلنا ذلك مدة طويلة ووالينا أي تابعنا والمعاودة العودة لفعل أمر ما وشمخ أي تكبّر وشمخ بأنفه كناية عن الإعراض المتكبر والصلف التكبّر وشدة الزهو ونأى ابتعد والأنفة والأنف الترفّع والتنزّه والاستنكاف وأنف الطعام إذا عافه.

(2) نهاني أي أمرني بالامتناع والكفّ والراح من أسماء الخمر والراح الثانية بطن اليد يقول نهاني عن الإمساك بالكأس والاصطباح شرب الخمر صباحاً والمعتقّة الخمر القديمة وأنار أي أضاء وإصباحي أي احمرار شعري يقول أيجوز أن أشرب وقد أضاء بياض الشيب حمرة شعري فالصبح بالفتح والصُبحة حمرة من غير صبغة تشوب بياض الشعر.

(3) آليت أي أقسمت وخامر أي داخل وخالط وعلقت أي لزمت والتصقت وألفاظي أي كلامي وإفصاحي المراد فصاحتي واكتست أي لبست والمراد هنا لامست ومسّت والسلاف والسلافة من أسماء الخمرة يقول والقداح سهام الميسر والأقداح أكواب الشراب.

(4) الصرف الخمرة الخالصة التي لم تمزج بماء والمشعشعة أي الخمرة الممزوجة يقول عمرو بن كلثوم في معلّقته:

مشعشعةً كأنّ الحصّ فيها ... إذا ما الماءُ خالطها سخينا =

ولا نَظَمْتُ على مشمولَةٍ أبداً ... شملي ولا اخترْتُ نَدماناً سوى الصّاحي
مَحا المشيبُ مِراحي حينَ خطّ على ... رأسي فأبغِضْ به من كاتِبٍ ماحِ
ولاحَ يلْحَى على جرّي العِنانَ إلى ... ملْهًى فسُحْقاً لهُ من لائِحٍ لاحِ[1]
ولوْ لهَوْتُ وفَوْدِي شائِبٌ لخَبا ... بينَ المصابيحِ من غسّانَ مِصْباحي
قومٌ سَجاياهُمُ توْقيرُ ضَيْفِهِمِ ... والشّيبُ ضيفٌ له التّوْقيرُ يا صاحِ[2]

ثمّ إنّه انْسابَ انسيابَ الأيْمِ، وأجْفلَ إجْفالَ الغيْمِ! فعلِمْتُ أنهُ سِراجُ سَروجَ، وبدْرُ الأدبِ الذي يجْتابُ البُروجَ! وكان قُصارانا التّحرُّقَ لبُعدِهِ، والتّفرُّقَ منْ بعدِهِ[3].

= ويقول عرقلة الكلبي:

مشعشعةً إذا ما صفقوها ... بماءِ خِلْتَها نوراً ونارا

والراح من أسماء الخمر يقول وأقسمت لا جعلت الخمر الممزوجة مدار اهتمامي ولا ذهبت مرتاحاً إلي الشراب.

(1) المشمولة والشمول من أسماء الخمر والصاحي من ليس بسكران مخمور يقول وأقسمت أن أضم إلى شملي الخمرة ولا أتخذ نديماً غير الصاحي والمراح المرح وهو الفرح والنشاط والعجب والاختيال وفي سورة الإسراء الآية 37 ولقمان الآية 18: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ وخطّ أي كتب وأبغض به أي ما أبغضه إليّ ولاح أي بدا ويلحى أي يؤنّب ويلوم وجرّ الشيء سحبه والعنان المقود للدابة يقال حين تفرّ الدابة وتجري وقد جرّت عنانها كناية عن الإسراع إلى أمر والانغماس فيه والملهى مكان اللهو وهو هنا الخمّارة والحانة وسحقاً له دعاء عليه ولائح لاحي أي من ظاهر عيّاب لوّام.

(2) الفود جانب الرأس وخبا أي خمد وانطفأ والمصابيح واحدها مصباح وغسّان القبيلة العربية الشهيرة وهي هنا قبيلة السروجي يقول ولو لهوت وقد شاب فودي إذاً لانطفأ مصباحي المنير في غسّان كناية عن أن القبيلة سترذله وتتنقّصه لذلك والسجايا والواحدة سجية الطبيعة والعادة والخلق والتوقير الإجلال ويا صاح أي يا صاحب يقول إن من أخلاق وعادات قبيلة غسان إجلال الضيف والشيب ضيف وقور مبجّل يا هذا.

(3) انساب إذا مشى مسرعاً والحية تدافعت في زحفها والأيم الحية وأجفل نفر وشرد والغيم السحاب الخالي من المطر والسراج المصباح ويجتاب أي يقطع والبروج منازل الكواكب والشمس والقمر وقصارانا أي منتهى ما يسعنا فعله والتحرّق التشكّي والتوجّع والبعد النأي.

تفسير ما أودع هذه المقامة
من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما الكلمة التي هي حرف محبوب أو اسم لما فيه حرف حلوب: فهي نعم إن أردت بها تصديق الأخبار، أو العدة عند السؤال فهي حرف. وإن عنيت بها الإبل فهي اسم. والنعم تذكّر وتؤنّث، وتطلق على الإبل، وعلى كل ماشية فيها إبل. وفي الإبل الحرف، وهي النّاقة الضامة، سميت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف. وقيل إنه الضخمة تشبيهاً لها بحرف الجبل.

وأما الاسم المردد بين فرد حازم وجمع ملازم: فهي سراويل؛ قال بعضهم: هو واحد وجمعه سراويلات. فعلى هذا القول هو فرد. وكنّى عن ضمه الخصر بأنه حازم. وقال آخرون: بل هو جمع واحده سروال مثل شملال وشماليل وسربال وسرابيل، فهو على هذا القول جمع. ومعنى قوله ملازم أي لا ينصرف، وإنّما لم ينصرف هذا النوع من الجمع؛ وهو كل جمع ثالثه ألف وبعدها حرف مشدد أو حرفان أو ثلاثة، أوسطها ساكن، لثقله وتفرده دون غيره من الجموع، بأن لا نظير له في الأسماء الآحاد. وقد كنى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالملازم، كما كنى في التي قبلها عما ينصرف باللازم.

وأما الهاء التي إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل: فهي الهاء اللاحقة بالجمع المقدم ذكره كقولك: صيارفة وصياقلة. فينصرف هذا الجمع عند التحاق الهاء بها، لأنها قد أصارته إلى أمثال الآحاد؛ نحو رفاهية وكراهية، فخف بهذا السبب وصرف لهذه العلة. وقد كنّى في هذه الأحجية عما لا ينصرف بالمعتقل، كما كنّى في التي قبلها عما لا ينصرف بالملازم.

وأما السين التي تعزل العامل من غير أن تجامل، فهي: التي تدخل على الفعل المستقبل، وتفصل بينه وبين أن التي كانت قبل دخولها من أدوات النصب؛ فيرتفع حينئذٍ الفعل، وتنتقل أن عن كونها الناصبة للفعل إلى أن تصير المخففة من الثقيلة،

وذلك كقوله تعالى: علم أن سيكون منكم مرضى[1]، وتقديره: علم أنه سيكون.

وأما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو: عند إذ لا يجره غير من خاصة، وقول العامة ذهبت إلى عنده لحن.

وأما المضاف، الذي أخل من عرى الإضافة بعروة، واختلف حكمه بين مساء وغدوة، فهو: لدن. ولدن من الأسماء الملازمة للإضافة، وكل ما يأتي بعدها مجرور به، إلاّ غدوة؛ فإن العرب نصبتها بلدن، لكثرة استعمالهم إياها في الكلام، ثم نوّنتها أيضاً ليتبين بذلك أنها منصوبة، لا أنها من نوع المجرورات التي لا تنصرف. وعند بعض النحويين أن لدن بمعنى عند، والصحيح أن بينهما فرقاً لطيفاً؛ وهو أن عند يشتمل معناها على ما هو في ملكك ومكنتك، مما دنا منك ويعد عنك. ولدن يختص معناها بما حضرك وقرب منك.

وأما العامل الذي يتصل آخره بأوله، ويعمل معكوسه مثل عمله، فهو: يا، ومعكوسه أي! وكلتاهما من حروف النداء، وعملهما في الاسم المنادى سيان، وإن كانت يا أجول في الكلام، وأكثر في الاستعمال، وقد اختار بعضهم أن ينادى بأي القريب فقط كالهمزة.

وأما العامل الذي نائبه أرحب منه وكراً، وأعظم مكراً، وأكثر لله تعالى ذكراً، فهو: باء القسم، وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك: أقسم بالله، ولدخولها أيضاً على المضمر كقولك: بك لأفعلن! وإنما أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعاً من حروف الشفة، ثم لتقارب معنييهما؛ لأن الواو تفيد الجمع، والباء تفيد الإلصاق، وكلاهما متفق والمعنيان متقاربان، ثم صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام؛ ولهذا ألغز بأنه أكثر لله تعالى ذكراً! ثم إن الواو أكثر موطناً من الباء لأن الباء لا تدخل إلا على الاسم، ولا تعمل غير الجر. والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف، وتجر تارة بالقسم، وتارة

---

(1) انظر سورة المزمل الآية 20 وهي بتمامها كالتالي: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾.

بإضمار ربّ، وتنتظم أيضاً مع نواصب الفعل، وأدوات العطف، فلهذا وصفها برحب الوكر، وعظم المكر.

وأما الموطن، الذي يلبس فيه الذكران براقع النسوان، وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال، فهو: أول مراتب العدد المضاف؛ وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة؛ فإنه يكون مع المذكر بالهاء ومع المؤنث بحذفها، كقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾[1]، والهاء في هذا الموطن، من خصائص المؤنث كقولك: قائم وقائمة، وعالم وعالمة. فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر والمؤنث؛ حتى انقلب كل منهما ضد قالبه، وبرز في بزة صاحبه.

وأما الموضع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب، فهو: حيث يشتبه الفاعل بالمفعول؛ لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما، أو في أحدهما. وذلك إذا كانا مقصورين مثل موسى وعيسى، أو من أسماء الإشارة نحو ذاك وهذا؛ فيجب حينئذ لإزالة اللبس، إقرار كل منهما في رتبته؛ ليعرف الفاعل منهما بتقدمه، والمفعول بتأخره.

وأما الاسم الذي لا يفهم إلاّ باستضافة كلمتين، أو الاقتصار منه على حرفين، فهو: مهما. وفيها قولان:

أحدهما أنها مركبة من مه التي هي بمعنى اكفف ومن ما.

والقول الثاني، وهو الصّحيح، إن الأصل فيها ما، فزيدت عليها ما أخرى، كما تزاد على أن؛ فصار لفظها ما ما؛ فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد، فأبدلوا من ألف ما الأولى هاء فصارتا مهما. ومهما من أدوات الشرط والجزاء، ومتى لفظت بها لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك: مهما تفعل أفعل! وتكون حينئذ ملتزماً للفعل. وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى اكفف، فهم المعنى وكنت ملزماً من خاطبته أن يكف.

وأما الوصف الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون، وقوّم بالدون، وخرج من الزبون، وتعرض للهون، فهو: ضيف إذا لحقته النون استحال إلى ضيفن؛ وهو الذي يتبع الضيف، وينزل في النقد منزلة الزيف.

---

(1) انظر سورة الحاقة الآية 7 وهي بتمامها كالتالي: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾.

المقامة الكَرَجيّة

حكَى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

شتَوْتُ بالكَرَجِ لدَينٍ أقتَضيهِ، وأرَبٍ أقْضيهِ؛ فبلَوْتُ منْ شِتائِها الكالِحِ، وصِرّها النّافِحِ، ما عرّفَني جَهْدَ البَلاء، وعكَفَ بي على الاصْطِلاء[1]. فلمْ أكُنْ أزايِلُ وِجاري، ولا مُستَوْقَدَ ناري، إلا لضَرورَةٍ أُدفَعُ إليْها، أو إقامةِ جماعةٍ أحافِظُ عليها. فاضطُرِرْتُ في يومٍ جَوُّهُ مُزْمَهِرٌّ، ودَجْنُهُ مكفَهِرٌّ، إلى أن برَزْتُ منْ كِناني، لمُهِمٍّ عَناني. فإذا شيخٌ عاري الجِلدَةِ، بادي الجُردَةِ، وقدِ اعتَمّ برَيْطَةٍ، واستَثْفَر بفُوَيْطَةٍ، وحوالَيهِ جمْعٌ كَثيفُ الحواشي، وهو يُنشِدُ ولا يُحاشي[2]:

(1) شتوت أي أمضيت فصل الشتاء والكرج جيورجيا حالياً التي تقع شرقي البحر الأسود وأقتضيه أستردّه وأتقاضاه والأرب الحاجة وبلوت أي جربت وذقت والكالح العبوس المكفهرّ والصرّ البرد الشديد والنافح للبرد كاللافح للنار والشمس وعرّفني جعلني أعرف وجهد البلاء غايته وشدّته وعكفه على الشيء حبسه عليه وألزمه به والاصطلاء الاستدفاء بالنار.

(2) أزايل أي أبارح أو أفارق والوجار بيت الثعلب وهو هنا البيت والمستوقد حيث توقد النار وإقامة الجماعة أي حضور صلاة الجماعة والمزمهرّ أي هواؤه بارد والزمهرير شدّة البرد وفي سورة الإنسان الآية 13: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ والدجن السحاب والغيم والمكفهر المتلبد الكالح العبوس وبرزت أي ظهرت وهي هنا بمعنى خرجت والكنان البيت والكن وقاء كل شيء وستره وفي سورة النحل الآية 81: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ والمهم الأمر الذي يهتم به وله وعناني أي أهمّني والجلدة البشرة وبادي أي بارز وظاهر والجردة الثوب الخلق البالي واعتم اتخذ ولبس عمامة والريطة قماش رقيق يشبه الملحفة وهي الملاءة إذا كانت نسجاً واحداً وقطعة واحدة واستثفر الكلب جعل ذنبه بين فخذيه وأما هنا فيعني أنه اتزر بها وثنى طرفها وأخرجه من بين فخذيه في حجزته أي معقد الإزار والفويطة تصغير الفوطة وهي ثوب يجلب من الهند ويلبس كفوطة الإحرام في الحج. والكثيف الكثير والحواشي والواحدة حاشية جانب الثوب =

يــا قــومِ لا يُــنــبِــئــكُــمُ عــن فَــقــري — أصْــدَقُ مــن عُــرْيــي أوانَ الــقُــرِّ
فــاعــتَــبِــروا بِــمــا بَــدا مــنْ ضُــرّي — بــاطِــنَ حــالــي وخَــفِــيَّ أمْــري
وحــاذِروا انــقِــلابَ سِــلْــمِ الــدهْــرِ — فــإنــنــي كُــنــتُ نَــبــيــهَ الــقَــدْرِ (1)
آوي إلــــى وَفْــــرٍ وحــــدٌّ يَــــفْــــري — تُــفــيــدُ صُــفــري وتُــبــيــدُ سُــمْــري (2)
وتــشــتَــكــي كُــومــي غَــداةَ أقْــري — فــجَــرّدَ الــدّهــرُ سُــيــوفَ الــغــدْرِ
وشَــنّ غــاراتِ الــرّزايــا الــغُــبْــرِ — ولــمْ يــزَلْ يــسْــحَــتُــنــي ويَــبْــري (3)
حــتــى عــفَــتْ داري وغــاضَ دَرّي — وبــارَ سِــعْــري فــي الــوَرى وشِــعْــري
وصِــرْتُ نِــضْــوَ فــاقَــةٍ وعُــسْــرِ — عــاري الــمَــطــا مــجــرَّداً مــن قِــشْــري
كــأنّــنــي الــمِــغْــزَلُ فــي الــتّــعــرّي — لا دِفْءَ لــي فــي الــصِّــنّ والــصِّــنَّــبْــرِ (4)

= وأهل الرجل وخاصته وحاشية الكتاب طرفه وما كتب عليه من شروح وتعليق ولا يحاشي أي لا يبالي أو يستثني أو يحتاط.

(1) ينبئكم أي يخبركم وأوان الأمر وقته والقرّ البرد واعتبروا أي اتعظوا والضرّ سوء الحال والخفي ما خفي عن العين فلا تراه وحاذروا أي احذروا وتنبّهوا وسلم الدهر أي الأيام الهانئة الخالية من المنغصات وانقلاب الدهر تغيّره من حال إلى نقيضها والقدر المرتبة والمقام والنبيه الرفيع والشريف المشهور.

(2) آوى أي ألجأ وأنزل وأسكن ووفر السعة والمال الكثير والحد الشفرة من السيف أو السكين ويفري أي يقطع وتفيد أي تنفع والصفر كناية عن الذهب وبيبد أي يفني ويهلك والسمر كناية عن الرماح أي أنه يحمي بحد سيفه ماله ويفني أعداءه.

(3) الكوم واحدتها كوماء وهي الناقة العظيمة السنام وأقري أي أطعم الضيف يقول إنه لكرمه فإن نياقه كانت تشكو حين يطعم أضيافه لأنه كان ينحرها ويقدمها قرى الرزايا والواحدة رزيئة أو رزيّة وهي المصيبة العظيمة والغبر والواحد أغبر أي ما لونه الغبرة ويوصف به الجوع الشديد والأحداث الغبر أي الأحداث الشداد الجسام ويسحتني من سحت الشيء يسحته إذا قشره مبالغاً في قشره وسحته أسحته إذا استأصله وهو المراد هنا وفي سورة طه الآية 61: ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ ويبري من برى القلم إذا نحته وأما هنا فقد هزله وذهب بلحمه.

(4) عفت أي درست وغاض أي جفّ وذهب والدرّ اللبن الحليب وبار أي كسد والورى الخلق يقول لقد انقلب الدهر وأغار عليّ فبراني حتى ذهب بلحمي وانقطع لبني وما عاد أحد يعتبرني أو يقدّر شعري. والنضو المهزول ويقال في الإبل والفاقة والعسر الحاجة الشديدة وضيق الحال والمطا الظهر مجرّداً أي معرّى وقشري كناية عن ثيابي والمغزل آلة تغزل عليها الثياب وتحاك والتعرّي =

غيرُ التّضحّي واصْطِلاءِ الجمْرِ فهلْ خِضَمٌّ ذو رِداءٍ غَمْرِ
يستُرُني بمُطرَفٍ أو طِمْرِ طِلابَ وجهِ اللهِ لا لشُكْري[1]

ثم قال: يا أرْبابَ الثّراء، الرّافِلينَ في الفِراء! مَنْ أوتيَ خيراً فليُنْفِقْ، ومنِ استَطاعَ أن يُرفِقْ فليُرْفِقْ! فإنّ الدُنْيا غَدورٌ، والدهرَ عَثورٌ! والمُكنَةَ زَورَةُ طيْفٍ، والفُرصَةُ مُزنَةُ صيفٍ[2]! وإني واللهِ لَطالَما تلقّيتُ الشّتاءَ بكافاتِهِ، وأعدَدْتُ الأُهَبَ لهُ

= التجرّد من الثياب وعبارة أعرى من المغزل مثل عربي قديم؛ جاء في محاضرات الراغب: «قيل: فلان أعرى من المغزل. وقيل لأعرابي: ما تلبس؟قال: الليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس». وسر اتخاذ المغزل مثلاً للعري فسّره النابغة الذبياني في هذا البيت: «وعُرّيتُ مِن مالٍ وخيرٍ جَمَعْتُهُ، كما عُرّيتْ، ممّا تُمرّ، المغازِلُ» والصن والصنبر يومان من أيام العجوز وهي سبعة أيام الأربعة الأخيرة في شباط والثلاثة الأولى في آذار وهي أيام شديدة البرد ولتسميتها بأيام حكاية مفادها أن عجوزاً نصحت قومها أن لا يجزوا الغنم أي يقصوا وبره فما سمعوا قولها فكان أن أتى البرد على الغنم. جاء في أدب الكاتب لابن قتيبة: «وأيّام العَجُوز عند العرب خمسة: صِنٌّ وَصِنَّبْرٌ وَأُخَيُّهُمَا وَبْرٌ وَمُطْفِئُ الْجَمْرِ وَمُكْفِئُ الظُّعْنِ» وجاء في شرح أدب الكاتب: «الصنّ والصنّبر وأخوهما الوبر وآمر ومؤتمر ومخزي الشيخ في الكسر وملقم الأمة الجمر هذا قول الشرقيّ والنمريّ وقال أبو الشرقيّ بعد مؤتمر ومجفر الظعن ومخزي الشيخ في الكسر وقال غيرهم بعد مؤتمر مغلّلٍ ومطفئ الجمر».

(1) التضحّي أي الجلوس للشمس والبروز لها والخضمّ هو البحر في أصل معناه واستعاره للجواد السخيّ والغمر الكثير والواسع وأراد بالرداء صاحبه فهو يغطي عرضه بالجود كما يغطي جسده بالرداء ويسترني أي يغطيني والمطرف ثوب من الخز مربع له أعلام في أطرافه والطمر الثوب الخلق وطلاب أي طلباً يقول بتّ كالمغزل عارياً ولا أدفأ إلا إذا برزت للشمس أو اصطليت النار فهل من جواد واسع الثوب يسترني بثوب من خز أو بثوب خلق إكراماً لوجه الله لا طمعاً بحمدي وثنائي.

(2) أرباب الثراء سادته الأغنياء والموسرون والرافلين من رفل أي جرّ ذيله وتبختر وخطر بيده والفراء واحدتها فروة وهي الجلد عليه الصوف بعد الدباغ. وأوتي أي أعطي والخير هنا يعني المال وفي سورة البقرة الآية 108: «إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ ٱلْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ» والأرفاق النفع وأرفقته إذا أعطيته ما يرتفق به والغدور من الغدر والعثور من العثرة أي أن الدنيا تغدر بأهلها والدهر يقع بناسه والمكنة التمكن والقدرة والقوة والزورة الزيارة والطيف الخيال في المنام والفرصة الوقت المناسب والنهزة والنوبة والشرب ومزنة الصيف سحابته وتضرب مثلاً للانقضاء والاضمحلال بسرعة.

قبل مُوافاتِهِ، وها أنا اليومَ يا سادَتي؛ ساعِدي وِسادَتي، وجِلْدَتي بُرْدَتي، وحَفْنَتي جَفنَتي! فليَعتَبِرِ العاقِلُ بحالي، ولْيُبادِرْ صرْفَ اللّيالي؛ فإنّ السّعيدَ منِ اتّعظَ بسِواهُ، واستَعدّ لمسْراهُ! فقيلَ لهُ[1]: قد جلَوْتَ علَينا أدبَكَ، فاجْلُ لنا نسبَكَ! فقال: تبّاً لمُفتَخِرٍ، بعَظْمٍ نخِرٍ! إنّما الفخْرُ بالتُّقى، والأدَبِ المُنتقى! ثم أنشدَ[2]:

لعَمرُكَ ما الإنسانُ إلا ابنُ يومِه ... على ما تجلّى يومُهُ لا ابنُ أمسِهِ
وما الفخرُ بالعظْمِ الرّميمِ وإنّما ... فَخارُ الذي يبغي الفخارَ بنفسِهِ[3]

ثمّ إنّهُ جلسَ مُحقَوقِفاً، واجْرَنْثَمَ مُقَفقِفاً، وقال: اللهُمّ يا مَنْ غمرَ بنوالِهِ، وأمرَ بسؤالِهِ؛ صلِّ على محمدٍ وآلِهِ، وأعِنّي على البَرْدِ وأهْوالِهِ! وأتِحْ لي حُرّاً يؤثِرُ منْ خَصاصَةٍ، ويؤاسي ولوْ بقُصاصَةٍ[4]!

---

(1) تلقّيت أي استقبلت ولاقيت والكافات والواحدة كاف وهي الحرف المعروف وأعددت أي جهّزت والأهب والواحدة أهبة وهي العدّة وموافاته وصوله وقدومه وساعدي أي ذراعي ووسادتي أي مخدتي وجلدتي أي بشرتي والبردة كسائي وثوبي والحفنة أي ما يملأ الكف والجفنة القصعة يوضع فيها الطعام ويعتبر أي يتعظ ويراني عبرة ويبادر أي يسارع ويعجّل وصرف الليالي أحداثها وتقلّبها ومسراه مكان سراه أي سيره في الليل والمراد بذلك الرحيل عن هذه الدنيا والتزوّد للآخرة.

(2) جلوت أي أبرزت وأظهرت وتبّاً أي قطعاً وهو دعاء على الشخص كما في سورة المسد وقد تقدم ذلك والنخر المتفتت البالي من العظام أو الأخشاب وفي سورة النازعات الآية 11: ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً﴾ والتقى أي تقوى الله فأنت إن أحسنت في القول والعمل تكون قد وقيت نفسك غضب الله والمنتقى المختار.

(3) لعمرك أي أقسم بعمرك وتجلّى أي ظهر والعظم الرميم البالي المتآكل ويعني بذلك الآباء والأجداد والفخار الفخر يقول وحياتك ليس الإنسان إلا ما هو في يومه من قول وعمل وليس ابن يوم مضى هو يوم الآباء والأسلاف فالفخر يكون بفعل المرء نفسه لا بعظام بالية لقوم مضوا منذ زمان بعيد.

(4) محقوقفاً أي معوجاً منحنياً ويقال الفعل في القمر واجرنثم أي انقبض واجتمع على نفسه يقول ابن سيده في المحكم في مادة (ج ر ث م): «جرثومة كل شيء أصله. وقيل الجرثومة ما اجتمع من التراب في أصول الشجر عن اللحياني. والجرثومة التراب الذي تسفيه الريح وهي أيضاً ما يجمع النمل من التراب. والاجرنثام الاجتماع واللزوم للموضع. وقد اجرنثم وتجرثم واجرنثم الرجل وتجرثم سقط من علو إلى سفل. وتجرثم الشيء أخذ معظمه عن نصير» ومقفقفاً أي مرتعداً =

قال الراوي:

فلمّا جلّى عنِ النّفسِ العِصاميّةِ، والمُلَحِ الأصمعيّةِ؛ جعلَتْ ملامِحُ عيني تَعجُمُهُ، ومَرامي لحَظي تَرجُمُه، حتى استَبَنْتُ أنهُ أبو زيدٍ، وأنّ تعرّيَهُ أُحبولَةُ صيدٍ. ولمحَ هوَ أنّ عِرْفاني قد أدْركَهُ، ولمْ يأمَنْ أنْ يهتِكَهُ، فقال[1]: أُقسِمُ بالسَّمَرِ والقمَرِ، والزُّهْرِ والزَّهَرِ! إنهُ لنْ يستُرَني إلا مَنْ طابَ خِيمُهُ، وأُشرِبَ ماءَ المُروءةِ أديمُهُ! فعقَلْتُ ما عَناهُ، وإنْ لم يدْرِ القومُ معْناهُ. وساءني ما يُعانِيهِ منَ الرِّعدَةِ، واقشِعْرارِ الجِلْدَةِ؛ فعمَدْتُ لفَرْوةٍ هيَ بالنّهارِ رِياشي، وفي الليلِ فِراشي؛ فنضَوتُها عني، وقلتُ له: اقبَلْها مني. فما كذّبَ أنِ افْتَراها، وعيني تَراها، ثم أنشدَ[2]:

= وقفقفة الأسنان أي اصطكاكها تكون من برد أو خوف غمر بنواله أي غطّى بكرمه وعطائه وامر بسؤاله إشارة إلى الآية 60 من سورة غافر: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والآية 32 من سورة النساء: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ وأتح فعل أمر من أتاح إذا يسّر وقدّر ويؤثر أي يفضّل الآخر على نفسه والخصاصة الفقر ويؤاسي أي يعين وأصل المواساة جعل الآخر مساوياً لك والقصاصة ما يأخذه المقص من الشعر أو الظفر ويريد بذلك القليل.

(1) جلّى أي كشف العصامي من ساد بشرف نفسه لا بشرف آبائه والعصامية نسبة إلى رجل اسمه عصام وكان حاجباً للنعمان بن المنذر وكان شديد البأس فصيح اللسان وحازم الرأي وقد قرّبه النعمان إليه وقد قال عصام في نفسه: «نَفْسُ عصامٍ سوّدَتْ عِصامًا، وعلمتهُ الكرّ والإقداما» والملح واحدتها ملحة أي المستحسن والحلو المستملح من الحديث والأصمعية نسبة إلى الأصمعي وهوعبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، مولده ووفاته بالبصرة، له تصانيف كثيرة فى اللغة والشعر من الأصمعيات. توفي حوالى 828 م وملامح العين نظراتها وتعجمه أي تختبره ومرامي لحظي أي سهام نظري وترجمه أي ترميه والمراد أنه أخذ ينظر إليه ملياً ويتمعّن واستبنت أي بان لي وتحققت والأحبولة ما يصاد به وعرفاني أي معرفتي وأدركه أي بلغه يعني أنه عرف أنني عرفته ولم يأمن أي لم يطمئن ويهتكه أي يفضحه ويكشفه.

(2) أقسم أي أحلف والسمر المسامرة أي حديث الليل وهي سواد الليل أيضاً والزهر أي النجوم والزُهر واحدها أزهر وهو الأبيض المشرق من الحيوانات والنباتات ويوصف القمر بالأزهر أيضاً والزهر أي الأزهار وطاب أي زكا وخيمه أي طبيعته وأشرب أي سقي وأُرضع وفي سورة البقرة الآية 93: ﴿وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ﴾ والمروءة كل جميل من الأفعال وأديمه أي وجهه فالأديم هو وجه الأرض وعقلت أي فقهت ووعيت وفهمت وعناه أي أقصد إليه وأراده وساءني =

لِــلّــهِ مِـــن ألـــبَـــسَـــنـــي فَـــروةً أضـحـــتْ مِـن الـرِّعـدَةِ لـي جُـنَّـهْ
ألـبَـسـنِـيـهـا واقِـيـاً مُـهـجَـتـي وُقِّـيَ شــرَّ الإنْــسِ والــجِــنَّــهْ
سَــيَــكـتَـسـي الـيـومَ ثَـنـائـي وفـي غَـدٍ سَـيُـكـسـى سُـنـدُسَ الـجَـنَّـهْ[1]

قال:

فلمّا فتَن قُلوبَ الجَماعَةِ، بافتِنانِهِ في البَراعَةِ! ألقَوْا عليْهِ منَ الفِراء المُغشّاةِ، والجِبابِ المُوشّاةِ، ما آدَهُ ثِقلُهُ، ولم يكَدْ يُقلّهُ. فانطلقَ مُستَبشِراً بالفَرجِ، مُستَسقِياً للكَرَجِ[2]، وتبِعْتُهُ إلى حيثُ ارتفَعَتِ التّقيّةُ، وبدَتِ السّماءُ نقيّةً، فقلتُ له: لَشَدّ ما قرّسَكَ البرْدُ، فلا تتعرّ منْ بعْدُ! فقال: ويْكَ ليسَ منَ العدْلِ، سُرعةُ العذْلِ[3]! فلا

= أي شقّ عليّ وأحزنني ويعانيه أي يكابده ويقاسيه والرعدة الارتجاف من برد أو خوف والاقشعرار للجلد تقبّضه وتغيّر لونه وعمدت أي قصدت ورياشي أي لباسي ونضوتها أي خلعتها وافتراها من افترى الفروة أي لبسها كما اعتمّ أي لبس العمامة وتجلبب أي لبس الجلباب.

(1) الجنة أي الوقاء والمجن والستر وواقياً أي حافظاً وحامياً ومهجتي أي نفسي ووقي دعاء له بأن يكون محمياً والجنة أي الجان وفي سورة الناس الآية 6: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ ويكتسي أي يرتدي وثنائي أي حمدي ومديحي والسندس رقيق الديباج وهو الحرير الذي يتلون ألواناً وفي سورة الكهف الآية 31: ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ﴾.

(2) فتنه أي سلبه عقله وذهب به وافتنانه أي تفنّنه أي خروجه من نوع إلى نوع والبراعة الحذق والجودة والفصاحة وألقوا أي رموا والمغشّاة التي عليها أغشية والجباب والواحدة جبّة الثوب الواسع يُلبس فوق الثياب والموشاة أي المنقوشة المزينة وآده من آد إذا بهظه الحمل وأضنكه وثقل عليه وفي آية الكرسي 255 من سورة البقرة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ ويقلّه من أقلّ الشيء إذا رفعه وحمله وانطلق أي مضى وذهب ومستبشراً أي فرحاً مبتهجاً والفرج زوال الكرب والغم ومستسقياً أي داعياً بالسقيا أي المطر والماء.

(3) التقية مذهب تعمل به بعض الطوائف ومنها الشيعة الإمامية وهي الإقرار بما لا يعتقده المرء إذا استشعر خوفاً على نفسه أو ماله أو أهله والتقية الاحتراز والاتقاء وبدت أي ظهرت وبانت والسماء نقية أي صافية والعبارة مثل يقال ويضرب لخلو الموضع والانفراد ولشدّ ما أي ما أشدّ ما واللام للقسم وقرّسك أي لسعك وآذاك ووي حرف تعجّب وويك حرف تأنيب وزجر بمعنى ويلك يقول عنترة في معلقته:

«ولقد شفى نفسي وأبرا سقمها قيلُ الفوارس ويكَ عنتر أقدم»

والعدل الإنصاف والعذل اللوم والتثريب والعبارة مثل.

تعْجَلْ بلَوْمٍ هوَ ظُلْمٌ، ولا تقْفُ ما ليْسَ لكَ بهِ عِلمٌ[1]، وَالّذي نوّرَ الشّيبَةَ، وطيّبَ تُربَةَ طَيْبَةَ! لو لمْ أتَعرّ لرُحْتُ بالخَيبَةِ، وصفَرِ العَيبَةِ. ثمّ نزَعَ إلى الفِرارِ، وتبرقَعَ بالاكْفِهْرارِ، وقال[2]: أمَا تعْلَمُ أنّ شِنْشِنتيَ الانتِقالُ منْ صَيدٍ إلى صيْدٍ، والانعِطافُ منْ عمْرٍو إلى زيدٍ!؟ وأراكَ قد عُقتَني وعقَقْتَني، وأفَتّني أضْعافَ ما أفدْتَني[3]! فاعْفِني عافاكَ اللهُ منْ لغوِكَ، واسْدُدْ دوني بابَ جِدّكَ ولهْوِكَ! فجبذْتُهُ جبْذَ التّلْعابَةِ، وجعْجَعْتُ به للدُعابَةِ، وقلتُ له: واللهِ لوْ لمْ أُوارِكَ، وأُغَطِّ على عَوارِكَ؛ لما وصلْتَ إلى صِلةٍ، ولا انقلَبْتَ أكْسى منْ بصَلَةٍ! فجازِني عنْ إحساني إليْكَ[4]، وسَتري لكَ وعلَيْكَ، بإن تسمَحَ لي بردّ الفَروَةِ، أو تُعرّفَني كافاتِ الشّتوَةِ. فنظرَ إليّ نظَرَ المتعجّبِ، وازْمهَرّ ازمِهْرارَ المتغَضّبِ، ثمّ قال: أمّا رَدّ الفَروةِ فأبْعَدُ منْ ردّ أمسِ الدّابِرِ، والمَيْتِ الغابِرِ. وأما كافاتُ الشّتْوةِ فسُبحانَ مَنْ طبَع على ذِهنِكَ، وأوْهى

(1) لا تعجل أي لا تسارع ولا تقف فعل أمر أي لا تتبع واقتفى أثره إذا تتبعه وفي سورة الإسراء الآية 36: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾.

(2) نوّر أي أضاء يريد أن الله جعل الشيب نوراً وطيّب أي أزكى وتربة أي تراب وطيبة من أسماء يثرب المدينة المنورة سمّاها به النبي عند هجرته إليها والخيبة من خاب إذا لم ينل ما يطلب وهي هنا بمعنى الحرمان والصفر الخلو والعيبة الوعاء ونزع أي مال وحنّ والفرار الهرب وتبرقع أي اتخذ برقعاً وهو غطاء الوجه والاكفهرار العبوس والكلوح.

(3) الشنشنة السجية والعادة والطبيعة والديدن والدأب وفي الأمثال شنشنة أعرفها من أخزم والأخزم فحل منجب والانعطاف الميل وعقتني من أعاقه إذا أخرّه ومنعه وعققتني من العقوق وهو عدم البر والإكرام ويقال في الولد لا يبر أهله وأفتّني من الفوت أي حرمتني وأضعاف من ضعف الشيء أي قدره مرتين وأفدتني أي نفعتني.

(4) أعفني فعل أمر بمعنى اتركني ودعني وأسقط عني وأعفاه من الشيء كفاه إياه وعافاك الله أي سلّمك وأبراك وأراحك الله وهو دعاء واللغومن القول الباطل والساقط وما لا فائدة ترجى منه وفي سورة القصص الآية 55: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ﴾ وجبذته كجذبته والتلعابة الكثير اللعب وجعجعت به أي حبسته وضيّقت عليه ومنه قول ابن زياد لقائد جيشه «إذا جاءك الحسين فجعجع به» والدعابة الهزل والمزاح ووارى إذا أخفى والعوار العيب والصلة العطاء وانقلبت أي رجعت وأكسى من بصلة مثل يضرب لمن كثرت ثيابه فجازني أي قابلني وأعطني جزائي.

وِعاءَ خَزْنِكَ؛ حتى أُنسيتَ ما أنشدْتُكَ بالدَّسْكَرةِ، لابنِ سُكَّرَةَ[1]:

جاء الشتاءُ وعِندي منْ حوائِجِه سبْعٌ إذا القطْرُ عن حاجاتِنا حبَسا
كِنٌّ وكِيسٌ وكانونٌ وكاسُ طِلاً بعْدَ الكَبابِ وكسٌّ ناعمٌ وكِسا[2]

ثم قال: لَجوابٌ يَشفي، خيرٌ من جِلبابٍ يُدْفي! فاكْتَفِ بما وعَيْتَ وانْكَفى! ففارَقْتُهُ وقدْ ذهبَتْ فَروَتي لشِقْوَتي، وحصلْتُ على الرِّعدَةِ[3].

---

(1) وستري من ستر وستر لك أي أنه أعطاه الفروة فستره وستري عليك أنه كتم خبره فلم يفضه وتعرّفني أي تجعلني أعرف وتوقفني على الأمر وكافات الشتوة أي الشتاء وازمهرّ أي احمرّت عيناه وتوقدتا غضباً والمتغضب من يتكلّف الغضب وليس كذلك وأمس الدابر أي الماضي والغابر الماضي أيضاً وطبع أي ختم وقد استخدم اللفظ في القرآن مراراً كما في الآية 108 من سورة النحل: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾ والذهن العقل وأوهى أي أضعف وأوهن وخزنك أي حفظك والدسكرة القرية وبيت اللهو والثاني أولى وابن سكرة شاعر ماجن هو محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، أبو الحسن، المعروف بابن سكرة، من ولد علي بن المهدي العباسي: شاعر كبير، من أهل بغداد. له ديوان توفي سنة 995م.

(2) القطر أي المطر وحبس أي منع والكنّ البيت والكيس وعاء الدراهم والكانون وعاء الجمر للاستدفاء والطلا من أسماء الخمر والكباب اللحم المشوي والكس مولد وليس بعربي وهو هن المرأة والكسا الثوب. وهنا سأنقل عن خزانة الأدب للبغدادي: ومن أظرف ما وقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من أنت وكانت ملتفة في كساء فقالت أنا السادس في السابع أشارت في تلميحها اللطيف إلى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت أنا الكس الناعم في الكساء.

ونظم بعضهم هذا المعنى في بيتين فقال.

رأيتها ملفوفة في كسا خوفاً من الكاشح والطامع
قلت لها من أنت يا هذه قالت أنا السادس في السابع

(3) اكتف فعل أمر بمعنى اقنع ووعيت فهمت وانكفى أي انقلب راجعاً وأرجع ولشقوتي أي لسوء حظي وشقائي وحصلت أي حزت ونلت والرعدة الرجفة وارتعاش الجسم من برد أو خوف.

المقامة الرّقْطاء

حدّثَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

حلَلْتُ سوقَيِ الأهوازِ، لابِساً حُلّةَ الإعْوازِ؛ فلبِثْتُ فيها مُدّةً، أُكابِدُ شِدّةً، وأزَجّي أياماً مسوَدّةً، إلى أنْ رأيتُ تَماديَ المُقامِ، من عَوادِي الانتِقامِ. فرمَقْتُها بعَينِ القالي، وفارَقْتُها مُفارقَةَ الطّلَلِ البالي[1]! فظعَنْتُ عن وشَلِها؛ كَميشَ الإزارِ، راكِضاً إلى المياهِ الغِزارِ، حتى إذا سِرْتُ منها مرحلَتَينِ، وبَعُدْتُ سُرَى ليلَتَينِ، تراءتْ لي خيمَةٌ مَضروبَةٌ، ونارٌ مشبوبَةٌ، فقلتُ: آتِيهِما لعَلّي أنقَعُ صَدًى، أو أجِدُ على النّارِ هُدًى[2]. فلمّا انتهَيتُ إلى ظِلّ الخَيمَةِ رأيتُ غِلمَةً رُوقَةً، وشارَةً مرْموقَةً، وشيْخاً علَيْهِ

(1) حللت أي نزلت والأهواز منطقة في غربي إيران تقع على الخليج من مدنها عبادان والأهواز تجدر الإشارة إلى أن الكاتب ثنّى السوق وإن كان واحداً وذلك إشارة منه إلى نهر يخترق المدينة وعلى شطيه يقوم السوق والحلّة القميص والإزار معاً أو هي الثوب الذي يستر الجسم كلّه والإعواز الحاجة والفقر ولبثت أي بقيت ومكثت وأقمت وأكابد أي أعاني وأقاسي وهو من الكيد أي الشدّة والعسر والألم وفي سورة البلد الآية 4: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ والشدة واحدة الشدائد وهي المصاعب والضيق وقال الأزهري إنها المجاعة وأزجّي أي أنفق وفي الأصل أسوق وأدفع ومسودّة أي مشؤومة وكالحة وتمادي الشيء طوله ودوامه والمقام أي الاقامة والعوادي واحدتها العادية ما يشغلك أو يصرفك عن الشيء وهي أيضاً الظلم والشر والضرر وعوادي الدهر عوائقه والانتقام إيقاع الضرر أخذاً بالثأر ورمق أي نظر والقالي الكاره والمبغض والطلل ما شخص وبقي من آثار.

(2) وظعنت أي رحلت والوشل الماء القليل وكميش من كمش. يقال كمش ذيله إذا قصّره والأمر كناية عن التشمير للفعل وركضاً أي جرياً وعدواً وبسرعة والغزار الكثيرة وهي هنا كناية عن الخير الكثير والمرحلتان والواحدة مرحلة وهي ما يقطعه المسافر في يومه والسرى سفر الليل وسرى الليلتين أي مقدارهما وتراءت أي بدت وظهرت والمضروبة المنصوبة والمشبوبة من صفات النار=

بزّةٌ سَنيّةٌ، ولدَيهِ فاكهةٌ جَنيّةٌ، فحيّيْتُهُ، ثمّ تحامَيْتُهُ، فضحِكَ إليّ، وأحسنَ الرّدَّ عليّ، وقال: ألا تجلِسُ إلى مَنْ تَروقُ فاكِهَتُهُ، وتَشوقُ مُفاكَهتُهُ؟ فجلَسْتُ لاغتِنامِ مُحاضرَتِهِ، لا لالْتِهامِ ما بحضْرَتِهِ[1]. فحينَ سفَرَ عن آدابِهِ، وكشَرَ عن أنيابِهِ؛ عرَفْتُ أنهُ أبو زيدٍ بحُسنِ مُلَحِهِ[2]، وقُبْحِ قلَحِهِ! فتَعارَفْنا حينَئذٍ؛ وحفّتْ بي فرْحَتانِ ساعتَئذٍ. ولمْ أدْرِ بأيّهِما أنا أضْفى فرَحاً، وأوْفى مرَحاً؛ أبإسْفارِهِ، منْ دُجُنّةِ أسْفارِهِ!؟ أم بخِصْبِ رِحالِهِ، بعدَ إمحالِهِ!؟[3] وتاقَتْ نفسي إلى أن أفُضّ ختْمَ سِرّهِ، وأبطُنَ داعِيَةَ يُسْرِهِ، فقلتُ له: منْ أينَ إيابُكَ، والى أينَ انسِيابُكَ، وبِمَ امتلأتْ عِيابُكَ؟ فقال[4]:

= إذا أضرمت وأوقدت واستعير ذلك للعواطف واللواعج وأنقع أي أروى والصدى العطش وعبارة أو أجد على النار هدى قرآنية من سورة طه الآية 10: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

(1) وانتهيت إلى المكان بلغته والغلمة واحدها غلام وروقة صفة للجمع والمفرد المذكر والمؤنث على السواء وتعني الحسان الذين يعجبك ويروق لك حسنهم والشارة الهيئة واللباس والحسن والعلامة ومرموقة من رمق أي نظر يعني أنه رأى هيئة حسنة ينظر إليها لحسنها والبزّة الثياب والسنية الحسنة الرفيعة ولديه أي وعنده والجني من الفاكهة والثمار الطرية كما اقتطفت وحييته أي سلّمت عليه وتحاميته أي تجنّبته وتباعدت عنه وأحسن الرد أي ردّ عليّ السلام بسلام حسن مثله وتروق أي تعجب وتلذّ وتشوق أي يشتاق إليها ومفاكهته الحديث فيه ممازحة وما يعجب واغتنام الشيء اهتباله وانتهاز غنمه والمحاضرة المجالسة والالتهام أي الابتلاع وبحضرته أي مجلسه وبين يديه يريد أنه أراد اغتنام فرصة الجلوس معه لا ازدراد وبلع ما بين يديه من فاكهة وطعام.

(2) سفر أي كشف والسفور للبروز دون خمار وكشر إذا كشف عن أسنانه وأنيابه واحدها ناب وملحه واحدها ملحة وهي المستحسن والمليح من القول.

(3) القبح البشاعة والقَلَح صُفْرة تَعْلو الأسْنان، ووَسَخٌ يركَبُها وفي الحديث: «ما لكم تدخلون علي قلحاً» وحفّ به أي أحاط به وأضفى أي أكثر وأزيد وأوفى أي أكمل والمرح شدة الفرح وإسفاره الأولى من أسفر إذا طلع وبرز وبان والدجنة العتمة والظلمة وأسفاره الثانية من السفر أي الانتقال من مكان إلى آخر والخصب نعمة العيش ورحاله أي أوقاره والعبارة تعني اليسر والسعة والإمحال الجدب.

(4) تاق إلى الشيء رغب فيه واشتاق إليه وأفضّ أي أفكّ وأكسر والعبارة كناية عن الرغبة في الوقوف على سرّه المخفيّ وكنّى عن ذلك بالختم الذي تختم به الرسائل فلا يقف أحد على ما فيها دون فضّ الختم أي كسره وبطن الشيء عرف باطنه وداعية يسره أي سبب وباعث غناه والداعية في أصلها قليل من لبن يترك في الضرع ليدعو ما بعده والإياب الرجوع والانسياب الذهاب والعياب والواحدة عيبة وهي وعاء المتاع.

أمّا المَقْدَمُ فمِنْ طوسَ، وأما المَقصِدُ فإلى السّوسِ! وأما الجَدَةُ التي أصَبْتُها فمِنْ رِسالَةٍ اقتَضَبْتُها. فسألْتُهُ أن يَفرُشَني دِخلتَهُ، ويسْرُدَ عليّ رِسالتَهُ، فقال: دونَ مَرامِكَ حرْبُ البَسوسِ، أو تَصحبَني إلى السّوسِ[1]! فصاحَبْتُهُ إليْها قَهْراً، وعكفْتُ علَيْهِ بها شهْراً، وهوَ يَعُلّني كاساتِ التّعليلِ، ويُجرّني أعِنّةَ التأميلِ. حتى إذا حرِجَ صدْري، وعِيلَ صبْري، قلتُ له: إنهُ لمْ يبْقَ لكَ عِلّةٌ، ولا لي في المُقامِ تَعِلّةٌ! وفي غدٍ أزْجُرُ غُرابَ البينِ، وأرْحَلُ عنكَ بخُفّيْ حُنَينٍ[2]! فقال: حاشا للهِ أنْ أُخلِفَكَ، أو

(1) المقدم أي القدوم أو مكانه وطوس مدينة بجوار أصبهان في إيران وفيها قبر الرشيد العباسي والإمام الشيعي الثامن علي بن موسى الملقب بالرضا والمقصد أي الغاية والمكان المراد والمقصود والسوس فمدينة في الأهواز اشتهرت بمنسوجاتها والجدّة أي السعة والغنى واليسار وأصبتها أي حزتها ونلتها واقتضبتها أي ارتجلتها ويفرشني أي يبسط لي فراشاً ودخلته ما بداخله أي خبيئة أمره والمراد القول أن يطلعني على سرّه وسرد الحديث والقراءة أي ساقهما على أحسن وجه والمرام الغاية وحرب البسوس حرب مشهورة وقعت بين قبيلتي تغلب وبكر ودامت مدة أربعة عقود 494 - 534 م وأما اسمها فجاء من البسوس خالة جساس بن مرة البكري التي كانت لها ناقة ترعى أرضاً هي في حمى كليب بن ربيعة التغلبي والذي كان متزوجاً من جليلة أخت جساس. فلما رأى كليب الناقة ترعى أمر بقتلها فتربّص به جساس حتى قتله فثارت تغلب للثأر وكان قائدها المهلهل المعروف وتصحبني أي ترافقني.

(2) صاحبته أي رافقته وأقمت معه قهراً أي رغماً وغصباً عني وعكفت على الشيء إذا أقمت معه وأقبلت عليه بمواظبة وقد وردت المادة في القرآن مراراً ومنها العكوف في المساجد أو العكوف على الأصنام كما في الأعراف الآية 138: ﴿فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ﴾ ويعلّني أي يسقيني نهلة إثر نهلة والتعليل من علّله بالشيء إذا الهاه به كما يعلّل الطفل بالطعام والتعليل أن يطمعك بأمر فإذا تقاضيته أظهر العلل والعوائق ومنّاك ثم يعتلّ بعلّة وهكذا ويجرّني أي يجعلني أجرّ وأسحب والأعنة الأزمّة والواحد عنان والتأميل من أمّله إذا رجاه وحرج ضاق وعيل أي غلب ونفد والعلّة هنا أي المبرّر والسبب والتعلّة ما يتعلل به وأزجر من زجر الطير وهو عمل اعتاد العرب التفاؤل به خيراً أم شراً فكانوا يقومون في الصباح فيرمون الطير بشيء فإن طار يمنة استبشروا وإن طار يسرة تشاءموا وغراب البين أي غراب الفراق وكانت العرب ترى فيه فألاً يتشاءمون به ولذا أضافوا إليه البين قال الراعي النميري: «وَقَالَ صِحَابي:

هُدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ ... هُدًى وبيانٌ بالنّجاحِ يلوحُ»

وقال كثيّر عزّة:

«رأيتُ غراباً ساقطاً فوْقَ بانَةٍ ... يُنتّفُ أعلى ريشِهِ ويُطايِرُهْ» =

أُخالِفَكَ! وما أرْجاتُ أنْ أحدّثَكَ، إلاّ لأُلَبّثَكَ! وإذا كُنتَ قدِ استربْتَ بعِدَتي، وأغْراكَ ظَنُّ السوء بمُباعَدَتي، فأصِخْ لقَصَصِ سيرَتي المُمتدّةِ، وأضِفْها إلى أخْبارِ الفرَجِ بعْدَ الشّدةِ[1]، فقلتُ لهُ: هاتِ فما أطوَلَ طيَلَكَ، وأهْوَلَ حيَلَكَ! فقال: اعْلَمْ أنّ الدهْرَ العَبوسَ، ألْقاني إلى طوسَ، وأنا يومَئِذٍ فَقيرٌ وَقيرٌ، لا فَتيلَ لي ولا نَقيرٌ. فألجأني صفَرُ اليَدَينِ، إلى التطوُّقِ بالدَّينِ، فادّنْتُ لسوء الاتّفاقِ، ممّنْ هوَ عَسِرُ الأخْلاقِ، وتوهَمْتُ تسَنّيَ النَّفاقِ؛ فتوسّعْتُ في الإنْفاقِ، فما أفَقْتُ حتى بهَظَني دَينٌ لزِمَني حقُّهُ، ولازَمَني مُستَحِقُّهُ[2]. فحِرْتُ في أمري، وأطلَعْتُ غَريمي على عُسْري،

= فـقُـلْـتُ ولـوْ أنّـي أشـاءُ زجَـرْتُـهُ ... بـنَـفْـسـيَ لـلـنّـهْـديّ هـلْ أنْـتَ زاجـرُهْ
فـقـالَ غُـرابٌ لاغْـتـرابٍ مـن الـنّـوى ... وفـي الـبـانِ بـيـنٌ مـن حـبـيـبٍ تـجـاوِرُهْ
فـمـا أعـيَـفَ الـنَّـهْـديَّ لا درَّ درُّهُ ... وأزجَـرَهُ لـلـطّـيْـرِ لا عَـزَّ نـاصِـرُهْ»

والخف والمثنّى خفان ما يلبس في الرجل وحنين اسم رجل خاب سعيه وعاد بلا شيء فضرب به وبخفيه المثل.

(1) حاشا أداة استثناء تدخل على الاسم والضمير إلا أنها تنفرد عن أدوات الاستثناء بتزيه المستثنى عن وقوعه فيما يدور عليه الكلام ويجوز دخول اللام على مستثناها وفي سورة يوسف الآية 31: ﴿وَقُلْنَ حَشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾ وأخلف الوعد إذا لم يف به وأرجأ أي أجّل وأخر والبثه أي جعله يلبث أي يقيم ويمكث واستراب أي شكّ وارتاب والعِدة الوعد وأغراك أي حرّضك ورغّبك والمباعدة الابتعاد وأصخ فعل أمر بمعنى إصغ واستمع والقصص الخبر والحديث وأضفها فعل أمر بمعنى ضمها أو ألحقها والفرج بعد الشدة اسم لعدة كتب أحدها لابن أبي الدنيا والآخر للقاضي التنوخي وغيرهما على أنني أحسب أن الكاتب لم يرم إلى ذلك تخصيصاً بل إلى أخبار الفرج بعد الشدة أي اليسر بعد العسر والضيق بعامة وهي أخبار تتداولها الناس في كل آن ومكان.

(2) هات اسم فعل بمعنى أعطني ويقال هات وهاتي وهاتيا وهاتوا وهاتين والطول والطيل الحبل الذي يطوّل به للدابة أي يرخى لها فترعى وتبعد ولكن إلى مقدار فلا تفلت وتضيع. يقول طرفة بن العبد:

لـعـمـرُكَ إنَّ الـمـوتَ مـا أخـطـأ الـفـتـى ... لَـكـالـطِّـوَلِ الـمُـرخـى وثِـنـيـاهُ بـالـيَـد

والمراد بالعبارة ما أطول ما تتمادى وتتراخى وتلهيني وتشغلني به وأهول أي أخوف وأغرب وحيلك مكرك وخداعك والعبوس الكالح والمقطب الوجه كناية عن الشدة وقد وصف القرآن اليوم الآخر بالعبوس والقمطرير في سورة الإنسان الآية 10 وألقاني وألقى بي أي طرحني ورماني والفقير المكسور فقار الظهر ثم استعير لمن لا يملك شيئاً والوقير من الوِقر أي الحمل الثقيل والمراد هنا حمل الدين وحمل الفاقة ولافتيل السحاة في شق النواة أو ما يفتل بين الأصابع من =

فلمْ يُصَدِّقْ إمْلاقي، ولا نزَعَ عنْ إرْهاقي؛ بلْ جَدَّ في التّقاضي، ولَجّ في اقْتِيادي إلى القاضي. وكلّما خضَعْتُ له في الكلام، واستنْزَلْتُ منهُ رِفقَ الكِرامِ، ورغّبْتُهُ في أنْ ينظُرَ لي بمُياسرَةٍ، أو يُنظِرَني إلى ميسرَةٍ. قال: لا تطْمَعْ في الإنْظارِ[1]، واحتِجانِ النُّضارِ! فوَحقّكَ ما ترَى مسالِكَ الخَلاصِ، أو تُريَني سبائِكَ الخِلاصِ! فلمّا رأيتُ احتِدادَ لَدَدِهِ، وأنْ لا مَناصَ لي منْ يدِهِ؛ شاغَبْتُهُ، ثمّ واثبْتُهُ؛ ليُرافِعَني إلى والي الجَرائِمِ، لا إلى الحاكِمِ في المظالِمِ، لِما كان بلَغَني منْ إفْضالِ الوالي وفضْلِهِ، وتشدُّدِ القاضي وبُخْلِهِ[2]. فلمّا حضَرْنا بابَ أميرِ طوسَ، آنَسْتُ أن لا بأسَ ولا

= وسخ أو خيط والنقير الحفرة الصغيرة من ظهر النواة والعبارة كناية عن الإملاق الشديد وألجأني أي اضطرني وجعلني ألجأ وألوذ وصفر اليدين أي الخالي اليدين من أي شيء والتطوّق اتخاذ الطوق وهو ما يجعل في العنق والدين ما يقترضه المرء من الآخر وأدنت أي استدنت والاتفاق المصادفة وسوء الاتفاق يعني سوء الحظ والعسر الأخلاق الشكس وفي أخلاقة زعارة وسوء وشكاسة وتوهمت أي خالط وهمي وتخيّلت وحسبت وتسنّى أي الشيء تيسّره والنفاق الرواج وهو نقيض الكساد وتوسّع في الشيء إذا فعله دون كثير قيد وفقت من أفاق من النوم ويهظني أي أثقلني وأمضّني وآدني ولزمني حقّه أي وجب وصار لزاماً عليّ أداؤه ولازمني أي تعلّق والتصق بي والمستحق من له الدين وصاحبه.

(1) حرت أي تحيّرت وأطلعت غريمي أي أوقفت خصمي على أمري وأعلمته به والعسر الفاقة والضيق والإملاق ذهاب المال والإفلاس ونزع عن الشيء تركه ومال عنه والإرهاق التضييق وتكليف الآخر المشقة وفي سورة الكهف الآية 73: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ وجدّ في الشيء أي أمعن فيه واجتهد والتقاضي اللجوء إلى القاضي والتحاكم ولجّ أي ألحّ وأمعن واقتيادي أي جرّي واستنزلت أي طلبت وتوسّلت والرفق اللين واللطف والرحمة والمياسرة المساهلة وينظرني أي يأخرني ويمهلني إلى ميسرة أي غنى ويسر وسعة والعبارة تلاحظ الآية 280 من سورة البقرة: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. والإنظار الإمهال والتأخير والمادة في الآية السابق ذكرها وفي قول إبليس في الآية 14 من سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

(2) احتجن الشيء أي خزنه واختصه لنفسه والنضار الذهب ومسالك الخلاص أي دروبه وطرقه والخلاص النجاة وتريني من أرى والسبائك واحدتها سبيكة وهي القطعة من الذهب الخالص ذوّبت وأفرغت في قالب والخِلاص الذهب الخالص والاحتداد أي الاشتداد وهو من احتدّ إذا غضب وثار واللدد الشدة في الخصومة وقد وردت المادة في موضعين في القرآن ولا مناص أي لا مفرّ ولا ملجأ ولا مهرب وشاغبته إذا أثار عليه الشرّ وواثبته أي ساورته ووثبت إليه ويرافعني أي يحاكمني ووالي الجرائم القاضي فيها والواحدة جريمة وهي الذنب والجناية وحاكم المظالم=

بوسَ، فاستَدْعَيْتُ دَواةً وبَيْضاءَ، وأنشأتُ رِسالةً رقْطاءَ، وهيَ[1]:

أخلاقُ سيّدِنا تُحَبُّ، وبعَقْوَتِهِ يُلَبُّ! وقُربُهُ تُحَفٌ، ونأيُهُ تلَفٌ! وخُلّتُهُ نسَبٌ، وقَطيعَتُهُ نصَبٌ! وغَرْبُهُ ذَلِقٌ، وشُهْبُهُ تأتَلِقُ! وظَلْفُهُ زانَ، وقَويمُ نهجِهِ بانَ! وذهنُهُ قلّبَ وجرّبَ، ونعْتُهُ شرّقَ وغرّبَ[2]:

سيّدٌ قُلَّبٌ سَبوقٌ مُبِرٌّ فَطِنٌ مُغرِبٌ عَزوفٌ عَيوفُ
مُخلِفٌ مُتلِفٌ أغَرُّ فَريدٌ نابِهٌ فاضِلٌ ذكيٌّ أَنوفُ
مُفْلِقٌ إنْ أبانَ طَبٌّ إذا نا بَ هِياجٌ وجلٌّ خطْبٌ مَخوفُ[3]

= هو القاضي وبلغني أي وصلني وانتهى إليّ والإفضال الإنعام والإكرام وتشدد تكلّف الشدّة والقسوة.

(1) حضرنا أي وصلنا وبلغنا وآنست أي أدركت وأحسست ورأيت بالبصر أو البصيرة ولا بأس أي لا ضرر ولا بوس أي ولا شدة واستدعيت أي طلبت والدواة وعاء المداد وهو الحبر والبيضاء أي الورقة يكتب فيها والرقطاء وهو اسم هذه المقامة من الرقطة وهي السواد تشوبه نقاط بيضاء والرسالة الرقطاء كتبها بأن أعجم حرفاً وأهمل الذي يليه أي أن أحد حروفها بنقطة ويليها حرف من دون نقطة.

(2) العقوة الساحة والفناء وما حول الدار وألبّ بالمكان إذا أقام به وقربه أي الدنو منه والتحف واحدتها تحفة وهي المعجب المستملح من الهدايا والأشياء والنأي البعاد والتلف الهلاك والفساد والخلّة الصداقة وخلته نسب أي أن صداقته وأن يكون المرء خليلاً له يقومان مقام النسب وصلة القربى والقطيعة الهجر والإعراض والنصب أي التعب والعناء والغرب حد السيف والذلق الحاد الباتر وشهبه والواحد شهاب وهو النجم وتأتلق أي تلتمع وتتلألأ وأراد بها مناقبه ومزاياه وظلفه من الظلف أي الترفع وكف النفس عن الدناءات وزان أي زيّن والنهج السبيل والقويم أي المستقيم وبان أي ظهر وبدا وذهنه أي عقله وذكاؤه وقلّب وجرّب أي اختبر الأمور وامتحنها ونعته أي صفته ووصفه وشرّق وغرّب أي ذاع ووصل إلى الشرق والغرب.

(3) القلب من المتصرّف الذي قلّب الأمور وعرفها والسبوق السبّاق إلى المكرمات والمبرّ الذي يغلب في الإكرام يقال أبر فلان أصحابه إذا غلبهم وفاقهم وعلاهم في الإكرام والفطن الذكي الحصيف والسريع الفهم والمغرب الذي يأتي بالغريب والمعجب والعزوف من عزف إذا أعرض ومال عن الدنايا والعيوف من عاف الشيء إذا كرهه وهو هنا يعاف الرذائل والمخلف من يخلف أي يردّ ما أتلف أي أنفق يقال في الدعاء أخلف الله عليك أي ردّ ما ذهب منك والأغرّ الكريم الأفعال والحسن والسيد والأبيض من كل شيء والمجيد من الأيام والفريد أي الواحد لا نظير له والنابه =

مَناظِمُ شرَفِهِ تأتَلِفُ، وشُؤبوبُ حِبائِهِ يكِفُ! ونائِلُ يدَيْهِ فاضَ، وشُحُّ قلبِهِ غاضَ! وخِلْفُ سَخائِهِ يُحتلَبُ، وذهَبُ عِيابِهِ يُحتَرَبُ! مَنْ لفّ لِفّهُ فلَجَ وغلَبَ، وتاجِرُ بابِهِ جلبَ وخلَبَ[1]! كفَّ عنْ هضْمِ بَريٍّ، وبَرئَ من دنَسِ غَويٍّ! وقرَنَ لِيانَهُ بعِزّ، ونكّبَ عنْ مذْهَبِ كَزّ! ليسَ بوَثّابٍ عندَ نُهْزَةِ شَرّ، بل يعِفّ عِفّةَ بَرّ[2]:

فلِذا يُحَبُّ ويُستَحَقُّ عَفافُهُ ... شَغَفاً بهِ فلُبابُهُ خَلاّبُ
أخلاقُهُ غُرٌّ ترِفُ وَفُوقُهُ ... فُوقٌ إذا ناضَلْتَهُ غَلاّبُ[3]

= الرفيع الذكر والمشهور والذكي المتوقّد الفطنة وقيل الزكي فيكون المعنى الطاهر والعفيف والمتزيّد في الخير والأنوف المترفّع والكثير الحمية والغضب مما يستراب منه والمفلق من صفات الشاعر والخطيب الفصيح وهو الذي يأتي بالفلق وهو الداهية والأمر المعجب وأبان أي أفصح وبيّن والطبّ الحاذق والحسن التدبير وناب أي حدث ووقع والهياج الشر والقتال وجلّ أي عظُم وكبُر والخطب الأمر العظيم والمخوف المهول والمرعب.

(1) المناظم واحدها منظم وهو مكان النظم ولكن المراد قد يكون خبط النظم الذي تنتظم فيها صفاته الشريفة وتأتلف أي تتفق والشؤبوب الدفعة من المطر والحباء أي العطاء ويكف من وكف إذا سال قليلاً قليلاً والنائل العطاء وفاض إذا سال وخرج على الأرض والشحّ البخل وغاض أي غار وجفّ وامتنع والخلف حلمة الضرع الذي يحلب منه الحليب وهو الضرع أيضاً والسخاء الجود والكرم والعياب والواحدة عيبة وهي وعاء الشيء ومخزنه ويحترب أي يستلب ولفّ لفّه أي التف به ودخل في جماعته وفلج انتصر وفاز وظفر وتاجر بابه أي الذي يقصد بابه وجلب الشيء إذا أتى به وخلب إذا خدع الآخر بمنطقه وإذا أمال قلبه بألطف القول وإذا شق الشيء واقتطع منه قطعة فعل السبع بمخلبه وأرى أن المراد أن من يأتي بابه فإنه يعود بالعطايا وقد اقتطعها أو خلبها بمخلبه فالكريم كما جاء في أقوال العرب يُخدع.

(2) كفّ عن الشيء إذا توقف وامتنع والهضم الظلم والبريء من لم يقترف ذنباً وبرئ أي تنزّه والدنس الوسخ والغوي الضال وفي سورة القصص الآية 18: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ وقرن الشيء بالشيء جمعه معه والليان اللين ونكّب أي مال وعدل والمذهب الطريق والكزّ الشحيح البخيل والوثّاب الذي يثب والنهزة الفرصة ويعفّ أي يكفّ نفسه ويتعفف والبرّ التقي الورع المطيع لله يريد أنه يعف ويمتنع عن المحارم ولا يبادر إلى الشر.

(3) شعفاً به وشغفاً به أي حباً به وفي سورة يوسف الآية 30: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ولبابه أي خالصه وخلاّب أي يخلب النفس أي يغلب عليها يقول إن حبه قد ملأ القلوب لأن عفافه محض يفتن الألباب وترفّ أي تتلألأ وتلتمع والرفيف الالتماع والاهتزاز ومما ينسب إلى مجنون ليلى قوله: «بعيشك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبلت فاها \ وهل رفت عليك فروع ليلى رفيف =

سُجُحٌ يهِشّ وذو تَلافٍ إنْ هَفا خِلٌّ فليسَ بحقّهِ يُرْتابُ
لا باخِلٌ بلْ باذِلٌ خِرْقٌ إذا يُعْتَرُّ بَرْزٌ لا يَليهِ بابُ
إنْ عضّ أزْلٌ فلّ غرْبَ عِضاضِهِ بمَنابِهِ فانْحَتّ منْهُ نابُ(1)

وجَديرٌ بمَنْ لَبّ وفطَنَ، وقَرُبَ وشطَنَ؛ أنْ أذْعَنَ لقَريعِ زمَنٍ، وجابِرِ زمَنٍ. مُذْ رضِعَ ثدْيَ لِبانِهِ، خُصّ بإفاضَةِ تهْتانِهِ! نعشَ وفرّجَ، وضافرَ فأبْهَجَ، ونافرَ فأزْعَجَ، وفاءَ بحَقٍّ أبْلَجَ! أتْعَبَ مَنْ سيَلي، وقُرّظَ إذْ هُزّ وبُلِيَ! وتوّجَ صِفاتِهِ، بحُبّ عُفاتِهِ(2):

= الأقحوانة في نداها» والفوق والجمع الأفوق وهو مشق رأس السهم حيث يقع الوتر وفوق فوقاً إذا فاق يفاق طرف السهم الذي يلي الوتر وناضلته راميته وغلاّب أي يغلب يقول إن أخلاقه بيضاء كريمة تتلألأ وسهامه تخرج فيغلب إن راميته.

(1) السجح الليونة والسهولة جاء في الصحاح: «السجيحة: الطبيعة. ووجه أسجح بين السجح، أي حسن معتدل» وفي المحكم« السجح لين الخد وخد أسجح سهل طويل قليل اللحم واسع وقد سجح سجحا وسجاحة وخلق سجيح لين سهل ومشي سجيح وسجح لين سهل وكذلك المشية بغير هاء» ويهشّ أي يهتزّ طرباً والهشاشة طلاقة الوجه والتلافي التدارك وهفا زلّ وسقط والهفوة الزلّة والخلّ الصاحب ويرتاب أي يشكّ والباذل المعطي والباخل المانع الشحيح والخرق الكريم السخي والخرق الذب يتخرّق أي يتوسّع في العطاء ويعترّ أي يفشي ويقصد طلباً لمعروفه والبرز غير المحتجب يعني أنه لا يحتجب دون قصّاده والأزل الضيق وشدّة الزمان وفلّ أي ثلم وكسر وأوهى والغرب الحد والشفرة والعضاض من عض والضمير عائد للأزل أي الجدب والضيق إذا عضّ ومنابه أي نيابته وقيامه وكفايته وانحتّ من حتّ الشيء إذا فركه وقشره يقول إذا عض البؤس ثلم شفرة عضّه بقيامه في ذلك المقام وفتت ناب البؤس.

(2) وجدير أي وحري وحقيق ولبّ أي كان لبيباً عاقلاً وفطن أي كان حاد الذهن سريع الفهم وقرب أي دنا وشطن أي بَعُدَ وأذعن خضع وانقاد والقريع السيد وفحل الإبل والندّ والنظير والمقارع وقريع دهره المختار من أهل عصره وهو المراد هنا والجابر من جبر الكسر إذا لحمه والزمن المرض وتعطّل القوى وذهابها يقول وحري بكل واحد أن يخضع لهذا السيد المختار الذي يجبر الكسر واللبان لبن الأم أي حليبها وخصّ أي أفرد بالشيء من دون سواه والإفاضة القصد إلى ما يفيض أي يزيد عن الغاية والتهتان سيلان المطر نعش أي رفع وأقام وفرّج أي أزال الهم وضافر أي عاون وظاهر وأبهج أي أفرح ونافر منافرة حاكم وخاصم وفاخر في النسب والأخير المراد فالمنافرة كانت شأن العرب حين يتنافرون إلى حكمائهم فيفضل هؤلاء الأشرف على غيره والنفر رهط الرجل وعشيرته وأسرته ينفرون وينهضون معه للقتال وفي سورة الكف الآية 34: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ وفاء أي وعاد والأبلج المشرق المضيء والواضح ويلي أي يعقب ويأتي =

فـــلا خَـــلا ذا بـــهْـــجَـــةٍ يــمــتَــدُّ ظِــلُّ خِــضْــبِــهِ
فـــإنـــهُ بَـــرٌّ بـــمَـــنْ آنـــسَ ضـــوْءَ شُـــهْـــبِـــهِ
زانَ مَـــزايـــا ظَـــرْفِـــهِ بـــلُـــبْـــسِ خـــوفِ ربّـــهِ[1]

فلْيَهْنِ سيّدَنا فوزُهُ بمَفاخِرَ تأثّلَتْ وجَلّتْ، وفوْتُهُ بصنائِعَ تمّتْ ونمّتْ! ويُلائِمُ قُرْبَ حضرَتِهِ، غوْثُ رِقّهِ بحظٍّ منْ حُظوَتِهِ[2]! فإنهُ تَليدُ ندْبٍ، وشَريدُ جذْبٍ! وجَريحُ نوَبٍ أثّرتْ، وناظِمُ قلائدَ تسيّرَتْ! إذا جاشَ لخُطبَةٍ فلا يوجَدُ قائلٌ، ثُمّ قُسٌّ ثمّ باقلٌ[3]!

= بعد وقرّظ أي مُدح وهزّ أي حُرّك وبلي أي امتحن وتوّج أي وضع تاجاً وصفاته وهي هنا بمعنى زيّن وشرّف واحدتها صفة وعفاته قصّاده وسائلوه.

(1) لا خلا دعاء له بالبقاء والبرّ الذي يكرم الآخرين والخصب الرخاء والسعة وآنس أي أبصر وضوء شهبه والشهب النجوم فتكون بمعنى صفاته وقد يكون المراد نيرانه فلقد كان العرب يضرمون النار كي يراها المحتاج وطالب القرى وتكون النيران كناية عن الكرم وإغاثة الملهوف وزان أي زيّن والمزايا الفضائل والمناقب والظرف حسن الهيئة والشمائل واللبس الخلط يقول ولقد زيّن ظرفه بخوف ربّه فهو يتظرّف ويمزح ولكن دون خروج عن شروط التقوى.

(2) فليهن دعاء له بالهناء وفوزه أي ظفره والمفاخر واحدتها مفخرة وهي ما يفتخر به من المكرمات وتأثّلت من الأثلة أي وهي الأصل الراسخ أي هنيئاً له مفاخره الراسخة الأصل وجلّت أي عظُمت وفوته أي سبقه والصنائع واحدتها صنيعة وهي المعروف والفعل الجميل وتمّت أي اكتملت ونمّت من النميمة أي أذاعت ونشرت خبر كرمه وجوده ويلائم أي يوافق والغوث الإغاثة ورقّه أي عيده والحظ النصيب والحظوة المكانة والسعد والدنو من قلب الصاحب والحظوة بالرزق أن ينال حظّاً منه يقول والذي يوافق مقامه العالي والدنو منه هو أن يعين عبده، ويعني بذلك نفسه، بشيء من مكانته ومقامه.

(3) التليد من العبيد من ولد عند غيرك ثم اشتريته فكبر عندك والتليد القديم من المال ولكن الأول أولى والندب الخفيف في قضاء الحاجات والنجيب وشريد جدب أي شرّده القحط والنوب نوازل الدهر وأثّرت أي أبقت وتركت أثراً والقلائد والواحدة قلادة وهي ماتتقلّده المرأة وكنّى بذلك عن القصائد التي تساوي القلائد نفاسة وتسيّرت أي ذاعت ومشت في الناس والبلاد وجاش أي هاج والوادي زخر وامتدّ والقدر همّت بالغليان والمراد إذا تهيّأ للخطابة وقس هو قس بن ساعدة الإيادي أسقف نجران الخطيب المشهور والمضروب مثلاً للفصاحة وقد ذكره النبي وترحّم عليه وأما باقل فمضرب مثل للعي والحصر ومؤدى العبارة أنه أي السروجي فصيح وبليغ حتى إن قساً يصبح كمثل باقل في حضرته.

فإنْ حبّرَ قلتَ حِبَرٌ نُمنِمَتْ، وخِلْتَ رِياضاً قد نمتْ! هذا ثمّ شِرْبُهُ برْضٌ، وقوتُهُ قرْضٌ، وفلَقُهُ غسَقٌ، وجِلْبابُهُ خلَقٌ. وقدْ قلِقَ لتوَغُّرِ غَريمٍ غاشِمٍ، يستَحثّهُ بحقٍّ لازِمٍ[1]. فإنْ منّ سيدُنا بكفّهِ، بهِباتِ كفّهِ؛ توشّحَ بمجْدٍ فاقَ، وباءَ بأجْرِ فكّي منْ وَثاقٍ. لا خلَتْ سَجايا خُلْقِهِ، ترفِدُ شائِمَ برْقِهِ، بمَنّ ربٌّ أزَليٌّ، حيٌّ أبَديٌّ[2]!

قال:

فلمّا استشَفّ الأميرُ لآليها، ولمحَ السّرَّ المودَعَ فيها، أوعَزَ في الحالِ بقضاءِ دَيْني، وفصَلَ بينَ خصْمي وبيْني. ثمّ استَخْلَصَني لمُكاثرَتِهِ، واخْتَصّني بأثَرَتِهِ[3]. فلبِثْتُ بضْعَ سِنينَ أنعَمُ في ضيافَتِهِ، وأرتَعُ في ريفِ رافَتِهِ، حتى إذا غمَرَتْني مواهِبُهُ،

---

(1) حبّر وشّى وزين والمراد هنا خطّ وكتب وأنشأ والحبر واحدتها حبرة وهي ثياب نفيسة موشاة تقدّم ذكرها ونمنمت أي زيّنت ونقشت وخلت أي تهيّأ لك والرياض واحدتها الروضة ونمت من النمو أي الزيادة والكثرة والشرب الحظ من الماء الذي يشربه والبرض القليل والقوت ما يأكله الإنسان ويعيش به والقرض الدين والسلف كناية عن الإملاق وعدم القدرة على الشراء نقداً والفلق ضوء الصبح والغسق الظلمة والخلق البالي وقلق أي انزعج واضطرب والتوغّر شدة الغيظ والغريم أي الخصم وهو هنا صاحب الدين والغاشم الظالم ويستحثّه من حثّه أي يستعجله والحق اللازم أي الحق الواجب.

(2) منّ أي تكرّم وكفّه الأولى من كفّ أي منع وصدّ وهبات واحدتها هبة وهي العطية وكفّه الثانية أي يده وتوشّح إذا لبس وشاحاً وهي هنا بمعنى تزيّن والمجد الفائق أي المجد الرفيع حتى يفضل على كل مجد سواه وباء أي عاد ورجع والوثاق القيد والغلّ يقول فإذا تفضلّ سيدنا فصدّه عني بكرم كفه وجوده يكون قد تزين بمجد لا مجد يضاهيه وعاد بأجر أنه فكّ أسيراً من قيده. لا خلت دعاء له بمعنى لا زالت ولا برحت والسجايا واحدتها سجية وهي الطبيعة الكريمة وترفد أي تمدّ وتعين وشائم برقه أي من ينظر إلى برقه يستعلم خبر المطر والمراد راجي نواله وعطائه والمنّ الكرم والأزلي القديم بلا ابتداء والأبدي الباقي بلا انتهاء.

(3) استشفّ الشيء تبيّنه واستقصاه واللآلي واحدتها لؤلؤة وهي الدرّ ولمح أي أبصر والمودع أي المضمّن والمجعول والموضوع أما السرّ فهو تنقيط حرف وإهمال حرف وأوعز أي تقدم وأمر واستخلصني أي جعلني خالصاً ومكاثرته أي لزيادة عدده واختصّني أي أفردني وأثرته تفضيله وتقديمه لي يقول فلما وقف على سرّ رسالتي أمر بقضاء ديني وبالفصل بين صاحب الدين وديني وأخذني ليزداد بي عدداً وآثرني على سواه وقدّمني عليهم.

وأطالَ ذيْلي ذهَبُهُ؛ تلطّفْتُ في الارتِحالِ، على ما ترى منْ حُسْنِ الحالِ. قال[1]: فقلْتُ لهُ شُكراً لمَنْ أتاحَ لكَ لُقْيانَ السّمْحِ الكَريمِ، وأنقذَكَ بهِ منْ ضغْطَةِ الغَريمِ! فقال: الحمدُ للهِ على سعادَةِ الجَدّ، والخُلوصِ منَ الخصْمِ الألَدّ! ثمّ قال[2]: أيُّما أحَبُّ إليْكَ أنْ أحذيَكَ منَ العَطاء، أمْ أتحِفَكَ بالرّسالَةِ الرّقْطاء[3]؟ فقلتُ: إمْلاءُ الرّسالَةِ أحَبُّ إليّ! فقال: وهوَ وحقّكَ أخفُّ عليّ! فإنّ نِحْلَةَ ما يلِجُ في الآذانِ، أهْوَنُ منْ نِحلَةِ ما يخرُجُ منَ الأرْدانِ! ثمّ كأنّهُ أنِفَ واستَحْيا، فجمَعَ لي بينَ الرّسالَةِ والحُذْيا. ففُزْتُ منهُ بسَهْمَينِ، وفصلْتُ عنهُ بغُنْمَينِ، وأُبْتُ إلى وطَني قَريرَ العينِ، بِما حُزْتُ منَ الرّسالةِ والعَينِ.

(1) لبث أي أقام وبقي وبضع سنين أي ما بين ثلاث إلى تسع وهو البضع وقيل غير ذلك وفي سورة الروم الآية 4: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ وقد روى الشريشي عن أبي بكر عن الرسول أن البضع ما بين السبع والتسع وفي سورة يوسف الآية 42: ﴿فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ وأنعم أي أتنعّم وأهنأ وأرتع أي آكل وأشرب ولا أحتاج شيئاً والريف من الأمكنة المخصب والرأفة الرفق والرحمة وغمرتني أي غطّتني ومواهبه أي عطاياه والواحدة موهبة وأطال ذيلي كناية عن اليسر وكثرة المال وتلطّفت في الارتحال أي انصرفت وغادرت بلطف.

(2) أتاح أي يسّر وقدّر ولقيان أي لقاء والسمح الجواد والضغطة التضييق وهي الشدة بالضم والعصرة بالفتح ومنها ضغطة القبر والجد الحظ والسعد والخلوص أي الانعتاق والخلاص والألد الممعن في اللدد أي العداوة.

(3) أحذيك أي أعطيك وأتحفك أي أعطاه تحفة وعنى بذلك الرسالة الرقطاء والنحلة الإعطاء يقال نحلت المرأة أي أعطيتها مهرها نحلة ويلج أي يدخل والآذان واحدة الأذن وأهون أي أيسر وأسهل والأردان والواحد ردن وهو الكم وفيه كانت توضع الأموال يقول ان ما تطلب اخفّ علي فالتفضّل بالكلام أيسر وأهون من التفضّل بالمال الذي يؤخذ من الكم وأنف أي استنكف وكبر عليه الأمر والحذيا العطية والسهم النصيب وفصل عنه أي انفصل وغادره خلفه والغنمين واحدهما غنم وهو الغنيمة وأبت من آب إذا قفل وعاد ورجع وقرير العين أي مسروراً فالعين تقرّ أي تهدأ في حالة الفرح والسرور وحزت أي نلت وحصّلت والعين الذهب والفضّة.

المقامة الوَبَريّة[١]

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

مِلتُ في رَيِّقِ زَماني الذي غبَرَ، إلى مُجاوَرَةِ أهْلِ الوبَرِ؛ لآخُذَ إخْذَ نُفوسِهِمِ الأبيّةِ، وألسِنَتِهِمِ العربيّةِ. فشمّرْتُ تشْميرَ منْ لا يألو جُهْداً، وجعلْتُ أضرِبُ في الأرضِ غَوْراً ونَجْداً؛ إلى أنِ اقتَنَيْتُ هَجْمَةً منَ الرّاغِيَةِ، وثَلّةً منَ الثّاغِيَةِ[2]. ثم أوَيتُ إلى عرَبٍ أرْدافِ أقْيالٍ، وأبناءِ أقوالٍ، فأوْطَنوني أمنَعَ جَنابٍ، وفلّوا عنّي حدّ كُلّ نابٍ. فما تأوّبَني عندَهُم همٌّ، ولا قرَعَ صَفاتيَ سهْمٌ[3]. إلى أنْ أضْلَلْتُ في ليلَةٍ

(1) تدعى هذه المقامة بالبدوية أيضاً هذا ولقد أثبت الحريري في آخرها نصاً أسماه (تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية) وعلى جري عادتنا فسنثبت تفسير الحريري لنصّه بين هلالين تسهيلاً وتيسيراً على القارئ وله.

(2) الريّق أول كل شيء (قوله: «ريّق زماني» ورائقه يعني أوله وقد يخفف فيقال ريق) وغبر أي مضى وتقدّم وأهل الوبر هم أهل البادية ويقابل ذلك أهل المدر والحضر (وقوله: «آخذ أخذ نفوسهم الأبيّة» يعني أقتدي بهم يقال: منه أخذ أخذه وإخذه بكسر الهمزة وفتحها) وشمّر في الأمر إذا خفت وشمّر له أراده وتهيّأ له ويألو ألواً وأليّاً في الأمر أي قصّر فيه وأبطأ والرجل لا يألو خيراً أي لا يزال يفعله ولا يقصّر والجهد الطاقة والاستطاعة وأضرب في الأرض أي أسير فيها وقد وردت المادة مراراً في القرآن والغور المنخفض من الأرض والنجد النقيض من ذلك فهو المرتفع منها واقتنيت أي اتخذت وقنيت و«الهجمة» نحو المائة من الإبل و«الثلة» القطيع من الغنم و«الراغية» الإبل و«الثاغية» الشاء. ومنه قولهم: ماله راغية ولا ثاغية أي لا ناقة له ولا شاة».

(3) أوى أوياً وإواء البيتَ وإليه نزل فيه وسكنه والتجأ إليه واعتصم والردف الراكب خلف الراكب وكان في الجاهلية جليس الملك يشرب بعده ويقوم مقامه في الحكم والقيل الرئيس والواحد من ملوك حمير (وقوله: «أرداف أقيال» أي يخلفون الملوك إذا غابوا وقوله: «أبناء أقوال» أي فصحاء. يقال للمنطيق إنه ابن أقوال) وأوطنوني أي أنزلوني وأحلّوني وأمنع جناب أي أحصن =

مُنيرةِ البذرِ، لَقْحةً غَزيرَةَ الدَّرِّ، فلمْ أطِبْ نفْساً بإلْغاء طلَبِها، وإلْقاءِ حبْلِها على غارِبِها؛ فتدثَّرْتُ فرَساً مِحْضاراً، واعتقلْتُ لَدْناً خطّاراً. وسرَيْتُ ليْلَتي جمْعاءَ، أجوبُ البَيداءَ، وأقْتَري كلَّ شجْراء ومَرْداء، إلى أن نشرَ الصّبْحُ راياتِهِ، وحَيْعَلَ الدّاعي إلى صَلاتِهِ[1]. فنزَلْتُ عنْ متْنِ الرَّكوبَةِ، لأداء المكْتوبَةِ. ثمّ حُلْتُ في صهْوَتِها، وفرَرْتُ عنْ شحْوَتِها، وسِرْتُ لا أرى أثَراً إلا قفَوْتُهُ، ولا نشَزاً إلا علَوْتُهُ، ولا وادِياً إلا جزَعْتُهُ، ولا راكِباً إلا استَطْلَعْتُهُ. وجِدّي مع ذلِكَ يذهَبُ هدَراً، ولا يجِدُ وِرْدُهُ صدَراً[2]. إلى أن حانَتْ صَكّةُ عُمَيٍّ، ولفْحُ هَجيرٍ يُذْهِلُ غَيْلانَ عنْ مَيِّ!

= ناحية وفلّ أي كسر وتأوّب هنا بمعنى أصابني أو عراني ولكن اللفظ يعني الرجوع أو الرجوع أول الليل وتأوّبه الشيء إذا عاد إليه وتأوّبه المرض عاوده وقوله ولا قرع صفاتي سهم أي لم ينلني ضرّ والصفاة الصخرة الملساء العظيمة.

(1) أضلّ الشيء ضيّعه فلم يدر أين ذهب واللقحة الناقة الحلوب والغزيرة الدر الكثيرة الحليب وطابت النفس بالشيء إذا سمحت به واستساغته ورضيت به وطلب الشيء البحث عنه والغارب الكاهل أو ما بين الظهر والعنق وإلقاء حبلها على غاربها يعني تركها تذهب حيث شاءت وتدثّر الشيء علاه أو ركبه والمحضار الشديد العدو (وقوله: «فتدثرت فرساً محضاراً» التدثر الوثوب على ظهر الفرس. والمحضار والحضير مأخوذ من الحضر وهو العدو) واعتقل الرمح إذا وضعه بين ساقه وركابه واللدن الرمح اللين والخطّار الطويل الكثير الاهتزاز لطوله ولدونته وجمعاء أي كلها أو بطولها والبيداء الصحراء (وقوله: «أقتري كل شجراء ومرداء» الاقتراء تتبع الأرض والشجراء ذات الشجر. والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمر لخلو وجهه من الشعر) والرايات واحدتها الراية وهي العلم أو العلامة ترفع ليراها الناس ورايات الصبح علاماته والمراد هنا انبلاج الصبح وحيعل أي هتف أن حي على الصلاة وحي على الفلاح وقوله: «حيعل الداعي إلى صلاته» يعني به قول المؤذن حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعفلة فالهيللة حكاية قول لا إله إلا الله. والحمدلة حكاية قول الحمد لله. والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة إلا بالله. والبسملة حكاية قول بسم الله. والحسبلة حكاية قول حسبنا الله. والسبحلة حكاية قول سبحان الله. والجعفلة حكاية قول جعلت فداك.

(2) الركوبة الدابة المركوبة والمكتوبة الصلاة وهي هنا صلاة الصبح (وقوله» فنزلت عن متن الركوبة» يعني الركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ سورة يس الآية 72) وحلت من حال في ظهر الدابة أو على ظهرها إذا وثب وركب (و«الصهوة» مقعد الفارس) =

وكان يوْماً أطْوَلَ من ظِلِّ القَناةِ، وأحَرَّ منْ دمْعِ المِقْلاتِ! فأيقَنْتُ أني إنْ لمْ أستَكِنّ منَ الوَقْدَةِ، وأستَجِمّ بالرّقْدَةِ(1)؛ أدْنَفَني اللُّغوبُ، وعلِقَتْ بي شَعوبُ؛ فعُجْتُ إلى سرْحَةٍ كَثيفَةِ الأغصانِ، وريقَةِ الأفْنانِ، لأغَوّرَ تحْتَها إلى المُغَيرِبانِ. فوَاللهِ ما اسْتَرْوَحَ نفَسي، ولا اسْتَراحَ فرَسي؛ حتى نظَرْتُ إلى سانِحٍ، في هيئَةِ سائِحٍ، وهوَ ينتَجِعُ نُجْعَتي، ويشتَدّ إلى بُقعَتي. فكرِهْتُ انْعِياجَهُ إلى مَعاجي، فاستعَذْتُ باللهِ منْ شرّ كُلّ

= وفررت أي بحثت وكشفت (و«الشحوة» الخطوة) وقفوته أي اتبعته والنشز المرتفع من الأرض (و«الجزع» قطع الوادي عرضاً) واستطلعته أي سألته واستخبرته وجدّي أي اجتهادي وهدراً أي سدى دون جدوى والورد إتيان الماء والصدور الانصراف عنه يقول إنه لم يعد بنفع من بحثه.

(1) وحان الأمر إذا دنا أو آن وقته (وقوله: «صكة عميّ» يعني به قائم الظهيرة. وقد اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلاً مغواراً فغزا أقواماً عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلاً لكل من جاء ذلك الوقت. وقيل المراد به الظبي لأنه يسدر في الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية واصطكاك الظبي بما يستقبله كاصطكاك الأعمى ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل: عميّ كما صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير) واللفح الحرّ ولفحته النار إذا أحرقته أو أصابت وجهه والهجير والهاجرة والهجيرة شدّة الحر ويذهل أي ينسي وغيلان هو الشاعر المعروف بذي الرمة توفي سنة 735م وقد عشق مي برواية الأغاني أو مية، بنت طَلَبَة بن قيس بن عاصم المنقري وكانت من أجمل نساء زمانها وقد ذكرها غيلان في شعره واشتهر بها واشتهرت به وصار الإثنان مضرب المثل لانشغال الواحد بالآخر (وقوله: «وكان يوماً أطول من ظل القناة» يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بإبهام القطاة. والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل: ويوم كظل الرمح قصّر طوله/ دم الزق عنا واصطفاف المزاهر (وقوله: «أحر من دمع المقلات» المقلات هي المرأة التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبداً حارٌ لحزنها لأنه يقال إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له أقرّ الله عينه مأخوذ من القرّ وهو البرد. وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل إن إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح إلى ما هو لغيره. وكانت الجاهلية تزعم أن المقلات إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها وإلى هذا أشار بشر بن أبي حازم في قوله: تظل مقاليت النساء يطأنه/ يقلن ألا يلقى على المرء مئزر) أيقنت أي تحققت وتأكدت واستكنّ أي استظلّ بظل وهو الكن والوقدة شدة الحر واستجم أي ارتاح والرقدة النومة وأدنفني أي أمرضني واللغوب الإعياء والتعب (وقوله: «علقت بي شعوب» يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة).

مُفاجي، ثمّ ترجّيْتُ أن يتصدّى مُنشِداً، أو يتبدّى مُرشِداً[1]. فلمّا اقترَبَ منْ سرْحَتي، وكادَ يحِلّ بساحَتي؛ ألْفَيْتُهُ شيخَنا السَّروجيَّ مُتّشِحاً بجِرابه، ومُضْطَغِناً أُهْبَةَ تَجْوابِهِ! فآنَسَني إذْ وردَ، وأنْساني ما شرَدَ. ثمّ استَوْضَحْتُهُ منْ أينَ أثَرُهُ، وكيفَ عُجَرُهُ وبُجَرُهُ؟ فأنشَدَ بَديهاً، ولمْ يَقُلْ إيهاً[2]:

قُلْ لمُستَطلِعِ دَخيلَةَ أمري ... لكَ عِندي كَرامَةٌ وعَزازَهْ
أنا ما بينَ جَوْبِ أرضٍ فأرْضٍ ... وسُرًى في مَفازَةٍ فمَفازَهْ
زادِيَ الصّيدُ والمَطيّةُ نَعْلي ... وجَهازي الجِرابُ والعُكّازَهْ

---

(1) عجت أي ملت والسرحة واحدة السرح وهو الشجر العظيم وفي المحكم «السرحة دوحة محلال واسعة يحل تحتها الناس في الصيف وظلها صالح» والوريقة ذات الأوراق الكثيرة والأفنان الأغصان وغوّر أي أقيل (وقوله: «لاغوّر تحتها إلى المغيربان» التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة. والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ) وإستروح الشيء تشمّمه ووجد ريحه والنفس الريح يدخل ويخرج من فم الحي ذي الرئة ومن أنفه يقول إنه ما كاد أن يتنفّس ويستريح فرسه والسانح من سنح إذا عرض والسائح الذاهب في الأرض وينتجع نجعتي أي يقصد ناحيتي ويشتد أي يسرع وبقعتي أي مكاني والبقعة من الأرض القطعة يختلف لونها عما حولها وانعياجه أي انعطافه وميله ومعاجي المكان الذي عجت أي ملت إليه والمفاجي أي المباغت وترجيت أي تمنيت ويتصدّى أي يتعرّض ويتبدّى أي يظهر.

(2) ألفيته أي وجدته ومتشحاً بالشيء أي يحمله كالوشاح والجراب وعاء من جلد يحفظ فيه الزاد ونحوه (وقوله: «مضطغناً أهبة تجوابه» الاضطغان أن يحمل الشيء تحت حضنه والاضطبان أن يحمل تحت ضبنه والضبن ما بين الإبط والكشح وكلاهما متقارب ويقال أول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحضن وهو عند الجنب. والتجواب مصدر جاب. وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تِبيان وتِلقاء لا غير وزاد بعضهم تيصال). وآنسني أي أزال وحشتي وشرد أي فرّ والمراد الناقة واستوضحته أي سألته ومن أين أثره أي من أين أتى (وقوله: «عجري وبجري» يريد به جميع أمري الظاهر والباطن. وأصل العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة في البطن) وبديهاً أي مرتجلاً من دون تفكّر أو تروّ وإيهاً كلمة بمعنى كفى ويراد بها الإمساك وقد تأتي بمعنى الرضا (وقوله: «ولم يقل إيهاً» أي لا يأمرني بالكف. يقال للمستزاد إيه وللمستكف إيهاً).

فـإذا مـا هـبَـطْـتُ مِـصْـراً فـبَـيْـتـي غُـرفَـةُ الـخـانِ والـنّـديـمُ جُـزازَهْ[1]
لـيـسَ لـي مـا أُسـاءُ إنْ فـاتَ أوْ أحـ ـزَنُ إنْ حـاولَ الـزّمـانُ ابـتِـزازَهْ
غـيـرَ أنـي أبـيـتُ خِـلْـواً مـنَ الـهـ ـمّ ونَـفْـسـي عـنِ الأسـى مُـنْـحـازَهْ
أرْقُـدُ الـلـيـلَ مِـلْءَ جَـفْـنـي وقَـلْـبـي بـارِدٌ مـنْ حَـرارةٍ وحَـزازَهْ
لا أُبـالـي مـنْ أيّ كـأسٍ تـفـوّقْـ ـتُ ولا مـا حَـلاوَةُ مـنْ مَـزازَهْ
لا ولا أسـتَـجـيـزُ أن أجـعَـلَ الـذ لَّ مَـجـازاً إلـى تـسَـنّـي إجـازَهْ
وإذا مـطْـلَـبٌ كـسـا حُـلّـةَ الـعـا رِ فـبُـعْـداً لـمَـنْ يَـرومُ نَـجـازَهْ[2]
ومـتـى اهـتـزّ لـلـدّنـاءةِ نِـكْـسٌ عـافَ طـبْـعـي طِـبـاعَـهُ واهـتِـزازَهْ
فـالـمَـنـايـا ولا الـدّنـايـا وخـيْـرٌ من رُكوبِ الخَنا رُكوبُ الجِنازَهْ[3]

ثم رفعَ إليّ طَرْفَهُ، وقال: لأمْرٍ ما جدَعَ قَصيرٌ أنفَهُ[4]! فأخبَرْتُهُ خبرَ ناقَتي

---

(1) المستطلع من يريد الاطّلاع على جلية الأمر والدخيلة السر والمكتوم وباطن الأمر والعزازة من عزّ إذا صار عزيزاً وجوب الأرض قطعها والسرى سير الليل والمفازة المهلكة من الأرض وسميت مفازة من الفوز على طريقتهم بتسمية الشيء بضدّه تيمناً وتفاؤلاً والعكازة أي العصا يتوكّأ عليها وفي طرفها زجّ والمصر المدينة والخان مأوى المسافرين والجزازة الورقة يدوّن فيها المرء ما يرد على سمعه من فوائد أدبية ولعلها الورقة يخط فيها رقى وطلاسم يستجدي الناس ويمخرق عليهم بها.

(2) فات أي مرّ وانقضى وابتزازه أي استلابه يريد ما عندي ما يؤذيني فقده ولا ما احزن عليه إن سلبنيه الدهر والخلو من الشيء أي الخلي منه والأسى الحزن ومنحازة من إنحاز إذا مال وابتعد وانعزل والحزازة وجع في القلب وهي أيضاً الم الحقد يشحزّ في القلب يقول وأنا أنام من غير هم وقلبي بارد لا يسخنه هوى ولا توجعه احقاد وتفوّقت أي شربت شيئاً فشيئاً والمزازة طعم مز وهو بين الحلاوة والحموضة واستجيز أي أرى جائزاً والمجاز المعبر والطريق وتسنّي أي تسهل وتيسّر والإجازة العطية والمطلب المراد وبعدا دعاء على الشيء بالبعد والهلاط ويروم يبتغي ويريد وانجازه تحقيقه يقول وإذا كان المطلب مما يشين فالموت لمن يريد تحقيقه.

(3) اهتزّ للشيء إذا تحرك ومال إليه والدناءة الوضاعة والنكس الدنيء الخسيس وعاف أي كره ومقت والمنايا ولا الدنايا أي الموت ولا الوضاعة وهو مثل يضرب في تفضيل الموت شريفاً على الدناءة ولو أتت بكثير والخنا الفساد والفحش والجنازة النعش يحمل فيه الميت وقيل هي الميت نفسه.

(4) طرفه أي نظره (وقوله: «لأمرٍ ما جدع قصير أنفه» قصير هذا هو مولى جذيمة الأبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة هو الذي =

السّارِحةِ؛ وما عانَيْتُهُ في يومي والبارِحَةِ. فقال: دعِ الالْتِفاتَ، إلى ما فاتَ، والطِّماحَ، إلى ما طاحَ! ولا تأسَ على ما ذهبَ، ولوْ أنهُ وادٍ منْ ذهبٍ! ولا تستَمِلْ مَنْ مالَ عنْ ريحِكَ، وأضْرِمْ نارَ تَباريحِكَ، ولوْ كان ابنَ بوحِكَ، أوْ شَقيقَ روحِكَ[1]! ثمّ قال: هلْ لكَ في أن تَقيلَ، وتتحامَى القالَ والقيلَ؟ فإنّ الأبْدانَ أنْضاءُ تعَبٍ، والهاجِرَةَ ذاتُ لهَبٍ! ولنْ يصْقُلَ الخاطِرَ، ويُنشّطَ الفاتِرَ، كقائِلَةِ الهَواجِرِ؛ وخُصوصاً في شهْرَيْ ناجِرٍ! فقلتُ: ذاكَ إليْكَ، وما أُريدُ أنْ أشُقّ علَيْكَ! فافترَشَ التُّرْبَ واضْطجَعَ، وأظْهَرَ أنْ قدْ هجَع. وارتَفَقْتُ على أن أحرُسَ، ولا أنْعَسَ، فأخَذَتْني السِّنَةُ، إذْ زُمّتِ الألسِنَةُ. فلمْ أُفِقْ إلا والليلُ قد تولّجَ، والنّجْمُ قد تبلّجَ؛ ولا السّروجيّ ولا المُسرَجَ! فبِتُّ بلَيلَةٍ نابِغيّةٍ[2]، وأحْزانٍ يَعقوبيّةٍ! أُساوِرُ الوُجومَ،

= جدع أنفه اتهاماً له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشارعليه بقصدها. فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مراراً إلى العراق فكان يأتيها بالطرف منه إلى أن استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل إلى قتلها والأخذ بثأر مولاه منها وقصته مشهورة).

(1) السارحة الذاهبة في بكور النهار وعانيته أي قاسيته والبارحة الليلة الماضبة والطماح رفع البصر وطاح إذا ذهب وهلك ولا تأس نهي عن الأسى وهو الحزن والغم وتستمل أي تطلب ميل ومال أي التوى وأعرض وانعطف وريحك أي جهتك وجانبك وأضرم أي أشعل والتباريح والواحد تبريح وهو الشدّة (وقوله: «ولو كان ابن بوحك» يعني ولد الصلب إشارة إلى أنه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل إن البوح من أسماء الذكر) والشقيق الأخ من الأبوين.

(2) القيلولة الرقاد وسط النهار وتتحامى أي تتجنب وتتلافى وأنضاء واحدها نضو وهو الهزيل يقول إن الأبدان أي الأجسام أهزلها التعب والهاجرة شدة الحر وذات لهب كناية عن الحر الشديد ويصقل أي يجلووينشط أي ينعش والفاتر ما بين الحار والبارد وشهرا ناجر (وقوله «في شهري ناجر» هما شهرا الحر وقيل إنهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين) وذاك إليك أي أمره بيدك وقوله وما أريد الخ فمن الآية 27 من سورة القصص: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ وافترش الشيء جعله فراشاً والترب أي التراب واضطجع أي رقد وهجع نام ليلاً وفي سورة الذاريات الآية 17: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ وارتفقت اتكأت على مرفقي والسنة النعاس الذي يسبق النوم وفي سورة البقرة الآية 255: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ وزمّت أي ربطت ولم أفق أي لم أنتبه وتولّج أي دخل وتبلّج أي ظهر وأضاء والمسرج الفرس عليها السرج (وقوله (بتّ بليلة نابغية) أومأ به إلى قول النابغة:

فبتّ كأني ساورتني ضئيلة ... من الرقش في أنيابها السم ناقع

وأساهِرُ النّجومَ. أفكّرُ تارَةً في رُجْلَتي، وأخرى في رَجْعَتي؛ إلى أنْ وضَحَ لي عِندَ افتِرارِ ثغْرِ الضّوّ، في وجْهِ الجوّ، راكِبٌ يخِدُ في الدّوّ[1]؛ فألْمَعْتُ إليْهِ بثَوْبي، ورجوْتُ أن يُعَرّجَ إلى صوْبي. فلمْ يعْبأ بالْماعي، ولا أوى لالْتِياعي؛ بلْ سارَ على هَيْنَتِهِ، وأصْماني بسهْمِ إهانَتِهِ. فأوفَضْتُ إلَيْهِ لأسْتَرْدِفَه، وأحْتَمِلَ تغطْرُفَهُ، فلمّا أدركْتُهُ بعْدَ الأينِ، وأجَلْتُ فيهِ مسْرَحَ العينِ؛ وجدْتُ ناقَتي مَطيّتَهُ، وضالّتي لُقطتَهُ[2]! فما كذّبتُ أنْ أذْرَيْتُهُ عن سَنامِها، وجاذَبْتُهُ طرَفَ زِمامِها، وقلتُ لهُ: أنا صاحِبُها ومُضِلُّها، ولي رِسلُها ونسْلُها! فلا تكُنْ كأشْعَبَ، فتُتْعِبَ وتَتْعَبَ! فأخذَ يلْدَغُ ويَصْئي، ويتّقِحُ ولا يَستَحْيي! وبيْنا هوَ ينْزو ويَلينُ، ويستأسِدُ ويسْتَكينُ؛ إذْ غَشينا أبو زيْدٍ لابِساً جِلدَ النّمِرِ، وهاجِماً هُجومَ السّيلِ المُنهَمِرِ[3]. فخِفْتُ واللهِ أنْ يكونَ يومُهُ

(1) الأحزان اليعقوبية نسبة إلى يعقوب أبي أسباط بني إسرائيل الذي أحزنه أمر ابنه يوسف وحكايته مبسوطة في السورة التي تحمل اسمه. وأساور أي أواثب والوجوم السكوت والعجز عن الكلام خوفاً أو غيظاً ورجلتي أي أنني صرت راجلاً لا ركوبة عندي وافترار ثغر الضو كناية عن انبلاج الفجر ويخد أي يسرع والدو المفازة.

(2) (وقوله (فألمعت إليه بثوبي) يعني أشرت إليه يقال منه ألمع ولمع بمعنى) ورجوت أي تمنّيت ويعرج إلى صوبي أي يميل إلى جهتي ويعبأ أي يأبه ويبالي وآوى أي رحم وأشفق وقد فصلنا المادة في ما تقدم والالتياع الحرقة في القلب وعلى هينته أي على رسله وأصماني أي أصاب صميمي وأوفضت أي أسرعت وأستردفه أي أطلب أن يردفني خلفه وتغطرفه أي صلفه وتيهه والأين التعب والمشقة والإعياء وأجلت أي رددت وأدرت ومسرح العين مدى بصرها وضالتي أي ضائعي واللقطة ما يلتقط المرء من الأشياء الضائعة.

(3) ما كذبت أي ما لبثت وأذريته أي ألقيته والزمام مقود الدابة ومضلّها أي مضيّعها ورسلها اللبن الحليب والنسل أي الولد وأشعب ظريف من المدينة كان حسن الصوت وضرب به المثل في الطمع توفي سنة 771 م (وقوله «يلدغ ويصيء» هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صاءت العقرب تصيء صيأ وصِيا بفتح الصاد وكسرها إذا صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى:

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة   كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

ويتقح أي يقل حياؤه ويتجرّأ (وقوله «ينزو ويلين» هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال إن أصله أن الجدي ينزو وهو صغير فإذا كبر لان) ويستأسد أي يشتد كالأسد ويستكين أي يذعن =

كأمْسِهِ، وبدرُهُ مثلَ شمْسِهِ؛ فألحَقَ بالقارِظَينِ، وأصيرَ خبَراً بعْدَ عَينٍ[1]! فلمْ أرَ إلا أنْ أذكَرْتُهُ العُهودَ المنسيّةَ، والفَعْلَةَ الإمْسيّةَ، وناشَدْتُهُ اللهَ، أوافَى للتّلافي، أمْ لِما فيهِ إتْلافي؟! فقال: مَعاذَ اللهِ أنْ أجهِزَ على مَكْلومي، أو أصِلَ حَروري بسَمومي[2]! بلْ وافَيْتُكَ لأخْبُرَ كُنْهَ حالِكَ، وأكونَ يَميناً لشِمالِكَ. فسكَنَ عندَ ذلِكَ جاشِي، وانْجابَ استيحاشي، وأطلَعْتُهُ طِلْعَ اللِّقْحَةِ، وتبَرْقُعَ صاحِبي بالقِحَةِ. فنظَرَ إلَيْهِ نظرَ ليْثِ العِرّيسَةِ، إلى الفَريسَةِ؛ ثمّ أشْرَعَ قِبَلَهُ الرّمْحَ، وأقْسَمَ لهُ بمَنْ أنارَ الصبْحَ، لَئِنْ لمْ ينْجُ مَنْجَى الذُّبابِ، ويرْضَ منَ الغَنيمَةِ بالإيابِ؛ لَيورِدَنّ سِنانَهُ وَريدَهُ، ولَيَفْجَعَنّ بهِ وَليدَهُ ووَديدَهُ[3]! فنبَذَ زِمامَ النّاقَةِ وحاصَ، وأفلَتَ ولهُ حُصاصٌ. فقال لي أبو زيدٍ: تَسلّمْها

= ويخضع وغشينا أي جاءنا (وقوله: «لابساً جلد النمر» هذا مثل يضرب للمتقح الجريء لأن النمر أجرأ سبع وأقله احتمالاً للضيم ومن هذا قولهم تنمر أي صار مثل النمر) والمنهمر أي المتدفّق الشديد الصبّ.

(1) يريد بيومه كأمسه الإشارة إلى ما فعله من تركه راجلًا وذا المراد من بدره وشمسه (وقوله «فالحق بالقارظين» الأصل في القارظ أنه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار إليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا يخرجان يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائل

(2) ناشدته الله أي استحلفته بالله وأوافي أي هل جاء للتلافي أي لتدارك وإصلاح ما فرط منه أم لما فيه إتلافي أي لهلاكي وأجهز على الجريح أتم قتله والمكلوم هو الجريح (وقوله «حروري بسمومي» الحرور الريح الحارة ليلاً والسموم الريح الحارة نهاراً وقد يقام إحداهما مقام الأخرى مجازاً وقال بعضهم الحرور يكون ليلاً والسموم يختص بالنهار).

(3) ووافيتك أي جئتك وأخبر أي أمتحن وأقف على حقيقة أمرك وكنه الحال حقيقته وأكون يميناً أي نصيراً وعضداً كما تعين اليد اليمنى اليد الشمال والجأش روع القلب وانجاب أي انجلى وارتفع وانكشف والاستيحاش أي التوحّش وهو ضد الأنس وأطلعته أي أخبرته وطلع اللقحة أي خبر الناقة الحلوب الضالة والتبرقع اتخاذ البرقع وهو خمار الوجه وهو هنا كناية عن القحة وصلابة الوجه كأنه غطى بها وجهه كالبرقع والقحة هي الوقاحة وقلّة الحياء (وقوله: «ليث العريسة» يعني مأوى السبع ويقال فيه عريس وعريسة بإثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء) والفريسة ما يفترسه ويأكله السبع وأشرع الرمح إذا رفعه وسدّده ونجا منجى أي خلص وأفلت إفلاتاً ويرضى من الغنيمة بالإياب أي يقنع بالعودة =

وتسَنّمْها، فإنّها إحْدى الحُسْنَيَين، ووَيْلٌ أهوَنُ من وَيْلَين[1]!

قال الحارثُ بنُ همّام:

فحِرْتُ بينَ لوْمِ أبي زيدٍ وشُكْرِهِ، وزِنَةِ نفْعِهِ بضُرّهِ. فكأنّهُ نوجِيَ بذاتِ صدْري، أو تكهّنَ ما خامَرَ سِرّي؛ فقابلَني بوجْهٍ طَليقٍ، وأنشدَ بلِسانٍ ذَليقٍ[2]:

يا أخي الحامِلَ ضَيْمي دونَ إخْواني وقومي
إنْ يكُنْ ساءكَ أمْسي فلقَدْ سرّكَ يومي
فاغْتَفِرْ ذاكَ لِهذا واطّرِحْ شكري ولوْمي

ثمّ قال: أنا تَئِقٌ، وأنتَ مَئِقٌ، فكيْفَ نتّفِقُ؟! وولّى يفْري أديم الأرضِ، ويرْكُضُ طِرْفَهُ أيّما رَكْضٍ. فما عدَوْتُ أنِ اقْتَعَدْتُ مَطيّتي، وعُذْتُ لِطِيّتي؛ حتى وصلْتُ إلى حِلّتي، بعدَ اللّتَيّا والتي[3].

= سالماً وحسبه ذلك غنماً أي كسباً والعبارة أصلها عجز بيت لامرئ القيس يقول: «وقد طَوّفْتُ في الآفاقِ حَتى، رضيتُ من الغنيمة بالإياب» وأورد إذا أتى بالماشية لتشرب والوريد العرق الذي يجري فيه الدم في الجسم وله أسماء تختلف باختلاف الموضع يقول فإذا لم يفر فسيطعنه برمحه وكأنه يورده بشرب من وريده وفجعه أي أوجع قلبه بأخذ عزيز عليه والوليد الابن والوديد الصديق المحب.

(1) نبذ أي رمى وألقى وحاص أي هرب وفرّ (وقوله: «أفلت وله حصاص» هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعدما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل إنه الضراط) وتسلّمها أي استلمها وتسنّمها أي أركب سنامها والحسنيين الظفر أو الشهادة وفي سورة التوبة الآية 52: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ (وقوله: «ويل أهون من ويلين» هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الراجز:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

(2) حرت أي تحيّرت وذات صدري أي ما أفكّر فيه ويعتمل في صدري وتكهّن أي تنبّأ وخامر أي خالط والوجه الطليق أي البشوش السمح والذليق الذرب والحاد.

(3) (وقوله: «أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق» هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظاً مأخوذ من قولهم أتأقت الإناء إذا ملأته والمئق هو الباكي فكأن التئق ينزع إلى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعاً باحتماله ومثله قوله أنا كلف وأنت صلف فكيف نأتلف) وولّى أي =

. . . .

= انصرف ويفري أي يقطع والأديم أي الجلد وأديم الأرض وجهها والطرف الكريم الأبوين يريد يركض فرسه وأيما ركض أي ركضاً جيداً وما عدوت أي ما لبثت واقتعدت مطيتي أي ركبتها (وقوله «الطيتي» يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها طيه بالتخفيف) وحلتي المحلة ومجتمع البيوت (وقوله «بعد اللتيا والتي» اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لأن القياس أن يضم أول الإسم إذا صغر وقد أقر هذا الإسم على فتحته الأصلية عند تصغيره إلا أن العرب عوّضته عن ضمّ أوله بأن زادت ألفاً في آخره وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيّا وذيّاك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره).

تفسير ما أودع هذه المقامة
من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله: (ريّق زماني) ورائقه يعني أوله وقد يخفف فيقال ريق.

وقوله:(آخذ أخذ نفوسهم الأبيّة) يعني أقتدي بهم يقال: منه أخذ أخذه وإخذه بكسر الهمزة وفتحها.

(والهجمة) نحو المائة من الإبل.

(والثلة) القطيع من الغنم.

(والراغية) الإبل.

(والثاغية) الشاء. ومنه قولهم: ماله راغية ولا ثاغية أي لا ناقة له ولا شاة.

وقوله: (أرداف أقيال) أي يخلفون الملوك إذا غابوا.

وقوله: (أبناء أقوال) أي فصحاء. يقال للمنطيق إنه ابن أقوال.

وقوله: (فتدثرت فرساً محضاراً) التدثر الوثوب على ظهر الفرس. والمحضار والحضير مأخوذ من الحضر وهو العدو.

وقوله: (أقتري كل شجراء ومرداء) الاقتراء تتبع الأرض والشجراء ذات الشجر. والمرداء الخالية من النبات ومنه اشتقاق الأمر لخلو وجهه من الشعر.

وقوله: (حيعل الداعي إلى صلاته) يعني به قول المؤذن حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله من المصادر الهيللة والحمدلة والحولقة والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعفلة فالهيللة حكاية قول لا إله الا الله. والحمدلة حكاية قول الحمد لله. والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة إلا بالله. والبسملة حكاية قول بسم الله. والحسبلة حكاية قول حسبنا الله. والسبحلة حكاية قول سبحان الله. والجعفلة حكاية قول جعلت فداك.

وقوله (فنزلت عن متن الركوبة) يعني الركوبة يقال ناقة ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ: «فمنها ركوبهم».

(والصهوة) مقعد الفارس.

(والشحوة) الخطوة.

(والجزع) قطع الوادي عرضاً.

وقوله (صكة عميّ) يعني به قائم الظهيرة. وقد اختلف في أصله فقيل كان عمي رجلاً مغواراً فغزا أقواماً عند قائم الظهيرة وصكهم صكة شديدة فصار مثلاً لكل من جاء ذلك الوقت. وقيل المراد به الظبي لأنه يسدر في الهواجر ويذهب بصره فيصطك وكذلك الحية واصطكاك الظبي بما يستقبله كاصطكاك الأعمى ثم صغر الأعمى تصغير الترخيم فقيل: عميّ كما صغروا أسود وأزهر فقالوا سويد وزهير وقوله: (وكان يوماً أطول من ظل القناة) يوصف اليوم الطويل بظل القناة كما يوصف اليوم القصير بإبهام القطاة. والعرب تزعم أن ظل الرمح أطول ظل ومنه قول شبرمة بن الطفيل:

ويوم كظل الرمح قصر طوله ... دم الزق عنا واصطفاف المزاهر.

وقوله: (أحر من دمع المقلات) المقلات هي المرأة التي لا يعيش لها ولد فدمعها أبداً حارٌ لحزنها لأنه يقال إن دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا قيل للمدعو له أقرّ الله عينه مأخوذ من القرّ وهو البرد. وقيل للمدعو عليه أسخن الله عينه مأخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل إن إقرار العين مأخوذ من القرار فكأنه دعا له أن يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح إلى ما هو لغيره. وكانت الجاهلية تزعم أن المقلات إذا وطئت على قتيل شريف عاش ولدها وإلى هذا أشار بشر بن أبي حازم في قوله:

تظل مقاليت النساء يطأنه ... يقلن ألا يلقى على المرء مئزر

وقوله: (علقت بي شعوب) يعني المنية ولا يدخل هذا الاسم أداة التعريف مثل دجلة وعرفة.

وقوله: (لاغوّر تحتها إلى المغيربان) التغوير النزول للقائلة كما أن التعريس النزول آخر الليل للتهويم أو الاستراحة. والمغيربان تصغير المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب إلا أن العرب ألحقت آخره ألفاً ونوناً على طريق الشذوذ.

وقوله: (مضطغناً أهبة تجوابه) الاضطغان أن يحمل الشيء تحت حضنه

والاضطبان أن يحمل تحت ضبنه والضبن ما بين الإبط والكشح وكلاهما متقارب ويقال أول مراتب الحمل الإبط ثم الضبن وهو أسفل الإبط ثم الحضن وهو عند الجنب. والتجواب مصدر جاب. وجميع المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء إلا قولهم تِبيان وتِلقاء لا غير وزاد بعضهم تيصال.

وقوله: (عجري وبجري) يريد به جميع أمري الظاهر والباطن. وأصل العجر العقد الناتئة في العصب والبجر العقد الناتئة في البطن.

وقوله (ولم يقل إيهاً) أي لا يأمرني بالكف. يقال للمستزاد إيه وللمستكف إيهاً.

وقوله: (لأمرٍ ما جدع قصير أنفه) قصير هذا هو مولى جذيمة الأبرش وكان جدع أنفه بيده حين قتلت الزباء مولاه ثم أتاها وأوهمها أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة هو الذي جدع أنفه اتهاماً له بأنه غش خاله جذيمة إذ أشارعليه بقصدها. فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مراراً إلى العراق فكان يأتيها بالطرف منه إلى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوصل إلى قتلها والأخذ بثأر مولاه منها وقصته مشهورة.

وقوله (ولو كان ابن بوحك) يعني ولد الصلب إشارة إلى أنه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل إن البوح من أسماء الذكر.

وقوله (في شهري ناجر) هما شهرا الحر وقيل إنهما حزيران وتموز وأنكر أبو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين.

وقوله (بتّ بليلة نابغية) أومأ به إلى قول النابغة:

فبتّ كأني ساورتني ضئيلة   من الرقش في أنيابها السم ناقع

وقوله (يلدغ ويصيء) هذا مثل يضرب لمن يظلم ويشكو يقال صاءت العقرب تصيء صيأ وصِيا بفتح الصاد وكسرها إذا صوتت وكذلك الفرخ وما أحسن قول ابن الرومي في هذا المعنى.

تشكي المحب وتشكو وهي ظالمة   كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقوله (ينزو ويلين) هذا المثل يضرب لمن يتعزز ثم يذل ويقال إن أصله أن الجدي ينزو وهو صغير فإذا كبر لان.

وقوله (لابساً جلد النمر) هذا مثل يضرب للمتقح الجريء لأن النمر أجرأ سبع وأقله احتمالاً للضيم ومن هذا قولهم تنمر أي صار مثل النمر.

وقوله (فالحق بالقارظين) الأصل في القارظ أنه الذي يجني القرظ وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار إليهما أحدهما من عنزة والآخر من النمر بن قاسط وكانا يخرجان يجنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى إيابه وإليهما أشار أبو ذؤيب في قوله:

وحتى يؤوب القارظان كلاهما ... وينشر في القتلى كليب لوائل

وقوله (حروري بسمومي) الحرور الريح الحارة ليلاً والسموم الريح الحارة نهاراً وقد يقام إحداهما مقام الأخرى مجازاً وقال بعضهم الحرور يكون ليلاً والسموم يختص بالنهار.

وقوله (ليث العريسة) يعني مأوى السبع ويقال فيه عريس وعريسة بإثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فأما الغيل والخيس فلم يلحقوا بهما الهاء.

وقوله (أفلت وله حصاص) هذا المثل يضرب لمن نجا من هلكة أشفى عليها بعدما كاد يهوي فيها والحصاص العدو وقيل إنه الضراط.

وقوله (ويل أهون من ويلين) هذا المثل يضرب تسلية لمن ناله بعض المكروه ومثله قول الراجز:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقوله (أنا تئق وأنت مئق فكيف نتفق) هذا المثل يضرب للمتنافيين في الخلق فان التئق هو الممتلئ غيظاً مأخوذ من قولهم اتأقت الإناء إذا ملأته والمئق هو الباكي فكأن التئق ينزع إلى الشر لغيظه والمئق يضيق ذرعاً باحتماله ومثله قوله أنا كلف وأنت صلف فكيف نأتلف.

وقوله (لطيتي) يعني لقصدي ووجهتي وقد يقال فيها طيه بالتخفيف.

وقوله (بعد اللتيا والتي) اللتيا تصغير التي وهو على غير قياس التصغير المطرد لأن القياس أن يضم أول الاسم إذا صغر وقد أقر هذا الاسم على فتحته الأصلية عند تصغيره إلا أن العرب عوّضته عن ضمّ أوله بأن زادت ألفاً في آخره وأجرت أسماء الإشارة عند تصغيرها على حكمه فقالت في تصغير الذي والتي اللذيا واللتيا وفي تصغير ذا وذاك ذيّا وذيّاك وقد اختلف في معنى قولهم بعد اللتيا والتي فقيل من أسماء الداهية وقيل المراد بهما بعد صغير المكروه وكبيره.

المقامة السّمَرقَنديّة

أخبرَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

استَبْضَعْتُ في بعضِ أسْفاريَ القَنْدَ، وقصدْتُ سمَرْقَنْدَ؛ وكنتُ يومَئِذٍ قَويمَ الشّطاطِ، جَمومَ النّشاطِ؛ أرْمي عنْ قوْسِ المِراحِ، إلى غرَضِ الأفْراحِ، وأسْتَعينُ بماءِ الشّبابِ، على ملامِحِ السّرابِ. فوافَيْتُها بُكْرَةَ عَروبَةَ، بعْدَ أن كابَدتُ الصّعوبَةَ[1]. فسَعَيْتُ وما ونَيْتُ، إلى أنْ حصَلَ البيْتُ. فلمّا نقَلْتُ إليْهِ قَنْدي، وملكْتُ قوْلَ عِندي؛ عُجْتُ إلى الحَمّامِ على الأثرِ، فأمَطْتُ عني وعْثاءَ السّفرِ، وأخذْتُ في غُسْلِ الجُمْعَةِ بالأثَرِ[2]. ثمّ بادَرْتُ في هَيْئَةِ الخاشعِ، إلى مسجِدِها

---

(1) استبضعت أي اتخذت بضاعة والقند معرب كند وهو عسل قصب السكر إذا جمد وسمرقند مدينة في وسط آسيا في أوزبكستان الحالية وكانت عاصمة تيمورلنك وفيها قبره وقويم الشطاط أي معتدل القامة وجموم النشاط أي ممتلئاً نشاطاً فالجموم من الآبار الكثير الماء والمراح شدة الفرح والنشاط والسراب ما تراه العين ماء وهو ليس كذلك يقول إنه كان يرمي عن قوس الفرح والنشاط ليصيب أموراً تبدو في هيئة غير التي هي عليه في الواقع كناية عما يشغل الفتيان من أمور وعروبة اسم ليوم الجمعة وسمي كذلك لحسنه وكابدت أي عانيت وقاسيت.

(2) ونيت من ونى إذا تراخى وفترت همته وملكت قول عندي يعني أن السكر بات في بيته وأمن اللصوص والتلف في السفر وصار بوسعه التصريح بذلك وعجت أي ملت وعلى الأثر أي توا وعلى الفور وأمطت أي أزلت والوعثاء المشقة والتعب وغسل الجمعة أي الاغتسال في يوم الجمعة بالأثر أي تطبيقاً لما أثر عن النبي وأخرجه البخاري في صحيحه ويقول: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر».

الجامِعِ؛ لألْحَقَ بمَنْ يَقرُبُ منَ الإمامِ، ويقرِّبُ أفضَلَ الأنعامِ. فحَظيتُ بأنْ جلّيْتُ في الحَلْبَةِ، وتخيّرْتُ المركَزَ لاستِماعِ الخُطبةِ. ولم يزَلِ النّاسُ يدخُلونَ في دينِ اللهِ أفواجاً، ويرِدونَ فُرادَى وأزْواجاً. حتى إذا اكْتَظّ الجامِعُ بحفْلِهِ، وأظَلّ تَساوي الشّخْصِ وظِلّهِ. برزَ الخَطيبُ في أُهْبَتِهِ، مُتهادِياً خلْفَ عُصبَتِهِ[1]؛ ارْتَقى في مِنبَرِ الدّعوةِ، إلى أن مثَلَ بالذّروَةِ. فسلّمَ مُشيراً باليَمينِ، ثم جلَسَ حتى خُتِمَ نظْمُ التأذينِ. ثمّ قامَ وقال[2]: الحمدُ للهِ الممْدوحِ الأسْماءِ، المحْمودِ الآلاءِ، الواسعِ العَطاءِ، المدْعُوّ لحَسْمِ اللأواءِ، مالِكِ الأمَمِ، ومصوِّرِ الرِّمَمِ، وأهْلِ السّماحِ والكرَمِ، ومُهلِكِ عادٍ وإرَمَ[3]! أدْرَكَ كلَّ سِرٍ عِلمهُ، ووَسِعَ كلَّ مُصِرٍ حِلمُهُ، وعَمّ كلَّ عالَمٍ طَوْلُهُ، وهدّ كلَّ مارِدٍ حولُهُ! أحمَدُهُ حمْدَ موَحِّدٍ مُسلِمٍ، وأدعوهُ دُعاءَ مؤمِّلٍ

---

(1) يقرّب أي ويدني والأنعام أي الإبل والبقر والغنم وأفضل الأنعام يراد بها البدنة التي ورد ذكرها في الحديث وهي الأضحية من إبل أو بقر تقدّم قرباناً وحظيت أي كان من حسن حظّي وجلّيت أي سبقت ويقال للفرس السابق المجلّي وتخيّرت أي اخترت والمركز وسط الدائرة وأفواجاً والواحد فوج أي جماعة وفي سورة النصر الآية الثانية: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾. ويردون أي يأتون واكتظّ أي امتلأ وضاق والحفل الجمع من الناس وأظلّ أي دنا وقرب وتساوي الشخص وظله كناية عن أن الظهر قد حان ووجبت الصلاة وبرز أي ظهر والأهبة الاستعداد ومتهادياً من تهادى إذا مشى متمايلاً وقاراً وخلف عصبته أي وراء جماعته.

(2) ارتقى أي صعد وطلع والمنبر محل مرتفع يرتقيه الخطيب والواعظ للكلام في الجمع والدعوة هنا تعني الخطبة وذلك لأن الخطيب يدعو إلى المعروف وإلى تقوى الله ومثل أي قام منتصباً والذروة من الشيء أعلاه والسلام مشيراً باليمين مذهب الشافعي في أن يسلّم الخطيب إذا جلس على المنبر باليمين دون كلام والحريري شافعي المذهب وجلس أي قعد ولكن الخليل يقول يقال لمن كان قائماً اقعد ولمن كان نائماً أو ساجداً اجلس وذلك لأن القعود هو الانتقال من علو إلى سفل والجلوس هو الانتقال من سفل إلى علو. وختم أي أكمل والتأذين الأذان.

(3) المحمود من حمد الشيء إذا أثنى عليه والآلاء النعم وحسم الشيء قطعه وبتّه واللأواء الشدّة والرمم واحدتها رمة وهي العظام البالية ومصوّر الرمم أي الله الذي يحيي الميت ويعيد العظام النخرة إلى ما كانت عليه ومهلك أي مبيد ومفنٍ وعاد شعب من العرب البائدة اضطهدوا النبي هود فمحقهم الله بالعاصفة وفي سورة الفجر الآية 6 - 7: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ وأما إرم فيقول الطبري إنها قبيلة من بني عاد محقها الله لعصيانها.

مسَلِّم! وهوَ اللهُ لا إلهَ إلا هوَ الواحِدُ الأحَدُ، العادِلُ الصّمَدُ! لا ولَدَ له ولا والِد، ولا رِدْءَ معَه ولا مُساعِد[1]! أرسَلَ محمّداً للإسْلامِ ممَهِّداً، وللمِلّةِ موطِّداً، ولأدِلّةِ الرّسُلِ مؤكِّداً، وللأسْوَدِ والأحْمَرِ مُسَدِّداً، وصَلَ الأرْحامَ، وعلّمَ الأحْكامَ، ووسَمَ الحَلالَ والحَرامَ، ورسَمَ الإحْلالَ والإحْرامَ! كرّمَ اللهُ محَلَّهُ، وكمّلَ الصّلاةَ والسّلامَ لهُ! ورحِمَ آلَهُ الكُرَماء، وأهلَهُ الرُحَماء، ما همَرَ رُكامٌ، وهدَرَ حَمامٌ، وسرَحَ سَوامٌ، وسَطا حُسامٌ![2]

اعْمَلوا رَحِمَكُمُ اللهُ عمَلَ الصُلَحاء، واكْدَحوا لمَعادِكُمْ كدْحَ الأصِحّاء، وارْدَعوا أهْواءكُمْ ردْعَ الأعْداء، وأعِدّوا للرّحلَةِ إعدادَ السُعَداء! وادّرِعوا حُلَلَ الورَعِ، وداوُوا عِلَلَ الطّمَعِ! وسوّوا أوَدَ العمَلِ، وعاصُوا وساوِسَ الأمَلِ[3]! وصوّروا لأوْهامِكُمْ

(1) أدرك أي بلغ والمصرّ من أصرّ على الشيء إذا أقام عليه ولم يرعو وحلمه من الحلم وهو التأنّي والتعقّل وضبط النفس وعمّ أي شمل والعالم الخلق كله وكل صنف من أصناف الخلق كعالم النبات وعالم الحيوان وطوله أي فضله وهدّ أي هدم بشدّة والمارد العاتي والباغي وحوله من الحول أي القوّة والمؤمّل أي الراجي والمسلّم من سلّم الأمر له أي فوّضه إليه وأوكله به والصمد أي الدائم الباقي أو الذي يصمد الأمر إليه فلا يقضى دونه أو يصمده عباده أي يقصدونه أو الذي لا يأكل ولا يشرب والرفيع في الألوهية وقد ورد اللفظ في سورة الإخلاص الآية 2: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وأصل الصمد الشديد من الأرض والردء المعين وفي سورة القصص الآية 34: ﴿وَأَخِى هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾.

(2) مهّد للشيء أي بسط ووطّأ والملّة الدين حقاً أو باطلاً وأصل ذلك أن يقال الملة للطريقة المسلوكة والسنة وهي ملة لأن أمين الوحي أملاها على النبي: وفي سورة البقرة الآية 130: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ وفي سورة الأعراف الآية 88: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَـٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا﴾ ووطّد الشيء إذا ثبته وعزّزه وقوّاه والأدلّة البراهين والرسل واحدها رسول وهو هنا النبي بعامة يرسله الله إلى الخلق والأسود يعني بذلك العرب والأحمر العجم وسدّد إذا قوّم وأرشد الأرحام واحدها رحم ووصل الأرحام كناية عن التراحم بين ذوي القربى ووسم إذا جعل على الشيء علامة وهو هنا أنه حدد وبيّن الحلال والحرام ورسم أي جعل للشيء رسماً وكتب وبين والإحلال الفراغ من مناسك الحج والإحرام الدخول فيها وهمر انصب وانسكب والركام السحاب الكثيف المتلبّد وهدر الحمام إذا صوّت وسرح أي تفرق في المرعى والسوام الإبل الراعية وسطا أي بطش وصال والحسام السيف القاطع.

(3) كدح إذا سعى وكد وبذل الجهد في العمل والمعاد أي المآب والمرجع وهو يوم القيامة وردع إذا=

حُؤولَ الأحْوالِ، وحُلولَ الأهْوال، ومُسوَرَةَ الأعْلالِ، ومُصارَمَةَ المالِ والآلِ! وادّكِروا الحِمامَ وسَكْرَةَ مضرَعِهِ، والرّمْسَ وهوْلَ مُطّلَعِهِ، واللّحْدَ ووحْدَةَ مودَعِهِ، والمَلَكَ وروْعَةَ سؤالِهِ ومَطْلَعِهِ! والمَحوا الدّهْرَ ولؤْمَ كرِّهِ، وسوءَ مِحالِهِ ومَكْرِهِ[1]! كمْ طمَسَ مَعلَماً، وأمرّ مطْعَماً، وطحْطَحَ عرَمْرَماً، ودمّرَ ملِكاً مُكرّماً! همُّهُ سكُّ المسامِعِ، وسحُّ المَدامِعِ، وإكْداءُ المطامعِ، وإرْداءُ المُسمِعِ والسّامِعِ! عمّ حُكمُهُ المُلوكَ والرِّعاعَ، والمَسودَ والمُطاعَ! والمحْسودَ والحُسّادَ، والأساوِدَ والآسادَ! ما موّلَ إلا مالَ! وعكَسَ الآمالَ، وما وصَلَ إلا وصالَ، وكلَمَ الأوْصالَ! ولا سَرّ إلا وساء، ولَؤمَ وأساء، ولا أصَحّ إلا ولّدَ الدّاءَ، وروّعَ الأوِدّاءَ! اللهَ اللهَ! رَعاكُمُ اللهُ[2]!

= زجر ونهى ومنع وأعدّ أي جهّز والرحلة الانتقال من الدنيا إلى الآخرة عبر الموت وادّرع أي لبس درعا فتدرّع به والحلة الثوب الجميل والورع التقى والكف عن المحارم وتجنبها وداوى المريض إذا طببه والعلل واحدتها علة وهي المرض والسبب أيضاً وسوّى الشيء إذا أصلحه وقوّمه وعدّله والأود الاعوجاج وعاصى إذا عصى ومانع والوساوس ما يخطر في النفس من أمور وأهواء والأمل الرجاء ووساوس الأمل خواطر الطمع والرجاء.

(1) الحؤول التغيّر والتبدّل وحلول الشيء حصوله ونزوله ووقوعه والأهوال واحدها هول وهو الرعب العظيم وساور مساورة إذا واثب والأعلال والواحدة علّة والمصارمة المقاطعة والمال الغنى ومصارمته تعني زواله وتلاشيه والآل الأهل وادكروا أي تذكروا والحمام من أسماء الموت والسكرة مايصيب المرء فيذهب بلبّه من سورة الشراب أو الشباب أو المال أو السلطان أو الموت وصرعه إذا طرحه أرضاً والمصرع حيث يصرع المرء والرمس القبر ومطّلعه أي موضع الاطلاع والمراد ما سيأتي على الميت في قبره كسؤال الملكين وضغطة القبر وما إلى ذلك مما روي عن النبي واللحد أي القبر ومودعه أي من جعل فيه وهو الميت وقد ترك وحده والملك أي منكر ونكير المخولان سؤال الميت وفتنته والروعة الفزع ومطلعه أي مأتاه ووجهه الذي يؤول إليه والمحوا أي وانظروا والدهر الزمان والكرّ من كر إذا عطف وحمل عليه وفرّ للجولان ثم عاد للقتال وإذا انهزم ثم عاد فهجم والمحال الخداع والكيد.

(2) طمس أي محا وعفّى وأذهب والمعلم الأثر يستدلّ به على الطريق وأمرّ أي جعل مرّاً والمطعم ما يؤكل وطحطح أي أهلك وبدّد وفرّق والعرمرم الجيش الكبير ودمّر أي أباد وفي سورة الأحقاف الآية 25: ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ همّه أي قصارى ما يهمّه ويريده سكّ المسامع أي صمّها وإصابتها بالصمم أي فقدان حاسة السمع وهذا على المجاز ففي أساس البلاغة: «وسكه يسكه إذا اصطلم أذنيه» وفي مقاييس اللغة لابن فارس: «ويقال استكّت مسامعه؛ إذا صَمّت. قال النابغة: =

إلامَ مُداومَةُ اللّهْوِ، ومُواصَلَةُ السّهْوِ؟ وطولُ الإضْرارِ، وحمْلُ الآصارِ؟! واطّراحُ كَلامِ الحُكَماءِ، ومُعاصاةُ إلهِ السّماءِ[1]؟! أمَا الهَرَمُ حصادُكُمْ، والمَدَرُ مِهادُكُمْ! أمَا الحِمامُ مُدرِكُكُمْ، والصّراطُ مَسلَكُكُمْ! أمَا الساعَةُ موعِدُكُمْ، والساهِرةُ مورِدُكُمْ! أمَا أهْوالُ الطّامّةِ لكُمْ مُرصَدَةٌ، أمَا دارُ العُصاةِ الحُطَمَةُ المؤصَدَةُ[2]! حارِسُهُمْ مالِكٌ،

= وخُبِّرْتُ، خَيْرَ الناسِ، أنَّك لُمتَني/ وتلك التي تسْتَكّ مِنْها المسامِعُ» وسحّ أي جعل المدامع تسحّ أي تسيل وتصب وتذرف وأكدى إكداء أي قطع ومنع والمطامع واحدها المطمع وإرداء أي إهلاك وعمّ أي شمل والرعاع السقط والأرذال من الناس والمسود من ليس بسيّد أي الرعية بعامة والمطاع أي الذي يأمر فلا يردّ أمره ولا يعصى والأساود واحدها أسود وهي الحيّة والآساد واحدها أسد وموّل أي أعطى مالاً ومال أي انحرف وخرج عن طريقه وعكس أي قلب والآمال واحدها أمل أي الرجاء ووصل أي أعطى ومنح والصلة العطية والجائزة وصال أي سطا ليقهر وكلم أي جرح والأوصال والواحد الوصل أي المفصل وسرّ أي أفرح وساء أي أحزن ولؤم أي صار لئيماً وأساء أي آذى وأتى بما يسيء وأصحّ أي أبرأ وشفى والداء أي المرض وروّع أي أفزع وأخاف والأوِدّاء أي الأحباب والله الله أي اتقوا الله ورعاكم حفظكم.

(1) إلام أي إلى متى ومداومة الشيء أي الإقامة عليه ولزومه من داوم والسهو النسيان والإصرار الثبوت على فعل الشيء والآصار والواحد إصر العهد الثقيل المؤكد وفي سورة آل عمران للآية 81: ﴿قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ﴾ والثقل وفي سورة البقرة الآية 286: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا﴾ والإثم والقسم الثقيل الذي لا كفّارة له كطلاق أو نذر واطّراح أي ونبذ ورمي ومعاصاة أي عصيان.

(2) أما أداة تنبيه يلي بعدها القسم أو أداة دعاء أو استفهام وهي هنا استفهامية والهرم الكبر والتقدم في السن وحصادكم أي ما يحصدكم أو ما تحصدون وكلاهما يعني ما يلي الهرم وهو الموت والمدر والواحدة مدرة الطين الذي لا يخالطه رمل وقطع الطين اليابس والتراب المتلبّد والمدن والقرى وهو هنا التراب والأرض مطلقاً ومهادكم أي فراشكم يعني أن التراب فراش كل حي والحمام الموت والصراط لغة في السراط والصاد أعلى وهي معربة والصراط من السبيل ما لا التواء فيه ولا اعوجاج وقد وردت المادة في القرآن بضعاً وأربعين مرة مقروناً بوصف أو إضافة تخلصه لذلك وهو للخير والشر ففي سورة الفاتحة الآية 6: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ وفي سورة الصافات الآية 23: ﴿فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ ومسلككم من سلك الطريق أي سار فيه أو دخل فيه والساعة يراد بها القيامة والساهرة الأرض البيضاء التي لا نبات فيها وهي هنا بالمعنى القرآني أي المحشر وفي سورة النازعات الآية 14: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ وموردكم موضع الماء الذي يرده الناس والبهائم أي أنكم كلكم ستردون الساهرة لا بدّ وأهوال والوحد هول والطامّة الداهية والأمر العظيم وهي من أسماء القيامة إلا أنها في الأصل تعني اشتداد الأمر وتجاوزه =

ورواؤهُم حالِكٌ! وطَعامُهُمْ السّمومُ، وهواؤهُمُ السَّمومُ! لا مالَ أسعدَهُمْ ولا ولَدَ، ولا عدَدَ حَماهُمْ ولا عُدَدَ[1]! ألا رَحِمَ اللهُ امْرَأً ملكَ هَواهُ، وأمَّ مسالِكَ هُداهُ، وأحْكَمَ طاعَةَ مؤلاهُ، وكدَحَ لرَوحِ مَأواهُ! وعمِلَ ما دامَ العُمرُ مُطاوِعاً، والدهْرُ مُوادِعاً! والصّحةُ كامِلَةً، والسّلامَةُ حاصِلَةً! وإلا دهَمَهُ عدَمُ المَرامِ، وحصَرُ الكَلامِ، وإلمامُ الآلامِ، وحُمومُ الحِمامِ! وهُدُوُّ الحَواسّ، ومِراسُ الأرْماسِ[2]!

آهاً لها حسْرَةً ألَمُها مؤكّدٌ، وأمَدُها سَرْمَدٌ، ومُمارِسُها مُكمَدٌ! ما لوَلَهِهِ حاسِمٌ، ولا لسَدمِهِ راحِمٌ، ولا لهُ ممّا عَراهُ عاصمٌ! ألْهَمَكُمُ اللهُ أحمَدَ الإلْهامِ، وردّاكُمْ رِداءَ الإكْرامِ، وأحلّكُمْ دارَ السّلامِ! وأسألُهُ الرحْمَةَ لكُمْ ولأهلِ مِلّةِ الإسلامِ، وهوَ أسمَحُ الكِرامِ، والمُسَلِّمُ والسّلامُ[3]!

= الطامة فطم الماء أي ارتفع وعلا وقد وردت المادة في سورة النازعات الآية 34: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ ومرصدة أي معدّة وموقوفة عليكم وأما الحطمة فمن أسماء النار في القرآن وهي كذلك لأنها تحطم كثيراً المكذبين والمعاندين وفي سورة الهمزة الآية 4: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ﴾. وقد ورد وصف النار بالمؤصدة في الآية الأخيرة من سورة البلد. وأما اللفظ مؤصدة فيعني المطبقة والمغلقة والمقفلة من دون حلالها فلا سبيل لهم إلى الخروج منها.

(1) هو خازن النار وفي سورة الزخرف الآية 77: ﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ والرواء المنظر الحسن والحالك الأسود الشديد السواد والسموم والواحد سم والسموم الريح الحارة والعدد بالفتح كثرة الأهل والأعوان والعدد بالضم جمع عدة.

(2) أمّ أي قصد والهدى الرشد وأحكم أي أتقن وكدّ أي اجتهدّ وكدح أي عمل والروح الراحة والمأوى المسكن ووادع الدهر إذا سالم وصالح ودهمه أي أتاه وغشيه على حين غرّة وحصر الكلام أي انحباسه وهو العي ولكنه هنا بمعنى الخرس وإلمام أي نزول والآلام والواحد ألم أي الأوجاع وحمّ الأمر إذا قضي وصار نافذاً ومنه الحمام وهو الموت وهدوّ أي هدوء وسكون والحواس خمس وهي السمع والبصر واللمس والذوق والشم وهدوّها كناية عن الموت ومراس أي معالجة الشيء الشديد والأرماس والواحد رمس أي القبور.

(3) آهاً كلمة توجّع والحسرة شدّة التلهف والحزن وفي سورة الزمر الآية 56: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ والأمد المدة والسرمد الدائم لانهاية له وممارسها أي معالجها والمبتلى بها ومكمد أي مهموم حزين والوله الحزن والحاسم القاطع والسدم هو الحزن والغم والندم على ما فات وعراه أي انتابه وعاصم أي واق ومانع ودافع وألهم إلهاماً أبلغ وأوحى ولقّن =

قال الحارثُ بنُ همّام:

فلمّا رأيتُ الخُطبَةَ نُخبةً بلا سَقَطٍ، وعَروساً بغيرِ نُقَطٍ! دَعاني الإعجابُ بنمَطِها العَجيبِ؛ إلى استِجْلاء وجْهِ الخَطيبِ، فأخَذْتُ أتوَسّمهُ جِدّاً، وأقلّبُ الطّرْفَ فيهِ مُجِدّاً، إلى أنْ وضحَ لي بصِدْقِ العلاماتِ، أنه شيخُنا صاحِبُ المَقاماتِ(1)! ولم يكُنْ بُدٌّ منَ الصّمتِ، في ذلِك الوقْتِ. فأمسَكْتُ حتى تحلّلَ من الفَرْضِ، وحلّ الانتِشارُ في الأرضِ. ثمّ واجهْتُ تِلقاءهُ، وابتَدَرْتُ لِقاءَهُ، فلما لحظَني خفّ في القِيامِ، وأحْفى في الإكْرامِ(2). ثمّ استَصْحَبَني إلى دارِه، وأوْدَعَني خصائِصَ أسْرارِه. وحينَ انتشَر جَناحُ الظّلامِ، وحانَ ميقاتُ المَنامِ؛ أحضرَ أباريقَ المُدامِ(3)، معكومَةً بالفِدامِ، فقلتُ: أتَحْسوها أمامَ النّومِ، وأنتَ إمامُ القوْمِ(4)؟! فقال: مَهْ! أنا بالنّهارِ خطيبٌ، وباللّيْلِ أطِيبُ! فقلتُ: واللهِ ما أدْري أأعْجَبُ من تسَلّيكَ عنْ أُناسِكَ،

= وأحمد أي أفضل وردّاكم أي ألبسكم وأحلّكم أي أنزلكم ودار السلام أي الجنة في سورة الأنعام الآية 127: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ وكذلك في سورة يونس الآية 25. والمسلّم أي المنجي.

(1) النخبة أي المختارة والسقط هنا بمعنى اللفظ الرديء ولكنه يعني الخسيس والرذيل وعديم القيمة بعامة ومنه مثلاً سقط المتاع أي ما لاقيمة له وبغير نقط أي بغير نقش ويعني بذلك أن الخطبة كلها كانت حروفها مهملة غير معجمة والنمط الطريقة والأسلوب واستجلاء أي تبيّن وأتوسمه أي أنظر سماته أي علاماته وأجد في فعل الشيء أي اجتهد وثابر عليه.

(2) البد أي الفرار ولا بد أي لا مناص ولا فرار والصمت السكوت وأمسك أي كفّ وامتنع وتحلل من الفرض أي صار حلاً منه أي أداه وسلّم والفرض الصلاة المفروضة والانتشار التوزّع والسعي وذلك إشارة إلى الآية 10 من سورة الجمعة: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وواجهت أي قابلت وجهاً لوجه وتلقاءه من التلقاء وهي الموازاة وفي سورة القصص الآية 22: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ﴾ وابتدرت أي سارعت ولحظني أي نظرني وخفّ أي قام خفيفاً أو أسرع في الفعل وأحفى من الحفاوة أي بالغ.

(3) استصحبني أي صحبني معه وأودعني أي ائتمنني وخصائص أسراره أي أدق أسراره وانتشر جناح الظلام كناية عن حلول الليل ودخوله وحان أي آن وميقات أي وقت والمنام أي النوم والأباريق واحدها الإبريق إناء للماء من خزف له عروة وفم وبلبلة والمدام من أسماء الخمر.

(4) معكومة أي مشدودة والفدام خرقة تشد فم الإبريق لمنع الغبار أو لتصفية الشراب وحسا يحسو إذا شرب وأمام الشيء أي قبله وإمام القوم أي خطيبهم ومن يؤمهم أي يقودهم في الصلاة.

ومسقَطِ راسِكَ، أم منْ خِطابَتِكَ مع أدناسِكَ، ومَدارِ كاسِكَ؟ فأشاحَ بوجهِهِ عني، ثم قال اسمَعْ مني[1]:

لا تـبْـكِ إلْـفـاً نـأى ولا دارا ... ودُرْ مـع الـدّهـرِ كـيـفَـمـا دارا
واتّـخِـذِ الـنـاسَ كُـلّـهُـمْ سـكَـنـاً ... ومـثّـلِ الأرضَ كـلّـهـا دارا
واصْـبِـرْ عـلـى خُـلْـقِ مَـنْ تُـعـاشِـرُهُ ... ودارِهِ فـالـلّـبـيـبُ مـنْ دارى[2]
ولا تُـضِـعْ فُـرصَـةَ الـسّـرورِ فـمـا ... تـدْري أيَـوْمـاً تـعـيـشُ أمْ دارا
واعْـلَـمْ بـأنّ الـمَـنـونَ جـائِـلَـةٌ ... وقـدْ أدارَتْ عـلـى الـوَرى دارا
وأقـسَـمَـتْ لا تَـزالُ قـانِـصَـةً ... مـا كـرّ عَـصـرا الـمَـحْـيـا ومـا دارا
فـكـيـفَ تُـرْجـى الـنّـجـاةُ مـن شـرَكٍ ... لـم يـنْـجُ مـنـهُ كِـسْـرى ولا دارا[3]

قال:

فلمّا اعْتَوَرتْنا الكُؤوس، وطرِبَتِ النّفوسُ؛ جرّعَني اليَمينَ الغَموسَ، على أنْ أحفظَ عليْهِ الناموسَ. فاتّبعْتُ مَرامَهُ، ورعيْتُ ذِمامَهُ، ونزّلْتُهُ بينَ الملإ منزِلَةَ الفُضَيْلِ[4]،

---

(1) مه اسم فعل بمعنى اكفف وأطيب أي أزكو وأرغد وأنشرح وتسليك أي اشتغالك وناسك اهلك وبلدك وهي مسقط الرأس وأدناسك والواحد دنس وهي هنا العيب والوزر والإثم ومدار الشيء أي دورته وهنا دورة الكأس بين الشاربين وأشاح بوجهه أي أعرض متكرّهاً.

(2) الإلف الصاحب والخدين ونأى ابتعد والدار هنا أي البيت ودر معه أي كن معه في تقلبه ودار دوراناً أي تحرّك وعاد إلى مكانه والسكن المسكن والأهل ومثّل أي وشخّص واعتبر ودار أي منزلاً واحداً والخلق الطبيعة وتعاشر أي تصاحب وداره أي لاينه وسايسه.

(3) الدار هنا هي الحول والمنون أي المنية أي الموت وجائلة أي دائرة وأدارت أي جعلت دائرة والورى الخلق ودارا أي هالة وأقسمت أي آلت على نفسها وحلفت وقنص أي اصطاد وكرّ أي رجع والمحيا المكان الذي يحيا فيه وما دارا أي تكرر وترجى أي تأمل والشرك الفخ والأحبولة وكسرى هو خسرو أنوشروان ملك ساساني 531-579 وصار اسمه يدلّ على كل ملك في فارس ودارا ملك فارس واسمه داريوس الأول انتصر عليه اليونان في معركة ماراتون ومات في مصر سنة 490 ق م.

(4) اعتورتنا أي أصابتنا وجرّعني أي سقاني والغموس صفة اليمين الشديدة لأنها تغمس صاحبها في الإثم أو في النار إن هو نكث بها وأحفظ عليه أي أداري عليه والناموس الشرك والمصيدة وأنا =

وسدَلْتُ الذّيْلَ، على مَخازي اللّيْلِ. ولَمْ يزَلْ ذلِكَ دأبَهُ ودَابي، إلى أنْ تهيّأ إيابي؛ فودّعْتُهُ وهوَ مصرٌّ على التّدْليسِ، ومُسِرٌّ حسْوَ الخَنْدَريسِ[1].

= أذهب إلى هذا وهو ما ذهب إليه الشريشي ولكن من طريق أخرى فقال: «والناموس إظهار فعل الخير وتنامس الرجل إذا ظهر بما لا يعتقد وأصل النمس الستر وكل شيء سترت به شيئاً فهو ناموس» ومرامه أي مطلبه ورعيت أي حافظت وحفظت وذمامه أي عهده ونزّلته أي جعلته في منزلة والملأ الخلق والناس والفضيل هو الفضيل بن عياض أحد زهاد عصره عاصر الخليفة العباسي المنصور.

(1) وسدلت أي أرخيت والذيل طرف الثوب وسدل الذيل كناية عن الستر ومخازي الليل أي معايبه وفضائحه والدأب العادة والديدن وتهيّأ أي تيسّر وأمكن وإيابي أي رجوعي ومصرّ من أصرّ إذا لازم فعل أمر والتدليس كتمان العيب وتلبيسه ومسرّ من أسر إذا كتم والخندريس من أسماء الخمر.

المقامة الواسطية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

ألْجاني حُكمُ دهْرٍ قاسِطٍ، إلى أنْ أنتَجِعَ أرضَ واسِطٍ؛ فقصَدْتُها وأنا لا أعرِفُ بها سكَناً، ولا أملِكُ فيها مسْكِناً. ولمّا حللْتُها حُلولَ الحوتِ بالبَيْداءِ، والشّعرَةِ البيضاء في اللِّمّةِ السّوداء، قادَني الحظُّ الناقِصُ، والجَدُّ النّاكِصُ، إلى خانٍ ينزِلُهُ شُذّاذُ الآفاقِ، وأخْلاطُ الرّفاقِ[1]! وهوَ لنَظافَةِ مكانِهِ، وظَرافَةِ سكّانِهِ؛ يرَغِّبُ الغَريبَ في إيطانِهِ، ويُنسِيهِ هوَى أوطانِهِ. فاستَفْرَدْتُ منهُ بحُجرَةٍ، ولمْ أُنافِسْ في أُجرَةٍ. فما كان إلا كلَمْحِ طرْفٍ، أو خطّ حرْفٍ؛ حتى سمِعتُ جاري بيْتَ بيْتَ، يقولُ لنَزيلِهِ في البيتِ[2]: قُمْ يا بُنيّ! لا قَعَدَ جَدُّكَ، ولا قامَ ضِدُّكَ، واستَصْحِبْ ذا الوجْهِ البَدْريّ، واللّوْنِ الدُّرّيّ، والأصْلِ النّقيّ، والجسْمِ الشّقيّ، الذي قُبِضَ ونُشِرَ، وسُجِنَ وشُهِرَ،

(1) ألجاني أي اضطرّني والقاسط الظالم وأنتجع أي أتقصد النجعة وقد تقدم مراراً وسكناً أي أحداً أسكن إليه وحللتها نزلت بها والحوت السمكة والبيداء القفر والفلاة تبيد من سلكها واللمة الجمّة من الشعر تلمّ بالمنكب والعبارتان كناية عن الغربة القاسية وقادني أي ساقني والجد السعد المتقهقر والراجع إلى خلف وهو الناكص من نكص على عقبيه وفي سورة الأنفال الآية 48: ﴿فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ والخان الفندق ومكان نزول المسافرين وشذاذ أي من شذوا عن أوطانهم أي أنهم غرباء والآفاق واحدها أفق والعبارة تعني غرباء من كل صوب وناحية أخلاط والواحد خليط أي إنهم اجتمعوا من نواح شتّى.

(2) يرغب من أرغبه في الشيء أي جعل يميل إليه وأرغبه عنه أي جعله يعرض عنه ويزهد فيه وإيطانه أي اتخاذه وطناً واستفردت أي انفردت والحجرة البيت والغرفة وهي المراد هنا ولم أنافس أي لم أغال ولم أبالغ وهي هنا بمعنى لم أناقش أو أساوم وبيت بيت أي الساكن بجواري تماما وبيته ملاصق لبيتي والنزيل أي الساكن ونزيله الساكن معه.

وسُقِيَ وفُطِمَ، وأُدْخِلَ النّارَ بعْدَما لُطِمَ؛ ثمّ ارْكُضْ بهِ إلى السّوقِ، ركْضَ المَشوقِ، فقايِضْ بهِ اللاّقِحَ المُلْقِحَ، المُفسِدَ المُصلِحَ، المُكْمِدَ المُفرِّحَ، المُعَنّيَ المُروِّحَ[1]، ذا الزّفيرِ المُحرِقِ، والجَنينِ المُشرِقِ، واللّفْظِ المُقنِعِ، والنَّيلِ المُمْتِعِ، الذي إذا طُرِقَ، رعَدَ وبرَقَ، وباحَ بالحُرَقِ، ونفَثَ في الخِرَقِ[2].

قال: فلمّا قرّتْ شِقْشِقَةُ الهادِرِ، ولمْ يبْقَ إلا صدَرُ الصّادِرِ؛ برزَ فتًى يَميسُ، وما معَهُ أنيسٌ. فرأيْتُها عُضْلَةً تلعَبُ بالعُقولِ، وتُغْري بالدّخولِ، في الفُضولِ؛ فانطلَقْتُ في أثَرِ الغُلامِ، لأخْبُرَ فحْوَى الكلامِ. فلمْ يزَلْ يسْعى سعْيَ العَفاريتِ، ويتفَقّدُ نضائِدَ الحوانيتِ؛ حتى انْتَهى عندَ الرّواحِ، إلى حِجارَةِ القَدّاحِ؛ فناوَلَ بائِعَها رَغيفاً، وتَناوَلَ منهُ حجَراً لَطيفاً. فعَجِبْتُ منْ فَطانَةِ المُرسِلِ والمُرسَلِ، وعلِمْتُ أنّها سَروجيّةٌ وإنْ لم

(1) لا قعد جدّك دعاء له بمعنى لا انخفض ولا انحط سعدك وقام ضدك أي قام خصمك ومعاكسك ومبغضك واستصحب فعل أمر بمعنى واصحب أي خذ بصحبتك وذو الوجه البدري أي الذي وجهه يشبه البدر وهو هنا الرغيف واللون الدري نسبة إلى الدرّ والمراد البياض أيضاً والأصل النقي الذي لا تشوبه شائبة ويعني البر أي القمح والجسم الشقي الذي كتب عليه الشقاء من طحن وعجن وخبز في النار وقبض ونشر أي أخذ منه قبض بعد عجنه ثم بسط للخبز وخزن أي وضع في المخزن ويراد به القمح وشهر أي أبرز والتشهير هو أن يخرج العاصي ويدار به في الأسواق وينادى عليه وهنا قد يكون المراد الرغيف يعرض في الأسواق أو القمح وفطم أي منع عنه الرضاع والسقي وأدخل النار كناية عن خبزه ولطم أي ضرب باليد فسوّي بالكف وهو رق الخبز وأركض أي أسرع والمشوق أي المشتاق وقايض يقايض مقايضة أي بادل وعاوض شيئاً بشيء واللاقح أي الناقة يعلوها الفحل فتحمل والملقح الفحل وكنى بذلك عن الزند فجعله لاقحاً لأنه يحمل النار وملقحاً لأن به تخرج النار من الزند والمفسد المصلح يعني النار والمكمد أي المحزن والمعنّي أي المتعب والمروّح المريح.

(2) الزفير إخراج النفس ويعني بذلك الشرر تحرق ما حولها والجنين أي المستور من كل شيء والولد في الرحم والمشرق أي المضيء المنير واللفظ من لفظ إذا رمى الشيء وطرحه وإذا نطق والمقنع الذي يقنع به والمراد هنا أن المرء يقنع بالشرارة يقتبسها والنيل أي العطاء والممتع أي الذي يتمتع به وطرق أي ضرب ورعد وبرق كناية عن الصوت والتماع النار وباح بالسر إذا أفصح عنه والحرق والواحدة حرقة وهي كي النار كناية عن التهاب القلب بما يطوي ونفث في الخرق أي نفخ فيها والخرق واحدتها خرقة وهي القطعة من القماش تضرم فيها النار اقتباساً.

أسْأل[1]! وما كذّبْتُ أنْ بادَرْتُ إلى الخانِ، منطَلِقَ العِنانِ، لأنظُرَ كُنْهَ فَهْمي، وهلْ قرْطَسَ في التّكهّنِ سَهْمي. فإذا أنا في الفِراسَةِ فارِسٌ، وأبو زيْدٍ بوَصيدِ الخانِ جالِسٌ! فتَهادَيْنا بُشْرى الالتِقاء، وتقارَضْنا تحيّةَ الأصْدِقاء، ثمّ قال: ما الذي نابَكَ، حتى زايَلْتَ جَنابَكَ؟ فقلت: دهْرٌ هاضَ، وجَوْرٌ فاضَ! فقال: والذي أنزَلَ المطرَ منَ الغَمامِ، وأخرَجَ الثّمرَ من الأكْمامِ! لقدْ فسَدَ الزّمانُ، وعمّ العُدْوانُ، وعُدِمَ المِعْوانُ[2]، واللهُ المُستَعانُ! فكيفَ أفْلَتَّ، وعلى أيّ وصْفَيْكَ أجْفَلْتَ؟ فقلتُ: اتّخَذْتُ الليْلَ قَميصاً، وأدْلَجْتُ فيهِ خَميصاً! فأطْرَقَ ينكُتُ في الأرضِ، ويفكّرُ في ارتِيادِ القَرْضِ والفَرْضِ. ثمّ اهتزّ هِزّةَ مَنْ أكْثَبَهُ قنَصٌ، أو بدَتْ لهُ فُرَصٌ، وقال[3]:

---

(1) قرّت أي سكنت وهدأت والشقشقة بكسر الشينين هي النفاخة التي تخرج من فم البعير إذا هاج والهادر أي الفحل وصدر الصادر أي خروج الخارج من البيت من صدر عن الماء أي انصرف عنه ويميس أي يتثنى ويتبختر في مشيه والعُضلة الأمر المعضل أي الداهية وتلعب بالعقول أي تحيّرها وتغري أي تحرّض وترغب وتوجب والفضول اشتغال المرء فيما لا يعنيه وهي هنا الحشرية وأخبر أي أقف على خبر الكلام والفحوى أي المعنى والمضمون والعفاريت واحدها عفريت وهوالخبيث المنكر من الشياطين ويتفقّد الشيء إذا دقّق فيه النظر ليعرف أحواله والنضائد ما نضّد أي رتبّ وصُفّ والحوانيت والواحد حانوت دكّان الخمار والدكان إطلاقاً والثاني هو المراد وانتهى أي بلغ ووصل والرّواح أي العشيّ.

(2) ما كذّبت أي ما تأخرت وبادرت أي أسرعت ومنطلق العنان أي مسرعاً من غير توان وكنه الشيء حقيقته وقرطس أي أصاب الهدف وهو القرطاس والتكهّن أي التنبوء وهو هنا التخمين والظن والفراسة إدراك الباطن من النظر إلى الظاهر والوصيد عتبة الباب وفناء البيت والدار وفي سورة الكهف الآية 18: ﴿وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ﴾ وتهادينا أي أهديته وأهداني وبشرى الالتقاء غبطته وفرحه وتقارض من قارض أي قابل العمل بمثله ونابك أي عراك وأصابك وزايلت أي بارحت وغادرت وجنابك أي ناحيتك والجناب فناء الدار أو ما قرب من محلّ المرء وهاض أي كسر وهاض العظم أي كسره بعد الجبور والجور الظلم وفاض سال فتجاوز الحد والأكمام واحدتها كم وهي ما يكون فيها الثمر أي الغلاف الذي يحمي الطلع حتى يخرج ثمراً وعمّ أي شاع وشمل والعدوان الفساد والتعدي وعُدِم أي فقد والمعوان المعين والمساعد.

(3) أفلت من أفل أي غاب واستتر ووصفاك أي حالتاك من الخير والشر وأجفل إذا فرّ وهرب مسرعاً اتخذت الليل قميصاً كناية عن سراه في الليل وقد ستره الليل فعل القميص بالجسد وأدلجت أي سرت في أول الليل والخميص ضامر البطن كناية عن الجوع وينكت أي يضرب جاء في الصحاح: =

قد علِقَ بقَلْبي أن تُصاهِرَ منْ يأسو جِراحَكَ، ويَريشُ جَناحَكَ! فقلتُ: وكيفَ أجمَعُ بين غُلٍّ وقُلٍّ؟ ومنِ الذي يرْغَبُ في ضُلِّ بنِ ضُلٍّ؟! فقالَ: أنا المُشيرُ بكَ وإلَيْكَ، والوكيلُ لكَ وعليْكَ! معَ أنّ دينَ القوْمِ جبْرُ الكَسيرِ، وفكُّ الأسيرِ، واحتِرامُ العَشيرِ، واستِنْصاحُ المُشيرِ[1]. إلا أنهُمْ لوْ خطَبَ إلَيْهِمْ إبراهيمُ بنُ أدهَمَ، أو جبَلَةُ بنُ الأيْهَمِ، لما زوّجوهُ إلا على خَمْسِمائَةِ دِرْهَمٍ، اقْتِداءً بما مهَرَ الرّسولُ، صلّى اللهُ عليْهِ وسلّمَ، زوْجاتِهِ، وعقَدَ بِهِ أنكِحَةَ بَناتِهِ! على أنّك لنْ تُطالَبَ بصَداقٍ، ولا تُلْجأُ إلى طَلاقٍ. ثمّ إني سأخْطُبُ في موقِفِ عقْدِكَ، ومجْمَعِ حشْدِكَ؛ خُطبَةً لمْ تفتُقْ رَتْقَ سمْعٍ، ولا خُطِبَ بمِثْلِها في جمْعٍ![2]

= «النَّكْتُ: أن تَنْكُتَ في الأرض بقضيبٍ، أي تضرب بقضيب فتؤثِّر فيها» وارتياد أي طلب والقرض ما أعطي من غير فرض والفرض ما فرضت على نفسك عطاءه ونقل الشريشي عن الحريري القرض ما يستعاد عوضه والفرض ما لاعوض فيه واهتزّ أي تحرّك وأكثبه أي دنا منه والقنص الصيد والفرص والواحدة فرصة.

(1) يأسو أي يطبب ويداوي ويريش جناحك أي يكسوه بالريش كناية عن الغنى والغلّ واحد الأغلال وهو الحديد يجعل في العنق وكنّى بذلك عن المرأة السوء والقلّ أي قلّة المال وأما ضُلّ بن ضُل فمثل عربي قديم يعني على ما جاء في مجمع الأمثال للميداني: «ضُلُّ بْنُ ضُلٍّ يضرب لمن لا يُعْرَفُ هو ولا أبوه» وجاء في زهر الأكم لليوسي: «إنّه ضل بن ضل. بكسر الضادين وضمهما، فمعناه إنّه منهمك في الضلال، أو إنّه لا يعرف له أصل، أو إنّه لا خير فيه» وأنا المشير بك أي أرفع قدرك وأذكرك بخير فأعظم منزلتك والمشير إليك إذا حضرت أن تتزوج فيهم والوكيل لك عليهم حتى يزوّجوك والوكيل عليك لتمتثل ما آمرك بهم من الزواج فيهم ودين القوم عادتهم وسيرتهم والعشير المعاشر واستنصاح أي اعتباره نصوحاً والمشير من أشار برأي.

(2) إبراهيم بن أدهم أحد أشهر زهاد ومتعبّدي ووعّاظ عصره وهو ابن أحد ملوك بلخ. مات سنة 778 م في حملة ضد البيزنطيين ودفن في جبلة من أعمال سورية وقبره مزار مقصود وجبلة بن الأيهم آخر ملوك الغساسنة. دخل في الإسلام في عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب غير أنه سرعان ما ارتدّ وفر إلى القسطنطينية وفيها مات سنة 641 م واقتداء أي تمثّلا ومهر أي عين مهراً والإشارة هنا إلى النبي الذي كانت صدقات أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا والنش عشرون درهماً؛ جاء في المستدرك على الصحيحين للحاكم عن عمر بن الخطاب أنه قال: «ألا لا تغالوا في صدقات النساء فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها نبيكم ﷺ ما زيدت امرأة من نسائه ولا بناته على اثنتي عشرة أوقية وذلك أربع مائة درهم وثمانين=

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فازْدَهاني بوصْفِ الخُطْبَةِ المَتْلُوَّةِ، دونَ الخِطبَةِ المَجْلُوَةِ، حتى قُلتُ لهُ: قد وَكلْتُ إليْكَ هذا الخطْبَ، فدبّرْهُ تدْبيرَ منْ طَبّ لمَنْ حبّ! فنهضَ مُهَرْوِلاً، ثمّ عادَ متهلّلاً؛ وقال: أبْشِرْ بإعْتابِ الدّهْرِ. واحْتِلابِ الدّرّ! فقد وُلّيتُ العَقْدَ، وأُكفِلْتُ النّقْدَ، وكأنْ قدْ[1]! ثمّ أخذَ في مُواعدَةِ أهلِ الخانِ. وإعْدادِ حَلْواء الخِوانِ، فلمّا مدّ اللّيلُ أطْنابَهُ، وأغْلَقَ كُلُّ ذي بابٍ بابَهُ، أذّنَ في الجَماعَةِ: ألا احْضُروا في هذهِ السّاعةِ! فلَمْ يبْقَ فيهِمْ إلا منْ لَبّى صوتَهُ، وحَضرَ بيْتَهُ. فلمّا اصْطَفّوا لدَيْهِ، واجتمَعَ الشاهِدُ والمشْهودُ علَيْهِ؛ جعلَ يرْفَعُ الأصْطُرْلابَ ويضَعُهُ، ويلْحَظُ التّقويمَ ويدَعهُ[2]. إلى أن نعَسَ القوْمُ، وغشِيَ النّومُ، فقلْتُ لهُ: يا هَذا ضعِ الفاسَ في الرّاسِ، وخلّصِ النّاسَ منَ النّعاسِ! فنظَرَ نظْرَةً في النّجومِ، ثمّ انْتشَطَ منْ عُقلَةِ الوجومِ، وأقْسمَ

= درهماً الأوقية أربعون درهماً» وفي حديث أخرجه البيهقي في السنن: «سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَمْ كَانَ صَدَاقُ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَالَتْ كَانَ صَدَاقُهُ لأَزْوَاجِهِ اثْنَيْ عَشَرَةَ أَوَقِيَّةً وَنَشٌ قَالَتْ: أَتَدْرِي مَا النَّشُّ. قُلْتُ: لاَ. قَالَتْ: نِصْفُ وَقِيَّة». والصداق مهر المرأة وتُلجأ أي تضطرّ والحشد الجمع وتفتق أي تشق والرتق من رتق إذا سد ولَحَم وفي سورة الأنبياء الآية 30: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ يريد أن خطبته لم تسمع من قبل.

(1) ازدهاني أي استخفني ودعاني إلى الزهو والمتلوّة التي ستتلى وتقرأ والخطبة بالكسر أي الزوجة المخطوبة والمجلوة التي أسفرت لينظر إليها والخطب الأمر المهم وطبّ لمن حبّ مثل عربي ذكره ابن سلام في الأمثال فقال: «قال الأحمر: من أمثالهم في تحسين الحاجة والتنوق فيها قولهم: أصنعه صنعة من طب لمن حب. أي صنعة حاذق لمن يحبه». وهرول أي مشى مسرعاً ومتهللاً أي مستبشراً وإعتاب الدهر من أعتب إذا أرضاه بعد العتاب واحتلاب الدرّ أي الحليب وهو يكنّي هنا عن قضاء الحاجة ووليّت العقد أي صرت وكيلاً عن العروس وجعلني أبوها وليّاً لها وأكفلت أي وجعلني كفيلاً على أخذ النقد أي المهر وكأن قد أي وكأن قد أحضر المال وتيسّر النكاح وفي المحكم لإبن سيده: «قال النابغة: أزفَ التّرحُّلُ غيرَ أنّ ركابَنا لَمّا تَزُلْ برحالنا وكأنْ قَدِ أي وكأن قد زالت، فحذف الجملة».

(2) الخوان ما يوضع عليه الطعام والأطناب واحدها طنب وهو الحبل الطويل يشدّ به بيت الشعر ومدّ الأطناب كناية عن حلول الليل وأذن أي نادى ولبّى أي استجاب وأجاب نداءه واصطفّوا أي انتظموا صفوفاً والإصطرلاب آلة لتعيين الوقت والتقويم كتاب في حساب الفلك.

بالطُّورِ، والكِتابِ المسْطورِ، لَيَنْكَشِفَنّ سِرّ هَذا الأمْرِ المسْتورِ، ولَيَنْتَشِرَنّ ذِكْرُهُ إلى يوْمِ النُّشورِ! ثمّ إنّهُ جَثا على رُكْبَتِهِ، واستَرْعى الأسْماعَ لخُطْبَتِهِ، وقال:

الحمدُ للهِ الملِكِ المحْمودِ، المالِكِ الوَدودِ، مُصَوّرِ كُلّ مَوْلودٍ، ومآلِ كلّ مطْرودٍ! ساطِحِ المِهادِ، وموَطّدِ الأطْوادِ، ومُرْسِلِ الأمطارِ[1]، ومسَهّلِ الأوْطارِ، وعالِمِ الأسْرارِ ومُدْرِكِها، ومُدمّرِ الأمْلاكِ ومُهْلِكِها، ومُكَوّرِ الدّهورِ ومُكرّرِها، ومُوردِ الأمورِ ومُصدِرِها! عمّ سَماحُهُ وكَمَلَ، وهطَلَ رُكامُهُ وهمَلَ، وطاوَعَ السّؤلَ والأمَلَ، وأوْسَعَ المُرْمِلَ والأرْمَلَ! أحْمَدُهُ حمْداً ممْدوداً مَداهُ، وأُوَحّدُهُ كما وحّدَهُ الأوّاهُ[2]! وهوَ اللهُ لا إلَهَ للأمَمِ سِواهُ، ولا صادِعَ لِما عدّلَهُ وسَوّاهُ! أرْسَلَ محمّداً علَماً للإسْلامِ، وإماماً للحُكّامِ، ومُسدِّداً للرَّعاعِ، ومعَطّلاً أحْكامَ وُدٍّ وسُواعٍ! أعْلَمَ وعلّمَ، وحكَمَ وأحْكَمَ، وأصّلَ الأصولَ ومهّدَ، وأكّدَ الوعودَ وأوْعَدَ! واصَلَ اللهُ لهُ

(1) يدعه أي يتركه وأي غطّى وضع الفاس في الراس عبارة تحض المستمع على الأخذ فيما هو بصدده دون توان ونظر نظرة في النجوم عبارة قرآنية في الآية 88 من سورة الصافات وانتشط أي انحل وقام نشيطاً والعقلة بضم العين ما يعقل به كالقيد أو العقال والوجوم السكوت والعجز عن الكلام من شدة حزن أو خوف وأقسم أي حلف والطور الجبل في سيناء الذي كلّم الله عليه موسى والعبارة كلها من سورة الطور الآية 1 – 2. ولينتشرن أي ليشتهرن ولينكشفن والنون للتوكيد ويوم النشور من أسماء يوم القيامة وأنشر الله الميت إذا بعثه حيّاً وجثا أي جلس على ركبتيه واسترعى أي استدعى والأسماع واحدها سمع أي الآذان ومآل أي مرجع والمطرود أي المنفي وساطح أي باسط والمهاد أي الأرض المنخفضة المستوية وهو الفراش وموطّد أي مثبّت والأطواد واحدها طود وهو الجبل.

(2) الأوطار واحدها وطر وهو الحاجة ومسهلها أي ميسّرها وأدرك الشيء بلغه أو وقف عليه ومدمّر أي مبيد والأملاك واحدها ملك ومهلكها أي مفنيها ومكوّر من كوّر أي لفّ الشيء على آخر مستدير وقد وردت المادة ثلاث مرات في القرآن ومكررها أي مرددها ومورد الأمم ومصدرها أي الذي يأتي ويذهب بها أي يخلقها ويفنيها وعمّ أي شمل وسماحه أي كرمه وفضله وهطل أي وهمل أي صبّ والركام السحاب الكثيف وطاوع مطاوعة أي وافق والسؤل أي المطلوب وأوسع أي أغنى وجعل في سعة والمرمل من نفد زاده والأرمل الزوج إذا فقد زوجته ومن رقت حاله والأرامل تقال للرجال وللنساء ومداه أي غايته والأوّاه الكثير التأوّه والتحسّر والعبارة تلاحظ الآية 114 في سورة التوبة: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾.

الإكْرامَ، وأوْدَعَ روحَهُ دارَ السّلامِ، ورَحِمَ آلَهُ وأهْلَهُ الكِرامَ! ما لَمَعَ آلٌ، وملَعَ رالٌ، وطلَعَ هِلالٌ، وسُمِعَ إهلالٌ[1]!

إعْمَلوا رعاكُمُ اللهُ أصلَحَ الأعْمالِ، واسْلُكوا مسالِكَ الحلالِ! واطّرِحوا الحَرامَ ودعوهُ، واسْمَعوا أمرَ اللهِ وعُوهُ! وصِلوا الأرْحامَ وراعوها، وعاصوا الأهْواءَ وارْدَعوها! وصاهِروا لُحَمَ الصّلاحِ والوَرَعِ، وصارِموا رهْطَ اللّهْوِ والطّمَعِ! ومُصاهِرُكُمْ أطْهَرُ الأحْرارِ مولِداً، وأسْراهُمْ سؤدَداً، وأحْلاهُمْ مَوْرِداً، وأصحّهم موْعِداً! وها هُوَ أمّكُمْ[2]، وحلّ حرَمَكُمْ؛ مُمْلِكاً عَروسَكُمُ المُكرّمَةَ، وماهِراً لها كما مهَرَ الرّسولُ أمّ سلمَةَ! وهوَ أكْرَمُ صِهْرٍ أودِعَ الأوْلادَ، ومُلّكَ مَنْ أرادَ، وما سَها مُمْلِكُهُ ولا وَهِمَ، ولا وَكِسَ مُلاحِمُهُ ولا وُصِمَ! أسْألُ اللهَ لكُمْ إحْمادَ وِصالِهِ ودَوامَ

(1) صادع من صدع إلى الشيء مال إليه وصدع عنه أي أعرض وانصرف وعلماً أي علامة ومسدداً أي مرشداً ومقوّماً والرعاع الجهال وأرذال الخلق ومعطّلاً أي مبطلاً ومنهياً وود وسواع صنمان كانا يعبدان قبل المبعث النبوي وأعلم أي أخبر وبلّغ وعلّم أي عرّف وحكم أي قضي وأحكم أي أتقن وأصّل الشيء أي جعل له أصلاً ثابتاً وأصّل الأصول أي ثبتها والأصول هنا أصول الشريعة ومهّد أي سوّى ووطّأ وأكّد تأكيداً لغة في وكّد أي شدّ ووثّق والوعود واحدها وعد وأوعد أي وهدّد والوعيد هو التهديد وواصل أي تابع ووالى والآل السراب وملع أي أسرع ورال أو رأل وهو فرخ النعام والإهلال رفع الصوت بالتلبية في مكة.

(2) ورعاكم الله أي حفظكم وصانكم واطّرحوا أي وانبذوا وعوه فعل أمر من وعى إذا فهم وأدرك المراد وعاصوا أي واعصوا والأهواء أي الميول وواحدها هوى واردعوها من ردع إذا زجر ونهى ومنع وصاهروا أي واتخذوا أصهاراً أي تزوجوا ولحم الصلاح أي أهل الصلاح واللحم والواحدة لحمة أي القرابة وصارموا أي وقاطعوا والرهط الجماعة اللهو كل ما تلهو به ويشغلك ومصاهركم أي هذا المتزوج إليكم وأسراهم أي أشرفهم والسؤدد القدر الرفيع والسيادة وأصحهم موعداً أي أصدقهم وأمّكم أي غشيكم وقصدكم وحلّ أي نزل وحرمكم أي ساحتكم وبلدكم ومملكاً من أملك أي متزوجاً والإملاك التزويج الذي به تملك المرأة وأم سلمة إحدى نساء النبي وهي هند بنت أبي أمية (596 - 681 م) وكانت قرشية مخزومية وتزوجها النبي سنة أربع وتوفيت في ذي القعدة سنة تسع وخمسين وكان لها يوم ماتت أربع وثمانون سنة ودفنت بالبقيع أما مهرها فعن أنس أنه قال إن النبي تزوج أم سلمة على متاع بيت قيمته عشرة دراهم.

إسْعادِهِ، وألْهَمَ كُلاً إصْلاحَ حالِهِ والإعْدادَ لمَعادِهِ! ولهُ الحمْدُ السّرمَدُ، والمدْحُ لرَسولِهِ محمّدٍ[1]!

فلمّا فرَغَ منْ خُطبَتِه البَديعةِ النّظامِ، العَريّةِ منَ الإعْجامِ؛ عقَدَ العقْدَ على الخمْسِ المِئِينَ، وقال لي: بالرِّفاء والبَنينَ! ثمّ أحضرَ الحَلْواءَ التي كانَ أعدّها، وأبْدى الآبِدَةَ عندَها. فأقبلْتُ إقْبالَ الجماعَةِ علَيْها، وكِدْتُ أهوي بيَدي إلَيْها. فزجَرَني عنِ المؤاكَلَةِ، وأنْهَضَني للمُناوَلَةِ. فوَاللهِ ما كان بأسرَعَ منْ تصافُحِ الأجْفانِ؛ حتى خرّ القوْمُ للأذْقان. فلمّا رأيتُهُمْ كأعْجازِ نخْلٍ خاوِيَةٍ، أو كصَرْعى بنتِ خابيَةٍ! علِمْتُ أنّها لإحْدى الكُبَرِ، وأمُّ العِبَرِ، فقلتُ له[2]: يا عُدَيّ نفْسِهِ، وعُبَيْدَ فَلْسِهِ! أعددتَ للقَوْمِ حُلوى، أم بَلْوى؟! فقال: لمْ أعْدُ خَبيصَ البَنْجِ، في صِحافِ الخلَنْجِ! فقلتُ: أُقسِمُ بمَنْ أطْلَعَه زُهْراً، وهَدَى بها السّارينَ طُرّاً، لقدْ جِئْتَ شيئاً نُكْراً، وأبقَيْتَ لكَ في المُخزِياتِ ذِكْراً[3]! ثمّ جِزْتُ فِكرةً في صَيّورِ أمرِهِ، وخيفَةً منْ عذوى

---

(1) سها أي غفل أخطأ ومملكه أي منكحه الذي أعطاه وليّته ووهم أي غلط ووكس أي غبن وخسر وملاحمه أي مصاهره وقد تقدم ذكر اللحمة آنفاً ووصم أي عيب والإحماد من أحمده إذا وجده مستحقاً للحمد والإعداد أي التجهيز والمعاد أي يوم القيامة والسرمد أي الدائم.

(2) البديعة النظام أي الغريبة التأليف والعرية أي العاطلة والعارية والإعجام أي التنقيط وبالرفاء والبنين كلمة دعاء تقال عقب التزويج والرفاء الموافقة والاجتماع والبنين أي الأولاد وأبدى أي أظهر والآبدة الداهية وأهوي بيدي أي أمد يدي بسرعة وأنهضني أي أقامني وللمناولة أي لتقديم الطعام وتصافح الأجفان أي تلاقيها وخرّ أي سقط وخروا للأذقان أي سقطوا على وجوههم وأعجاز نخل خاوية أي أصول نخل فارغة متآكلة والعبارة قرآنية من الآية 7 في سورة الحاقة: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ وصرعى أي قتلى وبنت الخابية أراد بها الخمرة والكبر واحدتها الكبرى أي الداهية العظمى والعبارة قرآنية من سورة المدثر الآية 35: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾. وأم العبر أي ما يتعظ به وأم الشيء أكبره.

(3) عديّ تصغير عدو وعبيد تصغير عبد والفلس واحد الفلوس والبلوى المصيبة والبلية ولم أعد أي لم أتجاوز والخبيص ضرب من الحلوى والبنج عقار مخدّر ومنوّم والصحاف واحدتها صحفة وهي إناء الطعام والخلنج شجر تعمل منه آنية الطعام وأطلعها أي أظهرها وأبرزها وزهراً أي مضيئة والمراد أنه يحلف بالنجوم وهدى أي وأرشد والسارين من يسيرون في الليل وطرّاً أي جميعاً ولقد جئت شيئاً نكراً أي أقدمت على فعل منكر والعبارة من سورة الكهف الآية 74: =

عرّهِ؛ حتى طارَتْ نفسي شَعاعاً، وأُرعِدَتْ فَرائِصي ارْتِياعاً! فلمّا رأى استِطارَةَ فرَقي، واسْتِشاطَةَ قلَقي؛ قال: ما هَذا الفِكْرُ المُرْمِضُ، والرّوْعُ المومِضُ؟ فإنْ يكُنْ فِكرُكَ في أجْلي، منْ أجْلي، فأنا الآنَ أرتَعُ وأطْفِرُ، وأقوِي هذِهِ البُقْعَةَ مني وأُقفِرُ، وكمْ مثلِها فارَقْتُها وهيَ تصفِرُ[1]! وإنْ يكُنْ نظَراً لنفْسِكَ، وحذَراً منْ حبسِكَ؛ فتناوَلْ فُضالَةَ الخَبيصِ، وطِبْ نفْسًا عنِ القَميصِ، حتى تأمَنَ المُستَعديَ والمُعْديَ، ويتمهّدَ لكَ المُقامُ بعْدي، وإلا فالمفرَّ المفَرَّ، قبْلَ أن تُسْحَبَ وتُجَرَّ[2]. ثمّ عمَدَ لاستِخْراجِ ما في البيوتِ، منَ الأكْياسِ والتّخوتِ، وجعلَ يستَخْلِصُ خالِصَةَ كلّ مخزونٍ، ونُخبَةَ كلّ مَذْروعٍ وموزونٍ؛ حتى غادرَ ما ألْغاهُ فخُّهُ، كعظْمٍ استُخرِجَ مُخُّهُ! فلمّا همّنَ ما اصْطَفاهُ ورزَّمَ، وشمّرَ عنْ ذِراعَيْهِ وتحزّمَ، أقبَلَ عليّ إقْبالَ منْ لبِسَ الصّفاقَةَ، وخلَعَ

= ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾. والمخزيات أي النقائص المعيبة المخزية والذكر السمعة.

(1) حرت أي تحيرت وفكرة أي تحيّرت في فكري وصيور أمره أي عاقبة أمره ومآله وخيفة أي وخوفاً والعدوى انتقال الداء إلى مجاور المصاب به والعرّ الجرب وطارت نفسي شعاعاً عبارة شعرية هي لقطري بن الفجاءة حيث يقول:

«أقــولُ لَــهــا وَقَــد طــارَت شَــعــاعــاً ... مِــنَ الأبــطــالِ وَيــحَــكَ لَــن تُــراعــي»

وطارت شعاعاً أي تفرّقت كناية عن الخوف وأرعدت أي ارتجفت وأصابتها الرعدة من خوف أو حزن والفرائص واحدتها فريصة وهي اللحمة بين الكتف والجنب ترتعد عند الفزع والارتياع الفزع والخوف واستطارة أي انتشار وشمول والفرق الخوف والفزع واستشاطة أي احتدام والقلق الاضطراب وعدم الاستقرار والمرمض أي المحرق والروع أي الفزع والمومض أي الذي يومض فيعشي من يراه والأجل غاية الوقت والتأخير ومن أجلي أي لأجلي وبسببي يقول فإن كنت تريد تأخير بسبب ما جنيته أنا وارتع من رتع إذا أقام في المكان فأكل وشرب وتنعّم وأطفر أي أثب وأفرّ وأقوي أي أترك قفراً وأقفر أي خلي وتصفر أي تصوّت وقد خلت.

(2) نظراً لنفسك أي تفكّراً في ما سيؤول إليه أمرك وحذراً أي تحسّباً وتناول أي خذ وفضالة الخبيص أي ما بقي منه وطب نفساً أي واسمح بنفس طيبة والمستعدي أي الشاكي والمعدي أي الحاكم يقول فإذا كنت تفكر في أمرك وتخاف حبسك فكل من الخبيص ولا تأسف على القميص فتأمن بذلك من الشاكي ومن الحاكم إذ ستحسب في عداد وجملة من سُرقوا ويتمهّد أي يتوطأ والمقام أي الإقامة والمفر المفر أي فرّ بنفسك ولا تلبث.

الصّداقَةَ، وقال: هلْ لكَ في المُصاحبَةِ إلى البَطيحَةِ، لأزوّجَكَ بأخْرى مَليحَةٍ؟ فأقْسَمْتُ لهُ بالذي جعلَهُ مُبارَكاً أيْنَما كان، ولَمْ يجْعَلْهُ ممّنْ خانَ في خانٍ، إنهُ لا قِبَلَ لي بنِكاحِ حُرّتَينِ[1]، ومُعاشَرَةِ ضَرّتَينِ. ثمّ قلتُ لهُ قوْلَ المتطبّعِ بطِباعِهِ، الكائِلِ لهُ بصاعِهِ: قدْ كفَتْني الأولى فخْراً، فاطْلُبْ آخرَ للأخْرى! فتبسّمَ منْ كلامي، ودلَفَ لالْتِزامي، فلوَيْتُ عنهُ عِذاري، وأبدَيْتُ لهُ ازْوِراري. فلمّا بصُرَ بانقِباضي، وتجلّى لهُ إعْراضي، أنشدَ[2]:

يــا صــارِفــاً عــنّــي الــمــو ... دّةَ والــزّمـــانُ لـــهُ صُـــروفْ
ومُــعــنّــفــي فــي فــضْــحِ مــنْ ... جــاوزْتُ تــغْــنــيــفَ الــعَــسـوفْ
لا تــلْــحِــنــي فــيــمــا أتــيْـ ... ـتُ فــإنّــنــي بــهــمُ عَــروفْ
ولــقــدْ نــزلْــتُ بــهــمْ فــلــمْ ... أرَهُــم يُــراعــونَ الــضّــيــوفْ
وبــلَــوْتُــهُــمْ فــوجــدْتُــهُــمْ ... لــمّــا ســبَــكْــتُــهُــمُ زُيــوفْ[3]

---

(1) والأكياس أوعية المال والتخوت والواحد تخت أي أوعية الثياب ويستخلص أي يختار وخالصة الشيء خياره والنخبة أي المختار والمذروع يعني بذلك ما يقاس بالذراع وهو القماش والثياب والموزون أي ما يوزن ويعني بذلك الجواهر والدنانير وما شاكل وغادر أي ترك وألغاه فخّه أي تركه وفاته يقول حتى انصرف وبدا ما لم تشمله مكيدته كعظم استخرج مخّه أي لبّه وهمّن أي وضع في الهميان وشدّه والهميان وهو التكّة وهو الكيس تجعل فيه النفقة واصطفاه أي انتقاه واختاره ورزّم أي جعل رزمة وهي ما يجعل فيها أخلاط الثياب وأشياء أخرى وأقبل علي أي اقترب مني والصفاقة أي الوقاحة وصلابة الوجه وخلع أي نزع عنه والبطيحة اسم مكان بين البصرة وواسط وخان أي غدر والخان مكان نزول المسافرين ولا قبل لي أي لا طاقة ونكاح حرتين أي الزواج بهما.

(2) ومعاشرة ضرتين أي الإقامة مع زوجتين مجتمعتين في عصمة والضرّة إحدى نساء الرجل والمتطبع بطباعه أي المتخلّق بأخلاقه والكائل من كال أي وزن وبصاعه أي مكياله والصاع مكيال للحبوب قدره أربعة أمداد والكيل بصاعه يعني أنه يعطيه مثل ما أعطاه ودلف أي أسرع والتزامي أي معانقتي وضمّي ولويت أي عطفت وعذاري جانب وجهي والعذار الشعر النابت في الوجه والمراد أنه أعرض عنه ومال بوجهه وأبديت أي أظهرت وازوراري أي إعراضي وانقباضي وتجلّى له أي ظهر وبان.

(3) صرف عنه الشيء أي ساقه وحوّله عنه والمودّة أي المحبة والصروف التقلبات ومعنّفي أي لائمي=

ما فيهِمِ إلا مُخيـ ـفٌ إنْ تمكّنَ أو مَخوفْ
لا بالصّفيّ ولا الوَفيّ ولا الحَفيّ ولا العَطوفْ
فوثبْتُ فيهمْ وثْبَةَ الـ ـذئبِ الضّريّ على الخَروفْ
وتركتُهُمْ صرعى كأنهـ ـمُ سُقُوا كأسَ الحُتوفْ
وتحكّمَتْ في ما اقْتَنو هُ يَدي وهُمْ رُغْمُ الأنوفْ
ثمّ انْثَنَيْتُ بمَغْنَمٍ حُلْوِ المَجاني والقُطوفْ[1]
ولَطالَما خلّفْتُ مكْـ ـلومَ الحشى خلْفي يطوفْ
ووَتَرْتُ أرْبابَ الأرا ئِكِ والدّرانِكِ والسّجوفْ
ولَكَمْ بلغْتُ بحيلَتي ما ليسَ يُبلَغُ بالسّيوفْ
ووَقفْتُ في هوْلٍ تُرا عُ الأسْدُ فيهِ منَ الوقوفْ[2]
ولكَمْ سفكْتُ وكَمْ فتكْـ ـتُ وكمْ هتكْتُ حِمى أَنوفْ

= وموبخي يعنف ومن جاورت أي جيراني والعسوف الظالم المتشدد ولا تلحني من لحى أي لام وعرف أي عارف ويراعون أي يحفظون حقوق الضيوف وبلوتهم أي وخبرتهم وسبكتهم أي خبرتهم والسبك يكون تذويب الذهب لتنقيته مما فيه من شوائب ثم صبه في قالب وزيوف والواحد زيف وهو المغشوش من الدراهم يريد أن يقول إنه لم يجدهم كراماً.

(1) المخيف المفزع وإن تمكن أي إن واتته المكنة والقدرة والمخوف أي من لا يُقدم عليه خوف ضرره والصفي الصديق المخلص والحفي الكثير الحفاوة والعطوف الرحيم يقول ليس فيهم لا الصديق الصادق ولا الوفي الذي لا يخون ولا الذي يحتفي بك ولا الذي يرحمك والضريّ أي الضاري وصرعى أي قتلى أو المطروحون على الأرض لا يعون شيئاً وكأس الحتوف والواحد حتف أي كأس المنايا وتحكّمت أي تصرفت كما تشاء واقتنوه حازوه وادّخروه ورغم الأنوف أي أذلاء مقهورون وانثنيت أي عدت والمغنم الغنيمة والمجاني ما يجنى من ثمار والقطوف أي ما يقتطف من الثمار أيضاً.

(2) خلّفت أي تركت خلفي ومكلوم أي مجروح الحشا أي الجوف وهو هنا الفؤاد ويطوف أي يجول ووتره أي أصابه بظلم أو مكروه أو نقص في مال أو حق وفي سورة محمد الآية 35: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ وأرباب أي أصحاب والأرائك والواحدة أريكة وهي الأسرّة والدرانك والواحدة درنكة أي الطّنفسة والسجوف والواحد سِجف أي الستر وتراع أي تفزع.

وكَـمِ ارْتِـكـاضٍ مـوبِـقٍ لـي فـي الـذّنـوبِ وكـم خُـفـوفْ
لـكـنّـنـي أعـدَدْتُ حُـسْـنَ الـظّـنّ بـالـمَـوْلـى الـرّؤوفْ[1]

قال:

فلمّا انتهى إلى هذا البيتِ لجّ في الاستِعْبارِ، وألَظَّ بالاستِغْفارِ؛ حتى اسْتَمالَ هوَى قلْبي المُنحرِفِ، ورجَوْتُ لهُ ما يُرْجى للمُقْتَرِفِ المُعْتَرِفِ. ثمّ إنّهُ غيّضَ دمْعَهُ المُنْهَلّ، وتأبّطَ جِرابَهُ وانْسَلّ، وقال لابنِهِ: احتَمِلِ الباقي، واللهُ الواقي[2]!

قال المُخْبِرُ بهذِه الحِكاية:

فلمّا رأيتُ انْسِيابَ الحيّةِ والحُيَيّةِ، وانتِهاءَ الدّاء إلى الكَيّةِ، علِمْتُ أن ترَبُّثي بالخانِ، مَجْلَبَةٌ للهَوانِ، فضمَمْتُ رُحَيْلي، وجمَعْتُ للرّحلَةِ ذَيْلي؛ وبِتُّ ليْلَتي أسْري إلى الطّيبِ، وأحتَسِبُ اللهَ على الخَطيبِ[3]!

---

(1) سفكت أي أرقت الدم وفتكت أي قتلت على حين غرّة وهتكت استبحت وحمى أي ما يحمي ويمنع والأنوف العزيز وذو الحمية والارتكاض أي الركض والموبق المهلك والخفوف أي الإسراع وأعددت أي جهزت والمولى الرؤوف أي الرحيم وهو الله.

(2) لجّ أي ألح وزاد وأكثر والاستعبار البكاء وألظّ أي لازم واستمال أي أمال والمنحرف أي المائل عنه والمقترف المعترف أي الذي ارتكب إثماً لكنه اعترف وأقرّ به وغيّض أي جفّف وغيّب والمنهل أي المتساقط وتأبّط أي جعل تحت إبطه وانسلّ أي ذهب متحرزاً أن يراه أحد واحتمل فعل أمر بمعنى احمل والباقي أي ما بقي والواقي أي الحافظ.

(3) الحيية تصغير الحيّة ويراد بذلك الإبن وانتهاء الداء إلى الكية أي بلوغ الأمر غايته التي لايمكن تجنّبها وفي الأمثال آخر الداء أو الدواء أو الطب الكي يعني أن لا حيلة بعد ذلك والتربّث أي إطالة الجلوس والإقامة مجلبة للهوان أي تجلب الذل والإهانة وضممت أي جمعت ورحيلي تصغير رحلي وهو ما يرحل عليه وجمعت ذيلي كناية عن الأهبة للرحيل والطيب اسم مكان واحتسب أي ادعو وأقول حسبي الله واحتسب عليه عمله أي أنكره وطلب إلى الله ثواب إنكاره.

المقامة الصّوريّة

حكى الحارثُ بنُ همّام قال:

ارْتَحلْتُ من مدينةِ المنصورِ، إلى بلدَةِ صورٍ. فلمّا حصلْتُ بها ذا رِفعَةٍ وخفضٍ، ومالِكَ رفْعٍ وخفضٍ، تُقْتُ إلى مِصْرَ توَقانَ السّقيمِ إلى الأُساةِ، والكريمِ إلى المؤاساةِ، فرفَضْتُ علائِقَ الاستِقامَةِ، ونفَضْتُ عوائِقَ الإقامةِ، واعْرَوْرَيْتُ ظَهْرَ ابنِ النّعامَةِ، وأجفَلْتُ نحوَها إجْفالَ النّعامَةِ[1]. فلمّا دخلْتُها بعدَ مُعاناةِ الأينِ، ومُداناةِ الحَيْنِ، كلِفْتُ بها كلَفَ النّشْوانِ بالاصْطِباحِ، والحَيْرانِ بتنفُّسِ الصّباحِ. فبَينَما أنا يوْمًا بها أطوفُ، وتحْتي فرسٌ قَطوفٌ؛ إذ رأيتُ على جُرْدٍ منَ الخيْلِ، عُصبَةً كمَصابيحِ الليْلِ، فسألْتُ لانتِجاعِ النّزْهَةِ، عنِ العُصبَةِ والوِجهَةِ، فقيلَ: أما القومُ فشُهودٌ، وأمّا المقْصِدُ فإمْلاكٌ مشهودٌ[2]! فحدَتْني مَيعَةُ النّشاطِ، على أنْ سِرْتُ

(1) مدينة المنصور هي بغداد وسميّت كذلك لأن المنصور الخليفة العباسي الثاني هو من بناها والمنصور هو أبو جعفر عبدالله بن محمد ولد سنة 714 وتوفي سنة 775 وخلف أخاه السفاح سنة 457 م. وصور مدينة على شاطئ المتوسط في جنوب لبنان أسسها الفينيقيون في الألف الثالث قبل الميلاد وذو رفعة أي ذو مكانة رفيعة وخفض أي طيب عيش وأما الرفع والخفض فكناية عن التمكن حتى أن بوسعه أن يرفع أناساً ويخفض أي يحط أناساً ولكن الشريشي فسّر العبارة بأنه أصبح صاحب أحمال ترفع على الإبل في السفر وتحطّ عنها للنزول ولا أحسب الأمر كذلك وتقت أي اشتقت وتوقان أي إشتياق والسقيم أي العليل والأساة أي الأطبّاء والمواساة تقدمت مراراً وهي أن يجعلك أسوة نفسه في ماله ورفضت أي نبذت وتركت وعلائق والواحدة علاقة وهي الصلة والارتباط وما تعلّق بالإنسان من مال وزوج وولد واستقام أي استوى واعتدل ونفضت أي وأزلت والعوائق والواحد عائق الموانع واعروريت أي ركبت عرياً وابن النعامة الطريق وما تحت القدم وأجفلت أي أسرعت والنعامة يضرب بها المثل في العدو.

(2) المعاناة المقاساة والمكابدة والأين الإعياء والتعب والفتور ومداناة أي الدنو والاقتراب والحين =

معَ الفُرّاطِ؛ لأفوزَ بحلاوَةِ اللُّقاطِ، وأحوزَ حَلْواءَ السِّماطِ. فأفْضيْنا بعدَ مُكابدَةِ العَناء، إلى دارٍ رفيعَةِ البِناء، وسيعَةِ الفِناء، تشهَدُ لِبانيها بالثّراء والسّناء. فلمّا نزلْنا عنْ صهَواتِ الخُيولِ[1]، وقدّمنا الأقْدامَ للدّخولِ؛ رأيتُ دِهْليزَها مُجَلّلاً بأطْمارٍ مُخرّقةٍ، ومُكلّلاً بمخارِفَ معلّقَةٍ، وهناكَ شخصٌ على قَطيفَةٍ، فوقَ دَكّةٍ لَطيفَةٍ. فرابني عُنوانُ الصّحيفةِ، ومرْأى هذِه البدعة الطّريفَةِ، ودعاني التّطيّرُ بتِلْكَ المناحِسِ، إلى أن عمَدْتُ لذَلِكَ الجالِسِ؛ فعزَمْتُ عليْهِ بمُصَرِّفِ الأقدارِ، ليُعَرّفَني مَنْ رَبُّ هذهِ الدّارِ، فقال[2]: ليسَ لها مالِكٌ معيَّنٌ، ولا صاحِبٌ مُبيَّنٌ! إنّما هيَ مَصطَبَةُ المُقيِّفينَ

= أي الموت والهلاك وكلفت بها أي عشقتها وولعت بها والنشوان أي السكران والاصطباح الشرب في الصباح والحيران أي المهموم وتنفّس الصباح طلوعه وانبلاجه والفرس القطوف أي البطيء القصير الخطى وجرد والواحد أجرد أي قصير الشعروالمراد أن الخيل ملس والعصبة جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين وانتجاع النزهة أي طلبها وهي التنزّه والوجهة القصد والغاية والجهة وشهود والواحد شاهد من يشهد على أمر والمقصد الغاية فإملاك أي عرس وزواج والمشهود أي محضور.

(1) حدتني أي ساقتني وميعة الشيء أوله وميعة النشاط أي في غاية النشاط والفرّاط والواحد فارط أي الذي يسبق القوم إلى الماء والكلأ واللقاط أي ما يلتقط من نثار العرس وأحوز أي أحصل والسماط هو الصف ولكنه هنا الخوان مدت عليه صفوف الأطعمة وأفضينا أي وصلنا ومكابدة أي مقاساة والعناء التعب وفناء الدار باحته وساحته وما حوله والثراء الغنى وكثرة المال والسّناء الشرف والرفعة الصهوات واحدتها صهوة أي ظهورها.

(2) الدهليز هو ما بين الباب والدار ومجللاً أي مغطى ومستوراً والأطمار واحدها طمر وهو الثوب البالي ومكللاً أي مزينة أعاليه والإكليل التاج وشبه عصابة تزيّن بالجوهر أو ضفيرة من أغصان وأوراق كإكليل الغار مثلاً والمخارف واحدها مخرف وهو قفّة المكدي وزنبيله جاء في تاج العروس: «والمِخْرَفُ كمِنْبَرٍ: زِنْبِيلٌ صَغِيرٌ يُخْتَرَفُ فِيهِ مِن أطايِبِ الرُّطَبِ هذا نَصُّ العُبَابِ وأَخْصَرُ منه عبارةُ الرَّوْضِ: الْمِخْرَفُ بكَسْرِ المِيمِ: الآلَةُ التي تُخْتَرَفُ بها الثِّمَارُ وأَخْصَرُ منه عِبَارَةُ الجَوْهَرِيّ: الْمِخْرَفُ بالكَسْرِ: ما تُجْتَنَى فيه الثِّمَارُ ومن سَجَعَاتِ الأَسَاسِ: خَرَجُوا إِلَى المَخَارِفِ بالمَخَارِفِ أي: إلى البَسَاتِينِ بالزُّبُلِ» والقطيفة دثار أو كساء من مخمل والدكّة أي بناء يسطّح للجلوس عليه ورابني أي أثار ريبي وشكّي وعنوان الصحيفة مطلعها وهو يكنّى هنا عما رآه بادئ الأمر ومرأى أي رؤية والبدعة أي الشيء المبتدع ولم يفعل من قبل والطريفة النادرة المستظرفة والتطيّر التشاؤم وأصل التطير يكون في النظر إلى الطير ومراقبة جهة طيرانه كما تقدّم والمناحس من النحس وهو الشؤم وسوء الطالع يقول إبراهيم القائني الملقب ببزرجمهر:

«لقد حال دون الورد برد مطاول ... كأن سعوداً غيبت في مناحس» =

والمدَرْوِزينَ، ووَليجَةُ المُشَقشِقينَ والمُجَلْوِزينَ. فقلتُ في نفسي: إنّا للهِ على ضِلّةِ المسْعى، وإمْحالِ المرْعى! وهمَمْتُ في الحالِ بالرُّجْعى، لكنّي استَهْجَنتُ العَوْدَ منْ فوْري، والقهْقَرَةَ دونَ غيري. فوَلجْتُ الدّارَ متجرِّعاً الغُصَصَ، كما يلِجُ العُصفورُ القفَصَ! فإذا فيه أرائِكُ منقوشَةٌ، وطنافِس مفروشَة، ونمارِق مصفوفة، وسُجُوف مرصوفة، وقد أقبَلَ المُمْلِكُ يَميسُ في بُردتِهِ، ويتَبَهْنَسُ بين حفَدَتِهِ[1]. فحين جلَسَ كأنّهُ ابنُ ماء السّماء، نادى مُنادٍ منْ قِبَلِ الأحْماء: وحُرْمَةِ ساسانَ أُستاذِ الأستاذينَ، وقدوةِ الشّحاذينَ! لا عقَدَ هذا العقْدَ المُبجَّلَ، في هذا اليوم الأغرّ المحجَّلِ، إلا الذي جالَ وجابَ، وشبّ في الكُدْيَةِ وشابَ! فأعْجَبَ رهْطَ الصِّهْرِ ما أشاروا إليْهِ،

= والمناحس هنا أي علامات النحس وعمدت أي قصدت وعزمت أي أقسمت ومصرّف الأقدار أي مدبّرها والمتحكّم فيها وهو الله ورب الشيء مالكه وصاحبه.

(1) المصطبة مكان ممهّد مرتفع عن الأرض قليلاً يتخذ مجلساً والمقيفون الذين يقفون آثار الناس يطلب لهم شيئاً ويدعو لهك والمدروزين من دروز إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء وفي القصيدة الساسانية: «ومن دروز أو حرز أو كوز بالدغر»، حرز: إذا كتب التعاويذ والحراز، كوز: إذا أقام في المجلس، والمكوز: هو الذي يقوم في مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه. والدغر: المقاسمة. الجلوزة الخفة في الذهاب والمجيء والجلواز الشرطي والذي يخف في الذهاب والمجيء بين يدي الأمير والوليجة المدخل والمشقشقين إنّا لله عبارة تقال في مقام الحسرة والتسليم بقضاء الله وضلّة المسعى أي ضلاله وخيبته والمسعى السعي بسرعة وإمحال أي جدب وإقفار وهمّ بالشيء أراده وعزم على فعله وبالرجعى أي بالرجوع واستهجن الشيء استقبحه ومن فوري أي حالاً وعلى الفور والقهقرة التراجع إلى خلف وولج أي دخل ومتجرّعاً أي شارباً الجرعة تلو الجرعة وهي الشربة والغصص واحدتها غصّة والعبارة كناية عن كراهة ما صار إليه والأرائك واحدتها أريكة أي سرر والطنافس واحدتها طنفسة وهي بسط تفرش والنمارق والواحدة نمرقة وهي وسادة صغيرة يتكأ عليها وفي سورة الغاشية الآية 15: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ والسجوف أي الستور والمرصوفة المضمومة والملتصقة وأقبل أي جاء المملك أي العروس ويميس أي يتخايل والبردة الثوب ويتبهنس أي يتبختر يقول بديع الزمان في المقامة البشرية: «تَبَهْنَسَ إذْ تَقاعَسَ عَنْهُ مُهْرِي مُحاذَرَةً، فَقُلْتُ: عُقِرْتَ مُهْرَا» ويقول ابن الرومي: «خَنِثُ الدلال إذا تَبهنَس أونَقَتْ حركاتُه وإذ تكلَّم أطربا» والحفدة الخدم والأعوان من حفد إذا خدم والحفدة والواحد حفيد أولاد الإبن أو البنت وفي سورة النحل الآية 72: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً﴾.

وأذِنوا في إحْضارِ المنصوصِ عليْهِ[1]. فبرزَ حينئذٍ شيخٌ قد أمالَ الملَوانِ قامتَهُ، ونوّرَ الفَتَيانِ ثَغامتَهُ. فتباشرَتِ الجماعةُ بإقْبالِهِ، وتبادَرَتْ إلى استِقبالِهِ. فلمّا جلَس على زُرْبِيّتِهِ، وسكنتِ الضّوْضاءُ لهيبَتِهِ؛ ازْدَلَفَ إلى مسْنَدِهِ، ومسحَ سَبلَتَهُ بيَدِهِ، ثمّ قال[2]:

الحمدُ للهِ المُبتَدِئِ بالإفْضالِ، المُبتَدِعِ للنّوالِ، المقرَّبِ إليْهِ بالسّؤالِ، المؤمَّلِ لتحقيقِ الآمالِ، الذي شرعَ الزّكاةَ في الأموال، وزجَرَ عنْ نهْرِ السؤالِ، وندَبَ إلى مواساةِ المُضطَرّ، وأمرَ بإطْعامِ القانِعِ والمعْتَرّ[3]، ووصَفَ عِبادَهُ المقرَّبينَ؛ في كِتابِهِ المُبينِ، فقال وهوَ أصدَقُ القائلينَ: والذين في أموالِهِمْ حقٌّ معلومٌ، للسائِلِ والمحرومِ[4]. أحمَدُهُ على ما رزَقَ منْ طُعمَةٍ هنيّةٍ، وأعوذُ بهِ مِنِ استِماعِ دعوَةٍ بلا

(1) هو المنذر بن امرىء القيس ملك العرب وماء السماء سميت بذلك لحسنها والأحماء هم الأب والأخوة والأعمام والأصهار من قبل أحد الزوجين وساسان رئيس المكدين وواضع طرائقهم وفي الأصل فإن بني ساسان ملوك الفرس ثم لما انهارت دولة فارس وصار الأعزّاء أذلّة اتخذ الاسم للدلالة على طائفة من المكدين كانوا يشحذون ويقولون ارحموا عزيز قوم ذلّ نحن أبناء ساسان الخ والأستاذ وهو فارسي معرّب أي المعلّم والقدوة المثال يحتذى والشحاذين أي المتسولين والمبجّل الموقّر والمعظّم والأغرّ أي الأبيض الوجه والمحجّل الأبيض الأطراف والكدية شدّة الدهر وحرفة السائل الملحّ.

(2) الملوان الليل والنهار وكذلك الجديدان والفتيان والعصران أي الغداة والعشي وثغامته أي شعره ونورها أي بيضها أي شابت والثغام نبت إذا يبس ابيضّ بياضاً شديداً والزربية أي طنفسته وقيل هي الوسائد وجمعها زرابي وفي سورة الغاشية الآية 16: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ الضوضاء الجلبة والضجّة وازدلف أي قرّب والمسند ما يستند إليه والسبلة اللحية أو الشارب.

(3) والمبتدع أي المبتدئ والنوال العطاء وزجر أي ونهى ونهره أي صاح به وطرده والعبارة إشارة إلى الآية 10 في سورة الضحى: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ وندب أي دعا وحرّض غير أنني أرى هنا إشارة إلى معنى الندب في الشرع وهو الدعوة إلى فعل الشيء وإن لم يوجبها الشارع ولكن إذا أجاب المكلّف جوزي خيراً وإذا تخلّف لم يعاقب والمضطر أي الشديد الحاجة والقانع السائل الذي لا يلحف بالسؤال أو المتعفف الراضي باليسير وإن لم يسأل والمعتر هو الذي يعتري متعرضاً للإعطاء من غير سؤال وطلب وفي سورة الحج الآية 36: ﴿فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ﴾.

(4) المحروم المَحْرُومُ الذِي حُرِمَ الصَّدَقَةَ لِتَعَفُّفِهِ عَنِ السُّؤَالِ مَعَ حَاجَتِهِ انظر سورة الذاريات الآية 19.

نِيّةٍ[1]، وأشهدُ أن لا إلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، إلهاً يَجزي المتصدّقينَ والمُتصَدّقاتِ، ويمحَقُ الرّبا ويُرْبي الصّدَقاتِ[2]. وأشهَدُ أنّ محمّداً عبدُهُ الرّحيمُ، ورسولُهُ الكريمُ، ابتَعَثَهُ ليَنسخَ الظُّلمَةَ بالضّياء، ويَنتَصِفَ للفُقَراء منَ الأغنياء! فرَفَقَ، صلى اللهُ عليهِ وسلّم، بالمِسْكينِ، وخفَضَ جَناحَهُ للمُستَكينِ، وفرضَ الحُقوقَ في أموالِ المُثْرينَ، وبيّنَ ما يجِبُ للمُقلّينَ على المُكثِرينَ. صلّى اللهُ عليْهِ صَلاةً تُحْظيهِ بالزُّلْفَةِ، وعلى أصفِيائِه أهلِ الصُّفّةِ[3]!

أما بعْدُ فإنّ اللهَ تعالى شرعَ النكاحَ لتَتَعفّفوا[4]، وسنّ التّناسُلَ لكيْ

---

(1) الطعمة كل ما يطعم والغنيمة والرزق والهنية السائغة وهو هنا يريد الكدية لأنها تؤتي أكلها دون مشقّة وتكلّف وأما الدعوة دون نية فالدعاء للمكدي أن بارك الله عليك أو أعطاك الله يقولها المرء دون أن يعني شيئاً سوى صدّ السائل وصرفه.

(2) يمحق أي يهلك ويبطل ويربي أي ويزيد وينمي ويكثّر والمراد زيادة الثواب والأجر انظر سورة البقرة الآية 276: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾.

(3) نسخ الشيء أزاله وأبطله ورفق أي رحم ولطف ولاين والمسكين الضعيف الذليل وخفض جناحه أي آلان جانبه ورحم وأصل القول إن الطائر يخفض جناحه على فراخه وفي سورة الحجر الآية 88: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ وفي سورة الشعراء الآية 215 ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. والمستكين من استكان إذا خضع وذلّ وفي سورة آل عمران الآية 146: ﴿وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ وفرض الشيء أوجبه والمثرين أي الأغنياء وتحظيه أي تجعله يحظى أي ينال والزلفة القربة والمنزلة وأصفياؤه أي خلصاؤه وأهل الصفّة جماعة من الفقراء المهاجرين في زمن النبي بنيت لهم الصفة وهي مكان مظلل تؤويهم ويرعاهم النبي. قال ابن عباس، ومقاتل: هم أهل الصفة حبسوا أنفسهم على طاعة الله، ولم يكن لهم شيء، وكانوا نحواً من أربعمائة. البحر المديد: أهل الصُّفَّة، كانوا نحواً من أربعمائة من فقراء المهاجرين، يسكنون صفة المسجد، يستغرقون أوقاتهم في العلم والذكر والعبادة، وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ. قال ابن عباس رضي الله عنه: «وقف النبيّ ﷺ يوماً على أصحاب الصفة، فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم، فقال: «أبشروا يا أصحاب الصفة، فمن بقي من أمتي على النعت الذي أنتم عليه، راضياً بما فيه فإنه، من رفقائي».

(4) شرع النكاح أي أحلّه شرعاً ولتتعففوا أي لتمتنعوا عن المحارم وتجتنبوها وفي العبارة إشارة إلى الحديث: «يا معشر الشباب. من استطاع منكم الباءة» - أي القدرة على الزواج - فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحفظ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» أي: وقاية.

تتضاعفوا[1]، فقال سُبحانَهُ لتَعرِفوا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ﴾! وهذا أبو الدّرّاجِ؛ ولاّجُ بنُ خرّاجٍ! ذو الوَجْهِ الوَقاحِ، والإفْكِ الصُّراحِ، والهَريرِ والصّياحِ، والإبْرام والإلْحاحِ؛ يخطُبُ سَليطَةَ أهلِها، وشَريطَةَ بعلِها. قَنْبَسَ؛ بِنْتَ أبي العَنْبَسِ! لِما بلغَهُ منِ التِحافِها، بإلْحافِها، وإسْرافِها، في إسْفافِها[2]. وانكِماشِها على مَعاشِها، وانتِعاشِها عندَ هِراشِها! وقد بذلَ لها منَ الصَّداقِ شَلاّقاً وعُكّازاً، وصِقاعاً وكرّازاً! فأنْكِحوهُ إنْكاحَ مثلِهِ، وصِلوا حبْلَكُمْ بحَبْلِهِ! وإنْ خِفتُمْ عَيلَةً فسوفَ يُغْنيكُمُ اللهُ منْ فضْلِهِ. أقولُ قوْلي وأستَغفِرُ اللهَ العظيمَ لي ولكُمْ، وأسألُهُ أن يُكثِرَ في المَصاطِبِ نسْلَكُمْ، ويحْرُسَ منَ المَعاطِبِ شمْلَكُمْ[3]!

---

(1) سنّ أي شرع التناسل أي التوالد وتتضاعفوا أي تزدادون عدداً وفي العبارة إشارة إلى الحديث: «تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم».

(2) أبو الدرّاج كنّاه بذلك لكثرة حركته وكذلك الولاج بن الخراج فولج أي دخل والولاّج كثير الدخول للكدية وكذلك الخراج كثير الخروج في طلب الرزق ثم إن الولاّج الخراج تقال في من يحسن الدخول والخروج في أموره وينفع أولياءه ويضرّ بأعدائه والوقاح أي الوقح الصلب والإفك الكذب والمين والصراح الظاهر البيّن والهرير متابعة الصياح وهو في الأصل للكلب ولكن دون النباح والإبرام الإثقال والإضجار والإملال والإلحاح ملازمة السؤال ومعاودته والسليطة الطويلة اللسان البذيئة القول والشريطة أي الموافقة وبعلها أي زوجها أي إنها جاء على شرطه فهي مثله في خصاله وقنبس اسمها وهو من القبس أي كأنها لجدتها الشعلة من النار تحرق ما مرت به وعنبس من العبوس ونون قنبس وعنبس زائدتان والتحف أي اتخذ لحافاً والإلحاف الإلحاح في السؤال والإسراف أي الإفراط والمبالغة والإسفاف الدخول في الدنيء من الأمور.

(3) انكمش إذا انقبض وتقلّص وانكمش في الشيء إذا أسرع فيه وانتعش إذا قام وارتفع والهراش تقاتل الكلاب والهراش مهارشة الكلاب أي جعلها تقاتل بعضها بعضاً والشلاّق الثوب المرقّع وليس بعربي وقيل هو شبه المخلاة وقيل هو خريطة تجعل فيها كسر الخبز. عن الشريشي والعكّاز عصا في أسفلها حديد وتضرب بها الكلاب والصقاع خرقة تقي بها المرأة خمارها من الدهن، وربما قيل للبرقع عن الصحاح والكراز إناء تجعل فيه الصدقة وقيل إناء لشرب الماء والخرج والكبش لا قرن له وأنا أميل إلى الخرج ولا سيما وأنني لم أجد المعنيين الأول والثاني في أيّة مظنة تؤكد ما ذهب إليه الشريشي ولكنني وجدت ابن دريد يقول إن الكراز هو قارورة وقوله وان ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾ فمن الآية 38 من سورة التوبة والعيلة الفقر والمعاطب المهالك.

فلمّا فرَغَ الشيخُ منْ خُطبَتِهِ، وأبْرَمَ للختَنِ عقْدَ خِطبَتِهِ؛ تساقَطَ منَ النِّثارِ، ما استَغْرَقَ حدَّ الإكْثارِ، وأغْرى الشّحيحَ بالإيثارِ. ثمّ نهَضَ الشيخُ يسحَبُ ذَلاذِلَهُ، ويَقْدُمُ أراذِلَهُ[1].

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فتبِعْتُهُ لأنظُرَ عُرْجَةَ القوْمِ، وأُكمِلَ بهْجةَ اليومِ، فعاجَ بهِمْ إلى سِماطٍ زيّنَتْهُ طُهاتُهُ، وتناصَفَتْ في الحُسْنِ جِهاتُهُ. فحينَ ربعَ كُلُّ شخْصٍ في رِبْضَتِهِ، وطفِقَ يرتَعُ في روضَتِهِ، انسلَلْتُ منَ الصّفّ، وفررْتُ منَ الزّحْفِ. فحانَتْ منَ الشيخِ لَفتَةٌ إليّ، ونظرَةٌ هجَم بها طرْفُهُ عليّ، فقال: إلى أينَ يا بُرَمُ! هلاّ عاشَرْتَ مُعاشرَةَ مَن فيهِ كرمٌ؟! فقلت: والذي خلقَها طِباقاً، وطبّقها إشْراقاً، لا ذُقتُ لَماقاً، ولا لُسْتُ رُقاقاً[2]؛ أو تُخبِرَني أين مدَبُّ صِباكَ، ومِنْ أينَ مهَبُّ صَباكَ؟ فتنفّسَ الصُعداءَ مِراراً، وأرسَلَ البُكاءَ مِدْراراً، حتى إذا استَنْزَفَ الدّمْعَ، استَنْصَتَ الجمْعَ، وقال لي: أرْعِني السّمْعَ[3]:

---

(1) أبرم أي أحكم وسدّد والختن وليّ الزوجة كالأب والأخ وابن العم والخِطبة أي مراسلة المرأة للزواج والمرأة المخطوبة والنثار ما نثر من الدراهم أي رمي متفرقاً واستغرق أي استوعب وفات وأغرى أي رغّب والشحيح أي البخيل والإكثار أي التفضّل وذلاذل الثوب أطرافه السفلى ويقدم أي يتقدّم وأراذله أي جماعته من السفلة الأرذال.

(2) العرجة أي الموقف والمقام وعاج أي مال وعطف والسماط الصف ويقال في المآدب والطهاة الطباخون وتناصفت أي تعادلت وربع أي جلس وأقام والربضة الموضع حيث يقعد من ربضة الدابة إذا طوت قوائمها وألصقت صدرها بالأرض وطفق أي أخذ ويرتع أي يأكل وروضته أي جنّته وهي كناية عما أمامه من طعام وانسللت أي خرجت دون صوت ومتخفياً وفررت أي هربت والزحف الوثوب إلى الشر وحانت أي اتفقت واللفتة أي الالتفاتة وطرفه أي نظره والبرم البخيل واللئيم وهلاّ أداة تحضيض وعاشرت أي صاحبت وطباقاً أي طبقاً فوق طبق وهي السماء إشارة إلى الآية 3 من سورة الملك و15 من سورة نوح وطبّق أي ملأ وعمّ يعني الأرض عمّها بالنور واللماق ما يشرب ولست من لاس لوساً أي تتبع الحلو في فمه والمعنى ولا أكلت خبزاً مرققاً.

(3) مدبّ صباك أي المكان الذي دببت فيه صبياً ودبّ أي مشى رويداً وصباك أي زمان كنت صبياً ومهبّ الريح مكان هبوبه والصبا ريح شرقية يقابلها الدبور وتنفّس الصعداء أي تنفّس تنفساً شديداً=

مَسقَطُ الرّأسِ سَروجُ وبها كنتُ أموجُ
بلدَةٌ يوجَدُ فيها كُلُّ شيءٍ ويَروجُ
وِرْدها مِنْ سَلسَبيلٍ وصحارِيها مُروجُ
وبَنوها ومَغانيـ ـهِمْ نُجومٌ وبُروجُ(1)
حبّذا نفْحَةُ ريّا ها ومَرآها البَهيجُ
وأزاهيرُ رُباها حينَ تنجابُ الثّلوجُ
مَنْ رآها قال مرْسى جنّةِ الدّنْيا سَروجُ
ولِمَنْ ينْزاحُ عنها زفَراتٌ ونشيجُ
مثلُ ما لاقيتُ مُذْ زَحْـ ـزَحَني عنْها العُلوجُ(2)
عَبرَةٌ تهْمي وشجْوٌ كلّما قَرّ يَهيجُ
وهُمومٌ كُلَّ يومٍ خطْبُها خطْبٌ مَريجُ
ومَساعٍ في التّرَجّي قاصِراتُ الخَطْوِ عوجُ(3)

= وبتوجّع ومدراراً أي غزيراً واستنزف الدمع أي استفرغه بالبكاء حتى انقطع واستنصت أي طلب الإنصات وارعني السمع فعل أمر بمعنى اسمعني.

(1) أموج أي أتحرك وأتصرّف يروج أي يتسهل ويتيسّر ووردها أي مكان ورود الماء فيها والسلسبيل عين في الجنة وصحاريها والواحدة صحراء أي الأرض التي لا نبات فيها ومروج أي بساتين وبنوها أي أبناؤها ومغانيهم أي منازلهم ووصف بالنجوم الأبناء وبالبروج المنازل.

(2) حبّذا أداة مدح واستحسان بمعنى ما أحب هذا والنفحة فوح العطر والرائحة والريّا الريح الطيبة ومرآها أي منظرها والبهيج أي الجميل الحسن يسرّ ويبهج من رآه وازاهير وهي جمع أزهار والربى والواحدة ربوة أي ما ارتفع من الأرض وتنجاب أي تنزاح والمرسى مكان الرسو للسفن يقول إن من يراها سيقول إن هنا تقع جنة الدنيا وينزاح يتزحزح ويزول والزفرات واحدتها زفرة وهي النفس الخارج ويكون في التحسّر والنشيج البكاء بصوت وشهيق وزحزحني عنها أي صرفني ونحّاني والعلوج يراد بهم كفّار العجم والواحد علج.

(3) العبرة الدمعة وتهمي أي تنسكب والشجو الحزن والشجن وقرّ أي سكن وهدأ ويهيج أي يثور والخطب الأمر العظيم والمريج المختلط والمساعي أي المطالب والواحدة مسعاة والترجّي التأميل وقاصرات الخطو أي قصيرة وعوج معوجة وغير مستقيمة.

لــيــتَ يــومــي حُــمَّ لــمّــا حُــمّ لــي مــنْــهــا الــخُــروجُ[1]

قال:

فلمّا بيّن بلَدَهُ، ووعَيْتُ ما أنشدَهُ، أيقَنْتُ أنهُ علاّمَتُنا أبو زيدٍ، وإنْ كان الهرَمُ قد أوثَقَهُ بقَيدٍ! فبادَرْتُ إلى مُصافحَتِهِ، واغْتَنَمْتُ مؤاكَلَتَهُ منْ صحْفَتِهِ. وظَلْتُ مدّةَ مَقاميَ بمِصْرَ أعْشو إلى شُواظِهِ، وأحْشو صدَفَتَيّ منْ دُرَرِ ألْفاظِهِ، إلى أنْ نعَبَ بينَنا غُرابُ البَينِ؛ ففارَقْتُهُ مُفارقَةَ الجفْنِ للعَينِ[2]!

(1) ليت أداة تمنّ ويومي حمّ أي قضي كناية عن الموت وحمّ الخروج أي قضي الخروج يقول ليتني متّ يوم خرجت من سروج.

(2) وعيت عقلت وفهمت وأيقنت أي تحققت على وجه اليقين والهرم الكبر والتقدم في السن وأوثقه أي شدّه وربطه بوثاق والقيد الحبل يجعل في رجل الدابة أو غيرها فيمسكها وبادرت أي أسرعت ومصافحته أي السلام عليه بوضع الكف على الكف واغتنمت أي انتهزت الفرصة وحسبتها غنيمة ومؤاكلته أي الأكل معه وظلت أي دمت وفي سورة طه الآية 97: ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ وأعشو من عشا الرجل إلى النار إذا قصدها يقول الحطيئة:

فنِعْمَ الفَتَى تَعْشُو إلى ضَوْءِ نارِهِ إذا الرِّيحُ هبَّتْ والمكانُ جَدِيبُ.

وقال:

متى تأتِهِ تَعشو إلى ضوءِ نارِهِ تجدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ

وشواظه أي ناره أو لهب ناره الذي لا دخان فيه وأحشو أي أملأ وصدفتي كناية عن الأذن والدرر الجواهر والألفاظ وحدها لفظ يريد أنه كان يستوعب روائع كلمه ونعب أي صاح والفعل للغراب ويقال في الشؤم وغراب البين أي مؤذن الفراق وكنى بألم الفراق وأذاه بمفارقة الجفن للعين.

المقامة الرّمْليّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

كنتُ في عُنفُوانِ الشّبابِ، ورَيْعانِ العيْشِ اللُّبابِ، أقْلي الاكتِنانَ بالغابِ، وأهْوى الانْدِلاقَ منَ القِرابِ، لعِلْمي أنّ السّفَرَ ينفِجُ السُّفَرَ، ويُنتِجُ الظّفَرَ! ومُعاقَرَةَ الوطَنِ، تَعْقِرُ الفِطَنَ، وتحْقِرُ مَنْ قطَنَ[1]! فأجَلْتُ قِداحَ الاستِشارَةِ، واقْتدَحْتُ زِنادَ الاستِخارَةِ! ثمّ استجَشْتُ جأشاً أثْبَتَ منَ الحِجارَةِ، وأصْعَدْتُ إلى ساحِلِ الشّامِ للتّجارَةِ. فلمّا خيّمتُ بالرّملَةِ؛ وألقَيتُ بها عَصا الرّحلَةِ، صادَفْتُ بها رِكاباً تُعَدّ للسُّرى، ورِحالاً تُشَدّ إلى أمّ القُرى. فعصَفَتْ بي ريحُ الغَرامِ، واهْتاجَ لي شَوْقٌ إلى البيتِ الحَرامِ، فزمَمْتُ ناقَتي، ونبذْتُ عُلَقي وعَلاقَتي[2].

(1) عنفوان الشباب أوله وريعان الشيء نضرته واللباب الخالص وأقلي من قلى أي كره وأبغض والاكتنان أي الاستتار والغاب الشجر الملتف وهو بيت الأسد وأهوى أي أحب الاندلاق من اندلق إذا اندفع وهجم والقراب غمد السيف وينفج من نفج إذا ملأ وفي أساس البلاغة: «فلان نفّاج، وفيه نفج، وسمعت من يقول: فيه نفاجة، وقد نفج ينفج. وكانوا يقولون: هنيئاً لك النافجة وهي البنت لأنه كان يأخذ مهرها فينفج ماله أي يوسّعه ويعظّمه، ومنه: النّفّاجة: للبنة القميص لأنها توسّعه. وأنشد الجاحظ:

ولـيـس تـلادي مـن وراثـة والـدي ولا شـان مـالـي مـسـتـفـاد الـنـوافـج

«وفي المحكم» وكل ما ارتفع فقد نفج وانتفج وتنفج، ونفجه هو ينفجه نفجاً، ونفج السقاء نفجاً ملأه. والسفر والواحدة سفرة وهي طعام المسافر وينتج أي يولد والظفر الفوز ومعاقرة الشيء ملازمته ومنه معاقرة الخمرة وتعقر أي تجرحها والفطن والواحدة فطنة وهي قوة الفهم والمراد أن ملازمة الوطن تبلّد المرء وتنقص من فطنته وتحقر أي تزدري وتحتقر وقطن أي أقام.

(2) أجلت أي حركت والقداح أي السهام والاستشارة أي مشاورة الآخر رأيه وقد جرت العادة عند =

وقلتُ للائِمي أقصِرْ فإنّي ... سأختارُ المَقامَ على المُقامِ
وأُنفِقُ ما جمَعتُ بأرضِ جمْعٍ ... وأسْلو بالحَطيمِ عنِ الحُطامِ(1)

ثم انتَظَمْتُ معَ رُفقَةٍ كنجومِ اللّيلِ، لهُمْ في السيرِ جِرْيَةُ السّيلِ، وإلى الخيرِ جرْيُ الخَيلِ! فلمْ نزَلْ بينَ إدْلاجٍ وتأويبٍ، وإيجافٍ وتقْريبٍ، إلى أنْ حبَتْنا أيْدي المَطايا بالتُّحْفَةِ، في إيصالِنا إلى الجُحْفَةِ(2). فحلَلْناها متأهّبينَ للإحْرامِ، مُتباشِرينَ بإدْراكِ المَرامِ. فلمْ يكُ إلا أنْ أنَخْنا بها الرّكائِبَ، وحطَطْنا الحقائِبَ، حتى طلعَ علينْا منْ

= العرب أن يستخدموا قداح الميسر فيساعدهم السهم الأول الذي يخرج على المضي في فعل ينوونه أو يصرفون النظر عنه إذا خرج السهم مكتوباً عليه افعل أو لاتفعل وفي سيرة النبي حديث طويل عن جده عبد المطلب وكيف تحلل من نذره بأن يذبح ابنه عبدالله أبا النبي وكان قد نذره ذات يوم فاستقسم بالأزلام وهي قداح الميسر على أن يفدي ابنه بعشر من النوق فكان يخرج السهم بالنفي فيعيد الكرة ويزيد عدد النوق حتى بلغت المائة عدّاً فخرج السهم بالإيجاب ونجا أبو النبي من موت محتم. واقتدحت أي قدحت والزناد والواحد زند ما تستخرج به النار والاستخارة هي طلب الخيرة من الله واستجاش الجيش جمعه والأمير طلب منه المدد والقوم حرّضهم على الإعانة والجأش القلب والصدر وأثبت أي أصلب وأصعدت سرت صاعداً في الأرض وخيّمت أي أقمت والرملة بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس وألقيت بها عصا الرحلة كناية عن ترك السفر والإقامة في المكان وصادف قابل صدفة وعلى غير وعد والركاب الإبل وتعدّ أي تجهّز والسرى سفر الليل وأم القرى مكّة المكرّمة وسميّت كذلك لأن أهل القرى يقصدونها وقيل لأنها أول بلدة خلقها الله وعصفت بي أي اشتدت وريح الغرام أي الشوق كنّى عن اشتداد لواعجه بعصف الريح واهتاج أي ثار والبيت الحرام الكعبة. وزممت ناقتي أي جعلت زمامها فيها ونبذت أي اطّرحت وألقيت وعلقي والواحدة عُلقة ما يتعلّق به البائع والعلاقة ما يتعلق به المرء من مال أو زوج أو لد أو صداقة.

(1) اقصر فعل أمر بمعنى كف والمقام أي مقام ابراهيم والمُقام أي الإقامة وأنفق أي أصرف والمراد المال وأرض الجمع عنى بها المزدلفة وهي بقعة بين منى وعرفات يبيت فيها الحجيج بعد الإفاضة وهي من مناسك الحج وأسلو أي أنسى وأتسلّى والحطيم أو حجر إسماعيل حجر بمكّة وهو ما بين الركن والمقام وزمزم يقول الفرزدق في مدح زين العابدين علي بن الحسين بن علي:
«يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم»
والحطام ما يفنى من متاع الدنيا.

(2) الإدلاج هو سير الليل والتأويب هو سير النهار والإيجاف هو الإسراع وتقريب هو الجري المتقارب وحبتنا أي منحتنا وأعطتنا والجحفة مكان بين مكة والمدينة.

بينِ الهِضابِ، شخْصٌ ضاحي الإهابِ، وهوَ يُنادي[1]: يا أهْلَ ذا النّادي، هلُمّ إلى ما يُنْجي يوْمَ التّنادي! فانْخرَطَ إليْهِ الحَجيجُ وانْصلَتوا، واحْتَفّوا بهِ وأنْصَتوا. فلمّا رأى تأثُّفَهُمْ حولَهُ، واستِعْظامَهُمْ قولَهُ؛ تسَنّمَ إحْدى الإكامِ، ثمّ تنحْنَحَ مُستَفْتِحاً للكلامِ، وقال[2]: يا معْشرَ الحُجّاجِ، النّاسِلينَ منَ الفِجاجِ! أتَعْقِلونَ ما تُواجِهونَ، وإلى منْ تتوجّهونَ؟ أم تدرونَ على مَنْ تَقْدَمونَ، وعلامَ تُقدِمونَ؟ أتَخالونَ أنّ الحجّ هوَ اختِيارُ الرّواحِلِ، وقطْعُ المراحِلِ، واتّخاذُ المَحامِلِ، وإيقارُ الزّوامِلِ؟! أم تظنّونَ أنّ النُسْكَ هوَ نَضْوُ الأرْدانِ، وإنْضاءُ الأبْدانِ، ومُفارَقَةُ الوِلْدانِ، والتّنائي عنِ البُلْدانِ[3]؟! كلاّ واللهِ بل هوَ اجتِنابُ الخَطيّةِ، قبلَ اجْتِلابِ المطيّةِ! وإخلاصُ النّيّةِ،

(1) حللناها أي نزلنا وأقمنا بها ومتأهبين أي مستعدّين والإحرام الإهلال بالحج أو العمرة ومباشرة أسبابها أو دخل الشهر الحرام أو دخل في حرمة من عهد أو ميثاق وأحرم بالصلاة دخل فيها وأحرم عن الشيء امتنع عنه والمعنى المراد هو الأول أي مباشرة أسباب الحج ومتباشرين من تباشر القوم بأمر إذا بشرّوا بعضهم بعضاً به وإدراك المرام أي بلوغ المطلب أو الهدف والركائب أي الإبل وحططنا أي أنزلنا والحقائب وواحدتها حقيبة أوعية الزاد والسفر والهضاب واحدتها هضبة وهي الجيب المرتفع عن الأرض وضاحي الإهاب أي بارز الجلد من العري.

(2) هلمّ كلمة يراد بها الدعاء إلى الشيء كتعال وفي سورة الأحزاب الآية: ﴿وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ ويوم التنادي هو يوم القيامة وفي سورة غافر الآية 32: ﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾ وانخرط في الشيء أسرع إليه والحجيج واحدها الحاج وانصلتوا أي جدوا وأسرعوا واحتفّوا به أي أحاطوا به وأنصتوا أي سكتوا وأصغوا وتأثّفهم أي اجتماعهم وثبوتهم حتى لكأن الواحد أثفية وهي أحد الحجارة التي تنصب عليها القدر وتسنّم أي ارتفع والفعل في الأصل لركوب البعير والإكام والواحدة أكمة وهي المحل المرتفع.

(3) نسل نسولاً إذا انفصل عن غيره وسقط والفجاج والواحد فج وهو الطريق وفي سورة الحج الآية 27: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ وفي سورة نوح 20 والأنبياء 31 وردت المادة بصيغة الجمع: ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ وتعقلون أي تعون وتفهمون وتواجهون أي تستقبلون بوجوهكم يعني البيت الحرام وتتوجهون أي تقصدون وتقدمون من قدم على المرء أو المكان إذا أقبل عليه وقدم منه إذا أقبل وعاد منه وتُقدمون من أقدم على الأمر إذا تجاسر على فعله وإذا أسرع في إنجازه دون توقّف وأتخالون أي أتحسبون أو تظنون واختيار الرواحل أي انتقاء الإبل والمراحل والواحدة مرحلة وهي المسافة يقطعها المسافر والمحامل والواحد محمل وهو مكان الحمل وزمانه وهو الهودج يركب فيه وإيقار من أوقر إذا وضع الوقر أي الحمل والزوامل واحدتها زاملة وهي ما =

في قصْدِ تلكَ البَنِيّةِ! وإمْحاضُ الطّاعةِ، عندَ وُجْدانِ الاستِطاعَةِ! وإصْلاحُ المُعامَلاتِ، أمام إعْمالِ اليَعْمَلاتِ[1]! فوالذي شرَعَ المَناسِكَ للنّاسِكِ، وأرشَدَ السّالِكَ في اللّيلِ الحالِكِ! ما يُنْقي الاغتِسالُ بالذَّنوبِ، منَ الانغِماسِ في الذُّنوبِ! ولا تعدِلُ تعرِيَةُ الأجْسامِ، بتَعْبِيَةِ الأجْرامِ! ولا تُغْني لِبْسَةُ الإحْرامِ، عنِ المتلبِّسِ بالحَرامِ[2]! ولا ينفَعُ الاضْطِباعُ بالإزارِ، معَ الاضْطِلاعِ بالأوْزارِ! ولا يُجْدي التّقرّبُ بالحَلْقِ، مع التّقلّبِ في ظُلْمِ الخلْقِ! ولا يَرْحَضُ التّنسّكُ في التّقصيرِ، درَنَ التّمسّكِ بالتّقصيرِ[3]! ولا يَسعَدُ بعَرَفَةَ، غيرُ أهلِ المعرِفَةِ! ولا يزْكو بالخَيْفِ، منْ يرغَبُ في

= يحمل عليه من الدواب كالبعير والحمير والبغال والنسك أي التعبّد ونضو من نضا إذا جرّد والأردان واحدها ردن وهو الكم ونضو الأردان تشميرها ورفعها كناية عن الاستعداد لأمر ما والولدان الأولاد والتنائي أي الابتعاد ومفارقة البلدان.

(1) اجتناب الشيء تجنّبه والابتعاد عنه واجتلاب أي جلب الركوبة وإعدادها للسفر والبنيّة أي الكعبة وإمحاض الشيء أي تقديمه خالصاً لا تشوبه شائبة ووجدان الشيء وجوده والمعاملات أي التعامل بين الناس وأمام أي قدّام وقبل وإعمال اليعملات أي استعمالها والواحدة يعمَل ويعمَلة أي الجمل والناقة المطبوعان على العمل والجمع يعامل ويَعْمَلات يقول الشريف الرضي:

«وَأقْنَعَنا بالبِيدِ أنْ لَيْسَ مَنْزِلٌ وما بين أيدي اليعملات وسيع»

(2) شرع أي سنّ وبيّن وفي سورة الشورى الآية 13: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ والمناسك والواحد منسك أي طريقة التعبّد والزهد وفي سورة الحج الآية 34: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ وكذلك في الآية 67 من السورة عينها. غير أن المادة غلبت في مُتَعبَّد الحج كمنى وعرفة والناسك أي المتعبّد وأرشد هي هدى والحالك الشديد العتمة وينقّي أي ينظّف والذنوب الدلو الكبيرة ولايقال الذنوب إلا في الممتلئ منها يقول إن الاغتسال بالماء لا يرحض الذنوب أي الخطايا ولا تعدل أي لاتساوي والأجرام والواحد جرم أي الأجسام وتعبية الأجسام أي تحميلها الآثام ولبسة الإحرام هي ما يستتر به الحاج بعد تجرّده للإحرام والمتلبّس بالشيء المختلط به ومرتديه والمتعلّق به.

(3) الاضطباع من اضطبع وهو أن يدخل الرداء الذي يحرم فيه من تحت منكبه الأيمن فيلقيه على عاتقه الأيسر وهو التأبط والتوشح أيضاً وهو ما يفعله الطائف بالبيت والاضطلاع بالشيء النهوض والقيام به والأوزار والواحد وزر وهي الأحمال والمراد هنا الآثام والذنوب ولا يجدي أي لا ينفع والحلق من حلق إذا قصّ الشعر ويرحض أي يغسل ويزيل والتقصير هو الأخذ من شعر الرأس أي قصّه فعل الحاج عند التحلل من الإحرام والدرن الوسخ والتمسّك أي التعلّق والتشبّث والتقصير التواني الإمساك عن الفعل مع القدرة على فعله.

الحَيْفِ! ولا يشْهَدُ المَقامَ، إلا منِ استَقامَ! ولا يَحْظى بقَبولِ الحِجّةِ، منْ زاغَ عنِ المحَجّةِ[1]! فرحِمَ اللهُ امْرأً صَفا؛ قبلَ مسْعاهُ إلى الصّفا! ووردَ شَريعةَ الرّضى، قبلَ شُروعِهِ على الأضا! ونزعَ عنْ تَلْبيسِهِ[2]، قبلَ نزْعِ لَبوسِهِ! وفاضَ بمعْروفِهِ، قبلَ الإفاضَةِ منْ تعريفِهِ! ثمّ رفعَ عَقيرَتَهُ بصوتٍ أسْمَعَ الصُّمَّ، وكادَ يُزعزِعُ الجِبالَ الشُّمَّ، وأنشدَ[3]:

ما الحَجُّ سيرُكَ تأويباً وإدْلاجا ... ولا اغْتِيامُكَ أجْمالاً وأحداجا
ألحَجُّ أن تقصِدَ البيتَ الحرامَ على ... تجْريدِكَ الحَجّ لا تقْضي به حاجا
وتمْتَطي كاهِلَ الإنْصافِ متّخذاً ... ردعَ الهَوى هادِياً والحَقَّ مِنْهاجا
وأنْ تُؤاسيَ ما أوتيتَ مَقدُرَةً ... مَنْ مدّ كفّاً إلى جدْواكَ مُحْتاجا[4]

---

(1) عرفة يوم من أيام الحج وهو التاسع من ذي الحجّة وهو يوم الوقوف بعرفات ويزكو أي يكون زاكياً ونامياً والخيف هو منى أو موضع بها والحيف الظلم والمقام يراد به مقام ابراهيم وفي سورة آل عمران الآية 97: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ وزاغ انحرف ومال والمحجّة الطريق المستقيم.

(2) صفا أي خَلُص قلبه وصار صافياً وتخلّص من قبح أفعاله والصفا والمسعى السعي والصفا والمروة صخرتان أكمتان بمكة قرب الكعبة وزمزم يسعى بينهما الحاج سبعة أشواط وذلك ذكرى لسعي هاجر في بحثها عن الماء وورد من الورود أي الإقبال على الماء وشريعة الرضا أي طريق رضا الخالق والشروع الدخول في الماء والأضا والواحد أضاة وهو الغدير والمراد زمزم ونزع تلبيسه أي كفّ عن تخليطه.

(3) نزع الشيء أي خلعه وأفاض بمعروفه أي تفضّل ببره وكرمه والإفاضة آخر الطواف والتعريف الوقوف بعرفه والعقيرة الصوت والصم والواحد أصم أي لا يسمع والشمّ العالية المرتفعة.

(4) التأويب والإدلاج سير النهار وسير الليل والاعتيام الاختيار يقول طرفة بن العبد: «أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي».
عقيلة مال الفاحش المتشدّد والأحداج واحدها حدج وهو مركب النساء على الإبل وتجريد الحج تخليصه وتنزيهه وحاجا واحدتها حاجة والكاهل أعلى الظهر مما يلي العنق والهادي المرشد والمنهاج الطريق يقول الحج أن تركب العدل وأن تهتدي بكفّ هواك وأن تسلك طريق الحق وأن تواسي أي تعين وتعطي ما أوتيت أي ما أعطيت والمقدرة القدرة يقول والحج أن تعطي ما دمت قادراً على العطاء ومدّ كفاً أي مد يده كناية عن الطلب والجدوى العطية.

فَهَـذِهِ إنْ حَـوَتْـهـا حِـجّـةٌ كَـمُـلَـتْ ... وإنْ خَـلا الـحـجُّ مـنـهـا كـان إخـداجـا
حسْـبُ الـمُـرائـيـنَ غَـبْـنـاً أنـهُـمْ غـرَسـوا ... ومـا جـنَـوا ولَـقـوا كـدّاً وإزْعـاجـا
وأنّـهُـمْ حُـرِمـوا أجْـراً ومَـحْـمَـدَةً ... وألحَموا عِرضَهم من عابَ أوْ هاجى[1]
أُخَـيَّ فـابْـغِ بـمـا تُـبـدِيـهِ مـنْ قُـرَبٍ ... وجْـهَ الـمُـهَـيـمِـنِ ولاّجـاً وخـرّاجـا
فلَيسَ تـخْـفَـى عـلى الرّحمَنِ خافِيَةٌ ... إنْ أخلَصَ العبدُ في الطاعاتِ أو داجى
وبـادِرِ الـمـوْتَ بـالـحُـسْـنـى تُـقـدّمُـهـا ... فـمـا يُـنَـهْـنَـهُ داعـي الـمـوتِ إن فـاجـا
واقْـنَ الـتّـواضُـعَ خُـلْـقـاً لا تُـزايِـلُـهُ ... عنكَ اللّيالي ولوْ ألْبَسنَكَ التّاجا[2]
ولا تَـشِـمْ كـلَّ خـالٍ لاحَ بـارِقُـهُ ... ولـوْ تَـراءى هَـتونَ الـسّـكْـبِ ثـجّـاجـا
مـا كُـلّ داعٍ بـأهـلٍ أن يُـصـاخَ لـهُ ... كـم قـد أصَـمّ بـنَـعـيٍ بـعـضُ مَـنْ نـاجى
ومـا الـلّـبـيـبُ سـوى مَـنْ بـاتَ مُـقـتـنـعـاً ... بـبُـلْـغَـةٍ تُـدرِجُ الأيّـامَ إدْراجـا
فـكُـلُّ كُـثْـرٍ إلـى قُـلٍّ مَـغـبّـتُـهُ ... وكـلّ نـازٍ إلـى لـيـنٍ وإنْ هـاجـا[3]

(1) حوتها أي تضمنتها وكانت فيها وكملت أي صارت كاملة تامة وخلا أي نقص وإخداجاً أي نقصاناً فأخدج الزند لم يور ناراً وأخدجت الحامل جاءت بولد ناقص الخلق وأخدج الأمر لم يحكمه وأخدج صلاته لم يقرأ فيها الفاتحة وحسب اسم بمعنى كاف وحسبك هذا أي اكتف به والمراؤون من راءى مراءاة والواحد مراءٍ وهو من يريك من نفسه خلاف ما هو عليه وغبناً من الغبن وهو الخديعة في البيع والشراء وهو هنا بمعنى الخسارة والكدّ الإلحاح والشدة في العمل والإزعاج عدم الاستقرار والمحمدة الحمد والثناء وألحموا من ألحم إذا أطعم المرء اللحم والعرض ما يسب ويمدح من المرء وعاب أي أزرى وهاجى أي نطق بالهجاء وهو الذم والتحقير.

(2) أخيّ تصغير أخي وهو هنا منادى وابغ فعل أمر بمعنى اطلب والقرب واحدتها قربة وهي ما يُتقرّب به إلى الله والمهيمن من أسماء الله الحسنى ويعني الرقيب والحافظ والولاّج الخرّاج وقد تقدّم ذكره الذي يعرف التصرّف ويحسنه والولاّج من دخل والخراج من خرج وتخفى أي تستتر وتغيب والرحمن من أسماء الله الحسنى وأخلص أي كان صادقاً مخلصاً وداجى أي ساتر العداوة ونافق وبادر الموت أي وعاجل الموت والحسنى العمل الحسن وينهنه أي كفّ وزجر وداعي الموت أي ما يدعوك إليه وهو انقضاء الأجل وفاجا أي فاجأ أي جاء بغتة واقن أي حز واكتسب والخلق السجية وتزايله أي تفارقه وتنزعه والتاج ما يعتمره الملك يقول وليكن التواضع سجيتك فلا تنزعه عنك الليالي ولو لبست التاج وصرت ملكاً.

(3) ولا تشم من شام إذا نظر والخال السحاب لا يخلف مطره لاح أي ظهر وبارقه أي برقه وتراءى =

قال الرّاوي:

فلمّا أَلْقَحَ عُقْمَ الأفهامِ، بسِحْرِ الكَلامِ؛ استَروَحْتُ ريحَ أبي زيدٍ، ومادَ بيَ الارْتياحُ إليْهِ أيَّ ميْدٍ! فمكثْتُ حتى استوْعَبَ نثَّ حِكمَتِهِ، وانحدَرَ منْ أكمَتِهِ. ثمّ دلَفْتُ إليْهِ لأتصفّحَ صفَحاتِ مُحيّاهُ، واستشِفّ جوهَرَ حِلاهُ؛ فإذا هوَ الضّالّةُ التي أنشُدُها، وناظِمُ القَلائِدِ اللاتي أنشدَها[1]. فعانَقْتُهُ عِناقَ اللامِ للألِفِ، ونزّلتُهُ منزِلَةَ البُرْءِ عندَ الدّنِفِ! وسألتُهُ أن يُلازِمَني فأبى، أو يُزامِلَني فنَبا[2]، وقال: آلَيتُ في حِجّتي هذِهِ أن لا أحْتَقِبَ ولا أعتَقِبَ، ولا أكتَسِبَ ولا أنتَسِبَ! ولا أرتَفِقَ، ولا

= لك أي بدا لك والهتون المتتابع القطر والسكب الصبّ والثجّاج الصباب وفي سورة النبأ الآية 14: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ والداعي الذي يدعو وينادي والأهل للشيء هو الجدير به ويصاخ له أي يُصغى له ويسمع وأصمّ أي ذهب بالسمع والنعي خبر الموت وناجى أي سارّ الحديث يقول ليس كل من تكلّم بأهل لأن يُصغى له فكم ذهب النعي بسمع من يحدّث واللبيب العقل الفطن ومقتنعاً أي مكتفياً وراضياً والبلغة ما يقيم الأود من يسير القوت وقليله وتدرج الأيام أي تسوقها وتزجيها وتطويها والكثر الكثير والقل القليل والمغبّة أي العاقبة والنازي المرتفع ونزا الفحل إذا قفز على الأنثى واللين الارتخاء والفتور والسهولة والهيجان الثوران يقول فكل كثير مآله وعاقبته إلى قليل وكل من ينزو سيلين ويهدأ ولو هاج.

(1) ألقح أي أحمل وأحبل ولقد استعار الإلقاح للتعبير عن وقع الكلام في نفوس سامعيه حتى لكأنه أحبلها بالعبر واستروحت أي وجدت ريح الشيء أي رائحته وماد بي أي مال بي وتحرّك والارتياح السرور والنشاط ومكثت أي بقيت واستوعبت أي استوفيت والنثّ من نثّ الحديث إذا أفشاه ونشره ودلفت من دلف دلوفاً إذا مشى ثم توقّف أو تثاقل في المشي أو من دلف دليفاً إليه أي أسرع وهو المراد هنا وصفحة المحيا أي جانب الوجه واستشفّ إذا استقصى في النظر وتحقق والحلى واحدتها الحلية وهي هنا بمعنى صفة الرجل والضالة ومذكرها الضال وهي الحاجة المفقودة وأنشدها أي أطلبها والقلائد واحدتها قلادة وهي ما تتقلده المرأة حول عنقها من عقود الجوهر وأنشدها أي نطق وتكلم بها.

(2) عناق اللام للألف صورة شعرية أخذها من قول بكر بن خارجة: إني رأيتك في نومي تعانقني كما تعانقُ لامُ الكاتبِ الألفا. هذا وقد فصّل الشريشي في اللام والألف وكيف يلتقيان وأين يلتقيان وانتهى إلى أن المراد هو الحرف الكوفي ففيه يلتقيان من فوق وتحت وغني عن القول إن الأمر منوط بمن يلتقي من ومن ثم تسهل الأين والكيف لا جرم! والبرء أي الشفاء والخلاص من المرض والدنف المريض ويلازمني أي يكون ملازماً لي ويزاملني أي يردفني خلفه على الزاملة أي البعير ونبا أي ارتفع وامتنع.

أرافِقَ، ولا أُوافِقَ منْ يُنافِقُ! ثمّ ذهبَ يهرْوِلُ، وغادرَني أوَلْوِلُ[1]. فلمْ أزَلْ أُتْبِعُه نظَري، وأوَدُّ لوْ يمشي على ناظِري؛ حتى توقّلَ أحدَ الأطْوادِ، ووقفَ للَجيجِ بالمِرْصادِ، فلمّا شاهدَ إيضاعَ الرُكْبانِ، في الكُثْبانِ، وقّعَ بالبَنانِ على البَنانِ، واندفَعَ يُنشِدُ[2]:

لـيـسَ مـنْ زارَ راكِـبـاً ... مـثـلَ سـاعٍ عـلـى الـقـدَمْ
لا ولا خـادِمٌ أطـا ... عَ كـعـاصٍ مـنَ الـخـدَمْ
كـيـفَ يـا قـوْمِ يـسْـتَـوي ... سـعْـيُ بـانٍ ومَـنْ هـدمْ
سـيُـقـيـمُ الـمُـفَـرِّطـو ... نَ غـداً مـأتَـمَ الـنّـدَمْ[3]
ويـقـولُ الـذي تـقـرّ بَ ... طـوبَـى لـمـنْ خـدَمْ
ويْـلـكِ يـا نـفْـسُ قـدّمـي ... صـالـحـاً عـنـدَ ذي الـقِـدَمْ
وازْدَري زُخْـرُفَ الـحـيـا ... ةِ فـوُجْـدانُـهُ عـدَمْ
واذْكُـري مـصْـرعَ الـحِـمـا ... مِ إذا خـطْـبُـهُ صـدَمْ

(1) آليت أي أقسمت واحتقب أي ركب أو أُركب رديفاً مكان الحقيبة أو اتخذ حقيبة وهي وعاء الزاد يريد أنه توكل على كرم الله في حجه واعتقب أي أركب نوبة وأمشي نوبة والاعتقاب ركوب واحد ونزول الآخر وأنتسب أي أُظهر نسبي وأكتسب أي أكسب وأرتفق أي أستعين وأرافق أي أتخذ رفيقاً وأوافق أي أصادق على ما يقول وهرول أي أسرع في المشي وغادر أي ترك وولول أي صاح يا ويلي.

(2) اقريه نظري أي أُتبعه نظري وأودّ أي أحبّ وهي هنا بمعنى أتمنّى وتوقّل إذا صعد والأطواد واحدها الطود وهو الجبل والمرصاد طريق أو موضع الرصد والمراقبة وفي سورة الفجر الآية 14: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ أي إن ربك بحيث يراك ولا تفوته والإيضاع الإسراع في السير والكثبان واحدها كثيب وهو ما تكدّس من الرمل ووقّع أي ضرب البنان بالبنان طرباً ونشاطاً والبنان يطلق على اليد وفي سورة الأنفال الآية 12: ﴿وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ والبنان الإصبع.

(3) يقول لايستوي أجر الحاج ماشياً مع أجر الحاج راكباً فالأجر بحسب المشقة ولا يستوي الخادم المطيع والآخر العاصي ولا عمل من يبني مع عمل من يهدم والمفرّطون أي المقصّرون والمأتم الاجتماع للنوح والبكاء يقول وغداً سيجتمع المقصّرون للبكاء على ما سلف منهم من تقصير وتهاون.

وانْــدُبــي فــعْــلَــكِ الــقَــبــيــحَ وسُــحّــي لــهُ بــدَمْ[1]
واذْبُــغــيــهِ بــتــوْبَــةٍ قــبــلَ أن يــحْــلَــمَ الأدَمْ
فــعــســى اللهُ أنْ يــقــيــكِ الــسّــعــيــرَ الــذي احــتــدَمْ
يــومَ لا عــثْــرَةٌ تُــقــالُ ولا يــنــفــعُ الــسّــدَمْ[2]

ثمّ إنّهُ أغمدَ عضبَ لِسانِه، وانطلَقَ لِشانِهِ. فما زِلْتُ في كلّ موْرِدٍ نرِدُهُ، ومعَرَّسٍ نتوسّدُهُ، أتفقّدُهُ فأفْقِدُهُ، وأستَنْجِدُ بمَنْ يَنشُدُهُ فلا يجِدُهُ. حتى خِلتُ أنّ الجِنّ اختَطفَتْهُ، أوِ الأرضَ اقتطَفَتْهُ. فما كابَدْتُ في الغُربَة، كهذهِ الكُربَةِ، ولا مُنِيتُ في سَفْرَةٍ، بمِثْلِها منْ زفْرَةٍ[3].

---

(1) تقرّب أي قدّم القربة لله أي الطاعة وطوبى أي هنيئاً ومن خدم أي من أطاع وويك بمعنى ويلك وذو القدم هو الله وازدري فعل أمر بمعنى واحتقري زخرف الحياة أي زينتها ووجدانه أي وجوده والحمام الموت وصرع أي طرح أرضاً والخطب الأمر الشديد وصدم أي ضرب بشدة واندبي من الندب وهو البكاء مع تندّم وحسرة وتأوّه وسحّي أي أسيلي وصبّي.

(2) الأدم هو الجلد وادبغيه فعل أمر من دبغ الجلد إذا عالجه ليلين ويزول ما به من نتن ورطوبة ويحلم الأدم أي يتثقّب ويفسد والسعير من أسماء جهنم واحتدم أي اتقدّ واشتد ضرامه والعثرة هي الزلّة وتقال أي تغفر والسدم الندم مع هم. يقول وعالجي الجلد وأزيلي ما به من نتن قبل أن يفسد الجلد وعسى أن يجنّبك الله ناراً تضطرم يوم لا تغفر زلّة ولا يجدي ندم. يقول اعملي يا نفس قبل فوات الأوان.

(3) أغمد إذا وضع السيف في غمده والعضب السيف وهو هنا شبه اللسان بالسيف وأراد بإغماده السكوت والصمت وانطلق لشانه أي مضى في أمره وحاله والمورد تقدم مراراً وهو مكان الورود ونرده أي نصله ونأتي إليه والمعرّس أي موضع النزول آخر الليل ونتوسّده أي نتخذه وسادة كناية عن الإقامة والنوم فيه وأتفقّده من التفقّد أي طلب المفقود وفي سورة النمل الآية 20: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ﴾ وأفقده أي لا أجده وأستنجد أي أطلب النجدة وأستعين وينشده أي يطلبه ويبحث عنه وخلت أي توهمت واقتطفته من قطف الثمرة أي قطعها وكابدت أي قاسيت وعانيت والغربة أي التغرّب والكربة الهم والضيق ومنيت أي ابتليت والزفرة النفس الخارج عالياً عند المهموم.

المقامة الطّيْبيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أجمَعْتُ حينَ قضَيْتُ مناسِكَ الحجّ، وأقَمْتُ وظائِفَ العجّ والثّجّ؛ أنْ أقصِدَ طَيْبَةَ، مع رُفقَةٍ منْ بَني شَيْبَةَ، لأزورَ قبرَ النّبيّ المُصطَفى، وأخرُجَ منْ قَبيلِ منْ حجّ وجَفا، فأُرْجِفَ بأنّ المسالِكَ شاغِرةٌ، وعرَبَ الحرَمَينِ مُتشاجِرةٌ، فحِرْتُ بين إشْفاقٍ يُثبّطُني، وأشْواقٍ تُنشّطُني، إلى أنْ أُلْقيَ في رَوْعيَ الاستِسْلامُ، وتغليبُ زِيارَةِ قبرِهِ عليْهِ السّلامُ[1]! فاعْتَمْتُ القُعْدَةَ، وأعددْتُ العُدّةَ، وسِرْتُ والرُّفْقَةَ لا نلْوي على عُرْجةٍ، ولا نَني في تأويبٍ ولا دُلْجةٍ؛ حتى وافَيْنا بَني حرْبٍ، وقد آبوا منْ حرْبٍ.

---

(1) اجمعت أي عزمت والوظائف واحدتها الوظيفة ما يعيّن من عمل والعج رفع الصوت بالتلبية أي القول لبّيك اللهم لبيك والثجّ هو نحر البدن وإراقة دم الهدي ولقد جاء في سنن ابن ماجة: عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَامَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا الْحَجُّ؟ قَالَ: الْعَجُّ وَالثَّجُّ. قَالَ وَكِيعٌ يَعْنِي بِالْعَجِّ الْعَجِيجَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالثَّجُّ نَحْرُ الْبُدْنِ وطيبة من أسماء المدينة المنورة وبنو شيبة ذرية رجل قرشي اسمه شيبة مفتاح الكعبة بيد ذريته وربما أراد بشيبة جد النبي عبد المطلب وهو أمر ليس بذي بال شأنه في ذلك شأن معظم الأسماء الواردة تمشياً مع أحكام السجع ليس إلا والقبيل هنا بمعنى الزمرة وجفا بمعنى أعرض وصد والعبارة تلاحظ حديثاً نبوياً أنقله من كنز العمال للهندي ويقول: من حج فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي. ومن حج البيت ولم يزرني فقد جفاني. والإرجاف الخوض في الأخبار السيئة والفتن والمسالك الدروب التي تسلك وشاغرة أي خالية والمعنى أنها خالية ممن يحميها والحرمان مكة والمدينة ومتشاجرة من شجر الأمر بينهم إذا اختلفوا وتنازعوا عليه وفي سورة النساء الآية 65: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ وحرت أي تحيّرت والإشفاق الخوف والجزع ويثبطني أي يقعدني وفي سورة التوبة الآية 46: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾ وتنشطني أي تبعث فيّ النشاط والروع القلب والعقل والذهن والاستسلام أي الانقياد.

فأزْمَعْنا أن نُقَضّيَ ظِلَّ اليومِ، في حِلّةِ القومِ. وبينَما نحنُ نتخيّرُ المُناخَ، ونَرودُ الوِرْدَ النُّقاخَ، إذ رأيْناهُمْ يركُضونَ، كأنّهُمْ إلى نُصُبٍ يوفِضونَ[1]. فرابَنا انثِيالُهُمْ، وسألْنا ما بالُهُمْ؟ فقيلَ قد حضرَ ناديَهُمْ فقيهُ العرَبِ، فإهْراعُهُم لهذا السّببِ! فقلتُ لرُفقَتي: ألا نشْهَدُ مَجْمَعَ الحيّ[2]، لنتبيّنَ الرُّشْدَ من الغيّ؟ فقالوا: لقدْ أسْمَعتَ إذ دعَوْتَ، ونصَحْتَ وما ألَوْتَ! ثمّ نهضْنا نتّبعُ الهادي، ونؤمّ النّاديَ؛ حتى إذا أظْلَلْنا عليْهِ، واستَشْرَفْنا الفَقيهَ المَنهودَ إلَيْهِ، ألْفَيْتُهُ أبا زيدٍ ذا الشُّقَرِ والبُقَرِ، والفَواقِرِ والفِقَرِ! وقدِ اعْتَمّ القَفْداءَ، واشتَمَلَ الصّمّاءَ، وقعدَ القُرْفُصاءَ. وأعْيانُ الحيِّ بهِ مُحتَفّونَ، وأخْلاطُهُمْ عليْهِ مُلتفّونَ، وهو يقول[3]:

(1) أعتمت أي اخترت والقعدة الراحلة المتخذة للركوب ولا نلوي أي لانميل والعرجة ما يشغلك فتعرج عليه ولا نني من ونى إذا تراخى أو فتر والتأويب سير النهار والدلجة بضم الدال سير الليل كله ويفتحها هو سير آخر الليل ووافينا أي بلغتنا ووصلنا وبنو حرب اسم قبيلة قد تكون الأشهر بين العديد من البطون المسماة بهذا الاسم أعني بني حرب بن أمية بن عبد شمس وإليها ينتسب الأمويون وآبوا أي قفلوا وعادوا والحرب القتال وأزمعنا أي عزمنا وظل اليوم أي طول اليوم لأن الظل يبقى ببقاء صاحبه والحلة البيوت المجتمعة ومجتمع القوم ومجلسهم ونتخيّر أي ننتقي الأفضل والمناخ موضع إناخة الإبل ونرود أي نطلب والورد الماء والنقاخ أي العذب البارد الذي ينقخ العطش أي يكسره والنصب الصنم أو الوثن ويوفضون أي يسرعون وفي الآية 43 من سورة المعارج: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾.

(2) رابنا أي أثار ريبنا وشكّنا وانثيالهم تتابعهم وما بالهم أي ما بهم وما أصابهم وناديهم أي مجلسهم والإهراع الإسراع في العدو ومجمع الحي أي ناديهم والحي هنا بمعنى القبيلة.

(3) لنتبيّن أي لنعلم ونقف على بيّنة من الأمر والرشد الهداية والصواب والغيّ الضلالة وفي سورة البقرة الآية 256: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ وأسمع جعله يسمع وأسمعت إذ دعوت أي قد سمعنا قولك وقبلنا دعوتك وما ألوت أي ما قصّرت والهادي الدليل وأم يؤمّ إذا قصد وأظللنا عليه أي دنونا منه واستشرفنا أي نظرنا وتأمّلنا والاستشراف هو ترفع بصرك وتنظر إلى مرادك وقد بسطت كفك فوق حاجبيك ونهد أي ارتفع ويقال للنهد إذا برز وأسرع وشخص وألفيته أي وجدته والشقر الكذب والبقر الكذب الصراح والدواهي والفواقر من فقر أي قواصم الظهر والفِقر والواحدة فقرة وهي القطعة النثرية المسجّعة والقفداء العمامة فيها غلظ واسترخاء واعتمّ إذا لبس العمامة وفي الصحاح: «اعْتَمّ القَفْداءَ، إذا لم يسدل طَرَفَها» واشتمال الصماء: أن يجلل جسده كله بالكساء أو بالإزار. وسميت بالصماء تشبيهاً بالصخرة الصماء لا منفذ فيها =

سَلوني عنِ المُعضِلاتِ، واستَوضِحوا مني المُشكِلاتِ! فوَالذي فطَرَ السّماء، وعلّمَ آدمَ الأسْماء، إني لَفَقيهُ العرَبِ العَرْباء، وأعْلَمُ منْ تحتَ الجرْباء! فصمَدَ لهُ فتًى فَتيقُ اللّسانِ، جرِيّ الجَنانِ، وقال: إني حاضَرْتُ فُقَهاء الدّنيا، حتى انتَخَلْتُ منهُمْ مِئَةَ فُتْيا! فإنْ كنتَ ممّنْ يرغَبُ عنْ بَناتِ غيرٍ، ويرْغَبُ منا في مَيْرٍ؛ فاستَمِعْ وأجِبْ، لتُقابَلَ بما يجِبُ! فقال: اللهُ أكبرُ! سيَبينُ المَخْبَرُ، وينكَشِفُ المُضمَرُ! فاصْدَعْ بما تؤمَرُ[1]:

قال:

ما تَقولُ في مَنْ توضّأ ثمّ لمسَ ظَهرَ نعلِهِ؟ (النعل هو الزوجة).

قال: انتَقَضَ وُضوءُهُ بفِعلِهِ![2]

= والقرفصاء جلسة المحتبي وفي معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «القرْفُصاء، وهو أن يقعد الرجل قِعدةَ المحتبِي ثمَّ يضع يديه على ساقَيه كأنَّه محتَبٍ بهما». وأعيان الحي أي كبار وأشراف الحي ومحتفون أي متحلّقون حوله والأخلاط والواحد خِلط الشيء يؤلف مع أشياء أخرى وهي هنا بمعنى أن القوم كانوا مزيجاً وأنواعاً مختلطة والتف عليه أي أحاط به.

(1) المعضلات والواحدة معضلة وهي المسألة المستغلقة المشكلة على غير ما جرت به عادتنا من إنزال تفسير غريب المتن في الحاشية فاننا سنضع بين هلالين تفسير غريب السؤال تسهيلاً منا كي يمضي القارئ على رسله في فهم النص ولا سيما وأن السؤال مبني على لعب لفظي ظاهره منكر ولكن دلالته ليست كذلك. واستوضح أي طلب الإيضاح والمشكلات ما أشكل من المسائل وفطر أي بدأ يقول ابن عباس: «ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض، حتى اختصم إليَّ أعرابيان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها، أي ابتدأتها» وعلّم آدم الأسماء إشارة إلى الآية 31 من سورة البقرة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ والعرب العرباء الصرحاء الخلّص والجرباء السماء سمّيت كذلك لأن النجوم فيها كالجرب وصمد له أي قصده واللسان الفتيق أي الطليق والجنان القلب وجريء الجنان الجسور وقوي القلب وحاضرت أي جالست وكنت حاضراً وانتخلت أي انتخبت واخترت والفتيا والفتوى المسألة التي يفتى بها ورغب عن الشيء أعرض عنه وجاء ببنات غير مثل عربي معناه جاء بالباطل والكذب ويرغب في الشيء أي يريده والمير الصلة والرزق وهو في الأصل جلب الطعام للأكل وتقابل هنا بمعنى تجازى وما يجب المراد به الجزاء الواجب علينا إن أنت أجبت وسيبين أي يظهر والمخبر أي باطن الأمر وحقيقته وينكشف أي يتضح ويبرز للعيان والمضمر المستور واصدع أي اجهر بالحق والعبارة قرآنية من سورة الحجر الآية 94: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

(2) انتقض أي فسد بعد إحكام.

قال: فإنْ توضّأ ثمّ أتكأهُ البَردُ[1]؟ (البرد هو النوم).

قال: يُجَدّدُ الوُضوء منْ بعْدُ!

قال: أيَمْسَحُ المتوَضّئ أُنثَيَيْهِ؟ (الأنثيان هما الأذنان).

قال: قد نُدِبَ[2] إليْهِ، ولمْ يوجَبْ علَيْهِ!

قال: أيجوزُ الوُضوء ممّا يقْذِفُهُ الثّعبانُ؟ (الثعبان هو مسيل الوادي والواحد ثعب).

قال: وهلْ أنْظَفُ منهُ للعُرْبانِ[3]؟

قال: أيُستَباحُ ماء الضّريرِ؟ (الضرير هو حرف الوادي).

قال: نعَمْ ويُجتنَبُ ماء البَصيرِ! (البصير هو الكلب)[4].

قال: أيَحُلّ التطوّفُ في الرّبيع؟ (التطوف هو التغوّط وأما الربيع فالنهر الصغير).

قال: يُكْرَه ذاك للحدَثِ الشّنيعِ[5]!

قال: أيجِبُ الغُسْلُ على منْ أمْنى؟ (إذا نزل منى وهي أحد مناسك الحج).

قال: لا ولوْ ثنّى[6]!

---

(1) أتكأه أي أضجعه على صورة المتكئ.

(2) الأنثيان أي الخصيتان وندب إليه أي أوكل أمر فعله أو ترك ذلك إليه والمندوب هو أحد أربعة تقوم عليها أحكام الشريعة: الحلال والحرام والمندوب أي الموكل أمره للمؤمن فإذا فعله أثيب وإذا تركه لم يعاقب والمكروه وهو ما يستحب تركه ولكن إذا فعله المؤمن لم يعاقب ولكن إذا احجم أثيب.

(3) قذف أي رمى وطرح والثعبان الأفعى والعربان العرب.

(4) استباح الشيء أحلّه لنفسه وجعله مباحاً والضرير الأعمى.

(5) التطوّف هو الطواف والدوران والربيع الفصل المعروف من فصول السنة والحدث في اللغة الفقهية الغائط والشنيع البالغ القبح.

(6) أمنى إذا خرج منه المني وثنّى أي فعل ذلك مرتين.

قال: فهلْ يجِبُ على الجُنُبِ غسْلُ فرْوَتِهِ؟ (الفروة هي جلدة الرأس).

قال: أجَلْ وغسْلُ إبْرَتِهِ! (الإبرة هي عظم المرفق)[1].

قال: أيجبُ عليْهِ غسْلُ صَحيفَتِهِ؟ (الصحيفة اسرة الوجه).

قال: نعَمْ كغسْلِ شفتِهِ[2]!

قال: فإنْ أخلّ بغسْلِ فأسِهِ؟ (الفأس هي العظم المشرف نقرة القفا).

قال: هوَ كما لوْ ألْغَى غسْلَ رأسِهِ[3]!

قال: أيجوزُ الغُسلُ في الجِرابِ؟ (الجراب هو جوف البئر).

قال: هوَ كالغُسلِ في الجِبابِ! (الجباب وواحدها جب هي البئر)[4].

قال: فما تقولُ في مَنْ تيمّمَ ثمّ رأى رَوْضاً؟ (الروض هي الصبابة تبقى في الحوض).

قال: بطَلَ تيمُّمُهُ فليَتَوضّا[5]!

قال: أيجوزُ أن يسْجُدَ الرّجلُ في العَذِرَةِ؟ (العذرة هي فناء الدار).

قال: نعمْ ولْيُجانِبِ القَذِرَةَ!

---

(1) الجنب من أحدث فأصابته جنابة أي نجاسة والفروة كساء من جلد الحيوان والإبرة آلة الخياطة المعروفة.

(2) الصحيفة هي الكتاب.

(3) الفأس آلة الحطاب يحتطب بها وأخلّ بالشيء أي قصّر فيه وأجحف وألغى أي أبطل وترك.

(4) الجراب وعاء من الجلد والجباب والواحد جبّ وهو البئر.

(5) التيمم من تيمم أي قصد وتوخّى وجاء في القرآن تيمم الصعيد ويراد به التطهر بدلاً عن الوضوء أو الغسل في بعض الأحوال ويكون بالمسح على الوجه واليدين وصار التيمم بعد يراد به الطهارة وفي سورة النساء الآية 43: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ والروض البستان وبطل بمعنى انتقض يريد ان التيمم باطل عند وجود الماء.

قال: فهلْ لهُ السّجودُ على الخِلافِ؟ (الخلاف هو الكم).

قال: لا ولا على أحدِ الأطْرافِ!

قال: فإنْ سجَدَ على شِمالِهِ؟ (الشمال جمع شملة).

قال: لا بأسَ بفِعالِهِ[1]!

قال: فهلْ يجوزُ السّجودُ على الكُراعِ؟ (الكراع ما استطال من الحرة أي الأرض السوداء الحجارة).

قال: نعمْ دونَ الذّراعِ[2]!

قال: أيُصلّي على رأسِ الكلْبِ؟ (هي ثنية معروفة).

قال: نعَمْ كسائِرِ الهضْبِ!

قال: أيجوزُ للدّارِسِ حمْلُ المصاحِفِ؟ (الدارس هي الحائض).

قال: لا ولا حمْلُها في الملاحِفِ[3]!

قال: ما تَقولُ في مَنْ صلّى وعانَتُهُ بارِزَةٌ؟ (العانة هي الجماعة من حمر الوحش).

قال: صلاتُهُ جائِزَةٌ!

قال: فإنْ صلّى وعليْهِ صومٌ؟

قال: يُعيدُ ولوْ صلّى مائَةَ يومٍ[4]! (الصوم هو ذرق النعام).

---

(1) العذرة أي الغائط وليجانب أي ليجتنب والقذرة أي الدنسة الوسخة الخلاف جنس من الأشجار والأطراف أي أطراف الإنسان أي اليدان والرجلان ولكنها هنا أطراف الثوب وشمال المرء يساره والفعال واحدها فعل.

(2) الكراع من البقر والغنم بمنزلة الظيف من الفرس وهو مستدقّ الساق وهو مذكّر ومؤنّث.

(3) الهضب واحدتها هضبة وهي الجبل المنبسط على وجه الأرض والدارس من درس العلوم والملاحف واحدتها ملحفة وهي الملاءة.

(4) العانة الشعر النابت حول الفرج وبارزة أي ظاهرة وجائزة أي تجوز يعني أنها مقبولة والصوم الإمساك عن الطعام والشراب والمخالطة الجنسية وغير ذلك.

قال: فإنْ حمَلَ جرْواً وصلّى؟ (الجرو هو الصغير من الرمان والقثّاء).

قال: هوَ كما لوْ حمَلَ باقِلّى[1]!

قال: أتصِحّ صَلاةُ حامِلِ القَرْوَةِ؟ (القروة هي ميلغة الكلب).

قال: لا ولوْ صلّى فوقَ المَرْوَةِ!

قال: فإنْ قطَرَ على ثوْبِ المُصَلّي نجْوٌ؟ (النجو هو ماء السحاب).

قال: يمْضي في صَلاتِهِ ولا غَرْوَ[2]!

قال: أيَجوزُ أن يؤمّ الرّجالَ مقنّعٌ؟ (المقنّع هو لابس المغفر).

قال: نعمْ ويؤمّهُمْ مُدَرَّعٌ! (المدرّع هو لابس الدرع)[3].

قال: فإنْ أمّهُمْ مَنْ في يدِهِ وقْفٌ؟ (الوقف هو السوار من عاج أو ذبل أي دابة بحرية كالسلحفاة).

قال: يُعيدونَ ولوْ أنّهُمْ ألفٌ[4]!

قال: فإنْ أمّهُمْ منْ فخْذُهُ بادِيَةٌ؟ (الفخذ هو العشيرة وبادية أي يسكنون البدو).

قال: صلاتُهُ وصلاتُهُم ماضيَةٌ!

قال: فإنْ أمّهُمُ الثّورُ الأجَمُّ؟ (الثور هو السيد والأجم الذي لا رمح معه).

---

(1) الجرو صغير الكلب والباقلّى هي الفول.

(2) القروة هي الأدرة وهي انتفاخ في الخصيتين والمصاب بذلك يقال له آدر وميلغة الكلب أي الإناء يلغ فيه أو يسقى منه والمروة من مناسك الحج وهي تقابل الصفا والنجو ما يخرج من الدبر من غائط أو ريح ولا غرو أي لا عجب.

(3) أم أي كان إماماً والمقنع من يلبس القناع والقناع يكون في العادة للنساء وهن تصح إمامتهن والدرع قميص المرأة وهو أيضاً درع الحديد يتقى به في الحرب.

(4) الوقف قد يكون علة أصابت اليد فوقفت أو أن الرجل في يده وقف وهو حبس العين في سبيل الله والتصدق بالمنفعة وكلاهما العلّة في اليد أو الوقف في سبيل الله وهما ما يتبادر للذهن لا يخلان بشروط الإمامة.

قال: صلِّ وخَلاكَ ذمٌّ[1]!

قال: أيدخُلُ القصْرُ في صَلاةِ الشاهدِ؟ (صلاة الشاهد هي صلاة المغرب سميّت كذلك لإقامتها عند طلوع النجم لأن النجم يسمّى الشاهد).

قال: لا والغائِبِ الشّاهِدِ[2]!

قال: أيَجوزُ للمَعذورِ أن يُفطِرَ في شهرِ رمَضانَ؟

قال: ما رُخّصَ إلا للصّبْيانِ!

قال: فهلْ للمُعَرِّسِ أن يأكُلَ فيه؟ (المعرس المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليستريح ثم يرحل).

قال: نعمْ بمِلْءِ فيهِ!

قال: فإنْ أفطَرَ فيهِ العُراةُ؟ (العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة).

قال: لا تُنكِرُ عليْهِمِ الوُلاةُ[3]!

قال: فإنْ أكلَ الصّائِمُ بعدَما أصبَحَ؟ (أصبح أي استصبح بالمصباح).

قال: هوَ أحوَطُ لهُ وأصلَحُ!

قال: فإنْ عمَدَ لأنْ أكلَ ليْلاً؟ (ذكر ابن دريد أن الليل فرخ الحبارى وقال غيره هو ولد الكروان).

---

(1) الفخذ ما بين الورك والركبة والجمع أفخاذ والصلاة تبطل حين تبدو الفخذ وخلاك ذم عبارة مأثورة عند العرب مفادها لا يلحقك ما تعاب وتذم به والثور ذكر البقر والأجمّ الذي لا قرن له.

(2) القصر في الصلاة أداؤها قصيرة لأسباب منصوص عليها من سفر وخلافه والشاهد هو من يؤدّي الشهادة وهو أيضاً من يشهد الصلاة وهذا لا يجوز له التقصير في صلاته والغائب الشاهد هو الله فهو غائب عن الأبصار ولكنه شاهد على الأفعال دقّت أو عظمت.

(3) المعذور هو المختون ورخّص له أي أعطي رخصة أي إذناً والمعذور من أصابه عذر والمعرّس من عرّس إذا دخل بالعروس وهو لا يجوز له الإفطارفي رمضان والعراة والواحد عار وهذا لايحق له أن يفطر والولاة القضاة ولا تنكر أي لا تعيب.

قال: ليُشمّرْ للقَضاء ذَيْلاً[1]!

قال: فإنْ أكلَ قبْلَ أن تتوارَى البَيْضاءُ؟ (البيضاء من أسماء الشمس).

قال: يلزَمُهُ واللهِ القَضاءُ![2]

قال: فإنِ استَثارَ الصّائِمُ الكَيْدَ؟ (الكيد هو القيء واستثاره أي استدعاه).

قال: أفْطَرَ ومنْ أحَلّ الصّيدَ[3]!

قال: ألَهُ أن يُفْطِرَ بإلحاحِ الطّابِخِ؟ (الطابخ الحمى الصالب).

قال: نعَمْ لا بِطاهي المَطابِخِ!

قال: فإنْ ضحِكَتِ المرأةُ في صومِها؟ (ضحكت ههنا أي حاضت ومنه قوله تعالى: ﴿فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ [هُود: 71].

قال: بطَلَ صومُ يومِها[4]!

قال: فإنْ ظهرَ الجُدَرِيُّ على ضَرّتِها؟ (الضرّة أصل الإبهام وأصل الثدي).

قال: تُفطِرُ إن آذَنَ بمضَرّتِها[5]!

قال: ما يجِبُ في مِئَةِ مِصباحٍ؟ (المصباح الناقة في المبرك).

---

(1) أصبح إذا دخل في الصباح ويكون حينئذ وقت إمساك والأحوط تعبير فقهي يعني التصرف الذي يتوخّى منه الاحتياط والحزم وعمد أي تعمّد وقصد وأكل الليل هو الأكل في الليل ولكن أكل الليل وهو الطائر عمداً مما يوجب الإحالة على القضاء ويشمر ذيله للشيء أي يتأهب ويستعد.

(2) تتوارى أي تغيب ويلزمه أي يجب عليه والقضاء في الفقه تأدية فريضة بدلاً عن فريضة تم التفريط فيها فاليوم بيوم والصلاة بصلاة وهكذا على أن ينوي الفاعل نية القضاء عند الأداء.

(3) الكيد هو الحيلة والمكر والخبث وإرادة مضرة الغير وإيذائهم وهو على بشاعته ليس مفطراً ولكن القيء مفطر ومحلّ الصيد هو الله يقسم به.

(4) الطاهي هو الطبّاخ والطابخ وليس فيه ما يفطر ولكن الحمى الشديدة تفطر أما الضحك فهوالضحك المعروف وليس بمفطر ولكن الحيض مفطر.

(5) الجدري وباء جلدي والضرة هي للمتزوجة امرأة تجتمع معها في عصمة زوجها وآذن أي أعلم أي أن الداء إذا بدأ يضرّ بها حقّ لها أن تفطر.

قال: حِقّتانِ يا صاحِ![1]

قال: فإنْ ملَكَ عشْرَ خَناجِرَ؟ (الخناجر النوق الغزار الدر واحدتها خنجر وخنجور).

قال: يُخرِجُ شاتَينِ ولا يُشاجِرُ[2]!

قال: فإنْ سمَحَ للسّاعي بحَميمَتِهِ؟ (الساعي جابي الصدقة والحميمة خيار المال).

قال: يا بُشْرى لهُ يومَ قِيامتِهِ[3]!

قال: أيستَحِقّ حمَلَةُ الأوْزارِ منَ الزّكاةِ جُزْءاً؟ (الأوزار السلاح وغزّى جمع غازٍ).

قال: نعَمْ إذا كانوا غُزّى[4]!

قال: أيَجوزُ للحاجّ أن يعتَمِرَ؟ (الاعتمار لبس العِمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار).

قال: لا ولا أنْ يختَمِرَ[5]!

قال: فهلْ لهُ أنْ يقتُلَ الشُجاعَ؟ (الشجاع الحيّة).

---

(1) والحقتان واحدتهما حقّة وهي على ما جاء في المحكم لإبن سيده: «والحق من أولاد الإبل الذي بلغ أن يركب ويحمل عليه... والاستحقاق وقيل إذا بلغت أمه أوان الحمل من العام المقبل فهو حق بين الحقة وقيل إذا بلغ هو وأخته أن يحمل عليهما فهو حق وقيل الحق الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في والجمع أحق وحقاق والأنثى من كل ذلك حقة بينة» والحقّة بفتح الحاء والقاف الحق المخصوص وبضم الحاء وعاء الطيب والمصيبة والمرأة والحقّة بكسر الحاء الحق والواجب وأحسب أن الجواب يعني الثانية أي وعاء الطيب يورّي بها عن الحقة أي أنثى الإبل.

(2) الخنجر والجمع خناجر السكين العظيمة وليس في ملك السكاكين شيء على العكس من النوق وتشاجر أي تخاصم.

(3) الحميمة مؤنث الحميم وهو قريبك ومن تودّه وتهتم بأمره والحميمة أيضاً الكريمة من الإبل وأحسب أن المعنى الأول هو المراد للتورية به.

(4) الأوزار والواحد وزر هو الإثم أو الذنب وغزّى أي غزاة وكان الغزو جهاداً.

(5) يعتمر أي يحجّ العمرة واختمر اختماراً أي كتم الشيء وأخفاه والعجين صار خميراً والنبيذ صار خمراً.

قال: نعمْ كما يَقتُلُ السّباع!

قال: فإنْ قتَلَ زَمّارَةً في الحرَمِ؟ (الزمّارة النعامة).

قال: عليْهِ بدَنَةٌ منَ النّعَمِ[1]!

قال: فإنْ رمى ساقَ حُرٍّ فجَدّلَهُ؟ (ساق حرّ هو ذكر القمارى).

قال: يُخرِجُ شاةً بدَلَهُ!

قال: فإنْ قتَلَ أمّ عوْفٍ بعْدَ الإحْرامِ؟ (أم عوف الجرادة).

قال: يتصدّقُ بقَبضَةٍ منْ طَعامٍ!

قال: أيجِبُ على الحاجّ استِصْحابُ القارِبِ؟ (القارب طالب الماء بالليل).

قال: نعمْ ليَسوقَهُمْ إلى المَشارِبِ!

قال: ما تَقولُ في الحَرامِ بعْدَ السّبتِ ؟(الحرام المحرّم والسبت حلق الرأس وحلّ من تحليل الحجّ).

قال: قدْ حلّ في ذلِكَ الوقتِ!

قال: ما تَقولُ في بيْعِ الكُمَيتِ؟ (الكميت الخمر).

قال: حَرامٌ كبَيعِ الميْتِ[2]!

قال: أيَجوزُ بيعُ الخلّ بلَحْمِ الجمَلِ؟ (الخل ابن المخاض ولا يحلّ بيع اللحم بالحيوان سواء كان من جنسه أو من غير جنسه).

---

(1) الشجاع الجسور والمقدام والسباع والواحد سبع كل كاسر من الحيوانات وأما الزمّارة فالمرأة تزمر في قتلها قصاص لا يقف عند حدود أداء البدنة أي الأضحية من بقر أو إبل والنعم أي الأنعام وهي الإبل أو الإبل والبقر والغنم.

(2) الساق ما فوق البدن والحرّ السيد نقيض العبد وجدله أي قتله فطرحه على الأرض والقارب السفينة الصغيرة وقد تقدّم أن الحجيج يحلقون رؤوسهم عند الفراغ من مناسك الحج ويتحللون من الإحرام والكميت فرس في لونه سواد وهذا ليس بمحرم بيعه ولكن الكميت وهي الخمرة قد حرمها الشارع شرباً وبيعاً ونقلاً وصناعة.

قال: ولا بلَحْمِ الحمَلِ!

قال: أيَحِلّ بيْعُ الهديّةِ؟ (الهدية ما يهدى إلى الكعبة ويقال فيها هَدْيَة والسبيّة الخمر).

قال: لا ولا بيعُ السّبيّةِ[1]!

قال: ما تَقولُ في بيْعِ العَقيقَةِ؟ (العقيقة ما يذبح على المولود في اليوم السابع من ولادته).

قال: محْظورٌ على الحقيقَةِ[2]!

قال: أيَجوزُ بيْعُ الدّاعي، على الرّاعي؟ (الداعي بقية اللبن في الضرع والساعي جابي الصدقة).

قال: لا ولا على السّاعي[3]!

قال: أيُباعُ الصّقْرُ بالتّمرِ؟ (الصقر الدبس).

قال: لا ومالِكِ الخَلْقِ والأمرِ[4]!

قال: أيَشتَري المُسلِمُ سلَبَ المُسلِماتِ؟ (السلب لحاء الشجر وهو أيضاً خوص الثُّمام).

قال: نعَمْ ويورَثُ عنهُ إذا ماتَ[5]!

---

(1) الخل ما حَمُض من عصير العنب ولا مانع من بيعه مع لحم الجمل أو أي لحم آخر والهدية ما يتحف به المرء صاحبه إكراماً وهذه لا مانع من بيعها والسبية الأنثى سبيت من بلادها وهذه لا مانع من بيعها.

(2) العقيقة شعر كل مولود من إنسان أو حيوان وهذا ليس محظوراً بيعه.

(3) الداعي الذي يدعو الناس والراعي الذي يرعى الماشية وليس في البيع والشراء بينهما محظور.

(4) الصقر هو الطائر المعروف من الجوارح وليس في بيعه بتمر إشكال ولكن الإشكال في بيع عسل التمر بالتمر.

(5) السلب ما يسلب أي ينتزع قهراً من حلي أو مال أو سلاح أو دابة وهذا محرّم بيعه وشراؤه إذا كان الشاري عارفاً بحقيقة مصدره.

قال: فهلْ يجوزُ أن يُبْتاعَ الشافِعُ؟ (الشافع الشاة التي يتبعها سخلها).

قال: ما لِجوازِهِ منْ دافِعٍ[1]!

قال: أيُباعُ الإبريقُ على بَني الأصْفَرِ؟ (الإبريق السيف الصقيل الكثير الماء وبنو الأصفر أي الروم).

قال: يُكرَهُ كبَيْعِ المِغْفَرِ[2]!

قال: أيَجوزُ أن يَبيعَ الرّجُلُ صَيْفِيّهُ؟ (الصيفي الولد على الكبر والصفي الناقة الغزيرة الدر).

قال: لا ولكِنْ ليَبِعْ صَفيّهُ[3]!

قال: فإنِ اشتَرى عبْداً فبانَ بأمِّهِ جِراحٌ؟ (الأم مجتمع الدماغ).

قال: ما في ردّهِ منْ جُناحٍ[4]!

قال: أتَثْبُتُ الشُفْعَةُ للشّريكِ في الصّحْراء؟ (الصحراء الأتان التي يمازج لونها بياض والصفراء الناقة).

قال: لا ولا للشّريكِ في الصّفْراء!

قال: أيَحِلّ أنْ يُحْمَى ماء البِئْرِ والخَلا؟ (يحمى يمنع والخلا الكلأ).

قال: إنْ كانَ في الفَلا فَلا!

---

(1) الشافع هو من يشفع في أمر وهو مما لا يباع.

(2) الإبريق إناء للشرب وليس في بيعه للروم إشكال ولكن بيع السيف والمغفر وهو بيضة من حديد هي الخوذة يلبسها الفارس مما يحظر فالروم أعداء.

(3) الصيفي ما ولد في الصيف من أولاد الإبل وأما الصفي فالمختار من الأصحاب الأحرار وعليه فلا يجوز بيع الإبن ولكن يجوز بيع الناقة الغزيرة الدر.

(4) المعنى واضح فإن من اشترى عبداً فبانت أي ظهرت في أم رأسه جراح فلا جناح أي لا إثم عليه أن يرد العبد على البائع.

قال: ما تَقولُ في مَيْتَةِ الكافِرِ؟ (الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه).

قال: حِلٌّ للمُقيمِ والمُسافِرِ[1]!

قال: أيجوزُ أن يُضَحّى بالحُولِ؟ (الحول جمع حائل).

قال: هوَ أجدَرُ بالقَبولِ!

قال: فهلْ يُضحّى بالطّالِقِ؟ (الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت).

قال: نعمْ ويُقْرَى منْها الطّارِقُ[2]!

قال: فإنْ ضحّى قبْلَ ظُهورِ الغَزالَةِ؟ (الغزالة الشمس قال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت وضدها الجونة تسمى بها عند مغيبها لأنها تسودّ حين تغيب كما قال الشاعر: «تبادر الجونة أن تغيبا»).

قال: شاةُ لحْمٍ بِلا مَحالَةٍ[3]!

قال: أيحِلّ التكَسّبُ بالطَّرْقِ؟ (الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة)

قال: هوَ كالقِمارِ بِلا فرْقٍ!

قال: أيُسَلّمُ القائِمُ على القاعِدِ؟ (القاعد التي قعدت عن الحيض والأزواج).

---

(1) الشفعة حق الجار في تملّك العقار جبراً على مشتريه بشروط خاصّة والصفراء الذهب ويحمى من أحمى أي سخّن والفلا أي الفلاة وهي المفازة وكذا هي الخلا والميتة ما زالت حياته دون ذبح من الحيوان والكافر الآدمي الذي كفر بالله أي جحد وجوده وأنكره والحلّ أي الحلال.

(2) الحول والواحد أحول وهو من مال إنسان عينه عن موضعه ولا يضحّى أي يقدّم أضحية الإنسان أم الحول الثانية والتي هي جمع حائل فهي الأنثى لم تحمل ووجه القبول في ذلك أن التضحية بالناقة أو الشاة أو البقرة تجوز إن ثبت أنها غير حامل والطالق المطلّقة من النساء وهذه لا يجوز التضحية بها ولا أن يقرى أي أن يقدم قرى أي طعاماً منها للضيف الطارق أي الآتي في الليل.

(3) الغزالة هي الظبية وهي المورّى بها ولا حاجة للمضحّي بظهورها والشاة الواحدة من ذوات الظلف ذكراً كانت أم أنثى ولا محالة أي لابد ولا حيلة في الأمر والمراد أن ليس هناك أضحية بل لحم يباع ويؤكل.

قال: محْظورٌ فيما بينَ الأباعِدِ[1]!

قال: أيَنامُ العاقِلُ تحتَ الرّقيعِ؟ (الرقيع السماء وعنى بالبقيع بقيع المدينة).

قال: أحْبِبْ بِهِ في البَقيعِ!

قال: أيُمنَعُ الذّمّيّ منْ قتْلِ العَجوزِ؟ (العجوز الخمر وقتلها مزجها).

قال: مُعارضَتُهُ في العَجوزِ لا تَجوزُ!

قال: أيجوزُ أن ينتَقِلَ الرّجُلُ عنْ عِمارَةِ أبيهِ؟ (العمارة القبيلة).

قال: ما جُوّزَ لخامِلٍ ولا نَبيهٍ.

قال: ما تَقولُ في التهَوّدِ؟ (التهوّد التوبة ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: 156].

قال: هوَ مِفْتاحُ التّزهُّد[2].

قال: ما تَقولُ في صبْرِ البَلِيّةِ؟ (الصبر الحبس والبلية الناقة تحبس عند قبر صاحبها فلا تسقى ولا تعلف إلى أن تموت وكانت الجاهلية تزعم أن صاحبها يحشر عليها).

---

(1) الطرق يكون للصوف إذا طرقه المنجد بقضيب أو للحديد إذا طرقه الصانع بمطرقته والكهنة والكهان والواحد كاهن من يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ومن يدّعي معرفة الأسرار وعليه فان الكسب بالكهانة حرام كالقمار والقائم الواقف وعليه فإن الواقف لا يسلم على المرأة الحائض إلا إذا كان قريباً لها وإلا فالسلام بين الإثنين محرّم أي محظور إذا كانا من الأباعد أي لا صلة قربى تجمعهما.

(2) الرقاعة الحمق وقلة الحياء والمتخلّق بها رقيع ونوم العاقل تحت الرقيع بهذا المعنى واضح لا لبس فيها ولكن المراد نوم العاقل في العراء وفضّل النوم في العراء في البقيع وفيه مقابر جمهور من الصحابة في المدينة المنورة الذمي هو غير المسلم في دار الإسلام وقد أعطي الذمة أي الأمان فأمّن على ماله وأهله وعرضه ودمه فأعطى الجزية والعجوز المرأة الهرمة والعمارة ما يعمره المرء من بنيان وللإبن في هذا الحقّ بالتحول عن دار أبيه إلى دار أخرى والخامل الذي لا نباهة له والنبيه الشريف وذو النباهة وجوّز أي أذن فيه ورُخّص والتهوّد الدخول في دين يهود والتزهّد الإعراض عن الدنيا ومغرياتها.

قال: أعظِمْ بهِ منع خَطيّةٍ.

قال: أيَحِلّ ضرْبُ السّفيرِ؟ (السفير ما تساقط من ورق الشجر والمستشير الجمل السمين وهو أيضاً الذي يعرف اللاقح من الحائل).

قال: نعمْ والحمْلُ على المُستَشيرِ[1].

قال: أيُعزِّرُ الرّجُلُ أباهُ؟ (التعزير التعظيم والنصرة والتوقير).

قال: يفعَلُهُ البَرُّ ولا يأباهُ.

قال: ما تَقولُ في مَنْ أفقَرَ أخاهُ؟ (أفقره أعاره ناقة يركب فقارها).

قال: حبّذا ما توَخّاهُ!

قال: فإنْ أعْرى ولدَهُ؟ (أعراه أعطاه ثمرة نخلة عاماً).

قال: يا حُسْنَ ما اعتَمَدَهُ![2]

قال: فإنْ أصْلى ممْلوكَهُ النّارَ؟ (المملوك العجين الذي قد أجيد عجنه حتى قوي).

قال: لا إثْمَ عليْهِ ولا عارٌ.

قال: أيَجوزُ للمرأةِ أنْ تصرِمَ بعْلَها؟ (البعل النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض).

قال: ما حظَرَ أحدٌ فِعْلَها[3].

---

(1) الصبر هو التجلد عند البلاء وأعظم به أي ما أعظمه ومنع الخطية أي الحؤول دون وقوعها ومعلوم ان التصبّر يحول دون المرء والوقوع في مكروه أو محرّم من قول أو فعل والسفير الرسول ومن يتولى الصلح بين قوم والمستشير من يشاور في أمره.

(2) التعزير في الفقه هو التأديب دون الحدّ ويأباه أي يرفضه وينكره والتعزير من الأضداد في اللغة فهو ما قدّمنا وهو أيضاً التعظيم وقد وردت المادة في سورتي الأعراف 157 والمائدة 12 بمعنى التعظيم والنصرة والبر أي البارّ الصادق وأفقر أخاه أي جعله فقيراً وحبذا لفظ تعجبي واستحسان بمعنى أحبب بهذا وتوخى الشيء إذا أراده ورمى إليه وأعراه إذا نزع عنه ثيابه وتركه عرياناً واعتمده أي قصده وأراده.

(3) المملوك هو العبد وأصلاه النار أدخله فيها وهذا لا يجوز شرعاً وصرم أي قطع بائناً وفي النخيل=

قال: فهلْ تؤدَّبُ المرأةُ على الخجَلِ؟ (الخجل سوء احتمال الغنى ومنه قوله ﷺ: «إنكن إذا جعتنّ دقعتنّ وإذا شبعتنّ خجلتنّ».

قال: أجلْ[1].

قال: ما تَقولُ في مَنْ نحَتَ أثلَةَ أخيهِ؟ (نحت أثلته إذا اغتابه وقدح في عرضه).

قال: أثِمَ ولوْ أذِنَ لهُ فيهِ.

قال: أيَحْجُرُ الحاكِمُ على صاحبِ الثّوْرِ؟ (الثور الجنون).

قال: نعمْ ليأمَنَ غائِلَةَ الجوْرِ.

قال: فهلْ لهُ أن يضْرِبَ على يدِ اليَتيمِ؟ (ضرب على يده إذا حجر عليه).

قال: نعمْ إلى أن يَستَقيمَ![2]

قال: فهلْ يجوزُ أن يتّخِذَ لهُ ربَضاً؟ (الربض الزوجة).

قال: لا ولوْ كان لهُ رِضًى.

قال: فمتى يبيعُ بدَنَ السّفيهِ؟ (البدن الدرع القصيرة).

قال: حينَ يرى لهُ الحظَّ فيهِ.

= جزّه والبعل الزوج وحظر أي منع وحرّم والمعروف أن ليس للمرأة أن تهجر أو تصد أو تعرض عن بعلها أي زوجها.

(1) التأديب هو تقويم الأخلاق والسلوك وإلانة العريكة والمعاقبة على كل إساءة تخل بأصول الأدب والخجل هو الحياء والاحتشام وأما الحديث فالنبوي المثبت أعلاه فأصله كالتالي: «يا عائشة لا تقتري فيقتر الله عليك إنكن لتكفرن العشير وتغلبن ذا الرأي على رأيه إذا شبعتن خجلتن وإذا جعتن دقعتن» وتفسيره: «خجلت»: أراد الكسل والتواني لأن الخجل يسكت ويسكن ولا يتحرك وقيل الخجل ها هنا: الأشر والبطر من خجل الوادي: إذا كثر نباته وعشبه. «دقعتن»: الدقع الخضوع فى طلب الحاجة، مأخوذ من الدقعاء، وهو التراب ومعناه: لصقتن به».

(2) نحت أي نجر والأثلة شجرة وفي سورة سبأ الآية 16: ﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ والحجر المنع مطلقاً أو المنع بالتصرف بمال والثور ذكر البقر والغائلة الداهية والمهلكة والفساد والشر والجور الظلم والتعدّي واليتيم ويستقيم أي يعتدل.

قال: فهلْ يجوزُ أن يبْتاعَ لهُ حَشّاً؟ (الحشّ النخل المجتمع).

قال: نعمْ إذا لمْ يكُنْ مُغَشّى[1].

قال: أيجوزُ أن يكونَ الحاكِمُ ظالِماً؟ (الظالم الذي يشرب اللبن قبل ان يروّب ويخرج زبده).

قال: نعمْ إذا كان عالِماً.

قال: أيُستَقْضى منْ ليستْ لهُ بَصيرةٌ؟ (البصيرة الترس).

قال: نعمْ إذا حسُنَتْ منهُ السّيرَةُ.

قال: فإنْ تعرّى منَ العَقْلِ؟ (العقل ضرب من الوشي).

قال: ذاكَ عُنوانُ الفضْلِ.

قال: فإنْ كانَ لهُ زهْوُ جبّارٍ؟ (الزهو البُسر المتلوّن والجبّار النخل الذي فات اليد وضدّه القاعد).

قال: لا إنْكارَ عليهِ ولا إكْبار.

قال: أيجوزُ أن يكونَ الشاهِدُ مُريباً؟ (المريب الذي يكثر عنده اللبن الرائب).

قال: نعمْ إذا كان أريباً.

قال: فإنْ بانَ أنّهُ لاطَ؟ (لاط الحوض إذا طيّنه).

قال: هوَ كما لوْ خاطَ[2].

---

(1) الربض المسكن والمأوى ومأوى الغنم وما حول المدينة من مساكن والمعنى هنا هو لا يجوز اتخاذ زوجة ليتيم لم يبلغ مبلغ الرجال والبدن أي الجسد والمعنى أن الدرع يباع حين يواتي الحظ وتكون الصفقة رابحة والحشّ من أسماء الكنيف والمغطّى أي المستور.

(2) الظالم أي الجائر ويستقضى أي يجعل قاضياً وتعرّى من العقل أي خلع ثياب الوشي تزهداً والزهو الكبرياء والصلف والجبار المتكبر الذي يجبر الناس على فعل ما ولاط إذا فعل فعل قوم لوط أي أتى ذكراً.

قال: فإنْ عُثِرَ على أنّهُ غربَلَ؟ (غربل إذا قتل ومنه قول الراجز «ترى الملوك حوله مغربلة»).

قال: تُرَدّ شهادَتُهُ ولا تُقبَلُ.

قال: فإنْ وضَحَ أنهُ مائِنٌ؟ (المائن ها هنا الذي يعول ويكفي المئونة من مان يمون لا مان يمين).

قال: هوَ لهُ وصْفٌ زائِنٌ(1).

قال: ما يجِبُ على عابِدِ الحَقّ؟ (العابد هنا الجاحد والحق الدين).

قال: يُحلَّفُ بإلَهِ الخلْقِ.

قال: ما تَقولُ في منْ فقَأ عينَ بُلْبُلٍ عامِداً؟ (البلبل الرجل الخفيف).

قال: تُفقَأُ عينُه قوْلاً واحِداً(2).

قال: فإنْ جرَحَ قَطاةَ امرأةٍ فماتَتْ؟ (القطاة ما بين الوركين).

قال: النّفْسُ بالنّفْسِ إذا فاتَتْ.

قال: فإنْ ألقَتِ الحامِلُ حَشيشاً منْ ضرْبِهِ؟ (الحشيش الجنين الملقى ميتاً).

قال: ليُكفِّرْ بالإعْتاقِ عنْ ذنْبِهِ(3).

قال: ما يجِبُ على المُختَفي في الشّرْعِ؟ (المختفي نبّاش القبور).

---

(1) المائن هو الكذاب والزائن أي الذي يزين.

(2) جاء في سورة المائدة الآية 45: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ والبلبل الطائر المعروف.

(3) القطاة طائر قريب الشبه من الحمام وقد تقدّم ذكره ولكن القطاة بمعنى العجز إذا ادى جرحها إلى موت فالقصاص نفس بنفس والحامل أي الحبلى وهي أيضاً من فعل حمل والحشيش العشب والإعتاق في الفقه أي تحرير عبد أو أكثر وهو هنا تحرير رقبة مؤمنة والتكفير هو اداء الكفّارة وتكون من صدقة أو صوم أو عتق.

قال: القطْعُ لإقامَةِ الرّدْعِ.

قال: فما يُصنَعُ بمَنْ سرَقَ أساوِدَ الدّارِ؟ (الأساود الآلات المستعملة كالإجّانة والقدر الجفنة).

قال: يُقطَعُ إنْ ساوَينَ رُبعَ دينارٍ.

قال: فإنْ سرَقَ ثَميناً من ذهَبٍ؟ (الثمين الثمن كما يقال في النصف نصيف وفي السدس سديس).

قال: لا قَطْعَ كما لو غصَبَ.

قال: فإنْ بانَ على المرأةِ السّرَقُ؟ (السرق الحرير الأبيض).

قال: لا حرَجَ عليْها ولا فرَقَ[1].

قال: أينعَقِدُ نِكاحٌ لمْ يشهَدْهُ القَواري؟ (القواري الشهود لأنهم يقرّون الأشياء أي يتّبعونها)

قال: لا والخالِقِ الباري.

قال: ما تَقولُ في عَروسٍ باتَتْ بلَيلَةٍ حُرّةٍ، ثمّ رُدّتْ في حافِرَتِها بسُحْرَةٍ؟

(يقال باتت العروس بليلة حرّة إذا امتنعت على زوجها فإن افتضّها قيل باتت بليلة شيباء والردّ في الحافرة الرجوع في الطريق الأول وكنى به عن طلاقها قبل ردها إلى أهلها).

قال: يجبُ لها نصفُ الصّداقِ، ولا تلْزَمُها عِدّةُ الطّلاقِ[2].

(1) المختفي المستتر والقطع أي قطع اليد وهو حدّ السرقة والردع الكف والمنع وفي سورة المائدة الآيـــة 38: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوٓا أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ والأساود واحدتها أسود وهي الحية العظيمة وليس في سرقتها حد ولكن يقضى بالقطع في حال سرق آنية قيمتها تساوي ربع دينار والثمين الغالي وغصب أي أخذ الشيء قهراً وبان أي ظهر والسرق أي السرقة والحرج الإثم والفرق الخوف.

(2) القواري والواحدة قارية وهي طائر قصير الرجلين طويل المنقاد أخضر الظهر كانت العرب تتيمن=

فقال لهُ السّائِلُ:

للهِ دَرُّكَ من بحْرٍ لا يُغَضْغِضُهُ الماتِحُ، وحَبْرٍ لا يبلُغُ مدْحَهُ المادِحُ! ثمّ أطرَقَ إطْراقَ الحَييّ، وأرَمّ إرْمامَ العَييّ! فقال لهُ أبو زيدٍ: إيهٍ يا فَتى! فإلى متى وإلى متى؟ فقالَ لهُ[1]: لمْ يبْقَ في كِنانَتي مِرْماةٌ، ولا بعْدَ إشْراقِ صُبحِكَ مُماراةٌ! فبِاللهِ أيُّ ابنِ أرْضٍ أنتَ؟! فما أحسنَ ما أبَنْتَ!

فأنشَدَ بلِسانٍ ذلِقٍ، وصوتٍ صهْصَلِقٍ[2]:

أنــا فــي الــعــالَــمِ مُــثْــلَــةْ ولأهْـــلِ الـــعِـــلْـــمِ قِـــبــلَـــةْ
غـــيـــرَ أنّـــي كُـــلَّ يـــومٍ بـــيـــنَ تـــعْـــريـــسٍ ورِحـــلَـــةْ[3]
والـــغَـــريـــبُ الـــدّارِ لـــوْ حــلّ بـــطـــوبـــى لـــمْ تـــطِـــبْ لَـــهْ[4]

= به والقواري لا شأن لها بعقد النكاح والعروس نعت يستوي فيه الذكر والأنثى مادامـا في أعراسهما والحرة الكريمة من النساء والسحرة آخر الليل ونصف الصداق أي نصف المهر وعدّة الطلاق أي ما يجب أن تلتزم به المرأة المطلّقة من امتناع عن الزواج حتى انقضاء مدة معلومة تعدّ أيامها أو إقرائها حتى تتخلص من زواج سابق وتستطيع الزواج من جديد والغاية من ذلك هي الاستبراء أي إن الرحم خال من حمل وفي سورة الأحزاب الآية 49: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

(1) غضغض الماءَ إذا نزحه وأنقصه والماتح المستقي من البئر والحبر العالم وأطرق إذا سكت وقد أحنى رأسه والحيي الخجول المستحي وأرمّ أي صمت وسكت والعيي الكالّ العاجز عن النطق وإيه أي زدني من سؤالك وإلى متى أي إلى متى سكوتك وصمتك.

(2) الكنانة جعبة السهام والمرماة ما يُرمى به الغرض والمراد لم يبق عندي سؤال أسأله والمماراة الجدل وأبنت أي أفصحت وأوضحت وأظهرت والذلق من صفات اللسان الذرب الحادّ والصهصلق المرأة الصخّابة الشديدة الصوت ويقال أيضاً صوت صهصلق أي شديد.

(3) المثلة المغيّر الخلق وقد تكون من مثل به أي نكل وفي المحكم إبن سيده: «ومَثَلَ بالرَّجُلِ يمثُل مَثْلاً ومُثْلَةً الأخيرةُ عن ابنِ الأعْرابِيِّ ومَثَّلَ كِلاهُما نَكَّلَ به وهي المَثُلَةُ والمُثْلَةُ» أو بمعنى من صار مثلاً وأحسبها المراد هنا والقبلة استعارها هنا ليقول إن أهل العلم يتوجهون إليه والتعريس النزول آخر الليل والرحلة الارتحال.

(4) طوبى قيل إنها من أسماء الجنة أو اسم لشجرة فيها وقد وردت في سورة الرعد الآية 29: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾ وطابت له لذّت ورغدت.

ثمّ قال: اللهُمّ كما جعلْتَنا ممّنْ هُدِيَ ويهْدي، فاجعَلهُمْ ممّنْ يهْتَدي ويُهْدى! فساقَ إليْهِ القومُ ذَوْداً معَ قَيْنَةٍ؛ وسألوهُ أن يَزورَهُمُ الفَيْنَةَ بعدَ الفَيْنةِ. فنهضَ يُمَنّيهِمِ العَوْدَ، ويُزَجّي الأمَةَ والذّوْدَ[1].

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فاعْتَرَضْتُهُ وقلتُ لهُ عهْدي بكَ سَفيهاً، فمتى صِرْتَ فَقيهاً!؟ فظلّ هُنيهَةً يَجولُ، ثم أنشدَ يقولُ[2]:

لَبِسْتُ لكُلّ زمانٍ لَبوسا ... ولابَسْتُ صَرْفَيهِ نُعمى وبوسَى
وعاشَرْتُ كلَّ جَليسٍ بما ... يُلائِمُهُ لأروقَ الجَليسا
فعندَ الرُّواةِ أديرُ الكلامَ ... وبينَ السُّقاةِ أديرُ الكؤوسا
وطَوْراً بوعْظي أسيلُ الدّموعَ ... وطوْراً بلَهْوي أسُرّ النّفوسا[3]
وأقْري المَسامِعَ إمّا نطَقْتُ ... بَياناً يقودُ الحَرونَ الشَّموسا
وإنْ شِئتُ أرعَفَ كفّي اليَراعَ ... فساقَطَ دُرّاً يُحَلّي الطُّروسا
وكم مُشكِلاتٍ حَكَينَ السُّهى ... خَفاءً فصِرنَ بكَشفي شُموسا[4]

---

(1) هُدي ويهدي أي أرشِد ويرشدُ ويهتدي أي يسترشد ويستدل ويُهْدى أي يعطى الهدية والذود جماعة من الإبل بين الثلاثة والتسعة والقينة الجارية الجميلة وقد تكون المغنية ونهض أي قام ويمنّيهم أي يؤملهم والعود الرجوع وفي سورة النساء الآية 120: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ ويزجّي أي يسوق والأمة أي الجارية.

(2) اعترضته وقفت في طريقه وحلت بينه وبين ما يريد والسفيه البطّال الشغول باللهو والفقيه العالم بالشريعة وأحكامها وظلّ أي مكث وهنيهة وهي تصغير هنة ويقال أيضاً هنّية وهي الوقت القصير ويجول أي يتردد.

(3) اللبوس أي اللباس ولبوس الشيء ما يشاكله من لباس ولا بست أي خالطت وصرفيه أي حاليه من الخير والشر وعاشرت أي صاحيت ويلائمه يوافقه وأروق أي أعجب والرواة والواحد راو وهو من ينقل الأخبار والأحاديث والسقاة واحدها ساق وهو الذي يسقي الندامى وطوراً أي مرة.

(4) وأقري من القرى وهو طعام الضيف أي أعطي المسامع وهي الآذان والبيان المنطق الفصيح المعبّر عمّا في الضمير والحرون والشمو س الدابة المستعصية التي لا تمكن أحداً من ظهرها يريد أن =

وكَمْ مُلَحٍ لي خلَبْنَ العُقولَ وأسْأرْنَ في كُلِّ قلْبٍ رَسيسا
وعذْراءَ فُهْتُ بها فانْثَنى عليها الثّناءُ طَليقاً حَبيسا
على أنّني منْ زَمانٍ خُصِصْتُ بكَيْدٍ ولا كيدَ فِرعَوْنَ موسى[1]
يُسَعِّرُ لي كلَّ يومٍ وغًى أطامِنُ لَظاها وَطيساً وَطيسا
ويَطْرُقُني بالخُطوبِ التي يُذِبنَ القُوَى ويُشِبنَ الرّؤوسا
ويُدْني إليّ البَعيدَ البَغيضَ ويُبعِدُ عني القَريبَ الأنيسا
ولَوْلا خَساسَةُ أخلاقِهِ لَما كانَ حظّيَ منهُ خَسيسا[2]

فقُلتُ له: خفّضِ الأحزان، ولا تلُمِ الزّمانَ. واشْكرْ لمَنْ نقلَكَ عنْ مذْهَبِ إبْليسَ، إلى مذْهَبِ ابنِ إدْريسَ! فقال: دعِ الهِتارَ ،ولا تهْتُكِ الأسْتارَ! انهَضْ بنا

= ببيانه يسحر حتى أشد السامعين قساوة ونفوراً وأرعف أي جعل الدم يسيل وهو هنا كناية عن إسالة الحبر واليراع ريشة الكتابة ويحلّي الطروس أي يزيّن الكتب والمشكلات واحدتها مشكلة وهي القضية المستغلقة وحكين أي شابهن والسهى كوكب خفي بجانب الكوكب الثاني من بنات نعش ويكشفي أي بيباني وإيضاحي وشموساً جمع الشمس يريد أن الخفي ببيانه صار ماثلاً ظاهراً للعيان كأنه الشمس.

(1) الملح واحدتها ملحة وهي المستحسن المستملح من الحديث وخلب أي فتن وخدع وأسار أي ترك سؤراً أي بقية وفي الحديث: «إِذَا شَرِبتُم فأَسْئِرُوا» أي أبْقُوا شَيْئاً من الشَّرَاب في قَعْرِ الإِناءِ والرسيس أول مسّ الحمّى يريد أن كلامه يترك هزّة كأنها رعدة ببدايات الحمى لجماله وفصاحته والعذراء أي القصيدة أو المعنى لم يُسبق إليه فانثنى عاد الثناء التقريظ والمدح طليقاً أي حراً منتشراً بين الناس ولكن حبيساً أي وقفاً عليها وخصصت أي أفردت والكيد إرادة مضرّة الغير خفية وهو أيضاً الحيلة والخبث وحديث فرعون وموسى معروف ويسعّر النار أي يهيّجها والوغى من أسماء الحرب وأطا من وطأ أي داس والوطيس التنور وما شابهه وهو الحرب أيضاً وحمي الوطيس عبارة قالها النبي تعني اشتدّت الحرب ويطرقني من طرق أي ضرب أو قصد ليلاً والخطوب والواحد خطب النازلة والحدث العظيم ويذبن من أذاب أي جعل الجامد سائلاً ويدني أي يقرب والبغيض الكريه والأنيس الحبيب الذي يأنس المرء به والخساسة الضعة والدناءة.

(2) خفّض أي أنقص وسكّن وقلل وابن إدريس هو الإمام الشافعي محمد بن إدريس 767 - 820م صاحب المذهب المعروف باسمه وأحد المذاهب السنّية الأربعة درس على مالك بن أنس في المدينة وأسّس علم الأصول له كتاب الأم في الفروع والرسالة في الأصول توفي بمصر ودفن قرب جبل المقطّم.

لنَضْرِبَ، إلى مسْجِدِ يثْرِبَ؛ فعسَى أنْ نرْحَضَ بالمَزارِ، درَنَ الأوْزارِ[1]. فقلْتُ: هيْهاتَ أن أسيرَ، أو أفْقَهَ التّفْسيرَ! فقال: تاللهِ لقدْ أوْجَبْتَ ذِمماً، وطلَبْتَ إذْ طلَبْتَ أمَماً! فهَاكَ ما يَشْفي النّفسَ، وينْفي اللَّبْسَ[2]!

قال: فلمّا أوضحَ لي المُعَمّى، وكشفَ عنّي الغُمّى؛ شدَدْنا الأكوارَ، وسِرْتُ وسارَ. ولمْ أزَلْ منْ مُسامرَتِهِ، مُدةَ مُسايرَتِهِ، في ما أنْساني طعْمَ المَشقّةِ، ووددْتُ معهُ بُعْدَ الشُقّةِ. حتى إذا دخَلْنا مدينَةَ الرّسولِ، وفُزْنا منَ الزّيارةِ بالسُّولِ؛ أشْأمَ وأعْرَقْتُ، وغرّبَ وشرّقْتُ[3].

(1) الهتار المشادّة بالقبيح والسب والباطل من القول ومن هاتر المهاترة ونضرب أي نسعى ونسير في الأرض ويثرب اسم المدينة المنورة قبل هجرة النبي إليها وقد نهى عن تسميتها بهذا الإسم ونرحض أي نزيل والمزار الزيارة والدرن الدنس والأوزار واحدها وزر وهو الذنب وفي سورة الشرح الآية 2: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾.

(2) هيهات حرف تبعيد بمعنى بَعُدَ ذلك عنك وأفقه أي أفهم وأعي وأوجب الشيء اعتدّه وصار واجباً والذمم واحدتها ذمّة وهي العهد والأمم القريب الهيّن والأمم القصد وينفي أي يطرح ويزيل واللبس التخليط.

(3) أوضح أي بيّن والمعمّى أي المستغلق والمشكل في معناه والغمّى أي الغم الشديد والأكوار والواحد كور وهو للإبل بمنزلة البرذعة من الحمار والمسامرة حديث الليل والمسايرة المشي والسير مع الآخر والمشقة العناء وودت أي أحببت وبعد الشقّة أي السفر البعيد وفزنا أي كسبنا والسول أي المطلوب والمراد وأشأم أي ذهب نحو الشام وأعرقت أي مضيت صوب العراق وغرّب أي ذهب غرباً وشرّقت أي ذهبت شرقاً.

المقامة التّفْليسيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

عاهدْتُ اللهَ تعالَى مُذْ يفَعتُ، أنْ لا أؤخّرَ الصّلاةَ ما استَطَعْتُ؛ فكنتُ مع جوْبِ الفلَواتِ، ولهْوِ الخلَواتِ، أُراعي أوْقاتَ الصّلاةِ، وأحاذِرُ منْ مأثَمِ الفَواتِ! وإذا رافَقْتُ في رِحلَةٍ، أو حللْتُ بحِلّةٍ؛ مرْحَبْتُ بصَوْتِ الدّاعي إليْها، واقتَدَيْتُ بمنْ يُحافِظُ عليْها[1]. فاتّفَقَ حينَ دخلْتُ تفْليسَ، أن صلّيتُ معَ زُمْرَةٍ مَفاليسَ. فلمّا قضيْنا الصّلاةَ، وأزْمَعْنا الانفِلاتَ، برزَ شيخٌ بادِي اللَّقوَةِ، بالي الكُسوَةِ والقُوّةِ، فقالَ: عزمْتُ على منْ خُلِقَ منْ طينَةِ الحُريّةِ، وتفوّقَ دَرَّ العصبيّةِ؛ إلا ما تكلّفَ لي لُبْثَةً، واستمَعَ مني نَفثَةً، ثمّ لهُ الخِيارُ منْ بعْدُ، وبيدِهِ البذْلُ والرّدُّ[2]! فعقَدَ لهُ القومُ الحُبَى،

(1) يفع الغلام إذا ترعرع وناهز البلوغ وجوب الفلوات أي قطع القفار ولهو الخلوات والواحدة خلوة أي حين يخلو للذاته وأراعي أي أحفظ وأحاذر أي أتقي والمأثم أي الإثم والفوات أي فوت الوقت فلا أؤدي الصلاة في ميقاتها والحلة أي البلدة أو القوم ومرحبت أي قلت مرحباً عملاً بالحديث النبوي: «من قال حين يسمع المؤذن يؤذن مرحبًا بالقائلين عدلاً مرحباً بالصلاة وأهلاً كتب الله له ألفي ألف حسنة ومحا عنه ألفي ألف سيئة ورفع له ألفي ألف درجة» والداعي الذي يدعو وهو هنا المؤذن.

(2) اتفق أي صادف ووقع من غير ميعاد وتفليس وهي تبليسي عاصمة جورجيا حالياً والزمرة والعصبة والجماعة واحد والمفاليس أي الفقراء الذين ذهبت أموالهم والأصل أفلس أي لم يبق معه دنانير بل فلوس وأزمعنا أي أردنا وعزمنا ونوينا والانفلات أي الانطلاق وبادي أي ظاهر واللقوة داء هو الفالج يصيب الوجه فيميل ويلتوي الشدق والكسوة الكساء وعزمت أي أقسمت وحلفت والطينة الأصل والحرّية تعني الكرم يريد أن من كان من أصل كريم حر وتفوّق أي رضع فواقاً أي شيئاً بعد شيء والدر الحليب والعصبية الحمية والأنفة وتكلّف الأمر تجشّمه وقام به مع مشقة =

ورسَوْا أمْثالَ الرُبى! فلمّا آنس حُسْنَ إنْصاتِهِمْ، ورَزانَةَ حَصاتِهِمْ، قال[1]: يا أولي الأبْصارِ الرّامِقَةِ، والبَصائرِ الرّائِقَةِ! أمَا يُغْني عنِ الخبَرِ العِيانُ، ويُنْبِئُ عنِ النّارِ الدخانُ؟ شَيبٌ لائِحٌ، ووهْنٌ فادِحٌ، وداءٌ واضِحٌ، والباطِنُ فاضِحٌ! ولقدْ كُنتُ واللهِ ممّنْ ملَكَ ومالَ[2]، ووَلِيَ وآلَ، ورفَدَ وأنالَ، ووَصَلَ وصالَ! فلَمْ تزَلِ الجَوائِحُ تسْحَتُ، والنّوائِبُ تنْحَتُ؛ حتى الوَكْرُ قَفْرٌ، والكفُّ صَفْرٌ، والشّعارُ ضُرٌّ، والعيشُ مُرٌّ! والصِّبْيَةُ يتَضاغَوْنَ من الطّوى، ويتمنّونَ مُصاصَةَ النّوى[3]! ولمْ أقُمْ هذا المَقامَ

= وجهد واللبثة من لبث وهي التوقف واللبث اليسير والنفثة ما يخرجه المصدور من صدره وتستعار لكلام الحزين والبذل العطاء والرد المنع.

(1) عقد القوم الحبا كناية عن الجلوس وقد وردت المادة مراراً ورسوا أي ثبتوا والراسي تقال في وصف الجبال والربى واحدتها ربوة وهي الأكمة والمرتفع من الأرض وآنس أي أبصر والإنصات السكوت للسماع والحصاة كناية عن العقل والرزانة الرجاحة وهي في الأصل الثقل والأناة وصارت تعني رجاحة العقل والحلم والتؤدة والحصاة يكنى بها عن العقل جاء في اللسان لابن منظور: «والحَصَاةُ العَقْل والرَّزانَةُ يقال هو ثابت الحَصاةِ إذا كان عاقلاً وفلان ذو حَصاةٍ وأصاةٍ أي عقلٍ ورَأْيٍ» قال كعب بن سَعْد الغَنَوِي:

وأعْلَمُ عِلْماً ليس بالظَّنِّ أنَّه ... إذا ذَلَّ مَوْلَى المَرْءِ فهُوَ ذَلِيلُ
وأنَّ لِسانَ المَرْءِ ما لم يَكُنْ له ... حَصَاةٌ على عَوْراتِهِ لَدَلِيلُ»

يبقى القول إن الكثيرين بمن فيهم ابن منظور في موضع آخر قد نسبوا البيتين إلى طرفة ولكنهما ليسا في ديوانه.

(2) الأبصار الرامقة أي العيون الناظرة والبصائر أي العقول والرائقة الصافية والمعجبة وأغنى أي أجزأ وكفى والعيان ما تراه العين والخبر ما تسمعه الأذن وينبئ أي يخبر ولائح أي ظاهر والوهن الضعف والفادح أي المثقل والداء المرض والباطن أي الفقر والحاجة والفاضح من يفضح صاحبه ويجعله شهرة ومن ملك أي صار صاحب ملك ومال أي صار صاحب مال.

(3) ولي أي تولى أمراً وصار والياً من الولاية وآل من الإيالة أي ساس وصار يسوس الخلق ورفد من الرفد أي أعان وأنال أي أعطى ووصل من الصلة وهي العطاء وصال من الصولة أي البطش والجوائح واحدتها جائحة والفعل جاح أي استأصل وأهلك وتسحت من سحت أو أسحت والمعنى استأصل والنوائب واحدتها وهي النوازل والدواهي من الأمور وتنحت أي تنجر وتأخذ شيئاً فشيئاً والوكر بيت الطائر وهوهنا بمعنى البيت وقفر أي خلو لا شيء فيه والكف كناية عن الاستطاعة وصفر أي خال والمعنى أنه لا مال في يده على الإطلاق والشعار هو الثوب الذي يلي الجسد والمعنى أن الضرّ وهو البؤس صار لباساً له والعيش مر أي كريه المذاق فالمر نقيض =

الشّائنَ، وأكشِفُ لكُمُ الدّفائِنَ؛ إلا بعْدَما شَقيتُ ولُقيتُ، وشِبْتُ ممّا لَقيتُ، فلَيتَني لمْ أكُنْ بَقيتُ! ثمّ تأوّهَ تأوّهَ الأسيفِ، وأنشدَ بصوتٍ ضَعيفٍ[1]:

أشْكو إلى الرّحْمنِ سُبْحانَهُ ... تقلُّبَ الدّهْرِ وعُدْوانَهُ
وحادِثاتٍ قرعَتْ مَرْوَتي ... وقوّضَتْ مَجدي وبُنْيانَهُ
واهْتَصَرَتْ عودي ويا ويلَ منْ ... تهتَصِرُ الأحداثُ أغصانَهُ
وأمحَلَتْ ربْعيَ حتى جلَتْ ... منْ ربْعيَ المُمْحِلِ جِرْذانَهُ[2]
وغادرَتْني حائِراً بائِراً ... أُكابِدُ الفَقْرَ وأشْجانَهُ
منْ بعْدِ ما كنتُ أخا ثروَةٍ ... يسحَبُ في النّعْمَةِ أرْدانَهُ[3]

= الحلو كناية عن الضيق والشدة والصبية أي الأولاد ويتضاغون وضغا ضغاء السنور إذا صوّت جائعاً واستعاره للأطفال يبكون ويصوّتون جوعاً وضغا ضغواً إذا تذلّل والطوى الجوع والمصاصة ما يمصّ من الشيء والنوى والواحدة نواة وهي عجم التمر وما شاكل ذلك أي بزره.

(1) الشائن المعيب والدفائن أي المستور من الأمور وشقيت أي أدركني الشقاء ولقيت أي أصابتني اللقوة وهي فالج يصيب الوجه وتأوّه أي توجّع وقال آه والآسيف الحزين السريع البكاء.

(2) قرعت أي ضربت والمروة صخرة وقرع المروة عبارة تقال إذا ما نزلت مصيبة كبيرة تشقّ على المرء يقول أبو ذؤيب الهذلي:

حتى كأني للحوادثِ مروةٌ ... بصفا المشقر كل يوم تُقرعُ

وقيل المشرّق وهو جبل بالطائف والصفا حجارة وقال مسكين الدارمي وقد أخذه عن الهذلي: «إنَّ الحَوَادثَ بالمَدينَة قَدْ أوْجَعْنني وقَرَعْنَ مَرْوَتِيَهْ» وقوّضت أي هدمت ونقضت ومجدي أي عزّي وشرفي ومقامي وبنياني أي بنائي واهتصرت أي كسرت من غيرإبانة وكسرت عودي أي حنت ظهري كنّى بالعود عن الظهر وهصر الغصن تعطّفه وانحناؤه. وأمحلت من المحل وهو الجدب وأمحلته جعلته جدباً لا غنى فيه وجلت عن المكان أي انزاحت وتركته وانطردت والربع الدار والجرذان والواحد جرذ ذكر الفأر وجلاء الجرذان كناية عن الفقر المدقع واعتادت العرب الدعاء كثّر الله جرذانك أي أخصب بيتك.

(3) الحائر الحيران المتردد في أمره والبائر من البوار وهو الهلاك وقد وردت المادة في القرآن مراراً وفي سورة إبراهيم الآية 28: ﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ عن الأصمعيّ أنه قال: أخبرنا شيخٌ من بني العنبر قال: .... والرجال ثلاثة: فهينٌ لينٌ عفيفٌ مسلمٌ، يصدر الأمور مصادرها، ويوردها مواردها، وآخر ينتهي إلى رأي ذي اللّبّ والمقدرة فيأخذ بأمره، وينتهي إلى قوله، وآخر حائرٌ بائرٌ، لا يأتمر لرشدٍ، ولا يطيع مرشداً.

يــخــتَــبِــطُ الــعــافــونَ أوْراقَــهُ ويــحْــمَــدُ الــسّــارونَ نــيــرانَــهُ
فــأصــبــحَ الــيــومَ كــأنْ لــمْ يــكُــنْ أعــانَــهُ الــدّهــرُ الــذي عــانَــهُ[1]
وازْوَرّ مَـــنْ كـــانَ لـــهُ زائِـــراً وعــافَ عــافــي الــعُــرْفِ عِــرْفــانَــهُ
فــهــلْ فــتًــى يــحْــزُنُــهُ مــا يَــرى مــنْ ضُــرّ شــيــخٍ دهْــرُهُ خــانَــهُ
فــيَــفْــرِجَ الــهَــمَّ الــذي هَــمَّــهُ ويُــصــلِــحَ الــشّــانَ الــذي شــانَــهُ[2]

قال الرّاوي:

فصَبَتِ الجماعَةُ إلى أن تستَثْبِتَهُ، لتَستَنجِشَ خُبْأتَهُ، وتستَنفِضَ حَقيبتَهُ. فقالتْ لهُ: قد عرَفْنا قدْرَ رُتبتِكَ، ورأيْنا دَرَّ مُزنَتِكَ! فعرّفْنا دوْحةَ شُعبَتِكَ، واحْسِرِ اللّثامَ عنْ نِسبَتِكَ[3]! فأعْرَضَ إعْراضَ منْ مُنيَ بالإعْناتِ، أو بُشّرَ بالبَناتِ. وجعلَ يلعَنُ الضّروراتِ، ويتأفّفُ منْ تغَيُّضِ المُروءاتِ، ثمّ أنشدَ بلَفظٍ صادِعٍ، وجَرْسٍ خادِعٍ[4]:

---

(1) العافي كل طالب فضل أو رزق والجمع عفاة وعفيّ وعافية وأما الاختباط فهو الضرب وضرب الورق كان لكي تتساقط فتجمع علفاً وأما السارون فيحمدون أي يثنون ويشكرون نيرانه وفي العادة أن الكريم يضرم النار ليراها الساري فيهتدي بها ويعرّج على أصحابها فيقرونه وعان أي أصاب بالعين يقول فصار اليوم إلى حال وكأن الدهر الذي رماه بالعين لم يكن قد أعانه من ذي قبل.

(2) ازورّ أي مال وانعطف وانقبض وقد مرّت المادة وعاف أي كره وأعرض وعافي العرف أي طالب المعروف وعرفانه أي معرفته وهمّ الأمر فلاناً همّاً ومهمّة إذا أقلقه وأحزنه وهمّه المرض أذابه وأذهب لحمه والشان أي الأمر وشانه أي عابه.

(3) تستثبته أي تتحقق من هو واستنجش الشيء إذا استخرجه والصيد أثاره ونفّره والأول المراد والخبأة من الخبء وهو الإخفاء واستنفاض الحقيبة أي نفضها والحقيبة وعاء الزاد يراد به استخراج ما في ضميره والرتبة القدر والمنزلة ودرّ المزنة أي ماؤها والمزنة السحابة وأراد بذلك ما أسمعهم من كلام بليغ والدوحة الشجرة المتسعة والشعبة أي الغصن والمراد عرّفنا أصلك ونسبك واحسر فعل أمر من حسر إذا كشف القناع وأزاله والنسبة أي النسب.

(4) أعرض أي صدّ وولى وفي سورة الإسراء الآية 83: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ ومني أي أصيب وابتلي والإعنات من العنت المشقة والعسف وبشّر بالبنات أي أخبر أنه قد ولدت له بنت وفي سورة النحل الآية 58: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ ويتأفّف أي يتذمّر ويقول:
أفّ أفّ وتغيّض أي جفاف وذهاب والمروءات والواحدة مروءة الفعل المحمود الحسب والصادع =

لَـعَـمْـرُكَ مـا كُـلُّ فَـرْعٍ يَـدُلّ جَـنـاهُ الـلّـذيـذُ عـلـى أصـلِـهِ
فَـكُـلْ مـا حَـلا حـيـنَ تُـؤتـى بـهِ ولا تـسـألِ الـشّـهْـدَ عـنْ نـحْـلِـهِ
ومـيِّـزْ إذا مـا اعـتَـصـرْتَ الـكُـرومَ سُـلافَـةَ عـصْـرِكَ مـنْ خَـلِّـهِ
لِـتُـغْـلـي وتُـرْخِـصَ عـنْ خِـبـرَةٍ وتَـشْـريَ كُـلاً شِـرَى مـثْـلِـهِ
فَـعـارٌ عـلـى الـفَـطِـنِ الـلّـوذَعـيّ دُخـولُ الـغَـمـيـزَةِ فـي عـقـلِـهِ[1]

قال:

فازْدَهى القومُ بذَكائِهِ ودهائِه، واختلَبَهُمْ بحُسْنِ أدائِهِ مع دائِهِ. حتى جمَعوا لهُ خَبايا الخُبَنِ، وخَفايا الثُّبَنِ، وقالوا لهُ: يا هَذا إنكَ حُمْتَ على رَكِيّةٍ بَكيّةٍ، وتعرّضْتَ لخَليّةٍ خليّةٍ؛ فخُذْ هذِه الصُّبابَةَ، وهَبْها لا خطأً ولا إصابَةً. فنزّلَ قُلَّهُمْ منزِلَةَ الكُثْرِ، ووصَلَ قَبولَهُ بالشُكْرِ. ثمّ تولّى يجُرّ شِقَّهُ، وينْهَبُ بالخَبْطِ طُرْقَهُ[2].

= من صدع إذا شقّ ولم يفرّق وأحسب المراد وصف الصوت بالقوة والجرس الصوت الخفي والخادع من خادع مخادعة وخداعاً إذا خدع وأظهر خلاف ما يخفي وفي سورة النساء الآية 143: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾.

(1) لعمرك أي وحياتك والفرع الغصن والجنى أي الثمر وكل فعل أمر من أكل والشهد العسل الخالص وميّز الشيء عزله وفرزه عن غيره واعتصرت الكروم أي عصرت أعنابها والسلافة من أسماء الخمر وهي أيضاً أول ما يعصر من العنب ولكن الأول هو المراد وتغلي وترخص من اشترى الشيء أو جعله رخيصاً أو غالياً وعن خبرة أي عن معرفة عملية وتشري من الشراء وكلاً شرى مثله أي تشتري أي الصنفين شئت بسعره الذي يستحقّه والفطن أي الذكي الفهم الحصيف واللوذعي الذكي الذهن والظريف والخفيف والحديد الفؤاد والغميزة ضعف التدبير والنظر.

(2) ازدهى استخف واستفزّ وحمل على العجب واختلبهم أي فتنهم وخدعهم وحسن الأداء أي حسن المنطق والداء العلة والمرض والخبايا واحدتها خبيئة وهي ما يخبّأ لنفاسته والخبن واحدتها خبنة وهي ما ثني من الثوب وخيط وما يحمل في الحضن أو تحت الإبط وهي الوعاء يحمل فيه الشيء والثبن واحدتها الثبنة وهي الثنية من الثوب تحمل فيها الفاكهة ووعاء تحفظ فيه الفاكهة والثبنة بالفتح هي ما يخبّأ في الإزار وحمت أي طفت والركية البئر والبكّية القليلة الماء والخلية ما يعسّل فيه النحل وخلّية أي فارغة والصبابة البقية اليسيرة من الماء في الإناء وهبها أي احسبها وافرض أنها ولا خطأ ولا إصابة أي اعتبرها كلا شيء ونزلّ أي قدّر وأحلّ وقلّهم أي عطاءهم القليل ومنزلة أي رتبة والكثر أي الكثير وتولّى انصرف وشقه أي جانبه يريد أنه يوهم أنه مفلوج وينهب الأرض أي يسرع في سيره ويخبط أي يسير على هدى.

قالَ المُخبِرُ بهذِهِ الحِكايَةِ:

فصُوّرَ لي أنّهُ مُحيلٌ لحِلْيَتِهِ، متصَنّعٌ في مِشيَتِهِ. فنهَضْتُ أنْهَجُ مِنْهاجَهُ، وأقْفو أدراجَهُ، وهوَ يلْحَظُني شَزْراً، ويوسِعُني هجْراً. حتى إذا خَلا الطّريقُ، وأمْكَنَ التّحْقيقُ؛ نظَرَ إليّ نظرَ منْ هشّ وبشّ[1]، وماحَضَ بعْدَما غشّ، وقال: إني لإخالُكَ أخا غُربَةٍ، ورائِدَ صُحبَةٍ! فهلْ لكَ في رَفيقٍ يَرفُقُ بكَ ويُرفِقُ، ويَنفُقُ عليْك ويُنفِقُ؟ فقلتُ لهُ: لو أتاني هذا الرّفيقُ، لواتاني التّوْفيقُ. فقال لي: قدْ وجَدْتَ فاغْتَبِطْ، واستَكْرَمْتَ فارتَبِطْ[2]! ثمّ ضحِكَ مليّاً، وتمثّلَ لي بَشَراً سَوِيّاً. فإذا هوَ شيخُنا السَّروجيّ لا قَلَبَةَ بجسمِهِ، ولا شُبهَةَ في وسْمِهِ! ففرِحْتُ بلُقيَتِهِ، وكذِبِ لَقْوَتِهِ. وهمَمْتُ بمَلامَتِهِ، على سوء مَقامَتِهِ، فشَحا فاهُ، وأنشدَ قبلَ أنْ ألْحاهُ[3]:

---

(1) محيل من أحال إذا غيّر والحلية الخلقة والصفات والتصنّع التكلّف وإظهار غير ما هو عليه ومشيته أي هيئة مشيه وأنهج منهاجه أي أسير سيره وأقفو أي أتبع وأدراج واحدها درج وهي الطريق ويلحظني أي ينظرني وشزراً أي بمؤخر عينه غضباً أو بغاً ويوسعني أي يكثر وهَجراً أي مباعدة وتجنّباً أو هُجراً وهو القبيح من الكلام والإفحاش في المنطق والتحقيق أي التثبّت وهشّ أي تبسّم وخفّ ونشط للمعروف وبشّ بشاشة إذا أشرق وجهه وتهلّل.

(2) ماحض أي أخلص وغشّ أي خدع وأظهر غير ما يبطن وزيّن غير المصلحة وإخالك أحسبك وأظنّك وأخو الغربة الغريب ورائد الشيء أي طالبه والصحبة أي المرافقة ويرفق بك أي يلاطفك ويعطف عليك ويُرفق بك أي يعينك وينفق أي يتخذ نفقاً وهو سرداب في الأرض كناية عن ستر العيوب ويُنفق أي يعطيك النفقة وهي ما ينفق من مال وهي الزاد وواتاني أي حالفني ووافقني والتوفيق أي الحظ والنجاح ووجدت أي بقيت واغتبط فعل أمر بمعنى فافرح من الغبطة واستكرمت أي طلبت كريماً وارتبط فعل أمر بمعنى اربط أي احفظ والزم.

(3) ملياً أي طويلاً وتمثّل لي أي تصوّر لي وبشراً سوياً أي سالماً وفي سورة مريم الآية 17: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾. والقلبة العلّة وعن الأصمعي أنه قال: القَلَبة في الدواب يقال ما بالفرس قلبة أي ما به وجع يقلب حافرُه من أجله ونقل الشريشي عن الكسائي: مابه قُلبة أي شيء يقلقه فينقلب من أجله على فراشه لغمّه ونقل عن الفرّاء قوله: ما به من وجع يخاف عليه منه من قولهم قلُب الرجل إذا أصابه وجع في قلبه فلا يكاد ينقلب منه والشبهة التغيّر والالتباس والوسم الصفة والعلامة ولقيته أي لقاؤه واللقوة الفالج الذي يصيب جانب الوجه وهمّ بالشيء أراده وعزم عليه وشحا أي فتح وألحاه أي ألومه.

ظـهـرْتُ بـرَثٍّ لـكَـيْـمـا يُـقـالَ فـقـيـرٌ يُـزَجّـي الـزّمـانَ الـمُـزَجّـى
وأظـهـرْتُ لـلـنّـاسِ أنْ قـد فُـلـجـتُ فـكـمْ نـالَ قـلْـبـي بـهِ مـا تـرَجّـى
ولـوْلا الـرّثـاثَـةُ لـمْ يُـرْثَ لـي ولـوْلا الـتّـفـالُـجُ لـمْ ألْـقَ فُـلْـجـا[1]

ثمّ قال: إنّهُ لم يبْقَ لي بهذِه الأرضِ مرتَعٌ، ولا في أهلِها مطْمَعٌ. فإنْ كنتَ الرّفيقَ؛ فالطّريقَ الطّريقَ! فسِرْنا منها متجرِّدَينِ، ورافَقْتُهُ عامَينِ أجرَدَينِ. وكنتُ على أنْ أصحبَهُ ما عِشْتُ، فأبى الدّهرُ المُشِتُّ[2].

(1) ظهرت أي برزت والرث الخلق من الثياب ويزجّي أي يسوق وفلجت أي أصابني الفالج والرثاثة سوء الحال ويرثى لي أي أرحم ويشفق عليّ والتفالج تكلّف الفالج والفُلج الفوز والظفر والفلاح يقول لولا تكلّف سوء الحال لما أشفق عليّ أحد ولولا التفالج ما ظفرت.

(2) المرتع الموضع يرعى به ومتجردين أي منفردين عن الناس أو لعله من تجرّد للأمر إذا جدّ فيه ولم ينشغل عنه بغيره وأجردين أي تامين كاملين وماعشت أي ما حييت وأبى أي كره ولم يرض والدهر المشتّ أي الزمان المفرّق.

المقامة الزَّبيديّة

أخبرَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

لمّا جُبْتُ البِيدَ إلى زَبِيدَ، صحِبَني غُلامٌ قدْ كنتُ ربّيتُهُ إلى أن بلغَ أشُدَّهُ، وثقّفْتُهُ حتى أكمَلَ رُشْدَهُ، وكان قد أنِسَ بأخْلاقي، وخبَرَ مجالِبَ وِفاقي؛ فلمْ يكُنْ يتخَطّى مَرامي، ولا يُخطئ في المَرامي[1]. لا جَرَمَ أنّ قُرَبَهُ التاطَتْ بصَفَري، وأخلَصْتُهُ لحَضَري وسَفَري. فألْوى بهِ الدهرُ المُبيدُ، حينَ ضمّتْنا زَبيدُ[2]. فلمّا شالتْ نَعامتُهُ، وسكَنتْ نأمَتُهُ؛ بقيتُ عاماً، لا أُسيغُ طَعاماً، ولا أُريغُ غُلاماً. حتى ألجأتْني شَوائِبُ الوَحْدَةِ، ومتاعِبُ القَوْمَةِ والقَعْدَةِ، إلى أنْ أعْتاضَ عنِ الدُرِّ الخرزَ، وأرْتادَ مَنْ هُوَ سِدادٌ منْ عوَزٍ. فقصَدْتُ منْ يَبيعُ العَبيدَ، بسوقِ زَبيدَ، فقلتُ[3]: أُريدُ غُلاماً يُعجِبُ

(1) جبت أي قطعت والبيد والواحدة بيداء وهي الصحراء وزبيد بلدة في اليمن وبلغ أشدّه أي بلغ الحلم والأشدّ القوة وهو مفرد أو جمع لا واحد له من لفظه أو جمع اختلف في مفرده وقد وردت المادة في القرآن في سبعة مواضع ففي سورة الأنعام الآية 152 مثلا: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ وثقّفته أي قوّمته وسوّيته تقال في الرماح واستعيرت للتعليم والتهذيب والرشد الصلاح والهداية والاستقامة وأنس به وإليه أي ألِفه وارتاح إليه وخبر أي جرّب وعرف ومجالب الشيء ما يجلبه ومجالب وفاقي أي ما يوافقني ويتخطّى أي يعدو ويتجاوز ومرامي غايتي ومقصدي والمرامي أي الأغراض والأهداف.

(2) لا جرم أي حقاً ولا محالة وقربه والواحدة قربة أي ما يتقرّب به والتاطت أي التصقت والصفر العقل واللب وفي الصحاح: «وقولهم: لا يلتاط هذا بصفري، أي لا يلزق بي ولا تقبله نفسي». وفي المحيط: «ولا يَلِيْقُ ذلك بصَفَري: أي لا يُعْجِبُني. ووَقَعَ في صَفَري: أي في رُوْعي وخَلَدي». و«لا يَلْتَاطُ بصَفَرِي»: أي لا يُوَافِقُ خُلُقي. وقيل: «الصفرُ العَقْلُ». وأخلصته أي جعلته خالصاً وأفردته والوى به أي ذهب به وأهلكه والمبيد أي المفني المهلك وضمتنا أي جمعتنا.

(3) شالت نعامته أي ارتفعت والنعامة باطن القدم وارتفاعها كناية عن الموت... «قيل وذلك لأنّ =

إذا قُلِّبَ، ويُحمَدُ إذا جُرِّبَ! وليَكُنْ ممّنْ خرّجَهُ الأكْياسُ، وأخرجَهُ إلى السّوقِ الإفْلاسُ. فاهتزّ كلٌّ منهُمْ لمَطْلَبي ووثَبَ، وبذَلَ تحصيلَهُ عنْ كثَبٍ. ثمّ دارَتِ الأهلّةُ دَوْرَها(1)، وتقلّبَتْ كَوْرَها وحَوْرَها؛ وما نجَزَ منْ وُعودِهِمْ وعْدٌ، ولا سحّ لها رعْدٌ. فلمّا رأيتُ النّخاسينَ، ناسينَ أو مُتَناسينَ، علِمْتُ أنْ ليسَ كلُّ منْ خلَقَ يَفْري، وأن لنْ يحُكّ جِلدي مثلُ ظُفري(2). فرفَضْتُ مذْهبَ التّفويضِ، وبرَزْتُ إلى السّوقِ بالصُّفْرِ والبِيضِ! فإني لأسْتَعرِضُ الغِلْمانَ، وأستَغْرِفُ الأثْمانَ، إذ عارَضَني رجلٌ قدِ اختَطَم بلِثامٍ، وقبَضَ على زَنْدِ غُلامٍ، وقال(3):

= النعامة باطن القدم وشالت: ارتفعت ومن شأن من هلك أن ترتفع رجلاه . . . فتظهر نعامة قدمه. ومن ثم يقال: تنعم فلان إذا مشى حافياً على نعامته فقيل: ابن النعامة: الطريق وقيل: باطن القدم. وسمي الطريق بذلك لأنّه مركب لها». وسكنت أي قرّت وهدأت ونأمته وهي المرة من نأم أي أنّ خفيفاً والنغمة والصوت ويقال أسكت الله نأمته دعاء عليه بالموت ويقال نأمت القوس والظبي والأسد إذا صوّتت في ضعف ولا أسيغ الطعام أي لا أستسهل بلعه أو لايلذّ لي وأريغ أي أطلب وشوائب الوحدة أي أكدارها وهمومها والقومة من قام والقعدة من قعد أي القيام والقعود وأعتاض أي أستبدل وأرتاد أي أطلب والسداد ما يسدّ به الشيء أو يعوّض به ومنه سداد الثغر أي سداد الثغرة والعوز الحاجة.

(1) قلّب أي فُتّش واختبر ويحمد أي يُثنى عليه وخرّجه أي ربّاه وعلّمه والأكياس واحدها كيّس وهو السيد الظريف الحصيف الفطن الحاذق وقوله أخرجه الإفلاس يريد به أنه لولا الإملاق لما بيع لنفاسته واهتزّ أي تحرّك ووثب أي قفز كناية عن الشروع بالأمر بهمة ونشاط وبذل أي أنفق وأعطى وتحصيله أي الحصول عليه وعن كثب أي قرب والأهلة واحدها هلال وهو هنا الشهر ودورها أي دورتها والمراد أن العام انقضى.

(2) الكور والحور أي الزيادة والنقصان ونجز أي تمّ وحصل والوعود واحدها وعد وسحّ أي سال وسال رعد إذا هطل المطر فيكون الرعد وعداً والمطر وفاء والنخّاس من يبيع الرقيق ويدلل عليه والمتناسي من يتصنّع النسيان ويتكلّفه وخلق أي قدّر ويقال خلق الأديم أي الجلد يعني قدّره قبل أن يقطعه ويفري يقطع وما حكّ جلدك مثل ظفرك مثل عربي ينسب للإمام الشافعي الذي قال:

«مَا حَكَّ جِلْدَكَ مِثْلُ ظُفْرِكْ ... فَتَوَلَّ أَنْتَ جَمِيعَ أَمْرِكْ»

(3) رفضت أي اطّرحت وتركت والتفويض أي التوكل وتسليم المشيئة للآخر وفي التعريفات: «المفوضة قوم قالوا فوض خلق الدنيا إلى محمد» والمفوضة في الفقه وَهِيَ الَّتِي فَوَّضَتْ بُضْعَهَا إِلَى زَوْجِهَا أَيْ زَوَّجَتْهُ نَفْسَهَا بِلَا مَهْرٍ والصفر الدنانير الذهبية والبيض الدراهم من فضّة وأستعرض الغلمان أي أطلب عرضهم عليّ وعارضني أي اعترضني ووقف مواجهاً لي واختطم أي جعله على خطمه أي أنفه واللثام ما كان على الأنف من ثوب أو نقاب والزند الساعد من اليد.

مـن يـشـتَـري مـنـي غُـلامـاً صـنَـعـا ... فـي خَـلْـقِـهِ وخُـلْـقِـهِ قـد بـرَعـا
بـكـلّ مـا نُـطْـتَ بـهِ مُـضْـطَـلِـعـا ... يَـشْـفـيـكَ إنْ قـال وإنْ قُـلـتَ وَعـى
وإنْ تُـصِـبْـكَ عَـثْـرَةٌ يَـقُـلْ لَـعـا ... وإنْ تـسُـمْـهُ الـسّـعْـيَ فـي الـنـارِ سَـعـى
وإن تُـصـاحِـبـهُ ولـوْ يـومـاً رَعـى ... وإنْ تُـقَـنّـعْـهُ بـظِـلْـفٍ قَـنِـعـا(1)
وهْـوَ عـلـى الـكَـيْـسِ الـذي قـد جـمَـعـا ... مـا فـاهَ قـطُّ كـاذِبـاً لا ادّعـى
ولا أجـابَ مَـطْـمَـعـاً حـيـنَ دعـا ... ولا اسـتَـجـازَ نَـثَّ سِـرٍّ أُودِعـا
وطـالَـمـا أبـدَعَ فـي مـا صـنَـعـا ... وفـاقَ فـي الـنّـثْـرِ وفـي الـنّـظْـمِ مَـعـا
واللهِ لـوْلا ضَـنْـكُ عـيـشٍ صـدَعـا ... وصِـبـيَـةٌ أضْـحَـوْا عُـراةً جُـوَّعـا
مـا بِـعْـتُـهُ بـمُـلْـكِ كِـسـرَى أجْـمَـعـا(2)

قال:

فلمّا تأمّلْتُ خَلقَهُ القَويمَ، وحُسنَهُ الصّميمَ؛ خِلتُهُ منْ وِلْدانِ جَنّةِ النّعيمِ. وقلتُ: ما هذا بشَراً إنْ هذا إلا ملَكٌ كَريمٌ(3)! ثمّ استَنْطَقْتُهُ عنِ اسْمِهِ، لا لرَغْبَةٍ في عِلمِه؛ بل

---

(1) الصنع والصناع الحاذق الماهر وبرع أي فاق غيره وتقدّم ونطت به أي علّقته به ومضطلعاً من اضطلع أي قام به بقوة وكفاية ويشفيك إن قال كناية عن حسن منطقه ووعى أي فهم والعثرة الزلّة ولعا لفظ يقال للمتعثّر ومعناها سلمت ونجوت وأقال الله عثرتك ةسامه الشيء أي كلّفه به ورعى أي حفظ وصان والمراد هنا صون الصحبة والظلف للشاة بمنزلة الحافر للدابة والمراد أنه يقنع باليسير والقليل.

(2) الكيس الحذق والقل وفاه أي نطق وادّعى أي زعم ونسب شيئاً لنفسه ليس له أو زعم أن له على غيره شيئاً واستجاز أي أجاز ورخّص ونثّ السر إذاعته ونشره وأودع أي استحفظه وائتمن عليه وأبدع أي خلق على غير مثال سابق وضنك العيش الشدة والضيق وصدع أي شق وكسر والصبية الأولاد وعراة أي عراياً وجوّعاً أي جياعاً وملك كسرى يضرب به المثل في النفاسة والعظمة وأجمعا أي كله.

(3) القويم الحسن المعتدل القامة والصميم أي الخالص وخلته أي حسبته وعبارة ما هذا بشراً فعبارة جاءت على لسان صاحبات امرأة عزيز مصر حين طلع عليهن يوسف. انظر سورة يوسف الآية 31: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾.

لأنظُرَ أينَ فصاحَتُهُ من صَباحَتِهِ، وكيفَ لهْجَتُهُ منْ بهجَتِهِ. فلمْ ينطِقْ بحُلوَةٍ ولا مُرّةٍ، ولا فاهَ فَوْهَةَ ابنِ أمَةٍ ولا حُرّةٍ(1). فضرَبْتُ عنهُ صَفْحاً، وقلْتُ له: قُبْحاً لِعِيّكَ وشُقْحاً! فَغارَ في الضّحِكِ وأنْجَدَ، ثمّ أنْغَضَ رأسهُ إليّ وأنشدَ(2):

يا مَنْ تلَهّبَ غيظُهُ إذْ لمْ أبُحْ ... باسْمي لهُ ما هكذا مَنْ يُنصِفُ
إنْ كانَ لا يُرضيكَ إلا كشْفُهُ ... فاصِخْ لهُ أنا يُوسُفٌ أنا يوسُفُ
ولقد كشَفْتُ لكَ الغِطاء فإن تكنْ ... فطِناً عرَفتَ وما إخالُك تَعرِفُ(3)

قال:

فسَرّى عَتْبي بشِعْرِهِ، واسْتَبى لُبّي بسِحْرِهِ، حتى شُدِهْتُ عنِ التّحقيقِ، وأُنسيتُ قِصّةَ يوسُفَ الصّدّيقِ. ولمْ يكُنْ لي همٌّ إلا مُساوَمةُ مَوْلاهُ فيهِ، واستِطْلاعُ طِلعِ الثّمَنِ لأوفيهِ. وكنتُ أحسَبُ أنهُ سينظُرُ شَزْراً إليّ(4)، ويُغْلي السّيمَةَ عليّ، بلْ قال: إنّ

(1) استنطق أي طلب النطق والصباحة وضاءة الوجه وجماله واللهجة أي اللفظ والبهجة النضارة والإشراق وقوله لم ينطق بحلوة ولا مرة أي لم يفه بكلمة قبيحة أو حسنة وفاه أي تكلّم وابن الأمة أي ابن الجارية.

(2) ضربت عنه صفحاً عبارة تقال في معرض الإعراض والميل عن الأمر وقبحاً أي ما أقبح والعي الحصر والصعوبة في القول وشقحاً لفظ تابع لقبحاً قيل إنه من إشقاح الكلاب أي إدبارها أو من شقح العود إذا كسره وقيل من شقح البسر إذا تغير لونه الأخضر إلى الصفرة أو الحمرة وفي المزهر: قال الكسائي: ويقال: «قُبْحاً وشُقْحاً» أي كَسراً «شَقَحه الله» كَسره وغار وأنجد أي بالغ وخفض رأسه ورفعه والغور ما انخفض من الأرض والنجد المرتفع منها وأنغض رأسه إذا حركه إلى فوق وإلى أسفل إنكاراً لما سمع أو تعجباً أو سخرية بما سمع وفي سورة الإسراء الآية 51: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾.

(3) تلهّب إذا اشتعل واضطرم وغيظه أي غضبه وأبح من باح إذا تكلم بالسر وفشاه وينصف أي يعدل وأصخ فعل أمر بمعنى اسمع وتكرار أنا يوسف أراد به الإيحاء أنه حر وليس برقيق وأن أهله باعوه فعل اخوة يوسف به والفطن الذكي الفهم واللبيب وما إخالك أي وما أظنك.

(4) سرّى أي أزال واستبى أي أسر وتملّك ولبّي أي عقلي وشدهت أي تحيّرت وشده عن الشيء شغل عنه ويوسف الصديق يحسب ما جاء في العهد القديم هو يوسف بن يعقوب وراحيل وأبو منسّى وافرايم في القرن الثالث عشر ق م النبي حسده إخوته فباعوه إلى مصر حيث عمل في بلاط الفرعون وحكايته مبسوطة في القرآن سورة يوسف وفي العهد القديم في سفر التكوين والمساومة=

الغُلامَ إذا نَزُرَ ثَمَنُهُ، وخفّتْ مؤنُهُ، تبرّكَ بهِ مؤلاهُ، والتَحفَ عليْهِ هواهُ. وإني لأوثِرُ تحْبيبَ هذا الغُلامِ إليْكَ، بأنْ أخفّفَ ثمنَهُ عليْكَ. فزِنْ مائتَيْ دِرْهَمٍ إن شِيتَ، واشْكرْ لي ما حَييتَ! فنقَدْتُهُ المبلغَ في الحالِ، كما يُنقَدُ في الرّخيصِ الحَلالُ، ولمْ يخطُرْ لي ببالٍ، أنّ كُلّ مُرخَصٍ غالٍ! فلمّا تحققَتِ الصّفْقَةُ، وحَقّتِ الفُرقَةُ، همَلَتْ عيْنا الغُلامِ، ولا هُمولَ دمْعِ الغَمامِ، ثمّ أقبلَ على صاحِبِه وقال(1):

لَحاكَ اللهُ هلْ مِثلي يُباعُ ... لكَيْما تشبَعَ الكَرِشُ الجِياعُ
وهلْ في شِرْعَةِ الإنْصافِ أني ... أكلَّفُ خُطّةً لا تُستَطاعُ
وأنْ أُبلى برَوْعٍ بعدَ روعٍ ... ومثلي حينَ يُبْلى لا يُراعُ
أمَا جرّبْتَني فخَبَرْتَ مني ... نصائِحَ لمْ يُمازِجْها خِداعُ(2)
وكمْ أرْصَدْتَني شرَكاً لصَيْدٍ ... فعُدْتُ وفي حَبائِلِيَ السّباعُ
ونُطْتَ بيَ المصاعِبَ فاسْتَقادَتْ ... مُطاوِعَةً وكانَ بها امتِناعُ

= المجاذبة على ثمن السلعة واستطلاع الشيء أي طلب الاطّلاع عليه أي معرفته وطلع الثمن أي مقداره وأوفّيه أي أؤديه وأحسب أي أظن وشزراً أي بمؤخر العين ويكون النظر عند ذاك غضباً وحنقاً.

(1) السيمة أي السوم جاء في الصحاح: «والسوم في المبايعة، تقول منه: ساومته سواماً. واستام على، وتساومنا. وسمتك بعيرك سيمة حسنة. وإنه لغالي السيمة» وفي المحيط: «وإنّه لغالي السيمَةِ بالكسر والسُّومَةِ بالضم أي: السَّوْم» وأغلى الشيء زاد في ثمنه فصار غالياً وحلّق تقال للطائر إذا ارتفع في طيرانه يقول لم يذهب فكره إلى حيث ذهب فكري ونزر أي قلّ وكان نزراً أي قليلاً وخفت مؤنه أي كانت كلفته قليلة والمؤن ما يلزم المرء ويحتاج إليه وتبرّك أي رآه مباركاً والبركة الكثرة والسعة والتحف أي اشتمل وهواه أي حبّه وأؤثر أي أفضّل وشيت أي شئت ونقدته أي أعطيته الثمن نقداً والمرخص الرخيص والقليل الثمن وتحققت أي تمّت والصفقة البيعة وأصل اللفظ صفق اليد باليد كناية عن إتمامها وحقت الفرقة أي وجب الفراق وهملت صبّت وانسكبت ودمع الغمام هو المطر.

(2) لحاك الله دعاء على الشخص ولحى لام وثرّب وقبّح وأخزى والعبارة معناها أخزاك الله والكرش أولاد الرجل الصغار وهو أيضاً عيال الرجل والشرعة الطريقة وهي في الأصل مورد الماء والإنصاف العدل والخطّة الأمر المشكل وأبلى أي أبتلي وامتحن والروع الفزع وخبرت أي جربت ويمازجها أي يخالطها.

وأيُّ كريهةٍ لم أُبلِ فيها ... وغُنْمٍ لمْ يكُنْ لي فيهِ باعُ
وما أبدَتْ لي الأيامُ جُرْماً ... فيُكشَفَ في مُصارَمَتي القِناعُ
ولم تعْثُرْ بحمدِ اللهِ مني ... على عيْبٍ يكتَّمُ أو يُذاعُ[1]
فأنّى ساغَ عندَكَ نبْذُ عهدي ... كما نَبَذَتْ بُرايَتَها الصَّناعُ
ولِمْ سمَحَتْ قَرونُكَ بامْتِهاني ... وأنْ أُشرى كما يُشرى المتاعُ
وهلاّ صُنتَ عِرضي عنهُ صوْني ... حَديثَكَ جَدّ بِنا الوداعُ[2]
وقلتَ لمنْ يُساوِمُ فيّ هذا ... سَكابِ فما يُعارُ ولا يُباعُ
فما أنا دونَ ذاكَ الطِّرْفِ لكِنْ ... طِباعُكَ فوقَها تلْكَ الطِّباعُ
على أني سأُنشِدُ عندَ بيْعي ... أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا[3]

(1) ارصدتني أي جعلتني رصداً وهو من يرقبك ولا ترقبه والشرك آلة الصيد وحبائلي واحدتها أحبولة وهي من آلات الصيد والسباع الكواسر والجوارح ونطت من ناط أي علّق واستقادت أي انقادت ومطاوعة أي طوعاً والكريهة الحرب والشدة فيها وأبلى في الحرب أي أظهر ما عنده فابتلاه الناس وخبروه والغنم أي الغنيمة وهي ما يكسبه المرء في الحرب والباع في أصل معناه مسافة ما بين الكفين إذا بُسط الذراعان وأما هنا فتعني القدرة والمدى الكبير وأبدت أي أظهرت وجرماً أي ذنباً ومصارمتي أي مقاطعتي وعثر على الشيء وجده ولقيه ويكتّم أي يستر ويغطّى ويذاع ينشر ويبث بقول لم أذنب ذنباً يحمل على كشف القناع والجهر بالعداء لي ولا فرط مني عيب يطوي أو ينشر.

(2) أنّى أداة شرط بمعنى أين تدخل على مضارعين فتجزمهما وأداة استفهام كما هي هنا بمعنى من أين وكيف أو متى وهي تؤثر في الحركات وساغ أي جاز وسهل ولذ ونبذ الشيء اطّراحه ورميه والبراية نحاتة القلم أو العود أو ما شاكل والصناع الحاذق في صنعته رجلاً كان أم امرأة والقرون والقرين والقرينة والقرونة أي النفس وامتهان الشيء ابتذاله وإهانته والمتاع كل ما ينتفع به من أثاث أو طعام أو آلات وصنت أي حفظت وحميت ووقيت وعرضي شرفي وكرامتي.

(3) جدّ بنا أي اشتدّ بنا وجدّ بالشيء اهتمّ به وسكاب فرس يضرب بها المثل وخلاصة الأمر أن ملكاً أعجب بالفرس فسأل صاحبها أن يبيعها فقال له:

أَبَيْتَ اللَّعْنَ، إنَّ سَكابِ عِلْقٌ ... نَفِيسٌ لا تعارُ ولا تباعُ
مُفَدَّاةٌ مُكَرَّمَةٌ عَلَيْنا ... تجاعُ لها العِيالُ ولا تجاع
سَلِيلَةُ سابِقَيْنِ تَناجَلاها ... إذا نُسِبا يَضُمُّهما الكراعُ

وقد نسبت الحماسة البصرية الأبيات إلى قحيف العجلي ولكن نشوان الحميري نسبها في الحور =

قال:

فلما وعى الشيخُ أبياتَهُ، وعقَلَ مُناغاتَهُ؛ تنفّسَ الصُعَداءَ، وبكى حتى أبْكى البُعَداءَ، ثمّ قال لي: إني أُحِلّ هذا الغُلامَ محَلّ ولَدي، ولا أميّزُهُ عنْ أفْلاذِ كبِدي! ولوْلا خُلوُّ مُراحي، وخُبُوُّ مِصْباحي؛ لما درَج عنْ عُشّي، إلى أن يُشَيِّعَ نعْشي. وقد رأيْتَ ما نزَلَ به من لوْعَةِ البَينِ، والمؤمِنُ هَينٌ لَينٌ! فهلْ لكَ في تسلِيَةِ قلبِهِ، وتسْرِيَةِ كَربِهِ[1]، بأن تُعاهِدَني على الإقالَةِ فيهِ متى استَقَلْتُ، وأنْ لا تستَثْقِلَني إذا ثقّلْتُ؟ ففي الآثارِ المُنتَقاةِ، المَرويّةِ عنِ الثِّقاتِ: مَنْ أقالَ نادِماً بيعَتَهُ، أقالَهُ اللهُ عَثرتَهُ[2]!

= العين إلى رجل من بني تميم وكذا فعل ابن هذيل في حلية الفرسان وأما الآمدي في المؤتلف والمختلف فنسبها إلى عبيدة بن ربيعة بن قحفان بن ناشرة بن رزام بن مازن ابن مالك بن عمرو بن تميم. والطرف الفرس الكريم يقول أنا لست دون سكاب قيمة ولكن أخلاقك وسجاياك دون أخلاق وسجايا صاحب سكاب وأما أضاعوني وأي فتى أضاعوا فبيت شهير للشاعر العرجي قاله في السجن حيث مات بعد أن عذّبه والي الحجاز وذلك بسبب أبيات شبّب فيها بأم الوالي والبيت بتمامه يقول:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

(1) وعى أي فهم وناغى مناغاة المرأة غازلها والطفل كلّمه بما يسرّه وأحلّ أي أنزل ومحلّ ولدي أي في رتبته ومنزلته وأفلاذ الكبد واحدتها فلذة وهي القطعة وكنّى بذلك عن الأولاد وهي كناية ابتكرها الشاعر حِطّانُ بنُ المُعَلّى الذي قال في قصيدة له مطلعها:

«أنزَلَني الدَّهْرُ عَلى حُكْمِهِ ... مِنْ شَامِخٍ عَالٍ إلى خَفْضِ
وَإنّما أوْلادُنا بَيْنَنا ... أكْبادُنا تَمْشي عَلى الأرْضِ»

ومراحي من المراح موضع الإبل والدواب كنى بذلك عن الفقر وخلو ذات اليد وخبو المصباح همود نوره والمراد كما تقدّم آنفاً ودرج أي مشى وعشّي أي بيتي والعش للطائر ويريد أنه لولا الفقر لما تركته وشيّعه إذا خرج يودّعه وشيّع الميت إذا مشى في جنازته والنعش سرير الميت ولوعة البين أي حسرة الفراق وحرقته وقوله« المؤمن هين لين» حديث نبوي وتمامه «والمؤمنون هينون لينون» وسرّى الكرب أزاله وأزاح همّه.

(2) عاهد أي أعطى عهداً على نفسه والإقالة فسخ العقد وكل ما التزم به المرء أو تعهّد به واستقلت أي طلبت الإقالة وتستثقلني أي تجدني ثقيلاً والآثار يراد بها الأحاديث التي أثرت عن النبي والمنتقاة أي المختارة والثقات رجال الحديث الذين لا يشكّ في أقوالهم وما يروونه من أحاديث والحديث المشار إليه يقول: «من أقال نادماً بيعته، أقاله الله ﷻ عثرته يوم القيامة».

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فوعَدْتُهُ وعْداً أبرَزَهُ الحَياءُ، وفي القلْبِ أشياءُ، فاسْتَدْنى حينَئذٍ الغُلامَ إلَيْهِ، وقبّلَ ما بيْنَ عينَيهِ، وأنشدَ والدّمْعُ يرْفَضُّ من جَفْنَيهِ[1]:

خفِّضْ فدَتْكَ النّفسُ ما تُلاقي … مِنْ بُرَحاءِ الوجْدِ والإشْفاقِ
فما تطولُ مُدّةُ الفِراقِ … ولا تَني ركائِبُ التّلاقي
بحُسنِ عوْنِ القادِرِ الخَلاّقِ[2]

ثم قال لهُ: أستودِعُكَ منْ هوَ نعْمَ المؤلى! وشمّرَ ذيلَهُ وولّى. فلبِثَ الغُلامُ في زَفيرٍ وعَويلٍ، ريثَما يقطَعُ مدى مِيلٍ. فلما استَفاقَ، وكفْكَفَ دمعَهُ المُهْراق، قال: أتدري لمَ أعوَلْتُ، وعَلامَ عوّلْتُ؟ فقلتُ: أظنّ فِراقَ مؤلاكَ، هو الذي أبْكاكَ! فقال: إنّك لَفي وادٍ وأنا في وادٍ! ولكَمْ بينَ مُريدٍ ومُرادٍ. ثمّ أنشدَ[3]:

لمْ أبْكِ واللهِ على إلْفٍ نزَحْ … ولا على فوْتِ نَعيمٍ وفرَحْ
وإنّما مَدمَعُ أجْفاني سفَحْ … على غَبيّ لحْظُهُ حينَ طمَحْ

(1) أبرزه أي أظهره والحياء الحشمة والخجل وقوله في القلب أشياء يريد به أن القلب أي المشاعر والنيات لم تكن متطابقة مع القول والوعد واستدنى أي استقرب ويرفض من الرفض وهو القطيع المتفرّق من الإبل أو الظباء وأيضاً ما تحطّم وتبدد من الشيء وتفرّق والمعنى هنا أن الدمع انهمر متفرّقاً.

(2) خفّض أي هون أو قلّل والبرحاء الشدّة والأذى والمشقّة والوجد المحبة والإشفاق الخوف وتني أي تضعف وفتر والتلاقى أي اللقاء يقول هون عليك جعلت النفس فداك ما تجد من شدة الحب والخوف فمدة الخوف لا تطول ولا ركائب اللقاء تضعف بجميل عون الله.

(3) أستودعك أي أتتمنك وأبقيك وديعة ونعم المولى هو الله وولى أي انصرف ولبث أي بقي والزفير خروج النفس والتنهّد والعويل أي البكاء بصوت وريثما ظرف زمان ريث والموصول حرف ما ومعناه بمقدار ما ومدى أي غاية والميل قدر مدّ البصر أو ألف خطوة من خطى البعير وكفكف دمعه أي ردّه وأذهبه والمهراق أي المنسكب المنصب وقوله أتدري سؤال بمعنى أتعلم وأعولت أي بكيت وعلام أي على ماذا عوّلت أي عزمت واعتمدت ونويت ومولاك أي سيّدك وأنا في واد وأنت في واد مثل يضرب في اختلاف المقاصد والمريد من أراد والمراد هو الغاية والهدف والمطلب.

وَرّطَـهُ حـتـى تـعَـنّـى وافـتَـضَـحْ   وضيّعَ المنْقوشَةَ البيضَ الوَضَحْ
ويْـكَ أمَـا نـاجَـتْـكَ هـاتِـيكَ المُلَحْ   بـأنّـنـي حُـرٌّ وبَـيْـعـي لـمْ يُـبَـحْ
إذ كـان في يوسُفَ معنًى قد وضَحْ[1]

قال:

فتمثّلْتُ مَقالَهُ في مِرْآةِ المُداعِبِ، ومَعرِضِ المُلاعِبِ، فتصلّبَ تصلُّبَ المُحِقّ، وتبرّأ منْ طينَةِ الرّقّ. فجُلْنا في مُخاصَمَةٍ، اتّصَلَتْ بمُلاكَمةٍ، وأفْضَتْ إلى مُحاكمَةٍ. فلمّا أوضَحْنا للقاضي الصورَةَ، وتلَوْنا علَيْهِ السّورَةَ، قال[2]: ألا إنّ منْ أنذرَ فقدْ أعْذرَ، ومنْ حذّرَ كمَنْ بشّرَ، ومَنْ بصّرَ فما قصّرَ! وإنّ فيما شرَحتُماهُ لَدَليلاً على أنّ هذا الغُلامَ قد نبّهَكَ فما ارْعَوَيْتَ، ونصَحَ لكَ فما وعَيْتَ. فاستُرْ داءَ بلَهِكَ واكْتُمْهُ، ولُمْ نفْسَكَ ولا تلُمْهُ! وحَذارِ منِ اعتِلاقِهِ، والطّمَعِ في استِرْقاقِهِ، فإنهُ حُرُّ الأديمِ، غيرُ معَرَّضٍ للتّقْويمِ. وقدْ كانَ أبوهُ أحْضَرَهُ أمسِ، قُبَيْلَ أفولِ الشّمسِ، واعْترَفَ بأنّهُ فرْعُهُ الذي أنْشاهُ، وأنْ لا وارِثَ لهُ سِواهُ[3]. فقلْتُ للقاضي: أوَتَعْرِفُ أباهُ، أخْزاهُ اللهُ؟

(1) الإلف هو الصاحب والخليل ونزح أي بَعُدَ وفوت الشيء فواته وتضييعه وسفح أي جرى غزيراً والغبي الجاهل والأحمق ولحظه أي نظره وطمح أي ارتفع وورّطه أي أنشبه وأوقعه في ورطة وتعنّى أي تعب وافتضح أي صار فضيحة والمنقوشة أي الدراهم والوضح الدرهم وأيضاً كما جاء في المحيط: «الوَضَحُ محركةً: بياضُ الصُّبْحِ والقَمَرُ والبَرَصُ والغُرَّةُ والتَّحْجِيلُ في القوائِمِ وماءٌ لبني كِلاَبٍ والشَّيْبُ والدِّرْهَمُ الصَّحيحُ ومَحَجَّةُ الطَّريقِ واللَّبَنُ وحَلْيٌ من الفِضَّة ج: أوضاحٌ والخَلْخالُ وصِغارُ الكَلأ» وويك أي ويلك وناجتك أي سارّتك أي أخبرتك وأفهمتك والملح واحدتها ملحة وهي المستملح من الحديث ولم يبح من أباح أي أذن ورخّص وجوّز والمراد هنا أن الحرّ لا يجوز بيعه ووضح أي بان.

(2) تمثّلت أي تصوّرت وهي هنا بمعنى أنه حمل الكلام وما قاله على محمل المداعبة أي الممازحة ومعرض الشيء أي المكان الذي يعرض فيه والملاعب والواحد ملعب أي مكان اللعب وتصلّب إذا قوي واشتد من الصلابة والمحق من هو على حق وتبرّأ أي تنزّه وتباعد والطينة أصل الخلق والرق العبودية وجلنا أي ترددنا والملاكمة من لكم إذا ضرب بجمع كفه وأفضت أي أدّت وانتهت والمحاكمة الذهاب إلى المحكمة والتقاضي والصورة أي جلية الأمر والسورة تعني هنا الحكاية.

(3) أنذر أي أعلم وأخبر ويكون في التحذير من الخطر بعامة وأعذر أي أستحق العذر فصار معذوراً =

فقال: وهلْ يُجهَلُ أبو زيْدٍ الذي جُرْحُهُ جُبارٌ، وعِندَ كلّ قاضٍ لهُ أخبارٌ وإخْبارٌ؟ فتحرّقْتُ حينَئذٍ وحوْلَقْتُ، وأفَقْتُ ولكِنْ حينَ فاتَ الوقتُ! وأيقَنْتُ أنّ لِثامَهُ كان شرَكَ مَكيدَتِهِ، وبيْتَ قَصيدَتِهِ. فنكّسَ طَرْفي ما لَقيتُ، وآلَيْتُ أنْ لا أُعامِلَ مُلَثَّماً ما بَقيتُ. ولمْ أزَلْ أتأوّهُ لخُسْرِ صَفْقَتي، وافتِضاحي بينَ رُفقَتي[1]. فقال ليَ القاضي، حينَ رأى امتِعاضي، وتبيّنَ حَرَّ ارتِماضي: يا هذا ما ذهَبَ منْ مالِكَ ما وعظَكَ، ولا أجْرَمَ إليْكَ مَنْ أيقَظَكَ! فاتّعِظْ بِما نابَكَ، وكاتِمْ أصْحابَكَ ما أصابَكَ! وتذكّرْ أبداً ما دهِمَكَ، لتَقيَ الذّكْرى دراهِمَكَ! وتخلّقْ بخُلْقِ منِ ابتُليَ فصبَرَ، وتجلّتْ لهُ العِبَرُ فاعْتبَرَ[2]!

= وعبارة أعذر من أنذر مثل عربي يقال في المكاشفة والتحذير وبشّر أي جاء بالخبر السارّ يقول ويستوي التحذير من الخطر بالتبشير بالمفرح من الأمور فكلاهما يريد صالح المرء وبصّر أي جعل الآخر يبصر وما قصّر أي لم يأل جهداً وارعويت أي عدت عن جهلك وغيّك ووعيت أي فقهت وفهمت واستر فعل أمر من ستر أي غطّ وداء أي مرض والبله الغفلة والحمق وحذار أي احذر واعتلاقه أي تملّكه واسترقاقه أي اتخاذه رقيقاً أي عبداً والأديم أي الجلد والتقويم أي تقدير القيمة ومعرفتها وأفول الشمس غروبها وأعترف أي أقرّ والفرع أي الغصن وهو هنا الولد وأنشاه أي ربّاه.

(1) أخزاه الله دعاء عليه بمعنى فضحه وأوقعه في الخزي والهوان وجرحه جبار أي يذهب هدراً والأصل في الفقه ما أثر عن النبي «جرح العجماء جبار» العجماء أي البهيمة والجبار أي الهدر الذي لا ضمان له والأخبار واحدها خبر والإخبار أي الإعلام وتحرّقت أي تلهّفت وحولقت أي قلت لا حول ولا قوة إلاّ بالله وأفقت أي انتبهت وشركه أي فخه وبيت القصيد أي أفضل بيت فيها وعليه مدار القصيدة والمراد هنا أن تلثّم السروجي كان الفخ الذي نصبه وبيت القصيد في حيلته أي عمادها ونكّس أي أخفض وطرفي نظري وتنكيس الطرف هنا كناية عن الشعور بالعار وما لقيت أي ما عانيت وحدث لي وآليت أي أقسمت وما بقيت أي ما عشت وبقيت حيّاً وأتأوّه أي أتحسّر وأقول آه وخسر أي خسارة والصفقة البيعة.

(2) امتعاضي من امتعض من الشيء إذا غضب وشقّ عليه وارتماضي والحرّ السخونة والارتماض حرقة التوجّع وكأنها حرقة النار والرمضاء شدّة الحر والأرض الحامية من شدة الشمس وقوله ما ذهب من مالك ما وعظك يعني أن ما أنفقت من مال كان لك في إنفاقه درس وموعظة فانه لم يذهب هدراً وأجرم أي أساء وأذنب واقترف جريمة وأيقظك أي نبّهك واتعظ فعل أمر بمعنى اعتبر وتعلّم ونابك أي أصابك وجرى عليك وكاتم فعل أمر بمعنى اكتم واخف الخبر فلا تبح به إلى أصحابك ودهمك أي جرى لك وغشيك على حين غرّة وتجلّت أي برزت واضحة والعبر واحدتها عِبرة أي العظة يتعظ بها.

قال الحارثُ بنُ همّام:

فودّعْتُهُ لابِساً ثوْبَ الخجَلِ والحَزَنِ، ساحِباً ذيْلَي الغَبْنِ والغَبَنِ! ونوَيْتُ مُكاشَفَةَ أبي زيدٍ بالهَجْرِ، ومُصارَمَتَهُ يدَ الدّهْرِ. فجعَلْتُ أتنكّبُ عن ذَراهُ، وأتجنّبُ أنْ أراهُ. إلى أن غشيَني في طَريقٍ ضيّقٍ[1]، فحيّاني تحيّةَ شَيّقٍ! فما زِدْتُ على أن عبسْتُ، وما نبَسْتُ. فقال: ما بالُكَ شمَخْتَ بأنفِكَ، على إلْفِكَ؟ فقُلْتُ: أنَسيتَ أنّكَ احتلْتَ وختَلْتَ، وفعَلْتَ فَعْلَتَكَ التي فعَلْتَ؟ فأضْرَطَ بي مُتَهازِياً، ثمّ أنشَدَ مُتَلافِياً[2]:

يـا مَـنْ بَـدا مـنـهُ صُـدو ... دٌ مـوحِـشٌ وتـجـهُّـمُ
وغَـدا يَـريـشُ مَـلاوِمـاً ... مِـنْ دونِـهِـنّ الأسْـهُـمُ
ويـقـولُ هـلْ حُـرٌّ يُـبـا ... عُ كـمـا يُـبـاعُ الأدْهَـمُ
أقْـصِـرْ فـمـا أنـا فـيـهِ بِـدْ ... عـاً مـثْـلَـمـا تـتـوَهّـمُ[3]
قـد بـاعَـتِ الأسْـبـاطُ قـبْـ ... ـلـي يـوسُـفـاً وهُـمُ هُـمُ
هـذا وأُقْـسِـمُ بـالـتـي ... يَـسْـري إلَـيْـهـا الـمُـتْـهِـمُ
والـطّـائِـفـيـنَ بـهـا وهُـمْ ... شُـعْـثُ الـنّـواصـي سُـهَّـمُ

(1) الغَبْن الخديعة في البيع والشراء والغَبَن ضعف الرأي وقلّة الذكاء ويقول ابن قتيبة في أدب الكاتب: «الغَبْن» في الشراء والبيع، و«الغَبَن» في الرأي، يقال: «في رأيه غَبَن» و«قَدْ غَبِنَ رَأيه» كما يقال: «سَفِهَ رَأْيَهُ» ونويت أي عزمت وأضمرت وكاشف بالشيء أي جاهر به والهجر أي الصد والإعراض والمصارمة أي المقاطعة ويد الدهر أي طول الحياة والمراد طول نعمة الحياة فاليد هي الجميل والنعمة وأتنكّب من تنكّب عن الشيء إذا مال عنه وتجنبه وذراه أي ساح داره ونواحيها وغشيني أي لاقاني وقابلني وحيّاني أي ألقى التحية وسلّم.

(2) الشيّق أي المشتاق الشديد الحب ونبست أي فهت وتكلمت وشمخ بأنفه كناية عن الإعراض والتكبر والإلف الصاحب والخليل وختلت أي خدعت واضرط به أي احتقره أو تحدّاه فضرط له بفيه ويده ومتلافياً من تلافى الأمر إذا تداركه.

(3) الصدود هو الإعراض والموحش الذي يُشعر بالوحشة ويجعل المرء يستوحش والتجهم التقطيب والعبوس ويريش من راش السهم إذا اعده والملاوم والواحدة ملامة وهي التأنيب والتثريب ومن دونهن الأسهم أي أن الملامة أكثر إيلاماً من الأسهم والأدهم الفرس وأقصر فعل أمر بمعنى كفّ والبدع من جاء بجديد وتتوهم أي تظن وتحسب.

مـــا قُـــمْـــتُ ذاكَ الـــمـــوْقِـــفَ الـــ مُـــخْـــزي وعِـــنْـــدي دِرْهَـــمُ
فـــاعْـــذِرْ أخـــاكَ وكُـــفَّ عـــنْـــ ـهُ مَـــلامَ مَـــنْ لا يَـــفْـــهَـــمُ[1]

ثمّ قال: أمّا معْذِرَتي فقدْ لاحَتْ، وأمّا دراهِمُكَ فقَدْ طاحَتْ! فإنْ كانَ اقْشِعْرارُكَ مني، وازْوِرارُكَ عني، لفَرْطِ شفَقَتِكَ، على غُبّرِ نفقَتِكَ، فلسْتُ ممّنْ يلْسَعُ مرّتَينِ، ويوطئُ على جمرَتَينِ[2]. وإنْ كُنتَ طوَيْتَ كشْحَكَ، وأطَعْتَ شُحّكَ، لتَستَنْقِذَ ما علِقَ بأشْراكي، فلْتَبْكِ على عقلِكَ البَواكي[3]!

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فاضطرّني بلَفْظِهِ الخالِبِ، وسِحْرِهِ الغالِبِ؛ إلى أنْ عُدْتُ لهُ صَفيّاً، وبهِ حَفِيّاً، ونبَذْتُ فَعْلَتَهُ ظِهْرِيّاً، وإنْ كانت شيئاً فَرِيّاً[4].

---

(1) الأسباط أولاد النبي يعقوب وإخوة يوسف وهم هم أي وهم من تعلم في المكانة والقدر ويسري أي يسير إليها والمتهم المتجه نحو تهامة ويريد بذلك الكعبة والطائفين أي الذين يطوفون بها وشعث والواحد أشعث أي المغبّر الرأس المنتشر الشعر والنواصي واحدتها ناصية وهي قصاص الشعر أي حيث تنتهي نبتته من مقدمه والسهم من سهم سهوماً وسهومة وسهاماً إذا تغيّر لونه وهزل وعبس وجهه ما قمت أي ما وقفت والمخزي المعيب.

(2) لاحت أي برزت وظهرت وبانت وطاحت أي سقطت وذهبت والاقشعرار الانقباض والازورار التجنّب والإعراض ولفرط أي لكثرة وشفقتك أي خوفك وجزعك وغبر الشيء أي ما بقي منه وهو في الأصل ما بقي في الضرع من لبن ويلسع أي يلدغ ويقرص وفي الحديث أن: «لا يُلسع المؤمن من جحر مرتين» وأوطاه الأرض أو ما شاكل أي جعله يطأها.

(3) والكشح من الجسم الخاصرة ما بين السرة والمتن حتى منتصف الظهر وطوى كشحه على الأمر أي استمر عليه وطوى كشحه عن الرجل إذا أعرض عنه وقاطعه والشح البخل وتستنقذ أي تخلص وتنقذ وعلق أي تعلّق وأشراكي واحدها شرك وهو آلة الصيد والبواكي أي الباكيات يريد أن يقول له إذا كنت تحسب ان بوسعك استنقاذ مالك مني فعقلك فقيد خليق بالبكاء عليه.

(4) اضطرني أي ألجأني وأجبرني والخالب أي الخادع الفاتن والغالب أي القاهر والصفي أي الصاحب والحفي أي المحتفي والمبالغ في الإكرام ونبذت أي طرحت وظهرياً أي خلف ظهري وفي سورة هود الآية 92: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ والفري الأمر: العظيم والكذب وفي سورة مريم الآية 27: ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾.

المقامة الشّيرازيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

مرَرْتُ في تَطْوافي بشِيرازَ، علي نادٍ يستَوقِفُ المُجْتازَ، ولوْ كان على أوْفازٍ، فلمْ أستَطِعْ تعَدّيهِ، ولا خطَتْ قدَمي في تخَطّيهِ؛ فعُجْتُ إليْهِ لأسْبُكَ سِرَّ جوهَرِهِ، وأنظُرَ كيفَ ثمَرُهُ من زَهَرِهِ. فإذا أهْلُهُ أفْرادٌ[1]، والعائِجُ إلَيْهِمْ مُفادٌ، وبينَما نحنُ في فُكاهَةٍ أطْرَبَ منَ الأغاريدِ، وأطيَبَ منْ حلَبِ العَناقيدِ، إذِ احتَفَّ بِنا ذو طِمْرَينِ، قد كاد يُناهِزُ العُمْرَينِ، فحيّا بلِسانٍ طَليقٍ، وأبانَ إبانَةَ مِنطيقٍ، ثمّ احتَبى حُبوَةَ المُتنَدّينَ، وقال: اللهُمّ اجْعَلْنا منَ المُهتَدينَ! فازْدَراهُ القومُ لطِمْرَيْهِ، ونَسوا أنّ المرءَ بأصغَرَيْهِ[2]! وأخَذوا يتَداعَوْنَ فصْلَ الخِطابِ، ويعْتَدّونَ عودَهُ من الأحْطابِ؛ وهوَ لا

(1) التطواف الدوران والتجوال وشيراز أشهر مدن فارس فتحها العرب في خلافة عثمان بن عفّان اشتهرت بخمورها وسجادها وبالشاعرين العظيمين حافظ وسعدي ويستوقف أي يجعل المرء يقف والمجتاز أي العابرالمارّ وأوفزه إيفازاً إذا أعجله والأوفاز واحدها وفز وهو العجلة وتعدّيه أي مجاوزته وخطت أي مشت خطوة وتخطّيه تجاوزه وعجت من عاج أي مال وأسبك أي أختبر وجوهره أراد بذلك باطن القوم المجتمعين وكيف ثمره من زهره يريد أن يعرف أخلف المنظر الزاهي مخبر معجب أي هل القوم أصحاب علم وأدب وأفراد والواحد فرد وهو الذي لا نظير له ولا مثيل.

(2) العائج من عاج ومفاد أي مستفيد مكتسب للفوائد والفكاهة الحديث الممتع ولا يخلو من مزاح والأغاريد أصوات الطيور وحلب العناقيد أي الخمر والعناقيد واحدها عنقود وهو ما تراكم من حبّ العنب في عرق واحد واحتفّ بنا أي توسطنا فصرنا حافّين به والطمر الثوب البالي وناهز يناهز أي قارب والعُمران والواحد عمر يريد بذلك ثمانين سنة والعمر الأول حتى بلوغ الأربعين وهو عمر النمو والزيادة والقوة ثم يبدأ التناقص والضعف والوهن وحيّا أي ألقى التحية وسلّم =

يُفيضُ بكلِمَةٍ، ولا يُبينُ عنْ سِمَةٍ. إلى أنْ سبَرَ قرائِحَهُمْ، وخبَرَ شائِلَهُمْ وراجِحَهُمْ. فحينَ استخْرَجَ دفائِنَهُمْ، واستَنْثَلَ كنائِنَهُمْ، قال[1]:

يا قومُ! لوْ علِمْتُمْ أنّ وراءَ الفِدامِ، صَفْوَ المُدامِ، لَما احتقَرْتُمْ ذا أخْلاقٍ، وقُلتُمْ ما لَهُ منْ خَلاقٍ! ثمّ فجّرَ منْ ينابيعِ الأدَبِ والنُكَتِ النُّخَبِ، ما جلَبَ بهِ بَدائعَ العجَبِ، واستَوْجَبَ أن يُكتَبَ بذَوْبِ الذّهَبِ[2]. فلمّا خلَبَ كُلَّ خِلْبٍ، وقلَبَ إليْهِ كلَّ قلْبٍ؛ تحلْحَلَ، ليَرْحَلَ. وتأهّبَ، ليَذْهَبَ. فعلِقَتِ الجماعَةُ بذَيلِهِ، وعاقَتْ

= والطليق صفة اللسان الفصيح وأبان أي بيّن والمنطيق البليغ واحتبى أي جلس وقد شبك يديه على ساقيه والحبوة اسم القعدة تلك وقد تقدّم شرحها مراراً والمنتدين أي المجتمعين وازدراه أي احتقره والأصغران القلب واللسان والعبارة مثل عربي قديم فلقد وفد رجل على النعمان بن المنذر فاستهان به وقال: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» فذهبت مثلاً فأجابه الرجل بتلك العبارة فسارت مثلاً هي أيضاً.

(1) يتداعون مداعاة أي يتحاجّون والأُدْعِيَّةُ، مثل الأُحْجِيَّةُ. وفي الصحاح: «والمداعاة: المحاجاة. يقال: بينهم أدعية يتداعون بها. وهي مثل الأغلوطات. حتى الألغاز من الشعر أدعية، مثل قول الشاعر: «حاجيتك يا خنساء في جنس من الشعر \ وفيما طوله شبر وقد يوفي على الشبر \ له في رأسه شق نطوف ماؤه يجري» يعني القلم وفصل الخطاب القول القاطع للخلاف والخصومة ويعتدّون أي يحسبون ويحلّون والأحطاب واحدها حطب يريد انهم كانوا لا يرون في أبي زيد شيئاً وأفاض أي أبان وقد يكون ويفيص من أفاص بالصاد المهملة من فاص الشيء إذا ظهر وبان وفي الصحاح للجوهري« الفيص المُفاوصةُ وفي الحديث: البيان. يقال ما أفاصَ بكلمةٍ». غير أن الزبيدي يقول بالأولى ويقول إن الثانية تصحيف والسمة العلامة وسبر أي قاس والقريحة ملكة الإبداع في المرء وخبر أي أمتحن والشائل هو المرتفع والراجح الوافي في الميزان أي نظر أيهم أثقل وأوفى في الميزان أي فاضل بينهم نثل كنانته أي نثرها والكنانة جعبة السهام. يقول الحجاج بن يوسف في أول خطبة له في العراق: «وإن أمير المؤمنين نثل كنانته بين يديه فعجم عيدانها عوداً عوداً فرآني أمرّها عوداً وأصلبها مكسراً وأبعدها مرمى فرماكم بي...».

(2) الفدام خرقة تجعل على فم الإبريق أو الإناء لئلا يقع فيه الغبار أو لتصفو الخمر النكت واحدتها نكتة المسألة الدقيقة أخرجت بنظر والجملة اللطيفة تؤثر في النفس انبساطاً والنخب أي المنتخبة والمدام من أسماء الخمرة وذو الأخلاق أي البالي الثياب والخلاق الحظ والنصيب وفي سورة البقرة الآية 102: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ والينابيع واحدتها ينبوع وهو العين الجارية وذوب الذهب ما ذاب منه.

مسْرَبَ سيْلِهِ، وقالتْ لهُ: قد أرَيْتَنا وسْمَ قِدْحِكَ، فخبّرْنا عنْ قَيضِكَ ومُحّكَ! فصمَتَ صُموتَ مَنْ أُفحِمَ، ثمّ أعْوَلَ حتى رُحِمَ(1).

قال الراوي:

فلما رأيتُ شوْبَ أبي زيدٍ ورَوْبَهُ، وأسلوبَهُ المألوفَ وصَوْبَهُ؛ تأمّلْتُ الشيخَ على سُهومَةِ مُحَيّاهُ، وسُهوكَةِ ريّاهُ، فإذا هوَ إيّاهُ! فكتَمْتُ سِرّهُ كما يُكتَمُ الداءُ الدّخيلُ، وستَرْتُ مكرَهُ وإنْ لمْ يكُنْ يُخيلُ. حتى إذا نزَعَ عنْ إعْوالِهِ، وقدْ عرَفَ عُثوري على حالِهِ، رمَقَني بعَينِ مِضْحاكٍ، ثمّ طَفِقَ يُنشِدُ بلِسانِ مُتباكٍ(2):

أستَغْفِرُ اللهَ وأعْنو لهُ ... منْ فرَطاتٍ أثقَلَتْ ظَهْرِيَهْ
يا قوْمُ كمْ منْ عاتِقٍ عانسٍ ... ممدوحَةِ الأوْصافِ في الأنديَهْ(3)
قتَلْتُها لا أتّقي وارِثاً ... يطْلُبُ مني قوَداً أو دِيَهْ
وكلّما استَذْنَبْتُ في قتْلِها ... أحَلْتُ بالذّنْبِ على الأقضِيَهْ
ولمْ تزَلْ نفسي في غيّها ... وقتْلِها الأبكارَ مُستَشْرِيَهْ

---

(1) خلب أي فتن وخدع والخلب الحجاب الحاجز وهو هنا كناية عن القلب وقلب أي أمال وتحلحل أي تحرك ليزول ويبارح مكانه وتأهّب أي استعد وعلّقت أي تعلّقت وذيله أي طرف ثوبه وعاقت أي أخرت وصدّت ومنعت ومسرب الماء طريق مسيله وسال الماء إذا جرى والوسم العلامة والقدح السهم قبل أن يراش ويركب نصله والقيض قشرة البيضة اليابسة والمح صفار البيضة يريد أخبرنا عن ظاهرك وباطنك وأفحم أي غُلِب فلا يجد كلاماً وأعول بكى بصوت.

(2) يقال ما عنده شوب ولا روب والشوب الخلط وسمّي العسل شوباً لأنه يخلط ويمزج بالأشربة والروب اللبن الرائب ويعني بذلك حاليه الحلو والمر والخطأ والصواب وأسلوبه أي فنه وطريقته والمألوف أي المعتاد والمعهود والصوب وهو نزول الغيث والسهومة وقد مرت في المقامة السابقة تغيّر اللون من السفر والمحيّا الوجه والسهوكة نتن الرائحة والداء الدخيل أي المرض والدخيل الداخل في أعماق البدن ولا يتكلّم به استقباحاً ويخيل أي يشبه ويشكل ونزع عن الشيء أي كفّ وعثوري من عثر على الشيء إذا لقيه واطّلع عليه وقف على حقيقته ورمقني نظر إليّ والمضحاك الكثير الضحك والمتباكي متكلّف البكاء.

(3) أعنو أي أخضع وأستكين وأذلّ والفرطات السقطات والزلاّت والعاتق الجارية أول إدراكها والعانس البكر أدركت ولم تتزوّج ويريد الخمر والأندية واحدها نادي وهو المجلس.

حتى نَهاني الشّيبُ لمّا بَدا	في مَفْرِقي عنْ تِلكمُ المَعصِيَهْ[1]
فلمْ أُرِقْ مُذْ شابَ فَوْدي دماً	منْ عاتِقٍ يوماً ولا مُصْبِيَهْ
وها أنا الآن على ما يُرى	مني ومِنْ حِرْفَتي المُكدِيَهْ
أرُبُّ بِكْراً طالَ تعنيسُها	وحجْبُها حتى عنِ الأهوِيَهْ
وهْيَ على التّعنيسِ مخطوبَةٌ	كخِطبَةِ الغانِيَةِ المُغْنِيَهْ
وليسَ يكْفيني لتَجْهيزِها	على الرّضى بالدّونِ إلا مِيَهْ
واليَدُ لا توكي على دِرْهَمٍ	والأرضُ قفْرٌ والسّما مُضحِيَهْ[2]

---

(1) قتلتها أي مزجتها ولحسان بن ثابت:

«إنّ الّتي نَاوَلْتَني فَرَدَدْتُها	قُتِلَتْ، قُتِلْتَ، فهاتِها لم تُقتَلِ
كِلْتاهُما حَلَبُ العَصيرِ فَعَاطِني	بِزُجاجَةٍ أرْخاهُما لِلمِفْصَلِ»

وأتقي أي أدفع عني وأحتمي والقود قتل القاتل بالقتيل والدية ما يعطى ثمناً للقتيل واستذنبت أي نسبت إلى الذنب والأقضية واحدها قضاء يقول إنه كان ينسب ذنبه إلى قضاء الله والقضاء ما يحدث من أمر ولا ينسب إلى فاعل أحدثه فيقال وقع الحادث قضاء وقدراً يقول الحسين الضحّاك:

«يا فَدَتْكِ النفسُ كانت هفوةٌ	فاغفِريها واصفَحي عمّا مضى»
واتركي العذْلَ على من قالهُ	وانسُبي جَوْرِي إلى حكم القضا»

والغي الضلالة وقتلها الأبكار أي وزمجزها الخمور واستشرى فهو مستشر وهي مستشرية إذا تمادى وانتشر واستشرى في الأمر لجّ فيه والمفرق موضع انفراق الشعر.

(2) الفود جانب الرأس والمصبية التي لها صبية ولكن ربما كان المراد من صبا أي أنها ذات صبوة ويصبو إليها من رآها أو أنها تسكر شرّابها فتذهب بعقولهم فيصبحون كالصبية ولكن أحسب أنه أراد مقابلة العاتق التي لم تفضّ بالمصبية التي طرقتها الأيدي وذات الصبية والحرفة الصنعة والمكدية من أكدى الرجل إذا افتقر بعد غنى وأصل اللفظ أكدى الحافر إذا بلغ الأرض الغليظة الصلبة وأربّ أي أربّي من ربّ الصبي إذا ربّاه حتى يدرك والبكر الأنثى لم يفتضها ذكر والتعنيس الإقامة من دون زواج وحجبها أي سترها والأهوية واحدها هواء وربما أراد الأهوية التي واحدها هوى وهو ميل النفس والغانية المرأة المستغنية بجمالها عن كل زينة والمغنية من أغنى أي التي تغني زوجها عن غيرها لكمالها وتجهيز العروس إعدادها وإعداد جهازها قبل أن تنتقل إلى بيت زوجها والمية هي مائة دينار أو درهم وأوكى أي أغلق وهو في الأصل شد الوكاء وهو الخيط يربط به فم الوعاء وفي الأمثال يداك أوكتا وفوك نفخ ويداك ربطتا وشدتا الوكاء وفمك نفخ =

فهلْ مُعينٌ لي على نقلِها مصْحوبَةً بالقَيْنَةِ المُلْهِيَهْ
فيغْسِلَ الهمّ بصابونِهِ والقلْبُ من أفكارِهِ المُضْنِيَهْ
ويقْتني مني الثّناءَ الذي تَضُوعُ ريّاهُ معَ الأدْعِيَهْ[1]

قال الراوي:

فلمْ يبْقَ في الجماعَةِ إلا منْ ندِيَتْ لهُ كفُّهُ، وانْباعَ إليْهِ عُرْفُهُ. فلمّا نجَحتْ بُغيَتُهُ، وكمَلَتْ مِنّتُهُ؛ أخذَ يُثْني عليْهِمْ بصالِحٍ، ويشمِّرُ عنْ ساقٍ سارحٍ. فتبِعْتُهُ لأستَعْرِفَ رَبيبَةَ خِدْرِهِ، ومنْ قتَلَ في حِدْثانِ أمرِهِ. فكأنّ وشْكَ قِيامي، مثّلَ لهُ مَرامي، فازْدَلَفَ مني، وقال: افْقَهْ عني[2]:

قتْلُ مِثْلي يا صاحِ مزْجُ المُدامِ ليسَ قتْلي بلَهْذَمٍ أو حُسامِ
والتي عُنسَتْ هيَ البكرُ بنتُ الـ كَرْمِ لا البِكْرُ من بَناتِ الكِرامِ
ولتَجْهيزِها إلى الكاسِ والطّا سِ قِيامي الذي تَرى ومُقامي
فتَفَهّمْ ما قُلتُهُ وتحَكّمْ في التّغاضي إنْ شِئتَ أو في المَلامِ[3]

= الزق لينتفخ فتسبح عليه وكان أعرابيان قد نفخا زقيهما يريدان عبور الماء فاستنجد أحدهما برفيقه حين أوشك أن يغرق فقال له العبارة وسارت مثلاً. والسماء المصحية التي لا غيم فيها كناية عن انقطاع الرجاء.

(1) القينة الأمة المغنية والملهية التي تُلهي والمضنية أي المتعبة المنهكة ويقتني أي يحوز ويملك وتضوع أي تفوح والريّا الرائحة الذكية والأدعية واحدها دعاء وهو ما يدعو به العبد ربّه.

(2) نديت أي رشحت والمراد العطاء وانباع أي سال والعرف المعروف ونجحت أي انقضت وتمت والبغية المطلب والمراد وسارح من سرح أي ذهب والكناية عن التأهّب للمسير والربيبة بنت الزوجة يربيها الزوج في بيته والخدر ستر يمدّ للمرأة في ناحية البيت ثم صار كل ما واراك خدراً والخدر الهودج يقول امرؤ القيس:

«ويوم دخلتُ الخدرِ خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنكَ مُرجلي»

وحدثان أمره أي أول أمره والمراد زمن الشباب ولوشك السرعة وقيامي أي نهوضي ومثّل له أي شخّص له ومرامي أي غايتي أو مطلبي وازدلف أي دنا وقرُب وقال افقه عني أي افهم واحفظ.

(3) يا صاح أي صاحبي واللهذم الحاد القاطع من السيوف أو الأسنة والحسام السيف القاطع أو =

ثمّ قال: أنا عِرْبيدٌ، وأنتَ رِعْديدٌ، وبيْنَنا بوْنٌ بَعيدٌ! ثمّ ودّعَني وانطَلَقَ، وزوّدَني نظرَةً منْ ذي علَقٍ[1].

= شفرته الحادة وبنت الكرم أي الخمر والطاس إناء من نحاس يشرب فيه ومقامي أي مكثي والتغاضي التغافل.

(1) العربدة سوء الخلق في الشراب والعربيد الكثير العربدة والرعديد الجبان الفزّاع والبون مسافة ما بين الشيئين والفضل والمزية ولكن الأول هو المراد وذو علق أي ذو هوى.

المقامة المَلَطِيّة

أخبرَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أنَخْتُ بمَلَطِيَةَ مطيّةَ البَينِ، وحَقيبَتي ملأى منَ العينِ. فجعَلْتُ هِجّيرايَ، مُذْ ألقَيْتُ بها عصايَ؛ أن أتورّدَ مواردَ المرَحِ، وأتصيّدَ شواردَ المُلَحِ. فلمْ يَفُتْني بها منظَرٌ ولا مسمَعٌ، ولا خَلا مني ملعَبٌ ولا مرتَعٌ. حتى إذا لمْ يبْقَ لي فيها مأرَبٌ، ولا في الثّواء بها مَرْغَبٌ؛ عمَدْتُ لإنْفاقِ الذّهبِ، في ابتِياعِ الأُهَبِ[1]. فلمّا أكمَلْتُ الإعْدادَ، وتهيّأ الظّعْنُ منها أو كادَ، رأيتُ تِسعَةَ رهْطٍ قد سبأوا قهوَةً، وارتَبأوا ربْوَةً. ودماثَتُهُمْ قيْدُ الألحاظِ، وفُكاهَتُهُمْ حُلوَةُ الألْفاظِ. فنحَوْتُهُمْ طلَباً لمُنادَمتِهِمْ، لا لمُدامَتِهِمْ! وشَغَفاً بمُمازَجَتِهِمْ لا بزُجاجَتِهِمْ! فلمّا انتظَمْتُ عاشِرَهُمْ، وأضحَيْتُ مُعاشِرَهمْ؛ ألفيتُهُمْ أبناءَ عَلاّتٍ، وقَذائِفَ فلَواتٍ[2]. إلا أنّ لُحْمَةَ الأدَبِ، قد ألّفَتْ

(1) أناخ المطية صيّرها باركة بالأرض ملطية مدينة على الفرات في تركيا والبين الفراق والانفصال والحقيبة وعاء يضع فيه المسافر متاعه والعين الذهب وهجيراي أي عادتي وديدني والقاء العصا في المكان كناية عن الإقامة فيه وأتورّد من ورد أي أرد وأدخل والمرح الفرح والنشاط وأتصيّد أي أصطاد والشوارد واحدتها شاردة وهي في اللغة النادرة والغريبة وفي الشعر القافية السائرة في البلاد والملح واحدتها ملحة وهي المستملح والحسن من الحديث ويفتني من فات وفاته الشيء أي جاوزه ولم يقدر عليه والملعب مكان اللعب والمرتع مكان الرعي والمأرب الحاجة والثواء أي الإقامة ومرغب من رغب أي رغبة وعمدت أي قصدت والأهب من الأهبة وهي العدة والاستعداد.

(2) الظعن من ظعن أي الارتحال وكاد فعل يدلّ على قُرب حدوث الشيء ويدخل على اسم أو ضمير يتلوه مضارع فلا يغيّر في الحركات شيئاً ويثنّى ويجمع ويشتق منه مضارع كما في سورة النور الآية 35: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ﴾ والرهط ما دون العشرة من الرجال وسبأ=

شمْلَهُمْ أُلفَةَ النّسَبِ، وساوَتْ بينهُم في الرُّتَبِ؛ حتى لاحوا مثلَ كواكِبِ الجوْزاءِ، وبدَوْا كالجُملَةِ المُتناسِبَةِ الأجْزاءِ! فأبْهَجَني الاهتِداءُ إليْهِمْ، وأحمَدْتُ الطّالِعَ الذي أطلعَني عليْهِمْ. وطفِقْتُ أُفيضُ بقِدْحي معَ قِداحِهِمْ، وأسْتَشْفي برِياحِهِمْ لا براحِهِمْ(1). حتى أدّتْنا شُجونُ المُفاوضَةِ، إلى التّحاجي بالمُقايَضَةِ؛ كقوْلِكَ إذا عنَيْتَ

= الخمر سباء. قال أبو عبيدة: سبأها: شراها للشرب لا للبيع، واستبأها لنفسه. وعنده سبيئة بابلية. وتقول: ما تسبأ لكم الراح، ولكن تسبى منكم الأرواح. والقهوة من أسماء الخمر وارتبؤوا من ارتبأ أي طلعوا واعتلوا ربوة وهي المرتفع من الأرض والدماثة السهولة والليونة في الخلق وقيد الشيء أي كأنه مقيّد به يقول امرؤ القيس:

وَقَدْ أغْتَدي وَالطَّيرُ في وُكُناتِها ... بِمُنجَرِدٍ قَيدِ الأوابِدِ هيكَلِ

وفي المحيط: «ويُقال للفَرَس الجَوَادِ: قَيْدُ الأوَابِدِ؛ أي يَلْحَقُ الوَحْشَ فكأنّما هو مُقَيَّدٌ له حتّى يَلْحَقَه.... والقِيْدُ: القِيْس في المِقْدَارِ، وكذلك القادُ». والفكاهة ما يستمتع به من الحديث والألفاظ واحدها اللفظ الملفوظ من الكلام ووصف الألفاظ بالحلاوة حتى لكأنها مما يتنقل به ونحا نحواً أي قصد ونحا نحوه أي قصد قصده والمنادمة المجالسة على الشراب والمدامة من أسماء الخمر يقول قصدتهم لأحادثهم وليس لأشرب معهم وشغفاً أي حبّاً وعشقاً والممازجة الاختلاط والزجاجة القارورة أو الإناء الزجاجي تكون فيه الخمر وانتظمت أي صرت في نظامهم أي واحداً منهم وفي الترتيب عاشرهم ولتفسير العلاّت ننقل عن لسان العرب المادة كلها: «إنّما عَنى بابن عَلاَّتٍ أن أمَّهاته لَسْنَ بقَرائب ويقال هما أخَوانِ من عَلَّةٍ وهما ابْنا عَلَّة أمَّاهُما شَتَّى والأب واحد وهم بَنُو العَلاَّت وهُمْ من عَلاَّتٍ وهم إخْوةٌ من عَلَّةٍ وعَلاَّتٍ كُلُّ هذا من كلامهم ونحن أخَوانِ مِنْ عَلَّةٍ وهو أخي من عَلَّةٍ وهما أخَوانِ من ضَرَّتَيْن ولم يقولوا من ضَرَّةٍ وقال ابن شميل هم بَنُو عَلَّةٍ وأولاد عَلَّة واحد وفي الحديث الأنبياء أولاد عَلاَّتٍ معناه أنهم لأمَّهات مختلفة ودِينُهم واحد كذا في التهذيب وفي النهاية لابن الأثير أراد أن إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة والأخيافُ اختلاف الآباء وأُمُّهُم واحدة وبَنُو الأعيان الإخوة لأب وأُمٍّ ومنه حديث علي رضي الله عنه يَتَوارَثُ بَنُو الأعيان من الإخوة دون بني العَلاَّت أي يتوارث الإخوة للأم والأب وهم الأعيان دون الإخوة للأب إذا اجتمعوا معهم قال ابن بري يقال لبَني الضَّرائر بَنُو عَلاَّت ويقال لبني الأم الواحدة بَنُو أُمٍّ ويصير هذا اللفظ يستعمل للجماعة المتفقين وأبناء عَلاَّتٍ يستعمل في الجماعة المختلفين قال عبد المسيح والنَّاسُ أبناء عَلاَّتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أنْ قَدْ أقَلَّ فَمَجْفُوٌّ ومَحْقُور وهُمْ بَنُو أُمٍّ مَنْ أمْسى له نَشَبٌ فَذاك بالغَيْبِ مَحْفُوظٌ ومَنْصور وقال آخر أفي الوَلائِم أوْلاداً لِواحِدة وَفي المآتِم أولاداً لَعِلاَّت؟» القذائف واحدتها قذيفة وهي ما يقذف ويرمى والفلوات واحدتها فلاة وهي القفر لا نبات فيه.

(1) اللحمة ما يسدى به بين سدى الثوب وألّفت أي جمعت شملهم أي جمعت متفرّقهم والألفة اسم=

بِهِ الكَراماتِ، ما مثلُ النّوْمُ فاتَ. فأنْشأنا نجْلو السُهَى والقمرَ، ونجْني الشّوْكَ والثّمرَ[1]. وبيْنا نحنُ ننْشُرُ القَشيبَ والرّثَّ، وننْشُلُ السّمينَ والغَثَّ؛ وغَلَ عليْنا شيخٌ قد ذهَبَ حِبرُهُ وسِبْرُهُ، وبقِيَ خُبْرُهُ وسَبْرُهُ. فمثَلَ مُثولَ منْ يسمَعُ وينظُرُ، ويلتَقِطُ ما ننْثُرُ؛ إلى أن نُفِضَتِ الأكياسُ. وحصْحَصَ الياسُ. فلمّا رأى إجْبالَ القَرائِحِ، وإكْداءَ الماتِحِ والمائِحِ، جمَعَ أذيالَهُ، وولاّنا قَذالَهُ، وقال[2]: ما كُلّ سوْداء تمْرَةٌ، ولا كلّ

= الائتلاف وهي الأنس والصداقة والنسب أي القرابة ولاحوا بدوا وبرزوا والجوزاء صورة في منطقة البروج من أسمائها الجُبار والتوأمان ويضرب المثل بالجوزاء في الألفة واجتماع الشمل وفي أدب النديم لكشاجم: «ثلاثة أصفيتهم إخائي كأنهم كواكب الجوزاء» وأبهجني أي أفرحني وأحمدت أي شكرت ووجدت محموداً والطالع الحظ والبخت وأطلعه على الشيء أي أظهره عليه وأعلمه به وطفقت أي شرعت وأفيض بقدحي أي أضرب بسهمي وقد تقدّمت المادة مراراً وأستشفي أي أشفي نفسي ورياحهم والواحد ريح والريح من الأيام الطيّب الرائحة والراح من أسماء الخمرة والشجون واحدها شجن وهو الطريق في أعلى الوادي وفي الأمثال الحديث ذو شجون أي أنه مختلف يذهب في طرق عديدة.

(1) أدّتنا أي بلغت بنا والمفاوضة المحادثة والمذاكرة في العلم وهي التباحث بين شخصين أو فريقين وأفاض في الحديث إذا أسرع فيه وما أفاض بكلمة أي ما نطق بها والتحاجي أي تبادل الأحجيات ومطارحة المسائل العويصة والأحجيات واحدتها أحجية وهي الكلمة المغلقة كاللغز يتبارى القوم في حلّها والمقايضة أي المعاوضة أي أن تعطي شيئاً يكون عوضاً عن شيء أخذته وعنيت به أي أردت به والكرا مات أي مات النوم والكرى هو النوم وأنشأنا أي شرعنا ونجلو أي نكشف ونبرز والسهى نجم خفي وفي الأمثال عن المستقصى: أُرِيْهَا السُّهى وتُرِيْني الْقَمَرَ: هو كوكب صغير خفي في نجوم بنات نعش وأصله أن رجلاً كان يكلم امرأة بالخفي الغامض من الكلام وهي تكلمه بالواضح البين فضرب السهى والقمر مثلاً لكلامه وكلامها يضرب لمن اقترح على صاحبه شيئاً فأجابه بخلاف مراده قال:

شكونا إليه خراب السواد — فحرم فينا لحوم البقر
فكنا كما قال من قبلنا — أريها السها وتريني القمر

ونجني أي نقطف والشوك والثمر أراد بهما الحسن والرديء من القول.

(2) القشيب الجديد من الأثواب والرث البالي منها وننشل أي نُخرج بالمنشل وهو حديدة معقّفة يرفع بها اللحم من القدر والغث الهزيل والسمين عكسه والغث والسمين يراد بهما الجيد والرديء من الألفاظ أو ما شاكل ذلك ووغل علينا أي دخل وحبره وسبره أي هيئته وحسنه وفي الصحاح: «يقال: فلان حسن الحبر والسبر، إذا كان جميلاً حسن الهيئة ويقال أيضاً فلان حسن الحبر =

صهْباء خمرَةٌ! فاعْتَلَقْنا بهِ اعتِلاقَ الحِرْباء بالأعْوادِ، وضربْنا دونَ وِجْهَتِهِ بالأسْدادِ، وقلْنا لهُ: إن دَواء الشّقّ أن يُحاصَ، وإلا فالقِصاصَ القِصاصَ! فلا تطمَعْ في أن تجْرَحَ وتطْرَحَ، وتُنهِرَ الفَتْقَ وتسْرَحَ! فلوَى عِنانَهُ راجِعاً، ثم جثَمَ بمَكانِهِ راصِعاً، وقال[1]: أمّا إذا استَرْتُموني بالبَحْثِ، فلأحْكُمُ حُكمَ سُلَيْمانَ في الحرْثِ! اعْلَموا يا ذَوي الشّمائِلِ الأدبيّةِ، والشَّمولِ الذّهبيّةِ؛ أنّ وضْعَ الأُحجِيّةِ، لامتِحانِ الألمَعيّةِ، واستِخْراجِ الخَبيّةِ الخفيّةِ! وشرْطُها أنْ تكونَ ذاتَ مماثلَةٍ حَقيقيّةٍ، وألْفاظٍ معْنَويّةٍ، ولَطيفَةٍ أدَبيّةٍ. فمتى نافَتْ هذا النّمَطَ، ضاهَتِ السّقَطَ، ولمْ تدْخُلِ السّفَطَ[2]! ولم أرَكُمْ حافَظْتُمْ على هذهِ الحُدودِ، ولا مِزْتُمْ بينَ المقبولِ والمرْدودِ! فقُلْنا لهُ: صدَقْتَ،

= والسبر، بالفتح. وهذا كأنه مصدر قولك: حبرته حبراً، إذا حسنته. والأول اسم. وتحبير الخط والشعر وغيرهما: والحبر أيضاً الحبور، وهو السرور. وقال الله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ سورة الروم: من الآية 15 أي ينعمون ويكرمون ويسرون. والسبر: حسن الوجه، وأيضاً العداوة، والشبه، وما يظهر على الإنسان وغيره مما يدل على كرمه أو دناءته وخبره وسبره أي علمه وتجربته ومثل أي انتصب قائماً ونفضت من نفض والأكياس واحدها الكيس وهو وعاء الدراهم ونفض الكيس إذا هزه ليطرح ما فيه والعبارة كناية عن فراغ القول وحصحص وضح وتبيّن بعد خفاء واليأس القنوط وانقطاع الأمل وأجبل إجبالاً إذا حفر بحثاً عن الماء فبلغ الصخر والقرائح واحدتها قريحة ملكة الإبداع في الشعر بخاصّة وإكداء من أكدى إذا حال بينه وبين الماء كُدية وهي حجارة وصلابة تعرض في البئر والماتح المستسقي على فم البئر والمائح الذي نزل إلى البئر ليملأ الدلاء يقول فلما رأى القرائح وقد بلغت مكاناً صعباً وتعسّر الأمر على المستقي وشمّر ذيله أي جمعه ورفعه استعداداً للقيام وولاّنا من ولّى أي أدبر وولاّه كذا أي جعله تبعاً له والقذال القفا.

(1) وما كل سوداء تمرة ولاكل صهباء خمرة مثل يضرب في أن الحكم لا بد أن يأتي بعد التجربة والإختبار للشيء المحكوم عليه والصهب في اللون الحمرة أو الشُقرة والصهباء من أسماء الخمرة واعتلقنا به أي تعلّقنا والحرباء عظاة تتلوّن بلون الشجرة التي تكون عليها والأسداد واحدها سد وهو الحاجز بين شيئين وضربنا دون وجهته أي أقمنا دون قصدها وذلك من ضرب الخيمة إذا أقامها ودواء الشق أن يحاص مثل عربي ويحاص أي يخاط يقال في إصلاح ما فسد وأنهر الفتق أي جعله واسعاً كالنهر والفتق خروج عضو أو حشو من الأحشاء وتسرح أي تذهب ولوى عنانه كناية عن الرجوع والعنان ما تقاد به الدابة وجثم ويقال في الطير والحيوان إذا برك ولزم مكانه وراصعاً من رصع بالمكان إذا لزق به.

(2) استرتموني أي أترتموني والبحث المناقشة في السؤال وفي قوله حكم سليمان إشارة إلى الآية 78 =

وبالحقّ نَطَقْتَ! فكِلْ لَنا منْ لُبابِكَ، وأفِضْ علَيْنا منْ عُبابِكَ! فقال: أفْعَلُ لئلاّ يرْتابَ المُبطِلونَ، ويظُنّوا بيَ الظّنونَ! ثمّ قابلَ ناظُورَةَ القومِ وقال[1]:

يا مَنْ سَما بذَكاءٍ في الفضلِ واري الزِّنادِ
ماذا يُماثِلُ قولي جوعٌ أُمِدّ بزادِ[2]

ثمّ ضحِكَ إلى الثّاني وأنشدَ:

يا ذا الذي فاقَ فضْلاً ولمْ يُدَنِّسْهُ شَيْنُ
ما مثلُ قوْلِ المُحاجي ظَهْرٌ أصابَتْهُ عيْنُ[3]

ثمّ لحَظَ الثّالِثَ وأنشأ يقول:

يا مَنْ نتائِجُ فكرِهِ مثلُ النّقودِ الجائِزَهْ
ما مثلُ قولِكَ للّذي حاجَيْتَ صادَفَ جائِزَهْ[4]

= من سورة داود: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾. والشمائل واحدها شمال وفي الجراثيم لابن قتيبة: «الشمائل واحدها شمالٌ، قد تكون من الأخلاق، ومن خلقة الجسد» والشمول من أسماء الخمر والذهبية التي يشبه لونها الذهب والألمعية الذكاء والفطنة والنمط النوع والطريقة ضاهت أي وازت وساوت والسقط المرذول من المتاع والسفط وعاء يعبّأ فيه الطيب وما شاكله من أدوات النساء ويراد به هنا صندوق الكتب.

(1) مزتم أي فرقتم وكل لنا فعل أمر من كال أي وزنها وكال الحبّ إذا حدّد مقداره بآلة معدّة لذلك وكال الصيرفي الدراهم وزنها واللباب الخالص من كل شيء وأفض فعل أمر بمعنى صبّ والعباب معظم الماء ومعظم البحر ويرتاب أي يشك والمبطلون من ليسوا على الحق وقابل واجه وناظورة القوم كبيرهم الذي ينظرون إليه.

(2) ما بين قوسين وربط مسمّن هو تفسير أدرجه الحريري في آخر المقامة ولقد أدرجناه هنا تسهيلاً وتيسيراً. سما أي ارتفع وواري الزناد كناية عن حدة الفهم والذكاء ويماثل أي يشابه (أما جوع أمدّ بزاد فمثله طوامير).

(3) فاق فضلاً أي فضل على غيره ويدنّسه أي يوسّخه والشين العيب والمحاجي الذي يطرح الأحجية على غيره (وأما ظَهر إصابته عَين، فمثله مطاعين مطا أي ظهر وعين).

(4) نتائج فكره أي ماينتجه ويولده من قول والنقود الجائزة التي تجوز وتنفذ لأنها غير مزوّرة (وأما صادف جائزة، فمثله الفاصلة. ألفى صلة أي وجد صلة والصلة جائزة).

ثمّ أتلَعَ إلى الرّابعِ وقال:

أيـا مُـسـتَـنـبِـطَ الـغـامـضِ مـنْ لُـغْـزٍ وإضْـمـارِ
ألا اكْـشِـفْ لـيَ مـا مـثـلُ تـنـاوَلْ ألـفَ ديـنـارِ[1]

ثمّ رَمى الخامِسَ ببصرِه وقال:

يـا أيّـهَـذا الألْـمَـعـيّ أخـو الـذّكـاء الـمُـنـجَـلـي
مـا مـثـلُ أهْـمَـلَ حِـلـيَـةً بـيِّـنْ هُـديـتَ وعـجِّـلِ[2]

ثمّ التفَت لفْتَ السّادِسِ وقال:

يـا مَـنْ تـقـصّـرُ عـن مَـدا هُ خُـطـى مُـجـارِيـهِ وتـضْـعُـفْ
مـا مـثـلُ قـولِـكَ لـلّـذي أضْـحى يـحـاجـيكَ اكـفُـفِ اكـفُـفْ[3]

ثمّ خلجَ السابعَ بحاجِبِه وقال:

يـا مـنْ لـهُ فِـطـنَـةٌ تـجـلّـتْ ورُتـبَـةٌ فـي الـذّكـاء جـلّـتْ
بـيِّـنْ فـمـا زِلْـتَ ذا بَـيـانٍ ما مـثـلُ قـولـي الـشَـقـيـقُ أفـلَـتْ[4]

(1) أتلع أي مدّ عنقه متطاولاً والمستنبط المستخرج والغامض غير الواضح والبعيد المعنى واللغز ما عمّي من الكلام والإضمار الإتيان بالضمير بدل الاسم الظاهر والإضمار حذف كلمة أو أكثر من الجملة دون أن يلتبس معناها (وأما تناول ألف دينار، فمثله هادية ها وديه وها اسم فعل بمعنى خذ وتناول والدية مقدارها ألف دينار).

(2) أخو الذكاء أي الذكي الحاد الفهم والمنجلي أي المنكشف والمرئي وبيّن أي أبن وهديت دعاء له وعجّل فعل أمر بمعنى أسرع.
(وأما أهمل حلية، فمثله الغاشية = الغى وشية أي علامة).

(3) التفت إلى الشيء صرف وجهه إليه والتفت لفته أي التفت ناحيته المدى الغاية والخطى واحدتها خطوة هي مسافة ما بين القدمين في المشي ومجاريه الذي يسابقه ويجري مجراه (وأما اكفف اكفف، فمثله مهمه. مه اسم فعل بمعنى اكفف).

(4) خلج أي غمز وخلجه بحاجبه إذا حرّك حاجبه له وتجلّت أي ظهرت وطلعت وبرزت وجلّت أي عظُمت (وأما الشقيق أفلت، فمثله أخطار = أخ أي شقيق وطار أي أفلت).

ثم استنْصَتَ الثّامِنَ وأنشدَ:

يـا مَـنْ حـدائِـقُ فـضـلِـهِ مـطـلـولَـةُ الأزهـارِ غـضّـةْ
مـا مـثـلُ قـولِـكَ لـلـمُـحـا جي ذي الحِجى ما اختارَ فِضّةْ[1]

ثمّ حدجَ التاسِعَ ببصرِهِ وقال:

يـا مـنْ يُـشـارُ إلـيـهِ فـي الـ قـلـبِ الـذّكـيّ وفـي الـبَـراعَـةْ
أوضِـحْ لـنـا مـا مـثـلُ قـوْ لِـكَ لـلـمُـحـاجـي دُسْ جـمـاعَـةْ[2]

قال الراوي:

فلما انتهى إليّ؛ هزّ مَنكِبَيّ[3]، وقال:

يـا مـنْ لـهُ الـنُّـكَـتُ الـتـي يُـشـجـي الـخُـصـومَ بـهـا ويـنـكُـتْ
أنـتَ الـمُـبـيـنُ فـقُـلْ لـنـا مـا مـثـلُ قـوْلـي خـالـيَ اسـكُـتْ[4]

ثم قال: قد أنهلْتُكُمْ وأمهَلتُكُمْ، وإنْ شِئْتُمْ أنْ أعُلّكُمْ علّلتُكُمْ!

قال:

فألْجأنا لهَبُ الغُلَلِ، إلى استِسقاء العَلَلِ. فقال: لستُ كمَنْ يستأثِرُ على نَديمِهِ،

(1) استنصت أي طلب أن ينصت ومطلولة الأزهار أي وقع الطلّ أي الندى عليها وغضّة أي ريّانة وطرية رطبة وذو الحجا أي صاحب العقل (وأما ما اختار فضة. فمثله أبارقة، لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي، ﷺ، فقال في الرقة ربع العشر. أبى ورقه وأبى الشيء لم يرده).

(2) حدجه ببصره أي أحدّ النظر إليه والبراعة المهارة والحذق (وأما دس جماعة، فمثله طافية = طأ فعل أمر من وطأ أي داس).

(3) المنكب مجتمع رأس العضد والكتف.

(4) النكت واحدتها نكتة وهي المسألة الدقيقة أخرجت بدقة ونظر وهي الجملة اللطيفة تؤثّر في النفس انبساطاً والأولى هي المراد هنا وينكت من نكت إذا ضرب الأرض بعصاه أو باصبعه مفكّراً فأثّر فيها ونكته ألقاه على رأسه ويشجي الخصوم أي يغصّهم (وأما خالي اسكت، فمثله خالصه، لأنك إذا ناديت مضافاً إلى نفسك جاز لك حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحرّكة، وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية، وصه بمعنى اسكت).

ولا ممّنْ سمْنُهُ في أديمِه! ثمّ كرّ على الأوّلِ وقال[1]:

يــا مــنْ إذا أشــكــلَ الــمُــعَــمّــى جــلّــتْــهُ أفــكــارهُ الــدّقــيــقَــهْ
إنْ قــال يــومــاً لــكَ الــمُــحــاجــي خــذْ تــلــكَ مــا مِــثْــلُــهُ حَــقــيــقَــهْ[2]

ثم ثَنى جيدَهُ إلى الثّاني وقال:

يــا مــنْ بَــدا بــيــانُــهُ عــنْ فــضــلِــهِ مُــبــيِّــنــا
مــاذا مــثــالُ قــولِــهِــمْ حِــمــارُ وحْــشٍ زُيّــنــا[3]

ثم أوحى إلى الثالثِ بلحْظِهِ وقال:

يــا مــنْ غــدا فــي فــضــلِــهِ وذكــائِــهِ كــالأصْــمَــعــي
مــا مــثــلُ قــولِــكَ لــلــذي حــاجــاكَ أنْــفِــقْ تــقــمَــعِ[4]

ثمّ حملَقَ إلى الرّابعِ وأنشدَ:

يــا مــنْ إذا مــا عَــويــصٌ دجــا أنــارَ ظــلامَــهْ
مــاذا يُــمــاثِــلُ قــولــي إسْــتَــنْــشِ ريــحَ مُــدامَــهْ[5]

---

(1) أنهلتكم أي سقيتكم وهو الشرب الأول وأملتكم أي منحتكم مهلة وأعلّكم أي أسقيكم عللاً والعلل الشرب الثاني وألجأنا أي اضطرنا والغلل أي حر العطش وطلب العلل أي طلب الماء أو الشرب ثانية واستأثر بالشيء اختصّ نفسه به من دون سواه والسمن في الأديم مثل يضرب للبخيل ينفق على نفسه ويمنع الخلق الخلق والأديم وعاء السمن أي الزق وهو من الجلد وقال البكري إنه هنا طعامكم المأدوم والمثل هو سمنكم هريق في أديمكم.

(2) كرّ أي رجع ثانيةً وأشكل أي التبس (وأما خذ تلك، فمثله هاتيك = ها وتيك).

(3) ثنى أي عطف ولوى وأمال وجيده أي عنقه وبدا أي ظهر (وأما حمار وحش زينا، فمثله فرازين، لأن الفرا حمار الوحش، ومنه الحديث: كل الصيد في جوف الفرا).

(4) أوحى أي ألهم وهي هنا بمعنى أومأ واللحظ النظر والأصمعي تقدم ذكره وهو راوية ولغوي عاش في العصر العباسي وقمع أي قهر وأذلّ (وأما قوله أنفق تقمع، فمثله منتقم، لأن الأمر من مان يمون مُنْ. ومضارع وقمت تقِم. = وقم يقِم وقما الدابة جذب عنانها لتقف ووقم الرجل توقيماً قهره وردّه عن حاجته أقبح الردّ).

(5) حملق أي فتح عينيه ونظر نظراً شديداً والعويص الصعب والمشكل ودجا أي اشتدت ظلمته وتقال =

ثمّ أومضَ إلى الخامسِ وقال:

يــا مَــنْ تــنــزّهَ فَــهــمُــهُ عــنْ أن يــرَوّي أو يَــشُــكّــا
مــا مــثــلُ قــولِــكَ لــلــذي أضْحى يُحاجي غـطّ هَـلـكـى(1)

ثمّ أقبلَ قِبَلَ السادِسِ وأنشدَ:

يــا أخــا الــفِــطــنَــةِ الــتــي بــانَ فــيــهــا كــمــالُــهُ
ســارَ بــالــلّــيــلِ مُــدّةً أيُّ شــيءٍ مــثــالُــهُ(2)

ثم نَحا بصرَهُ إلى السابعِ وقال:

يــا مــنْ تــحــلّــى بــفَــهْــمٍ أقــامَ فــي الــنــاسِ ســوقَــهْ
لــكَ الــبَــيــانُ فــبــيّــنْ مــا مــثــلُ أحْــبِــبْ فَــروقَــهْ(3)

ثم قصدَ قصْدَ الثامنِ وأنشدَ:

يــا مــنْ تــبــوّأ ذِروَةً فــي الــمــجــدِ فــاقــتْ كــلَّ ذرْوَهْ
مــا مــثــلُ قــولِــكَ أعــطِ إبْــ ريــقــاً يــلــوحُ بــغــيــرِ عُــروَهْ(4)

= في الليل وأنار ظلامه أي أضاء عتمته يعني بذلك أنه يزيل الإشكال ويكشف المعنى واستنش أي استنشق وشمّ والمدامة من أسماء الخمر (وأما استنش ريح مدامة، فمثله رحراح، لأن الأمر من استدعاء الرائحة رح = رح أي شمّ والراح من أسماء الخمر).

(1) أومض أي تبسّم والومض الالتماع ومنه وميض البرق وتنزّه أي برئ وعلا وبَعُدَ ويروّى من التروي أي التفكّر والتدبّر وشكّ أي ارتاب (وأما غطّ هلكى، فمثله صُنبور، لأن البور هم الهلكى، وفي القرآن سورة الفتح الآية 12: ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ صن أي احفظ وبور أي هلكى).

(2) أقبل أي تقدم وقبله أي مواجهاً له والفطنة الذكاء والحصافة وسرعة الفهم (وأما سار بالليل مدة، فمثله سراحين = سرى وهو السير في الليل والحين هو المدة).

(3) نحا بصره أي توجه به وتحلّى أي تزيّن والسوق الموضع حيث تباع الحاجات والمراد أنه لفهمه وذكائه أصبح محجة للناس كالسوق تفد عليه الخلق لابتياع حاجاتها (وأما احبب فروقة، فمثله مقلاع، لأن الأمر من ومق يمق مق، واللاع الجبان، يقال فلان هاع لاع إذا كان جباناً جزعاً).

(4) تبوّأ المكان وبالمكان اقام فيه والعرش إعتلاه وفي سورة يوسف الآية 56: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ =

ثم ابتسمَ إلى التّاسِعِ وقال:

يـا مَـنْ حـوَى حُـسـنَ الـدِّرا ... يَـةِ والـبَـيـانِ بـغـيـرِ شـكّْ

مـا مـثـلُ قـولِـكَ لـلـمُـحـا ... جي ذي الـذّكـاء الـثّـورُ مِـلـكـي(1)

ثم قبَضَ بجُمْعِهِ على رُدْني وقال:

يـا مَـنْ سَـمـا بـثُـقـوبِ فِـطـنَـتِـهِ ... فـي الـمُـشـكـلاتِ ونـورِ كـوْكـبِـهِ

مـاذا مِـثـالُ صَـفـيـرُ جَـحـفَـلـةٍ ... بـيّـنْـهُ تِـبْـيـانـاً يـنـمّ بـهِ(2)

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فلمّا أطرَبَنا بما سمِعْناهُ، وطالَبْنا مُكاشَفَةَ معْناهُ، قُلنا لهُ: لسْنا منْ خيلِ هذا المَيدانِ، ولا لَنا بحَلّ هذِه العُقَدِ يَدانِ! فإنْ أبَنْتَ، مننْتَ، وإنْ كتَمْتَ، غممْتَ! فظَلّ يُشاوِرُ نفسَيْهِ، ويُقلّبُ قِدْحَيْهِ؛ حتى هانَ بذْلُ الماعونِ عليْهِ، فأقبَلَ حينئذٍ على الجَماعةِ، وقال(3): يا أهلَ البَلاغَةِ والبَراعَةِ! سأعلّمُكُمْ ما لمْ تكونوا تعْلَمونَ، ولا

= ﴿فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ﴾ ويقول كثيّر: «الكالمُرتجي ظلَّ الغمامةِ كُلّما تبوّأ منها للمقيلِ اضمحلّتِ» والذروة من كل شيء أعلاه: (وأما أعطِ إبريقاً يلوح بغير عروة، فمثله اسكوب، لأن الأوس الإعطاء والأمر اس، والكوب الإبريق بغير عروة).

(1) الدراية العلم والمعرفة (وأما الثور ملكي، فمثله اللآلي، لأن اللأى على وزن القنا هو ثور الوحش).

(2) الجمع من الكفة أي القبضة والردن كم الثوب وسما علا وارتفع والثقوب هو اتقاد النار والإضاءة مع اختراق ونفاذ والجحفلة لذي الحافر كالشفة السفلى للإنسان وينمّ أي يشي ويظهر ويذيع (وأما صفير جحفلة، فمثله مكاشفة، لأن المكاء الصفير. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ الأنفال، من الآية 35 والأصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الأحجية كما حذف همزة الفراء في أحجيته. وكلا الأمرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز).

(3) أطربنا أي سرنا وأفرحنا وطالبنا أي طلب منّا ومكاشفة المعنى أي إيضاحه وإزالة لبسه ومالي بهذا الأمر يدان عبارة تقال بمعنى لا طاقة لي به أو عليه وأبنت أي أظهرت وجليت ومننت أي تكرمت وتفضّلت وكتمت أي اخفيت وغممت أي أحزنت ونفساه والواحدة نفس يعني بذلك أنه كان بين الإيجاب والرفض ويشاور نفسه بأي الرأيين يعمل. يقول الفرزدق: =

ظَنَنْتُمْ أنَّكُمْ تُعلَّمونَ. فأَوْكوا عليْهِ الأوعِيَةَ، وروّضوا بهِ الأنديَةَ! ثمّ أخذَ في تفسيرٍ صقلَ به الأذهانَ، واستفرَغ معهُ الأرْدانَ؛ حتى آضَتِ الأفهامُ أنْوَرَ منَ الشّمسِ، والأكمامُ كأنْ لمْ تغْنَ بالأمسِ! ولمّا همّ بالمَفرّ، سُئِلَ عنِ المَقرّ؟ فتنفّسَ كما تتنفّسُ الثّكولُ، وأنشأ يقولُ(1):

كُلُّ شِعْبٍ ليَ شِعْبُ وبِهِ رَبْعيَ رحْبُ

غيرَ أنّي بسَروجٍ مُستَهامُ القلْبِ صَبّ

هيَ أرضي البِكرُ والجوُّ الذي فيهِ المَهَبّ(2)

وإلى روضَتِها الغنّاءِ دونَ الرّوضِ أصْبو

ما حَلا لي بعْدَها حُلْوٌ ولا اعْذَوْذَبَ عذْبُ(3)

= لِكُلِّ امرِئٍ نَفسانِ: نَفسٌ كريمَةٌ وَأُخرَى يُعاصِيهَا الفَتى أوْ يُطِيعُهَا.

وَنَفْسُكَ مِنْ نَفسَيكَ تَشفَعُ للنّدى إذا قَلَّ مِنْ أحرَارِهِنّ شَفِيعُهَا

والقدحان مرّا والأمر كناية عن التردد ومعلوم أن القداح مكتوب عليها إما افعل أو لا تفعل والماعون هو الطاعة والانقياد تقول ضرب دابته حتى أعطت الماعون أي انقادت والماعون الشيء الهين اليسير ومن هذا يقال في الزكاة والصدقة في الإسلام الماعون فهي قليل ويسير من كثير والماعون أيضاً ما لايتداوله الناس ويتعاونونه بينهم بالعارية كالفأس والدلو والقدر وما شاكل هذا ويرى بعض اللغويين أن الماعون هو المعونة ولكن تاء التأنيث استبدلت بالألف وفي سورة الماعون الآية 7 وردت المادة مرة واحدة في القرآن: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.

(1) أوكى أي شد الرباط وأغلق والأوعية واحدها وعاء وهي ما يوعى أي يوضع فيه الشيء وهو هنا كناية عن الذاكرة وهي وعاء ما يقال وروّضوا أي زينوا وحسّنوا واجعلوا الأندية أي المجالس كالرياض وصقل إذا جلا وأزال الصدأ واستفرغ أي أفرغ والأردان الأكمام وكانت النقود تحمل فيها وآضت أي عادت منيرة بعد ظلمة ولم تغن أي لم تكن ذات غناء ونفع وكفاية وفي سورة يونس الآية 24: ﴿فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ وهمّ بالشيء أراده وعزم عليه والمفرّ الانصراف والفرار والمقرّ أي محل قراره أي منزله وبلده والثكول من فقدت حبيباً وفي الغالب ولداً فهي ثاكل وثكلى وثكول.

(2) الشعب هو الطريق وهو هنا البلد والربع المنزل والرحب المتسع والفسيح والمستهام الشديد الحب والصب العاشق والبكر الأول من كل شيء.

(3) المهب موضع الهبوب يقول هي أرضي الأولى ومنها أخرج إلى البلاد والغنّاء أي المخصبة الكثيرة العشب والأشجار وأصبو أي أتوق وأشتاق وأميل واعذوذب أي صار عذباً أي مستساغاً وطيباً.

قال الراوي: فقلْتُ لأصحابي هذا أبو زيدٍ السَّروجيّ، الذي أدْنى مُلَحِهِ الأحاجيّ! وأخذْتُ أصِفُ لهُمْ حُسنَ توشيَتِهِ، وانقِيادَ الكَلامِ لمشيّتِهِ. ثمّ التفَتُّ فإذا بهِ قدْ طمَرَ، وناءَ بما قمَرَ. فعجِبْنا ممّا صنَعَ إذْ وقَعَ، ولمْ ندْرِ أيْنَ سكَعَ وصَقَعَ[1].

(1) أدنى أي أقرب أو أقل وتوشيته من وشّى الثوب أي تزيينه لكلامه ومشيته أي إرادته وهي مشيئته مخفّفة وطمر أي وثب وعلا وناء أي نهض بثقل وقمر أي كسب وحاز بالقمار وسكع أي ذهب على غير هداية وصقع من الصقع وهو الناحية من الأرض وأين صقع يعني أي ناحية انتحى.

تفسير الأحاجي المودعة هذه المقامة

أما جوع أمدّ بزاد. فمثله طوامير. وأما ظَهر إصابته عَين، فمثله مطاعين. وأما صادف جائزة، فمثله الفاصلة. وأما تناول ألف دينار، فمثله هادية. وأما أهمل حلية، فمثله الغاشية. وأما اكفف اكفف، فمثله مهمه. وأما الشقيق افلت، فمثله أخطار. وأما ما اختار فضة. فمثله أبارقة، لأن الرقة من أسماء الفضة وقد نطق بها النبي، ﷺ، فقال في الرقة ربع العشر. وأما دس جماعة، فمثله طافية. وأما خالي اسكت، فمثله خالصه، لأنك إذا ناديت مضافاً إلى نفسك جاز لك حذف الياء وإثباتها ساكنة ومتحرّكة، وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في أصل الأحجية، وصه بمعنى اسكت. وأما خذ تلك، فمثله هاتيك، وأما حمار وحش زينا، فمثله فرازين، لأن الفرا حمار الوحش، ومنه الحديث: كل الصيد في جوف الفرا. وأما قوله انفق تقمع، فمثله منتقم، لأن الأمر من مان يمون مُنْ. ومضارع وقمت تقِم. وأما استنش ريح مدامة، فمثله رحراح، لأن الأمر من استدعاء الرائحة رح. وأما غطّ هلكى، فمثله صُنبور، لأن البور هم الهلكى، وفي القرآن: وكنتم قوماً بوراً. وأما سار بالليل مدة، فمثله سراحين. وأما احبب فروقة، فمثله مقلاع، لأن الأمر من ومق يمق مق، واللاع الجبان، يقال فلان هاع لاع إذا كان جباناً جزعاً. وأما أعطِ إبريقاً يلوح بغير عروة، فمثله اسكوب، لأن الأوس الإعطاء والأمر اس، والكوب الإبريق بغير عروة، وأما الثور ملكي، فمثله اللآلي، لأن اللأى على وزن القنا هو ثور الوحش. وأما صفير جحفلة، فمثله مكاشفة، لأن المكاء الصفير. قال الله تعالى: وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية؛ والأصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الأحجية كما حذف همزة الفراء في أحجيته. وكلا الأمرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز.

المقامة الصَّغديّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أصْعَدْتُ إلى صَعْدَةَ، وأنا ذو شَطاطٍ يحْكي الصّعْدَةَ، واشتِدادٍ يبذُرُ بناتِ صَعدةَ؛ فلمّا رأيتُ نَضرتَها، ورعَيْتُ خُضرتَها، سألتُ نَحاريرَ الرّواةِ، عمّنْ تحْويهِ منَ السَّراةِ، ومعادِنِ الخيْراتِ؛ لأتّخِذَهُ جَذْوَةً في الظُلُماتِ، ونَجدَةً في الظُّلماتِ[1]، فنُعِتَ لي قاضٍ بها رحيبُ الباعِ، خَصيبُ الرِّباعِ، تَميميُّ النّسَبِ والطّباعِ، فلمْ أزَلْ أتقرَّبُ إليْهِ بالإلْمامِ، وأتَنَفّقُ عليهِ بالإجْمامِ؛ حتى صِرْتُ صَدى صَوْتِهِ، وسَلْمانَ بيتِهِ[2]. وكنتُ معَ اشْتِيارِ شَهْدِهِ، وانتِشاقِ رَنْدِهِ، أشْهَدُ مَشاجِرَ الخُصومِ، وأسفِرُ بينَ

(1) أصعدت أي طلعت وارتفعت والإصعاد يكون إلى نجد واليمن والانحدار إلى العراق والشام وعُمان وصعدة مدينة في اليمن على طريق الحج المؤدية من صنعاء إلى مكة والشطاط هو الطول وحسن القوام والصعدة القناة تنبت مستوية وطويلة ليست بحاجة لتثقيف والاشتداد الجري والعدو ويبدر أي يسبق وبنات صعدة حمر الوحش ونضرتها بهجتها وحسنها والنحارير واحدها نحرير العالم والحاذق والماهر والرواة واحدها راو وهو من يروي الأخبار وينقلها والسراة واحدها سري وهو السيد الشريف والمعادن واحدها معدن وهو مكمن الذهب والفضة وما شاكل في الأرض والمعدن مكان كل شيء وأصله ومركزه نقول «فلان معدن الخير والكرم» والجذوة الجمرة العظيمة والنجدة القوة والعون.

(2) نعت لي أي وصف لي والباع مسافة ما بين الكفين إذا بسط الذراعين ورحيب الباع تعني السخاء والكرم وكذلك طويل وكريم الباع وتميمي أي ينسب إلى قبيلة تميم وهي قبيلة اتصفت بالنجدة والكرم ويقول الشريشي إنه نسب القبيلة لتميم والطباع للتمام والكمال والإلمام الزيارة القصيرة وأتنفّق أي أجعل نفسي سلعة نافقة والإجمام هو ترك الفرس ليرتاح يوماً أو يومين وذلك عملاً بالحديث النبوي« زر غبا تزدد حباً» والصدى رجع الصوت وسلمان بيته إشارة إلى سلمان الفارسي الذي قال فيه النبي: «سلمان منّا آل البيت» وسلمان أحد كبار الصحابة كان رقيقاً وأسلم بعد =

المَعصومِ منهُمْ والموْصومِ. فبَينَما القاضي جالِسٌ للإسْجالِ، في يومِ المحْفِلِ والاحتِفالِ، إذ دخَلَ شيخٌ بالي الرّياشِ، بادِي الارتِعاشِ، فتبصّرَ الحفْلَ تبصُّرَ نقّادٍ، ثم زعَمَ أنّ لهُ خصْماً غيرَ مُنقادٍ؛ فلمْ يكُنْ إلا كضَوْءِ شَرارَةٍ، أو وحْيِ إشارةٍ؛ حتى أُحضِرَ غُلامٌ، كأنّهُ ضِرْغامٌ(1)، فقال الشيخُ: أيّدَ اللهُ القاضيَ، وعصَمَهُ منَ التّغاضي، إنّ ابْني هذا كالقَلَمِ الرّديّ، والسيفِ الصّدِيّ، يجهَلُ أوْصافَ الإنصافِ، ويرْضَعُ أخلافَ الخِلافِ، إنْ أقدَمتُ أحجَمَ، وإذا أعرَبْتُ أعجَمَ، وإنْ أذْكَيْتُ أخْمَدَ، ومتى شوَيتُ رمّدَ؛ معَ أنّي كفَلْتُهُ مُذْ دَبّ، إلى أن شبّ، وكنتُ لهُ ألْطَفَ مَنْ ربّى وربَّ، فأكْبَرَ القاضي ما شَكا إليْهِ، وأطْرَفَ بهِ منْ حَوالَيْهِ، ثمّ قال(2): أشْهَدُ أنّ العُقوقَ أحدُ

= الهجرة توفي سنة 655 م يقول إنه صار أقرب للقاضي من صدى صوته وصار من خاصته وأهل بيته كما كان سلمان بالنسبة للنبي.

(1) اشتيار الشهد من شار واشتار إذا أخرجه من الخلية والشهد العسل قبل استخراجه من الأقراص والانتشاق الشم من نشق وانتشق وتنشق أي شمّ والرند شجر طيب الرائحة من فصيلة الغار والمراد باشتيار الشهد واستنشاق الرند الفائدة التي يجنيها من صحبة القاضي وأشهد أي أحضر وأنظر ومشاجر الخصوم نزاعاتهم وخصوماتهم وأسفر أي أسعى سفيراً والمعصوم المنزّه عن العيب والتهمة والموصوم من عنده عيب والإسجال أي الحكم والمحفل مجتمع القوم والاحتفال كثرة الناس واجتماعهم والرياش وواحدها ريش أي اللباس الفاخر والارتعاش الارتجاف وتبصّر أي تأمل ونظر بامعان والنقّاد هو من يميز الصحيح من الزائف وغير منقاد أي عاص لا . يستجيب ووحي إشارة أي ما يفهم إيماء كالغمز أو ما شابه والضرغام من أسماء الأسد.

(2) أيّد الله دعاء بمعنى آزره ونصره وعصمه أي برّأه ونزّهه والتغاضي التغافل والسكوت عن الظلم والصديّ أي الذي علاه الصدأ وأخلاف والواحد خلف وهو للناقة كالضرع للبقرة وهو ما يحلب منه الحليب والخلاف الشقاق والمخالفة وأحجم أي نكص وتأخّر وأعربت أي بينت وأظهرت وأعجم أي أبهم فلم يوضح يقول الشريف الرضي:

«ثم اضطررت إلى صبري فعدت به وَأعرَبَ الصّبرُ لمّا أعجَمَ الجَزَعُ

وأذكى النار أوقدها وأخمد أي أطفأ وقوله متى شويت رمّد مثل عربي ينسب لعمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني كما جاء في الأمثال لإبن سلام الذي قال: «قال أبو عبيد: من أمثالهم في هذا: شوى أخوك حتى إذا أنضج رمد. وأصله أن ينضج شواءه ثم يلقيه في الرماد. وهذا المثل جاءنا عن عمر بن الخطاب رحمه الله. ويضرب للرجل يصطنع المعروف، ثم يفسده بالمن والأذى، وقد يقال هذا أيضاً للذي يبتدئ بالإحسان ثم يعود عليه بالإفساد». وكفلته أي توليت =

الثُّكْلَينِ، ولَرُبَّ عُقْمٍ أقَرُّ للعَينِ! فقالَ الغُلامُ، وقد أمعَضَهُ هذا الكلامُ: والذي نصَبَ القُضاةَ للعدْلِ، وملّكَهُمْ أعِنّةَ الفضْلِ والفَصْلِ، إنّه ما دَعا قَطُّ إلا أمّنْتُ، ولا ادّعى إلا آمَنْتُ، ولا لَبّى إلا أحْرَمْتُ، ولا أوْرَى إلا أضْرَمْتُ؛ بيْدَ أنهُ كمَنْ يبْغي بيْضَ الأنُوقِ، ويطْلُبُ الطّيَرانَ منَ النّوقِ(1)! فقالَ لهُ القاضي: وبِمَ أعْنَتَك، وامتَحَنَ طاعتَكَ؟ قال: إنهُ مُذْ صَفِرَ منَ المالِ، ومُنِيَ بالإمْحالِ، يسومُني أنْ أتلَمّظَ بالسّؤالِ، وأستَمْطِرَ سُحُبَ النّوالِ؛ ليَفيضَ شِربُهُ الذي غاضَ، وينْجَبرَ منْ حالِهِ ما انْهاضَ، وقد كانَ حينَ أخذَني بالدّرْسِ، وعلّمَني أدَبَ النّفْسِ، أشْرَبَ قلْبي أنّ الحِرْصَ مَتعَبَةٌ(2)، والطّمَعَ مَعْتَبَةٌ، والشّرَهُ مَتْخَمَةٌ، والمسألَةَ مَلأمَةٌ. ثمّ أنشدَني منْ فلْقِ فيه، ونحْتِ قَوافيهِ(3):

= أمره ودبّ أي مشى على يديه ورجليه وشبّ أي صار شاباً وربّ الصبي أي رباه حتى أدرك وأكبر أي استعظم الأمر وأطرف الرجلُ أي جاء بالطرفة وأطرف الرجلُ الرجلَ أعطاه الطرفة وهي كل مستحدث عجيب ومن حواليه يعني المحيطين به في المجلس.

(1) العقوق هو أن لا يبر الإبن والديه ويخالفهما والثكل هو فقد الولد والعقم عدم القدرة على التناسل وأقرّ من قرّ إذا سكن وهدأ وتقرّ العين وتسكن بما يفرح المرء وأمعضه أي أمضّه وأوجعه وآذاه ونصب أي ثبّت وهي هنا بمعنى أوكل القضاة بالعدل والأعنّة واحدها عنان وهو مقود الدابة وأمّنت أي قلت آمين وادّعى أي زعم شيئاً أو نسب أمراً لنفسه وآمنت أي صدّقت ولبّى من التلبية الحاج إذا قال لبيك اللهم لبيك والإحرام أي أن يصير محرماً وأورى أي أظهر النار من الزند وأضرم أي أوقد وبيد أداة استدراك بمعنى لكن مبنية على الفتح وتدخل على جملة أولها أنّ والأنوق يعني الرخم وهو يرتاد لبيضه شوامخ الجبال وحيث يبعد متناوله ويخفى مكانه، فلا يكاد إنسان يجده أو يصل إليه، والعرب تضرب المثل في من طلب ما يعز وجوده ويتعذر إدراكه ونيله فيقولون: إنه يطلب بيض الأنوق. والنوق واحدتها ناقة والمعنى واحد هو أنه يطلب ما يعزّ إدراكه.

(2) أعنته أي أتعبه وكلفه ما يشقّ عليه وصفر أي خلا وصفر من المال أي افتقر ومني أي أصيب الإمحال الجدب والقحط ويسومني أي يكلفني والتلمظ تتبّع بقايا الطعام في الفم باللسان والنوال العطاء ويفيض من فاض إذا زاد فسال على الأرض والشرب النصيب من الماء وغاض إذا جفّ وذهب في الأرض وانجبر أي التحم وانهاض أي انكسر وأشرب قلبي أي سقاه حتى امتلأ والحرص أي الجشع والمتعبة أي المتعب.

(3) المعتبة أي الموجدة والشره شدة الطلب على الطعام والميل إليه ومتخمة أي مفسدة والتخمة داء يصيب المفرط في الأكل والمسألة أي السؤال وهو هنا سؤال ما في أيدي الناس وملأمة أي لؤم ومن فلق فيه أي من شقّ فمه يقول ولقد علمني أن الحرص يتعب والطمع يعنب أي يثير العتاب والميل الشديد إلى الطعام يتخم فيفسد المعدة وسؤال الناس لؤم.

إرْضَ بأدنى العيشِ واشْكُرْ عليْهِ شُكْرَ مَنِ القُلُّ كثيرٌ لدَيْهْ
وجانِبِ الحِرصَ الذي لم يزَلْ يحُطُّ قدْرَ المُتَراقي إلَيْهْ
وحامِ عنْ عِرضِكَ واستَبْقِهِ كما يُحامي اللّيْثُ عنْ لِبْدَتَيْهْ[1]
واصْبِرْ على ما نابَ منْ فاقَةٍ صبْرَ أولي العزْمِ وأغمِضْ عليْهْ
ولا تُرِقْ ماء المُحَيّا ولوْ خوّلَكَ المسْؤولُ ما في يدَيْهْ
فالحُرُّ مَنْ إنْ قَذيَتْ عينُهُ أخفى قَذى جَفنَيْهِ عن ناظِرَيْهْ
ومَنْ إذا أخْلَقَ ديباجُهُ لمْ يرَ أنْ يُخْلِقَ ديباجَتَيْهْ[2]

قال: فعبَسَ الشيخُ واكفهَرّ، واندرَأ على ابنِهِ وهرّ، وقال لهُ: صَهْ يا عُقَقُ! يا مَنْ هوَ الشّجَى والشَّرَقُ! ويْكَ، أتُعَلّمُ أمّكَ البِضاعَ، وظِئْرَكَ الإرْضاعَ[3]؟! لقدْ تحكّكَتِ العقْرَبُ بالأفعى، واستَنّتِ الفِصالُ حتى القَرْعى! ثمّ كأنّهُ ندِمَ على ما فرَطَ منْ فيهِ، وحدَتْهُ المِقَةُ على تَلافيهِ، فرَنا إلَيْهِ بعينِ عاطِفٍ، وخفضَ لهُ جناحَ مُلاطِفٍ[4]، وقال

(1) أدنى أي أقل والقل أي القليل وجانب أي ابتعد ويحط أي يدني ويضع وقدر أي رتبة وقيمة والمتراقي أي الذي يرقى أي يصعد ويرتفع وحام أي ودافع والعرض الشرف والليث من أسماء الأسد ولبدتا الأسد شعر متلبد بين كتفيه.

(2) ناب أي أصاب والفاقة الفقر والحاجة وأغمض عليه أي اكتمه ولا تظهره وأراق أي سكب وصب وماء المحيا أي ماء الوجه وخوّلك أي ملّكك والمسؤول أي من سألته يقول وإذا ما اصابتك حاجة فاكتم ما أصابك وصن وجهك عن السؤال حتى لو أعطاك من تسأل كل ما يملك وقذيت العين إذا أصابها القذى وهو غبار أو ما شاكل ذلك يصيبها وأخلق أي بلي وصار رثّاً وديباجه ثوبه وهو ثوب ثمين وديباجتاه يعني بهما الخدين يقول والحر لا يهين خديه أي وجهه إذا ما صار ديباجه الثمين بالياً.

(3) اكفهرّ اشتدّ عبوسه واندرأ أي هجم وهرّ عبس وصوّت والهرير يكون للكلب وصه أي اسكت وعقق أي يا عاق والشجى ما ينبت في الحلق من شوك أو عظم ثم استعير للهم والحزن والشرق هو أن يغص بالماء يقول عدي بن زيد:

لو بغيرِ الماءِ حلقي شرِقٌ كنتُ كالغصان بالماءِ اعتصاري

والبضاع أي النكاح والجماع والظئر أي المرضعة.

(4) تحكك به أي تحرّش به وتعرّض لشرّه والجملة مثل عربي يضرب لمن ينازع من هو أقوى منه واستنت إذا جرت على سنن واحد وقيل استنت معناه سمنت من قولهم سن الراعي إبله إذا أحسن=

لهُ: ويْكَ يا بُنيّ، إنّ مَنْ أُمِرَ بالقَناعَةِ، وزُجِرَ عنِ الضّراعَةِ، هُمْ أرْبابُ البِضاعَةِ، وأولُو المَكسَبَةِ بالصّناعَةِ؛ فأمّا ذَوو الضّروراتِ، فقدِ استُثْنيَ بهِمْ في المَحْظوراتِ؛ وهبْكَ جهِلْتُ هذا التّأويلَ، ولمْ يبلُغْكَ ما قيلَ، ألسْتَ الذي عارَضَ أباهُ، في ما قالَ وما حاباهُ[1]:

لا تقْعُدَنّ على ضُرٍّ ومسْغَبَةٍ ... لكيْ يُقالَ عزيزُ النّفسِ مُصطَبِرُ
وانظُرْ بعينِكَ هل أرضٌ مُعطّلةٌ ... منَ النّباتِ كأرضٍ حفّها الشّجَرُ
فعَدِّ عمّا تُشيرُ الأغْبِياءُ بهِ ... فأيُّ فضْلٍ لعودٍ ما لهُ ثمَرُ[2]
وارْحَلْ رِكابَكَ عن ربْعٍ ظمِئتَ به ... إلى الجَنابِ الذي يَهمي بهِ المطَرُ
واستَنزِلِ الرّيَّ من دَرّ السّحابِ فإنْ ... بُلّتْ يَداكَ بهِ فليَهنِكَ الظّفَرُ

= رعيها وأسمنها والفصال واحدها فصيل والقرعى جمع أقرع والقرع داء يصيب الفصلان في أعناقها والقرعى لا يمكنها الاستنان والجملة مثل عربي يضرب للضعيف يباري القوي وحدته أي حملته وألجأته والمقة الحب وتلافيه تداركه ورنا أي نظر والعاطف من عطف إذا رحم وخفض الجناح كناية عن اللين ولاطفه أي رفق به وحاسنه.

(1) زجر أي نُهي وردِع وضرع ضراعة أي خضع وذلّ وأرباب الشيء أصحابه والبضاعة القطعة من المال وكل ما يتجر فيه وفي سورة يوسف الآية 65: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ وأولو الشيء أصحابه والقادرون عليه والمكسبة أي الكسب يقول إن من كان تاجراً أو صانعاً فلا حاجة به إلى الذل والضرورات واحدتها الضرورة وهي الحاجة وهي الشدة لا مدفع لها وهي المشقة والمراد هنا هو أن الشدة التي لا مدفع لها تبيح ما هو محظور ومن هنا جاء القول الشهير الضرورات تبيح المحظورات وهي المحرمات هذا وفي القرآن مواضع عدة يسوّغ فيه للمكلف المضطر ما هو محظور أصلاً ففي سورة المائدة الآية 3 مثلا: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وفي سورة البقرة الآية 173: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ وهبك فعل أمر فقط من وهب ينصب مفعولين وهو بمعنى احسب وقدّر والتأويل تقدير الكلام وتفسيره وعارض أي ناقض وحابى إذا ساهل ومال مع الآخر ولو لم يكن مع الحق.

(2) الضرّ البؤس والضيق والشدة والمسغبة الجوع والمعطّلة أي الخالية ومنها امرأة عاطل إذا كانت من غير حلي وحفّها أي أحاط بها وعدّ فعل أمر بمعنى تجاوز وتشير به أي تقترحه وتنصح به والأغبياء واحدها غبي وهو الأحمق والبليد.

وإنْ رُدِدتَ فما في الرّدّ مَنقَصَةٌ عليكَ قد رُدّ موسى قبلُ والخَضِرُ[1]

قال: فلما أنْ رأى القاضي تَنافيَ قولِ الفتى وفِعلِهِ، وتحلّيَهُ بما ليسَ منْ أهلِهِ، نظَرَ إليْهِ بعَينِ غَضْبى، وقال: أتَميمياً مرّةً وقَيسِياً أخرى؟ أُفٍّ لمَنْ ينقُضُ ما يَقولُ، ويتلوّنُ كما تتلوّنُ الغولُ! فقال الغُلامُ: والذي جعلَكَ مِفْتاحاً للحَقّ، وفتّاحاً بينَ الخَلْقِ؛ لقدْ أُنسيتُ مُذْ أسِيتُ[2]، وصَدِئ ذِهْني مُذْ صَديتُ، على أنّهُ أينَ البابُ الفُتُحُ، والعَطاءُ السُّرُحُ؟ وهلْ بقيَ منْ يتبرّعُ باللُّهى، وإذا استُطْعِمَ يقولُ ها؟! فقالَ لهُ القاضي: مَهْ! فمَعَ الخَواطئ سهْمٌ صائِبٌ، وما كُلُّ برْقٍ خالِبٌ؛ فميّزِ البُروقَ إذا شِمْتَ، ولا تشْهَدْ إلا بما علِمْتَ[3]! فلمّا تبيّنَ للشّيخِ أنّ القاضيَ قدْ غضِبَ للكِرامِ، وأعْظَمَ تبْخيلَ جميعِ الأنامِ، علِمَ أنّهُ سينصُرُ كلِمَتَهُ، ويُظهِرُ أُكرومَتَهُ؛ فما كذّبَ أنْ

(1) وارحل ركابك أي ارحل مطاياك والربع المنزل وظمئت به أي عطشت به والجناب أي الجانب والناحية ويهمي أي يسيل وينسكب والري الارتواء وحسن الحال ودرّ السحاب يعني به المطر وكأن المطر الحليب وهو الدر والسحابة ضرع وليهنك الظفر أي هنيئاً لك الفوز والمنقصة ما ينقص من مقدار المرء أو الشيء وموسى والخضر ورد ذكرهما في سورة الكهف الآية 77: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾.

(2) التنافي أي التباين والتعارض وتحلّيه أي تزيّنه وهنا بمعنى اتصافه وتميم وقيس قبيلتان عربيتان كبيرتان كان بينهما صراع طال وكان لكل قبيلة من يناصرها والسؤال هنا يريد به التلون وعدم الثبات عند رأي وينقض أي ينفي ويعارض ويتلوّن أي يتغيّر لونه والغول حيوان أسطوري يظهر في خلقة إنسان أو غيره وتتمثّل في صور مختلفة يقول كعب بن زهير في قصيدة البردة:

«فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها كما تلونُ في أثوابها الغُولُ»

وفتّاحاً بين الخلق يريد حاكماً بين الناس وذلك في إشارة إلى سورة الأعراف الآية 89: ﴿رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ﴾ وأسيت أي حزنت.

(3) صدئ أي أصابه الصدأ وهو ما يعلو الحديد من وسخ وصديت أي عطشت والفُتُح أي المفتوح والسُرُح أي السهل والكثير والسريع ويتبرّع أي يجود ويعطي متطوعاً واللهى واحدتها لهوة وهي القبضة من الحب يلقيها الطاحن في فم الرحى وهي العطية الجزيلة الجيدة وهي الحفنة من المال واستطعم أي طُلب منه الطعام وها اسم فعل بمعنى خذ ومه يعني كفّ والخواطئ السهام التي اخطأت الهدف والصائب الذي أصاب والخالب من البرق الذي لا مطر خلفه وميز أي صنّف والبروق جمع البرق وشمت أي نظرت.

نصَبَ شبكَتَهُ، وشوَى في الحَريقِ سمكَتَهُ، وأنْشأ يقول[1]:

يا أيّها القاضي الذي عِلْمُهُ ... وحِلْمُهُ أرسَخُ منْ رَضْوَى
قدِ ادّعى هَذا على جهلِهِ ... أنْ ليسَ في الدُّنيا أخو جَدوى
وما دَرَى أنكَ منْ معشَرٍ ... عطاؤهُمْ كالمَنِّ والسّلْوى
فجُدْ بِم يَثْنيهِ مُستَخزِياً ... مما افترى من كذِبِ الدّعوى
وأنثَني جَذْلانَ أُثْني بما ... أولَيتَ من جَدوى ومن عَدوى[2]

قال: فهَشّ القاضي لقولِهِ، وأجزَلَ لهُ منْ طولِهِ، ثمّ لفتَ وجهَهُ إلى الغُلامِ، وقد نصَلَ لهُ أسهُمَ المَلامِ، وقال لهُ: أرأيْتَ بُطْلَ زعْمِكَ[3]، وخطَأ وهْمِكَ؟ فلا تَعجَلْ

(1) غضب للشيء وبالشيء إذا غضب بسببه وانتصر له وأعظم أي رأى عظيماً وتبخيل الأنام أي رميهم بالبخل والأنام الناس والأكرومة الفعلة الكريمة وما كذّب أي ما لبث ونصب شبكته أي أقامها وهي عبارة تقال حين يشرع المحتال والمخادع بالاحتيال والمخادعة استجلاباً لمغنم ما وشوى في الحريق سمكته عبارة تقال في من ينتهز الفرصة فلا جمر بعد سكون الحريق الملتهب.

(2) الحلم هو التعقل ضد السفه وهو الأناة وضبط النفس وهو العقل وفي سورة الطور الآية 32: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ أرسخ أي أشد رسوخاً وثباتاً ورضوى جبل بالمدينة وأخو الجدوى أي النافع الكريم والمنّ والسلوى طعام ورد ذكره في القرآن في ثلاثة مواضع أولها في سورة البقرة الآية 57: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ يقول الراغب في تفسير غريب القرآن: «وأنزلنا عليكم المن والسلوى» أصلها ما يسلي الإنسان ومنه السلوان والتسلي وقيل السلوى طائر كالسماني. قال ابن عباس: المن الذي يسقط من السماء والسلوى طائر، قال بعضهم: أشار ابن عباس بذلك إلى ما رزق الله تعالى عباده من اللحوم والنبات وأورد بذلك مثالاً، وأصل السلوى من التسلي، يقال سليت عن كذا وسلوت عنه وتسليت إذا زال عنك محبته. قيل والسلوان ما يسلي وكانوا يتداوون من العشق بخرزة يحكونها ويشربونها، ويسمونها السلوان. وجد فعل أمر من جاد إذا سمح وأعطاه ويثنيه أي يرده ومستخزياً أي شاعراً بالخزي وهو العار وافترى أي اختلق وأنثني أي أعود وجذلان أي فرحان وأوليت أي أعطيت والجدوى النفع والمعونة والعدوى الاستعانة بمن يُعدي أي يعين على إزالة الظلم.

(3) هشّ أي تبسّم وخف للمعروف وأجزل أي أكثر والطول الفضل والعطاء والقوة والغلب والغنى واليسر وفي سورة النساء الآية 25: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ غير أن العطاء هو المراد ولفت وجهه أي التفت ونصل له أي ركّب النصل وهو حديدة السهم والملام اللوم وبطل القول بطلانه وفساده والزعم القول لا يُركن إلى صحته ولا يوثق به.

بعدَها بذَمّ، ولا تنْحَتْ عوداً قبلَ عجْمٍ! وإيّاكَ وتأبّيكَ، عن مُطاوَعَةِ أبيكَ! فإنّكَ إنْ عُدتَ تعُقُّهُ، حاقَ بكَ مني ما تستحِقُّهُ. فسُقِطَ الفَتى في يدِهِ، ولاذَ بحِقْوِ والِدِهِ، ثمّ نهضَ يُحفِدُ، وتبِعَهُ الشيخُ يُنشدُ[1]:

مَــنْ ضَــامَــهُ أو ضَــارَهُ دهــرُهُ فـلْـيَـقْـصِدِ الـقـاضـيَ فـي صَـعْـدَهْ
سَـمَـاحُـهُ أزْرى بِـمَـنْ قـبـلَـهُ وعــدْلُـهُ أتْـعَـبَ مَـنْ بـعْـدَهْ[2]

قال الرّاوي:

فحِرْتُ بينَ تعْريفِ الشيخِ وتنْكيرِهِ، إلى أنِ اخْرَورَفَ لمَسيرِهِ، فناجَيْتُ النّفْسَ باتّباعِهِ، ولوْ إلى رِباعِهِ، لعَلّي أظهَرُ على أسرارِهِ، وأعْرِفُ شجرَةَ نارِهِ. فنبَذْتُ العُلَقَ، وانطلَقْتُ حيثُ انطلَقَ، ولم يزَلْ يخْطو وأعْتَقِبُ، ويبْعُدُ وأقترِبُ، إلى أن تَراءى الشّخصانِ، وحقّ التّعارُفُ على الخُلْصانِ، فأبْدى حينَئِذٍ الاهْتِشاشَ، ورفَعَ الارتِعاشَ، وقال: منْ كاذَبَ أخاهُ فلا عاشَ! فعرَفْتُ عندَ ذلِكَ أنهُ السَّروجيُّ بِلا مَحالَةٍ، ولا حُؤولِ حالَةٍ. فأسرَعْتُ إليْهِ لأصافِحَهُ، وأستَعْرِفَ سانِحَهُ وبارِحَهُ[3]،

(1) الوهم ما يحسبه المرء شيئاً وهو ليس كذلك والذم الثلب والتنقّص وعجم العود إذا عضه ليعرف صلابته وإياك لفظ تحذير وتأبّيك من أبى إذا امتنع وتعقه من عقّ أباه إذا لم يبرّه ولم يطعه وحاق بك أي لحق بك وأصابك وسقط وأسقط في يده إذا تحيّر وندم وأسف وفي سورة الأعراف الآية 149: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ ولاذ أي لجأ والحقو الخصر وقام يحفد أي قام يسعى.

(2) الضيم هو الظلم والضير هو الضرر ويقصد أي يتوجه وسماحه أي جوده وأزرى عاب وانتقص وقوله عدله أتعب من قبله كناية عن بلوغ القاضي غاية ما بعدها غاية في الإنصاف وعبارة أتعب من بعده قيلت في عمر بن الخطاب الذي حمل الخلق على الجادة.

(3) حرت أي تحيّرت وتعريف الشيخ أي معرفته وتنكيره أي إنكاره وجهله يقول إنه احتار فهو ليس متيقناً أهو السروجي أم أنه رجل آخر يجهله واحرورف أي انحرف ومال وعدل وناجيت النفس أي حادثتها مسارّة ورباعه أي دياره وأظهر على الشيء أي أقف عليه وأعلم علمه وشجرة ناره أي حقيقة أمره ونبذت أي اطّرحت وأهملت ورميت والعلق كل علاقة تحول دون فعل ماينوي فعله وأعتقب أي أتبعه على عقبه وتراءى أي ظهر وبدا وحق الشيء إذا لزم ووجب والخلصان والخلص والواحد الخالص وهو الصاحب الصافي لا غش ولا رياء عنده وأبدى أي أظهر والاهتشاش =

فقال: دونَكَ ابنَ أخيكَ البَرَّ، وترَكَني ومَرَّ. فلمْ يعْدُ الفتَى أنِ افْتَرّ، ثمّ فَرّ كما فَرّ، فعُدْتُ وقد استَبَنْتُ عينَهُما، ولكِنْ أينَ هُما[1].

= من هش إذا تبسّم وفرح وخفّ والارتعاش أي الرعدة والارتجاف وكاذب أخاه أي كذب عليه وبلا محالة أي بلا ريب والحؤول التغير والانقلاب وأستعرف أي أعرف والسانح ما سنح من الظباء أو الطير ما أتاك عن يمينك والبارح ما أتاك عن يسارك وكانت العرب تتفاءل بالسانح وتتشاءم بالبارح.

(1) دونك اسم فعل بمعنى خذ والبرّ أي البار ومرّ أي ذهب لحاله ولم يعد الفتى أي ما زاد الفتى وافترّ أي ضحك وفرّ أي ولّى هارباً واستبنت أي تبيّنت وعينهما أي شخصهما.

المقامة المَزوِيَّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

حُبّبَ إليّ مُذْ سعَتْ قدَمي، ونفَثَ قلَمي؛ أنْ أتّخِذَ الأدَبَ شِرْعَةً، والاقتِباسَ منهُ نُجْعَةً، فكُنتُ أنَقّبُ عنْ أخبارِهِ، وخزَنَةِ أسْرارِهِ، فإذا ألْفَيْتُ منهُمْ بُغيَةَ الملتَمِسِ، وجُذْوَةَ المُقتَبِسِ؛ شدَدْتُ يَدي بغَرْزِهِ، واستَنزَلْتُ منهُ زَكاةَ كنزِهِ[1]؛ على أنّي لمْ ألْقَ كالسَّروجيّ في غَزارَةِ السُّحْبِ، ووضْعِ الهِناء مَواضِعَ النُّقْبِ، إلا أنهُ كانَ أسْيَرَ منَ المثَلِ، وأسرَعَ منَ القمَرِ في النُّقَلِ[2]. وكنتُ لهَوى مُلاقاتِهِ، واستِحْسانِ مَقاماتِهِ،

(1) نفث إذا بصق أو تفل والقلم إمّا أن يكون آلة الكتابة ويكون المعنى أنه عندما قوي على المشي أي السعي وتعلّم الكتابة وأما أنه بلغ سن التكليف فيقال جرى عليه القلم وصار لزاماً عليه القيام بالفرائض المنصوص عليها وأما أن يكون المراد أنه أدرك البلوغ لأن قلمه أي قضيبه قد بصق أي أمنى وسال منيه وأنا أميل للأخذ بهذا التفسير الأخير فالحريري يلبّس معانيه ويحاول تفكهة قرائه والشرعة الدستور والطريقة والعادة والاقتباس هو أن تأخذ ناراً من نار وهو هنا الاكتساب والنجعة طلب الكلأ وبذلك يكون المعنى واكتساب حظ من مرعاه وأنقّب أي أبحث والخزنة واحدها خازن وخزنة أسراره يعني العارفين بأموره وألفيت وجدت وبغية أي مراد ومطلب والملتمس أي الطالب من التمس الشيء إذا طلبه والجذوة الجمرة العظيمة والمقتبس طالب القبس وهو النار والغرز للبعير بمنزلة الركاب للفرس والعبارة تقال في مقام التمسّك بالأمر ولزومه واستنزلت أي استخرجت وزكاة كنزه أي زكاة ماله والمراد هنا زكاة علمه أي الاستفادة من ذلك العلم.

(2) الغزارة الكثرة والسحب واحدتها سحابة كنّى بذلك عن وفرة العلم وكثرته والهناء القطران وكانت العرب تداوي به الإبل حين يعتريها الجرب والنقب هو بثور الجرب يريد أن السروجي يضع الأمور في مواضعها ووضع الهناء عبارة قالها دريد بن الصمة وقد رأى الخنساء الشاعرة تطلي بعيراً لها بالقطران ثم نضت ثيابها تغتسل وهي لاتراه فقال:

مـا إن رأيـت ولا سـمـعـت بـه كـالـيـوم طـالـي أنـيـقٍ جـرب =

أرْغَبُ في الاغتِرابِ، وأستَعْذِبُ السّفَرَ الذي هوَ قِطعَةٌ من العَذابِ(1). فلمّا تطوّحْتُ إلى مرْوَ، ولا غرْوَ؛ بشّرَني بمَلقاهُ زجْرُ الطّيرِ، والفألُ الذي هوَ بَريدُ الخيرِ، فلمْ أزَلْ أنشُدُهُ في المحافِلِ، وعندَ تلَقّي القَوافِلِ، فلا أجِدُ عنْهُ مُخبِراً، ولا أرى لهُ أثَراً ولا عِثْيَراً(2)؛ حتى غلَبَ اليأسُ الطّمَعَ، وانْزَوى التّأميلُ وانْقمَعَ، فإني لَذاتَ يوم بحضْرَةِ والي مرْوَ، وكانَ ممّنْ جمَعَ الفضْلَ والسَّرْوَ(3)؛ إذ طلَعَ أبو زيْدٍ في خلَقٍ مِمْلاقٍ، وخُلُقٍ مَلاّقٍ، فحَيّا تحيّةَ المُحْتاجِ، إذا لقِيَ ربَّ التّاجِ، ثمّ قالَ لهُ: اعْلَمْ وُقيتَ الذّمّ، وكُفيتَ الهَمّ، أنّ مَنْ عُذِقَتْ بِهِ الأعْمالُ؛ أُعْلِقَتْ بهِ الآمالُ، ومَنْ رُفِعَتْ لهُ الدّرَجاتُ؛ رُفِعَتْ إليْهِ الحاجاتُ، وأنّ السّعيدَ منْ إذا قدَرَ، وواتاهُ القدَرُ(4)؛ أدّى

= متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

فسارت العبارة مثلاً يقول ابن حمديس: «يضعُ الهِنَاءَ مواضعَ النُّقْبِ الذِي يضعُ السّنانُ مواضعَ الأحقاد» وأسير من المثل أي أشد وأكثر سيراً من المثل والعبارة مثل يقال في الكثير التنقل والتجوال والنقل واحدتها نقلة من الانتقال يريد أن السروجي لا يقيم في مكان طويلاً كما أن القمر لايقيم في منزلة سوى ليلة ينتقل بعدها إلى منزلة ثانية.

(1) هوى ملاقاته أي الرغبة في لقائه ومقاماته تقدّم القول فيها في المقدمة تعنى المجلس والكلام من قيام كالخطبة أرغب في الشيء أريده والاغتراب الغربة والنأي عن البلاد وأستعذب الشيء أجده عذباً أي سائغاً سهلاً وأما السفر الذي هو قطعة من العذاب فحديث نبوي تمامه كما أخرجه النسائي في سننه هو كالتالي: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ نَوْمَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ، فَإِذَا قَضَى أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ وَجْهِهِ فَلْيُعَجِّلْ إِلَى أَهْلِهِ».

(2) تطوّح في البلاد رمى نفسه فيها ومرو مدينة هي الآن باسم ماري في تركمانستان كان لها شأن فمنها خرج الخراساني القائد العباسي ولا غرو أي لا غرابة ولا عجب وزجر الطير عملية رجم الطير كي يفر فيتفاءل العربي بطيرانه إن طار يمنة فخير وإلا فلا والفأل ما يستبشر به من قول أو فعل وبريد الفأل أي رسوله وأنشده أي أطلبه والمحافل واحدها محفل وهو مجتمع الناس وتلقّي القوافل استقبالها والعثير الأثر الخفي والتراب والعجاج والغبار يريد أنه لم يجد أثراً واضحاً ولا آخر خفياً.

(3) انزوى أي انقبض وتجمّع وصار في الزاوية والتأميل الرجاء وانقمع من قمع أي قهر والسرو أي السيادة والشرف فهو سري.

(4) الخلق أي البالي والمملاق الشديد الفقر من أملق إملاقاً إذا افتقر وأملقت الحامل إذا طرحت =

زكاةَ النِّعَمِ، كما يؤدّي زكاةَ النَّعَمِ، والتزَمَ لأهْلِ الحُرَمِ، ما يُلتزَمُ للأهْلِ والحرَمِ. وقد أصبحْتَ بحمدِ اللهِ عَميدَ مِصرِكَ، وعِمادَ عصْرِكَ؛ تُزْجى الرّكائِبُ إلى حرَمِكَ، وتُرْجى الرّغائِبُ منْ كرَمِكَ، وتُنزَلُ المَطالِبُ بساحَتِكَ، وتُستَنْزَلُ الرّاحةُ منْ راحَتِكَ، وكان فضلُ اللهِ عليْكَ عظيماً، وإحْسانُهُ لديْكَ عَميماً[1]. ثمّ إني شيخٌ ترِبَ بعْدَ الإتْرابِ، وعدِمَ الإعْشابَ حينَ شابَ، قصَدْتُكَ منْ محَلّةٍ نازِحَةٍ، وحالَةٍ رازِحَةٍ؛ آمُلُ منْ بحرِكَ دُفعَةً، ومنْ جاهِكَ رِفعَةً، والتّأميلُ أفضَلُ وسائِلِ السائِلِ، ونائِلِ النّائِلِ؛ فأوْجِبْ لي ما يجِبُ عليْكَ، وأحسِنْ كما أحْسَنَ اللهُ إليْكَ، وإيّاكَ أن تلْويَ عِذارَكَ، عمّنِ ازْدَارَكَ[2]، وأمَّ دارَكَ، أو تقبِضَ راحَكَ؛ عمّنِ امْتاحَكَ، وامْتارَ سَماحَكَ.

= جنينها والخُلق الطبع والسجية والملاّق أي المداهن المرائي والمداجي وربّ التاج صاحبه وهو الملك ووقيت الذم دعاء له بأن يصان من العيب وكفيت الهم دعاء بأن لا يهمّه أمر وعذقت أي نيطت وأصل ذلك أن الراعي يعذق شاته بأن يضع في صوفها خرقة تخالف لونها يقول إن من نيطت به الأعمال والواحد عمل وهو الولاية أو أي منصب يكلفه به السلطان نيابة عنه وأعلقت به أي تعلّقت به آمال الناس وواتاه القدر أي ساعده وأيّده.

(1) النعم واحدتها نعمة والنّعم هي الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم والتزم بالشيء أخذ نفسه به وأهل الحرم وواحدتها حرمة وهي ما لايحقّ انتهاكه من ذمّة أو حق ومن ذلك حرمة الرجل زوجته وحرمته مهابته وحرمة المنزل وجوب احترامه وأهل الحرم من لهم حرمة لفضل فيهم والحرم ما يحميه الرجل ويقاتل دونه ومن ذلك محارمه من أهل وذوي قربى والعميد من يعمد إليه وهو السيد والسند والمعتمد والمصر الحد والحاجز بين مكانين أو بين شيئين وهي البلد العظيم فيه الأسواق وجمعه أمصار والعماد ما يُسند به وهو ما يقوم عليه الخباء يعني أنه سند عصره وتُزجى أي تساق والركائب واحدتها ركوبة وهي الإبل وحرمك أي حماك وبلدك الذي تحميه وترجى أي تؤمّل والرغائب والواحدة رغيبة وهي ما يُرغب فيه وهي العطاء الكثير وساحتك أي فناء دارك والراحة باطن الكف والعميم ما اجتمع وكثُر.

(2) ترب تَرَباً ومترباً خسر وافتقر فكأنه لزق بالتراب والإتراب الغنى وكثرة المال والإتراب مصدر أترب إذا استغنى، والترب: مصدر ترب إذا افتقر يقول الشاعر: «ولا تَوَقُّعُ مُعْتَرٍّ فأُرْضِيَهُ ما كُنْتُ أوثِرُ إترابآً على تَرَبِ» وأعشب الرجل إذا صادف العشب يريد أنه عدم المال والنازحة البعيدة النائية والرازحة أي منهكة متعبة ورزح الرجل إذا سقط متعباً وذهب ما في يده وآمل أي أرجو والدفعة الدفقة من المطر وما انصب من سقاء أو إناء بمرّة والجاه القدر والشرف وعلو المنزلة ووسائل واحدتها وسيلة وهي ما يتوسّله المرء لبلوغ مراده والنائل العطاء يريد أن عطاء المعطي =

فوَاللهِ ما مجَدَ مَنْ جمَدَ، ولا رشَدَ منْ حشَدَ؛ بلِ اللّبيبُ مَنْ إذا وجَدَ جادَ، وإنْ بَدأ بعائِدَةٍ عادَ، والكَريمُ منْ إذا استُوهِبَ الذّهَبَ؛ لمْ يهَبْ أنْ يهَبَ[1]، ثمّ أمْسَكَ يرْقُبُ أُكُلَ غرْسِهِ، ويرْصُدُ مطيبَةَ نفْسِهِ، وأحَبَّ الوالي أنْ يعْلَمَ هلْ نُطفَتُهُ ثمَدٌ، أم لقَريحَتِهِ مدَدٌ؛ فأطْرَقَ يرَوّي في استيراء زَنْدِهِ، واستِشْفافِ فِرِنْدِهِ، والتَبَسَ على أبي زيدٍ سِرُّ صَمْتَتِهِ، وإرْجاءِ صِلَتِهِ؛ فتوَغّرَ غضَباً، وأنْشَدَ مُقتَضِباً[2]:

لا تـحـقِـرَنّ أبـيْـتَ الـلّـعـنَ ذا أدبٍ ... لأنْ بَـدا خـلَـقَ الـسّـرْبـالِ سُـروتـا
ولا تُـضِـعْ لأخـي الـتّـأمـيـلِ حُـرمـتَـهُ ... أكـانَ ذا لَـسَـنٍ أم كـان سِـكّـيـتـا
وانـفَـحْ بـعُـرْفِـكَ مـنْ وافـاكَ مـخـتَـبِـطـاً ... وانـعَـشْ بـغَـوْثِـكَ من ألـفـيـتَ مَـنـكـوتـا
فـخـيـرُ مـالِ الـفـتـى مـالٌ أشـادَ لـهُ ... ذِكْـراً تـنـاقَـلَـهُ الـرُكـبـانُ أو صِـيـتـا[3]

= هو أيضاً عطاء للمعطي لما في ذلك من ثواب وإياك أي احذر وتلوي عذارك أي تصرف وجهك وتعرض والعذار ما ينبت على وجه المرء من شحمة الأذن إلى أصل اللحى وازدارك أي زارك.

(1) أمّ المكان قصده والراح أي الراحة وهي الكف وقبضها كناية عن المنع وامتاحك أي سألك العطاء وامتار أي طلب أن تميره أي تتفضّل عليه بالطعام وفي سورة يوسف الآية 65: ﴿مَا نَبۡغِيۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَاۖ وَنَمِيرُ أَهۡلَنَا وَنَحۡفَظُ أَخَانَا﴾ وسماحك أي كرمك وجودك ومجد أي كَرُمَ وصار ماجداً شريفاً وجمد أي بخل ومنع ورشد أي اهتدى وحشد أي جمع وكدّس ووجد أي لقي وهي هنا بمعنى استغنى وجاد أي أعطى وأنال والعائدة الفائدة والنفع وعاد أي أعاد الكرة يقول ومن نفع أعاد النفع واستوهب أي طُلب منه الشيء هبة ولم يهب أي لم يخف.

(2) أمسك أي كفّ عن الكلام يرقب أي ينتظر ويراقب والأُكُل أي الثمر وغرسه أي ما غرس ويريد بذلك ما نطق به في حضرة الوالي ويرصد أي يرقب مطيبة نفسه أي ما تطيب نفسه به والنطفة القليل من الماء يبقى في الإناء وثمد الماء ثمداً قلّ والثمد القليل من الماء يظهر في الشتاء ويغيض في الصيف والمدد الغوث والعون يريد هل يستطيع الزيادة أم أنه أفرغ ما عنده وأطرق إذا حنى رأسه مفكّراً وروّى أي نظر وتفكّر في الأمر والاستيراء استخراج النار والاستشفاف النظر مع تقصّ وإمعان والفرند من أسماء السيف وإرجاء أي تأجيل وتوغّر أي تلهّب غيظاً ومقتضباً من اقتضب الكلام إذا ارتجله.

(3) أبيت اللعن تحية ملوك العرب قبل الإسلام ومعناه تنزّهت عن إتيان أمر تلعن بسببه والسربال الثوب والسبروت الفقير المحتاج ولا ثياب له وأخو التأميل السائل الذي يرجو نواله وذو اللسن أي الفصيح المتكلم والسكّيت أي الساكت لايفصح ونفح بالشيء أعطاه والعرف المعروف =

وما على المُشتَري حمْداً بمَوْهِبَةٍ غبنٌ ولوْ كان ما أعْطاهُ ياقوتا
لوْلا المُروءةُ ضاقَ العُذْرُ عن فَطِنٍ إذا اشْرأبّ إلى ما جاوَزَ القوتا
لكنّهُ لابْتِناء المجْدِ جدّ ومِنْ حُبّ السّماحِ ثنَى نحوَ العُلى لِيتا[1]
وما تنشّقَ نشْرَ الشّكْرِ ذو كرَمٍ إلا وأزْرى بنَشرِ المِسكِ مَفتوتا
والحمدُ والبخلُ لم يُقضَ اجتماعهما حتى لقَدْ خيلَ ذا ضَبّاً وذا حوتَا[2]
والسّمحُ في الناسِ محبوبٌ خلائِقُهُ والجامدُ الكفّ ما ينْفَكّ ممْقوتا
وللشّحيحِ على أمْوالِهِ علَلٌ يوسِعْنَهُ أبَداً ذمّاً وتبْكيتا
فجُدْ بما جمَعتْ كفّاكَ من نشَبٍ حتى يُرَى مُجْتَدي جَدواكَ مَبهوتا
وخُذْ نصيبَكَ منهُ قبلَ رائِعَةٍ من الزّمانِ تُريكَ العودَ منحوتا
فالدّهْرُ أنكَدُ من أن تستَمرّ بهِ حالٌ تكرّهْتَ تلكَ الحالَ أم شيتا[3]

= ووافاك أي قدم عليك وجاءك ومختبطاً من اختبط اختباطاً الشجر ضربه ليتناثر ورقه واختبط الجمل الشوك أكله واختباط الورق كان لإطعام الماشية وأنعشه إنعاشاً إذا أقامه وأنهضه وإذا سدّ فقره والغوث النصرة والمعونة وألفيت أي وجدت والمنكوت من أُلقي على رأسه وأشاد له أي بنى وأقام له والصيت السمعة والذكر الحسن.

(1) والموهبة العطية والهبة ومشتري الحمد بالموهبة هو من يشتري الثناء والمديح بالعطاء والغبن الخسارة في البيع والفطن اللبيب واشرأب رفع رأسه وطمح وجاوز القوت أي تعدى ما يحتاجه لقيم أوده والمروءة مجموع خصال كريمة يقول لولا كرم الأخلاق لما وجد المرء عذراً لعاقل يطلب ما يتعدى حاجته من القوت الابتناء أي البناء وجدّ أي سعى واجتهد وحب السماح أي حب الخير وثنى أي أمال والغنى الاكتفاء والسعة والليت صفحة العنق يقول إنه لولا حبه الكرم لما التفت إلى الثراء وإلى السعة.

(2) تنشّق أي استنشق وشمّ والنشر الأرج والرائحة الذكية يقول وما شمّ كريم رائحة شكر كرمه الذكية إلا ووجد رائحة المسك المفتوت ليست شيئاً أمام تلك الرائحة ولم يقض اجتماعهما أي لم يقدّر يعني أنهما لا يجتمعان وخيل أي ظُنّ واستحالة التقاء الضب بالحوت تقدم.

(3) السمح الكريم الجواد والخلائق واحدتها خليقة وهي السجية والطبيعة والجامد الكف الكز الشحيح وممقوتاً أي مكروهاً مزدرى والعلل واحدتها علّة وهي السبب والعذر وأوسعه ذماً أي أكثر وزاد في ذمّه والتبكيت هو التقريع والتوبيخ والنشب المال والمجتدي لاطالب الجدوى أي العطية ومبهوتاً أي متحيراً ومندهشاً ونصيبك حظك والرائعة الحادثة المروعة المخيفة ويقول =

فقال لهُ الوالي: تاللهِ لقدْ أحسَنْتَ! فأيُّ ولَدِ الرّجُلِ أنتَ؟ فنظَرَ إليْهِ عنْ عُرْضٍ، وأنشَدَ وهُوَ مُغْضٍ:

لا تـسْـألِ الـمـرْءَ مَـنْ أبـوهُ ورُزْ خـلالَـهُ ثـمّ صِـلْـهُ أو فـاصْـرِمِ
فـمـا يَـشـيـنُ الـسُّـلافَ حـيـنَ حَـلا مَـذاقُـهـا كـونُـهـا ابـنَـةَ الـحِـصْـرِمِ[1]

قال: فقرّبَهُ الوالي لبَيانِهِ الفاتِنِ؛ حتى أحلّهُ مقْعَدَ الخاتِنِ، ثمّ فرَضَ له من سُيوبِ نيْلِهِ، ما آذنَ بطولِ ذَيلِهِ، وقِصَرِ لَيلِهِ، فنهَضَ عنْهُ برُدْنٍ مَلآنَ، وقلْبٍ جذْلانَ، وتبِعْتُهُ حاذِياً حَذْوَهُ، وقافِياً خَطْوَهُ؛ حتى إذا خرَجَ منْ بابِهِ، وفصَلَ عنْ غابِهِ، قُلتُ لهُ: هُنّئْتَ بِما أوتيتَ[2]! ومُلّيتَ بِما أُوليتَ! فأسْفَرَ وجهُهُ وتَلالا، ووالى شُكْراً للهِ تَعالى، ثمّ خطَرَ اخْتِيالاً، وأنشدَ ارتِجالاً[3]:

مـنْ يـكُـنْ نـالَ بـالـحَـمـاقَـةِ حَـظّـاً أو سَـمـا قـدرُهُ لِـطـيـبِ الأصـولِ
فـبِـفَـضْـلـي انـتَـفَـعْـتُ لا بـفُـضـولـي وبـقَـوْلـي ارتـفَـعْـتُ لا بـقُـيـولـي[4]

= الشريشي إنها الشيب لأنها تروع المرء فهي نذير نهاية والعود الجسم والمنحوت أي الذي نُحت فذهب كثيره أراد أن الهرم يزيل نعمة الجسم ويذهب بها واستمرّ إذا دام وتكرّهت أي كرهت أو شيت أي شئت أي أردت.

(1) عرض أي جانب والمغضي أي مغمض العينين ورز فعل أمر بعنى اختبر واطلب والروز أن تأخذ شيئاً بيدك وترفعه لتعرف وزنه والخلال الخصال وصل فعل أمر من وصل أي صاحب واصرم فعل أمر من صرم إذا صدّ وهجر ويشين أي يعيب والسلاف من أسماء الخمرة والحصرم العنب قبل أن ينضج.

(2) قربه أي أدناه وأحلّه أي أنزله والخاتن الذي يختن الصبي يريد بذلك المبالغة في القرب وفرض أي قدّر والسيوب واحدها سيب وهو المعروف والعطاء والمال المدفون في الأرض من زمن بعيد وآذن أي أعلم وأخبر وطول الذيل كناية عن السعة والثراء وقصر الليل كناية عن الفرح والسرور والردن الكم وكان يستخدم وعاء للنقود والجذلان الفرح المبتهج وحاذياً حذوه أي قاصداً قصده أو فاعلاً فعله وقافياً أي متتبعاً وفصل أي خرج والغاب شجر ملتف يتخذه الأسد بيتاً.

(3) ملّيت أي مُتّعت وأوليت أي أعطيت وأسفر أي أضاء وأشرق ووالى أي تابع وخطر أي مشى واختيالاً أي زهواً.

(4) الحماقة البلادة وفساد العقل وسما أي ارتفع وعلا وطيب الأصول يعني النسب الكريم والفضول =

ثم قال: تَعْساً لِمَنْ جذَبَ الأدَبَ، وطوبى لِمَنْ جدّ فيهِ ودأبَ! ثمّ ودّعَني وذهَبَ، وأوْدَعَني اللّهَبَ[1].

= دخول المرء فيما لا يعنيه والقيول واحدها قيل وهو الملك يقول ولئن كان أحد قد نال حظاً بحمقه وفساد ذهنه أو ارتفع قدره لانتسابه إلى أصل كريم فلقد انتفعت بفضلي أنا وسما قدري بما أقول لا بأجداد كانوا ملوكاً.

(1) تعساً دعاء على المرء معناه ألزمه الله الهلاك وجذب عاب وجدّ ودأب إذا سعى في أمر واجتهد وكدّ فيه وواظب عليه وأودعني أي أبقى لي وديعة واللهب لسان النار ويعني بذلك حرقة الفراق.

المقامة العُمانيّة

حدّثَ الحارثُ بنُ همّامٍ، قال:

لهِجْتُ مُذ اخْضَرّ إزاري، وبَقَلَ عِذاري، بأنْ أجوبَ البَراري، وعلى ظُهورِ المَهاري، أُنجِدُ طَوْراً، وأسْلُكُ تارَةً غوْراً؛ حتى فلَيْتُ المَعالِمَ والمجاهِلَ، وبلَوْتُ المنازِلَ والمَناهِلَ، وأدْمَيْتُ السّنابِكَ والمَناسِمَ، وأنْضَيْتُ السّوابِقَ والرّواسِمَ(1)، فلمّا مللْتُ الإصْحارَ، وقد سنَحَ لي أرَبٌ بصُحارَ، مِلْتُ إلى اجْتيازِ التّيارِ، واختِيارِ الفُلْكِ السّيّارِ، فنقَلْتُ إليْهِ أساوِدي، واستَصْحَبْتُ زادي ومَزاوِدي، ثمّ ركِبْتُ فيهِ رُكوبَ حاذِرٍ ناذِرٍ، عاذِلٍ لنفْسِهِ عاذِرٍ(2). فلمّا شرَعْنا في القُلْعَةِ، ورفَعْنا الشُّرُعَ للسّرعَةِ، سمِعْنا منْ شاطئِ المَرْسى، حينَ دَجا الليلُ وأغْسى، هاتِفاً يقول: يا أهْلَ

(1) لهج لهجاً بالشيء أغري به ودأب عليه والإزار هنا كناية عن العانة واخضراره كناية عن نمو الشعر ثمة وكان من عادة العرب أن تستر عورة الصبي إذا بلغ الحلم وأشعر بإزار وبقل أي نبت والعذار شعر الخدّ والشارب حتى لكأنه البقل وأجوب أي أقطع والبراري واحدتها برية أي الفلاة والمهاري إبل كرام وأنجد أي أتوجه نحو نجد وهو المرتفع من الأرض والغور ما انخفض منها وفلّيت من فلا فلاً إذا سافر والمعالم واحدتها معلم وهي الأماكن المعلومة والمجاهل الأماكن المجهولة ولا علم بها والسنابك واحدها سنبك وهو طرف الحافر عند الخيل والمناسم واحدها منسم وهي أخفاف الإبل وأنضيت أي أهزلت والسوابق أي الخيل والرواسم أي الإبل السريعة.

(2) مللت أي سئمت والإصحار السير في الصحراء وسنح أي عرض والأرب الحاجة وصحار مدينة ومرفأ على ساحل عمان ازدهرت تجارتها مع اليمن والصين في زمن العباسيين والاجتياز أي العبور والجواز والتيار موج البحر ولجّته وجريان الماء المتدفّق والفلك السفينة والسيّار الكثير السير والأساود أمتعة الدار وآلاتها والمزاود واحدها مزود وهو وعاء الزاد والمزادة وهي الراوية جمعها مزاد ومزاود ومزايد والحاذر المتأهب والمستعد والمتحرّز والناذر من جعل نذراً على نفسه والعاذل من عاذل أي لام والعاذر من وجد العذر وعذر.

ذا الفُلْكِ القَويمِ، المُزجّى في البحرِ العَظيمِ، بتقْديرِ العَزيزِ العليمِ، هل أدُلّكُمْ على تِجارَةٍ تُنجيكُمْ منْ عذابٍ أليمٍ؟ فقُلْنا لهُ: أقْبِسْنا نارَكَ أيها الدّليلُ، وأرشِدْنا كما يُرشِدُ الخَليلُ الخَليلَ، فقال: أتستَصْحِبونَ ابنَ سبيلٍ، زادُهُ في زَبيلٍ، وظِلّهُ غيرُ ثَقيلٍ[1]، وما يَبغي سوى مَقيلٍ؟ فأجْمعْنا على الجُنوحِ إليْهِ، وأنْ لا نبْخَلَ بالماعونِ عليْهِ. فلمّا اسْتَوى على الفُلْكِ، قال: أعوذُ بمالِكِ المُلْكِ، منْ مسالِكِ الهُلْكِ! ثم قال: إنّا رُوينا في الأخْبارِ، المنقولَةِ عنِ الأحْبارِ، أنّ اللهَ تَعالى ما أخذَ على الجُهّالِ أن يتعلّموا، حتى أخذَ على العُلَماء أنْ يعَلّموا[2]، وإنّ مَعي لَعوذَةً، عنِ الأنبياء مأخوذَةً! وعندي لكُمْ نَصيحةٌ، براهينُها صَحيحةٌ! وما وَسِعَني الكِتْمانُ، ولا مِنْ خيميَ الحِرْمانُ، فتَدَبّروا القوْلَ وتفهّموا، واعْمَلوا بما تُعلّمونَ وعلّموا، ثمّ صاحَ صيْحَةَ المُباهي، وقال[3]: أتَدْرونَ ما هيَ؟ هيَ واللهِ حِرْزُ السّفْرِ، عندَ مسيرِهِمْ في البحْرِ، والجُنّةُ منَ الغَمّ، إذا جاشَ موْجُ اليَمّ، وبها استَعْصَمَ نوحٌ منَ الطّوفانِ، ونَجا ومَنْ

---

(1) شرعنا أي بدأنا وأخذنا والقلعة يقال هو قُلعة أي على رحيل والمنزل القُلعة الذي يُرحل عنه والشرع واحدها شراع وهو قلع السفينة والمرسى مكان الرسو والمرفأ ودجا أي أظلم وأغسى أي اشتدّت ظلمته والهاتف من تسمع صوته ولا تراه وكان اللفظ يقال في الجن وهتف أي صاح والقويم أي المستقيم والمزجّى أي المسوق والمسيّر وقوله هل أدلّكم إلى أليم عبارة قرآنية في الآية العاشرة من سورة الصف: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أقبسنا أي أعطنا قبساً والقبس شعلة النار تؤخذ من معظمها والخليل الصاحب وأتستصحبون أي هل تأخذون في صحبتكم وابن السبيل المسافر المنقطع ويريد العودة إلى بلده ولا يجد ما يتبلّغ به ويُبلغه حيث يريد وقد وردت المادة مراراً في القرآن والزبيل قفة بعيدة القعر أو القفّة من جلد وظلّه أي شخصه ويقال ثقيل الظل وخفيف الظل في الشخص إذا كان ثقيل الحضور أو خفيفاً مريحاً مؤنساً.

(2) يبغي أي يريد والمقيل موضوع القيلولة والمراد موضع يجلس فيه وأجمعنا أي اتفق رأينا والجنوح إليه أي الميل إليه والماعون تقدّم ذكره وهو اليسير والزكاة وأدوات البيت وهو العون واستوى على الفلك أي ركب السفينة فمن سورة المؤمنون الآية 28 ومسالك أي دروب والهلك الهلاك والتلف والأحبار واحدها حبر وهو العالم وأخذ على المرء أمراً أي ألزمه به.

(3) العوذة التميمة وما يتعوّذ به أي يحتمى به من نصوص وطلاسم والبراهين الأدلّة وما وسعني أي ما أمكنني وخيمي أي طبعي وعادتي والحرمان أي المنع وتدبّر الأمر فكّر وأمعن النظر فيه والمباهي من باهى أي فاخر.

معَهُ منَ الحَيوانِ، على ما صدَعَتْ بهِ آيُ القُرآنِ. ثمّ قرأ بعْضَ أساطيرَ تَلاها، وزخارِفَ جَلاها، وقال: اركَبوا فيها باسْمِ اللهِ مُجْراها ومُرْساها[1]، ثمّ تنفّسَ تنفُّسَ المُغرَمينَ، أو عِبادِ اللهِ المُكرَمينَ، وقال: أمّا أنا فقدْ قُمتُ فيكُم مَقامَ المبلِّغينَ، ونصَحْتُ لكُمْ نُصْحَ المُبالِغينَ، وسلَكْتُ بكُمْ محَجّةَ الرّاشِدينَ، فاشْهَدِ اللهُمّ وأنتَ خيرُ الشاهِدينَ[2]!

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فأعْجَبَنا بيانُهُ البادي الطُّلاوَةِ، وعجّتْ لهُ أصواتُنا بالتّلاوَةِ، وآنَسَ قلبي منْ جرْسِهِ، معرِفَةَ عينِ شمْسِهِ، فقلْتُ لهُ: بالذي سخّرَ البحرَ اللُّجّيّ، ألسْتَ السَّروجيّ؟ فقال لي: بَلى! وهلْ يَخفى ابنُ جَلا[3]؟! فأحْمَدْتُ حينَئذٍ السّفَرَ، وسفَرْتُ عن نفْسي إذ سفَرَ، ولَمْ نزَلْ نسيرُ والبحرُ رهْوٌ، والجوّ صحْوٌ، والعيشُ صَفوٌ، والزّمانُ لهْوٌ،

---

(1) الحرز العوذة وما يتحرّز به والسفر أي المسافرين والجنّة أي الحصن والوقاية والستر وجاش أي ثار وتحرّك وهاج واليم البحر واستعصم بها أي امتنع بها واتخذها عاصماً أي واقياً وصدع أي تكلّم علانية أو كشف وأظهر والأساطير واحدتها أسطورة وهي الحديث الملفّق والزخارف الكلام المرقّش بالكذب وجلاها أي أبرزها وأظهرها وقوله اركبوا إلى مجراها فمن آية قرآنية هي الآية 41 في سورة هود: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(2) المغرم من أُغرم إغراماً إذا ألزمه بتأدية دين أو ما شابه وأغرِم بالشيء أولع به وأميل إلى معنى الولوع هنا والمبالغ في الشيء أي المجتهد الذي تجاوز الحد في الشيء والمحجّة الطريق والراشدين أي الهادين.

(3) البادي أي الظاهر والطلاوة الحسن والقبول وعجّت أي ارتفعت وآنس أي استشعر وأحسّ والجرس الصوت الخفي وعين شمسه أي حقيقة شخصه وسخّر أي ذلل واللجي البعيد الغور وابن جلا تقال للرجل المشهور أي ابن رجل قد وضح أمره وشهر يقول سُحَيم بن وَثيلٍ الشاعر:

«أنا ابنُ جَلاَ وطلاَّعُ الثنايا ... مَتَى أضِعِ العمامةَ تعرفوني»

تمثّل بها الحجاج على المنبر وفي المحكم لابن سيده: «وكان ابن جلا هذا صاحب فتك يطلع في الغارات من ثنية الجبل على أهلها فضربت العرب المثل بهذا البيت وقالت أنا ابن جلا أي ابن الواضح الأمر، وقوله متى أضع العمامة تعرفوني قال ثعلب العمامة تلبس في الحرب وتوضع في السلم، وابن أجلى كابن جلا».

وأنا أجِدُ لِلقيانِهِ، وجْدَ المُثري بعِقْيانِهِ، وأفرَحُ بمُناجاتِهِ، فرَحَ الغَريقِ بمَنْجاتِهِ[1]، إلى أن عصَفَتِ الجَنوبُ، وعسَفَتِ الخُبوبُ، ونسِيَ السّفْرُ ما كانَ، وجاءهُمُ الموْجُ منْ كلّ مَكانٍ، فمِلْنا لهذا الحدَثِ الثّائِرِ، إلى إحْدى الجَزائِرِ؛ لنُريحَ ونستَريحَ، ريثَما تُواتي الرّيحُ[2]. فتَمادَى اعْتِياصُ المَسيرِ، حتى نفِدَ الزّادُ غيرَ اليَسيرِ، فقال لي أبو زيدٍ: إنهُ لنْ يُحرَزَ جَنى العودِ بالقُعودِ، فهلْ لكَ في استِثارَةِ السّعودِ بالصّعودِ؟ فقلْتُ لهُ: إني لأتْبَعُ لكَ من ظِلّكَ، وأطْوَعُ منْ نعلِكَ. فنَهَدْنا إلى الجَزيرَةِ، على ضُعْفِ المَريرَةِ، لنركُضَ في امتِراء المِيرَةِ، وكِلانا لا يملِكُ فَتيلاً، ولا يهتَدي فيها سَبيلاً، فأقْبَلْنا نَجوسُ خِلالَها، ونتفيّأُ ظِلالَها، حتى أفْضَيْنا إلى قصرٍ مَشيدٍ[3]، لهُ بابٌ منْ حَديدٍ، ودونَهُ زُمرةٌ من عَبيدٍ، فناسَمْناهُمْ لنتخِذَهُمْ سُلّماً إلى الارتِقاء، وأرشِيَةً للاستِقاء؛ فألْفَيْنا كلاً منهُمْ كَئيباً حَسيراً، حتى خِلْناهُ كسيراً أو أسيراً، فقُلْنا: أيتُها

(1) أحمدت الشيء إذا وجدته محموداً وسفرت أي كشفت النقاب والرهو الساكن لا موج فيه وفي سورة الدخان الآية 24: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ والصحو لا غيم فيه واللهو التسلية واللعب ولقيانه من لقي إذا صادف ورأى وقابل والمثري الغني والعقيان الذهب الخالص والمناجاة المحادثة والمسارّة والمنجاة الخلاص.

(2) عصفت أي هبّت بشدة والجنوب الريح القبلية وعسفت هبّت من كل صوب والخبوب واحدها خِبّ وهو هيجان البحر وتلاطم أمواجه وقوله وجاءهم إلى مكان فعبارة قرآنية من الآية 22 من سورة يونس ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ والحدث الأمر الطارئ والثائر الهائج والمضطرب وريثما أي مدة ما تواتي من واتى إذا طاوع.

(3) تمادى أي امتدّ ودام ولجّ واعتياص الشيء تعسّره ونفد أي فني ويحرز أي ينال وجنى العود ثمره واستثارة الصيد مثلاً استخراجه والسعود الواحد منها السعد والصعود الترقي والارتفاع وهو هنا بمعنى مغادرة السفينة والانتقال إلى اليابسة وأتبع اسم تفضيل من تبع وأتبع من ظله مثل يقال في ملازمة الشيء ومصاحبته وأطوع من نعلك أي أشد طاعة والنعل ما ينتعل في القدم والعبارة مثل أيضاً ونهد إذا برز وارتفع والمريرة أي العزيمة والميرة العطاء والقوت وامتراء الميرة السعي في طلبها والفتيل أصله الخيط في شق النواة والعبارة مثل يضرب للمعدم لا يملك شيئاً ونجوس من جاس إذا طلب مستقصياً وتأتي بمعنى عاث فساداً وفي سورة الإسراء الآية 5: ﴿فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ وخلالها أي في وسطها ونتفيّأ أي نستظلّ وافضينا أي بلغنا والمشيد العالي المرتفع البناء وفي سورة الحج الآية 54: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾.

الغِلْمَةُ، ما هَذي الغُمّةُ[1]؟ فلَمْ يُجيبوا النّداء، ولا فاهوا ببَيْضاء ولا سَوْداء، فلمّا رأيْنا نارَهُمْ نارَ الحُباحِبِ، وخُبرَهُمْ كسَرابِ السّباسِبِ، قُلْنا: شاهَتِ الوجوهُ، وقُبِّحَ اللُّكَعُ ومَنْ يرْجوهُ[2]! فابتَدَرَ خادِمٌ قد علَتْهُ كَبْرَةٌ، وعرَتْهُ عبْرَةٌ، وقال: يا قوْمُ لا توسِعونا سَبّاً، ولا توجِعونا عتْباً، فإنّا لَفي حُزنٍ شامِلٍ، وشُغْلٍ عنِ الحديثِ شاغِلٍ. فقالَ لهُ أبو زيدٍ: نفِّسْ خِناقَ البَثّ، وانفِثْ إنْ قدَرْتَ على النّفْثِ، فإنّكَ ستجِدُ مني عَرّافاً كافِياً، ووَصّافاً شافِياً[3]. فقالَ لهُ: اعْلَمْ أنّ ربّ هذا القصْرِ هوَ قُطْبُ هذِهِ البُقْعَةِ، وشاهُ هذِهِ الرُقْعَةِ، إلا أنّهُ لمْ يخْلُ منْ كمَدٍ، لخُلوّهِ من ولَدٍ، ولمْ يزَلْ يستَكْرِمُ المَغارِسَ، ويتخيّرُ منَ المَفارِشِ النّفائِسِ، إلى أن بُشّرَ بحمْلِ عَقيلةٍ، وآذَنَتْ رقْلَتُهُ بفَسيلَةٍ، فنُذِرَتْ له النّذورُ، وأُحصِيَتِ الأيامُ والشّهورُ، ولمّا حانَ النِّتاجُ، وصيغَ الطّوقُ والتّاجُ؛ عسُرَ مخاضُ الوضْعِ[4]، حتى خِيفَ على الأصْلِ والفَرْعِ، فما فِينا

(1) ناسمناهم من ناسمه إذا شامّه وقاربه وحادثه وسارّه وأرشية أي حبالاً والاستقاء إخراج الماء للسقي وألفينا أي وجدنا والحسير الحزين الكئيب وخلناه أي توهمناه والكسير المكسور والغمّة الهم والغم.

(2) فاهوا أي نطقوا والبيضاء الكلمة الطيبة والسوداء الكلمة الرديئة والحباحب حشرات في طرفها ضوء وخبرهم أي حقيقة أمرهم والسباسب واحدها سبسب وهو الصحراء المستوية والسراب هو الآل ما يرى ويحسب ماء وليس في الحقيقة كذلك وشاهت الوجوه دعاء بمعنى قبحت الوجوه واللكع اللئيم أو الأحمق ومن يرجوه أي يأمل خيراً منه.

(3) ابتدر أي أسرع وعلته أي غشيته والكبرة الكبر وعرته أي أصابته والعبرة الدمعة والبكاء ولا توسعونا أي لا تكثروا والسب الشتم والتجريح وتوجعونا أي تؤلمونا والشامل أي الذي يشملنا جميعاً والعتب الملام ونفّس أي هوّن والخناق ما يُخنق به من حبل أو ما شاكله والبثّ أشدّ الحزن والغم والحال وفي سورة يوسف 86: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وانفث أي ابصق وهي هنا بمعنى تكلّم والعرّاف الكاهن والعالم بالشيء.

(4) قطب القوم سيدهم يلجأون إليه وقطب البقعة أي سيدها وهي الأرض والشاه ملك العجم والشاه الملك في الشطرنج وبذا يكون استعار الرقعة من الشطرنج إلى الأرض التي يحكمها ذلك الرجل ويتصرّف بأمورها والكمد الغم والحزن ويستكرم أي ينتقي والمغارس مواضع الغرس يريد بذلك النساء من أصول كريمة ويتخيّر أي ينتقي ويختار والمفارش كالمغارس يراد بها النساء يفترشهن والنفيس الثمين والكريم والعقيلة الكريمة من النساء والخيل والإبل ويقال للدرة أيضاً عقيلة وآذنت أي أعلمت والرقلة النخلة الطويلة والفسيلة الفرخ يخرج من أصل النخلة والنذر ما يوجبه المرء =

مَنْ يعرِفُ قَراراً، ولا يطْعَمُ النّومَ إلا غِراراً، ثمّ أجْهَشَ بالبُكاء وأعْولَ، وردّدَ الاسترْجاعَ وطوّلَ. فقال لهُ أبو زيدٍ: اسْكُنْ يا هَذا واستَبْشِرْ، وابْشِرْ بالفَرَجِ وبشّرْ[1]! فعِندي عَزيمةُ الطّلْقِ، التي انتشَرَ سَمْعُها في الخَلْقِ، فتبادَرَتِ الغِلمَةُ إلى موْلاهُمْ، مُتباشِرينَ بانكِشافِ بلْواهُمْ، فلمْ يكُنْ إلا كَلا ولا، حتى برزَ مَنْ هلْمَمَ بِنا إلَيْهِ. فلما دخلْنا عليْهِ، ومثَلْنا بينَ يدَيْهِ، قال لأبي زيدٍ: ليَهْنِكَ مَنالُكَ، إنْ صدَقَ مقالُكَ، ولم يفِلْ فالُكَ[2]، فاستَحضرَ قلَماً مبْرِيّاً، وزبَداً بحرِيّاً، وزَعفَراناً قد دِيفَ، في ماء وَرْدٍ نظيفٍ. فما إنْ رجَعَ النفَسُ، حتى أُحضِرَ ما التَمَسَ، فسجَدَ أبو زيدٍ وعفّرَ، وسبّحَ واستَغْفرَ، وأبْعَدَ الحاضِرينَ ونفّرَ، ثمّ أخذَ القلمَ واسْحَنْفَرَ، وكتبَ على الزّبَدِ بالمُزَعفَرِ لهُ[3]:

= على نفسه وليس واجباً عليها من صدقة أو صلاة أو إحسان مقابل أمر يرجو حدوثه وفي سورة سورة مريم الآية 26: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ وأحصيت أي عدّت وحسبت لمعرفة زمان الوضع والنتاج أي الولادة والطوق ما يطوّق به عنق المولود ويكون من فضة أو ذهب وعسر أي صعب والمخاض تحرّك الولد عند الولادة وقيل هو وجع الولادة وفي سورة مريم الآية 23: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ والوضع الولادة.

(1) الأم هي هنا الأصل والجنين هو الفرع والقرار السكون ويطعم أي يذوق والغرار أي القليل من النوم وأجهش الأخذ بالبكاء مع تغيّر ملامح الوجه وأعول أي رفع صوته بالبكاء وردد الشيء قاله مرة تلو مرة والاسترجاع هو قول إنا لله وإنّا إليه راجعون.

(2) العزيمة هي الرقية والطلق وجع الولادة والغلمة والغلمان جمع غلام وتبادرت أي تسارعت والبلوى البلاء وكلا ولا كناية عن قلّة اللبث وسرعة الأمر حتى لكأنه يستغرق مدة لفظ لا ولا وهلمم بنا أي قال لنا هلموا وهلم كلمة يراد بها الدعاء كقولنا تعال ومثلنا أي حضرنا ووقفنا ومنالك أي ما ستناله من إكرام ولم يفل من فال الرأي مثلاً أي ظهر ضعفه والفال هو الفأل أي ما يتيمّن به المرء يقول هنيئاً لك ما ستحصل عليه إن لم يخب.

(3) فالك الزبد البحري حجر يوجد طافياً على وجه الماء وجاء في حياة الحيوان الكبرى: «من خصائص الزبد البحري، أنه إذا علق على ذات طلق، سهل الله عليها الولادة. وكذلك قشر البيض إذا سحق ناعماً، وشرب بماء فإنه يسهل الولادة، وقد جرب مراراً عديدة فصح» وديف أي خُلِط والتمس أي طلب وعفّر أي مرّغ بالتراب واسحنفر مضى في الفعل ولم يمكث يقول السيد الحميري: «مسحنفر في غيه متتابع في الشتم مثله بخيل يسجع» ويقول الأخطل في نهر الفرات:

«مسحنفرٌ من جبال الروم يسترهُ ... منها أكافيفُ فيها دونَهُ زَوَرُ»

أيّـهَـذا الـجَـنـيـنُ إنـي نـصـيـحٌ ... لـكَ والـنّـصـحُ مـنْ شُـروطِ الـدّيـنِ
أنـتَ مُـسـتَـعْـصِـمٌ بـكِـنّ كَـنـيـنٍ ... وقَـرارٍ مِـنَ الـسّـكـونِ مَـكـيـنِ
مـا تَـرى فـيـهِ مـا يَـروعُـكَ مـنْ إلْـ ... ـفٍ مُـداجٍ ولا عـدوٍّ مُـبـيـنِ[1]
فـمـتـى مـا بـرَزْتَ مـنـهُ تـحـوّلْـ ... ـتَ إلـى مـنـزِلِ الأذى والـهـونِ
وتَـراءى لـكَ الـشّـقـاءُ الـذي تـلْـ ... ـقَـى فـتَـبْـكـي لـهُ بـدَمْـعٍ هَـتـونِ
فـاسـتَـدِمْ عـيـشَـكَ الـرّغـيـدَ وحـاذِرْ ... أن تَـبـيـعَ الـمَـحـقـوقَ بـالـمظْـنـونِ
واحـتَـرِسْ مـن مُـخـادِعٍ لـك يـرْقـيـ ... ـكَ لـيُـلـقـيـكَ فـي الـعـذابِ الـمُـهـيـنِ
ولَـعَـمْـري لـقـدْ نـصَـحْـتُ ولـكِـنْ ... كَـمْ نَـصـيـحٍ مُـشـبَّـهٍ بـظَـنـيـنِ[2]

ثمّ إنهُ طمَسَ المكتوبَ على غَفلَةٍ، وتفَلَ عليْهِ مئَةَ تَفلَةٍ، وشدّ الزّبَدَ في خِرقَةِ حريرٍ، بعدَما ضمّخَها بعَبيرٍ، وأمرَ بتعْليقِها على فخْذِ الماخِضِ، وأنْ لا تعْلَقَ بها يدُ حائِضٍ[3]. فلمْ يكُنْ إلا كذُواقِ شارِبٍ، أو فُواقِ حالِبٍ؛ حتى اندَلَقَ شخْصُ الولَدِ، لخصّيصَى الزّبَدِ، بقُدرَةِ الواحِدِ الصّمَدِ. فامتلأ القصْرُ حُبوراً، واستُطيرَ عَميدُهُ وعَبيدُهُ سُروراً[4]، وأحاطَتِ الجماعَةُ بأبي زيدٍ تُثْني عليْهِ، وتُقبّلُ يدَيْهِ، وتتبرّكُ بمِساسِ

(1) النصح من شروط الدين إشارة للحديث النبوي الذي يقول: «الدين النصيحة» ومستعصم أي ممتنع ومحتم والكن الوقاء والستر وهو البيت أيضاً والجمع أكنان وأكنة وفي سورة النحل الآية 81: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا﴾ والكنين المستور والقرار المكان المطمئن الذي يستقر فيه الماء وفي سورة المؤمنون الآية 13: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وفي المرسلات الآية 21: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ والمكين الثابت في موضعه لا يتزحزح ويروعك أي يخيفك ويفزعك والإلف الصاحب والمداجي المنافق والمرائي والمبين الذي يظهر أو يفصح والعدو المبين أي العدو الظاهر العداوة.

(2) تحوّلت أي انتقلت والهون أي الهوان ويريد بذلك الدنيا وتراءى لك أي بدا وظهر والهتون المدرار والغزير واستدم فعل أمر بمعنى اجعل عيشك حيث أنت دائماً والرغيد الطيّب الواسع والمحقوق أي المتحقق والمجرّب والذي لا شك فيه والمظنون ما هو في عالم الاحتمال والظنين المتهم.

(3) طمس أي غطى ومحا وتفل أي بصق وضمّخ أي لطّخ والعبير أخلاط الطيب والماخض التي أخذها المخاض وتعلق بها أي تمسها.

(4) ذواق الشارب أي تذوق الشارب شرابه بطرف لسانه كناية عن السرعة والفواق الزمان بين الحلبتين=

طِمْرَيْهِ، حتى خُيِّلَ إليّ أنّهُ القَرَنيُّ أُوَيْسٌ، أوِ الأسَديُّ دُبَيسٌ. ثمّ انْثالَ عليْهِ منْ جَوائِزِ المُجازاةِ، ووصائِلِ الصّلاتِ، ما قيّضَ لهُ الغِنى، وبيّضَ وجْهَ المُنى، ولمْ يزَلْ ينْتابُهُ الدّخلُ، مُذْ نُتِجَ السّخْلُ[1]، إلى أن أُعطِيَ البحْرُ الأمانَ، وتسنّى الإتْمامُ إلى عُمانَ. فاكْتَفى أبو زيدٍ بالنِّحْلَةِ، وتأهّبَ للرّحلَةِ، فلمْ يسمَحِ الوالي بحرَكَتِهِ، بعْدَ تجرِبَةِ برَكَتِهِ؛ بلْ أوعَزَ بضَمّهِ إلى حُزانَتِهِ، وأنْ تُطلَقَ يدُهُ في خِزانَتِهِ[2].

قالَ الحارثُ بنُ همّام: فلمّا رأيتُهُ قدْ مالَ، إلى حيثُ يكتَسِبُ المالَ، أنْحَيْتُ علَيْهِ بالتّعْنيفِ، وهجّنْتُ لهُ مُفارَقَةَ المألَفِ والأليفِ، فقالَ إليْكَ عني، واسْمَعْ منّي[3]:

= وهو أيضاً كناية عن السرعة واندلق أي خرج من موضعه سريعاً ولخصّيصى الزبد أي لشدة اختصاص الزبد بتسهيل الولادة والحبور الفرح والابتهاج واستطير أي كاد أن يطير وعميد القصر سيده.

(1) تثني عليه أي تمدحه والطمران واحدهما الطمر وهو الثوب الخلق والقرني أويس هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني، من بني قرن بن ردمان بن ناجية ابن مراد: أحد النساك العباد المقدمين، من سادات التابعين. أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، وأدرك حياة النبي ﷺ ولم يره، فوفد على عمر بن الخطاب ثم سكن الكوفة. وشهد وقعة صفين مع علي، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها سنة 657 م والأسدي دبيس هو على ما جاء في سير أعلام النبلاء: «سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي. كان أديباً جواداً ممدحاً، من نجباء العرب، ترامت به الأسفار إلى الأطراف، وجال في خراسان، واستولى على كثير من بلاد العراق» وانثال انصب وتتابع والجوائز العطايا والوصائل الصلات المتتابعة وهي ثياب مخططة تلبسها النساء وصنعت في اليمن وقيّض أي أتاح والمنى المطالب وتبييض وجهها كناية تحققها ونجحها والدخل الرزق الداخل والسخل ولد الشاة ساعة يولد وهو هنا الطفل المولود.

(2) تسنّى أي تقدّر وتيسّر والإتمام أي المتابعة والإكمال وعمان سلطنة مستقلة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية واكتفى أي اقتنع والنحلة العطية والرحلة السفر ولم يسمح بحركته كناية عن منع سفره وأوعز أي أشار وأمر والحزانة الحاشية والجماعة وتطلق يده أي يعطى حرية التصرف والخزانة موضع خزن المال.

(3) أنحى إنحاء في سيره مال إلى ناحية وأنحى عليه أقبل ويقال أنحى عليه باللوم وأنحى عليه ضرباً والتعنيف اللوم والتوبيخ والتقريع وهجّن أي قبّح والمألف البلد والأليف الصاحب وإليك عني أي دعني وكفّ عني.

لا تَـصْـبُـوَنّ إلـى وطَـنْ فـيـهِ تُـضـامُ وتُـمـتَـهَـنْ
وارْحَـلْ عـنِ الـدّارِ الـتـي تُـغْـلـي الـوِهـادَ عـلـى الـقُـنَـنْ
واهْـرُبْ إلـى كِـنٍّ يَـقـي ولَـوَ انّـهُ حِـضْـنـا حـضَـنْ
وارْبـأ بـنَـفـسِـكَ أنْ تُـقـيـمَ بَـحـيـثُ يـغْـشـاكَ الـدَّرَنْ[1]
وجُـبِ الـبِـلادَ فـأيُّـهـا أرْضـاكَ فـاخْـتَـرْهُ وطَـنْ
ودَعِ الـتّـذكُّـرَ لـلـمَـعـاهِـدِ والـحَـنـيـنَ إلـى الـسّـكَـنْ
واعْـلَـمْ بـأنّ الـحُـرّ فـي أوطـانِـهِ يَـلْـقَـى الـغـبَـنْ
كـالـدُّرّ فـي الأصْـدافِ يُـسـتـزرى ويُـبْـخَـسُ فـي الـثّـمَـنْ[2]

ثمّ قال: حسبُكَ ما استَمَعْتَ، وحبّذا أنتَ لوِ اتّبَعْتَ! فأوْضَحْتُ لهُ مَعاذيري، وقلتُ لهُ: كُنْ عَذيري.

فعذَرَ واعتَذَرَ، وزوّدَ حتى لم يذَرْ. ثمّ شيّعَني تشْييعَ الأقارِبِ، إلى أنْ ركِبْتُ في القارِبِ، فودّعْتُهُ وأنا أشْكو الفِراقَ وأذُمّهُ، وأوَدُّ لوْ كانَ هلَكَ الجَنينُ وأمُّهُ[3].

(1) لا تصبون نهي عن التشوق والحنين أي لا تمل ولا تشتق وتضام تظلم وتذل وتمتهن أي تهان وتحتقر وتعلي أي ترفع والوهاد واحدتها وهدة وهي ما انخفض من الأرض والقنن واحدتها قنة وهي الذروة من كل شيء والكن الستر ويقي أي يحمي وحَضَن جبل بأعلى نجد وحضناه جانباه وأربأ فعل أمر بمعنى ارفع نفسك وأجلّها والدرن الوسخ.

(2) جب فعل أمر من جاب إذا طاف وقطع وأرضاك أي سرّك وأراحك وجعلك راضياً والمعاهد المنازل والحنين الشوق والسكن الأهل الذين يسكن إليهم والغبن النسيان والانتقاص ويستزرى أي يحتقر ويبخس من البخس وهو النقص في القيمة.

(3) حسبك أي يكفيك حبذا لفظ استحسان بمعنى أحبب واتبعت أي فعلت ما أفعل ومعاذيري أي أعذاري وعذيري أي عاذري وزوّد أي أعطى زاداً ولم يذر أي لم يترك شيئاً مما احتاجه لم يضعه في زادي وشيّع أي خرج ليودّع والقارب زورق صغير.

المقامة التبريزيّة

أخبرَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أزْمَعْتُ التّبريزَ منْ تبريزَ، حينَ نبَتْ بالذّليلِ والعَزيزِ، وخلَتْ من المُجيرِ والمُجيزِ، فبَيْنا أنا في إعدادِ الأُهبَةِ، وارْتِيادِ الصُحْبَةِ؛ ألْفَيتُ بها أبا زيدٍ السَّروجيَّ مُلتَفّاً بكِساءٍ، ومُحْتَفّاً بنِساءٍ، فسألْتُهُ عنْ خطْبِهِ، وإلى أينَ يسْرُبُ مع سِرْبِهِ؟ فأوْمأ إلى امرأةٍ منهُنّ باهِرَةِ السّفورِ، ظاهِرَةِ النّفورِ، وقال[1]: تزوّجْتُ هذهِ لتؤنِسَني في الغُربَةِ، وترْحَضَ عني قشَفَ العُزْبَةِ، فلَقيتُ منها عرَقَ القِرْبَةِ، تمْطُلُني بحقّي، وتكلّفُني فوْقَ طوْقي، فأنا منها نِضْوُ وَجًى، وحِلْفُ شجْوٍ وشجًى، وها نحْنُ قد تساعَيْنا إلى الحاكِمِ[2]، ليَضْرِبَ على يدِ الظّالِمِ، فإنِ انتظَمَ بيْنَنا الوِفاقُ، وإلا فالطّلاقُ

(1) نشير أولاً إلى أن ما سيرد بين قوسين وبحرف مسمّن فهو نص تفسيري لما جاء في هذه المقامة أثبته الحريري في آخر المقامة تحت عنوان« تفسير ما أودع هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية» ونحن أثبتنا كل تفسير في حاشية تخصّه تسهيلًا وتركنا النص بتمامه حيث هو وأثبته المؤلف.

أزمع أي نوى وعزم والتبريز الخروج إلى البراز وهي الأرض لا شجر فيها والمراد هنا السفر وتبريز مدينة في شمال إيران اشتهرت بشاعرها لسان الغيب حافظ شيرازي وبسجادها وخمورها ونبت به الأرض لم يجد بها قراراً ونبت بالذليل والعزيز أي لم تعد تصلح للإقامة والمجير من أجار أي حمى والمجيز إما أن يكون معطي الجائزة أو من يجيز القوافل في مواضع الخوف وارتياد الصحبة أي طلب من أصاحبه في السفر ومحتفاً أي محاطاً وخطبه أمره ويسرب أي يذهب ويسير والسرب قطيع الظباء استعاره للنساء والسرب يقال لجماعة الطير والنحل والنساء وأومأ أي أشار دون نطق والباهر الذي يبهر يدهش ويحير والسفور وهو حسر النقاب عن الوجه والنفور من نفر نفوراً إذا صدّ وأعرض.

(2) رحض أي غسل وأزال والقشف وسخ الجلد وخشونته والعزبة العيش دون زواج والقربة الوطب =

والانطِلاقُ. قال: فمِلْتُ إلى أن أخْبُرَ لمَنِ الغلَبُ، وكيفَ يكونُ المُنقلَبُ، فجعلْتُ شُغْلي دَبْرَ أُذْني، وصحِبتُهُما وإنْ كنتُ لا أُغني. فلمّا حضَرَ القاضي وكان ممّن يرَى فضْلَ الإمْساكِ، ويضَنُّ بنُفاثَةِ السّواكِ[1]، جَثا أبو زيدٍ بينَ يدَيْهِ، وقال: أيّدَ اللهُ القاضيَ وأحسَنَ إليْهِ! إنّ مطيّتي هذهِ أبيّةُ القِيادِ، كثيرَةُ الشِّرادِ، معَ أني أطْوَعُ لها منْ بَنانِها، وأحْنى عليْها منْ جَنانِها، فقالَ لها القاضي: ويْحَكِ! أما علِمْتِ أنّ النُّشوزَ يُغضِبُ الرّبّ، ويوجِبُ الضّرْبَ؟ فقالتْ[2]: إنّهُ ممّن يدورُ خلْفَ الدارِ، ويأخُذُ الجارَ بالجارِ. فقال لهُ القاضي: تباً لكَ! أتَبْذُرُ في السِّباخِ، وتستَفرِخُ حيثُ لا إفْراخَ؟ اعْزُبْ عني لا نَعِمَ عوفُكَ، ولا أمِنَ خوفُكَ! فقالَ أبو زيدٍ: إنها ومُرسِلِ الرّياحِ، لأكْذَبُ منْ سَجاحِ! فقالتْ[3]: بل هوَ ومَنْ طوّقَ الحَمامَةَ، وجنّحَ النّعامَةَ،

= يجعل فيه الماء أو اللبن (قوله: «القيت منها عرق القربة» هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الأمر الذي يزاوله، كما أن حامل القربة يلقى جهداً حتى يعرق) ومطله حقّه أي أجل موعد الوفاء مرة تلو مرة والطوق الطاقة والوسع والنضو المهزول الضامر والوجى الكلال والإجهاد وحلف الشيء أي ملازمه والشجو ما يعترض الحلق كالشوكة مثلاً والشجى الحزن والكمد وتساعينا سعى كل منا بمفرده والحاكم أي القاضي.

(1) الضرب على يد أحد يعني ردعه وزجره ومنعه من التصرّف والانطلاق أي الذهاب وهو هنا الفراق بين الزوجين ومال إلى الشيء أراده وتاق إليه وأخبر أي امتحن والغلب الظفر والفوز والمنقلب العاقبة والمآل وقوله «جعلته دَبْرَ أذني» يعني طرحته وهو كقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ آل عمران: 187 وصحبتهما أي مضيت بصحبتهما ولا أغني أي لا أفيد بشيء والإمساك أي البخل والشح ويضنّ أي يبخل ونفاثة السواك والسواك عود تنظّف به الأسنان وقد أوصى به النبي ونفاثة السواك ما يلفظ من الفم بعد السواك وهو مثل للتافه من الأمور فيقال لو سألتني نفاثة سواك ما أعطيتك.

(2) جثا جُثُوّاً قعد على ركبتيه والمطية الركوبة وهي هنا المرأة وأبية أي عصية والقياد أي إنها لا تنقاد بسلاسة ويسر والشراد أي النفور والبنان طرف الإصبع وأحنى أي أشفق وأرحم وجنانها أي قلبها وويحك لفظ تأنيب وتقريع والنشوز عند المرأة مخالفتها الزوج وخروجها عليه وفي سورة النساء الآيـــة 34: ﴿وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ والرب السيد والبعل.

(3) قولها يدور خلف الدار أي يأتيها في دبرها وأخذ الجار بالجار مثل عربي قاله عربي أراد أن يأتي امرأته في دبرها فاعتلّت بالحيض فقال ما قال وقد فعل ما فعل! وتبّاً لك دعاء عليه بالهلاك =

لأكْذَبُ من أبي ثُمامَةَ، حينَ مَخْرَقَ باليَمامَةِ. فزفَرَ أبو زيدٍ زَفيرَ الشُّواظِ، واسْتَشاطَ استِشاطَةَ المُغْتاظِ، وقال لها: ويْلَكِ يا دَفارِ يا فَجارِ، يا غُصّةَ البعْلِ والجارِ! أتَعْمِدينَ في الخَلوةِ لتَعْذيبي، وتُبدينَ في الحَفلَةِ تكْذيبي؟ وقد علِمْتِ أني حينَ بنَيتُ عليْكِ، ورنَوْتُ إليْكِ، ألفَيتُكِ أقْبَحَ من قِرْدَةٍ، وأيْبَسَ منْ قِدّةٍ، وأخشَنَ من لِيفَةٍ، وأنْتَنَ منْ جيفَةٍ، وأثقَلَ منْ هَيضَةٍ، وأقذَرَ منْ حيضَةٍ[1]، وأبرزَ من قِشرَةٍ، وأبْرَدَ من قِرّةٍ، وأحمَقَ من رِجلَةٍ، وأوسَعَ منْ دِجلَةَ! فستَرْتُ عَوارَكِ، ولمْ أُبْدِ عارَكِ[2]، على

= والخسار وتبذر أي تطرح البذر والسباخ ما لم يحرث أو يعمر لملوحته واعزب عني أي ابعد (وقوله «لا نعم عوفك» العوف الحال والعوف أيضاً الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له «نَعِمَ عوفك») سجاح امرأة ادّعت النبوة بعد وفاة النبي وقيل إنها اتفقت مع مسيلمة المتنبئ في خبر داعر واضح السفاهة والتركيب ولقد أسلمت سجاح بعد مقتل مسيلمة المنبوز بالكذاب وماتت سنة 675 م (وقوله «أكذب من سجاح» يعني التي تنبّأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به، ووهبت نفسها له، وهذا الإسم المبني على الكسر مثل حِذام وقِطام لكونه من الأسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومن قولهم: ملكت فاسجح).

(1) طوّق الحمامة أي جعل لها طوقاً وجنّح النعامة جعل لها جناحين وأبو ثمامة هو مسيلمة ادّعى النبوة وقتل سنة 633م (وقوله «أكذب من أبي ثمامة» هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبّأ باليمامة ومخرق بها إلى أن سار إليه خالد بن الوليد فقتله) ومخرق مخرقة وهي افتعال الكذب واليمامة بلاد وسط الجزيرة العربية من مقاطعات نجد وزفر أي أخرج الهواء من صدره والشواظ اللهب لا دخان فيه وفي سورة الرحمن الآية 35: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ واستشاط أي اشتد واحتدم غيظه والمغتاظ الغضبان (وقوله: «يا دفار يا فجار» هذان الإسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر. وكل ما سمّي بصفة غالبة ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة:

أطوّف ما أطوّف ثم آوي ... إلى بيت قعيدته لكاع

وتعمدين أي تقصدين وتتعمدين والخلوة حين يختلي بها ولا ثالث لهما وتبدين أي تظهرين وفي الحفلة أي في محفل الناس وحضورهم وبنى على المرأة أي دخل بها ورنا إليها إذا نظر وألفيتك أي وجدتك وأقبح من قردة مثل مولّد وأيبس أي أشد يباساً وجفافاً والقدّة القطعة من الجلد لم تدبغ والهيضة انطلاق البطن أي الإسهال والحيضة الخرقة تضعها الحائض فتتلقى بها الدم.

(2) أبرز أي أكثر بروزاً والمراد هنا السفور فالقشرة ما علا الشيء أراد أنها غير مخدّرة وأبرد أي أشد برداً والقرة الليلة الباردة أراد أنها باردة حيث يجب أن تكون ساخنة!! وأحمق من رجلة أي أشد =

أنهُ لوْ حبَتْكِ شيرينُ بجَمالِها، وزُبَيدَةُ بمالِها، وبِلْقيسُ بعَرْشِها، وبُورانُ بفَرْشِها، والزَّبّاء بمُلْكِها، ورابِعَةُ بنُسكِها، وخِندِفُ بفَخْرِها، والخنْساءُ بشِعْرِها في صخرِها[1]؛ لأنِفْتُ أن تكوني قَعيدَةَ رَحْلي، وطَروقَةَ فحْلي! قال: فتذمّرَتِ المرأةُ وتنمّرَتْ، وحسَرَتْ عنْ ساعِدِها وشمّرَتْ، وقالتْ لهُ: يا ألأمَ منْ مادِرٍ، وأشأمَ منْ قاشِرٍ، وأجْبَنَ منْ صافِرٍ، وأطْيَشَ منْ طامِرٍ[2]! أتَرْميني بشَنارِكَ، وتَفْري عِرْضي

= حمقاً من البقلة الحمقاء وهي الفرفخ وعند العامة الفرفحين (وأما قوله: «أحمق من رجلة» فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجرفها) وأوسع من دجلة وهو النهر المعروف يريد بذلك السعة حيث يستحسن الضيق!!! وسترت أي غطيت وعوارك أي عيبك ولم أبد أي لم أظهر وأكشف وعارك أي فضيحتك.

(1) حبتك أي منحتك وأنعمت عليك وشيرين محظية كسرى ملك فارس ويضرب بجمالها المثل وزبيدة زوجة هارون الرشيد الخليفة العباسي توفيت سنة 831 م اشتهرت بكرمها وثرائها وبلقيس ملكة سبأ وخبر عرشها مبسوط وكيف التقت سليمان في سورة النمل وفي كتاب كبرانجست أي مجد النجاشيين الإثيوبي وبوران بنت الحسن بن سهل توفيت سنة 884 م وكانت زوجة المأمون الخليفة العباسي وخبر البذخ في عرسها قارب الأساطير والزباء أو زنوبيا ملكة تدمر العربية 266-272 م خلفت زوجها أذينة بالوصاية على ابنها هزمها أورليانس واقتادها أسيرة إلى روما حيث ماتت ورابعة هي رابعة العدوية توفيت 752 م اشتهرت بنسكها وتصوفها وبادخال فكرة الحب الإلهي على التصوف الإسلامي بدلاً من الخوف والرهبة وخندف ليلى الملقبة بخندف بنت حلوان بن عمران، من قضاعة: أم جاهلية. ينسب إليها بنوها من زوجها «إلياس بن مضر» من العدنانية. قال الشريشي: وهي أم عرب الحجاز، وجميع ولد «إلياس» من خندف والخنساء أعظم شواعر العرب اشتهرت برثاء أخويها صخر ومعاوية أدركت الإسلام وقتل أولادها الأربعة في معركة القادسية توفيت حوالى 664 م وصخرها أي صخر أخو الخنساء.

(2) أنفت أي عاف واستكبر وكره وقعيدة رحلي أي امرأة بيتي والطروقة الناقة التي بلغت أن يطرقها الفحل وتذمّرت أي غضبت وتنمّرت تشبّهت بالنمر والألأم من مادر مثل عربي (وأما قولها: «ألأم من مادر» فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضاً لسقي إبله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده) وأشأم أي أكثر شؤماً ونحساً (وأما قولها: «أشأم من قاشر» فانه فحل كان في قبائل سعد بن زيد بن مناة بن تميم ما طرق إبلاً إلاّ ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمّي قاشراً لقشره ما على وجه الأرض من النبات) وأجبن أي أكثر جبناً (وأما قولها: «أجبن من صافر» فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عنى به كل ما يصفر من الطير وخصّ بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل إنه طائر بعينه إذا جنّه الليل تعلّق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفاً على نفسه من أن ينام فيؤخذ وقيل إنه الذي =

بشِفارِكَ؟ وأنتَ تعلَمُ أنكَ أحقَرُ منْ قُلامَةٍ، وأعْيَبُ منْ بَغْلةِ أبي دُلامَةَ، وأفضَحُ منْ حَبْقَةٍ في حلْقَةٍ، وأحْيَرُ منْ بَقّةٍ في حُقّةٍ[1]! وهَبْكَ الحَسَنَ في وعْظِهِ ولفْظِهِ، والشّعْبيَّ في عِلْمِهِ وحِفْظِهِ، والخَليلَ في عَروضِهِ ونحوِهِ، وجَريراً في غزَلِهِ وهجْوِهِ، وقُسّاً في فَصاحَتِهِ وخِطابَتِهِ، وعبْدَ الحَميدِ في بَلاغَتِهِ وكِتابَتِهِ، وأبا عَمْرٍو في قِراءتِهِ وإعْرابِهِ، وابنَ قُرَيْبٍ في رِوايَتِهِ عنْ أعْرابِهِ، أتظُنّني أرْضاكَ إماماً لمِحْرابي، وحُساماً لقِرابي[2]؟ لا واللهِ ولا بَوّاباً لِبابي، ولا عَصاً لجِرابي! فقالَ لهُما القاضي: أراكُما

= يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل إن المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: 6]. أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الاسراء: 45]. أي ساتراً وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريم: 61]. وأطيش اسم تفضيل من الطيش وهو خفة العقل (وأما قوله: «أطيش من طامر» فالمراد به البرغوث ويسمّى طامر بن طامر لكثرة وثوبه).

(1) الشنار العيب وتفري أي تقطع والعرض الخليقة المحمودة والعرض ما يصونه المرء من نفسه أو من يلزمه أمره والشفار واحدتها شفرة أي السكاكين والمراد الكلام الجارح والقلامة ما يقص من الظفر ويرمى وأعيب أي أكثر عيباً وأبو دلامة توفي سنة 777م شاعر فكه عاش في العصر العباسي الأول له قصيدة في هجاء بغلته حتى صارت مضرب المثل لكثرة عيوبها وأفضح أي أشهر وأشد افتضاحاً والحبقة الضرطة والحلقة الجماعة من الناس وأحير أي أشد حيرة من البقة واحدة البق وهي الحشرة المعروفة والحقة وعاء الطيب.

(2) هب أي احسب والحسن هو أبو سعيد توفي 728 م الحسن البصري عالم اشتهر بالزهد والصلاح وكان من التابعين وكان بليغاً وعظيم المكانة في التصوف وعنه اعتزل واصل بن عطاء وصار رأس المعتزلة والشعبي هو عامر بن شراحيل توفي سنة 721 م تابعي محدث وراوية والخليل هو الخليل بن أحمد الفراهيدي واضع العروض وصاحب كتاب العين وهو أول قاموس عربي توفي نحو 786 م وجرير هو الشاعر الأموي الشهير له ديوان توفي 733 م هاجى شعراء عصره ومنهم الفرزدق والأخطل وأما غزله فغاية في الرقة والتعفف وقس هو قس بن ساعدة الإيادي الواعظ الجاهلي الشهير ومضرب المثل في الفصاحة وقد تقدمت ترجمته وعبد الحميد هو عبد الحميد وكان كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين ولم يشأ أن يتركه بل ظل معه حتى قتل معه سنة 750 م وعبد الحميد أول من أنشأ أسلوب الرسائل في الأدب العربي وله رسائل أشهرها رسالة إلى الكتاب ولغته متينة وأبو عمرو بن العلاء توفي 770 م نحوي لغوي جمع أشعار الجاهلية وهو أقدم نحاة البصرة وأحد القرّاء السبعة وابن قريب هو الأصمعي وقد تقدمت ترجمته وإعرابه أي =

شَنّاً وطَبقةَ، وحِدَأةً وبُنْدُقَةً، فاتْرُكْ أيّها الرّجُلُ اللّدَدَ، واسْلُكْ في سيْرِكَ الجَدَدَ، وأمّا أنْتِ فكُفّي عنْ سِبابِهِ، وقِرّي إذا أتى البَيتَ منْ بابِهِ[1]، فقالَتِ المرأةُ: واللهِ ما أسْجُنُ

= العرب الذين كان يروي عنهم وقولها إماماً لمحرابي كناية عن مقامه بين أطرافها مواجهاً لها كالإمام امام المحراب في المسجد والحسام كناية عن الأير والقراب أي الغمد كناية عن هنها.

(1) بواب الباب وعصا الجراب تريد بهما ما أرادت بالإمام والحسام والقراب والمحراب وشن وطبقة مثل عربي قديم (وأما قول القاضي «أراكما شناً وطبقة وحدأة وبندقة» فانه أراد أن كلاً منكما كفؤ لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم «وافق شن طبقة» فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشنّ هو ابن أفضى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حيّ من إياد وكانت طبقة لا تُطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها.

(كان شنٌ رجلاً من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلاّ بامرأة تلائمه فكان يجول البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن: أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسار حتى أتيا على زرع فقال له شن لرفيقه: أترى هذا الزرع أُكل أم لا فقال له: يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له شن: أترى صاحبها حياً أم لا فقال ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبر حيّاً ثم إنهما وصلا إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله وكانت له بنت تسمّى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهمك إلا عما يستفهم عن مثله ذوو الألباب أما قوله: أتحملني أم أحملك فإنه أراد: أتحدثني أم أحدّثك حتى نقطع الطريق بالحديث. وأما قوله: أترى هذا الزرع أكِلَ أم لا فإنه أراد: هل استسلف أربابه ثمنه أم لا. وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد به: أخلف عقباً يحيا به ذكره أم لا. فلما خرج إلى الرجل حدّثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه فزوّجه إيّاها فلما سار بها إلى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالا وافق شن طبقة فسار مثلاً. وحكي عن الأصمعي، سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن أن الشن وعاء من أدم كان قد استشن فلما تخذ غطاء وافقه ضرب فيه هذا المثل. وأما حدأة وبندقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه أو يُبلى بنظيره حدأ حدأ أو وراء ك بندقة وكان الأصل حدأة بإثبات الهاء فرخّم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل الحدأة هو الطائر المعروف وبندقة الرامي. وقيل إنهما قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فأنحت عليهم. وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة واللدد الخصومة الشديدة والجدد الأرض الغليظة المستوية والطريق الجدد لا حدب فيه ولا وعوثة يريد بذلك اتباع الحق ونبذ الباطل والسباب الشتم وقرّي فعل أمر بمعنى اسكني والإتيان من باب البيت أي مباضعتها من حيث يجب.

عنهُ لِساني، إلا إذا كَساني، ولا أرْفَعُ لهُ شِراعي، دونَ إشْباعي. فحلَفَ أبو زَيْدٍ بالمُحَرِّجاتِ الثّلاثِ(1)، أنهُ لا يملِكُ سوى أطْمارِهِ الرِّثاثِ. فنظَرَ القاضي في قَصَصِهِما نظَرَ الألمَعيّ، وأفْكَرَ فِكرَةَ اللّوذَعيّ، ثمّ أقبلَ عليْهِما بوجْهٍ قد قطّبَهُ، ومِجَنٍّ قد قلَبَهُ؛ وقال: ألَمْ يكْفِكُما التّسافُهُ في مجلِسِ الحُكْمِ، والإقْدامُ على هذا الجُرْمِ، حتى تَراقَيتُما منْ فُحْشِ المُقاذَعَةِ، إلى خُبْثِ المُخادَعَةِ(2)؟ وايْمُ اللهِ لقدْ أخطأَت استُكُما الحُفْرَةَ، ولمْ يُصِبْ سَهْمُكُما الثُّغْرَةَ، فإنّ أميرَ المؤمِنينَ، أعَزّ اللهُ ببقائِهِ الدّينَ، نصَبَني لأقْضيَ بينَ الخُصَماء، لا لأقضيَ دَينَ الغُرَماء(3)، وحَقِّ نِعمَتِهِ التي أحلّتْني هذا المَحَلّ، وملّكَتْني العَقْدَ والحَلّ، لَئِنْ لمْ تُوضِحا لي جليّةَ خَطْبِكُما، وخَبيئَةَ خِبّكُما، لأُنَدّدَنّ بكُما في الأمصارِ، ولأجْعلَنّكُما عِبرَةً لأولي الأبصارِ! فأطْرَقَ أبو زيدٍ إطْراقَ الشُجاعِ، ثمّ قالَ لهُ: سَماعِ سَماعِ(4):

---

(1) أسجن لساني أي أحبسه وكساني أي ألبسني ورفع الشراع وهو كل ما يشرع أي ينصب ويرفع وهو قطعة من قماش واسعة ترفع فوق خشبة فتنفخ فيها الريح وتدفع السفينة وشراع المرأة تريد به رجليها ترفعهما فتمكنه من نفسها عند الجماع والمحرجات الثلاث هي والله وبالله وتالله وقيل الطلاق بالثلاث وقيل بل الطلاق والعتق والسير إلى مكة مشياً والتحريج التضييق في الأمر.

(2) الأطمار واحدها طمر وقد تقدّم مراراً والرثاث واحدها رث وهي صفة بمعنى الخلق البالي وقصصهما أي رواية خبرهما والألمعي الذكي الفطن وأفكر أي فكّر اللوذعي الحاد الذهن الفطن والظريف وقطّب إذا عبس والمجن الترس وقلب المجن يعني الانقلاب من حال إلى حال ويكون في إظهار الشر والتسافه تبادل الكلام السفيه وهو الفاحش والدون من القول والإقدام أي الجرأة والجسارة والجرم الذنب وتراقيتما أي ارتفعتما وتطاولتما وتعاليتما والمقاذعة الإفحاش في القول.

(3) وايم الله قسم هو أيْمُن وأيْمَن أيْمِن الله ويحذف منه فيقال ايمُ وإيم ومُ ومِ الله لقد أخطأت استكما الحفرة الإست هي الدبر (وأما قوله: «أخطأت استكما الحفرة» فإنه مثل يضرب لمن يخطئ مقصده ويضع الشيء في غير موضعه) والثغرة نقرة النحر ونصبني أي عيّنني ولأقضي أي لأحكم من قضى إذا حكم بين المتنازعين وقضى الدين إذا أدّاه ووفّاه والغرماء واحدها الغريم وهو من له الدين أو من عليه الدين على السواء.

(4) وأحلتني أي أنزلتني والمحل هنا أي المكانة والرتبة والعقد والحل عبارة تعني القدرة على التصرّف والأمر والنهي وأوضح أي بيّن وجلا وجليّة الأمر حقيقته والخطب الأمر والخبيئة المستور من =

أنـا الـسَّـروجـيّ وهَـذي عِـرْسـي ... ولـيـسَ كُـفْـؤُ الـبـدْرِ غـيـرَ الـشّـمـسِ
ومـا تَـنـافـى أُنـسُـهـا وأُنـسـي ... ولا تَـنـاءى ديـرُهـا عـنْ قَـسّـي
ولا عـدَتْ سُـقْـيـايَ أرْضَ غَـرْسـي ... لـكِـنّـنـا مـنـذُ لَـيـالٍ خـمْـسِ
نُـصبحُ فـي ثـوبِ الـطّـوى ونُـمْـسـي ... لا نـعـرِفُ الـمَـضْـغَ ولا الـتّـحَـسّـي[1]
حـتـى كـأنّـا لـخُـفـوتِ الـنّـفْـسِ ... أشْـبـاحُ مَـوْتـى نُـشِـروا مـنْ رَمْـسِ
فـحـيـنَ عـزّ الـصّـبـرُ والـتـأسّـي ... وشَـفّـنـا الـضُـرُّ الألـيـمُ الـمَـسّ
قُـمْـنـا لـسَـعْـدِ الـجَـدّ أو لـلـنّـحْـسِ ... هـذا الـمَـقـامَ لاجـتِـلابِ فَـلْـسِ[2]
والـفَـقْـرُ يُـلْـجـي الـحُـرَّ حـيـنَ يُـرْسـي ... إلـى الـتّـحَـلّـي فـي لِـبـاسِ الـلَّـبْـسِ
فـهـذِهِ حـالـي وهَـذا دَرْسـي ... فـانـظُـرْ إلـى يـوْمـي وسَـلْ عـن أمـسـي
وأمُـرْ بـجَـبـري إنْ تَـشـا أو حـبْـسـي ... فـفـي يـدَيْـكَ صـحّـتـي ونُـكْـسـي[3]

= الأمر وخبثكما أي ما خبّأتما وطويتما من أمركما وندّد به شهّر به وصرّح بعيوبه وأسمعه القبيح والأمصار واحدها مصر وهي البلد والمدينة والعِبرة الموعظة وأولو الأبصار الناس التي تبصر وتبصّر أي تعي ما ترى وتبصر وأطرق إذا سكت وحنى رأسه والشجاع الثعبان وسماع سماع يعني اسمع اسمع.

(1) عرسي أي حليلتي وزوجتي وتنافى أي تعارض وتناءى تباعد والدير موضع ترهب رهبان النصارى والقس والقسيس رئيس الدير ويريد بذلك أيره والدير متاعها ولا عدت أي ولا تجاوزت وسقياي الماء يسقي به ويريد بذلك ماءه ومنيه وأرض الغرس أي فرجها أي أنه لا يأتيها في دبرها بل يسقي زرعه حيث يجب وثوب الطوى أي الجوع والمضغ علك القوت وطحنه والتحسّي من حسا حسواً الماء إذا نغب منه الطائر والمرق إذا شربه الرجل شيئاً بعد شيء يقول أنا السروجي وهذه حليلتي وهي كفوء كما هو البدر كفؤ الشمس وأنا وهي على وئام ومتاعي لم يضل دربه بل كان يسقي الزرع حيث هو الزرع بيد أننا منذ خمسة أيام لم نذق طعاماً ولا شراباً أو مرقاً.

(2) الخفوت من خفت صوته إذا خفضه وأخفاه وخفت خفوتاً إذا سكن والمريض انقطع كلامه وسكت والأشباح واحدها شبح وهو الشخص وظل الشيء وخياله ونشروا أي بعثوا والرمس أي القبر وعزّ الشيء إذا صار صعب المنال والتأسّي التصبّر والتجلّد وشفّنا من شفّ يشُفّ شفاً إذا استقصى وبلغ الغاية من الإيلام ويقال شفّه العشق إذا أهزله وأوهنه وكذلك المرض والجوع وما شاكلهما وسعد الجد أي حسن الحظ والنحس نقيضه أي سوء البخت واجتلاب الشيء جلبه والفلس واحد الفلوس.

(3) يلجي أي يُضطرّ ويرسي أي يقيم والتحلّي التخلّق والتزيّن ولباس اللبس أي لباس الختل والمخادعة=

فقالَ لهُ القاضي: ليَثُبْ أُنسُكَ، ولْتَطِبْ نفسُكَ! فقد حقّ لكَ أن تُغفَرَ خَطيّتُكَ، وتُوَفَّرَ عطيّتُكَ، فثارَتِ الزّوجَةُ عندَ ذلِك واستَطالَتْ، وأشارَتْ إلى الحاضِرينَ وقالتْ[1]:

يا أهلَ تبريزَ لكُمْ حاكِمٌ ... أوْفى على الحُكّامِ تبْريزا
ما فيهِ من عيْبٍ سوى أنّهُ ... يومَ النّدى قِسمَتُهُ ضِيزَى
قصَدْتُهُ والشيخُ نبْغي جَنى ... عودٍ لهُ ما زال مهْزوزا
فسَرّحَ الشيخَ وقد نالَ منْ ... جَدْواهُ تخْصيصاً وتمْييزا[2]
وردّني أخْيَبَ منْ شائِمٍ ... بَرْقاً خَفا في شهْرِ تمّوزا
كأنّهُ لمْ يدْرِ أني التي ... لقّنْتُ ذا الشّيخَ الأراجيزا
وأنّني إنْ شِئْتُ غادَرْتُهُ ... أُضْحوكَةً في أهلِ تَبْريزا[3]

قال: فلمّا رأى القاضي اجْتِراء جَنانِهما، وانصِلاتَ لِسانِهما، علِمَ أنهُ قد مُنيَ منهُما بالدّاء العَياء، والداهِيَةِ الدّهْياء، وأنهُ مَتى منَحَ أحدَ الزّوجينِ، وصرَفَ الآخرَ

= وجبري من جبر العظم إذا أصلحه من كسر والصحة العافية والنكس المرض والعلّة يقول لما بلغ من الفقر الغاية لجأنا لسعدنا أو لنحسنا بهذه الحيلة والفقر المدقع يضطرّ الحر إلى الحيلة والخداع وأنا لست كذلك فسل عن أمسي ولك أن تجبر كسري أو تحبسني ففي يديك عافيتي ومرضي.

(1) ثاب أي رجع وعاد وأنسك هي هنا بمعنى اطمئنانك وسكونك وحق لك أي صار حقاً وتوفّر أي تعطى وفيرة أي كثيرة وثارت أي هاجت ووثبت واستطالت أي تطاولت وامتدت.

(2) أوفى أي زاد والحكّام القضاة والتبريز الظهور والسبق ويوم الندى أي يوم العطاء والإكرام والقسمة الضيزى المجحفة وغير العادلة وفي سورة النجم الآية 32: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ﴾ نبغي أي نريد والجنى القطاف والثمر والمهزوز يعني أنه مقصود يهزه القاصد لإسقاط ثمره وسرّح الشيخ أي صرفه وجدواه عطيته والتخصيص هو أن يخصّه بمفرده والتمييز هو أن يميزه عن سواه.

(3) أخيب أي أكثر خيبة والشائم أي الناظر وقد تقدمت وتكون في البرق لمعرفة ما إذا كان خلفه مطر أم لا وخفا أي ومض خفية وتموز شهر حار وفي هذا ما فيه من الكناية عن الخيبة ففي تموز يندر أن تمطر ويندر أن يلتمع برق ولم يدر أي لم يعلم ولقّنت أي علمت والأراجيز واحدتها أرجوزة وهي الأبيات من بحر الرجز وهو بحر تكون قصيدته واحدة القافية في كل المصاريع وغادرته أي تركته وانصرفت عنه والأضحوكة الهزأة يضحك عليه ويضحك منه.

صَفْرَ اليَدَيْنِ؛ كان كمَنْ قضى الدّيْنَ بالدَّيْنِ، أو صلّى المغرِبَ ركْعتَيْنِ[1]. فطَلْسَمَ وطرْسَمَ، واخْرَنْطَمَ وبرْطَمَ، وهمْهَمَ وغمْغَمَ، ثمّ التفَتَ يَمنَةً وشامةً، وتملْمَلَ كآبَةً ونَدامَةً، وأخذ يذُمّ القضاء ومَتاعِبَهُ، ويَعُدّ شوائِبَهُ ونَوائِبَهُ، ويفَنّدُ طالِبَهُ وخاطِبَهُ، ثمّ تنفّسَ كما يتنفّسُ الحَريبُ، وانتَحَبَ حتى كادَ يفضَحُهُ النّحيبُ، وقال[2]: إنّ هذا لَشَيْءٌ عجيبٌ! أأُرْشَقُ في موقِفٍ بسَهْمَيْنِ؟! أأُلزَمُ في قَضيّةٍ بمَغْرَمَينِ؟! أأُطيقُ أنْ أُرضيَ الخصْمَينِ؟ ومنْ أينَ ومِنْ أينَ!؟ ثمّ عطَفَ إلى حاجِبِهِ، المُنفِذِ لمآرِبِهِ، وقال: ما هذا يومُ حُكْمٍ وقَضاءٍ، وفصْلٍ وإمْضاءٍ؛ هذا يومُ الاعتِمامِ، هذا يومُ الاغْتِرامِ، هذا يومُ البُحْرانِ، هذا يومُ الخُسْرانِ! هذا يومٌ عصيبٌ، هذا يومٌ نُصابُ فيهِ ولا نُصيبُ[3]! فأرِحْني منْ هذَينِ المِهذارَيْنِ، واقطَعْ لسانَهُما بدينارَينِ، ثمّ فرّقِ

(1) الاجتراء الجرأة والجسارة والجنان القلب وانصلات اللسان خروجه والانصلات للسيف يخرج من غمده كناية عن حدة لسانيهما ومني أصيب وابتلي والداء أي المرض والعياء الذي أعيا الأطباء والداهية الدهياء المصيبة العظمى الشديدة الدهاء ومنح أعطى وصفر اليدين أي خلو اليدين وقضى الدين أي أدّاه ووفاه وصلاة المغرب ثلاث ركعات.

(2) (وأما قوله: «طلسم وطرسم» فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله: «اخرنطم وبرطم» أي غضب وقطّب وجهه وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبّر ومعنى برطم غضب مع تعبّس وأما قوله: «همهم وغمغم» أي لم يبين الكلام) ويمنة أي إلى جهة اليمين وشامة أي جهة الشمال وربما يمنة أي جهة اليمن والشامة جهة الشام وتململ إذا تحرك قلقاً واضطرب والكآبة الحزن والندامة الحسرة على ما فات ويعدّد أي يحصي والشوائب واحدتها شائبة وهي ما يشوب الشيء وليس من جنسه وتقال في الكدر والرديء والنوائب واحدتها نائبة وهي المصيبة ويفنّد أي يخطّئ ويضعّف رأي الآخر وطالبه من يطلبه وخاطبه أي من يقصده ويريده والحريب من سُلِب ماله وانتحب بكى بصوت مسموع.

(3) أرشق أي أرمي والمغرمان الغرامتان وأطيق أي أقدر وعطف أي مال والحاجب من يحجبه عن الناس ويحجبهم عنه فلا يدخلون إلا بإذن ومنفّذ الشيء من ينجزه ويحققه والمآرب واحدتها مأرب وهي الحاجة والطلب والفصل القضاء والحكم والإمضاء التنفيذ من أمضى الأمر إمضاء أي أنفذه والاعتمام لبس العمامة والاغترام دفع الغرامة والبحران تهيّج واختلال في القوى المدركة سببه شدة المرض والخسران الخسارة والعصيب الشديد ونصاب فيه أي نُبتلى ولا نصيب أي ولا نفلح في شيء أو نأخذ شيئاً.

الأصْحابَ، وأغلِقِ البابَ، وأشِعْ أنهُ يومٌ مذمومٌ، وأنّ القاضيَ فيهِ مهمومٌ، لئلاّ يحْضُرَني خُصومٌ! قال[1]: فأمّنَ الحاجِبُ على دُعائِهِ، وتَباكى لبُكائِهِ، ثمّ نقَدَ أبا زيدٍ وعِرْسَهُ المِثقالَينِ، وقال: أشهَدُ أنّكُما لأحْيَلُ الثّقَلينِ، لكِنِ احْتَرِما مجالِسَ الحُكّامِ، واجتَنِبا فيها فُحشَ الكلامِ؛ فما كُلُّ قاضٍ قاضي تبريزَ، ولا كُلَّ وقتٍ تُسمَعُ الأراجيزُ! فقالا لهُ: مثلُك منْ حجَبَ، وشُكرُكَ قدْ وجَبَ، ونهَضا وقدْ حظِيا بدينارَينِ، وأصْلَيا قلْبَ القاضي نارَينِ[2].

---

(1) المهذار الكثير الكلام والثرثار من غير فائدة تجنى من حديثه واقطع لسانهما أي أرضهما وأسكتهما وأشع من أشاع إذا أخبر وأذاع الخبر.

(2) أمّن أي قال آمين وهي هنا بمعنى صدّق وأمضى وتباكى أي تصنّع البكاء وتكلّفه ونقده أي دفع له نقداً وأحيل اسم تفضيل من الحيلة والثقلان الإنس والجن وفي سورة الرحمن الآية 31: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ﴾ ومثلك من حجب أي مثلك من يستحق أن يكون حاجباً للسادة وشكرك قد وجب أي صار واجباً وحظيا من حظي بالرزق أي نال حظّاً منه وأصليا أي أحرقا والمراد بالنارين حرقة خسارة الدينارين ولكل منهما في قلب القاضي البخيل حرقة ولوعة.

تفسير ما أودع هذه المقامة
من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

(قوله: «لقيت منها عرق القربة» هذا مثل يضرب لمن يلقى شدة من الأمر الذي يزاوله، كما أن حامل القربة يلقى جهداً حتى يعرق).

(وقوله «جعلته دَبْرَ أذني» يعني طرحته وهو كقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ [آل عِمرَان: 187].

(وقوله: «لا نعم عوفك» العوف الحال والعوف أيضاً الذكر ويدعى للباني على أهله فيقال له: «نَعِمَ عوفك»).

(وقوله: «أكذب من سجاح» يعني التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت إليه لتناظره وتختبره ثم آمنت به، ووهبت نفسها له، وهذا الاسم المبني على الكسر مثل حِذام وقِطام لكونه من الأسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومن قولهم: ملكت فاسجح).

(وقوله: «أكذب من أبي ثمامة» هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبّأ باليمامة ومخرق بها إلى أن سار إليه خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقتله).

(وقوله «يا دفار يا فجار» هذان الإسمان معدولان عن دافرة وفاجرة والدفر النتن وبه سميت الدنيا أم دفر. وكل ما سمّي بصفة غالبة ثم عدل بها إلى فعال بني على الكسر عند النداء كقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك في غير النداء إلا في ضرورة الشعر كقول الحطيئة:

أطوّف ما أطوّف ثم آوي ... إلى بيت قعيدته لكاع

(وأما قوله: «أحمق من رجلة» فهي ضرب من الحمض تنبت في مجاري السيل فيجرفها).

(وأما قولها «ألأم من مادر» فهو رجل من بني هلال بن عامر كان اتخذ حوضاً لسقي إبله فلما رويت سلح فيه ومدره بسلحه لئلا يُنتفع به من بعده).

(وأما قولها: «أشأم من قاشر» فانه فحل كان في قبائل سعد بن زيد بن مناة بن تميم ما طرق إبلاً إلاّ ماتت وقيل المراد به العام المجدب وسمّي قاشراً لقشره ما على وجه الأرض من النبات).

(وأما قولها «أجبن من صافر» فقد اختلف في تفسيره فقال بعضهم عنى به كل ما يصفر من الطير وخصّ بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الأرض وقيل إنه طائر بعينه إذا جنّه الليل تعلّق ببعض الأغصان ولم يزل يصفر طول ليلته خوفاً على نفسه من أن ينام فيؤخذ وقيل إنه الذي يصفر بالمرأة لريبة وهو يجبن وقت صفيره مخافة أن يظهر على أمره وقيل إن المراد به في المثل المصفور به وهو الذي ينذر بالصفير ليهرب فعلى هذا القول فاعل هنا بمعنى مفعول كقوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطَّارق: 6] أي مدفوق وكقولهم راحلة بمعنى مرحولة وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى: ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسرَاء: 45]. أي ساتراً وكقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا﴾ [مريَم: 61].

(وأما قوله: «أطيش من طامر» فالمراد به البرغوث ويسمّى طامر بن طامر لكثرة وثوبه)

(وأما قول القاضي: «أراكما شناً وطبقة وحدأة وبندقة» فانه أراد أن كلاً منكما كفؤ لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه أما شن وطبقة فإن العلماء مختلفون في معنى قولهم: «وافق شن طبقة» فقال الأكثرون إنهما قبيلتان فشنّ هو ابن أفضى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حيّ من أياد وكانت طبقة لا تُطاق فأوقعت بها شن فانتصفت منها).

(كان شنٌ رجلاً من دهاة العرب وكان ألزم نفسه ألا يتزوج إلاّ بإمرأة تلائمه فكان يجول البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض أسفاره فلما أخذ منهما السير قال له شن: أتحملني أم أحملك فقال له الرجل يا جاهل وهل يحمل الراكب الراكب فأمسك وسار حتى أتيا على زرع فقال له شن لرفيقه: أترى هذا الزرع أُكل أم لا فقال له: يا جاهل أما تراه في سنبله فأمسك إلى أن استقبلتهما جنازة فقال له شن: أترى صاحبها حياً أم لا فقال ما رأيت أجهل منك أتراهم حملوا إلى القبر حيّاً ثم إنهما وصلا

إلى قرية الرجل فصار به إلى منزله وكانت له بنت تسمّى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق إلا بالصواب ولا استفهمك إلا عما يستفهم عن مثله ذوو الألباب أما قوله: أتحملني أم أحملك فإنه أراد: أتحدثني أم أحدّثك حتى نقطع الطريق بالحديث. وأما قوله: أترى هذا الزرع أكِلَ أم لا فإنه أراد: هل استسلف أربابه ثمنه أم لا. وأما استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فإنه أراد به: أخلف عقباً يحيا به ذكره أم لا. فلما خرج إلى الرجل حدّثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها إليه فزوّجه إيّاها فلما سار بها إلى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالا وافق شن طبقة فسار مثلاً. وحكي عن الأصمعي، سئل عن تفسير هذا المثل فقال أظن أن الشن وعاء من أدم كان قد استشن فلما اتخذ غطاء وافقه ضرب فيه هذا المثل. وأما حدأة وبندقة فإنه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه أو يُبلى بنظيره حدأ حدأ أو وراءك بندقة وكان الأصل حدأة بإثبات الهاء فرخّم في النداء وقد اختلف في المراد بهما فقيل الحدأة هو الطائر المعروف وبندقة الرامي. وقيل إنهما قبيلتان من سعد العشيرة فأغارت حدأة وكانت تنزل بالكوفة على بندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرت بندقة على حدأة فأنحت عليهم. وروى بعضهم هذا المثل حدا حدا غير مهموز على مثال عصا وقفا وزعم أنه اسم القبيلة).

(وأما قوله: «أخطأت إستكما الحفرة» فإنه مثل يضرب لمن يخطئ مقصده ويضع الشيء في غير موضعه).

(وأما قوله: «طلسم وطرسم» فمعنى طلسم كره وجهه ومعنى طرسم أطرق وقوله: «اخرنطم وبرطم» أي غضب وقطّب وجهه وقيل معنى اخرنطم غضب مع تكبّر ومعنى برطم غضب مع تعبّس وأما قوله: «همهم وغمغم» أي لم يبين الكلام).

المقامة التِّنّيسيّة

حدّثَ الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أَطَعْتُ دَواعيَ التّصابي، في غُلَواء شَبابي؛ فلَمْ أزَلْ زِيراً للغِيدِ، وأُذُناً للأغارِيدِ، إلى أن وافَى النّذيرُ، وولّى العيشُ النّضيرُ. فقَرِمْتُ إلى رُشْدِ الانتِباهِ، وندِمْتُ على ما فرّطْتُ في جنْبِ اللهِ[1]. ثمّ أخذْتُ في كسْعِ الهَناتِ بالحَسَناتِ، وتلافي الهفَواتِ قبلَ الفَواتِ؛ فمِلْتُ عنْ مُغاداةِ الغاداتِ، إلى مُلاقاةِ التُّقاةِ! وعنْ مُقاناةِ القَيْناتِ، إلى مُداناةِ أهلِ الدّياناتِ[2]! وآلَيتُ أن لا أصْحَبَ إلا مَنْ نزَعَ عنِ

---

(1) الدواعي واحدها الداعي ومؤنثه الداعية وهو السبب والباعث وهو من يدعو إلى رأي أو دين وهو المؤذن والتصابي هو الميل إلى الجهل والفتوة وإلى عمل أعمال الصبا والغلواء أول الشباب وحدّته والزير من الرجال الذي يحب مجالسة النساء ومحادثتهن والغيد واحدتهن الغيداء والمذكر أغيد وهي المرأة المتثنّية ليناً وهي المكتملة حسناً والناعمة البشرة والأغاريد غناء الطير والواحدة أغرودة والمذكر أغرود ووافى أي وصل والنذير من أنذر أي أعلم وتكون في الشر والنذير هنا هو الشيب ينذر بدنو الأجل وولّى أي مضى وانصرف والنضير الهانئ البهيج الناعم ويعني بذلك زمان الصبا والشباب وقرم إذا اشتدت شهوته إلى أكل اللحم استعار ذلك هنا إلى التوق إلى الإفاقة والعودة إلى رشده بعد أن سدر في غيّه طويلاً والتفريط التقصير والتضييع والعبارة تلاحظ الآية 56 من سورة الزمر: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

(2) الكسع هو الطرد وكسعه أي ضرب دبره بيده أو بصدر قدمه وتبعه بالطرد والهنات والهنوات واحدتها هنة ومذكرها الهن وهي الخصلة من الشيء والهن متاع المرأة والتلافي التجنّي والتدارك والهفوات واحدتها هفوة وهي الخطأ والزلة فملت عن الشيء أي حدت وأعرضت وتجنّبت والمغاداة من الغدو أي المجيء غدوة وهو هنا بمعنى الزيارة والغادات واحدتها غادة وقد تقدمت آنفاً والملاقاة الالتقاء والتقات إما أن يكون جمع التقي وهو العابد المتحنّث والبار الذي يخشى الله في القول والعمل وإما أن يكون مصدراً كما هو في سورة عمران الآية 28: =

الغَيّ، وفاءَ منشَرُهُ إلى الطّيّ! وإنْ ألْفَيْتُ من هوَ خَليعُ الرّسَنِ، مَديدُ الوسَنِ؛ أنأيْتُ داري عن دارِهِ، وفرَرْتُ عنْ عَرّهِ وعارِهِ(1). فلمّا ألقَتني الغُربَةُ بتِنّيسَ، وأحَلّتني مسجِدَها الأنيسَ؛ رأيتُ بهِ ذا حَلقَةٍ مُلتَحمَةٍ، ونظّارَةٍ مُزدَحِمةٍ، وهوَ يقولُ بجأشٍ مَكينٍ ولِسانٍ مُبينٍ: مِسكينٌ ابنُ آدمَ وأيُّ مِسكينٍ؛ ركَنَ من الدّنيا إلى غيرِ رَكينٍ، واستَعصَمَ منها بغيرِ مَكينٍ(2)، وذُبِحَ من حُبّها بغيرِ سِكّينٍ! يَكْلَفُ بها لغَباوَتِهِ، ويَكْلَبُ عليْها لشَقاوَتِهِ، ويعْتَدّ فيها لمُفاخرَتِهِ، ولا يتزوّدُ منها لآخرَتِهِ! أُقسمُ بمَنْ مرَجَ البَحرَينِ، ونوّرَ القمَرَينِ، ورفَعَ قدْرَ الحجرَيْنِ(3)! لوْ عقَلَ ابنُ آدَمَ، لما نادَمَ! ولوْ فكّرَ في ما قدّمَ، لبَكى الدّمَ! ولوْ ذكَرَ المُكافاةَ، لاستَدرَكَ ما فاتَ! ولوْ نظَرَ في

= ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ والمقاناة من قاناه مقاناة أي خالطه والقينات واحدتها قينة وهي الأمة المغنية والمداناة أي الدنو والتقرب وأهل الديانات المتعبدين.

(1) آليت أي أقسمت وحلفت ونزع الشيء أعرض عنه والغي الضلال وفاء أي عاد ومنشره يريد بذلك ما نشر من أمره يقول إنه طوى ماضيه وألفيت أي وجدت وخليع الرسن أي من لا وازع ولا رادع يردعه فخليع الرسن دابة لا يربطها شيء فتجري كما طاب لها ومديد الوسن أي طويل الغفلة والوسن هو النوم وأنأيت أي أبعدت وفررت أي هربت والعرّ هو الجرب وهو هنا العيب.

(2) تنيس بلدة في مصر وكانت مشتهرة بمنسوجاتها وأحلتني أي أنزلتها وذو الحلقة أي من أحاط به الناس كالحلقة والملتحمة أي المتراصّة والملتصقة والنظّارة المتفرجون والمشاهدون والجأش رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ويقال رابط الجأش إذا ثبت ومكين الجأش يعني ثابته وركن أي وثق وغير ركين أي غير ثابت واستعصم أي اتقى وحمى نفسه والمكين الثابت والراسخ.

(3) الذبح بغير سكين كناية عن طول العذاب وشدته ويكلف بالشيء يولع به ويتعشّقه والغباوة الجهل والحمق والبلادة ويكلب على الشيء من الكلب وهو داء يصيب الكلاب فتستشرس فتنهش لحم البشر واستعير الفعل لتكالب البشر على الدنيا واعتدّ اعتداداً أي صار معدوداً والمراد أن ابن آدم يعمل ويكدس كي يصير معدوداً ليفاخر بما جنى وجمع ومرج أي خلط وفي سورة الرحمن الآية 19: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ وفي سورة الفرقان الآية 53: ﴿۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ والقمران أي الشمس والقمر وغلّبوا القمر كما قالوا العمرين لأبي بكر وعمر وأما الحجران فالحجر الأسود في مكة والحجر الذي كان يرتقيه ابراهيم النبي عند بناء الكعبة أو الحجر الذي في القدس وقيل إنهما الذهب والفضة وأنا أميل إلى القول بحجر القدس والحجر الأسود.

المآلِ، لحسّنَ قُبْح الأغمالِ! يا عجَباً كلَّ العجَبِ؛ لمَنْ يقتَحِمُ ذاتَ اللّهَبِ، في اكْتِنازِ الذّهبِ، وخزْنِ النّشَبِ، لذوي النّسَبِ[1]! ثمّ منَ البِدْعِ العَجيبِ، أن يعِظَكَ وخْطُ المشيبِ! وتؤذِنُ شمسُكَ بالمَغيبِ، ولستَ ترى أن تُنيبَ، وتهذّبَ المَعيبَ! ثمّ اندفَعَ يُنشِدُ، إنشادَ منْ يُرشِدُ[2]:

يا ويْحَ مَنْ أنذرَهُ شَيبُهُ ... وهوَ على غَيّ الصِّبا منكَمِشْ
يعْشو إلى نارِ الهَوى بعْدَما ... أصبَحَ من ضُعْفِ القُوى يرتَعِشْ
ويمتَطي اللهْوَ ويغْتَدُّهُ ... أوْطأ ما يفتَرِشُ المُفتَرِشْ[3]
لم يهَبِ الشّيبَ الذي ما رأى ... نجومَهُ ذو اللُّبّ إلا دُهِشْ
ولا انتهَى عمّا نَهاهُ النُّهى ... عنهُ ولا بالى بعِرْضٍ خُدِشْ[4]
فذاكَ إنْ ماتَ فسُحْقاً لهُ ... وإن يعِشْ عُدّ كأنْ لمْ يعِشْ
لا خيْرَ في مَحْيا امرئٍ نشْرُهُ ... كنَشْرِ ميْتٍ بعدَ عشْرٍ نُبِشْ

(1) نادم أي جالس للشراب والمكافاة الجزاء والمآل أي العاقبة ويقتحم أي يدفع نفسه في أمر على شدّة ومشقة وعسر وذات اللهب من أسماء النار وفي سورة المسد الآية 3: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ واكتناز الذهب جمعه ودفنه والنشب الأصيل من المال والماشية يقول أعجب لمن يرمي نفسه في النار بجمعه الذهب والمال ولكن لغيره من الورثة.

(2) البدع من الأمور الجديد ولم يسبق له مثيل ووخط المشيب أي بروزه فوخط أي خالط ووخطه المشيب أي خالط سواد شعره وتؤذن أي تعلم وتخبر وتنيب أي ترجع وتتوب والمعيب الكثير العيب يريد إصلاح العيوب التي فرطت ومن يرشد أي يهدي.

(3) أنذره أي حذّره والغي الضلال والصبا الشباب ومنكمش أي منقبض وهي هنا بمعنى الملازمة والالتصاق بالغي أي الضلال ويعشو أي نظر نظر الأعشى وقصد إلى حيث ينظر وفي الأصل أن العشو هو أن يرى المرء في الليل فيقصدها طلباً للقرى أو المبيت ونار الهوى أي نار الميول والرغبات ويرتعش أي يرتجف ويضطرب ويمتطي أي يركب ويعتد أي يعدّ ويعتبر وأوطأ صيغة تفضيل بمعنى اللين والفراش الوطيء هو اللين المريح.

(4) لم يهب أي لم يخف ونجوم الشيب الشعرات البيض وذو اللب أي العاقل الحصيف وانتهى أي كف وأقلع والنهى العقل وبالى أي أبِه واهتم والعرض ما يمدح ويذم في المرء وخدش أي أصيب بجرح والخدش الخمش وتمزيق الجلد يريد ولا يبالي إن قدح أحد عرضه.

وحــبّــذا مَــن عِــرضُــهُ طــيّــبٌ ... يَــروقُ حُــسْــنــاً مــثــلَ بُــرْدٍ رُقِــشْ
فــقُــلْ لــمَــن قــد شــاكَــهُ ذنــبُــهُ ... هــلَــكْــتَ يــا مِــسـكـيـنُ أو تــنــتَــقِــشْ(1)
فــأخْــلِــصِ الــتّــوبَــةَ تــطــمِــسْ بــهــا ... مــنَ الــخَــطــايــا الــسـودِ مــا قــد نُــقِــشْ
وعــاشِــرِ الــنــاسَ بــخُــلْــقٍ رِضًــى ... ودارِ مــنْ طــاشَ ومــنْ لــم يــطِــشْ
ورِشْ جَــنــاحَ الــحُــرّ إنْ حَــصّــهُ ... زمــانُــهُ لا كــانَ مــنْ لــم يــرِشْ(2)
وأنــجِــدِ الــمــوْتــورَ ظُــلــمــاً فــإنْ ... عــجِــزْتَ عــن إنْــجــادِهِ فــاســتــجِــشْ
وانــعَــشْ إذا نــاداكَ ذو كَــبْــوَةٍ ... عــســاكَ فــي الــحَــشْــرِ بــهِ تــنــتَــعِــشْ
وهــاكَ كــأسَ الــنُّــصْــحِ فــاشــرَبْ وجُــدْ ... بــفَــضْــلَــةِ الــكــأسِ عــلــى مَــنْ عــطِــشْ(3)

قال:

فلمّا فرَغَ من مُبكِياتِهِ، وقضَى إنشادَ أبياتِهِ؛ نهضَ صبيٌّ قد شدَنَ، وأعْرى البَدَنَ،

(1) سحقاً له دعاء عليه بالهلاك والبعد عن رحمة ربه والمحيا أي الحياة والنشر هو الرائحة ونشر الميت رائحته ونبش أي استخرج من قبره والعشر تعني عشرة أيام يقول ولا خير في حياة مخلوق رائحته رائحة جيفة مضى عليها في القبر عشرة أيام وحبّذا بمعنى أحبب ويروق أي يبهج ويمتع ويلذ والبرد الثوب ورُقش أي زيّن ونقش وشاكت الشوكة الرجل أي وخزته فآلمته وتنتقش وهو من انتقش الشوكة أي استخرجها واستعار ذلك للذنب الذي يخز الضمير فيكون النقش بازالته كما تزال الشوكة يريد بالإنابة والعمل الصالح.

(2) تطمس أي تمحو وتزيل والخطايا السود أراد بها الكبائر ولونها بالسواد لأنها كبيرة ومظلمة ونقش أي خُطّ وكتب في صحيفته وهي سجل أعماله وعاشر أي وصاحب والخلق أي الطبع والسجية والرضا أي الوادع والمرضي ودار أي لاطف وساير وطاش أي خفّ ونزق ورش أي اكس بالريش والحر الكريم والعزيز وحصّه أي نتف ريشه وأذهبه يقول وأعن الكريم والعزيز إن أتاه دهره بما يكره فلا كان من لا يخف لمعونة الناس.

(3) أنجد أي أنصر وأعن والموتور من له ثأر ولم يدركه وهي هنا تعني المظلوم واستجش من استجاش إذا حرض على الإعانة وإذا جمع الجيش يقول وساعد من ظلم فإذا لم تستطع وعجزت فاطلب العون من الآخرين وجيّشهم لذلك وأنعش أي وارفع وأقل والكبوة السقطة والزلة والهفوة وتنتعش أي ترتفع وتقوم من عثرتك يقول وخذ بيد من سقط فأنهضه فقد يكتب ذلك في حسنتك فتقام به من كبوتك هناك وجد أي وتكرّم وفضلة الكأس ما بقي فيها يقول وهذا كأس النصيحة فاشرب وتفضل بالبقية على من عطش أي من يحتاج إلى النصح والإرشاد.

وقال: يا ذَوي الحَصاةِ، والإنْصاتِ إلى الوَصاةِ! قد وعَيْتُمُ الإنشادَ، وفقِهتُمُ الإرْشادَ! فمَن نَوى منكُمْ أن يقْبَلَ[1]، ويُصلِحَ المُستَقبَلَ؛ فلْيُبِنْ ببِرّي عنْ نِيّتِهِ، ولا يعدِلْ عني بعَطيّتِهِ! فوالذي يعلَمُ الأسرارَ، ويغفِرُ الإصْرارَ! إنّ سرّي لكَما ترَوْنَ، وإنّ وجهي ليَستَوْجِبُ الصّوْنَ! فأعينوني رُزِقْتُمُ العوْنَ[2]. قال: فأخذَ الشيخُ في ما يعطِفُ عليْهِ القُلوبَ، ويُسَنّي لهُ المطْلوبَ؛ حتى أنْبَطَ حَفرُهُ، واعْشَوشَبَ قَفْرُهُ. فلمّا أنْ ترِعَ الكيسُ، انصَلَتَ يميسُ، ويحمَدُ تِنّيسَ. ولمْ يخْلُ للشيخِ المُقامُ، بعْدَما انْصاعَ الغُلامُ. فاستَرْفَعَ الأيْدي بالدّعاء، ثمّ نَحا نحْوَ الانكِفاء[3].

قال الراوي:

فارتَحْتُ إلى أن أعجُمَهُ، وأحُلَّ مُترجَمَهُ، فتَبعتُهُ وهو يشتَدّ في سمْتِهِ، ولا يفْتُقُ رتْقَ صمتِهِ. فلمّا أمِنَ المُفاجيَ، وأمكَنَ التّناجي؛ لفَتَ جيدَهُ إليّ، وسلّمَ تسْليمَ البَشاشَةِ عليّ، ثمّ قال: أراقَكَ ذكاءُ ذاكَ الشُّوَيْدِنِ؟ فقلتُ: إي والمؤمِنِ المُهَيمِنِ[4]!

---

(1) فرغ أي انتهى والمبكيات المواعظ المبكية وقضى أي أتم ونهض قام وشدن الظبي وغيره قوي واستغنى عن أمّه وأعرى البدن أي عرّاه فبدا من غير ثياب والحصاة العقل والرزانة والإنصات أي الاستماع والوصاة الوصية ووعيتم أي حفظتم ولقنتم وفقهتم أي فهمتم ويقبل أي يرضى وقبل الشيء قبولاً أخذه ورضي به.

(2) بري أي إكرامي وعدل عنه إذا مال إلى غيره والعطية العطاء يقول فمن قبل نصحي وأراد إصلاح مستقبله فليظهر نيته باكرامي وعطائي والإصرار التمادي وقوله إن سري لكما ترون يعني أن ليس لديه ما يخفيه فظاهره وباطنه سواء ويستوجب يجب له ويلزم والصون الحفظ وحفظ الوجه صونه عن الطلب وذلّه.

(3) سنّى تسنية الشيء سهّله والأمر يسّره وأنبط أي صار ذا نبط وهو الماء المستخرج من البئر واعشوشب أي نبت فيه العشب والقفر المفازة لا نبات فيها وترع الكيس أي امتلأ جيداً وانصلت في سيره أي جدّ وسبق ويميس أي يتمايل فرحاً وانصاع أي رجع أو مرّ مسرعاً واسترفع الأيدي أي طلب رفعها ونحا أي قصد والانكفاء أي الرجوع من حيث جاء.

(4) ارتحت إلى الشيء أي أردته وتقت إليه وأعجمه أي أختبره وأحل مترجمه أي أبين حقيقته وجلية أمره ويشتدّ أي يجدّ وسمته أي طريقه ومذهبه ويفتق أي يخرق والرتق الإغلاق والجملة تعني أنه كان ساكتاً لا يخرق صمته ولو بكلمة والمفاجي ما يحدث فجأة وأمكن أي صار ممكناً والتناجي المحادثة والمسارّة ولفت أي أمال وجيده عنقه وأراقك أي هل لذّ لك وأعجبك والشويدن =

قال: إنهُ فتى السّروجيّ، ومُخرِجِ الدُّرّ منَ اللُّجّيّ! فقلْتُ: أشهَدُ إنّكَ لَشَجرَةُ ثمرَتِهِ، وشُواظُ شرَرَتِهِ! فصدّقَ كَهانَتي، واستَحْسَنَ إبانَتي؛ ثمّ قال: هل لكَ في ابتِدارِ البيتِ، لنَتنازَعَ كأسَ الكُميتِ؟ فقلتُ لهُ: ويْحَكَ أتأمُرونَ[1] الناسَ بالبِرّ وتَنسَوْنَ أنفُسَكُمْ؟! فافترّ افتِرارَ مُتَضاحِكٍ، ومرّ غيرَ مُماحِكٍ. ثمّ بَدا لهُ أنْ تَراجَعَ إليّ، وقال: احفَظْها عني وعليّ[2]:

إصْرِفْ بصِرْفِ الرّاحِ عنكَ الأسى ... وروّحِ القلْبَ ولا تكتَئِبْ
وقلْ لمَنْ لامكَ في ما بِهِ ... تدفعُ عنكَ الهمّ قدْكَ اتّئِبْ[3]

ثمّ قال: أمّا أنا فسأنطَلِقُ؛ إلى حيثُ أصطَبِحُ وأغْتَبِقُ! وإذا كُنتَ لا تَصحَبُ، ولا تُلائِمُ مَن يطرَبُ؛ فلسْتَ لي برَفيقٍ، ولا طريقُكَ لي بطَريقٍ. فخَلّ سَبيلي ونكّبْ، ولا تُنقّرْ عني ولا تُنقّبْ! ثمّ ولّى مُدْبِراً ولمْ يُعَقّبْ.

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

= تصغير الشادن وهو ولد الظبية استعير للغلام الحدث الجميل والمؤمن والمهيمن من أسماء الله الحسنى.

(1) اللجي البحر البعيد الغور وشجرة ثمرته يعني بذلك أنه أبوه والشواظ النار لا دخان فيها والمراد كما في العبارة السابقة وصدق هنا بمعنى وافق وأيّد وكهانتي فراستي والكهانة الإخبار بالغيب وإبانتي أي تبييني وإظهاري وهي هنا بمعنى معرفتي له وابتدار البيت أي المسارعة إليه ونتنازع هنا تأتي بمعنى نتعاطى والكميت من أسماء الخمرة وقوله أتأمرون إلى أنفسكم فآية قرآنية وردت في سورة البقرة الآية 44 وهي بتمامها: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

(2) افترّ إذا فتح شفتيه متبسّماً والمتضاحك متكلّف الضحك ومماحك من ماحك إذا جادل ولاحى وبدا له أي رأى رأياً أو خطر له رأي غير الذي كان يراه وتراجع أي انكفأ إلى وراء ورجع واحفظها عني أي خذها وحصّلها واحفظها عليّ أي اكتمها واسترها.

(3) إصرف فعل أمر بمعنى أزل وصرف الراح أي الخمرة لم تمزج بشيء والراح من أسماء الخمرة والأسى الحزن وروّح أي أجمّ وارح ولا تكتئب أي لا تكن مغموماً كئيباً وقدك أي حسبك واتئب من آب أي ارجع وكفّ.

فالْتَهَبْتُ وجْداً عندَ انطِلاقِهِ، ووَدِدْتُ لوْ لمْ أُلاقِهِ[1].

(1) اصطبح أي شرب في الصباح واغتبق أي شرب في المساء وشرب الأول يدعى الصبوح والثاني الغبوق وتلائم توافق وتتفق وتتكيف ومن يطرب أي يفرح وينبسط ونكّب فعل أمر بمعنى تنحّ وابتعد وهو في الأصل أن يجعل منكبه لجهة الطريق وتنقر عن الشيء إذا بحثت عنه ونقّب عن الشيء إذا بحث عنه واستطلع سرّه وولّى إذا انصرف ومدبراً من أدبر إدباراً أي جعل وراءه ويعقّب من عقّب أي كرّ ورجع وفي سورة النمل الآية 10: ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ وكذلك في القصص الآية 31 والتهبت أي اشتعلت والوجد المحبة وانطلاقه أي مسيره ووددت أي تمنيت وأحببت.

المقامة النَّجرانِيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

تَرامتْ بي مَرامي النّوى، ومسَاري الهَوى، إلى أن صِرْتُ ابنَ كُلّ تُربَةٍ، وأخا كُلّ غُربةٍ! إلا أني لمْ أكُنْ أقطَعُ وادِياً، ولا أشهَدُ نادِياً، إلا لاقْتِباسِ الأدَبِ المُسْلي عنِ الأشْجانِ، المُغْلي قيمَةَ الإنسانِ. حتى عُرِفَتْ لي هذه الشِّنْشِنَةُ، وتناقلَتْها عني الألسنَةُ[1]. وصارتْ أعْلَقَ بي منَ الهوى ببَني عُذْرَةَ، والشّجاعَةِ بآلِ أبي صُفرَةَ! فلمّا ألْقَيتُ الجِرانَ بنَجْرانَ، واصطَفَيتُ بها الخُلاّنَ والجيرانَ؛ تخِذْتُ أندِيَتَها مُعتَمَري، وموسِمَ فُكاهَتي وسمَري[2]. فكنْتُ أتعَهّدُها صَباحَ مساء، وأظهَرُ فيها على ما سرّ

(1) ترامت به أي رمته وأخرجته من مكان إلى مكان والنوى البعد والمساري واحدها المسرى وهو موضع السرى وهذا يعني سفر الليل والتربة ظاهر الأرض وابن كل تربة أي ابن كل بلدة وأخو كل غربة كناية عن كثرة أسفاره والاقتباس في أصل معناه أخذ نار من نار وهو هنا استفادة الأدب والمسلي أي الذي ينسي والأشجان واحدها شجن وهو الحزن والمغلي أي الذي يجعل غالياً والشنشنة العادة والديدن والطبيعة وفي الأمثال شنشنة أعرفها من أخزم.

(2) وأعلق أي ألصق وأكثر ملازمة والهوى العشق وبنو عذرة قبيلة عربية اشتهر أهلها بالحب والتفاني فيه حتى صار الحب العذري اسماً للعشق المتعفّف الذي يذهب بصاحبه ومن أشهر العذريين جميل بثينة وعروة بن حزام وآل أبي صفرة قوم اشتهروا بالشجاعة ومنهم المهلّب الذي حارب الأزارقة وهم من الخوارج في زمان عبد الملك بن مروان والجران مقدم عنق البعير وإذا ألقى البعير جرانه يكون قد برك وهو هنا كناية عن الإقامة ونجران مدينة في شمالي اليمن وعلى حدود عسير واصطفيت أي اخترت والخلان واحدها خليل وهو الصاحب وتخذت أي اتخذت وأنديتها والواحد ناد المجلس ومجتمع الناس ومعتمري أي موضع زيارتي والموسم العيد والفكاهة الحديث الذي تطيب به النفس والسمر حديث الليل.

وساء. فبَينَما أنا في نادٍ مَحْشودٍ، ومَحْفِلٍ مشْهودٍ، إذ جثَمَ لدَيْنا هِمٌّ، علَيهِ هِدْمٌ؛ فحَيّا تحيّةَ ملِقٍ، بلِسانٍ ذلِقٍ، ثمّ قال[1]: يا بُدورَ المَحافِلِ، وبحورَ النّوافِلِ! قد بيّنَ الصّبحُ لِذي عيْنَينِ، ونابَ العِيانُ مَنابَ عدْلَينِ؛ فماذا تَروْنَ، في ما ترَوْنَ؟ أتُحسِنونَ العَوْنَ، أم تنأوْنَ، إذْ تُدعَوْنَ[2]؟

فقالوا: تاللهِ لقَدْ غِظْتَ، ورُمْتَ أن تُنبِطَ فغِضْتَ! فناشَدَهُمُ اللهَ عمّاذا صدّهُمْ، حتى استَوجَبَ ردَّهُمْ. فقالوا: كنّا نتَناضَلُ بالألْغازِ، كما يُتَناضَلُ يومَ البِرازِ. فما تمالَكَ أن شعّثَ منَ المَنْضولِ، وألْحَقَ هذا الفضْلَ بنمَطِ الفُضولِ! فلَسَنَتْهُ لُسْنُ القوْمِ، ووَخَزوهُ بأسنّةِ اللّوْمِ[3]. وأخذَ هوَ يتنصّلُ من هَفوَتِهِ، ويتندّمُ على فَوْهَتِهِ، وهُمْ مُضِبّونَ على مؤاخذَتِهِ، ومُلَبّونَ داعيَ مُنابَذَتِهِ، إلى أن قالَ لهُمْ: يا قومِ إنّ

(1) أتعهدها أي أتفقدها صباح مساء وأظهر على الشيء أي أقف وأطّلع عليه وسرّ وساء أي أفرح وآذى والمحشود المزدحم والمحفل مكان اجتماع الخلق والمشهود من شهد أي رأى وحضر وجثم أي جلس وبرك والفعل يقال في الطير والهِمّ الشيخ الفاني والهِدم الثوب الخلق البالي والملِق المخادع المتملّق والذلق صفة في اللسان تعني أنه فصيح وذرب.

(2) النوافل واحدتها النافلة وهي العطية وبين أي أظهر والعبارة مثل عربي يقال للأمر وقد برز فلا حاجة للإيضاح والعيان أي الرؤية وناب منابه أي قام مقامه والعدل من الشهود الموثوق به والمرضيّ للشهادة وماذا ترون أي ما رأيكم وترون أي تبصرون وأحسن الشيء إذا قدر عليه وأجاده والعون أي الإعانة وتنأون أي تبتعدون وتتأخرون.

(3) غظت أي أغضبت ورمت من رام الشيء إذا أراده وتنبط أي تستخرج الماء وغضت أي غيّبت وجففت وناشدهم الله أي استحلفهم بالله وسألهم به وعماذا صدهم أي عن أي شيء صرفهم واستوجب أي استحقّ ونتناضل أي نترامى والألغاز واحدها لغز وهو الأحجية والسؤال المستغلق المعمّى ويوم البراز أي يوم الحرب حين يخرج فارس إلى الميدان فيهتف هل من مبارز حتى يخرج إليه قِرنه فيتجالدا حتى يغلب أحدهما الآخر وما تمالك أي لم يتماسك ولا ملك نفسه وشعّث أي غبّر وفي رواية شعّب أي فرّق وأراها أولى فالمنضول المغلوب أو المرمي به وهو هنا حديثهم وعليه تكون الجملة بمعنى فما عتم أن أنقص من قدر ما هم فيه من الحديث والحق أي اتبع والفضل البقية والزيادة والإحسان والنمط النوع من كل شيء والفضول جمع الفضل وهو اشتغال المرء بما لايعنيه والفضول ما لافائدة تحته ولسنته أي تناولته وعابته ولسن واحدها اللسِن أي الفصيح المتكلّم ووخزوه أي شكّوه وآلموه والأسنّة واحدها سنان وهو حديدة تكون في الرمح واللوم التثريب والملامة.

الاحتِمالَ منْ كرَمِ الطّبْعِ، فعَدّوا عنِ اللّذْعِ والقَذْعِ! ثمّ هلُمّ إلى أن نُلغِزَ، ونُحكّمَ المُبرِّزَ[1]! فسكنَ عندَ ذلِك توقُّدُهُمْ، وانحَلّتْ عُقدُهمْ، ورَضوا بما شرَطَ عليهِمْ ولَهُمْ، واقترَحوا أنْ يكونَ أوّلَهُمْ. فأمسكَ ريْثَما يُعقَدُ شِسْعٌ، أو يُشَدّ نِسْعٌ، ثمّ قال: اسمَعوا وُقيتُمُ الطّيشَ، ومُلّيتُمُ العيْشَ! وأنشدَ مُلغِزاً في مِروَحَةِ الخيْش[2]:

وجارِيَةٍ في سيرِها مُشمَعِلّةٍ ولكِنْ على إثْرِ المَسيرِ قُفولُها:
لها سائِقٌ من جِنسِها يستَحثّها على أنهُ في الإحتِثاثِ رَسيلُها
تُرى في أوانِ القَيظِ تنطُفُ بالنّدى ويَبدو إذا ولّى المَصيفُ قُحولُها[3]

ثمّ قال: وهاكُمْ يا أولي الفضْلِ، ومَراكِزَ العقْلِ! وأنشَدَ مُلغِزاً في حابولِ النّخْلِ:

ومُنتَسِبٍ إلى أمٍّ تَنَشّا أصْلُهُ منها
يُعانِقُها وقد كانتْ نفَتْهُ بُرهَةً عنها

(1) تنصّل من الشيء أي تبرّأ منه والهفوة الغلطة والزلّة والفوهة الكلمة وقد تفوّه بها ومضبّون أي مجمعون وملبّون من لبّى إذا استجاب للشيء والمنابذة من نبذ إذا هجر واطّرح وابعد والاحتمال التحمّل وعدّوا فعل أمر بمعنى تجاوزوا ودعوا واللذع الإحراق والكي يريد بذلك الكلام المؤلم والقذع أي الفحش في القول وهلمّ نلغز أي هيّا بنا نقول في الألغاز ونحكّم أي نجعل الحكم للمبرّز أي للظاهر المتفوّق.

(2) سكن أي قرّ وهدأ وتوقّدهم اضطرامهم واشتعالهم أي غضبهم وانحلّت أي انفكّت وعقدهم والواحدة عقدة مثل يضرب للهائج إذا سكن واقترحوا أي طلبوا وريث ما أي مدة ما ويعقد أي يربط والشسع شراك النعل والنسع حزام يكون في وسط البعير ووقيتم الطيش دعاء لهم بمعنى أي حماكم الله من الخفة والنزق وملّيتم العيش دعاء أيضاً بطول العمر ومروحة الخيش وسيلة توسلها أهل بغداد في القديم وهي نشر الخيش وقد بل بالماء في الغرفة وجرّه وتحريكه بخيط يربط به فإذا تحرك تحرك الهواء رطباً فأنعش من فيها.

(3) الجارية من الجري سماها كذلك لأنها تذهب وتجيء والمشمعلّة السريعة الذهاب والقفول العودة والرجوع ويستحثها أي يحضّها ويستعجلها ومن جنسها يريد أنه من الكتان أو القنّب والرسيل أي المرسل يريد أنه يذهب ليعود معها والرسيل الفرس يرسل مع فرس آخر في السباق والقيظ زمن الحر الشديد وتنطف أي تقطر وتسيل وولى أي ذهب وأدبر والمصيف زمن الصيف والقحول اليبس والجفاف.

بِـــهِ يـــتـــوصّـــلُ الـــجـــانـــي ولا يُـــلْـــحـــى ولا يُـــنْـــهـــى[1]

ثمّ قال: ودونَكُمُ الخَفيّةَ العلَمِ، المُعتَكِرَةَ الظُّلَمِ؛ وأنشدَ مُلغِزاً في القلَمِ:

ومـــأمـــومٍ بـــهِ عُـــرِفَ الإمـــامُ كـمـا بـاهَـتْ بـصُـحْـبَـتِـهِ الـكِـرامُ
لـهُ إذ يـرتَـوي طَـيْـشـانُ صـادٍ ويـسـكُـنُ حـيـنَ يـعْـروهُ الأُوامُ
ويُـذْري حـيـنَ يُـسـتَـسْـعـى دُمـوعـاً يـرُقْـنَ كـمـا يـروقُ الإبـتِـسـامُ[2]

ثمّ قال: وعلَيْكُمْ بالواضِحَةِ الدّليلِ، الفاضِحَةِ ما قيلَ؛ وأنشدَ مُلغِزاً في المِيلِ:

ومـا نـاكِـحٌ أُخـتَـيـنِ جَـهْـراً وخُـفـيَـةً ولـيـسَ عـلـيـهِ فـي الـنّـكـاحِ سَـبـيـلُ
متى يغْشَ هذي يغْشَ في الحالِ هذه وإنْ مـالَ بـعْـلٌ لـمْ تـجِـدْهُ يَـمـيـلُ
يَـزيـدُهُـمـا عـنـدَ الـمَـشـيـبِ تـعـهّـداً وبِـرّاً وهـذا فـي الـبُـعـولِ قَـلـيـلُ[3]

---

(1) هاك أي خذ وهاكم أي خذوا وأولو الفضل أصحابه ومراكز العقل أي مواضعه ومحاله والحابول حبل يتخذ من ليف النخل يستعان به للصعود إلى النخلة وتنشّا من نشأ أي تولّد ونفته أبعدته ونبذته والبرهة المدة ويتوصّل أي يصل والجاني من جنى إذا قطف الثمروالإيهام هنا في لفظ الجاني فهو القاطف وهو مرتكب الجناية ويلحى أي يلام وينهى أي يردع ويمنع.

(2) دونكم أي هاكم أي خذوا والخفية أي المستترة والعلم أي العلامة والمعتكرة الظلم من اعتكر الظلام إذا اشتد وتراكم وتلبّد والمأموم من يرأسه آمة أي جرح أو شجة يريد بذل الشق في رأس القلم والإمام الكتاب وفي سورة يسن الآية 12: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وفي سورة الإسراء الآية 71: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ وباهت أي افتخرت يريد أن الكرام افتخروا بصحبته والطيشان الخفة والنزق والصادي العطشان الظامئ ويسكن أي يهدأ ويعروه أي يصيبه والأوام أي العطش يقول وهو حين يرتوي يجول جولان العطشان يريد بذلك السرعة في الكتابة حتى إذا عطش يعني نفد حبره سكن ويذري أي ينشر ويستسعى أي يُطلب منه السعي وهو هنا الكتابة ويرقن أي يعجبن يقول حتى إذا طُلب إليه أن يسعى أي يكتب ذرف دموعاً ولكنها لا تحزن بل تلذ وتعجب وكأنها الابتسام.

(3) الميل هو المرود أي ما يوضع عليه الكحل لتكحيل العين وناكح الأختين أراد بذلك العينين وناكحهما يعني بذلك أنه يدخل بهما هذا ومن المعروف أن الفقهاء استعاروا الميل ودخوله المكحلة للإيلاج أي دخول الذكر في الفرج والجهر العلانية وليس عليه سبيل أي لا حجة عليه ولا سبب للعقاب ويغشى أي يدخل ومال أي عدل وزال والبعل الزوج والتعهد التفقد والبر الرعاية والإكرام يريد وعند المشيب كناية عن الهرم حين يضعف البصر فإنه يزيدهما عناية وتفقداً وإكراماً وهذه خصلة حميدة قلما عرفتها الأزواج.

ثم قال: وهذِهِ يا أولي الألْبابِ، مِعْيارُ الآدابِ؛ وأنشَد مُلغِزاً في الدّولابِ:

وجـــافٍ وهْـــوَ مـــوْصــولٌ   وَصــولٌ لــيــسَ بــالــجــافــي
غَـــريـــقٌ بـــارِزٌ فـــاعْـــجَـــبْ   لـــهُ مـــنْ راسِـــبٍ طـــافِ
يـــسُـــحّ دُمـــوعَ مـــهْـــضـــومٍ   ويـــهْـــضِـــمُ هَـــضْـــمَ مِـــتْـــلافِ
وتُـــخْـــشـــى مـــنـــهُ حِـــدّتُـــهُ   ولـــكِـــنْ قـــلْـــبُـــهُ صـــافِ[1]

قال:

فلمّا رشَقَ، بالخَمْسِ التي نسَقَ، قال: يا قوْمِ! تدَبّروا هذهِ الخمْسَ، واعْقِدوا عليْها الخَمْسَ! ثمّ رأيَكُمْ وضَمّ الذّيلِ، أوِ الازدِيادَ منْ هَذا الكَيْلِ![2]

قال:

فاستَفزّتِ القوْمَ شهوَةُ الزّيادَةِ، على ما أُشرِبوا منَ البَلادَةِ، فقالوا لهُ: إنّ وُقوفَنا دونَ حدّكَ، ليُفْحِمُنا عنِ استيراء زنْدِكَ، واستِشْفافِ فِرِنْدِكَ! فإنْ أتْمَمتَ عشْراً فمِنْ عِندِكَ. فاهتزّ اهتِزازَ منْ فلَجَ سهمُهُ، وانخَزَلَ خصْمُهُ. ثمّ افتَتَح النُطْقَ بالبَسمَلَةِ، وأنشدَ مُلغِزاً في المُزَمّلَةِ[3]:

---

(1) أولو الألباب أي أصحاب العقول ومعيار الشيء عياره وميزانه ومقياسه والدولاب قد يكون دولاب الناعورة أو الدولاب الذي يوضع فوق البئر ويوصل باناء ترفع به الماء والجافي من جفا جفاءً وجفاءةً إذا لم يلزم مكانه وإذا ثقل وموصول أي متصل أي مرتبط ببعضه وليس من الوصال الذي هو ضد الجفاء والوصول أي الكثير الوصل والجافي أي المعرض والبارز من برز إذا ظهر والراسي إذا نزل إلى القاع والطافي الذي يطفو أي يعلو فوق الماء ويسحّ أي يسكب ويسيل ويصبّ والمهضوم المظلوم من هضم الشيء إذا كسره وهضمه حقه أي غصبه إيّاه وظلمه ويهضم الثانية من هضم الطعام أو من هضم له من ماله إذا أعطاه منه والمتلاف المبذّر المسرف يريد بذلك أنه لا يمسك ماء بل يسكبه كله وتخشى أي تخاف وحدّته أي سرعة جريه وقلبه صافٍ كناية عن صفاء الماء.

(2) رشق أي رمى والخمس هي الألغاز ونسق الدرّ نظمه على السواء والكلام عطف بعضه على بعض وتدبّروا أي تفكّروا والخمس أي الألغاز والخمس الثانية أراد بها الأصابع يقول فكروا في هذه الألغاز الخمسة واعقدوا عليها الأصابع الخمسة أي اكتفوا واقنعوا بها.

(3) استفزّت أي استدعت وحرّضت واستخفّت واشربوا أي سقوا ودوخلوا وخولطوا والبلادة فتور =

وَمَسْرورَةٍ مَغمومَةٍ طولَ دهرِها ... وما هيَ تدري ما السُّرورُ ولا الغَمُّ
تُقرَّبُ أحياناً لأجلِ جَنينِها ... وكمْ ولدٍ لولاهُ طُلِّقَتِ الأمُّ
وتُبعَدُ أحياناً وما حالَ عهدُها ... وإبعادُ من لم يَستَحِلْ عهدُه ظُلمُ
إذا قَصُرَ الليلُ استُلِذّ وصالُها ... وإن طالَ فالإعراضُ عن وصْلِها غُنمُ
لها ملبَسٌ بادٍ أنيقٌ مبَطَّنٌ ... بما يُزْدَرى لكنْ لِما يُزدرى الحُكمُ(1)

ثم كشَرَ عن أنيابِهِ الصُفْرِ؛ وأنشَدَ مُلغِزاً في الظُفرِ:

ومرهوبِ الشَّبا نامٍ ... وما يرْعى ولا يشرَبْ
يُرى في العَشْرِ دونَ النّحْـ ... ـرِ فاسمَعْ وصفَهُ واعْجَبْ(2)

= الطبع وركود الذهن وأفحمه إذا أسكته وأعجزه واستيراء الزند إيقاده واستشفاف الشيء التقصّي في النظر والفرند السيف وقوله إن أتممت عشراً فمن آية قرآنية رقمها 27 في سورة القصص: ﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ واهتزّ أي تحرك وفلج أي ظفر وغلب وانخزل أي انقطع وانهزم والبسملة قول بسم الله الرحمن الرحيم والمزملة جرة خضراء يبرد فيها الماء وهي مزمّلة أي ملفّفة لأنها تلفّ بخرق وثياب خشنة وتغشّى بثوب أو جلد حسن المنظر والغاية من لفها تبريد الماء وازمّل يزمّل إزّاملاً تلفف في ثيابه وفي القرآن سورة المزمّل أي المتلفف في ثيابه وغطائه والنداء بذلك للتأنيس والملاطفة.

(1) ومسرورة أي محمولة على سرير على ما روى الشريشي ومغمومة أي مغطاة وتقرّب أي تُدنى وجنينها أي الماء البارد فيها وذلك في الصيف وما حال أي ما تغيّر يقول إنها تقرب وتدنى في زمن الصيف من أجل ابنها أي الماء البارد في داخلها ولكنها تبعد أحياناً وذلك في زمن الشتاء وإن كانت على ما هي عليه ولم تتغيّر وهذا ظلم أن يبعد من لم يتغير عهده وقصر الليل يكون في الصيف وفي ذلك الوقت يكون وصالها أي الشرب منها لذيذاً ولكن إذا طال الليل ويكون ذلك في الشتاء فالإعراض أي الصدود والهجر نعمة والملبس اللباس والبادي أي الظاهر والأنيق أي المستحسن والمعجب والرائق والمبطن أي له بطانة وهي ما يحشى به الثوب من داخل ويريد بذلك الخرق وقطع الخيش ويزدرى أي يحتقر ويعاب ولكن الحكم وهو هنا بمعنى النتيجة أي برد الماء ليس مما يزدرى.

(2) كشر كشراً عن أسنانه أبداها وكشف عنها عند الضحك وغيره والمرهوب المخوف وشبا الشيء طرفه وحدّه والنامي الذي ينمو ويزداد والعشر في الظاهر عشر ذي الحجّة والنحر يوم العيد أن السنّة ترك تقليم الأظفار والحلق لمن أراد أن يضحّي فتنمو فيه ثم بعد أن يضحي يقلّم أظفاره فلا ترى ويجوز أن يراد بالعشر الأصابع وبالنحر الصدر وليس فيه أظفار جاء في المستدرك على =

ثم تخازرَ تخازُرَ العِفريتِ، وأنشَدَ مُلغِزاً في طاقَةِ الكِبريتِ:

وما مَحْقورَةٌ تُدْنى وتُقْصى ... وما مِنْها إذا فكّرْتَ بُدُّ
لها رأسانِ مُشْتَبِهانِ جِداً ... وكُلٌّ مِنْهُما لأخيهِ ضِدُّ
تعذَّبُ إن هُما خُضِبا وتُلغى ... إذا عَدِما الخِضابَ ولا تُعَدّ[1]

ثمّ تخمّطَ تخمُّطَ القَرْمِ، وأنشدَ في حلَبِ الكَرْمِ:

وما شيءٌ إذا فسَدا ... تحوّلَ غيُّهُ رشَدا
وإنْ هوَ راقَ أوصافاً ... أثارَ الشرّ حيثُ بَدا
زَكيُّ العِرقِ والِدُهُ ... ولكِنْ بِئْسَ ما ولَدا[2]

= الصحيحين للحاكم: «أخبرنا عبدان بن يزيد الدقاق بهمدان ثنا إبراهيم بن الحسن ثنا آدم بن أبي إياس ثنا ابن أبي ذئب عن الحارث بن عبد الحمن عن أبي سلمة عن أم سلمة ﷺ قالت: إذا دخل عشر ذي الحجة فلا تأخذن من شعرك ولا من أظفارك حتى تذبح أضحيتك».

(1) تخازر أي ضيّق أجفانه ليحدّ النظر ونظر بمؤخر عينيه والعفريت الخبيث المنكر والنافذ في الأمر العظيم الدهاء من الإنس والجن والشياطين وفي سورة النمل الآية 39: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ والطاقة الإضمامة والكبريت وأنقل هنا عن الشريشي: «الكبريت معروف فارسي معرّب وطاقاته قضبانه التي تجعل شيئاً على شيء وهو الوقود الذي يشعل به المصباح» ويبدو أن الكبريت هنا عيدان كعيدان مانعرفه باسم الثقاب يجعل في طرفه مادة الكبريت فيقتبس منه شريطة أن يكون القضيب سريع الاشتعال ولقد جاء في مجلة المجمع العلمي العربي في مصر في باب الألفاظ المستخدمة وتعود إلى زمان بعيد ما يلي: «وريتة (حبل قديم متآكل يوقد طرفه فيظل مشتعلاً مدة طويلة لتقبس منه النار). الآن يستعمل الثقاب (يسمى في ليبيا :الوقيد) وصار يدعى، الكبريت - بتأثير اللهجة المصرية أو الولاعة (القداحة) بدلاً من الوريتة (عربيتها: الأريثة التي تؤرث النار). والمحقورة المزدراة وتدنى تقرّب وتقصى تبعد وما منها بد أي لا بدّ منها ولا فكاك منها والرأسان المشتبهان هما طرفا القضيب الذي يوقد يغمسان في الكبريت وجعلهما ضدين لأن هذا في طرف وهذا في طرف وجعلهما مشتبهين لأن شكل الطرفين وهما الرأسان شكل واحد وتعذّب كناية عن الإحراق والإشعال وخضبا أي لوّنا وتلغى أي تترك وتهمل وعدما الخضاب كانا من دونه ولا تعدّ أي ولا تحسب.

(2) تخمط الفحل إذا صال وهدر والرجل غضب وتكبّر واشتد غضبه وهاج والقرم الفحل لم يُركب ولم يحمل عليه وحلب الكرم أي الخمر وهي عصير العنب والغي الضلال والرشد الهدى =

ثمّ اعتَضَدَ عَصا التَّسيارِ، وأنشَدَ مُلغِزاً في الطيّارِ:

وذي طَيشَةٍ شِقُّهُ مائِلٌ ... وما عابَهُ بِهِما عاقِلُ
يُرى أبداً فوقَ عِلّيّةٍ ... كما يَعْتَلي المَلِكُ العادِلُ
تساوَى لدَيْهِ الحَصا والنُّضارُ ... وما يستَوي الحقُّ والباطلُ
وأعجَبُ أوصافِهِ إنْ نظَرْتَ ... كما ينظُرُ الكَيّسُ الفاضِلُ
تَراضي الخُصومِ بهِ حاكِماً ... وقدْ عرَفوا أنّهُ مائِلُ(1)

قال:

فظلّتِ الأفكارُ تَهيمُ في أوديةِ الأوْهامِ، وتَجولُ جوَلانَ المُستَهامِ، إلى أن طالَ الأمَدُ، وحصْحَصَ الكمَدُ. فلمّا رآهُمْ يزنِدونَ ولا سَنا، ويقْضونَ النّهارَ بالمُنى، قال: يا قومِ إلامَ تنظُرونَ، وحتّامَ تُنظَرونَ؟! ألَمْ يأنِ لكُمُ استِخْراجُ الخَبيّ، أو استِسلامُ الغَبيّ!؟ فقالوا: تاللهِ لقدْ أغوَصْتَ، ونصَبْتَ الشَّرَكَ فقنَصْتَ! فتحَكّمْ كيفَ شيتَ، وحُزِ الغُنْمَ والصّيتَ(2)! ففرَضَ عنْ كلّ مُعَمّى فرْضاً، واستخلَصَهُ منهُمْ نَضّاً!

= والصواب أراد بذلك أن الخمر إذا فسدت صار خلاً وجاز استخدامها بعد أن كانت محرّمة وأثار الشر حرّكه وبدا ظهر وبرز يقول إن الخمر إذا صفت وراقت كانت أدعى للشر والعرق أصل كل شيء والزكي الطيب يقول إن الخمرة من أب طيب الأصل وهو العنب ولكن ولده سيّئ يعني بذلك الخمرة.

(1) اعتضد أي جعل تحت عضده والعضد ما بين المرفق والكتف وعصا التسيار أي عصا الرحيل كناية عن تأهبه للانصراف والطيّار أي ميزان الذهب وهو لخفته سمي بالطيّار وذو الطيشة أي ذو الخفة فالطيش هو الخفة والنزق وشقه أي كفته أو جانبه ومائل يعني الرجحان وعابه أي ذمّه والعليّة الغرفة وهي هنا كناية عن ارتفاع الميزان باليد أو عن أنه يوضع على لوح ويعتلي أي يرتفع والحصى صغار الحجارة والنضار الذهب والكيس الذكي الفؤاد والفطن العاقل وتراضى الخصوم أي رضوا وحاكماً أي قاضياً.

(2) تهيم أي تذهب حائرة والأوهام واحدها وهم وهو ما يتصوره المرء عند التفكير في أمر مشكل والمستهام أي العاشق الذي ذهب به الحب كل مذهب والأمد الغاية والنهاية وهو هنا بمعنى الوقت وحصحص أي ظهر وبان جلياً والكمد الحزن والغم ويزندون أي يقدحون الزناد الذي تستخرج به النار ولا سنا أي ولا ضوء ويقضون النهار أي ينفقونه ويقطعونه والمنى أي التمني =

ثمّ فتَح الأقفالَ، ورسمَ الأغْفالَ، وحاولَ الإجْفالَ، فاعتلَقَ بهِ مدرةُ القومِ، وقال لهُ: لا لُبسَةَ بعْدَ اليومِ؛ فاستَنْسِبْ قبلَ الانطِلاقِ، وهَبْها مُتعَةَ الطّلاقِ! فأطْرَقَ حتى قُلْنا مُريبٌ، ثمّ أنشَدَ والدمعُ مُجيبٌ[1]:

سَروجُ مطْلِعُ شمْسي ... وربْعُ لَهْوي وأُنسي
لكِنْ حُرِمْتُ نَعيمي ... بِها ولَذّةَ نفْسي
واعْتَضْتُ عنها اغْتِراباً ... أمَرَّ يومي وأمْسي
ما لي مَقَرٌّ بأرضٍ ... ولا قَرارٌ لعَنْسي[2]
يوماً بنَجْدٍ ويوْماً ... بالشّامِ أُضْحي وأُمسي
أُزْجي الزّمانَ بقوتٍ ... منَغّصٍ مُستَخَسّ
ولا أبيتُ وعِندي ... فلْسٌ ومَنْ لي بفَلْسِ

= وتنظرون أي تمهلون ويأن مقلوب آن أي حان والخبي المخبوء والاستسلام الانقياد والإقرار بالهزيمة والغبي الجاهل والبليد وأعوصت أي أتيت بالعويص أي الصعب والشرك الفخ وقنصت أي اصطدت وحز أي اغنم والغنم المكسب ويكون في الحرب والصيت السمعة.

(1) فرض أي أوجب وعيّن شيئاً يؤدّى له والمعمّى اللغزوالفرض القسط والواجب واستخلصه أي أخذه خالصاً ونضّاً أي نقداً وفتح الأقفال كناية عن حل الألغاز ووسم أي وضع علامة وهي الوسم والأغفال والواحدة غفل وهي الدابة لا علامة لها والمراد كما في العبارة السابقة تحدي المراد في الألغاز والإجفال من أجفل أي فر وانهزم واعتلق به أي تعلّق يه ومدرة القوم يعني زعيمهم والمتكلم باسمهم واللبسة الشبهة وبعد اليوم أي بعد ما رأينا وسمعنا منك في يومنا هذا واستنسب أي انسب نفسك وهبها أي اعتبرها ومتعة الطلاق أي ما يمتّع به المطلّق مطلّقته فيمنحها ثوباً أو إزاراً أو ملحفة وأطرق حنى رأسه ساكتاً ومريب أي مثير الريبة ومتهم والدمع مجيب أي منهمر ومنسكب.

(2) مطلع شمسي أي مكان طلوعها يريد بذلك أنها مكان ولادته والربع البيت واعتضت أي تعوضت والاغتراب أي الغربة وأمرّ أي جعل مرّاً والمقرّ أي القرار والإقامة والعنس الناقة الصلبة القوية واضحي وأمسي من الضحى والمساء أي أكون صباحاً وأكون مساء وأزجي أي أسوق وأنفق والمنغّص المكدّر والمستخس أي المسترذل المستحقر وأبيت أي أمضي الليل والفلس ما يتعامل به من النقد وهو من النحاس والبخس من الأثمان الناقص والقليل.

ومَنْ يعِشْ مثلَ عيشي باعَ الحياةَ ببخْسِ

ثم إنّهُ اختَبَن خُلاصَةَ النّضّ، وندرَ ضارِباً في الأرضِ! فناشدْناهُ أن يعودَ، وأسْنَيْنا لهُ الوعودَ، فلا وأبيكَ ما رجعَ، ولا التّرغيبُ لهُ نجعَ[1]!

(1) اختبن الشيء أي شده وجعله في خبنه أي في حضنه مما يلي بطنه وندر أي خرج وضارباً في الأرض إذا سار فيها وفي سورة النساء الآية 101: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ وناشدناه أي سألنا ورجونا وأسنينا أي أجزلنا ولا وأبيك يقسم بالقول وحق أبيك ونجع أي أفاد.

المقامة البَكرِيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

هَفا بيَ البينُ المطَوِّحُ، والسيرُ المبرِّحُ؛ إلى أرضٍ يضِلّ بها الخِرّيتُ، وتفْرَقُ فيها المصاليتُ. فوجَدتُ ما يجِدُ الحائرُ الوحيدُ، ورأيتُ ما كُنتُ منه أحيدُ[1]. إلا أني شجّعْتُ قلْبيَ المَزْؤودَ، ونسأتُ نِضْويَ المجْهودَ، وسِرْتُ سيرَ الضّارِبِ بقِدْحَينِ، المُستَسلِمِ للحَينِ، ولمْ أزَلْ بينَ وخْدٍ وذَميلٍ، وإجازَةِ مِيلٍ بعْدَ ميلٍ، إلى أن كادَتِ الشمْسُ تجِبُ، والضّياءُ يحتجِبُ. فارْتَعْتُ لإظْلالِ الظّلامِ، واقتِحامِ جَيشِ حامٍ[2]. ولمْ أدْرِ أأكْفِتُ الذّيلَ وأرتبِطُ، أم أعتَمِدُ اللّيلَ وأختَبِطُ؟ وبيْنا أنا أقلّبُ العزْمَ، وأمتَخِضُ الحزْمَ؛ تَراءى لي شبَحُ جمَلٍ، مُستَذْرٍ بجبَلٍ، فترَجّيتُهُ قُعْدَةَ مُريحٍ، وقصدْتُهُ قصْدَ مُشيحٍ! فإذا الظّنّ كَهانَةٌ، والقُعدَةُ عَيرانَةٌ! والمُريحُ قدِ ازْدَمَلَ ببِجادِهِ،

(1) هفا هفواً أي إذا طار وارتفع في الهواء كالريشة مثلاً والمطوّح من طاح أي المبعد والمشفي على الهلاك والمبرّح أي المضني والخرّيت الدليل وتفرق أي تخاف والمصاليت والواحد مصليت وهو الشجاع الماضي في أموره وأحيد عنه أي أميل عنه وأتجنّبه.

(2) المزؤود أي المفزّع المخوّف ونسأت أي زجرت وسقت ونضوي أي جملي المهزول والمجهود أي المتعب والقدحان يعني بهما اليأس والطمع وقد مرت مادة القداح مراراً وهما هنا قدحا الفوز والخيبة والمستسلم أي المنقاد والمقر بالهزيمة والحين الهلاك والوخد سعة الخطو والذميل السير اللين المتوسّط والإجازة من أجزت المكان إذا قطعته والميل مسافة مقدارها مد البصر أو ثلاثة آلاف ذراع وتجب أي تسقط من وجب إذا سقط إلى الأرض وفي سورة الحج الآية 36: ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا﴾ والمراد هنا الغروب وارتعت أي خفت وفزعت وإظلال الظلام حلوله وغشيانه والاقتحام الدخول بسرعة وجيش حام كناية عن الليل وقد تقدّم التعريف بحام بن نوح وأن إليه ينسب العرق الأسود بحسب التوراة.

واكتَحَلَ بِرُقادِهِ[1]. فجلَسْتُ عندَ رأسِهِ، حتى هبَّ من نُعاسِهِ، فلمّا ازْدَهَرَ سِراجاهُ، وأحَسّ بِمَنْ فاجاهُ؛ نفَرَ كما ينفِرُ المُريبُ، وقال: أخوكَ أمِ الذّيبُ[2]؟ فقلتُ: بلْ خابِطُ ليْلٍ ضَلّ المسلَكَ، فأضِئْ أقْدَحْ لكَ! فقال: ليَسْرُ عنكَ همُّكَ، فرُبّ أخٍ لكَ لمْ تلِدْهُ أمُّكَ! فانسرَى عندَ ذلِكَ إشْفاقي، وسرَى الوسَنُ إلى آماقي. فقال: عندَ الصّباحِ يحْمَدُ القومُ السُّرى! فهلْ تَرى كما أرى[3]؟ فقلتُ: إني لكَ لأطْوَعُ منْ

(1) كفت الشيء وإليه كفتاً ضمّه إليه وذيله شمّره والمتاع جمعه وأرتبط أي أربط دابتي وأمنعها عن السير وأعتمد الليل أي أتخذها غمداً كناية عن السرى في الليل وأختبط أي أسير على غير هدى في الظلام والعزم الثبات والشدّة في ما يوطّن المرء نفسه عليه وهو أيضاً النية والإرادة وأقلّب العزم أي أنظر في وجوه أمري وأمتخض من مخض اللبن إذا استخرج الزبد والحزم ضبط الأمور وإحكامها تراءى أي بدا ومستذر من استذرى إذا استظلّ أو لجأ وترجيّته أي رجوت أن يكون والقعدة ما يركبه الراعي في كل حاجة وما تقعد عليه من سرج ونحوه ومريح أي مستريح والمشيح أي المجدّ في الأمور والكهانة عمل الكاهن أي الذي يتكهّن بالأمور ويتنبأ بها والعيرانة الناقة الصلبة وتشبه العيروهو حمار الوحش في الخلقة والسرعة وازدمل أي التفّ والبجاد الكساء واكتحل برقاده كناية عن النوم.

(2) هبّ أي انتبه واستيقظ وازدهر ازدهاراً السراج أي زاد تلألؤه والسراجان يعني بهما عينيه وأحسّ أي شعر وفاجاه أي باغته ونفر أي تباعد وشرد والمريب الذي أتى بريبة وأخوك أم الذيب مثل يضرب في الارتياب وكأن السروجي خاطب نفسه أهذا الذي ترى أخوك أم عدو.

(3) خابط الليل الساري على غير هدى وضلّ المسلك أي تاه عن الدرب وأضئ لي أقدح لك مثل بضرب للتعاون والتساوي في ذلك فالقدح هو استخراج النار والإضاءة معروفة وفي رواية أضيء لي أكدح لك من كدح أي سعى وجدّ وأراه أولى بالسياق فلا معنى للقدح مادام النور مع الآخر وليسر أي ليزل وينكشف من سرا وربّ أخ لك الخ مثل عربي مؤداه أنك قد تجد من يؤاخيك وينصرك وهو ليس بأخ لك وانسرى أي انكشف وزال وإشفاقي أي خوفي وسرى أي أتى والوسن النعاس والآماق جاء في الجراثيم لابن قتيبة: «والماق والموق: واحدٌ، وهو طرفها الذي يلي الأنف، وأما الحرف الذي يلي الصدغ: فهو اللّحاظ. وذبابة العين: مؤخرها، يقال: مأقٌ مهموزٌ، وماقٍ غير مهموزٍ وكذلك مؤقٍ مهموزٌ، وبعضهم من لم يهمز: ماقٍ قال: مواقٍ، ومن همز جمع: مآقٍ، وكذلك جمع مؤقٍ مهموز». وجاء في الصحاح: «ومؤْقُ العين: طرفها ممّا يلي الأنف. واللِحاظُ: طرفها الذي يلي الأذن؛ والجمع آماقٌ، وأماقٌ أيضاً. ومأقى العين: لغةٌ في مُؤْقِ العين» وعند الصباح الخ مثل عربي يضرب للترغيب في سير الليل وفي احتمال المشقة رجاء للراحة ويقال إن أول من قاله هو خالد بن الوليد حين توجه من اليمامة إلى العراق.

حِذائِكَ، وأوْفَقُ من غِذائِكَ! فصَدَعَ بمحبّتي، وبخْبَخَ بصُحْبَتي. ثمّ احتَمَلْنا مُجِدِّينِ، وارتَحلْنا مُدلِجَيْنِ، ولمْ نزَلْ نُعاني السُّرى، ونُعاصي الكَرى، إلى أنْ بلغَ الليلُ غايتَهُ، ورفَعَ الفجْرُ رايتَهُ[1]. فلمّا أسْفرَ الفاضِحُ، ولمْ يبْقَ إلا واضِحٌ؛ توسّمتُ رفيقَ رِحلَتي، وسَميرَ لَيلَتي؛ فإذا هوَ أبو زيدٍ مطلَبُ النّاشِدِ، ومَعلَمُ الرّاشِدِ! فتهادَيْنا تحيّةَ المُحبّينِ، إذا التَقَينا بعْدَ البيْنِ. ثمّ تباثَثْنا الأسْرارَ، وتناثَثْنا الأخْبارَ[2]، وبَعيري ينحِطُ منَ الكِلالِ، وراحِلَتُهُ تزِفُّ زَفيفَ الرّالِ، فأعْجَبَني اشْتِدادُ أمرِها، وامتِدادُ صبرِها، فأخَذْتُ أستَشِفُّ جوهرَها، وأسألُهُ منْ أين تخيّرَها، فقال: إنّ لهذِهِ النّاقَةِ، خبَراً حُلْوَ المَذاقَةِ، مليحَ السّياقَةِ، فإنْ أحببْتَ استِماعَهُ فأنِخْ، وإنْ لمْ تشأ فلا تُصِخْ! فأنَخْتُ لقولِهِ نِضْوي[3]، وأهدَفْتُ السّمْعَ لما يَروي. فقال: اعْلَمْ أني استَعرَضْتُها بحَضْرَمَوْتَ، وكابدْتُ في تحصيلِها الموْتَ، وما زِلتُ أجوبُ علَيها البُلدانَ، وأطِسُ بأخفافِها الظِّرّانَ؛ إلى أنْ وجدْتُها عُبْرَ أسفارٍ، وعُدّةَ قرارٍ[4]! لا يلحَقُها العَناءُ، ولا

(1) الحذاء هو ما ينتعل في القدمين وأوفق أي أصلح وأنسب والغذاء ما يتغذّى به المرء وصدع أي كشف وأظهر وبخبخ أي قال بخ بخ وهو لفظ استحسان وإعجاب واحتملنا وتحمّلنا أي ارتحلنا ومجدّين أي مجتهدين ومدلجين من أدلج أي سار من أول الليل ونعاصي أي نعاند والكرى أي النوم وبلوغ الليل غايته ورفع الفجر رايته كناية عن ضوء الصباح.

(2) أسفر أي أضاء والفاضح هو الصبح ففيه يبدو كل ما ستره الظلام وتوسّم الشيء أي تأمله ونظره والسمير المحدّث في الليل والناشد أي الطالب والمعلم العلامة يهتدى بها والراشد المهتدي وتهادينا أي تبادلنا وتناوبنا في إهداء التحية والبين الفراق وتباثثنا من بثّ السرّ إذا أذاعه وكذا تناثثنا من نثّ الخبر أو السر إذا أفشاه وأظهره.

(3) ينحط أي يزفر ويتنفّس من شدة التعب والكلال الإعياء والتعب وتزفّ أي تسرع والزفيف الإسراع وهو في الأصل هبوب الريح وسرعة النعام التي تخلط الطيران بالمشي وفي سورة الصافات الآية 94: ﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ أي يسرعون والرأل فرخ النعامة والأسر القوة وشدة الخلق وامتداد صبرها طوله وأستشفّ أي أستقصي وجوهر كل شيء أصله وما قام عليه وتخيّرها أي انتقاها والمذاقة أي الطعم والمليح أي الحسن والسياقة من ساق الحديث إذا رواه وسرده وسلسله وأنخ أي أنخ بعيرك وبركه ولا تصخ أي لا تستمتع ونضوي أي بعيري المهزول.

(4) أهدف إذا صار هدفاً أو جعل الشيء هدفاً يريد أنه أرهف السمع يقول البحتري: «قَدْ أهدَفَ الغَثُّ =

تُواهِقُها وجْناءُ، ولا تدْري ما الهِناءُ! فأرْصَدتُها للخَيرِ والشرّ، وأحلَلْتُها محَلَّ البَرِّ السِّرّ. فاتّفَقَ أن نـدّتْ مُذْ مُدةٍ، وما لي سِواها قُعـدَةٌ؛ فاستشْعَرْتُ الأسَفَ، واستَشرفْتُ التّلَفَ، ونسيتُ كُلّ رُزْءٍ سلَفَ. ثمّ أخذْتُ في استِقْراء المَسالِكِ، وتفقُّدِ المسارِحِ والمَبارِكِ، وأنا لا أستَنْشي منها ريحاً، ولا أستَغْشي يأساً مُريحاً[1]. وكلّما ادّكَرْتُ مضاءَها في السيرِ، وانبِراءَها لمُباراةِ الطّيرِ؛ لاعَني الادّكارُ، واستَهوَتْني الأفكارُ. فبَينَما أنا في حِواء بعضِ الأحْياءِ، إذْ سمِعْتُ منْ شخْصٍ متبَعِّدٍ، وصوْتٍ متجرِّدٍ: منْ ضَلّتْ لهُ مطيّةٌ، حضرَميّةٌ وطِيّةٌ؛ جِلدُها قد وُسِمَ، وعَرُها قد حُسِمَ! وزِمامُها قد ضُفِرَ، وظهرُها كأنْ قد كُسِرَ ثم جُبِرَا! تَزينُ الماشيَةَ، وتُعينُ النّاشيَةَ، وتقطَعُ المَسافَةَ النّائِيَةَ[2]! وتظَلّ أبداً لكَ مُدانِيَةً! لا يعتَوِرُها الوَنى، ولا يعترِضُها

= العَمَى، لوْ لم يكنْ وَغْداً، وَلَيسَ الوَغدُ مِنْ أهْدافي» واستعرض الشيء طلب أن يعرض عليه وحضرموت منطقة جنوبي شبه الجزيرة العربية على خليج عدن وكابد أي عانى وقاسى وأجوب البلدان أي أقطعها ووطس يطِس وطساً ضربه بالخف ضربا شديداً والخف للإبل والنعام بمنزلة الحافر للدابة والظرّان واحده الظر وهو حجر له حد كحد السكين وعبر أسفار أي قوية على الأسفار تُعبر بها المراحل وعدّة الشيء ما أعددته وجهّزته لإنجازه وتحقيقه والقرار المكث والإقامة وربما كانت فرار أي الهرب.

(1) يلحقها أي يدركها ويصيبها والعناء التعب وواهق البعير البعير مواهقة مدّ كل واحد عنقه في السير وبارى الآخر والوجناء الناقة القوية وقيل العظيمة الوجنات والهناء القطران يريد أنها لم تجرب والقطران كان دواء الجرب وأرصدتها أي أعددتها وكرّستها وأحللتها أي أنزلتها والبرّ السر أي البار الذي يبر والسار الذي يسرّ وندّت أي نفرت وشردت والقعدة مرت وهي الركوبة واستشعر أي لبس والأسف الحزن يريد أنه لازم الحزن واستشرف الشيء إذا أشرف عليه أي دنا واقترب منه والتلف أي الهلاك والرزء المصاب الجسيم وسلف أي مضى ومكثت أي أقمت والانبعاث القيام والنهوض لأمر ولا أطعم أي لا أذوق وحثاثاً أي قليلاً واستقراء المسالك أي تتبّع الطرق واستنشى الريح إذا شمّها واستغشى الشيء إذا اتخذه غشاء أي أنه لم يلبس اليأس والقنوط فيرتاح.

(2) ادّكرت والأصل اذتكر ومعناها تذكّر واستحضر فهو مدّكر وفي سورة يوسف الآية 45: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ والمدكّر وردت مراراً في سورة القمر ومضاؤها أي إسراعها وانبرى للشيء اعترض وقام له ومباراة الطير أي مسابقة الطير ومجاراته ولاعني أي أحرق قلبي والادّكار أي التذكّر واستهوتني أي ذهبت بي كل مذهب والحواء البيوت المجتمعة والجمع أحوية والأحياء =

الوَجى. ولا تُحْوِجُ إلى العَصا، ولا تَغْصي في مَنْ عصى! قال أبو زيدٍ: فجذَبَني الصوتُ إلى الصّائتِ، وبشّرَني بدرَكِ الفائتِ. فلمّا أفْضَيْتُ إليْهِ، وسلّمْتُ علَيْهِ، قلتُ لهُ: سلّمِ المطيّةَ، وتسلّمِ العطيّةَ[1]! فقال: وما مطِيّتُكَ، غُفِرَتْ خطِيّتُكَ؟ قلت له: ناقَةٌ جُثّتُها كالهَضْبَةِ، وذِروَتُها كالقُبّةِ، وحلَبُها مِلْءُ العُلبَةِ! وكنتُ أُعطيتُ بها عِشرينَ، إذ حللْتُ يَبرينَ، فاستَزَدْتُ الذي أعطى، ودريْتُ أنهُ أخطا. قال: فأعْرَضَ عني حينَ سمِعَ صِفَتي[2]، وقال: لستَ بصاحِبِ لُقطَتي! فأخَذْتُ بتَلابيبِهِ، وأصرَرْتُ على تكذيبِهِ، وهمَمْتُ بتمزيقِ جَلابيبِهِ، وهوَ يقول: يا هذا ما مطيّتي بطِلْبِكَ، فاكْفُفْ عني منْ غَربِكَ، وعدّ عنْ سبّكَ، وإلاّ فقاضِني إلى حَكَمِ هذا الحيّ، البَريءِ من الغَيّ؛ فإنْ أوجبَها لكَ فتسلّمْ[3]، وإن زَواها عنْكَ فلا تتكلّمْ. فلمْ أرَ دَواءَ قِصّتي، ولا مَساغَ

= واحدها حي وهو القبيلة والمتبعّد أي البعيد والمتجرّد أي الماضي والظاهر والمجدّ والمطية الركوبة ولكنه يلغز هنا في النعل وضلّت أي تاهت وضاعت وحضرمية نسبة إلى حضرموت والوطية السهلة الذلول لا تحرّك راكبها ووسم أي علّم بعلامة والعرّ العيب وهو الجرب وحسم أي استؤصل بالقطع يريد أن الجرب الذي كان في جلد النعل قد قطع وأزيل والزمام وهو المقود وهو هنا شراك النعل وضفر الحبل إذا فتله وظهرها كأن قد كسر ثم جبر يريد أنه كان يابساً فتكسّر ثم وصل جلد فصح والماشية المرأة أو الرجل التي تمشي وتعين أي تساعد وتسعف والناشية من نشأ الرجل إذا نهض لحاجته والناشئة أول الليل وفي سورة المزمّل الآية 6: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ والنائية أي البعيدة.

(1) مدانية أي مقاربة ويعتورها يصيبها والونى التعب والوهن والوجى من وجى وجيَ إذا حفي ورقّت قدمه وجذبني أي سحبني وشدّني والصائت الفاعل من صوّت ودرك الفائت أي لحاق ما فات وأفضيت إليه أي بلغته ووصلت إليه والعطيّة الجائزة.

(2) الهضبة الجبل الصغير والذروة من كل شيء أعلاه وحلبها أي ما يُحلب من لبنها والعلبة إناء من جلد أو خشب ويبرين أرض فيها رمل بين اليمامة والبحرين واستزدت أي طلبت الزيادة ودريت أي علمت.

(3) اللقطة ما يلتقطه المرء ويكون قد سقط أو ضاع من غيره وأخذت بتلابيبه أي أمسكت بثيابه عند لبّته وأصررت أي عزمت وصممت وهم بالشيء كاد أن يفعله والجلابيب واحدها الجلباب وهو الملحفة والرداء وطلبك أي مرادك وما تطلب والغرب أول الشيء وحدّه وعدّ فعل أمر بمعنى تجاوز أو اترك والسبّ الشتم وقاضني أي حاكمني والبريء المنزّه والغي الضلال وأوجبها أي حقق أنها لك وحكم بذلك وتسلّم أي خذ.

غُصّتي، إلا أنْ آتيَ الحكَمَ، ولوْ لكَمَ. فانْخَرَطْنا إلى شيخٍ رَكينِ النِّصْبَةِ، أنيقِ العِصْبَةِ! يؤنَسُ منهُ سُكونُ الطائِرِ، وأنْ ليسَ بالجائرِ. فاندَرأتُ أتظلّمُ وأتألّمُ، وصاحبي مُرِمٌّ لا يترَمْرَمُ، حتى إذا نثلْتُ كِنانَتي، وقضَيْتُ من القَصَصِ لُبانَتي؛ أبرزَ نعْلاً رَزينَةَ الوزْنِ، مَخذوّةً لمسلَكِ الحَزْنِ، وقال[1]: هذهِ التي عرّفْتُ، وإياها وصَفْتُ، فإنْ كانتْ هي التي أُعطِيَ بها عِشرينَ، وها هوَ من المُبصِرينَ، فقدْ كذَبَ في دعْواهُ، وكبُرَ ما افتَراهُ! اللهُمّ إلا أنْ يَمُدّ قَذالَهُ، ويُبَيّنَ مِصداقَ ما قالَهُ. فقالَ الحكَمُ: اللهُمّ غَفْراً! وجعلَ يقلّبُ النّعْلَ بطْناً وظهْراً، ثمّ قال: أما هذِهِ النّعلُ فنَعْلي، وأما مطِيّتُكَ ففي رحْلي! فانهَضْ لتسَلُّمِ ناقتِك، وافعَلِ الخيرَ بحسَبِ طاقَتِكَ! فقُمْتُ وقلت[2]:

أُقسِمُ بالبيتِ العَتيقِ ذي الحُرَمْ والطائِفينَ العاكِفينَ في الحَرَمْ
إنّكَ نِعْمَ مَنْ إليْهِ يُحتكَمْ وخيرُ قاضٍ في الأعاريبِ حكَمْ
فاسلَمْ ودُمْ دوْمَ النّعامِ والنَّعَمْ[3]

---

(1) زواها أي نحّاها وأبعدها ومساغ الغصّة أي مسهّلها فيبتلع المرء ما غصّ به ولكم أي ضرب بجماع يده وانخرط في الأمر دخل فيه مسرعاً والركين الوقور والثابت يقال جبل ركين والنصبة هيئة الانتصاب والعصبة كالعمّة وزناً ومعنى ويؤنس منه أي يرى فيه وسكون الطير كناية عن وقاره وعدم تحرّكه ومعلوم أن الطير لا يحط إلا على ساكن والجائر الظالم واندرأت أي اندفعت ومرمّ أي ساكت ولا يترمرم أي لا يجيب ولا يتحرّك وانثل الكنانة أي أخرج ما فيها من السهام والكنانة وعاء السهام واللبانة الحاجة ورزينة الوزن أي راجحة الوزن ثقيلة ومحذوة أي جعل عليها حذاء وهو رقع من الجلد طرقت بها ليسلك بها الحزن أي الدرب الغليظة الصعبة.

(2) عرّفت أي عرّفتها حين ناديت وأعطي بها عشرون يريد صُفع بها بدليل قوله وها هو من المبصرين يريد أن هذه النعل لو أعطي بها أي صفع بها لفقد بصره ويمدّ قذاله أي مؤخر رأسه ليؤيد دعواه فتظهر آثار الصفع واللهم غفراً أي نسألك المغفرة ومطيتك أي ركوبتك.

(3) البيت العتيق هو الكعبة وفي سورة آل عمران الآية 96: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ والطائفين الذين يطوفون والعاكفين المقيمين فيه للعبادة والعكوف الإقامة وقد وردت المادة في القرآن والحرم حرم مكة والأعاريب أي سكان البادية وأسلم دعاء له بالسلامة ودم دعاء له بالدوام والبقاء والنعام الطير المعروف والنعم واحدتها نعمة يدعو له بالبقاء ما بقي النعام والنعم.

فأجابَ من غيرِ رويّةٍ، ولا عَقْدِ نيّةٍ، وقال:

جُزيتَ عن شُكرِكَ خيراً يا ابنَ عمْ إذ لستُ أستوجبُ شكراً يُلتَزَمْ
شرُّ الأنامِ منْ إذا استُقْضي ظلمْ ثمّ مَنِ استُرْعي فلمْ يرْعَ الحُرَمْ
فذانِ والكَلْبُ سَواءٌ في القِيَمْ[1]

ثمّ إنهُ نفّذَ بينَ يدَيّ، منْ سلّم النّاقَةَ إليّ، ولمْ يمْتَنّ عليّ. فرُحْتُ نَجيحَ الأرَبِ، أجُرّ ذيْلَ الطّرَبِ، وأقولُ: يا لَلْعَجَبِ![2]

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فقلتُ لهُ تاللهِ لقدْ أطْرَفْتَ، وهرَفْتَ بما عرَفْتَ؛ فناشَدتُكَ اللهَ هلْ ألفَيْتَ أسْحَرَ منكَ بلاغَةً، وأحسَنَ للّفْظِ صِياغَةً!؟ فقال: اللهُمّ نعَمْ! فاستَمِعْ وانْعَمْ! كُنتُ عزَمْتُ، حين أتْهَمْتُ؛ على أن أتّخِذَ ظَعينَةً، لتكونَ لي مُعينَةً. فحينَ تعيّنَ الخِطْبُ المُلِبّ، وكادَ الأمرُ يستَتِبّ، أفكَرْتُ فكْرَ المتحرِّزِ منَ الوهْمِ، المتأمِّلِ كيفَ مَسقِطُ السّهْمِ[3]! وبِتُّ ليلَتي أُناجي القلْبَ المعذَّبَ، وأقلّبُ العزْمَ المُذَبذَبَ؛ إلى أن أجمَعْت على أن أُسْحِرَ، وأُشاوِرَ أوّلَ منْ أُبصِرُ. فلمّا قوّضَتِ الظُّلمَةُ أطْنابَها، وولّتِ الشُّهُبُ أذْنابَها،

---

(1) أجاب أي ردّ والروية التفكّر والتأنّي وعقد النية أي التدبّر واستقضى أي طلب إليه القضاء والفصل واسترعى أي جعل راعياً ويرعى أي يحفظ ويصون والحرم واحدتها حرمة وهي ما لايحل انتهاكه من ذمّة أو حق وذان أي القاضي الظالم وهاتك الحرمة وسواء أي يستويان والقيم واحدتها قيمة أي القدر.

(2) نفّذ أي أرسل فالنّفذ إمضاء الشيء وإبرامه ويمتنّ أي يعتدّ ما فعله منّة والأرب الوطر والحاجة المشتهاة.

(3) أطرفت أي جئت بالطريف وهرف بفلان أطرأ في المدح إعجاباً به وأيضاً مدحه بلا خبرة فيقال لا تهرف بما لاتعرف وألفيت وجدت وانعم أي وتمتع وتنعّم وأتهمت أي توجهت إلى تهامة وهي ما انخفض من أرض العرب والظعينة المرأة أو الزوجة وتعيّن أي تحقق والخِطب النكاح والمرأة المخطوبة والرجل الخاطب أيضاً وألبّ بالمكان أقام فيه وألبّ على الأمر لزمه فلم يفارقه ويستتب أي يتم وأفكرت أي فكّرت وتأمّلت والمتحرّز المحتاط والحذر والوهم الغلط ومسقط السهم يريد بذلك عاقبة الأمر.

غدَوْتُ غُدُوَّ المتعرِّفِ، وابتكَرْتُ ابتِكارَ المتعيِّفِ؛ فانْبَرى لي يافِعٌ، في وجْهِهِ شافِعٌ! فتيمّنْتُ بمنظَرِهِ البَهيجِ، واستَقْدَحْتُ رأيَهُ في التّرويجِ. فقال: أَوَتبْغيها عَواناً. أم بِكْراً تُعانى[1]؟ فقلتُ: اخترْ لي ما تَرى، فقدْ ألْقَيتُ إليكَ العُرى! فقال: إليّ التّبيينُ، وعليْكَ التّعيينُ! فاسمَعْ أنا أفْديكَ، بعْدَ دفْنِ أعاديكَ؛ أما البِكرُ فالدُرّةُ المخزونَةُ[2]، والبَيضَةُ المَكنونَةُ! والباكورَةُ الجَنِيّةُ، والسُلافَةُ الهَنيّةُ! والروْضَةُ الأُنُفُ، والطّوْقُ الذي ثمُنَ وشرُفَ! لمْ يُدَنّسْها لامِسٌ، ولا استَغْشاها لابِسٌ، ولا مارسَها عابِثٌ، ولا وكَسَها طامِثٌ[3]! ولها الوجهُ الحَييّ، والطّرْفُ الخفيّ، واللّسانُ العَيِيّ، والقلْبُ

---

(1) والمذبذب أي المترجرج والمضطرب وأجمعت أي صممت وعزمت وأسحر أي أخرج في وقت السحر وقوّضت أي هدمت والأطناب حبال تشدّ بها الخيمة وهدمها كناية عن انقضاء العتمة وطلوع الضوء وولّت أي انصرفت والشهب هنا بمعنى النجوم وولّت أذنابها أي أدبرت والمتعرّف الذي ينشد ضالة له وابتكر أي خرج باكراً والمتعيّف الذي يزجر الطير للفال وهو متعيّف لأنه يعاف الشيء أي يكرهه وانبرى أي اعترض واليافع الفتى الشاب والشافع في وجهه هو حسنه وجماله إذا أخطأ وتيمّن أي تفاءل خيراً واستقدحت رأيه أي طلبت رأيه والأصل قدح النار وقد مرّ ذلك مراراً وتبغيها أي تريدها والعوان النصف بين المسنّة والكبيرة وقد وردت وصفاً للبقرة في سورة البقرة الآية 68: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ والعوان هنا بمعنى الثيّب والبكر التي لم تتزوج وتعاني أي يقاسي صاحبها في صحبتها.

(2) العرى واحدتها عروة وهي ما يستمسك به ويعوّل عليه وفي سورة البقرة الآية 256: ﴿اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ يريد أنه أوكل إليه الأمر والدرّة المخزونة أي اللؤلؤة جعلت في خزانة لنفاستها وحسنها وشرفها يقول إن البكر تصان وتُرعى.

(3) البيضة يراد بها بيضة النعام وكانت العرب تشبه المرأة بها لأن النعامة تصون بيضها بريشها والمكنونة أي المستورة وفي سورة الصافات الآية 49: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ والباكورة أول الثمر والجنية والجني ما يُجتى من الثمر ويستعمل في الأغلب في الغضّ منه والسلافة من أسماء الخمرة والمدخورة أي المكنوزة والروضة الأنف التي لم تُرع لعد والكأس الأُنف التي لم يشرب بها من قبل والطوق ما يطوّق الجيد به وهو نوع الحلي تزدان به العنق وثمن أي غلا وشرف أي علا قدره ويدنسها أي لم يقذّرها واللامس من لمس إذا مسّ على أن المراد هنا الجماع واستغشاها أي غشيها وفي سورة الأعراف الآية 189: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ واللابس الذي لابسها واختلط بها يراد به الزوج ومارسها أي عالجها وعابث المفسد وكل ذلك كناية عن النكاح ووكسها أي نقصها والطامث الحائض على أن المراد هنا الرجل يفتضها فيسيل دمها.

النّقيّ! ثمّ هيَ الدُمْيَةُ المُلاعِبَةُ، واللّعْبَةُ المُداعِبَةُ! والغَزالَةُ المُغازِلَةُ، والمُلْحَةُ الكامِلَةُ! والوِشاحُ الطاهرُ القَشيبُ، والضّجيعُ الذي يُشِبُّ ولا يُشيبُ[1]! وأمّا الثّيّبُ فالمَطيّةُ المذَلّلَةُ، واللُّهنَةُ المعَجّلَةُ، والبِغْيَةُ المُسهّلَةُ، والطّبّةُ المُعلِّلَةُ! والقَرينةُ المتحبّبَةُ، والخَليلَةُ المتقرّبَةُ! والصّناعُ المدَبّرَةُ، والفَطْنَةُ المختَبِرَةُ! ثمّ إنّها عُجالَةُ الرّاكِبِ، وأُنشوطَةُ الخاطِبِ! وقُعدَةُ العاجِزِ، ونُهْزَةُ المُبارِزِ! عريكَتُها ليّنَةٌ، وعُقلَتُها هيّنَةٌ، ودِخلَتُها متبيّنَةٌ، وخِدمَتُها مزيّنَةٌ! وأقسِمُ لقد صدَقْتُ في النّعتَينِ، وجلَوْتُ المَهاتَينِ! فبأيّتِهِما هامَ قلبُكَ؟ وعلى أيّتهما قام زبّك[2] قال أبو زيد: فرأيتُهُ جندَلَةً

(1) الحيي أي الخفرة الخجول والطرف الخفي أي أنها ليست برزة وقحة بل تنظر خفية لخفرها والعيي الثقيل الذي لا يفصح ولكن العي هنا سببه الخفر لا الحصر والنقي الصافي الخالص والدمية الصورة المزينة والصورة من العاج واللعبة ما يلعب به والمداعبة من داعب أي مازح ولا عب والغزالة أي الظبية ولطالما وصفت النساء بالغزلان والمغازلة من غازل الرجل المرأة إذا حادثها وتودّد إليها ومن ذلك شعر الغزل والوشاح ما يتوشّح به المرء كنّى بذلك عن عناق المرأة وجماعها حتى لتغدو كأنها وشاح والطاهر الذي لم يتدنّس والقشيب الجديد والنظيف الناصع ويشبّ أي يجعل شاباً ويشيب أي يجعل شائباً.

(2) الثيّب المرأة المتزوّجة أو التي فقدت زوجها بموت أو طلاق وفي سورة التحريم الآية 5: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبۡكَارًا﴾ والمذللة أي المطروقة من الطرق واللهنة ما يعجّل للضيف من قرى والطبة والطب الخبير العالم والمعللة أي التي تعطيك مرادك المرة تلو المرة والتعليل السقي بعد السقي يقول الأخطل: «إذا ما نديمي علني ثمَّ علّني ثَلاثَ زُجاجاتٍ لهُنَّ هَديرُ» والقرينة الصاحبة والحليلة أي الزوجة والصناع الماهرة الحاذقة وعجالة الراكب أي ما يعجّل به من طعام كالتمر والسويق والراكب أي المسافر لا ينزل فيعطى شيئاً يأكله على عجل والمراد واضح فالثيّب لا يُتكلّف لها كما هو الحال مع البكر التي قال فيها عمر بن الخطاب عل ما جاء في البصائر والذخائر لأبي حيان: «البكر كالبرة، تطحنها وتعجنها وتخبزها، والثيب عجالة الراكب، تمر وأقط». والسويق دقيق قمح أو شعير والأقط جبن يتخذ من مخيض الإبل والأنشوطة عقدة تحلّ بسهولة وقعدة الرجل ركوبته يعني هنا أن الثيّب يسهل على العاجز أن يفترعها والنهزة الفرصة والغنيمة السهلة والمراد واضح والعريكة السنام ولين العريكة يكنى به عن السلاسة وسهولة الانقياد والعقلة ما يعقل به من قيد أو عقال والدخلة المرء باطن أمره وما خفي منه ومتبيّنة أي واضحة والمهاتان واحدتهما المهاة وهي البقرة الوحشية توصف بها النساء والمهاتان هنا البكر والثيّب والنعت الصفة والوصف وهام بالشيء أحبه وهام على وجهه ذهب لا يدري أين يتوجّه وهام في الأمر =

يتّقيها المُراجِمُ، وتُدمى منها المَحاجِمُ. إلا أني قلتُ له: كُنتُ سمعتُ أن البِكْرَ أشَدُّ حُبّاً، وأقلُّ خِبّاً! فقال: لعَمْري قد قيلَ هذا، ولكِنْ كمْ قوْلٍ آذى[1]! ويْحَكَ أمَا هيَ المُهرَةُ الأبيّةُ العِنانِ، والمَطيّةُ البَطيّةُ الإذْعانِ؟ والزَّنْدَةُ المتعسِّرَةُ الاقْتِداحِ، والقَلْعَةُ المُستَصْعَبَةُ الافتِتاحِ[2]؟! ثمّ إنّ مؤونَتَها كثيرةٌ، ومَعونتَها يَسيرةٌ! وعِشْرَتَها صَلِفَةٌ، ودالّتَها مُكلِّفَةٌ! ويدَها خرْقاء، وفِتْنَتها صَمّاء، وعَريكتَها خشْناء، وليلَتَها ليْلاء، وفي رياضَتِها عَناءٌ، وعلى خِبرَتِها غِشاءٌ[3]! وطالما أخزَتِ المُنازِلَ، وفرِكَتِ المُغازِلَ، وأحنَقَتِ الهازِلَ، وأضرَعَتِ الفَنيقَ البازِلَ! ثمّ إنّها التي تقول: أنا ألْبَسُ وأجلِسُ، فأطلُبُ منْ يُطلِقُ ويحبِسُ! فقلتُ له[4]: فما ترى في الثّيّبِ، يا أبا الطّيّبِ؟ فقال:

= تحيّر واضطرب وذهب كل مذهب وفي سورة الشعراء الآية 225: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ وزبّك أي أيرك جاء في تاج العروس: «الزُّبُّ للصَّبيّ أو هُوَ خَاصٌّ بالإنْسَان قَالَه ابن دُرَيْد وقال: إنَّه عَرَبِيٌّ صَحِيحٌ وأنْشَد: قَدْ حَلَفَتْ باللهِ لا أُحِبُّهُ أنْ طَالَ خُصياهُ وقَصُرَ زُبُّهُ» وفي المخصص: «ابن السكيت هو الأيرُ، غير واحد، هي سَوْأة الإنسان وعَوْرتُه وكل ما يُسْتَحْيَا منه عَوْرة والنساء عَوْرة، ثابت، ومن أسمائه الزُّبُّ، وجمعه أَزُبُّ والكثِير زِبَبَة وقد تقدم أن الزُّبَّ اللِّحية يَمَانِيَة».

(1) الجندلة أي حجراً ويتقيها أي يتحاماها والمراجم الذي يرجم أي يرمي الحجارة والمحاجم واحدها محجم وهو موضع الحجم من جسم الإنسان وهو بكسر الميم آلة الحجام تطلق على المشرط وعلى القارورة التي يجمع فيها الدم وعلى الكأس التي يفرغها من الهواء بالنار ويضعها على الجلد بعد خدشه فيجتذب إليها الدم بقوة والخبّ المكر والخديعة يقول أبو الطيب:

«وَلَمّا صَارَ وُدُّ النّاسِ خِبّاً ... جَزَيْتُ على ابْتِسامٍ بابْتِسَامِ»

وآذى أي أساء.

(2) الأبية الممتنعة والعنان مقود الدابة والعبارة تعني أنها الممتنعة الانقياد والإذعان الخضوع والذلّة والزند وقد تقدّم الحجر يستخرج منه النار بالاقتداح والمتعسر أي الصعب.

(3) عشرتها أي صحبتها والصلفة من الأرض التي لا رعي فيها ولا ثمر ودالتها أي انبساطها ومكلّفة أي أنها تتكلّف الانبساط والإدلال والخرقاء لا تحسن العمل والفتنة البلاء والاختبار والصمّاء الشديدة والخشناء الخشنة الصعبة والليلاء الطويلة الشديدة الظلمة من الليالي ورياضتها ترويضها والعناء المشقة والجهد والخبرة الاختبار والعلم بالشيء والغشاء الغطاء يريد أن غشاء يحول دون العلم بحقيقة البكر يعني بذلك البكارة وقيل إن الخبرة هي الفرج والبكارة هي الغشاء على أن المعنى واحد فمعرفة البكر تتسنّى بزوال الحاجز المذكور.

(4) أخزاه أي أوقعه في الخزي والهوان وجعله يستحي ويذلّ وفضحه وفي سورة هود الآية 78: =

ويْحكَ أترغبُ في فُضالَةِ المآكِلِ، وثُمالَةِ المناهِلِ؟! واللّباسِ المُستَبذَلِ، والوِعاءِ المُستَعْمَلِ؟! والذّواقَةِ المُتطرِّفَةِ، والخَرّاجةِ المتصرِّفَةِ؟! والوَقاحِ المتسلِّطَةِ[1]، والمُحتَكِرَةِ المتسخِّطةِ؟! ثمّ كلمَتُها كُنتُ وصِرْتُ، وطالَما بُغيَ عليّ فنُصِرْتُ. وشتّان بين اليومِ وأمْسِ، وأينَ القمرُ منَ الشّمسِ؟! وإنْ كانتِ الحَنّانَةَ البَروكَ، والطّمّاحَةَ الهَلوكَ؛ فهيَ الغُلُّ القَمِلُ، والجُرْحُ الذي لا يندَمِلُ! فقلتُ له[2]: فهلْ ترى أن أترَهّبَ، وأسلُكَ هذا المذْهَبَ؟ فانْتَهَرني انتِهارَ المؤدِّبِ، عندَ زَلّةِ المتأدِّبِ؛ ثمّ قال: ويلَكَ أتَقتَدي بالرُّهْبانِ، والحقُّ قدِ استَبانَ؟! أُفٌّ لكَ، ولوَهْنِ رائِكَ! وتبّاً لك

= ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِيٓ﴾ والمنازل من نازل في الحرب إذا قابل خصمه وجهاً لوجه وفركت أي كرهت وقلت ومقتت والمغازل المتودد وأحنقت أي أسخطت والهازل أي المازح وأضرعت أي أذلّت والفنيق الفحل من الإبل والبازل ما نبت نابه من الإبل يقال للذكر والأنثى والبازل الكامل التجربة من الرجال وقد وصف الحجاج بن يوسف في خطبة له مولاه عبد الملك بن مروان بالبازل الذكر وقوله أنا ألبس وأجلس يريد بذلك تأنّفها وتعظّمها في نفسها ومن يطلق ويحبس أي من يتصرّف في الأمور فيعطي ويمنع يريد أنها لا تتكلّف تلك الأمور.

(1) وفضالة الشيء أي ما بقي منه والمآكل واحدها مأكل والثمالة البقية من الشراب والمناهل واحدها منهل وهو موضع الشرب والنهل الشرب الأول والمستبدل أي الذي لبس ثم استبدل أي اتخذ عنه بدلاً يريد أن الثيّب قد خولطت ولبست ثم تركت كالثوب القديم والوعاء ما توعى أي تحفظ به الأشياء والمستعمل أي استخدم واتخذ والمراد واضح والذوّاقة من ذاق أي خبر طعم الشيء والمتطرّفة أي التي تذوق بطرف لسانها ثم تبصق أو تذوق طرف الشيء وتتركه وتطرّفت الناقة رعت أطراف المرعى يريد أن الثيب لا تبقى على زوج واحد إنما هي تذوق وقد روي عن النبي قوله: «إن الله لا يحبّ الذواقين والذواقات» والخرّاجة من خرج أي الكثيرة الخروج البرزة لا تمكث في بيتها والوقاح الوقحة والقليلة الحياء ولا تحتشم والمتسلّطة من السلاطة من سلُط وسلِط سلاطة وسلوطة أي طال لسانه والسلط من الألسن الطويل والبذيء والتسلّط الاستعلاء والقهر.

(2) احتكر الشيء اختصّ نفسه به وجمعه لنفسه ومنعه والمتسخّط من السخط وهو الغضب وبُغي علي أي ظلمت ونصرت أي تأيّدت وشتّان اسم فعل بمعنى بعُد والحنّانة التي تحنّ لزوجها السابق وتحزن لأجله والبروك التي تتزوج ولها ولد كبير والطمّاحة التي تطمح أي ترفع نظرها إلى الشيء والمعنى واضح والهلوك الفاجرة والغل ما يغلّ به الأسير في عنقه ويديه وهو شراك عليه وبر فيعيش فيه القمل وفي ذلك ما فيه من جهد والغل القمل للمرأة السيئة وصف أطلقه عمر بن الخطاب حين نعت النساء ويندمل أي يبرأ ويلتحم.

ولأولَئِكَ! أتُراكَ ما سمعْتَ بأنْ لا رَهْبانيّةَ في الإسلام[1]؟! أو ما حُدّثْتَ بمناكِحِ نبيّكَ عليْهِ أزْكى السّلامِ؟! ثم أمَا تعلَمُ أنّ القَرينَةَ الصالحةَ تَرُبّ بيتَكَ، وتُلبّي صوتَكَ، وتغُضّ طرْفَكَ، وتطيّبُ عَرفكَ؟ وبها ترَى قُرّةَ عينِكَ، ورَيْحانَةَ أنفِكَ، وفرْحةَ قلبِكَ، وخُلْدَ ذِكرِكَ، وتعِلّةَ يومِكَ وغدِكَ[2]! فكيفَ رَغِبْتَ عنْ سُنّةِ المُرسَلينَ، ومُتعَةِ المتأهّلينَ، وشِرْعَةِ المُحْصَنينَ، ومَجْلَبَةِ المالِ والبَنين؟! واللهِ لقدْ ساءني فيكَ، ما سمِعْتُ من فيكَ! ثمّ أعْرَضَ إعْراضَ المُغضَبِ، ونَزا نَزَوانَ العُنظَبِ، فقلتُ لهُ: قاتَلَكَ اللهُ! أتنطَلِقُ متبخْتِراً، وتدعُني متحيّراً[3]؟! فقال: أظنّكَ تدّعي الحَيرَةَ، لتجْلِد عُميْرَة، وتَستَغْنيَ عنِ المُهَيْرَةِ! فقلتُ له: قبّحَ اللهُ ظنّكَ، ولا أشَبّ قرْنَكَ! ثمّ رُحْتُ عنهُ مَراحَ الخَزْيانِ، وتُبتُ منْ مُشاوَرَةِ الصّبيانِ[4]!

---

(1) انتهرني أي زجرني ووبخني والمؤدّب المعلّم والمتأدّب المتعلّم وتقتدي أي تتخذ قدوة ومثلاً وتتبع والرهبان واحدها راهب وهو المعتزل الزاهد والمتبتّل من النصارى واستبان أي اتضح وبان وأف لك تقال للتأفف وللاستكراه والامتعاض ووهن الرأي ضعفه وفسالته وقوله لا رهبانية في الإسلام حديث ينسب إلى النبي وقد جاء في تفسير اللباب في علوم الكتاب للنعماني في هذا الباب ما يلي: «. . . وقوله: «تَنَاكَحُوا تَنَاسَلُوا» وقوله: «لا رَهْبَانِيَّةَ فِي الإسلام». وقوله عليه الصلاة والسلام: «النِّكَاحُ سُنَّتِي وَسُنَّةُ الأنبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» وفي حديث أخرجه المتقي الهندي في كنز العمال: «يا عكاف! هل لك من زوجة؟ قال: لا، قال: ولا جارية؟ قال: لا، قال: وأنت موسر بخير؟ قال: نعم، قال: أنت إذن من إخوان الشياطين! إما أن تكون من رهبان النصارى فأنت منهم، وإما أن تكون منا فاصنع كما نصنع، لو كنت من النصارى لكنت من رهبانهم؛ وإن من سنتنا النكاح»

(2) ومناكح النبي زيجاته والسكن الزوجة وكل ما سكنت إليه وفي سورة الأعراف الآية 189: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وفي سورة الأنعام الآية 96: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا﴾ وربّ الشيء إذا ربّاه ونمّاه وأصلحه وتلبّي أي تستجيب وتطيع وغض الطرف أي تمنع من التطلع كناية عن التعفف والطرف النظر وتطيب أي تذكي والعرف الرائحة وهو هنا السمعة الصالحة وطيب الذكر وقرّة العين سكونها ويريد بذلك الولد والتعلّة أي الرجاء.

(3) رغب عن الشيء أعرض عنه وسنّة المرسلين يريد الحديث المروي عن النبي آنفاً وخلاصته أن سنتنا النكاح ومتعة المتأهلين أي ما يتمتع به المتزوجون والشرعة الدستور والمحصن أي المتزوج ومجلبة الشيء الذي يجلبه يريد أن الزوجة تحمل الزوج على العمل وجلب المال ونزا أي وثب والعنظب ذكر الجراد وتدعني تتركني.

(4) تدّعي أي تزعم وتجلد عميرة أي تستمني باليد ولهذا الفعل أسماء منها الخضخضة والتدليك =

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فقلتُ لهُ أُقسِمُ بمنْ أنْبَتَ الأيْكَ، أنّ الجدَلَ منكَ وإلَيْكَ! فأغْرَبَ في الضّحِكِ وطرِبَ طَرْبَةَ المُنهَمِكِ. ثم قال: العَقِ العسَلَ، ولا تسَلْ! فأخَذْتُ أُسهِبُ في مدْحِ الأدبِ، وأفضّلُ ربّهُ على ذي النّشبِ. وهوَ ينظُرُ إليّ نظرَ المُستَجْهِلِ، ويُغْضي عني إغْضاءَ المتمهّلِ. فلمّا أفْرَطْتُ في العَصبيّةِ، للعُصبَةِ الأدبيّةِ، قال لي: صهْ! واسمعْ مني وافْقَهْ(1):

يــقــولــونَ إنّ جَــمــالَ الــفــتــى ... وزيــــنَــــتَــــهُ أدَبٌ راسِـــخُ
ومــا إنْ يَــزيــنُ ســوى الــمُــكْــثِــريــنَ ... ومــنْ طــوْدُ ســودَدِهِ شــامِــخُ
فــأمــا الــفَــقــيــرُ فــخــيْــرٌ لــهُ ... مــنَ الأدَبِ الــقُــرْصُ والــكــامِــخُ
وأيّ جَــمــالٍ لــهُ أنْ يُــقــال ... أديــبٌ يــعــلِّــمُ أو نــاسِــخُ(2)

ثمّ قال: سيتّضِحُ لكَ صِدْقُ لهجَتي، واستِنارَةُ حُجّتي. وسِرْنا لا نألو جُهْداً، ولا نستَفيقُ جَهْداً؛ حتى أدّانا السيرُ، إلى قريَةٍ عزَبَ عنها الخيرُ، فدخلْناها للارْتِيادِ،

= والاستمناء والاعتمار وهو جمع اليدين وضمّهما لذلك والمهيرة تصغير المهر يريد بها المرأة الحرة ولا اشبّ الله أي لا كبّر الله والقرن الضفيرة والذؤابة والجملة دعاء عليه أن لا يكبر ولا يصبح شاباً فينمو جسمه ويصبح قرنه أي شعره أسود الذؤابة ورحت أي انصرفت والخزيان المهان المنقطع المستحي.

(1) أقسم أي أحلف والأيك واحدتها أيكة وهي الجماعة الكثيرة من الأراك أو السدر وقيل كل غيضة كثيرة الشجر والجدل شدة الخصومة ومقابلة الحجة بالحجة وهو المراد هنا ومنك وإليك يعني أن الكلام مختلق ولم يك ثمة غلام يحاور أو يجادل وأغرب أي بالغ وانهمك في الأمر إذا لجّ وجدّ فيه والعق فعل أمر من لعق أي لحس وأكل بلسانه وإصبعه وأسهب إذا أكثر في الكلام وأطال وذو النشب صاحب المال الأصيل من عقار أو من ماشية وأغضى عينه أي طبق جفنيها كيلا يبصر والإغضاء التغافل والتحمّل والممهل من أمهله إمهالاً إذا أنظره ولم يعجله ورفق به والعصبية التعصّب والانتصارلأمر ما والعصبة الجماعة وصه أي اسكت وافقه أي وافهم.

(2) الراسخ الثابت والمكين والمكثرين أي الموسرين الأثرياء والطود الجبل والسؤدد السيادة والرفعة والشامخ الثابت والمرتفع والقرص يعني الرغيف والكامخ ما يؤتدم به وغالباً ما يصنع من لبن وخبز والناسخ الكاتب.

وكِلانا منْفِضٌ منَ الزّادِ. فما إنْ بلَغْنا المَحطّ[1]، والمُناخَ المخْتَطّ. أو لَقِينا غُلامٌ لمْ يبلُغِ الحِنْثَ، وعلى عاتِقِه ضِغْثٌ. فحيّاهُ أبو زيدٍ تحيّةَ المُسلمِ، وسألَهُ وَقفَةَ المُفهِمِ، فقال: وعمّ تسألُ وفّقكَ اللهُ؟ قال: أيُباعُ هاهُنا الرُّطَبُ، بالخُطَبِ؟ قال: لا واللهِ! قال: ولا البلَحُ، بالمُلَحِ؟ قال: كلا واللهِ. قال: ولا الثّمرُ. بالسّمَرِ؟ قال[2]: هيهاتَ واللهِ! قال: ولا العَصائِدُ، بالقصائدِ؟ قال: اسْكُتْ عافاكَ اللهُ! قال: ولا الثّرائِدُ، بالفَرائدِ؟ قال: أينَ يُذهَبُ بكَ أرشَدَكَ اللهُ؟ قال: ولا الدّقيقُ، بالمعْنى الدّقيقِ؟ قال: عدّ عنْ هذا أصْلَحَكَ اللهُ! واستَحْلى أبو زيدٍ تَراجُعَ السّؤالِ والجَوابِ، والتّكايُلَ منْ هذا الجِرابِ[3]، ولمَحَ الغُلامُ أنّ الشّوطَ بَطينٌ، والشيخَ شُوَيطينٌ؛ فقال له: حسبُكَ يا شيخُ قد عرَفْتُ فنّكَ، واستبَنْتُ أنّكَ! فخُذِ الجوابَ صُبرَةً، واكْتَفِ بهِ خِبرَةً[4]: أما بهذا المكانِ فلا يُشترى الشِّعرُ بشَعيرَةٍ، ولا النّثرُ بنُثارَةٍ! ولا القَصَصُ

---

(1) سيتضح أي سيبين واللهجة أي منطقي وكلامي واللهجة طرف اللسان ولغة الإنسان التي جبل عليها واعتادها واستنارة من استنار إذا أضاء والحجّة البرهان ولا نألو أي لا نقصّر والجهد الطاقة والوسع ونستفيق أي نفيق والجهد التعب وأدّانا أي بلغ بنا وعزب عنها أي غاب عنها والارتياد الطلب ومنفض من الشيء أي خال منه وبلغنا وصلنا والمحطّ المكان تحط فيه الرحال.

(2) المناخ مكان الإناخة والمختط المرسوم والمعد لذلك والحنث الذنب والإثم وفي سورة الواقعة الآية 46: ﴿وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ﴾ وحنث في يمينه أي لم يف بما أقسم عليه وقوله لم يبلغ الحنث أي إنه لم يبلغ الحلم وسن التكليف فلا كتاب ولا حساب عليه والعاتق ما بين المنكب والعنق والضغث حزمة الحشيش أو القبضة من قضبان مختلفة يجمعها أصل واحد وفي سورة ص الآية 44: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ﴾ والرطب والبلح من التمر والخطب واحدتها خطبة والسمر حديث الليل والملح واحدتها ملحة وهي الحديث الفكه المستملح.

(3) العصائد واحدتها عصيدة وهي الدقيق يطبخ بالماء ويؤكل بسمن أو عسل والثرائد والواحدة ثريدة وهي الخبز يفتّ في مرق اللحم والفرائد والواحدة فريدة الجوهرة الثمينة وقد استعير ذلك للقصائد والقطع الأدبية وأين يذهب بك سؤال يقال في مقام التجهيل ومعناه أين يذهب بعقلك والدقيق الطحين وعدّ عن هذا فعل أمر بمعنى دعه وتجاوزه واستحلى الأمر وجده حلواً وراق له والتراجع في الكلام تداوله والأخذ والرد فيه والتكايل أي الكيل.

(4) الشوط الجري إلى غاية والرجوع منها والبطين المتسع والبعيد ومعنى الشوط بطين أن لدى السروجي كلاماً كثيراً فالبطين أيضاً العظيم البطن والشويطين تصغير شيطان أي إنه داهية لا يقاوم=

بقُصاصَةٍ! ولا الرّسالَةُ بغُسالَةٍ! ولا حِكَمُ لُقْمانَ بلُقمَةٍ! ولا أخْبارُ المَلاحِمِ بلَحْمَةٍ! وأما جيلُ هذا الزّمانِ فما منهُمْ مَنْ يَميحُ، إذا صيغَ لهُ المديحُ، ولا مَنْ يُجيزُ، إذا أُنشِدَ لهُ الأراجيزُ، ولا منْ يُغيثُ، إذا أطرَبَهُ الحديثُ، ولا منْ يَميرُ، ولوْ أنّهُ أميرٌ! وعندَهُمْ انّ مثَلَ الأديبِ[1]، كالرّبْعِ الجَديبِ؛ إنْ لم تجُدِ الرّبْعَ ديمَةٌ، لمْ تكُنْ لهُ قيمَةٌ، ولا دانَتْهُ بَهيمَةٌ[2]! وكذا الأدَبُ؛ إنْ لم يعْضُدْهُ نشَبٌ، فدَرْسُهُ نصَبٌ، وخزْنُهُ حصَبٌ! ثمّ انسَدَرَ يعْدو، وولّى يحْدو. فقال لي أبو زيدٍ: أعَلِمْتَ أنّ الأدَبَ قد بارَ، وولّتْ أنصارُهُ الأدْبارَ[3]؟ فبُؤتُ لهُ بحُسْنِ البَصيرَةِ، وسلّمْتُ بحُكْمِ الضّرورةِ. فقال: دعْنا الآنَ منَ المِصاعِ، وخُضْ في حديثِ القِصاعِ، واعْلَمْ أنّ الأسْجاعَ، لا تُشبِعُ

= وحسبك أي يكفيك وفنك أي طريقتك ونوعك واستبنت أي بان لي وتحققت أنك داهية وصبرة أي جملة بغير كيل والخبرة الاختبار والمعرفة.

(1) الشعيرة حبة الشعير والنثارة من الشيء الفتات والقصص أخبار المتقدمين والقصاصة ما يقصّ من الشعر والغسالة الماء غُسل به بقية الطعام ولقمان نبي خصّ بسورة في القرآن أو لقمان الحكيم وهو معمّر عربي ولعلهما واحد والملاحم الحروب والوقائع واللحمة القطعة من اللحم والجيل أهل الزمان الواحد ويميح أي يعطي وكذلك يجيز من أجاز والأرجوزة القصيدة من الرجز واحدة القافية في كل مصاريعها ويغيث أي يعين وأطربه الحديث أي حركّه وانبسط له ويمير أي يعطي الميرة وهي الطعام.

(2) الأديب أي المتأدّب والمشتغل بالأدب والربع المنزل الجديب أي القحط ولم تجد من جاد الغيث الأرض إذا عمها المطر يقول ابن حمديس:

«مَـلِـكٌ إذا جـادَ جـادَ الـغـيـثُ مـن يـده فـمـسـقَـطُ الـقـطـر مـنـه مـنـبـتُ الـنـعـم»

والديمة المطر الدائم ودانته أي قاربته ودنت منه.

(3) ويعضده أي يؤيّده ويدعمه ويسنده والنشب المال الأصلي من ماشية وعقار ودرسه أي التوفر عليه وتدبّره ودراسته والنصب التعب وخزنه أي حفظه وادّخاره وفي رواية حزبه أي أهله وأرى هذا أولى وحصب ما يحصب به في النار وفي سورة الأنبياء الآية 98: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ وانسدر أي جرى وانصبّ في جريه ويعدو أي يجري وولّى أي مضى وانصرف ويحدو من حدا الإبل وبها إذا غنّى لها وساقها أو تبع وأرى الثانية أولى فيكون المعنى فمضى يجري ويتابع الجري وبار أي كسد وولت الأدبار أي انقلبت منهزمة فالدبر مؤخر كل شيء وظهره وفي سورة الأحزاب الآية 15: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ وقد تكررت المادة في القرآن مراراً والأنصار المؤيدون.

منْ جاعَ! فما التّدبيرُ في ما يُمسِكُ الرّمَقَ، ويُطفِئ الحرَقَ؟ فقلتُ: الأمرُ إليْكَ، والزّمامُ بيديْكَ! فقال[1]: أرى أنْ ترْهَنَ سيفَكَ، لتُشبِعَ جوفَكَ وضيفَكَ! فناوِلْنيهِ وأقِمْ، لأنقَلِبَ إليكَ بما تلْتَقِمُ! فأحسنْتُ به الظّنّ؛ وقلّدتُهُ السيفَ والرّهْنَ، فما لَبِثَ أنْ ركِبَ الناقَةَ، ورفضَ الصّدقَ والصّداقَةَ! فمكثْتُ مليّاً أترَقّبُهُ، ثمّ نهضْتُ أتعقّبُهُ؛ فكُنتُ كمَنْ ضيّعَ اللّبَنَ في الصّيفِ، ولم ألْقَهُ ولا السّيفَ[2]!

(1) وبؤت بالشيء رجعت به والبصيرة الفطنة وحسن الإدراك وسلّمت أي أذعنت والمصاع القتال والدفاع وهي هنا بمعنى الجدل وخض فعل أمر من خاض الماء إذا ولجه والخوض في الأمر التعمّق فيه والقصاع واحدتها قصعة وهي صحاف الطعام يقول دع عنك الجدل وخذ في حديث المأكل والأسجاع الكلام المقفى ويمسك الرمق أي يحفظ بقية الحياة.

(2) رهن الشيء إذا حبسه بحق ليستوفى منه عند تعذّر الوفاء وانقلب أي ارجع وتلتقم أي تأكل وقلّدته أي أوكلت إليه والرهن أي رهن السيف ورفض أي جحد ونبذ واطّرح والصدق قول الحق والصداقة الصحبة ومكثت مليّاً أي أقمت زماناً وأترقّبه أي أنتظره وأتعقّبه أي أتبعه على عقبه وضيع اللبن في الصيف أصله مثل عربي لكل من ضيّع أمره وخلاصة حكايته على ما جاء في مجمع الأمثال للميداني: «... المثَلَ في الأصل خوطبت به امرأة وهي دَخْتَنُوس بنت لقيط بن زرارة كانت تحت عمرو بن عُدَاس وكان شيخاً كبيراً فَفَرِكَتْهُ (فركته: كرهته) فطلقها ثم تزوجها فتى جميل الوجه أجْدَبَتْ فبعثت إلى عمرو تطلب منه حَلُوبة فَقَال عمرو» في الصيف ضيعت اللبن» فلما رجع الرسُولُ وقَال لها ما قَال عمرو ضربَتْ يَدَها على منكب زوجها وقَالت «هذا ومَذْقُه خَيرٌ» تعني أن هذا الزوج مع عدم اللبن خيرٌ من عمرو فذهبت كلماتها مَثَلاً فالأول يضرب لمن يطلب شيئاً قد فَوّته على نفسه والثاني يضرب لمن قَنَع باليسير إذا لم يجد الخطير.

المقامة الشّتَويّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال: عشَوْتُ في ليلَةٍ داجِيَةِ الظُّلَمِ، فاحِمَةِ اللِّمَمِ، إلى نارٍ تُضرَمُ على علَمٍ، وتُخبِرُ عن كرَمٍ. وكانتْ ليلَةَ جوُّها مَقرورٌ، وجَيْبُها مَزْرورٌ، ونجمُها مغْمومٌ، وغيمُها مرْكومٌ. وأنا فيها أصْرَدُ منْ عينِ الحِرْباء، والعَنْزِ الجَرْباء. فلمْ أزلْ أُنصّ عنْسي، وأقولُ: طوبى لكِ ولَنفْسي! إلى أن تبصّرَ المُوقِدُ آلي، وتبيّنَ إرْقالي؛ فانحدَرَ يعْدو الجَمَزَى، ويُنشِدُ مُرتَجِزاً[1]:

---

(1) أثبت المؤلف في آخر المقامة نصاً قال في مطلعه: «قد فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع إليه فأحببت أيضاً حلها ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسألة» وعلى جاري عادتنا في تقريب المعنى وتسهيل العون فإننا سنثبت تفسير الحريري في حاشية كل مسألة وبخط مسمّن وبين قوسين.

عشوت أي تنورت فقصدت وتكون في النار يضرمها العربي فيراها الساري ليلاً فيقصدها ويُقرى (وقوله «عشوت إلى نار» يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ الزخرف 36) والداجية الحالكة العتمة وفاحمة أي سوداء كالفحم واللمم واحدتها لمة وهي الشعر يتجاوز شحمة الأذن فإذا بلغ المنكب صار جمّة والعبارة كناية عن شدة الظلمة وتضرم أي توقد والعلم الجبل ومقرور أي بارد والجيب القميص أو شاكله ما يُدخل منه الرأس عند لبسه ومزرور أي مشدود الإزار والعبارة كناية عن تكاثف السحاب ومغموم أي مستور لا يرى ومركوم أي متراكب متراكم بعضه فوق بعض وفي سورة الطور الآية 44: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ وأصرد من صرد أي كان ضعيفاً على البرد والصرد هو البرد والعبارة مثل عربي. جاء في جمهرة الأمثال: «أصرد من عنز جرباء وذلك لأنها لا تدفأ لقلة شعرها والصرد البرد. أصرد من عين الحرباء قالوا هو تصحيف المثل الأول وقيل الحرباء تستقبل الشمس أبداً» بعينها تستجلب الدفء».

(وقوله: «وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء» هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد =

حُيِّيتَ مِنْ خابِطِ لَيْلٍ ساري هَداهُ بَلْ أهْداهُ ضَوءُ النارِ
إلى رَحيبِ الباعِ رحْبِ الدّارِ مرحِّبٍ بالطّارِقِ المُمْتارِ
تَرْحابَ جَعْدِ الكفّ بالدّينارِ ليسَ بِمُزْوَرٍّ عنِ الزُّوّارِ
ولا بِمِعْتامِ القِرى مِئْخارِ إذا اقْشَعرّتْ تُرَبُ الأقْطارِ[1]
وضَنّتِ الأنواءُ بالأمْطارِ فهْوَ على بؤسِ الزّمانِ الضّاري
جمُّ الرّمادِ مرهَفُ الشِّفارِ لمْ يخْلُ في ليلٍ ولا نَهارِ
مِن نحْرِ وارٍ واقْتِداحِ وارِي[2]

= وذلك لأن الحرباء تدور مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله:

ما بالها قد حسنت ورقيبها أبداً قبيح قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء.

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرهاوذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الأول).

وأنصّ أي أجهد وعنسي ناقتي القوية والنصّ رفع السير والسرعة فيه وتبصّر أي رأى وتأمّل وآلي أي شخصي وتبيّن أي رأى وتحقق والإرقال الإسراع في السير وانحدر أي نزل من الجبل والجمزى العدو الشديد والارتجاز الإنشاد من بحر الرجز وهو الواحد القافية في مصاريعه كافة.

(1) حييت أي حياك الله والخابط الساري ليلاً لايدري أين يذهب وهداه أي أرشده وأهداه أي قدّمه هدية ورحيب الباع الكريم ورحب الدار من داره واسعة كناية عن الثراء ومرحب أي يقول مرحباً احتفاء والطارق الذي يأتي ليلاً والممتار طالب الميرة وهي الطعام وجعد الكف البخيل والجعد المتقبّض والمعقّد والمزور من ازورّ إذا انقبض وتنحى وأعرض يقول إنه يرحب بالضيف كما يرحّب البخيل بالدينار والزوار واحدها زائر والمعتام المبطئ المؤخّر والقرى طعام الضيف ومئخار أي كثير التأخير واقشعر تقبّض وتغيّر والأقطار البلاد والنواحي يريد ولا يبطئ في إطعام ضيفه إذا خشنت الأرض وغلظت كناية عن الجدب.

(2) ضنّت أي بخلت والأنواء أي النجوم وكانوا يستمطرون بها والبؤس الشدّة والضاري من الكلاب المعتاد والمدرّب على الصيد يريد أن الزمان اعتاد البؤس والشدة وكثرة الرماد كناية عن الكرم ومرهف الشفار أي قاطع الشفار وواحدتها الشفرة وهي من السكين أو السيف حده والعبارة كناية عن نحره الماشية للضيوف والواري البعير السمين (وقوله من: «من نحر وار» يعني الجمل المكتنز شحماً الكثير مخاً) واقتداح الواري أي اقتداح الزند أي ضربه لاستخراج النار يطبخ عليها.

ثمّ تلقّاني بمُحيّا حَيِيٍّ، وصافَحَني براحَةِ أريَحِيٍّ! واقْتادَني إلى بيتٍ عِشارُهُ تخورُ، وأعْشارُهُ تفورُ، وولائِدُهُ تمورُ، وموائِدُهُ تدورُ، وبأكْسارِهِ أضْيافٌ قدْ جلبَهُم جالِبي، وقُلّبوا في قالَبي، وهُمْ يجتَنونَ فاكِهةَ الشّتاء، ويمرَحونَ مرَحَ ذَوي الفَتاء. فأخذْتُ مأخذَهُمْ في الاصطِلاء، ووجدْتُ بهِمْ وجْدَ الثّمِلِ بالطِّلاء. ولمّا أنْ سَرى الحصَرُ، وانْسَرى الخَصَرُ[1]، أُتينا بمَوائِدَ كالهالاتِ دَوْراً، والرّوْضاتِ نَوْراً؛ وقد شُحنّ بأطْعِمَةِ الوَلائمِ، وحُمينَ منَ العائِبِ واللائِمِ. فرفَضْنا ما قيلَ في البِطنَةِ، ورأيْنا الإمْعانَ فيها منَ الفِطنَةِ! حتى إذا اكتَلْنا بصاعِ الحُطَمِ[2]، وأشْفَيْنا على خطَرِ التُخَمِ،

---

(1) تلقاني أي استقبلني والمحيا الوجه والحيي الكثير الحياء وصافحني أي سلم بيده والراحة الكف الأريحي الكريم الذي يرتاح للعطاء واقتادني أي أخذني وقادني والعشار النوق الحوامل (وقوله «عشاره تخور وأعشاره تفور» العشار النوق الحوامل والأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق ووصف الجماعة منها كوصف الواحد) والولائد والواحد وليد وهو المولود والواحدة وليدة وهي الجارية الصغيرة السن الخادمة وتمور من مار أي تحرّك وتدافع والبحرُ ماج واضطرب والمراد هنا أن الولائد تذهب وتجيء في خدمة الأضياف وأكساره واحدها الكسر وهو جانب البيت وجلبهم جالبي أي أتى بهم الذي أتى بي يعني البرد والسغب وقلبوا في قالبي أي صُبّوا في قالبي أو جعلوا في القالب فهم أمثالي والقالب للشيء ما تفرغ فيه الجواهر وغيرها ليكون مثالاً لما يصنع منها ويجتنون من جنى إذا قطف الثمر.

(وقوله: «فاكهة الشتاء» كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين:

النار فاكهة الشتاء فمن يُرد ... أكل الفواكه شاتياً فليصطل

إن الفواكه في الشتاء شهية ... والنار للمقرور أفضل مأكل)

ويمرحون من مرح مرحاً إذا اشتدّ فرحه ونشاطه وذوو الفتاء أي الفتيان أو الأحداث في السن وأخذ مأخذه أي سلكت مسلكه ووجدت أي فرحت وتولعت والثمل أي النشوان من خمر والطلاء من أسماء الخمر وسرى الحصر أي زال ضيق الصدر وانسرى الخصر أي انكشف البرد.

(2) (وقوله: «موائد كالهالات» يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمّى الطفاوة) ودوراً أي استدارة والروضات واحدتها الروضة والنور أي الزهر وشُحِنّ من شحن السفينة أي ملأها وأتمّ جهازها والولائم واحدتها وليمة وهي الطعام يتخذ لجمع أو دعوة وحمين من حمى وصان والعائب الذي يعيب واللائم أي الذي يلوم. يصف الوليمة أنها فوق العيب وفوق الملامة والتثريب ورفضنا أي رمينا وتركنا والبطنة الكظّة والامتلاء الشديد والإمعان أي المبالغة فأمعن في الأمر يعني جدّ =

تعاوَرْنا مَشوشَ الغمَرِ، ثمّ تبوّأنا مقاعِدَ السّمَرِ؛ وأخذَ كُلُّ واحِدٍ منا يَشولُ بلِسانِهِ، وينشُرُ ما في صِوانِهِ. ما عَدا شيخاً مُشتَهِباً فَوْداهُ، مُخلَوْلِقاً بُرْداهُ؛ فإنّهُ ربَضَ حَجرَةً، وأوسَعَنا هِجرَةً. فغاظَنا تجنّبُهُ، المُلتَبِسُ موجِبُهُ، المعْذورُ فيهِ مؤنّبُهُ. إلا أنّا ألَنّا لهُ القوْلَ، وخشِينا في المسألةِ العوْلَ. وكلّما رُمْنا أنْ يَفيضَ كما فِضْنا، أو يُفيضَ في ما أفَضْنا؛ أعْرَضَ إعْراضَ العِلّيّةِ عنِ الأرْذَلينَ[1]، وتَلا: إنْ هذا إلا أساطيرُ الأوّلينَ!

= وأبعد وبالغ في الاستقصاء فيقال أمعن في السير أو في الشر والإكثار والفطنة أي الحصافة والحذق وهو هنا يناقض ما قيل من أن: «البطنة تذهب بالفطنة» واكتال أي تولّى الكيل والصاع مكيال تكتال به الحبوب ومقداره أربعة أمداد والحطم الذي يحطم ويكسر والحطم أيضاً الرجل الذي لا يرحم الماشية وهو أيضاً الأكول لا يشبع ومعنى العبارة أننا أكلنا أكل أكول لا يشفق على نفسه.

(1) وأشفينا من أشفى على الشيء إذا أشرف عليه وقاربه ودنا منه كثيراً ويقال في الدنو من الخطر والتخم واحدتها تخمة وهي الامتلاء المفرط من الطعام حتى يصبح سقماً وتعاورنا أي تداولنا وأخذ واحدنا من الآخر (وقوله «مشوش الغمر» يعني المنديل يقال مشّ يده بالمنديل أي مسحها ومنه قول امرئ القيس:

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواءٍ مضهب

والغمر رائحة اللحم وزهومته وتبوأنا من تبوّأ إذا حل وتمكن في المكان والسمر حديث الليل ويشول من الشول وهو الرفع بعامة كأن تشول الناقة بذنبها وينشر أي يبسط ويذيع والصوان خزانة بائع الثياب وما يصان فيه ومشتهباً أي صار أشهب وخالط سواده بياض والفود جانب الرأس.
(وقوله: «مشتهباً فوداه» أي صار من الشيب في لون الأشهب ومنه قول امرىء القيس:
قالتِ الخنساءُ لمَّا جئتُها: شابَ بعدي رأسُ هذا واشتهبْ) واخلولق إذا كان كثير البلى والبرد الثوب وربض إذا برك وقعد والحجْرة الناحية (وقوله «ربض حجرة» يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء: يرتع وسطاً ويربض حجرة) وأوسعنا أي زادنا وهجرة أي بعداً وتجنّباً والملتبس أي المشتبه وغير الواضح والموجب السبب والمؤنب اللائم والموبّخ يقول فأغضبنا وأسخطنا إعراضنا الذي لا نعرف له سبباً والذي إذا حمل أحداً على لوم الشيخ لكان معذوراً وألنا من ألان إذا كان ليناً وخشينا أي خفنا والعول من عال الميزان إذا رجحت كفة وشالت الأخرى ومنه يأتي العول أي الجور في الحكم وعال يعول عولًا أي جار ومال عن الحق وفي سورة النساء الآية 3: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ رمنا من رام أي أرادنا ويفيض أي يجري ويتدفّق ويُفيض من أفاض في الحديث أي اندفع فيه وأسرع وأعرض إذا مال عن الشيء وتجنّبه والعلية والوحد علي السيد والكبير العظيم من الناس والأرذلين أي السفلة والأدنياء.

ثمّ كأنّ الحَميّةَ هاجَتْهُ، والنّفسَ الأبيّةَ ناجَتْهُ؛ فدلَفَ وازْدَلَفَ، وخلعَ الصّلَفَ، وبذلَ أنْ يتَلافى ما سلَفَ. ثمّ استرْعى سمْعَ السّامِرِ، واندفَعَ كالسّيلِ الهامِرِ، وقال[1]:

عِندي أعاجيبُ أرْويها بلا كذِبِ   عنِ العِيانِ فكَنّوني أبا العجَبِ

رأيتُ يا قوْمِ أقْواماً غذاؤهُمُ   بَوْلُ العجوزِ وما أعني ابنَةَ العِنَبِ

(بول العجوز لبن البقرة والعجوز أيضاً من أسماء الخمر).

ومُسنِتِينَ منَ الأعْرابِ قوتُهُمُ   أن يشتووا خِرقةً تُغني من السّغَبِ[2]

(الخرقة القطعة من الجراد).

وقادِرينَ متى ما ساء صُنعُهُمُ   أو قصّروا فيه قالوا الذّنْبُ للحطَبِ

(القادر الطابخ في القدر والقدير المطبوخ فيها).

وكاتِبينَ وما خطّتْ أنامِلُهُمْ   حرْفاً ولا قرَأوا ما خُطّ في الكُتُبِ

(الكاتبون الخرازون يقال كتب السقاء والمزادة خرزهما وكتب البغلة أو الناقة

---

(1) وتلا أي قرأ وأساطير الأولين خرافاتهم وتآليفهم والعبارة قرآنية تكررت في سورة في الأنفال 31 والنحل 24 والمؤمنون 83 والفرقان 5 والنمل 68 والأحقاف 17 والقلم 15 والمطففين 13: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ والحمية الأنفة والعظمة وعزة النفس وهاجته أي هيجته والأبية العزيزة تأبى الضيم وناجته سارّته وحادثته ودلف أي مشى إلينا وازدلف أي تقرّب والصلف العنجهية والكبرياء وبذل أعطى وهي هنا بمعنى حاول والتلافي استدراك الشيء وتجنّبه وما سلف أي ما مضى (وقوله «فاسترعى سمع السامر» يعني السمّار؛ لأن السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر قال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون في ظل القمر اشتقّ لهم اسم منه وإلى هذا يرجع قولهم: «لا أكلمه القمر والسمر» والهامر المنصبّ.

(2) العيان المشاهدة بالعين وكنوني أي سمّوني ومسنتين والواحد مسنت وهو الجديب والفقير المسكين ليس له شيء والخرقة القطعة من الثوب ويشتووا الخرقة أي يعدونها شواء والسغب الجوع.

إذا جمع بين شفريها وخاطهما قال الشاعر: لا تأمنن فزارياً خلوت به. . . على قلوصك واكتبها بأسيار)[1].

وتـابِـعـيـنَ عُـقـابـاً فـي مـسـيـرِهِـم على تكمّيهِم في البيْضِ واليَلَبِ[2]

(العقاب الراية وكانت راية النبي ﷺ تسمى العقاب).

ومُـنـتَـديـنَ ذَوي نُـبْـلٍ بـدَتْ لـهُـمُ نبيلَةٌ فانْثَنوْا منها إلى الهرَبِ[3]

(النبيلة الجيفة ومنه تنبل البعير إذا مات وأروح يعني نتن).

وعُصبَةً لمْ ترَ البيْتَ العَتيقَ وقدْ حجّتْ جُثِيّاً بلا شكٍّ على الرُّكَبِ

(معنى حجّت جثياً أي غلبت بالحجة مجادلين جاثين على الركب وجثى جمع جاث).

ونِسوَةً بعدَما أدْلجنَ من حلَبٍ صبّحنَ كاظِمَةً من غيرِ ما تعَبِ[4]

(كاظمة في هذا الموضع من كظم الغيظ).

ومُدلِجينَ سرَوْا من أرضِ كاظِمَةٍ فأصبَحوا حينَ لاحَ الصُبحُ في حلَبِ

(في حلب أي أصبحوا يحلبون اللبن).

ويافِعاً لم يُلامِسْ قطُّ غانِيَةً شاهَدتُهُ ولهُ نسلٌ منَ العَقِبِ[5]

(1) هذا البيت أي لا تأمنن فزارياً للشاعر ابن دارة وقد نسب إلى الفرزدق أيضاً ولكن الأول أشهر.
(2) العقاب طائر من الكواسر من فصيلة الصقريات والتكمّي التغطّي والكمي الشجاع التام السلاح والبيض والواحدة بيضة وهي المغفر أي ما يجعل في الرؤوس في الحرب واليلب دروع من جلد ثم استعملت في دروع الحديد.
(3) المنتدون المجتمعون في النادي وهو المجلس وذوو النبل أي أنهم نبلاء والنبيلة السيدة الشريفة المحتد وانثنوا أي رجعوا.
(4) الإدلاج السير في الليل وحلب المدينة المعروفة في سوريا كاظمة اسم علم لبلد في منطقة البصرة.
(5) اليافع من ناهز البلوغ ويلامس من لامس إذا مسّ وهي هنا بمعنى الجماع والغانية المرأة المطلّقة بعامة والمستغنية بجمالها والنسل الذرية والعقب ما يعقب بعده من أولاد.

(النسل ههنا العدو قال تعالى: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: 96] والعقب مؤخر القدم).

وشائِباً غيرَ مُخْفٍ للمَشيبِ بَدا ... في البَدْوِ وهْوَ فتيُّ السِّنّ لم يشِبِ

(الشائب ههنا مازج اللبن والمشيب اللبن الممزوج ويقال فيه مشيب ومشوب).

ومُرضَعاً بلِبانٍ لمْ يفُهْ فمُهُ ... رأيتُهُ في شِجارٍ بيْنِ السّبَبِ[1]

(الشجار المحفة ما لم تكن مظللة فإن ظللت فهو الهودج والسبب ههنا الحبل ومنه قوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: 15].

وزارِعاً ذُرَةً حتى إذا حُصِدَتْ ... صارتْ غُبَيراء يهواها أخو الطّرَبِ[2]

(الغبيراء المسكر المتخذ من الذرة ويسمى أيضاً السكركة وفي الحديث: «إيّاكم والغبيراء فإنها خمر العالم»).

وراكِباً وهْوَ مغلولٌ على فرَسٍ ... قد غُلّ أيضاً وما ينفكّ عن خبَبِ[3]

(المغلول ههنا العطشان وغل أي عطش).

وذا يدٍ طُلُقٍ يقتادُ راحِلَةً ... مُستَعجِلاً وهْوَ مأسورٌ أخو كُرَبِ[4]

(المأسور الذي يجد الأسر وهو احتباس البول).

وجالِساً ماشياً تهْوي مطيّتُهُ ... بهِ وما في الذي أوْرَدتُ من رِيَبِ

(1) المرضع الطفل الرضيع واللبان لبن الأم ولم يفه أي لم ينطق والشجار الخصام والجدال والسبب العلّة.

(2) الغبيراء جنس أشجار من الورديات تستخرج من ثمارها مشروبات كحولية ويهواها أي يعشقها ويحبها وأخو الطرب الطروب.

(3) المغلول المقيّد والخبب ضرب من العدو والجري.

(4) الطلق أي غير المشدود ويقتاد أي يقود ومأسور أي محبوس وأخو كرب أي مكروب والكربة الضيق والهم.

(الجالس الآتي نجداً والماشي الذي كثرت ماشيته وعليه فسّر بعضهم قوله تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱمۡشُواْ﴾ [ص: 6] كأنه دعاء لهم بكثرة الماشية والنماء والبركة).

وحائكاً أجْذَمَ الكفّينِ ذا خرَسٍ فإن عجبتمْ فكمْ في الخَلقِ من عجَبِ[1]

(الحائك ههنا الذي إذا مشى حرك منكبيه وفجج بين ركبتيه).

وذا شَطاطٍ كصدرِ الرّمحِ قامَتُهُ صادَفتُهُ بمِنًى يشكو منَ الحدَبِ

(الحدب ما ارتفع من الأرض).

وساعياً في مسَرّاتِ الأنامِ يرى إفْراحَهُمْ مأثماً كالظُّلمِ والكذِبِ[2]

(إفراحهم إثقالهم بالدين ومنه قوله ﷺ: لا يترك في الإسلام مفرح أي مثقل من الدين أو يقضى عن دينه).

ومُغْرَماً بمُناجاةِ الرّجالِ لهُ وما له في حديثِ الخلقِ من أرَبِ

(الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الشُعَراء: 137].

وذا ذِمامٍ وفَتْ بالعَهْدِ ذمّتُهُ ولا ذِمامَ لهُ في مذهَبِ العرَبِ[3]

(الذمام الثاني جمع ذمة وهي البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك أي ما له آبار قليلة الماء في البدو).

وذا قُوًى ما اسْتبانَتْ قطّ لِينَتُهُ ولِينُهُ مُستَبينٌ غيرُ مُحتجِبِ

(اللين نخيل الدقل ومنه قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: 5].

---

(1) تهوي أي تسرع والريب الشك والحائك أي من ينسج الثياب والأجذم المقطوع اليد من الأنامل.

(2) الشطاط الطول ومنى بلدة قريبة من مكة وعرفات وغار حراء المبعث وفي منى مرمى الجمار والحدب تقوس الظهر وبروز الحدبة والمسرات ما يسرّ ويفرح والمأثم الإثم.

(3) المغرم المولع ومناجاة الرجال محادثتهم والخلق الخلق بعامة والأرب الحاجة وذو الذمام صاحب الذمة والعهد.

وسـاجـداً فـوقَ فـحْـلٍ غـيـرَ مـكـتـرِثٍ بِـمـاأتـى بـلْ يـراهُ أفـضـلَ الـقُـرَبِ

(الفحل الحصير المتخذ من فحال النخل).

وعــاذِراً مــؤلِــمــاً مَــنْ ظَــلّ يــعــذِرُهُ مع التّلطّفِ والمعذورُ في صخَبِ[1]

(العاذر الخاتن والمعذور المختون).

وبــلْــدَةً مــا بــهــا مــاءٌ لــمُــغــتَــرِفٍ والماءُ يجري عليْها جرْيَ مُنسرِبِ

(البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضاً البلجة).

وقـريـةً دونَ أُفـحوصِ الـقـطـا شُـحـنـتْ بـديـلمٍ عـشـيهُـمْ من خُـلسَـةِ الـسّـلَـبِ

(القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير وخلسة السلب لحاء الشجر).

وكـوْكَـبـاً يـتَـوارى عـنـدَ رؤيـتـهِ الـ إنسانُ حتى يُرَى في أمنَعِ الحُجُبِ[2]

(الكوكب النكتة البيضاء التي تحدث في العين والإنسان ههنا إنسان العين).

وروْثَــةً قــوّمَــتْ مــالاً لــهُ خــطَــرٌ ونـفْـسُ صـاحِـبِـهـا بـالـمـالِ لـم تـطِـبِ

(الروثة مقدم الأنف).

وصـحـفَـةً من نُـضـارٍ خـالـصٍ شُـريـتْ بـعـدَ الـمِـكـاسِ بـقـيـراطٍ مـن الـذّهـبِ

(النضار ههنا شجر النبع ومنه قول بعض التابعين لا بأس أن يشرب في قدح النضار، عنى به هذا).

---

(1) ذو القوى وواحدتها قوة أي القوي الشديد واللينة أي اللين والرخاوة ومستبين أي ظاهر والمحتجب المستور والفحل ذكر الفحل القوي على الضراب وغير مكترث أي غير عابئ أو مبال والقرب واحدتها قربة وهي الطاعة والتقدمة والعاذر من يقبل العذر والمؤلم المؤذي والصخب الصياح والمغترف من اغترف الماء إذا أخذه بيده والمنسرب أي داخل في السرب وهو الحفير في الأرض.

(2) دون أي أقل وأفحوص القطا عش القطا وهو طائر تقدم ذكره وشحنت أي ملئت والديلم منطقة جبلية شمالي بلاد قزوين وخلسة أي سرقة والسلب المال المسلوب والكوكب النجم ويتوارى أي يختفي.

ومُستَجيشاً بخشْخاشٍ ليدفعَ ما أظَلّهُ منْ أعاديهِ فلمْ يخِبِ[1]

(الخشخاش الجماعة عليهم دروع وأسلحة).

وطالَما مرّ بي كلبٌ وفي فمهِ ثورٌ ولكنّهُ ثورٌ بلا ذنَبِ

(الثور القطعة من الأقط وهو نوع من الجبن).

وكمْ رأى ناظِري فيلاً على جمَلٍ وقد تورّكَ فوقَ الرّحْلِ والقتَبِ

(الفيل الرجل الفائل الرأي).

وكم لَقيتُ بعرْضِ البيدِ مُشتكياً وما اشتكى قطّ في جِدٍّ وفي لعِبِ

(المشتكي المتخذ شكوة وهي القربة الصغيرة).

وكنتُ أبصرْتُ كرّازاً لراعِيَةٍ بالدّوّ ينظُرُ من عينَينِ كالشُهُبِ[2]

(الكرّاز كبش يحمل عليه الراعي أداته).

وكم رأتْ مُقلَتي عينَينِ ماؤهُما يجري من الغَرْبِ والعَينانِ في حلَبِ

(الغرب مجرى الدمع والعينان المقلتان).

وصادِعاً بالقَنا من غيرِ أن علِقَتْ كفّاهُ يوماً برُمْحٍ لا ولمْ يثِبِ

(القنا ارتفاع الأنف وتحدّب وسطه وصدع به أي كثفه).

وكم نزلْتُ بأرضٍ لا نَخيلَ بها وبعدَ يوم رأيتُ البُسرَ في القُلُبِ

---

(1) الروثة للماشية كالعذرة للإنسان وقوّمت أي قدّرت قيمتها والخطر القدر والشرف ولم تطب من طاب نفساً إذا رضي والصحفة وعاء للطعام كالقصعة والنضار الذهب والمكاس المشاحنة والمساومة عند البيع والمستجيش طالب الجيش والخشخاش النبات المسكر المعروف وأظله أي غشيه وقرب منه وخاب إذا لم يفلح سعيه.

(2) تورّك أي اعتمد على وركه والقتب خشب الرحل والبيد الصحارى القفر ومشتكياً من الشكوى والكراز إناء كالكوز أو القارورة والراعية مؤنث الراعي والدوّ أي الفلاة.

(البسر جمع بسرة وهو الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب).

وكم رأيتُ بأقْطارِ الفَلا طبَقاً يطيرُ في الجوّ منصَبّاً إلى صبَبِ[1]

(الطبق القطعة من الجراد).

وكم مشايخَ في الدُّنيا رأيتُهُمُ مخَلَّدينَ ومَنْ ينْجو من العطَبِ

(المخلد الذي أبطأ شيبه).

وكم بدا لي وحْشٌ يشتكي سغَباً بمنطِقٍ ذلِقٍ أمضى منَ القُضُبِ

(الوحش الرجل الجائع).

وكم دَعانيَ مُستَنْجٍ فحادثَني وما أخَلّ ولا أخْلَلْتُ بالأدَبِ[2]

(المستنجي الجالس على نجوة وهو المكان المرتفع).

وكم أنختُ قَلوصي تحت جُنبُذَةٍ تُظلّ ما شئتَ من عُجمٍ ومن عُرُبِ

(الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المستحببة إلى زوجها من قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقِعَة: 37]).

وكم نظرْتُ إلى من سُرّ ساعَتَهُ ودمعُهُ مستَهِلٌّ القطرِ كالسُّحُبِ

(سرّ أي قطع سرره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرّة).

(1) المقلة العين الناظرة والعين نبع الماء والغرب الدلو العظيمة وحلب مدينة في سورية معروفة صدعه أي شقه فهو صادع والقنا واحدتها قناة وهي الرمح ويثب من وثب إذا قفز وطفر والبسر البلح لم ينضج والطبق الصحن ومنصباً أي هاوياً من فوق إلى أسفل والصبب الانحدار.

(2) المخلّد الذي لا يفنى ولا يموت والعطب الهلاك والوحش الحيوان المستوحش في البادية والسغب الجوع والمنطق الذلق أي الفصيح البارع وأمضى أكثر مضاء والقضب السيوف والمستنجي من جلس لقضاء حاجته ثم لإزالة النجاسة ومحادثته مكروهة شرعاً وأخل بالأدب أي قصّر فيه وأجحف.

وكـم رأيـتُ قَـمـيـصـاً ضرّ صـاحِـبَـهُ حتى انثنَى واهيَ الأعضاء والعـصَـبِ

(القميص الدابة الكثيرة القماص وهو الوثوب والقفز).

وكـمْ إزارٍ لـوَ انّ الـدهـرَ أتـلَـفَـهُ لجفّ لِبْدُ حَثيثِ السيرِ مُضطرِبِ[1]

(الإزار المرأة ومنه قول الشاعر: «فدى لك من أخي ثقة إزاري»).

هـذا وكـمْ مـنْ أفـانـيـنٍ مـعـجَّـبَـةٍ عندي ومن مُلَحٍ تُلهي ومن نُخَبِ
فإنْ فطِنتمْ للَحنِ القوْلِ بان لكُمْ صِدْقي ودلّكُمْ طلْعي على رُطَبي
وإنْ شُدِهتُمْ فإنّ العارَ فيهِ على منْ لا يُمَيّزُ بينَ العودِ والخشَبِ[2]

قال الحارثُ بنُ همّام:

فطفِقْنا نخبِطُ في تقْليبِ قَريضِهِ، وتأويلِ مَعاريضِهِ، وهوَ يلهو بِنا لهْوَ الخليّ بالشّجيّ، ويقول: ليسَ بعُشّكِ فادْرُجي! إلى أن تعسّرَ النّتاجُ، واستحْكَمَ الارْتجاجُ؛ فألْقَينا إليْهِ المَقادَةَ، وخطَبْنا منهُ الإفادَةَ[3]. فوقَفْنا بينَ المَطمَعِ واليأسِ، وقال:

---

(1) القلوص الناقة الفتية ويكنّى بها أيضاً عن المرأة والجنبذة زهر الرمان وقد استدار واحمرّ والعجم من ليسوا بعرب وسرّ أي فرح والقميص ما يلي الجسد من الثياب وضرّ أي آذى وانثنى أي عاد ورجع والواهن المجهد الضعيف والإ زار ما يكون في الوسط يتتزر به المرء وأتلف الشيء أهلكه وأفناه واللبد من لا يسافر ولا يبرح مكانه ولا يطلب معاشاً واللبد البساط والأمر والشأن وما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج والحثيث المستعجل وجف لبده وهو هنا البساط كناية عن الإقامة وترك الارتحال وأما فدى لك من أخي ثقة إزاري قالها صاحب الخيل مسعر بن فلان الأشجعي كتب بها إلى عمر بن الخطاب ﷺ من غزاة كان غزاها:

الا أبـلـغ أبـا حـفـص رسـولاً فـدى لـك مـن أخـي ثـقـة إزاري

(2) الأفانين الضروب والأنواع والمعجبة المدهشة تعجب الخلق والملح المستملح من الأحاديث والنخب المنتخب من الكلام والقول وفطنتم أي لاحظتم وأدركتم ولحن بالقول قاله ومال به إلى معنى معمّى يريد إبلاغ أحد به من جون الآخرين ودلّكم أي هداكم وطلعي هو أول ما يخرج من الثمر والرطب الطيب الناضج من التمر وشدهتم أي تحيّرتم والعود أراد ما له رائحة طيبة ويوقد للتطيّب والخشب ما لا رائحة له.

(3) وطفق بفعل الشيء أخذ يفعله ونخبط من الخبط وهو السير ليلاً على غير هدى والقريض الشعر =

الإيناس قبلَ الإبْساسِ! فعلِمنا أنهُ ممّنْ يرغَبُ في الشُّكْمِ، ويرْتَشي في الحُكْمِ! وساء أبا مثْوانا أنْ نعرَّضَ للغُرْمِ، أو نُخَيَّبَ بالرُّغْمِ؛ فأحْضَرَ صاحِبُ المنزِلِ ناقةً عِيديّةً، وحُلّةً سَعيديّةً، وقال له: خُذْهُما حَلالاً، ولا ترْزأ أضْيافي زِبالاً! فقال[1]: أشهَدُ أنها شِنشِنَةٌ أخزَميّةٌ، وأريَحيّةٌ حاتِميّةٌ! ثم قابلَنا بوجهٍ بِشرُهُ يشِفّ، ونَضرَتُهُ ترِفّ، وقال: يا قوْمِ إنّ الليْلَ قدِ اجْلَوّذَ، والنّعاسَ قدِ استحْوَذَ! فافْزَعوا إلى المَراقِدِ، واغتَنِموا راحَةَ الرّاقِدِ؛ لتَشرَبوا نَشاطاً، وتُبعَثوا نِشاطاً، فتَعوا ما أفَسِّرُ، ويتسهّلَ لكُمُ المتعسِّرُ! فاسْتَصوَبَ كلٌّ ما رآهُ، وتوسّد وِسادَةَ كَراهُ. فلمّا وسَنَتِ الأجْفانُ، وأغْفَتِ الضِّيفانُ، وثبَ إلى النّاقَةِ فرحَلَها، ثمّ ارتَحَلَها ورحّلَها، وقال مُخاطِباً لها[2]:

= والتأويل التفسير والمعاريض ما عرّض به في شعره ويلهو يتسلّى والخلي الخالي من الهم والشجي الحزين (وقوله «ليس بعشّك فادرجي» هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فإذا كان في حائط أو كهف جبل فهو وكر) وتعسّر أي كان عسيراً وصعباً والنتاج الولادة تقال في ولادة الإبل واستحكم أي توثّق وصار محكماً والارتتاج الانغلاق من أرتج الباب إذا سده وأرتج عليه إذا لم يستطع القول واستحكم الارتتاج أي صار الانغلاق والانسداد محكماً وألقينا أي رمينا والمقادة الانقياد وألقينا المقادة أي أنقدنا وسلّمنا أمرنا وخطبنا أي طلبنا والإفادة أي الفائدة.

(1) (وقوله» الإيناس قبل الإبساس» هذا مثل أيضاً ومعناه أنه ينبغي أن يؤنس الإنسان ثم يكلّف وأصله أن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبسّ بها للحلب والإبساس أن تقول لها بس بس لتسكن وتدرّ وتسمّى الناقة التي تدرّ على الإبساس البسوس) ويرغب في الشيء يطمح إليه ويريده (وقوله «يرغب في الشكم» الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فإن أعطيته مبتدئاً فهو الشكد) ويرتشي أي يأخذ الرشوة ليقضي الوطر (وقوله «ساء أبا مثوانا» يعني المضيف الذي أووا إليه وثوروا عنده) ونعرّض أي نجعل عرضة أي هدفاً والغرم أي الغرامة ونخيّب من خاب في سعيه إذا لم يفلح فيه وبالرغم أي قهراً (وقوله: «ناقة عيدية» قيل إنها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة إلى فخذ من مَهرة اسمه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تتخذان نجائب الإبل فنسبت إليهما) (وقوله «حلّة سعيدية» هي منسوبة إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله ﷺ كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها إليه) (وقوله: «لا ترزأ أضيافي زبالاً» أي لا ترزؤهم شيئاً وإن قل والأصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها).

(2) (وقوله: «شنشنة أخزمية» أشار به إلى المثل الذي ضربه جدّ حاتم بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقبّل أخلاق جدّه أخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثّل =

سَروجَ يا ناقَ فَسيري وخِدِي ... واذْلِجي وأوّبي وأسْنِدي
حتى تَطا خُفّاكِ مرْعاها النّدي ... فتَنعَمي حينئذٍ وتَسعَدي
وتأمَني أنْ تُتْهمي وتُنجِدي ... إيهِ فدَتكِ النّوقُ جِدّي واجهَدي[1]
وافْري أديمَ فَدْفَدٍ ففَدْفَدِ ... واقتَنِعي بالنّشْحِ عندَ الموْرِدِ
ولا تَحُطّي دونَ ذاكَ المَقصِدِ ... فقدْ حلَفْتُ حَلفَةَ المُجتَهِدِ

= عقيل بن علقة به حين قال:

إن بنيّ ضرّجوني بالدم ... من يلقَ آساد الرجال يكلمِ
شنشنة أعرفها من أخزمِ»

ومن ادعى أن المثل له فقد سها فيه (وردت الأبيات في الحماسة على الوجه التالي:

«إن بنيّ رمّلوني بالدم ... من يلق آساد الرجال يكلمِ
ومن يكن درء به يقوم ... شنشنة أعرفها من أخزمِ

الحاتمية نسبة إلى حاتم الطائي الشاعر الجاهلي وكان كريماً حتى ضرب بكرمه المثل والبشر الطلاقة ويشف أي يتلألأ ويرق حتى يكاد يبين ما خلفه والنضرة النعمة والرواء وترفّ أي تندى (وقوله «اجلوّذ» أي أسرع في الذهاب ومثله اخروّط) واستحوذ إذا استولى وغلب وأفزعوا من فزع إلى الشيء إذا لجأ إليه والمراقد واحدها مرقد وهو موضع الرقاد ولتشربوا أي لتكتسبوا وتبعثوا أي تنهضوا وتفيقوا من رقادم ووعى أي فقه وفهم وتوسّد الوسادة وضع رأسه عليها والكرى النوم ووسنت أي أخذت في النوم وأغفت أي نامت والضيفان أي الضيوف (وقوله «وثب إلى الناقة فرحّلها» يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ الحاقة 21 والقارعة 7 أي مرضية وكقوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ الطارق 6 أي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية) (وقوله «ارتحلها» أي ركبها وفي الحديث أن النبي ﷺ سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلما قضى صلاته قال: «إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله») (وقوله «ورحلها» أي أزعجها وأشخصها وأجد بها في الرحيل ومنه الخبر« تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس»).

(1) خدي فعل أمر من الوخد وهو الإسراع في السير (وقوله: «فأدلجي وأوّبي واسندي» الإدلاج أن تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والإدّلاج بالتشديد ان تسير من آخره والإسم منه الدلجة بضم الدال وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والإسناد أن تسير ليلاً ونهاراً والنشح أن تشرب دون الري) والندي المبتل بالندى والإتهام الذهاب إلى تهامة أو المنخفض من الأرض والإنجاد الذهاب إلى نجد أو المرتفع من الأرض وإيه اسم فعل للاستزادة.

بـحُـرمَـةِ الـبـيـتِ الـرّفـيـعِ الـعُـمُـدِ إنّـكِ إنْ أحـلَـلْـتِـنـي فـي بـلَـدي
حـلـلْـتِ مـنّـي بـمـحَـلّ الـولَـدِ[1]

قال:

فعلِمْتُ أنهُ السّروجيُّ الذي إذا باعَ انْباعَ، وإذا ملأ الصّاعَ انْصاعَ. ولمّا انبلَجَ صَباحُ اليومِ، وهبّ النّوّامُ منَ النّومِ؛ أعلَمتُهُمْ أن الشيخَ حينَ أغْشاهُمُ السُباتَ، طلّقَهُمُ البَتاتَ، وركِبَ النّاقَةَ وفاتَ. فأخذَهُم ما قَدُمَ وما حَدُثَ، ونَسوا ما طابَ منهُ بِما خبُثَ! ثمّ انشَعَبْنا في كلّ مشْعَبٍ، وذهبْنا تحْتَ كُلّ كوكَبٍ[2].

(1) فرى أي قطع وأديم الأرض وجهها والأديم الجلد والفدفد الأرض الصلبة والنشح من نشح ينشح إذا شرب قليلاً وتحطي أي تنزلي والعمد واحدها العمود وهو ما يقوم عليه الخباء.

(2) انباع أي جرى ومد باعه والمراد أنه إذا باع هرب والصاع مكيال للحبوب وانصاع أي ذهب ومرّ وانبلج أي أضاء وبدا نوره والنوّام النائمون والسبات النوم والراحة وطلاق البتات الطلاق لا رجعة فيه (وقوله «ما قدم وحدث» يقال ذلك لمن تستولي الهموم عليه وتتلاعب به وتضم الدال من حدُث في هذا الموضوع وحده ليوافق لفظها لفظ قَدُم فان أفردت حدَث عن قدُم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم هنأني ومرأني بحذف الألف من أمرأني إذ ذكر مع هنأني فان أفردته قلت أمرأني الشيء) وانشعبنا أي تفرقنا والمشعب الطريق (وقوله «ذهبنا تحت كل كوكب» هذا المثل يضرب لمن تختلف طرقهم وتتباين سبلهم).

تعقيب المؤلف

قال الشيخ الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رحمه الله تعالى فسرت سر كل لغز تحته ولم أبعد على من يقرؤه كشفه وقد بقيت ألفاظ اشتملت عليها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من تقع إليه فاحببت أيضاً حلها ليكفى حيرة الشبهة وكلفة الفكرة ووصمة البحث والمسألة وبالله تعالى الاستعانة والقوة.

(وقوله: «عشوت إلى نار» يعني تنورتها فقصدتها فان لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزّخرُف: 36]).

(وقوله: «وأنا أصرد من عين الحرباء والعنز الجرباء» هذان مثلان يضربان لمن يبلغ منه البرد وذلك لأن الحرباء تدور مع الشمس وتستقبلها بعينها ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالحرباء في قوله:

ما بالها قد حسنت ورقيبها أبداً قبيح قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم أن العنز الجرباء تصحيف المثل الأول).

(وقوله من: «من نحر وار» يعني الجمل المكتنز شحماً الكثير مخاً).

(وقوله: «عشاره تخور وأعشاره تفور» العشار النوق الحوامل والأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وجفنة أكسار وثوب أسمال وبرد أخلاق ووصف الجماعة منها كوصف الواحد).

وقوله (فاكهة الشتاء) كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين:

النار فاكهة الشتاء فمن يُرد أكل الفواكه شاتياً فليصطلِ
إن الفواكه في الشتاء شهية والنار للمقرور أفضل مأكلِ

وقوله (موائد كالهالات) يعني دارات القمر ودارة الشمس تسمّى الطفاوة.

وقوله (مشوش الغمر) يعني المنديل يقال مشّ يده بالمنديل أي مسحها ومنه قول امرئ القيس:

نـمـش بـأعـراف الـجـيـاد أكـفـنـا   إذا نـحـن قـمـنـا عـن شـواءٍ مـضـهـب

وقوله (مشتهباً فوداه أي صار من الشيب في لون الأشهب ومنه قول امرىء القيس:

قـالـتِ الـخـنـسـاءُ لـمَّـا جـئـتُـهـا: شـابَ بـعـدي رأسُ هـذا واشـتـهـبْ)

وقوله (ربض حجرة) يعني ناحية ويقال في المثل لمن يشارك في الرخاء ويجانب عند البلاء: يرتع وسطاً ويربض حجرة.

وقوله (فاسترعى سمع السامر) يعني السمّار؛ لأن السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال بعض أهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر مأخوذ من السمرة فلما كان غالب أحوال السمار أنهم يتحدثون في ظل القمر اشتقّ لهم اسم منه وإلى هذا يرجع قولهم: «لا أكلمه القمر والسمر».

وقوله (ليس بعشّك فادرجي) هذا مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فإذا كان في حائط أو كهف جبل فهو وكر.

وقوله (الإيناس قبل الإبساس) هذا مثل أيضاً ومعناه أنه ينبغي أن يؤنس الإنسان ثم يكلّف وأصله أن حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها ثم يبسّ بها للحلب والإبساس أن تقول لها بس بس لتسكن وتدرّ وتسمّى الناقة التي تدرّ على الإبساس البسوس.

وقوله (يرغب في الشكم) الشكم ما أعطيته على سبيل المجازاة فان أعطيته مبتدئاً فهو الشكد.

وقوله (ساء أبا مثوانا) يعني المضيف الذي أووا إليه وثووا عنده.

وقوله (ناقة عيدية) قيل إنها منسوبة إلى فحل منجب اسمه عيد وقيل هي منسوبة إلى فخذ من مَهرة اسمه عيد بن مهرة وكانت مهرة وعيد تتخذان نجائب الإبل فنسبت إليهما.

وقوله (حلّة سعيدية) هي منسوبة إلى سعيد بن العاص وكان رسول الله ﷺ كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها إليه.

وقوله (لا ترزأ أضيافي زبالاً) أي لا ترزؤهم شيئاً وإن قل والأصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها.

وقوله (شنشنة أخزمية) أشار به إلى المثل الذي ضربه جدّ حاتم بن سعد بن الحشرج بن أخزم الطائي حين نشأ حاتم وتقبّل أخلاق جدّه أخزم في الجود فقال شنشنة أعرفها من أخزم وتمثّل عقيل بن علقة به حين قال:

(إن بنيّ ضرّجوني بالدمِ من يلق آساد الرجال يكلمِ
شنشنة أعرفها من أخزمِ)

ومن ادعى أن المثل له فقد سها فيه.

وقوله (اجلوّذ) أي أسرع في الذهاب ومثله اخروّط.

وقوله (وثب إلى الناقة فرحّلها) يعني شد عليها الرحل وبه سميت الراحلة لأنها فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى: ﴿فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحَاقَّة: 21] و[القارعة: 7] أي مرضية وكقوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطّارق: 6] أي مدفوق والراحلة تقع على الناقة والجمل ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل داهية وراوية.

وقوله: «ارتحلها» أي ركبها وفي الحديث أن النبي ﷺ سجد فركبه الحسن فأبطأ في سجوده فلما قضى صلاته قال: «إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله».

وقوله (ورحلها) أي أزعجها وأشخصها وأجد بها في الرحيل ومنه الخبر «تخرج عند اقتراب الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس».

وقوله (فأدلجي وأوّبي وأسئدي) الإدلاج أن تسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والإدّلاج بالتشديد أن تسير من آخره والإسم منه الدلجة بضم الدال وقيل فتحها وضمها بمعنى واحد والتأويب سير النهار وحده والإسئاد أن تسير ليلاً ونهاراً والنشح أن تشرب دون الري.

وقوله (ما قدم وحدث) يقال ذلك لمن تستولي الهموم عليه وتتلاعب به وتضم الدال من حدُث في هذا الموضوع وحده ليوافق لفظها لفظ قَدُم فان أفردت حدَث عن قدُم وجب فتح الدال من حدث ومثله قولهم هنأني ومرأني بحذف الألف من أمرأني إذ ذكر مع هنأني فإن أفردته قلت أمرأني الشيء.

وقوله (ذهبنا تحت كل كوكب) هذا المثل يضرب لمن تختلف في السفر طرقهم وتتباين سبلهم.

المقامة الرّمليّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

كنتُ أخذتُ عنْ أولي التّجاريبِ، أنّ السّفَرَ مِرآةُ الأعاجيبِ. فلمْ أزَلْ أجوبُ كلّ تَنوفَةٍ، وأقتَحِمُ كُلّ مَخوفَةٍ، حتى اجتَلَبْتُ كلّ أُطروفَةٍ، فمِنْ أحسَنِ ما لمحْتُهُ، وأغْرَبِ ما استَمْلَحْتُهُ؛ أنْ حضَرْتُ قاضيَ الرّملَةِ، وكانَ منْ أربابِ الدّولَةِ والصّولَةِ، وقد تَرافَعَ إليْهِ بالٍ في بالٍ، وذاتُ جَمالٍ في أسْمالٍ. فهمّ الشيخُ بالكلامِ، وتِبْيانِ المَرامِ، فمنعَتْهُ الفَتاةُ منَ الإفْصاحِ، وخسأتْهُ عنِ النُباحِ، ثمّ نضَتْ عنها فَضْلَةَ الوِشاحِ، وأنشدَتْ بلِسانِ السّليطَةِ الوَقاحِ[1]:

يا قاضيَ الرّملَةِ يا ذا الذي ... في يدِهِ التّمرَةُ والجَمْرَهْ

إليْكَ أشْكو جوْرَ بعْلي الذي ... لمْ يحجُجِ البيتَ سوى مرّهْ

ولَيْتَهُ لمّا قضى نُسكَهُ ... وخفّ ظَهراً إذْ رمى الجَمرَهْ

كانَ على رأيِ أبي يوسُفٍ ... في صِلَةِ الحِجّةِ بالعُمْرَهْ

(1) أولو التجاريب أي أصحاب التجربة والتنوفة المفازة لا ماء فيها واقتحم الأمر أي رمى نفسه فيه على شدّة ومشقة والمخوفة المخيفة المفزعة واجتليت أي شاهدت وأبصرت والأطروفة المستحسن من الأحديث يُطرف به واستملح الشيء عدّه مليحاً والرملة بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس كانت مقراً للخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك والصولة الاستطالة وبال في بال أي شيخ همّ فان في ثوب بال أي خلق رث والأسمال واحدها سمل وهو الثوب الخلق وهمّ إذا عزم على أمر وأخذ به وتبيان المرام أي وتبيان الغاية والمطلوب والإفصاح عنه وخسأته من خسأ الكلب خسأ أي طرده وزجره ونضت أي أزالت وخلعت والفضلة البقية من الشيء والسليطة المتسلطة بلسانها والسلاطة طول اللسان والوقاح أي الوقحة التي لا تستحي.

هــذا عــلــى أنّــيَ مُــذْ ضــمّــنــي إلــيْــهِ لــمْ أغْــصِ لــهُ أمْــرَهْ[1]
فــمُــرْهُ إمّــا أُلْــفَــةٌ حُــلْــوَةٌ تُــرْضــي وإمّــا فُــرْقَــةٌ مُــرّهْ
مِــنْ قــبــلِ أنْ أخــلَــعَ ثــوْبَ الــحَــيــا فــي طــاعَــةِ الــشــيْــخِ أبــي مــرّهْ[2]

فقال لهُ القاضي: قد سمِعتَ بما عزَتْكَ إليْهِ. وتوعّدَتْكَ عليْهِ! فجانِبْ ما عرّكَ، وحاذِرْ أنْ تُفرَكَ، وتُعْرَكَ! فجَثا الشيخُ على ثَفِناتِهِ، وفجَرَ ينْبوعَ نفثَاتِهِ، وقال[3]:

إسْــمَــعْ عــداكَ الــذّمُّ قــولَ امــرئٍ يــوضِــحُ فــي مــا رابَــهــا عُــذْرَهْ
واللهِ مــا أعْــرَضْــتُ عــنــهــا قِــلًــى ولا هَــوَى قــلْــبــي قــضــى نــذْرَهْ
وإنّــمــا الــدهْــرُ عَــدا صــرْفُــهُ فــابْــتَــزّنــا الــدُّرّةَ والــذّرّهْ

(1) التمرة والجمرة كناية عن الخير والشر وجور بعلي أي ظلم زوجي ولم يحجج البيت سوى مرّة تريد أنه لم يجامعها إلا مرّة وقضى نسكه أي أتم عبادته وخفّ ظهراً أي أنزل عن ظهره والجمرة الحصاة يرجم بها الشيطان ولكن المعنى في العبارة أنها تتمنى أنه حين قضى وطره فأنزل ماءه كان ممن يقول بقول أبي يوسف القاضي وهو قاض درس على أبي حنيفة وكان أحد أكبر أصحابه وتولى القضاء للمهدي والهادي والرشيد وعمل على نشر المذهب الحنفي وله: «أدب القاضي» و«كتاب الخراج» وغير ذلك توفي سنة 798م وأبو يوسف كان يرى جواز وفضل قران الحج والعمرة وان ذلك أفضل من الإفراد والصلة أي الوصل والقران والمراد هنا أنه جامعها مرة ولم يقرن ذلك بجماع ثان كنّت به بالعمرة وضمّني إليه أي ألحقني به والمراد تزوّجني ولم أعص أي لم أخرج عن طاعته ولا خالفت له أمره.

(2) ومره فعل أمر من أمر والألفة الحلوة الصحبة الطيبة ترضى بها والواضح البين أن ما يرضيها هو قيامه بدمج كل المناسك والفرائض ناهيك بالنوافل! والفرقة الفراق أي الطلاق وأخلع ثوب الحياء أي أفجر وأفسق وأبو مرة اسم إبليس.

(3) عزتك أي نسبتك وتوعّد إذ هدّد وجانب أي تلاف وابتعد وما عرّك أي عابك وتفرك أي تكون مكروهاً بغيضاً والمرأة التي تكره زوجها فارك وتعرك من العراك وهو القتال فجثا أي قام على ركبتيه والثفنات والواحدة ثفنة وهي ما يقع على الأرض من أعضاء البعير إذا استناخ فيغلظ ويكثف، كالركبتين وغيرهما وكان الإمام الشيعي الرابع زين العابدين علي بن الحسين يقال له ذو الثفنات لما فعله السجود من أثر بركبتيه يقول دعبل الخزاعي:

«دِيــارُ عــلــيٍّ والــحُــسَــيْــنِ وجَــعــفَــرٍ وحَــمــزةَ والــسَّــجّــادِ ذِي الــثَّــفِــنــاتِ»

ونفثاته والواحدة نفثة وقد تقدّمت مراراً يريد بها كلماته.

فمنزلي قفرٌ كما جيدُها ... عُطْلٌ منَ الجَزْعَةِ والشَّذْرَهْ
وكنتُ منْ قبْلُ أرى في الهَوى ... ودينِهِ رأيَ بني عُذْرَهْ
فمُذْ نَبا الدهرُ هجَرْتُ الدُّمى ... هِجرانَ عفٍّ آخِذٍ حِذْرَهْ
ومِلْتُ عنْ حَرْثيَ لا رغبَةً ... عنهُ ولكِنْ أتّقي بَذْرَهْ
فلا تلُمْ مَنْ هذِهِ حالُهُ ... واعطِفْ عليْهِ واحتَمِلْ هَذْرَهْ[1]

قال:

فالتَظَتِ المرأةُ منْ مَقالِهِ، وانتضَتِ الحُجَجَ لجِدالِهِ، وقالتْ لهُ: ويلَكَ يا مَرْقَعانُ، يا مَنْ هُو لا طَعامٌ ولا طِعانٌ! أتَضيقُ بالولَدِ ذرْعاً، ولكُلّ أكولَةٍ مرْعًى؟ لقدْ ضلّ فهمُكَ، وأخطأ سهمُكَ! وسفِهَتْ نفسُكَ، وشقِيَتْ بِكَ عِرسُكَ! فقال لها القاضي: أمّا أنتِ فلوْ جادَلتِ الخنْساء[2]، لانثَنَتْ عنكِ خرْساء! وأما هوَ فإنْ كانَ

---

(1) عداك ذم دعاء له أن يتعداه أي يتجاوزه ويبعد عنه الذم ورابها أي أثار ريبها وأعرضت عنها أي صرفت وجهي عنها والقلى البغض ولا هوى أي ولا عشقاً وقضى نذره أي أدّاه وعدا أي تعدى وظلم وصرف الدهر تصرّفه والدرة الجوهرة والدرّة أي اللبن يريد أن صروف الدهر أتت على خطير وحقير ما نملك وقفر أي خلو من كل نبات استعار ذلك للبيت والجيد العنق والعطل العاطل لا يزينه شيء من الحلي والجزع الخرز الملون وقيل الخرز اليماني والشذرة القطعة من الذهب تفصل بين الجواهر المنتظمة في سلك واحد وبنو عذرة قبيلة اشتهرت بالحب العفيف حتى صا ر الحب العنيف والعفيف ينسب إليها ونبا إذا جفا ولم يسعف ونبا الدهر إذا انقلب وزال خيره والدمى والواحدة دمية كناية عن النساء الحسان والعفّ العفيف والآخذ حذره أي المحتاط والحرث كناية عن الجماع واللفظ يحيل على سورة البقرة الآية 223: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ والبذر ما يبذر في الأرض كنّى هنا عن الحبل والأولاد والهذر أي هذيانه وثرثرته.

(2) التظت أي التهبت غيظاً وانتضت أي جرّدت يقال انتضى السيف إذا جرّده والمرقعان الرقيع الكثير الرقاعة ولا طعام ولا طعان أي لا توفّر الطعام ولا طعان من الطعن يكون بالرمح أو ما شاكله وهو الوخز وأرادت به هنا الرهز في النيك وضاق ذرعاً بالشيء إذا تجاوز الشيء وسعه وطاقته ولكل أكولة مرعى أراد أن لكل مخلوق رزقه المقسوم وضلّ أي تاه وضاع وسفهت نفسك أي ضيّعت رشدها وعرسك أي زوجتك والخنساء أشهر شواعر العرب قتل أخواها معاوية وصخر فرثتهما واشتهرت بذلك. أسلمت وقتل أولادها في معركة القادسية وكانوا أربعة. لها ديوان.

صدَقَ في زعمِهِ، ودعْوى عُدْمِهِ، فلهُ في همّ قَبْقَبِهِ، ما يشغلُهُ عنْ ذبْذَبِهِ. فأطرَقَتْ تنظُرُ ازوِراراً، ولا تُرجِعُ حِواراً؛ حتى قُلْنا: قد راجعَها الخفَرُ، أو حاقَ بها الظّفَرُ. فقالَ لها الشيخُ: تعْساً لكِ إنْ زخرفْتِ، أوكتَمْتِ ما عرَفْتِ[1]! فقالت: ويْحَكَ وهلْ بعْدَ المُنافَرَةِ كتْمٌ، أو بقيَ لنا على سِرٍّ ختْمٌ؟ وما فينا إلا مَنْ صدَقَ، وهتَكَ صوْنَهُ إذ نطَقَ! فلَيتَنا لاقَيْنا البَكَمَ، ولمْ نلْقَ الحكَمَ. ثمّ التفَعَتْ بوِشاحِها، وتباكَتْ لافْتِضاحِها. وجعلَ القاضي يَعجَبُ منْ خطبِهِما ويُعجِّبُ، ويلومُ لهُما الدّهْرَ ويؤنِّبُ. ثمّ أحْضَرَ من الورِقِ ألْفَينِ، وقال: أرْضِيا بهِما الأجْوَفَينِ، وعاصِيا النّازغَ بينَ الإلْفينِ[2]! فشَكَراهُ على حُسنِ السَّراحِ، وانطَلَقا وهُما كالماء والرّاحِ. وطفِقَ القاضي بعْدَ مسرَحِهِما، وتَنائي شبَحِهِما، يُثْني على أدَبِهِما، ويقول: هل منْ عارِفٍ بهِما؟ فقال لهُ عينُ أعْوانِهِ، وخالِصَةُ خُلْصانِهِ: أما الشيخُ فالسّروجيّ المشهودُ بفضلِهِ، وأما المرأةُ فقَعيدَةُ رحْلِه[3]! وأمّا تحكُمُهما فمَكيدةٌ من فِعلِهِ، وأُحبولَةٌ من حبائِلِ ختْلِه!

(1) انثنت أي عادت والخرساء البكماء لا تستطيع النطق وزعمه ما يدعيه وعدمه أي فقره والقبقب البطن على ما روى الشريشي عن الأصمعي ولكنه الفم على ما جاء في كتب الحديث كما سيرد ويشغله أي يلهيه والذبذب الذكر وفي جامع الأحاديث حديث يقول: «من وقى شر لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقى الشر كله أما لقلقه فاللسان وقبقبه فالفم وذبذبه فالفرج» ولا أرى تعارضاً فشر الفم وشر البطن واحد يراد بذلك أكل الحرام وذلك أن وظيفة الفم الأخرى أي النطق فلقد أومأ إليها باللسا ن. يقول ولئن صح ما يقول فإن له من هم بطنه ما يلهيه عن حاجة أيره. وأطرقت أحنت رأسها تنظر في الأرض وازوراراً أي بطرف عينها وترجع حواراً أي لا ترد على ما قيل وراجعها عاد إليها والخفر الحياء وحاق بها أي حل بها والظفر الفوز بالمقصود وتعساً لك دعاء عليها بالتعاسة والهلاك وزخرفت أي زيّنت قولك وموّهته وزخرفته بالباطل.

(2) والمنافرة المدافعة إلى المحاكمة والكتم الكتمان وبقي على سر ختم أي أبقي سر لم يُفتضح؟ وهتك إذا مزق وهي هنا بمعنى فضح وصونه أي ما يصون من أمره والبكم الخرس والحكم أي القاضي والتفعت أي اشتملت والتحفت وتغطّت وتباكت أي تصنّعت وتكلّفت البكاء وخطبهما أي أمرهما وشأنهما ويعجّب يجعل غيره يعجب بالأمر ويؤنب أي يوبخ ويذم والورق الدراهم والأجوفان أراد بهما الفرج والبطن وأرضيا الأجوفين أي أشبعا البطن والفرج معاً وعاصيا أي خالفا من عصى والنازغ من نزغ إذا أفسد وسعى بالشر بين الناس والإلفان المتحابّان.

(3) السراح أي التسريح وهو الإرسال والصرف والراح من أسماء الخمر وكالماء والراح كناية عن =

فأحْفَظَ القاضيَ ما سمِعَ، وتلهّبَ كيفَ خُدِعَ. ثمّ قال للواشي بهِما: قُمْ فرُدْهُما، ثم اقصِدْهُما وصِدْهُما، فنهضَ ينفُضُ مِذروَيْهِ، ثمّ عادَ يضرِبُ أصْدَرَيْهِ! فقال لهُ القاضي: أظهِرْنا على ما نبَثْتَ، ولا تُخفِ عنّا ما استَخْبَثْتَ! فقال[1]: ما زِلْتُ أستَقْري الطُّرُقَ، وأستَفتِحُ الغُلُقَ، إلى أن أدرَكْتُهُما مُصْحِرَينِ، وقد زمّا مطيَّ البيْنِ. فرغّبتُهُما في العَلَلِ، وكفَلْتُ لهُما بنَيلِ الأمَلِ. فأُشْرِبَ قلبُ الشّيخِ أن ييْأسَ، وقال: الفِرارُ بقُرابٍ أكيَسُ! وقالتْ هيَ: بلِ العوْدُ أحمَدُ، والفَروقَةُ يَكْمَدُ! فلمّا تبيّن الشيخُ سفَهَ رائِها، وغَرَرَ اجترِائِها، أمسكَ ذَلاذِلَها، ثمّ أنشأ يقول لها[2]:

= الوفاق ومسرحهما أي انصرافهما وتنائي أي تباعد وشبحهما أي صورتهما أو جسمهما ويثني أي يمدح وعين أعوانه أي سيدهم أو عظيمهم والخلصان والواحد خليص وهو من استخلص المرء من أحبابه والخالصة المختار منهم وقعيدة رحله أي زوجته وصاحبة بيته.

(1) المكيدة الخديعة والأحبولة أي الشبكة وما يصطاد به والختل الخداع وأحفظه أي أثار حفيظته أي أغاظه وأغضبه وتلهّف أي تندّم وردّهما فعل أمر بمعنى أرجعهما واقصدهما أي توجه إليهما وصدهما أي امنعهما والمذروان أي طرفا الإليتين على ماجاء في المخصص وأما الأصدران فلقد جاء في المحكم ومثله في اللسان: «والأصدغان: عرقان تحت الصُّدغين، لا يفرد لهما واحد، والمعروف: الأصدران» وأظهرنا فعل أمر من أظهر يعني أطلعنا وأخبرنا ونبثت أي استخرجت من الأسرار ولا تخف أي لا تكتم واستخبثت أي وجدت خبيثاً.

(2) أستقري أي أتتبع والغلق ما يسد به الطرق والباب الغلق أي المغلق وأدركتهما أي لحقت بهما ومصحرين أي ذاهبين في الصحراء وزمّا أي شدّا والبين الفراق يكنّي بذلك عن اجتهادهما في النأي والبعاد والعلل الشرب مرة بعد مرة والمراد العطاء مرة ثانية وكفلت أي ضمنت وأُشرِب أي دوخل وييأس أي يقنط والفرار بقراب أكيس مثل عربي جاء في مجمع الأمثال: «الْفِرَارُ بِقِرَابٍ أَكْيَسُ، كان المفضل يقول: إن المثل لجابر بن عمرو المازني وذلك أنه كان يسير يوماً في طريقٍ إذ رأى أثرَ رجلين وكان عائفاً قائماً فَقَال: أرى أثرَ رجلين شديداً كلَبُهما عزيزاً سَلَبُهما والفرار بقراب أكيس ثم مضى قلت: أراد ذو الفرار أي الذي يفرُّ ومعه قِرَابُ سيفه إذا فاته السيف أكْيَسُ ممن يُفيت القِراب أيضاً» وجاء في المستقصى في أمثال العرب: «.... والقراب بكسر القاف شبه جراب يضع فيه الراكب أداته من السيف والسوط والعصا» والعود أحمد مثل عربي جاء في المستقصى في أمثال العرب: «الْعَوْدُ أَحْمَدُ: لأنك لا تعود إلى شيء في الغالب إلا بعد خبرته قال الفرزدق:

من الصم تكفي مرة من لعابه ... وما عاد إلا كان في العود أحمدا»

والفروقة الجبان الكثير الخوف ويكمد أي يحزن ويغتم وسفه رائها أي خطأ رأيها والغرر الخطر والاجتراء الجرأة والذلاذل أطراف الثوب والواحد ذلذل.

دونَـكِ نُـصْـحـي فـاقـتَـفـي سُـبْـلَـهْ واغـنـي عـنِ الـتّـفـصـيـلِ بـالـجُـمـلَـهْ
طـيـري مـتـى نـقّـرْتِ عـن نـخـلَـةٍ وطـلّـقِـيـهـا بـتّـةً بـتْـلَـهْ
وحـاذِري الـعـوْدَ إلـيْـهـا ولـوْ سـبّـلَـهـا نـاطـورُهـا الأبْـلَـهْ
فـخـيـرُ مـا لـلّـصّ أنْ لا يُـرى بـبُـقْـعـةٍ فـيـهـا لـهُ عَـمْـلَـهْ[1]

ثمّ قال لي: لقدْ عُنّيتَ، في ما وُلّيتَ! فارجِعْ منْ حيثُ جِئْتَ، وقلْ لمُرسِلِكَ إن شِئْتَ:

رُوَيـدَكَ لا تُـعقِـبْ جَـمـيلَـكَ بـالأذى فتُضْحي وشملُ المال والحمد مُنصَدِعْ
ولا تـتـغـضّـبْ مـنْ تـزَيُّـدِ سـائِـلٍ فـمـا هوَ في صوْغِ الـلّسـانِ بمُبتدِعْ
وإنْ تـكُ قـد سـاءتـكَ مـنـي خَـديـعَـةٌ فقبلكَ شيخُ الأشعرِيّينَ قد خُدِعْ[2]

فقالَ لهُ القاضي: قاتَلَهُ اللهُ! فما أحسَنَ شُجونَهُ، وأملَحَ فنونَهُ! ثمّ إنّهُ أصْحَبَ رائِدَهُ بفرْدَينِ، وصُرّةً منَ العينِ، وقالَ لهُ: سِرْ سَيرَ منْ لا يرَى الالتِفاتَ؛ إلى أن تَرى الشيْخَ والفَتاةَ، فبُلّ يدَيْهِما بهَذا الحِباء، وبيّن لهُما انخِداعي للأدَباء.

قال الرّاوي:

---

(1) دونك أي خذي واقتفي أي اتبعي وسبله أي طرقه واغني أي واستغني ونقّرت أي التقطت بمنقارك والمعنى غادري المكان بعد أخذك منه ما يكفيك والتنقير عن الشيء البحث عنه والبتة أي قطعاً والبتة البتلة أي طلاقاً بائناً قاطعاً وسبّلها أي جعلها وقفاً في سبيل الخير والناطور حافظ الكرم وحارسه والأذى الإساءة والأبله أي الأحمق واللص السارق والعملة الفعلة القبيحة والسرقة يقول ومن الخير للسارق أن يظهر في ناحية سبق له أن ارتكب فيها عملاً شنيعاً.

(2) عنّيت أي أتعبت ووليت أي أوكل إليك ورويدك أي على رسلك أي تمهّل ولا تعقب أي لا تتبع وتلحق والجميل المعروف والإحسان والأذى الإساءة وفي سورة البقرة الآية 262: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ ومنصدع أي متمزق ومتفرق يقول لا تتبع إحسانك بالإساءة فتخسر حمدنا وثناءنا ومالك الذي أنلتنا منه وساءتك أي آذتك وشيخ الأشعريين يريد به أبا موسى الأشعري وكان أحد قطبي التحكيم بين معاوية وعلي في حرب صفين وكان الأشعري من قبل علي وقد خدعه عمرو بن العاص الذي كان من قبل معاوية فخسر التحكيم.

فلمْ أرَ في الاغتِرابِ؛ كهَذا العُجابِ، ولا سمِعْتُ بمِثْلِه ممّنْ جالَ وجابَ[1]!

(1) والشجون واحدها شجن وهو الشعبة من كل شيء وأملح من الملاحة ورائده أي طالبه وأصحبه أي جعل بصحبته والعين الذهب أو الفضة وسر سير الخ يعني سر سريعاً لا تلتفت وبلّ من أبل بللاً وبلالاً إذا وصل وأندى والحباء العطاء وانخدع أي غشّ وخُدع والاغتراب الغربة والعجاب ما يدعو إلى العجاب وفي سورة ص الآية 5: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ وجال من الجولان وهو التردد في الأرض وجاب من الجوب أي قطع المسافات.

المقامة الحلبيّة

روى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

نزعَ بي إلى حلَبَ، شوْقٌ غلَبَ، وطلَبٌ يا لهُ من طلَبٍ! وكنتُ يومَئِذٍ خَفيفَ الحاذِ، حَثيثَ النّفاذِ! فأخذْتُ أُهبَةَ السيرِ، وخفَفْتُ نحوَها خُفوفَ الطّيرِ. ولمْ أزَلْ مُذْ حلَلْتُ رُبوعَها، وارْتبَعْتُ ربيعَها، أُفاني الأيّامَ، في ما يَشْفي الغَرامَ، ويُرْوي الأُوامَ. إلى أنْ أقْصرَ القلْبُ عنْ وَلوعِهِ، واسْتَطارَ غُرابُ البينِ بعْدَ وقوعِهِ. فأغْراني البالُ الخِلْوُ[1]، والمرَحُ الحُلوُ، بأنْ أقصِدَ حِمْصَ؛ لأصْطافَ ببُقعَتِها، وأسبُرَ رَقاعَةَ أهلِ رُقعتِها. فأسْرَعْتُ إليْها إسْراعَ النّجمِ، إذا انْقَضّ للرّجْمِ! فحينَ خيّمتُ برُسومِها، ووجَدْتُ رَوْحَ نَسيمِها. لمحَ طَرْفي شيْخاً قد أقبلَ هَريرُهُ، وأدبرَ غَريرُهُ، وعندَهُ عشَرَةُ صِبْيانٍ، صِنْوانٌ وغيرُ صِنْوانٍ! فطاوَعْتُ في قصْدِهِ الحِرصَ، لأخبُرَ بهِ أُدَباءَ حِمصَ.

(1) نزع بي أي حملني وحداني وحلب مدينة في شمالي سورية وياله تقال في مقام التعجب والاستعظام والحاذ هو الحال وخفيف الحاذ أي خفيف الظهرو «الْحَاذُ وِزَانُ الْبَابِ مَوْضِعُ اللِّبْدِ مِنْ ظَهْرِ الْفَرَسِ وَهُوَ وَسَطُهُ وَمِنْهُ قِيلَ رَجُلٌ خَفِيفُ الْحَاذِ كَمَا يُقَالُ خَفِيفُ الظَّهْرِ عَلَى الِاسْتِعَارَةِ» يقول الشريف الرضي: «خفيف الحاذ يشغله سراه زَمَاناً، أنْ يُفكّرَ في الهُزَالِ» وقال شَقيقُ بن سُلَيْك الأسدي: «فأعطيت الجعالة مستميتاً خفيف الحاذ من فتيان جرم» وفي الحديث: «مؤمنٌ خفيف الحاذِ»، أي خفيف الظهرِ. والحثيث السريع وحثيث النفاذ أي سريع المضي في أموره وأهبة السير أي عدّة السفر وخفّ إلى المكان إذا أسرع وخفوف الطير كناية عن الغاية في السرعة والربوع والواحد ربع هي المنازل وارتبع إذا أقام فصل الربيع وأفاني أي أنفق وأفني والغرام العشق ويروي أي يسكن العطش والأوام شدة العطش وأقصر أي كفّ وقصّر والولوع هو شدة الحب والافتتان بالشيء وغراب البين يرمز للفراق واستطار بعد وقوعه أي تحرّك وطار ووقع الطير بعامة إذا حطّ وأغراني أي حضّني واستمالني والبال الخلو يعني البال الفارغ من الهم.

فَبَشّ بي حينَ وافَيتُهُ[1]، وحيّا بأحسَنَ ممّا حيّيتُهُ! فجلسْتُ إليْهِ لأبلوَ جنى نُطقِهِ، وأكْتَنِهَ كُنْهَ حُمقِهِ. فما لبِثَ أنْ أشارَ بعُصَيّتِهِ، إلى كُبْرِ أُصَيْبِيَتِهِ، وقال لهُ: أنشِدِ الأبياتَ العَواطِلَ، واحْذَرْ أن تُماطِلَ! فجَثا جِثْوَةَ ليْثٍ، وأنشدَ منْ غيرِ ريْثٍ[2]:

أعْـدِدْ لِـحُـسّـادِكَ حـدّ الـسّـلاحْ ... وأوْرِدِ الآمِـلَ وِرْدَ الـسّـمـاحْ

وصـارِمِ الـلّـهْـوَ ووصْـلَ الـمَـهـا ... وأعـمِـلِ الـكـومَ وسُـمـرَ الـرّمـاحْ

(1) المرح النشاط وحمص مدينة في سورية غير بعيد من حلب واصطاف إذا أمضى فصل الصيف والبقعة هي الناحية وسبر إذا اختبر وامتحن ورقاعة أهلها أي حمقهم وفي الحقيقة فإن النوادر المنسوبة لأهل حمص وحمقهم أشهر من أن تعرّف وانقضّ أي هوى سريعاً وهجم مندفعاً والرجم هو الرمي والنجم المنقض هو الشهاب وهو في هذه العبارة يلاحظ سورة الحجر الآية 18: ﴿إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ وخيّمت أي نزلت وأقمت وضربت خيمتي والرسوم واحدها رسم وهو أثر الدار والنسيم الريح اللينة وروح النسيم طيبه وهريره خلقه السيّئ وزعارة الخلق وتكون في الرجل إذا هرم وساءت طباعه وأدبر أي تولى والهرير الخلق الحسن والعبارة مثل ففي مجمع الأمثال: «أدْبَرَ غَريرُهُ وَأَقْبَلَ هَريرهُ» الغرير: الخُلُق الحسن والهرير: الكراهية أي ذهب منه ما كان يَغُرُّ ويعجب وجاء ما يكره منه من سوء الخلق وغير ذلك يضرب للشيخ إذا ساء خُلُقه والصنو واحد الصنوين جاء في المحكم: «الصِّنْوُ الأخُ الشَّقيقُ والعَمُّ والابْنُ والجمع أصْناءٌ وصِنوانٌ والأنثى صِنوةٌ وإذا كانت نَخْلتانِ أو ثلاثٌ أو أكْثَرُ أصلُها واحدٌ فكلُّ واحدٍ منها صِنْوٌ وحكى الزجاجُ فيه صُنْوٌ بضمِّ الصادِ وقد يقال لسائرِ الشَّجرِ إذا تشابَه والجَمْعُ كالجَمْعِ وقال أبو حنيفةَ إذا نَبَتَتِ الشَّجرتانِ من أصلٍ واحدٍ فكلُّ واحدةٍ منهما صِنْوُ الأُخرى وقد أثْبَتُّ حقيقةَ هذه الكلمة في الكتابِ المخصَّصَ ورَكِيَّتانِ صِنوانِ مُتجاورتانِ» والعبارة هذه قرآنية من سورة الرعد الآية 4: ﴿وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ وبشّ بي أي فرح وقابلني بوجه طلق.

(2) وافيته أي وصلت إليه وحيّا أي سلّم والقى التحية أودّ عليها وأبلو أي أختبر والجنى الثمر وجنى النطق أي ثمر الكلام واكتنه الشيء إذا أحاط علماً بحقيقته والعصيّة تصغير العصا وفي الأمثال «هذه العصا من العصيّة لا تلد الحية إلا حية» وكبر كبير وأكبر الصبيان والأصيبية تصغير على غير قياس وقد جاء في أوضح المسالك: «. . . خارجٌ عن القياس مثالُه في التكسير جمعُهم مكاناً على أمْكُنٍ ورَهْطاً وكُراعاً على أرَاهِط وأكَارِع وباطلاً وحديثاً على أباطيل وأحاديث ومثاله في التصغير تصغيرهم مَغْرِباً وعِشَاءً على مُغَيرِبَان وعُشَيَّان وإنْسَاناً ولَيْلَةً على أُنَيْسِيَان ولُيَيْلِيَة ورَجُلاً على رُوَيْجِل وصِبْيَة وغِلْمة وبَنُون على أُصَيْبِيَة وأُغَيْلِمة وأبَيْنُون وعَشِيَّة على عُشَيْشِيَة» والعواطل أي التي لانقط فيها والعاطل من النساء الخالية من الحلي والمماطلة التأخير والمدافعة وجثا إذا قام على ركبتيه والليث من أسماء الأسد والريث التمهل والإبطاء.

واسَـعَ لإدْراكِ مــحَــلٍّ سَــمـــا عِــمـــادُهُ لا لادّراعِ الــسِّــراحْ

واللهِ مــا الــسّــؤدُدُ حــسْــوُ الــطِّــلا ولا مَــرادُ الــحَــمــدِ رُودٌ رَداحْ[1]

واهــاً لــحُــرٍّ واسِــعٍ صــدرُهُ وهــمُّــهُ مــا سَــرّ أهْــلَ الــصّــلاحْ

مــورِدُهُ حُــلْــوٌ لــســؤّالِــهِ ومــالُــهُ مــا ســألــوهُ مُــطــاحْ

مــا أســمَــعَ الآمِــلَ رَدّاً ولا مــاطَــلَــهُ والــمــطْــلُ لــؤمٌ صُــراحْ[2]

ولا أطــاعَ الــلّــهْــوَ لــمّــا دَعــا ولا كَــســا راحــاً لــهُ كــأسَ راحْ

ســوّدَهُ إصْــلاحُــهُ ســرَّهُ ورَدْعُــهُ أهْــواءهُ والــطِّــمــاحْ

وحــصّــلَ الــمــدْحَ لــهُ عــلْــمُــهُ مــا مُــهِــرَ الــعورُ مُــهــورَ الــصِّــحــاحْ[3]

---

(1) أعدد أي جهز وحد السلاح شفرته وأورد من ورد الماء إذا جاءه ليشرب والورد المورد والسماح الكرم والجود وصارم مصارمة أي قاطع وأبعد وتجنّب والمها البقرة الوحشية ويكنّى بها عن النساء واعمل أي واستعمل والكوم واحدتها كوماء وهي الناقة العظيمة السنام وسمر الرماح أي الرماح الجيدة فالأسمر منها هو الأفضل والسؤدد السيادة والقدر الرفيع وشرف الرتبة وحسو الطلا شربها والطلا من أسماء الخمر ومراد الحمد أي مطلبه والحمد هو أن يكون المرء محموداً والرود الشابة الناعمة والرداح أي العظيمة العجيزة وكان ذلك من علامات الحسن عند العرب يقول ويقسم إن الرتبة الرفيعة لا تكون بمعاقرة الخمر ولا المكانة المحمودة منوطة بجميلة رضراضة المؤخرة.

(2) واهاً لفظ استحسان وهمّه أي غايته وقصارى ما يهتم له يقول واهاً لرجل لا يحفل إلاّ بما يفرح أهل الخير من البر والطاعات والمورد الماء والحلو العذب يعني بذلك أن كرمه مستساغ وسهل وعذب وسؤاله أي سائلوه وطالبو معروفه ومطاح أي متلف منفق ما سأله السائلون والآمل الراجي والمماطلة التأخير والمدافعة والصراح الخالص لا شائبة فيه يقول إنه كريم فلا يرد على سائله بسؤال ولا يدافعه ويؤخره والمدافعة في مقام السؤال لؤم خالص.

(3) كسا أي ألبس والراح الأولى هي الراحة أي باطن الكف والراح الثانية من أسماء الخمر يقول لم يطع داعي اللهو ولا أمسك الكأس بيده وسوّده أي جعله سيداً سرّه أي ما يعتقد في دخيلة نفسه وإصلاح السرّ أي تقويمه وتهذيب النفس والردع الزجر والأهواء واحدها الهوى وهو الميل والطماح رفع النظر إلى أمر والرغبة فيه يقول كان تهذيبه نفسه سبباً في سيادته ورفعته وردعه ميوله وهواه وحصّل الشيء إذا ناله ومُهِر أي أعطي مهراً والعور واحدتهن عوراء وهي من فقدت إحدى عينيها والمهور واحدها مهر والصحاح واحدتهن صحيحة أي سليمة العينين يقول إنه ممدوح لعلمه أن صحيحة العينين لا يساق لها صداق العوراء والمراد هنا الفارق بين الخير والشر.

فقال لهُ: أحسَنتَ يا بُدَيرُ، يا رأسَ الدّيرِ! ثمّ قالَ لتِلوِهِ، المُشتَبِهِ بصِنْوِهِ: ادنُ يا نُوَيرَةُ، يا قمَرَ الدُّوَيرَةِ! فدَنا ولمْ يتَباطا، حتى حلّ منهُ مقْعَدَ المُعاطى! فقال لهُ: اجْلُ الأبْياتَ العَرائِسَ، وإنْ لمْ يكُنّ نَفائِسَ! فبَرى القلَم وقَطّ، ثمّ احْتَجَرَ اللّوْحَ وخطّ[1]:

فـتَـنَـتْـنـي فـجـنّـنَـتْـنـي تـجَـنّـي ... بـتَـجـنٍّ يـفْـتَـنّ غِـبَّ تـجَـنّـي
شـغَـفَـتـني بجَـفـنِ ظَبْـيٍ غَـضـيـضٍ ... غـنِـجٍ يـقْـتَـضـي تـغَـيُّـضَ جَـفْـنـي
غَـشـيَـتْـنـي بـزِيـنـتَـيـنِ فـشـفّـتْـ ... ـنـي بـزِيٍّ يـشِـفّ بـيـنَ تـثَـنّـي[2]
فـتـظَـنّـيـتُ تـجْـتَـبـيـنـي فـتـجْـزيـ ... ـنـي بـنَـفْـثٍ يـشْـفـي فـخُـيّـبَ ظَـنّـي
ثـبّـتَـتْ فـيّ غِـشّ جـيْـبٍ بـتَـزْيـيـ ... ـنِ خَـبـيـثٍ يـبْـغـي تـشَـفّـيَ ضِـغْـنِ
فـنَـزَتْ فـي تـجـنّـي فـشـنَـتْـ ... ـنـي بـنَـشـيـجٍ يُـشْـجـي بـفَـنٍّ فـفَـنّ[3]

(1) بدير تصغير بدر ورأس الدير أي عظيم القوم والدير محل الرهبان وأراد بذلك جماعته وخاصته هو والتلو التابع أو الجالس إلى جانبه والصنو الأخ أو الموافق سناً والمشتبه الذي يشبه وادن فعل أمر بمعنى اقترب وأقبل ونويرة تصغير نار كناية عن صباحة الوجه والدويرة تصغير الدارة وهي حلقتهم حيث اجتمعوا ويتباطا أي يتمهّل والمعاطى أي النديم يقول إنه اقترب حتى حل في محل النديم الذي يعاطيه الشراب وأجل الأبيات أي أبرزها كالعروس وجمعها عرائس والنفائس واحدتها نفيسة وهي كل رفيع ومرغوب فيه وبرى القلم أي نحته وقطّه أي قطع رأسه عرضاً واحتجر اللوح أي وضعه في حجره واللوح ما يكتب عليه وخطّ أي كتب.

(2) فتنتني أي أعجبتني واستمالتني وتجنّي اسم امرأة والتجنّي الدلال والتيه ويفتنّ من افتن إذا جاء بالأفانين والتجني من الجناية وشغفتني أي بلغ حبها شغاف قلبي وفي سورة يوسف الآية 30 ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ والظبي الغزال والغضيض الفاتر المنكسر وهو من علامات الحسن في الطرف عند العرب والغنج تكسر الكلام وتخنيثه ويقتضي أي يلزمه وتغيّض الماء نقصانه وفناؤه كناية عن كثرة البكاء وغشيتني أي جاءتني والزينتان الحلي والثياب وشفّه إذا أنحله وأسقمه والزيّ الهيئة ويشفّ أي يظهر ويبدي ما خلفه والتثنّي الميل والانعطاف والحركة.

(3) تظنّيت أي حسبت وتجتبيني أي تختارني وتصطفيني والنفث يراد به هنا الكلام وثبّتت أي مكّنت جعلت راسخاً يريد أنها تيقنت وصحّ عندها وفي سورة الإسراء الآية 74: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ وغشّ الجيب أي غش الطوية والقلب والخبيث هنا يعني الحسود والعاذل الذي دسّ بكذب زيّنه بأباطيله فبدا لها صدقاً تأخذ به ويبغي أي يريد وتشفّى من عدوه قهره وفعل به ما يسرّه والضغن الحقد الشديد وفي سورة محمد الآية 37: ﴿وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ﴾ =

فلمّا نظرَ الشيخُ إلى ما حبّرَهُ، وتصفّحَ ما زبَرَهُ، قال له: بورِكَ فيكَ منْ طَلاً! كما بورِكَ في لا ولا! ثمّ هتَفَ: اقْرُبْ، يا قُطْرُبُ. فاقْتَرَبَ منهُ فتًى يحْكي نجْمَ دُجْيةٍ، أو تِمْثالَ دُميةٍ، فقال لهُ: ارْقُمِ الأبْياتَ الأخْيافَ، وتجنّبِ الخِلافَ! فأخذَ القلَمَ ورقَمَ[1]:

إسْمَحْ فبَثُّ السّماحِ زَينٌ ولا تُخِبْ آمِلاً تضَيّفْ
ولا تُجِزْ رَدَّ ذي سؤالٍ فنّنَ أم في السّؤالِ خفّفْ
ولا تظُنّ الدّهورَ تُبقي مالَ ضَنينٍ ولوْ تقَشّفْ
واحلُمْ فجفنُ الكرامِ يُغضي وصَدرُهمْ في العَطاءِ نفنَفْ
ولا تخُنْ عهْدَ ذي وِدادٍ ثبْتٍ ولا تبْغِ ما تزيّفْ[2]

فقال له: لا شَلّتْ يَداكَ، ولا كلّتْ مُداكَ! ثمّ نادى: يا غشَمْشَمُ! يا عِطْرَ منْشَمَ! فلبّاهُ غُلامٌ كدُرّةِ غوّاصٍ، أو جُؤذُرٍ قنّاصٍ، فقالَ لهُ: اكتُبِ الأبياتَ المَتائِمَ، ولا تكُنْ منَ المَشائيمِ! فتناولَ القلَمَ المثقّفَ، وكتبَ ولمْ يتوقّفْ[3]:

= يريد أنها صحّ عندها أني مخادع لما زيّنه لها حسود ونزت أي وثبت وسارعت والتجنب الصد وثنتني أي صرفتني وردتني والنشيج البكاء بصوت مسموع ويشجي أي يحزن والفن النوع.

(1) حبّر أي زيّن وتصفّح أي نظر في صفحاته وزبر أي كتب والطلا ولد المهاة والظبية ولا ولا يريد بذلك الزيتونة ملاحظاً الآية 35 في سورة النور: ﴿شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ والقطرب دويبة يضرب بها المثل في كثرة السير والدجية الليلة المظلمة والدمية صورة تعمل من عاج وتضرب مثلاً للحسن وارقم أي اكتب والأخياف التي أحرفها واحد منقط والآخر لا والأخياف والأولاد من أم واحدة وآباء شتّى.

(2) السماح هو الكرم وبثّه نشره والزين الجميل المحبوب من الأمور والآمل الراجي وتخييبه إرجاعه خائباً لم ينل بغيته وتضيّف أي نزل ضيفاً ولا تجز أي لا تسمح ولا ترخّص وذو السؤال أي السائب وفنّن أي نوّع يقول وسواء أألحف وعدد في المسألة أم أقل فلا تسمح بردّه وصرفه والضنين البخيل يمنع المال ويضنّ به وتقشّف أي زهد فاجتزأ بالقليل اليسير ويغضي أي يتغافل والنفنف ما اتسع من الأرض استعاره لسعة الصدر وذو الوداد المحبّ والثبت أي الثقة الأمين ولا تبغ أي لا تطلب وما تزيّف غير الصحيح.

(3) لا شلّت يداك دعاء له أن يصون الله يديه من الشلل وكلّت أي تعبت والشفرة لم تقطع والمدى =

زُيّـنـتْ زيـنَـبُ بـقَـدٍّ يـقُـدُّ ... وتَـلاهُ ويْـلاهُ نـهْـدٌ يـهُـدُّ
جُـنـدُها جيـدُها وظَـرفٌ وطَـرْفٌ ... نـاعِـسٌ تـاعِـسٌ بـحـدٍّ يَـحُـدُّ
قـدرُها قـدْ زَها وتـاهَـتْ وبـاهَـتْ ... واعْـتَـدَتْ واغـتَـدَتْ بـخَـدٍّ يـخُـدّ
فـارَقَـتْـنـي فـأرّقَـتْـنـي وشـطّـتْ ... وسـطَـتْ ثـمّ نـمّ وجْـدٌ وجَـدّ
فـدَنَـتْ فـدّيَـتْ وحـنّـتْ وحـيّـتْ ... مُـغـضَـبـاً مُـغـضِـيـاً يـوَدّ يُـوَدّ(1)

فطفِقَ الشيخُ يتأمّلُ ما سطَرَهُ، ويقلّبُ فيهِ نظرَهُ، فلمّا استحسَنَ خطَّهُ، واستَصَحّ ضبْطَهُ، قال لهُ: لا شَلّ عشرُكَ، ولا استُخبِثَ نشْرُكَا! ثمّ أهابَ بفتًى فتّان، يسفِرُ عنْ أزهارِ بُستانٍ، فقالَ لهُ: أنشِدِ البَيتينِ المُطرَفَينِ، المُشتَبِهَي الطّرفَينِ؛ اللذَينِ أسْكَتا كلّ

= واحدتها مدية وهي السكين والشفرة والغشمشم الذي لا يردّه شيء عن مراده ومنشم اسم امرأة وعطر منشم يضرب به المثل ويراد به الشر العظيم وفي مجمع الأمثال للميداني: «بَيْنَهُمْ عِطْرُ مَنْشِمَ قال الأصمعي: مَنْشِم - بكسر الشين - (في القاموس كمجلس ومقعد) اسمُ امرأةٍ عطّارة كانت بمكة وكانت خُزَاعة وجُرْهم إذا أرادوا القتالَ تطيَّبُوا من طيبها وإذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم فكان يقال: أشأَمُ مِنْ عِطْرِ مَنْشِمَ. يضرب في الشر العظيم» لبّاه أي أجاب دعوته والغواص من يغوص البحر ودرته تكون أعظم الدرر والجؤذر ولد المهاة يشبّه به الغلام الجميل والقنّاص هو من يقتنص ويصطاد والمتائيم وهي جمع متئم والمتئم من تلد توأمين والمشائيم واحدها مشؤوم وهو الكثير الشؤم والمثقّف أي المقوّم والمعدّل.

(1) القد هو القامة ويقدّ أي يفري ويقطع وتلاه أي وتبعه ويهد أي يهدم بشدّة وجندها أي عسكرها وجيدها أي عنقها والظرف أي الكياسة والحلاوة والطرف أي النظر والناعس من صفات الطرف لفتوره المستملح والتاعس أي المهلك من تعسه بمعنى أتعسه والحد الأولى الشفرة ويحدّ أي يقيم الحدود أي يقتل عشاقه وربما وجب تفسير يحد أي يضع حداً لمن يراه فيشغله عن اللهو قال هذا الشريشي في تفسيره وأرى أن الأول أظرف وأولى وزها أي تكبر وتاه وتاهت أي تكبرت وباهت أي افتخرت واعتدت من العدوان أي الظلم واغتدت من الغدوّ إذا سارت غدوة ويخد أي يشق ويقطع والمراد أنه يقطع القلوب وأرّقتني أي ابتلتني بالأرق وهو السهاد والسهر وشطت أي بعدت وسطت أي بطشت ونمّ أي أفشى السر والوجد تباريح الحب والجد الاجتهاد ودنت أي اقتربت وفديت دعاء لها بالفدية وحنّت أي أشفقت والمغضب من أغضبته والمغضي أي المتغافل ويود أي يتمنّى ويود أي يُحبّ يقول فاقتربت فديتها وأشفقت لما رأت ما أصابني وأنا الغضبان ولكن المتغافل عما بي وأتمنّى لو أنها تحبّني.

نافِثٍ، وأمِنا أنْ يعَزَّزا بثالِثٍ! فقالَ له: اسمَعْ لا وُقِرَ سمْعُكَ، ولا هُزِمَ جمعُكَ! وأنشدَ منْ غيرِ تلبّثٍ ولا تريّثٍ(1):

سِمْ سِمَةً تحْسُنُ آثارُها واشكُرْ لمنْ أعطى ولوْ سِمسِمَهْ
والمكْرُ مهْما اسطَعْتَ لا تأتِهِ لتَقْتَني السّؤدَدَ والمَكرُمَهْ(2)

فقال لهُ: أجدْتَ يا زُغلولُ، يا أبا الغُلولِ! ثمّ نادَى: أوضِح يا ياسينُ، ما يُشكِلُ من ذَواتِ السّينِ! فنهضَ ولمْ يتأنّ، وأنشدَ بصوْتٍ أغنّ(3):

نِقْسُ الدّواةِ ورُسغُ الكفّ مُثبَتةٌ سيناهُما إنْ هُما خُطّا وإنْ دُرِسا
وهكذا السّينُ في قسْبٍ وباسِقَةٍ والسفحِ والبخس واقسِرْ واقتبس قبَسا
وفي تقسّسْتُ باللّيلِ الكلامَ وفي مُسيطرٍ وشَموسٍ واتخِذْ جرَسا
وفي قَريسٍ وبرْدٍ قارِسٍ فخذِ الـ صّوابَ منّي وكُنْ للعِلمِ مُقتَبِسا(4)

---

(1) سطره أي كتبه واستصح أي وجد صحيحاً والضبط أي الشكل والنقط ولاشلت عشرك دعاء له أن لا يصيب الشلل أصابعه العشر واستخبث أي ستقبح ووجد كريهاً والنشر العرف والرائحة العطرة وأهاب أي دعا والفتان الذي يفتن الألباب ويحيّرها ويسفر أي يكشف وأزهار البستان يعني بذلك تنوّع آيات الجمال في وجهه والمطرّف رداء من الخز ذو أعلام في أطرافه يعني أن في طرفي البيتين علامة في كل منهما والنافث يراد بها هنا المتكلّم ويعززا أي يؤيّدا وهنا يتبعا ويشفعا ببيت ثالث وفي سورة يسن الآية 14: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ ووقر سمعه إذا صار ثقيلاً والتلبّث التمهل والتريّث مثله.

(2) سم أي اجعل سمة أو علّم والسمة العلامة وتحسن أي تكون حسنة وآثارها أي عواقبها ومهما أداة شرط تدخل على مضارع أو مضارعين فتجزمهما وعلى فعلين ماضيين أو فعل ماض يتلوه أمر واسطعت أي استطعت وتقتني أي تحوز والسؤدد الشرف والرفعة والمكرمة أي الكرامة.

(3) أجدت أي احسنت والزغلول فرخ الحمام والخفيف السريع من الرجال وزغلول الرجل ولده والغلول الخيانة في المغنم وأصله الستر والتغطية من غلّ الشيء غلاً وغلولاً إذا ستره يريد أنه يغلّ العقول فيمسكها ويخون أصحابها فيها وأوضح أي بيّن ويشكل أي يلتبس وتأنّى أي تمهل وتباطأ والأغن من الأصوات الذي فيه غنّة وترخيم والغنة البحة الخفيفة والأغن من يتكلم من خياشيمه.

(4) النقس هو الحبر والرسغ ما يصل الكف بالذراع وخطّا أي كتبا ودرسا أي قُرئا والقسب تمر يابس يتفتت في الفم والباسقة النخلة الطويلة والسفح أسفل الجبل والبخس النقص وأقسر من القسر =

فقال لهُ: أحسنْتَ يا نُغَيشُ، يا صنّاجةَ الجيْشِ! ثمّ قال: ثِبْ يا عَنبَسَةُ، وبيّنِ الصّاداتِ المُلتَبِسَةَ! فوثبَ وِثبَةَ شِبلٍ مُثارٍ، ثم أنشَدَ من غيرِ عِثارٍ[1]:

بالصّادِ يُكتَبُ قد قبَضْتُ دراهِماً ... بأنامِلي وأصِخْ لتَستَمِعَ الخَبَرْ
وبصَقْتُ أبصُقُ والصِّماخُ وصَنجةٌ ... والقَصُّ وهْوَ الصّدرُ واقتصّ الأثَرْ
وبخَصْتُ مُقلتَهُ وهَذي فُرصَةٌ ... قد أُرعِدَتْ منهُ الفَريصَةُ للخَوْرِ
وقصَرْتُ هِنداً أي حبَستُ وقد دنا ... فِصْحُ النّصارَى وهْوَ عيدٌ مُنتظَر
وقَرَصْتُهُ والخمْرُ قارِصَةٌ إذا ... حذَتِ اللّسانَ وكلّ هذا مُستَطَرْ[2]

فقال له: رَعْياً لكَ يا بُنيّ؛ فلقدْ أقرَرْتَ عينيّ! ثمّ استَنْهَضَ ذا جُثّةٍ كالبَيذَقِ، ونَعشَةٍ كالسّوذَقِ، وأمرَهُ بأنْ يقِفَ بالمِرصادِ، ويسرُدَ ما يجْري على السّينِ والصّادِ. فنهضَ يسحَبُ بُردَيْهِ، ثمّ أنشَدَ مُشيراً بيدَيْهِ[3]:

= أي الغلبة والقهر واقتبس أي خذ القبس وهو الشعلة أو النور وتقسّس الشيء أي طلبه وتتبعه مجتهداً في ذلك وتقسس الأصوات في الليل تسمّعها ومسيطر أي المسلّط وتكتب بالصاد أيضاً وفي سورة الغاشية الآية 22: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ والشموس الدابة تمنع أن تُسرج وأن تُركب والجرس جسم مجوف يُضرب بمدقة فيطنّ والقريس من البرد الشديد ومن الماء الجامد والقارس الشديد البرد وفي المحيط: «القَرْسُ: أكْثَفُ السَّقِيْعِ وأبْرَدُه. وقد قَرِسَ المَقْرُوْرُ: إذا لم يَسْتَطِعْ عَمَلاً بيَدَيْه. وقد أقْرَسَه البَرْدُ. ومنه سُمِّيَ القَرِيْسُ والقارِسُ. والقَرِيْسُ: القَدِيمُ» والاقتباس مرّ وهو الاستنارة من نور أو أخذ شعلة نار من شعلة أخرى.

(1) النغيش تصغير النغّاش وهو الكثير الحركة والصنّاجة أي صاحب الصنج وهو آلة من نحاس مركبة من قطعتين تضرب إحداهما بالأخرى وثب فعل أمر من وثب والعنبسة اسم من أسماء الأسد والملتبسة أي المشكلة والشبل ولد الأسد ومثار إذا أثير أو أزعج والعثار التعثّر.

(2) قبضت أخذت بأطراف أصابعي والقبصة دون القبضة والصماخ ثقب الأذن والصنجة ما يوضع في الميزان ويوزن به. يقول ابن السكيت لا تقل سنجة بالسين والقص رأس الصدر واقتصّ الأثر إذا تتبعه وبخصت مقلته أي فقأتها والفرصة النهزة والفريصة بضعة لحم عند الكتف ترعد عند الخوف والخور الضعف وقصرت أي صنت وفي سورة الرحمن الآية 72: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ وقرصته أي أمسكت جلده بين أطراف أصابعي وفتلته والقارصة أي اللاّذعة وحذت اللسان أي قرصته والمستطر المكتوب.

(3) رعياً لك دعاء له بمعنى رعاك الله واستنهض طلب النهوض والبيذق حجر من أحجار الشطرنج =

إنْ شِئْتَ بالسّينِ فاكتُبْ ما أبيّنهُ وإنْ تَشأ فهْوَ بالصّاداتِ يُكتَتَبُ
مَغسٌ وفَقسٌ ومُسطارٌ ومُمّلسٌ وسالغٌ وسِراطُ الحقّ والسّقَبُ
والسّامِغانِ وسقْرٌ والسَّويقُ ومِسْ لاقٌ وعن كل هذا تُفصحُ الكُتُبُ[1]

فقال له: أحسَنتَ يا حبَقّةُ، يا عينَ بقّةَ! ثمّ نادى: يا دَغْفَلُ، يا أبا زَنفَلَ! فلبّاهُ فتًى أحسَنُ منْ بيضَةٍ، في روضَةٍ! فقال له: ما عَقْدُ هِجاء الأفعالِ، التي آخِرُها حرْفُ اعتِلالٍ؟ فقال: اسْمَعْ لا صُمّ صَداكَ، ولا سمِعَتْ عِداكَ! ثمّ أنشدَ، وما استَرْشَدَ[2]:

= والنغشة أي الحركة والسوذق الطائر الذي يصطاد به والمرصاد على مقربة والأصل الوقوف في الطريق وسرد يسرد أي يتلو بسرعة.

(1) المغس وجع المعدة والفقس خروج الطير من البيضة والمسطار الخمرة والمملس ما يسقط من يدك فلا تشعر به والسالغ آخر أسنان ذوات الظلف وهو السن الذي بعد الديس من البقر أو الشاة وذلك في السنة السادسة والسراط الطريق والسقب القريب والسامغان جانبا الفم وسقر الصقر أي الطائر المعروف والسويق دقيق البر أو الشعير يطحن ويقلى وقد يزاد عليه الحمص والمسلاق الشديد الصوت. أقول وإتماماً للفائدة فسأنقل هنا عن أدب الكاتب لإبن قتيبة في باب ما جاء بالصاد، وهم يقولونه بالسين: «يقال أخذته على المِقْبص» - بالصاد - وهو الحبل الذي تُرسل منه الخيل، و«هو قصُّ الشاة» و«قَصَصُها» ولا يقال قسٌّ، و«هو صَفْح الجبل» لوجه الجبل، مثل صفح الوجه، ومنه الحديث أن موسى ﷺ: «مر وهو يلبّي وصِفَاحُ الرَّوْحَاء تُجاوبه» ولا يقال سَفْح إلا لما سَفَحَ فيه الماء، وهو أسفل الجبل، فأما السفح الذي ذكره الأعشى في قوله: «ترتَعِي السَّفْح» فإنه موضع بعينه، و«نبيذٌ قارصٌ» و«لبنٌ قارصٌ» أي: يقرص اللسان، والبرد» قارسٌ»، والقَرْسُ: البرد، «وسمكٌ قَريس» ويقال: «بَخَصت عينه» - بالصاد - ولا يقال بخستها، إنما البَخس النقصان، و«أصاب فلان فُرصته»، هي «صَنْجَة الميزان» ولا يقال سَنْجة، وهي أعجمية معربة، و«هو الصِّمَاخ» ولا يقال السماخ، و«هو الصُّندوق» بالصاد، و«قد بَصَقَ الرجل» و«بَزَقَ» وهو البُصَاق والبُزَاق، ولا يقال بَسَق إلا في الطُّول، و«قد أصاخَ» فهو مُصِيخ، إذا استمع، ولا يقال أساخ».

(2) الحبقة الضرطة والحبقة السفيه الجاهل من الناس وعين البقة يراد بها التصغير وفي الحديث عن أبي هريرة: «قال سمعت أذناي هاتان وأبصرت عيناي هاتان رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفيه جميعاً حسناً أو حسيناً وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ وهو يقول: حزقه حزقه أرق عين بقة فيرقى الغلام حتى يضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ ثم قال له: افتح قال ثم قبله ثم قال: اللهم أحبه فإني أحبه» والدغفل ولد الفيل والدغفل الزمن الخصيب والزنفل جاء في جمهرة اللغة: «والزّنفلة، يقال: زنفلَ في مِشيته، إذا تحرّك كأنه مُثْقَل بالحمل. وقد سمّت العرب زَنْفَلاً. قال =

إذا الفِعْلُ يوماً غُمّ عنكَ هجاؤه فألحِقْ بهِ تاء الخِطابِ ولا تقِفْ
فإنْ ترَ قبْلَ التّاء ياءً فكَتْبُهُ بياءٍ وإلا فهْوَ يُكتَبُ بالألِفْ
ولا تحسُبِ الفِعلَ الثّلاثيّ والذي تعدّاهُ والمهموزُ في ذاك يختلِفْ[1]

فطَرِبَ الشيخُ لما أدّاهُ، ثمّ عوّذَهُ وفدّاهُ. ثمّ قال: هلمّ يا قَعْقاعُ، يا باقِعَةَ البِقاعِ! فأقْبَلَ فتًى أحسَنُ منْ نارِ القِرى، في عينِ ابنِ السُّرَى! فقال له: اصدَعْ بتمْييزِ الظّاء منَ الضادِ، لتَصْدَعَ بهِ أكْبادَ الأضْدادِ! فاهتَزّ لقوْلِهِ واهتَشّ، ثمّ أنشَدَ بصوتٍ أجَشّ[2]:

أيها السائلي عنِ الضّادِ والظّا ءِ لكَيْلا تُضِلّهُ الألْفاظُ
إنّ حِفظَ الظّاءات يُغنيكَ فاسمعْ ها استِماعَ امرِئٍ لهُ استيقاظُ
هيَ ظَمْياءُ والمظالِمُ والإظْ لامُ والظَّلْمُ والظُّبَى واللَّحاظُ

= أبو عثمان الأُشْنانْدانيّ: الزِّنْفَل: الداهية، ولم أسمعه إلا منه». والبيضة يريد بيضة النعام وتوصف بالحسن ويكنى بها عن المرأة الجميلة المصونة ولا صمّ صداك دعاء له بالبقاء لأن صدى الصوت يبقى ما بقي الحي ولا سمعت عداك دعاء بالصمم على أعدائه فلا يسمعون واسترشد أي اهتدى أي من دون دليل.

(1) غمّ عنك أي خفي واستتر وتاء الخطاب أي التاء تضاف على أكل فتصبح أكلت وشرب فتصبح شربت وكتبه أي رسمه الإملائي والثلاثي من الأفعال أي الذب من ثلاثة أحرف وتعدّاه أي تجاوزه فصار بأحرف تزيد على الثلاثة والمهموز أي الذي فيه همزة يقول إن هذه لاتختلف بل كلها على نسق واحد.

(2) أدّاه أي قاله وألقاه وعوّذه أي قرأ عليه المعوذتين أي الفلق والناس وعوّذه طلب العوذ له من الله وفدّاه أي قال نفسي فداؤك أو فدّاه بالأب أو الأم أو بالأثنين وهكذا والقعقاع الشديد الصوت والقعقعة صوت يكون للسلاح والباقعة الداهية والبقاع واحدتها بقعة وهي القطعة من الأرض ونار القرى أي نار الضيافة توقد في الليل على مكان مرتفع فيراها الساري في الليل أو الضال فيفرح بها وقد ضرب برؤيتها المثل وابن السرى أي الساري أو الطارق في الليل واصدع أي بيّن وأظهر وتصدع به أي تشق والأضداد أي المخالفين والخصوم والأعداء واهتزّ أي تحرّك واهتشّ أي فرح والأجش من الأصوات الغليظ من الإنسان أو غيره والأنثى جشّاء والرعد الأجش أي القاصف الشديد الصوت.

والعَظا والظَّليمُ والظبيُ والشَّيـ ظَمُ والظَّلُّ واللَّظى والشّواظُ(1)

والتَّظَنّي واللّفْظُ والنّظمُ والتقـ ريظُ والقَيظُ والظّما واللَّماظُ

والحِظا والنّظيرُ والظّئرُ والجا حِظُ والنّاظِرونَ والأيْقاظُ

والتّشظّي والظِّلفُ والعظمُ والظّنـ بوبُ والظُّهرُ والشّظا والشِّظاظُ

والأظافيرُ والمظَفَّرُ والمحـ ظورُ والحافِظونَ والإحفاظُ(2)

والحَظيراتُ والمَظِنّةُ والظِّنّـ ةُ والكاظِمونَ والمُغتاظُ

والوَظيفاتُ والمُواظِبُ والكِظّـ ةُ والإنتِظارُ والإلْظاظُ

ووَظيفٌ وظالِعٌ وعَظيمٌ وظَهيرٌ والفَظُّ والإغلاظُ

ونَظيفٌ والظَّرْفُ والظّلَفُ الظّا هِرُ ثمّ الفَظيعُ والوُعّاظُ

وعُكاظٌ والظَّعْنُ والمَظُّ والحنـ ظَلُ والقارِظانِ والأوْشاظُ(3)

---

(1) يغني من أغنى إذا أجزأ وكفى والاستيقاظ اليقظة والتنبّه والظمياء من الشفاه الذابلة في سمرة ومن السيقان القليلة اللحم والمظالم واحدتها مظلمة وهي الظلامة والإظلام من أظلم إذا صار مظلماً والظلْم ماء الأسنان وبريقها والظبى واحدتها ظبّة وهي حد السيف أو السنان واللحاظ واحدها لحظ وهو باطن العين والعظا واحدتها عظاية أو عظاءة وهي دويبة ملساء أصغر من الضب وأنواعها كثيرة والظليم ذكر النعامة والمظلمة والظبي الغزال والشيظم الطوبل والفتيّ من الناس والإبل والخيل واللظى النار والشواظ اللهب لا دخان فيه وفي سورة الرحمن الآية 35: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾.

(2) التظنّي مصدر تظنّيت والأصل تظننت فأبدلت النون ياء أي حسبت والتقريظ مدح الشخص حيّاً والقيظ شدّة الحر والظمأ شدة العطش واللماظ تتبّع بقية الطعام باللسان بعد الأكل والحظا الحظوة والنظير المثيل والظئر المرضع بأجر والجاحظ البارز المقلة والأيقاظ المتنبهون والإيقاظ أي التنبيه والتشظّي أن يتفرق الشيء فلقاً واحدة شظية والظلف للغنم والبقر بمنزلة الحافر للدواب والظنبوب مقدم عظم الساق والشّظى عظيم مستدق لازق بالركبة والشظاظ خشبة عقفاء تدخل في عروتي الجوالق والأظافير والواحد أظفور أي الظفر والمظفّر من ألقاب الملوك ويعني المنصور والمحظور من حظر إذا منع وحرّم والإحفاظ أي الإغضاب.

(3) الحظيرات واحدتها حظيرة وهي ما يصنع للماشية من قصب ونحوه ليقيها البرد والريح والحظيرة ما أحاط بالزرع من خشب وقصب وحظيرة القدس الجنّة والمظنّة الموضع الذي يظن أن الشيء موجود فيه والظنّة التهمة والكاظمون من كظم الباب إذا أغلقه والنهر سدّه والقربة ملأها وسدّ فاها=

وظِـرابُ الـظِّـرّانِ والـشّـظَـفُ الـبـا هِـظُ والـجـعْـظَـريُّ والـجَـوّاظُ
والـظَّـرابـيـنُ والـحَـنـاظِـبُ والـعُـنْـ ظُـبُ ثـمّ الـظّـيّـانُ والأرْعـاظُ
والـشَّـنـاظِـي والـدَّلْـظُ والـظّـأبُ والـظّبـ ظـابُ والـعُـنـظُـوانُ والـجِـنْـعـاظُ(1)
والـشّـنـاظـيـرُ والـتّـعـاظُـلُ والـعِـظْـ لِـمُ والـبَـظْـرُ بـعْـدُ والإنْـعـاظُ

= والشيءَ حبسه والغيظ رده وحبسه والوظيفات واحدتها وظيفة وهي مايعيّن من عمل أو طعام أو رزق أو غير ذلك وهي أيضاً المنصب والخدمة والمواظب من واظب على الفعل إذا لازمه وداومه والكظّة الشبع المفرط والإلظاظ من ألظّ بالمكان أقام فيه وألظّ به لازمه ولم يفارقه والوظيف ما استدقّ من ذراع وساق الإبل والخيل والظالع الأعرج والظهير المعين وفي سورة التحريم الآية 4: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ والفظ الغليظ والجافي والقاسي والإغلاظ من أغلظ المسافر إذا نزل بالغَلظ أي الأرض الخشنة وأغلظ له في القول إذا خاطبه أو عنّفه بشديد الكلام وأغلظ اليمين شدّدها والظرف الوعاء والظّلف الكفّ والمنع والفظيع الشديد الشناعة أو الماء الذي زادت عذوبته والوعّاظ والواحد واعظ أي الناصح أو المذكّر بما يحمل المرء على التوبة وإصلاح السيرة وعكاظ سوق بين مكة والطائف كانت تجتمع فيه العرب مرة في السنة للبيع والشراء وخلّدته المساجلات الشعرية التي كانت تجري فيه والظعن الرحيل والمظّ الرمان البري والحنظل نبات حولي من فصيلة القرعيات يضرب بمرارته المثل والقارظان جانيا القارظ وهو ثمر تدبغ به الجلود وقد تقدم ذكر القارظين والأوشاظ والوشائظ والواحد الوشيظ وهو التابع والأوشاظ السفلة من الناس واللفيف من الناس ليس أصلهم واحداً.

(1) الظراب واحدها الظرب وهي الربى الصغار والجبل الصغير أو المنبسط والظران حجارة محددة واحدها ظرر وهو حجر له حد كحد السكين والشظف ضيق المعيشة والبؤس والباهظ الغالب والشاق الجَعْظَرِيُّ: الفَظُّ الغَليظُ كما في الصّحاح أو هو الطَّويلُ الجِسْم الأكُولُ الشَّرُوبُ البَطِرُ الكَفُورُ كالجَظِّ والجَوّاظِ: كما قاله الفَرّاءُ. وقيل: هو الغَليظُ المُتَكَبِّرُ. وقيل: هو القَصيرُ الرِّجْلَيْن العظيمُ الجِسْم مع قُوَّةٍ وشدَّةِ أكْلٍ والجوَّاظ: الذي لا يستقيم على أمر واحد، الذي يُصانع هؤلاء وهؤلاء. والجواظ الكثير اللحم الجافي الغليظ المختال في مشيته، وقال ثعلب الجواظ المتكبر الجافي، وقد جاظ يجوظ جوظاً، ورجل جواظة أكول، وقيل هو الفاجر، وقيل هو الصياح الشرير وفي الحديث: «ألاَ أُخبرُكم بأهْل النّار كلُّ جَعْظَريٍّ جَوّاظٍ مَنّاعٍ جَمّاع» والظرابين واحدها ظربان وهو دابة منتنة الريح والحناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد والظيّان الياسمين البرّي والأرعاظ والواحد رعظ وهو مدخل النصل في السهم والشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظأب الصخب والظبظاب الداء والعنظوان ضرب من الحمض والجِنْعاظُ من النّاسِ: الغَليظُ الجافِي. وقيل النّون زائِدة والقَصِيرُ الرِّجْلَيْنِ المُجْتَمِعُ الخَلْقِ. والعَسِرُ الأخْلاقِ وقيل الذى يَتَسَخَّطُ عند الطّعامِ من سُوءِ خُلُقِه..

هيَ هذي سِوى النّوادِرِ فاحفَظْـ ـها لتَقْفو آثارَكَ الحُفّاظُ
واقضِ في ما صرّفتَ منها كما تقـ ـضيهِ في أصْلِهِ كقَيْظٍ وقاظوا[1]

فقال لهُ الشيخُ: أحسنْتَ لا فُضّ فوكَ، ولا بُرّ منْ يجفوكَ! فوَاللهِ إنّكَ معَ الصِّبا الغضّ؛ لأحفَظُ منَ الأرضِ، وأجمَعُ من يومِ العرْضِ! ولقدْ أورَدْتُك ورُفْقتَكَ زُلالي، وثقّفْتُكم تثْقيفَ العَوالي! فاذْكُروني أذكُرْكُمْ واشْكُروا لي وَلا تكفُرون[2].

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فعجِبْتُ لما أبْدى من بَراعَةٍ، معجونَةٍ برِقاعَةٍ. وأظهَرَ منْ حَذاقَةٍ، ممزوجَةٍ بحَماقَةٍ! ولمْ يزَلْ بصَري يُصَعِّدُ فيهِ ويصوِّبُ، وينقِّرُ عنهُ وينقِّبُ، وكنتُ كمنْ ينظُرُ في ظَلْماء، أو يَسري في بهْماء. فلما استَراثَ تنبُّهي، واسْتَبان تدلُّهي، حمْلقَ إليّ وتبسّمَ، وقال[3]: لمْ يبقَ مَنْ يتوسّمُ! فبُهِتُّ لفَحْوى كلامِهِ، ووجَدْتُهُ أبا زيدٍ عندَ

(1) الشناظير واحدها شنظير وهو الرجل السيّئ الخلق والتعاظل للكلاب تسافدها وأصل التعاضل تداخل الشيء بعضه في بعض والعظلم نبت يصبغ بعصارته الثوب فيصبح أسود أو أحمر والبظر هنة في فرج المرأة بين الشفرين والإنعاظ قيام القضيب وانتصابه والنوادر في اللغة الغرائب والشواذ وتقفو أي تتبع واقض أي واحكم وصرّف الكلام شق بعضه من بعض والقيظ شدة الحر وقاظوا أي دخلوا في القيظ.

(2) لا فضّ فوك دعاء له أن لا تسقط أسنانه وبرّ من البرّ والمبرّة الإحسان في المعاملة والاتساع في ذلك ويجفوك أي يهجرك يدعو على من يجفو أن لا يجد من يحسن إليه والصبا الغض أي الشباب الطري واحفظ من الأرض أي أكثر صوناً للأمانات وأجمع أي أكثر جمعاً ويوم العرض هو يوم القيامة تعرض فيه الخلائق على ربّها وأوردتك أي سقيتك ورفقتك أي رفاقك يريد أولاده إخوة المخاطب والزلال من الماء العذب الصافي يريد به العلم الخالص وثقّفتكم أي قومتكم والعوالي الرماح والواحدة عالية وهي القناة المستقيمة 152 من سورة البقرة وقوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ فعبارة قرآنية من الآية 152 من سورة البقرة.

(3) أبدى أي أظهرالبراعة الحذق والمهارة ومعجونة أي مخلوطة والرقاعة الحمق وأظهر أي بيّن والحذاقة أي حذق والحماقة الجهل وقلة الرأي ويصعّد أي يرتفع ويصوّب أي يعتدل وينقّر عن الشيء أي يبحث ويستقصي وينقّب أي يستقري والبهماء المفازة لا ماء فيها أو الأرض لا يهتدي السائر فيها واستراث إذا استبطأ وتنبّهي أي يقظتي وانتباهي واستبان أي تبيّن وتدلّهي أي حيرتي وحملق أي نظر بحملاقه وهو باطن أجفان العين.

ابتِسامِهِ. فأخذَتُ ألومُهُ على تديُّرِ بُقعَةِ النَّوْكى، وتخيُّرِ حِرفَةِ الحمْقَى. فكأنّ وجهَهُ أُسِفَ رَماداً، أو أُشرِبَ سَواداً، إلا أنهُ أنشدَ وما تَمادى(1):

تـخـيّـرْتُ حِـمْـصَ وهَـذي الـصّـنـاعـهْ ... لأرزَقَ حُـظْـوَةَ أهـلِ الـرَّقـاعَـهْ
فـمـا يَـصطَـفـي الـدّهـرُ غـيـرَ الرّقـيـعِ ... ولا يُـوطِـنُ الـمـالَ إلا بِـقـاعَـهْ
ولا لأخـي الـلُّـبّ مـنْ دهْـرِهِ ... سـوى مـا لـعَـيْـرٍ رَبـيـطٍ بِـقـاعَـهْ(2)

ثم قال: أمَا إنّ التعليمَ أشرَفُ صِناعةٍ، وأربَحُ بِضاعةٍ، وأنجَحُ شَفاعةٍ، وأفضَلُ براعَةٍ! وربُّهُ ذو إمْرَةٍ مُطاعَةٍ، وهيبَةٍ مُشاعَةٍ، ورعيّةٍ مِطواعةٍ؛ يتسيْطَرُ تسيْطُرَ أميرٍ، ويرتِّبُ ترْتيبَ وزيرٍ، ويتحكّمُ تحكُّمَ قَديرٍ(3)، ويتشبّهُ بِذي مُلْكٍ كبيرٍ! إلا أنهُ يخْرَفُ في أمَدٍ يَسيرٍ، ويتّسِمُ بحُمقٍ شَهيرٍ، ويتقلّبُ بعقْلٍ صَغيرٍ، ولا يُنَبّئكَ مثلُ خَبيرٍ(4)!

---

(1) يتوسّم أي ينظر ويتأمل فيقرأ العلامات أي السمات وبهت أي فطنت يقال أبّهت له وأبهت وبهت أي فطنت وفحوى الكلام معناه وتديّر المكان اتخاذه داراً والنوكى والواحد أنوك أي أحمق وجاهل وديرة النوكى يريد بذلك حمص والحرفة الصنعة وأسّف رماداً يريد أنه بدا كمن ذرّ عليه رماد وسفّ الدواء إذا أخذه يابساً غير ملتوت وأشرب الشيء إذا سقيه أو خولط به وتمادى إذا لجّ في الأمر وأقام عليه يريد أن غضبه لم يطل.

(2) تخيرت أي اخترت والصناعة أراد بذلك تعليم الصبيان ويصطفي من اصطفى الشيء إذا اختاره وآثر به نفسه ويوطن المال بقاعه أي يجعل موطن المال والبقاع واحدها بقعة يقول إن الدهر يصطفي الرقيع ويصب المال عليه حيث هو وأخو اللب أي الفطن واللبيب والحصيف والعير الحمار والربيط المربوط وبقاعه أي قاعة الدار أي ساحتها.

(3) البضاعة ما يتجر به والشفاعة من شفع له أو فيه أي طلب له المعونة وسعى له والإمرة الإمارة والمشاعة أي الفاشية والمطواعة أي الطيّعة الطائعة ويرتّب أي يعطي الرتب والوظائف والقدير القادر.

(4) يخرف أي يفسد عقله فيصاب بالخرف والأمد المدة واليسير القليل والقصير ويتسّم أي يتخذ سمة أو علامة أي يتّصف والعقل الصغير كناية عن سخف الرأي يريد ما اشتهر في كتب الأدب العربي عن حمق المعلمين وكان الجاحظ من أكثر الناس إذاعة لهذه الصورة أي صورة المعلم الأحمق ولا ينبئك أي لا يخبرك والخبير من وقف على الأمر وأحاط به علماً والعبارة مثل عربي قديم وابن الأيام يعني المتمرّس والعارف بها وعلم الأعلام أشهر المشاهير والساحر من يمخرق على الخلق بأفعال يوهمهم بها فيحسبون الوهم حقيقة واللاعب بالأفهام أي المتصرّف بالألباب على=

فقلتُ لهُ: تاللهِ إنّكَ لابنُ الأيّامِ، وعلَمُ الأعلامِ! والسّاحِرُ اللاعِبُ بالأفهامِ، المُذَلَّلُ لهُ سُبُلُ الكَلامِ! ثمّ لمْ أزَلْ معتَكِفاً بنادِيهِ، ومُغتَرِفاً منْ سيْلِ وادِيهِ، إلى أنْ غابَتِ الأيامُ الغُرُّ، ونابَتِ الأحْداثُ الغُبْرُ. ففارقْتُهُ ولعَيْني العَبْرُ.

= هواه كناية عن مقدرته وبراعته في فنون القول والمذلل أي الموطّأ والممهد له والسبل واحدها سبيل أي الطريق والمعتكف بالمكان الذي يلازمه ولا يفارقه والنادي المجلس والاغتراف الأخذ باليد من الماء وسيل واديه يعني بذل من غزير علمه وغابت أي مضت والغرّ أي البيض الحسان ونابت أي قامت مقامها والغبروالواحد أغبر والواحدة غبراء يعني النوازل الشداد التي تغبّر الأرض لشدة قحطها والعبر يريد به البكاء.

المقامة الحَجْرِيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

احتَجْتُ إلى الحِجامَةِ، وأنا بحَجْرِ اليَمامةِ؛ فأُرشِدْتُ إلى شيخٍ يحْجُمُ بلَطافَةٍ، ويسفِرُ عنْ نَظافَةٍ. فبعَثْتُ غُلامي لإحْضارِهِ، وأرْصَدْتُ نفْسي لانتِظارِهِ. فأبْطأ بعْدَما انطلَقَ، حتى خِلتُهُ قد أبَقَ، أو ركِبَ طبَقاً عنْ طبَقٍ(1). ثمّ عادَ عوْدَ المُخفِقِ مسْعاهُ، الكَلِّ على موْلاهُ! فقُلْتُ لهُ: ويلَكَ أبْطَأ فِنْدٍ، وصُلودَ زَنْدٍ!؟ فزَعَم أنّ الشيخَ أشْغَلُ من ذاتِ النِّحْيَيْنِ(2)، وفي حربٍ كحَرْبِ حُنَيْنٍ. فعِفتُ المَمْشى إلى حجّامٍ، وحِرْتُ بين إقدامٍ وإحْجامٍ، ثمّ رأيتُ أنْ لا تعْنيفَ، على منْ يأتي الكَنيفَ! فلمّا شهِدْتُ

(1) الحجامة علاج المريض بأخذ الدم من عروقه وفي الحديث: «نعم الدواء الحجامة تذهب الدم وتجلو البصر وتخف الصلب» واليمامة بلاد وسط الجزيرة العربية وحجر أو حجر اليمامة كانت أهم حواضراليمامة في الجاهلية والقرون الأولى من الإسلام وهي التي أقيمت عليها فيما بعد مدينة الرياض وأرشدت أي دللت وأرصدت أي أعددت وخلته حسبته وأبق العبد إذا هرب وفرّ والطبق الحال يريد أنه للبثه قد مات وخان العهد وفر والعبارة تلاحظ الآية 19 في سورة الانشقاق: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾.

(2) المخفق من أخفق إذا لم يفلح في مسعاه والكلّ العالة والكل على مولاه عبارة قرآنية من سورة النحل الآية 76: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ (أما قوله: «ابطء فند» فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ﷺ وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها ناراً فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة وهو يشتدّ ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة) وصلد الزند إذا صوّت ولم يور والعبارتان تعنيان أن الرجل أبطأ ولم يفلح في ما أمر به وأشغل أي أكثر شغلاً (وأما «ذات النحيين» فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الأنصاري ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها فأخذته بإحدى يديها =

موسِمَهُ، وشاهدْتُ مِيسَمَهُ؛ رأيتُ شيْخاً هيئَتُهُ نَظيفَةٌ، وحركَتُهُ خَفيفَةٌ، وعليْهِ منَ النّظارَةِ أطْواقٌ، ومنَ الزِّحامِ طِباقٌ[1]. وبينَ يَدَيْهِ فتًى كالصَّمْصامَةِ، مُستَهدِفٌ للحِجامَةِ، والشيخُ يقولُ له: أراكَ قد أبرَزْتَ راسَكَ، قبلَ أن تُبرِزَ قِرْطاسَكَ! ووَلّيتَني قَذالَكَ، ولمْ تقُلْ لي ذا لَكَ[2]! ولستُ ممّنْ يبيعُ نقْداً بدَينٍ، ولا يطلُبُ أثَراً بعدَ عينٍ! فإنْ أنتَ رضَخْتَ بالعَينِ، حُجِمْتَ في الأخدَعَينِ! وإنْ كُنتَ ترى الشُحّ أوْلى، وخزْنَ الفَلْسِ في النّفْسِ أحْلى؛ فاقْرأ عبَسَ وتولّى، واغْرُبْ عني وإلاّ[3]! فقالَ الفتَى: والذي حرّمَ صوْغَ المَينِ، كما حرّمَ صيْدَ الحرَمَينِ، إني لأفْلَسُ منِ ابنِ يوْمَينِ! فثِقْ بسَيلِ تلْعَتي، وأنْظِرْني إلى سَعَتي! فقالَ لهُ الشيخُ[4]: ويْحَكَ إنّ مثَلَ

= ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بيدها الأخرى ثم غشيها وهي لاتقدر على الدفع عن نفسها لحفظها لفم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لا هنأك الله فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا مفعولة لأنها شغلت وأكثر الأفعال التي على أفعل تأتي من فعل الفاعل) أقول قد كان ذلك في الجاهلية، فلما أتى الإسلامُ أسلمَ خَوّاتُ وشهِدَ بدراً، فقال له يوماً رسول الله صلعم وهو يبتسمُ: يا خَوّات ما فعلَ جملُكَ الشرود؟ فقال: يا رسول الله عقَلَهُ الإسلامُ.

(1) حنين واد بين مكة والطائف اجتمعت فيه سنة 630 م بعد فتح مكة قبائل معادية فسار النبي إليهم بجيش من المكيين ومن جيش الفتح فانتصر عليهم وغنم المسلمون غنائم كثيرة حرب حنين هي إحدى غزوات النبي وعفت أي كرهت وحرت أي تحيّرت والإقدام والإحجام نقيضان الأول يعني التقدم والثاني النكوص والرجوع ومؤدى العبارة انه كان متردداً والتعنيف اللوم والتوبيخ والكنيف محل قضاء الحاجة وموسمه أي مكانه ومجتمعه وميسمه أي علامته والنظارة المشاهدون والأطواق واحدها طوق وهو هنا الحلقة والطباق هنا شدة الزحام.

(2) الصمصامة سيف قاطع يقطع الحديد وكان يضرب به المثل وكان سيف عمرو بن معد يكرب ومستهدف أي منتصب ومرتفع والقرطاس الغرض في الرماية والمرأة المديدة البيضاء والناقة الفتية وهو الكاغد والصحيفة أيضاً ويريد بالقرطاس المال فلقد جرت العادة ان يلفّ المال بالكاغد والقذال ما بين نقرة القفا إلى الأذن وذا لك أي هذا لك.

(3) أثراً بعد عين أي رسماً بعد عيان ورضخ له من ماله رضخة إذا أعطاه قليلاً من كثير والعين الدراهم والدنانير والأخدعان واحدهما الأخدع وهو شعبة من الوريد في جانب العنق والشحّ أي البخل وأغرب فعل أمر بمعنى غر واذهب وإلاّ للتهديد بمعنى وإلاّ صفعتك أو ضربتك.

(4) صوغ المين أي صياغة الكذب وسبكه والحرمان مكة والمدينة وثق فعل أمر من وثق به أي ائتمنه والتلعة مجرى الماء من أعلى الوادي وأنظرني أي أمهلني وفي سورة الأعراف الآية 14: ﴿قَالَ أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ والسعة اليسر والغنى.

الوُعودِ، كغرْسِ العودِ! هوَ بينَ أن يُدرِكَهُ العطَبُ، أو يُدرَكُ منهُ الرُّطَبُ! فما يُدْرِيني أيَحْصُلُ منْ عودِكَ جَنًى، أم أحصُلُ منهُ على ضنًى؟ ثمّ ما الثِّقَةُ بأنّكَ حينَ تبتَعِدُ، ستَفي بما تعِدُ[1]!؟ وقد صارَ الغدْرُ كالتّحْجيلِ، في حِليَةِ هذا الجيلِ!؟ فأرِحْني باللهِ منَ التّعذيبِ، وارْحَلْ إلى حيثُ يَعْوي الذّيبُ! فاستَوى الغُلامُ إليْهِ، وقدِ استوْلى الخجَلُ علَيْهِ، وقال: واللهِ ما يَخيسُ بالعهْدِ، غيرُ الخَسيسِ الوغْدِ[2]!

ولا يرِدُ غَديرَ الغَدْرِ، إلا الوَضيعُ القذِرُ! ولوْ عرَفْتَ منْ أنا، لما أسمَعْتَني الخَنا! لكنّكَ جهِلْتَ فقُلْتَ، وحيثُ وجَبَ أنْ تسْجُدَ بُلْتَ! وما أقبَحَ الغُربَةَ والإقلالَ، وأحسَنَ قوْلَ منْ قال[3]:

إنّ الغَريبَ الطّويلَ الذّيلِ ممتَهَنٌ فكيفَ حالُ غَريبٍ ما لهُ قوتُ
لكنّهُ ما تَشينُ الحُرُّ موجِعَةٌ فالمِسكُ يُسحَقُ والكافورُ مَفتوتُ
وطالَما أُصْليَ الياقوتُ جمرَ غضًى ثمّ انطَفى الجمرُ والياقوتُ ياقوتُ[4]

فقالَ لهُ الشيخُ: يا ويلَةَ أبيكَ، وعوْلَةَ أهليكَ! آلْنتَ في موقِفِ فخْرٍ يُظهَرُ، وحسَبٍ يُشهَرُ، أم موقِفِ جِلْدٍ يُكشَطُ، وَقَفاً يُشْرَطُ؟! وهبْ أنّ لكَ البيتَ، كما ادّعَيتَ؛ أيَحصُلُ بذلِكَ، حَجْمُ قَذالِكَ؟! لا واللهِ ولوْ أنّ أباكَ أنافَ، على عبْدِ مُنافٍ،

---

(1) الوعود واحدها وعد وغرس العود أي زرع الشجر والعطب أي التلف وما يدريني يعني من أين لي أن أعلم والجنى الثمر والضنى المرض وستفي بما تعد أي ستنجز ما وعدت به وتؤدي دينك.

(2) التحجيل بياض في قوائم الفرس يفخر صاحبها بها يريد أن الغدر قد بات مفخرة والحلية الصفة والزينة والجيل أهل العصر وحيث يعوي الذيب يريد بذلك المكان الخالي واستوى أي اعتدل قائماً ويخيس أي ينكث ويخلف والعهد الميثاق والخسيس الدنيء والوغد الرذل الساقط.

(3) الغدير أي النهر واستعار ذلك للغدر والوضيع الخسيس الدنيء والقدر أي المرتبة والمكانة والخنا الفاحش من القول وجهلت أي لم تعلم وفقلت أي لم تعلم فصدر عنك ما صدر من قول وحيث وجب أي حيث كان عليك أن تسجد إعظاماً وبلت أي أفرغت مثانتك والإقلال أي الحاجة والفقر.

(4) الطويل الذيل كناية عن الثري الميسور وممتهن أي مهان ومحتقر بسبب غربته وتشين أي تعيب والموجعة ما يُوجع ويؤلم وأصلي أي أحرق بالنار والغضى شجر جمره يدوم طويلاً.

أو لخالِكَ دانَ، عبدُ المَدانِ[1]! فلا تضرِبْ في حَديدٍ بارِدٍ، ولا تطْلُبْ ما لسْتَ لهُ بواجِدٍ! وباهِ إذا باهَيْتَ بموجودِكَ، لا بحُدودِكَ! وبمَحْصولِكَ، لا بأصولِكَ! وبصِفاتِكَ، لا برُفاتِكَ! وبأعْلاقِكَ، لا بأعْراقِكَ! ولا تُطِعِ الطّمَعَ فيُذِلَّكَ، ولا تتّبِعِ الهَوى فيُضِلّكَ! وللهِ القائلُ لابنِهِ[2]:

بُنيّ استقِمْ فالعُودُ تَنمي عُروقُهُ ... قَويماً ويغْشاهُ إذا ما التَوى التّوَى
ولا تُطِعِ الحِرْصَ المُذِلّ وكنْ فتًى ... إذا التَهَبتْ أحشاؤهُ بالطّوى طوَى
وعاصِ الهَوى المُرْدي فكم من محَلِّقٍ ... إلى النّجْمِ لمّا أنْ أطاعَ الهَوى هوَى
وأسعِفْ ذوي القُربى فيقبُحُ أن يُرى ... على من إلى الحرّ اللُّبابِ انضوى ضوَى[3]
وحافِظْ على مَنْ لا يخونُ إذا نَبا ... زمانٌ ومن يرْعى إذا ما النوى نوَى
وإنْ تقتدرْ فاصْفحْ فلا خيرَ في امرئٍ ... إذا اعتلَقتْ أظفارُهُ بالشّوى شوى

---

(1) الويلة البلية والفضيحة والعولة من الإعوال وهو البكاء والصياح وأهليك أي أهلك والحسب الشرف ويكشط أي يزاح ويزال ويشرط أي يجرح بالموسى لاستنزاف الدم وهب أي واحسب والبيت يريد بذلك البيت الرفيع وادعيت أي زعمت يقول واحسب أنك من بيت كريم فهل يضمن لك ذلك أنك ستحتجم وأناف أي زاد وسما وعبد مناف جد النبي محمد وكان سادن الكعبة فلما توفي بمكة خلفه ابنه هاشم جد عبد الله والد النبي ودان أي خضع وأطاع وبنو عبد المدان أشراف اليمن وكانوا مضرب المثل في الشرف، يقول الشاعر:

«تلوث عمامة، وتجر رمحاً ... كأنك من بني عبد المدان!»

(2) الضرب في حديد بارد كناية عن السعي الخائب غير المجدي وباه فعل أمر بمعنى وفاخر وموجودك أي بما لك أو بما تملك والرفات البالي من الأعظام يريد بذلك من مات من أسلاف له يفخر بهم والأعلاق النفائس والواحد علق والأعراق أي الأنساب والأصول والواحد عرق.

(3) استقم أي كن قويماً وتنمي أي تزيد والعروق الأصول والقويم المستقيم والمعتدل ويغشاه أي يصيبه ويحيق به والتوى أي اعوجّ ومال والتوى الهلاك والحرص الطمع والبخل والتهبت أحشاؤه أي احترقت والطوى الجوع وطوى الثانية أي كتم وستر وعاص فعل أمر بمعنى اعص ولا تطع والمردي المميت والمحلّق من حلّق إذا طار والهوى الميل والحب وهوى الثانية تعني سقط وأسعف أي أعن وذوو القربى أي القرابة والحرّ اللباب أي الخالص وانضوى أي لحق أو انضم والضوى أي سوء الحال يقول واقض حوائج أقربائك فقبيح بالكريم الخالص أن يلحق به أحد تبدو عليه سيما الفقر وسوء الحال.

وإيّاكَ والشّكوى فلمْ ترَ ذا نُهًى شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى[1]

فقالَ الغُلامُ للنّظّارَةِ: يا للعَجيبةِ، والطُرفَةِ الغَريبةِ! أنْفٌ في السّماء، واسْتٌ في الماء! ولفْظٌ كالصّهْباء، وفِعْلٌ كالحَصْباء! ثمّ أقبلَ على الشيخِ بلِسانٍ سَليطٍ، وغيظٍ مُستَشيطٍ، وقال: أفٍّ لكَ منْ صوّاغٍ باللّسانِ، روّاغٍ عنِ الإحْسانِ! تأمُرُ بالبِرّ، وتعُقّ عُقوقَ الهِرّ! فإنْ يكُنْ سببُ تعنُّتِكَ، نَفاقَ صنعَتِكَ؛ فرَماها اللهُ بالكَسادِ، وإفْسادِ الحُسّادِ[2]! حتى تُرى أفرَغَ منْ حَجّامِ ساباطَ، وأضيَقَ رِزْقاً منْ سمّ الخِياطِ! فقال لهُ الشيخُ: بلْ سلّطَ اللهُ عليْكَ بَثْرَ الفَمِ، وتبيُّغَ الدّمِ؛ حتى تُلْجأ إلى حجّامٍ عظيمِ الاشْتِطاطِ، ثَقيلِ الاشْتِراطِ، كَليلِ المِشْراطِ، كثيرِ المُخاطِ والضُّراطِ[3]!

---

(1) نبا أي لم يوافق ويرعى أي يحفظ ويصون والنوى البعد والسفر والفراق ونوى أي عزم وأراد قصد وتقتدر أي تواتك القدرة واصفح فعل أمر بمعنى اقل واسمح واغفر واعتلقت أي نشبت وتعلّقت والشوى قحف الرأس وجلدته وشوى الشيء إذا أولاه النار وذو النهى العاقل اللبيب وأخو الجهل الجاهل الأحمق وارعوى إذا رجع وكفّ ويكون الفعل في العودة عن القبيح وعوى الكلب إذا صاح فمدّ صوته.

(2) الإست أي الدبر (وأما قوله: «أنف في السماء واست في الماء» فيضرب هذا المثل لمن يكبر مقالاً ويصغر فعالاً) والصهباء من أسماء الخمر والحصباء صغار الحصى ولعل المراد هنا الرجم بصغار الحصى واللسان السليط اللسان الحاد المتسلّط وغيظ المستشيط هو الغضب المحتدم المتقد وأفٍ لك لفظ تأفف والصواغ من يصوغ الشيء يريد أنه يزيّن الأمور بلسانه ويزوّقها والروّاغ من راغ عن الطريق إذا حاد عنه وذهب هكذا وهكذا مكراً وخديعة ويوصف الثعلب بالروغان وراغ إلى أمر أي مال إليه سراً وفي سورة الصافات الآية 93: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ وتأمر بالبر أي بالمعروف وتعقّ عقوق الهر مثل عربي يضرب للعقوق فالهر يأكل اولاده وفي مجمع الأمثال أن الهر والضب يتفقان في العقوق يقول ابن المعتز:

أما ترى الدنيا فدتك الورى كهرة تأكل أولادها

والتعنّت التشدد والتعصب والمكابرة ونفاق الصنعة رواجها والكساد هو البوار وإفساد الحساد يريد به ما يذيعه الحساد من ذم لصنعة الرجل حتى تتجنبه الناس وتفسد.

(3) (وأما قوله أفرغ من حجام ساباط فذكر انه كان حجاماً ملازماً ساباط المدائن يحجم الجندي بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت).

وسم الخياط أي ثقب الإبرة وفي سورة الأعراف الآية 40: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي =

قال: فلمّا تبيّنَ الفتى أنهُ يشْكو إلى غيْرِ مُصَمَّتٍ[1]، ويُراوِدُ استِفْتاحَ بابٍ مُصْمَتٍ؛ أضْرَبَ عنْ رجْعِ الكَلامِ، واحتفَزَ للقيامِ. وعلِمَ الشيخُ أنهُ قدْ ألامَ، بما أسمَعَ الغُلامَ، فجنَحَ إلى سِلمِهِ، وبذَلَ أنْ يُذعِنَ لحُكمِهِ، ولا يَبْغي أجْراً على حَجْمِهِ، وأبى الغُلامُ إلاّ المَشْيَ بدائِهِ، والهرَبَ منْ لِقائِهِ[2]. وما زالا في حِجاجٍ وسِبابٍ، ولِزازٍ وجِذابٍ، إلى أن ضجّ الفَتى منَ الشِّقاقِ، وتَلا رُدْنُهُ سورَةَ الانشِقاقِ. فأعْوَلَ حينئِذٍ لوَفارَةِ خُسرِهِ، وانعِطاطِ عِرْضِهِ وطِمْرِهِ[3]، وأخذَ الشيخُ يعتَذِرُ منْ فرَطاتِهِ، ويُغيِّضُ منْ عبَراتِهِ، وهوَ لا يُصْغي إلى اعتِذارِهِ، ولا يقصُرُ عنِ استِعْبارِهِ، إلى أنْ قالَ لهُ: فَداكَ عمُّكَ، وعدَاكَ ما يغُمُّكَ! أما تسْأمُ الإعْوالَ، أما تعرِفُ الاحتِمالَ؟! أمَا سمِعْتَ بمَنْ أقالَ، وأخذَ بقولِ منْ قالَ[4]:

= ﴿سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ والبثر والبثور والواحدة بثرة خراج صغار تخرج في جانب الفم وتبيّغ الدم تهيج وتوقّد حتى يظهر في العروق وتلجأ أي تُضطر والاشتطاط تجاوز الحد في السوم وثقيل الاشتراط أي سمج الإلزام والالتزام والكليل غير الحاد والمشراط موسى الحجّام.

(1) (وأما قوله: «يشكو إلى غير مصمت» فهو مثل يضرب لمن لا يكترث لشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لأنه لو شكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملاً له:

«إنك لا تشكو إلى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت»

ونحو هذا المثل: «هان على الأملس ما لا قى الدبر»).

(2) ويراود أي يعالج والمصمت المغلق وأضرب أي عزف وأعرض واحتفز للقيام أي تهيّأ وألام أي أتى بما يلام عليه وجنح إلى سلمه أي مال إلى مصالحته وفي سورة الأنفال الآية 61: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ويذعن أي ينقاد ولا يبغي أجراً أي لا يريد أجراً.

(3) الحجاج أي المحاجة وهي أن يدلي الواحد بحجة فيعترضها الآخر بحجة تنقضها والسباب الشتم واللزاز الخصومة والجذاب من جذب إذا شدّ الآخر إلى ناحيته وضجّ أي صاح والشقاق المخالفة والردن الكم وسورة الانشقاق سورة رقمها 84 والمراد هنا أن كم الفتى قد انشق أي تمزّق من أكمامه وذكر السورة جاء على سبيل الكناية ليس إلاّ وأعول إذا بكى بصوت مسموع والوفارة تعني الكثرة والخسر الخسارة والانعطاط الانشقاق والتمزّق يقول أبو النجم: «كأمّ تحتَ ثوْبِها المنعَطّ إذا بدا منه الذي تغطي» والعرض ما يصان ويحفظ وهو شرف المرء والطمر الثوب يريد أنه بكى لخسارته الفادحة ولما أصاب عرضه وثوبه من هتك.

(4) الفرطات البوادر ويغيض أي ينقص والعبرات واحدتها عبرة وهي الدمعة ولا يصغي أي لا ينصت ويقصر أي يكفّ والاستعبار البكاء وعداك أي جاوزك وما يغمّك أي ما يكربك وتسأم أي تمل وتضجر والإعوال البكاء بصوت والاحتمال التحمل وأقال الآخر إذا غفر له ذنبه وسامحه.

أخمِدْ بحِلمكَ ما يُذكيهِ ذو سفَهٍ   من نارِ غيظكَ واصْفَحْ إن جنى جانِ
فالحِلمُ أفضَلُ ما ازْدانَ اللّبيبُ بهِ   والأخذُ بالعَفوِ أحْلى ما جَنى جانِ(1)

فقال لهُ الغُلام: أمَا إنّكَ لو ظهرْتَ على عيْشيَ المُنكَدِرِ، لعَذَرْتَ في دمْعيَ المُنهَمِرِ، ولكِنْ هانَ على الأملَسِ ما لاقَى الدّبِرُ! ثمّ كأنّهُ نزَعَ إلى الاستِحْياء؛ فأقْلَعَ عنِ البُكاء، وفاء إلى الارْعِواء، وقال للشيخِ(2): قدْ صِرْتُ إلى ما اشتَهَيْتَ، فارْقَعْ ما أوْهَيتَ! فقال: هيْهاتَ شغلَتْ شِعابي جَدوايَ، فشِمْ بارِقَ سِوايَ! ثمّ إنهُ نهضَ يستَقْري الصّفوفَ، ويستَجْدي الوُقوفَ، ويُنشِدُ في ضِمْنِ ما هوَ يطوفُ(3):

أُقسِمُ بالبيتِ الحرامِ الذي   تهْوي إليْهِ الزُّمَرُ المُحرِمَهْ
لوْ أنّ عِندي قُوتَ يومٍ لَما   مسّتْ يَدي المِشْراطَ والمِحجَمهْ
ولا ارتضَتْ نفْسي التي لمْ تزَلْ   تسْمو إلى المجْدِ بهذي السِّمَهْ
ولا اشْتَكى هذا الفتى غِلظَةً   منّي ولا شاكَتْهُ منّي حُمَهْ(4)

---

(1) أخمد أي أطفئ والحلم الأناة ويذكيه أي يسعره وذو السفه أي السفيه غير المتزن والغيظ الغضب واصفح أي واغفر وتجاوز وجنى أي ارتكب جناية فهو جانٍ وازدان أي تزين وتحلّى واللبيب العاقل الفطن وجنى أي قطف الثمر فهو جانٍ.

(2) ظهر على الشيء إذا اطّلع عليه والمنكدر أي المتغيّر والكدرة نقيض الصفاء والمنهمر المتدفّق والمنسكب ولكن هان على الأملس ما لاقى الدبر الأملس: هو صحيح الظهر، والدبر: الذي قد دبر في ظهره أي هان على المعافى ما لاقى المبتلي، هذا مثل يضربونه في الرجل لا يهتم بأمر صاحبه ونزع أي مال وأقلع عن الشيء إذا تركه وفاء أي عاد ورجع والارعواء الكف والعودة.

(3) رقع الثوب إذا سد خرقه وأصلحه وأوهى أي أضعف وأفسد وهيهات اسم فعل معناه البعد وفي سورة المؤمنون الآية 36: ﴿۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (وأما قوله: «شغلت شعابي جدواي» فالمراد أنه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري والشعاب هي النواحي واحدها شعب) وشام البرق إذا نظره وسواي أي غيري ويستقري أي يتتبع ويستجدي أي يطلب الحسنة والوقوف واحدها واقف أي يطلب عطاء الواقفين وفي ضمن ما يطوف أي خلال طوافه.

(4) الزمر أي الجماعات والمحرمة من الإحرام والمحرم من باشر بأسباب الحجّ ومسّت أي لمست وتسمو أي ترتفع والسّمة العلامة والغلظة الجفاء والقسوة وشاكته إذا لسعته وضربته وحمّة أي شوكة العقرب تلسع بها.

لـكِـنْ صُـروفُ الـدّهـرِ غـادَرْنـنـي كـخـابِـطٍ فـي الـلّـيـلَـةِ الـمُـظـلِـمَـهْ
واضْـطَـرّنـي الـفـقْـرُ إلـى مـوقِـفٍ مـنْ دونِـهِ خـوْضُ الـلّـظـى الـمُـضـرَمَـهْ
فـهـلْ فـتًـى تُـدرِكُـهُ رِقّـةٌ عـلـيّ أو تـعـطِـفُـهُ مَـرْحَـمَـهْ[1]

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فكُنتُ أوّلَ منْ أوى لبَلْواهُ، ورقّ لشَكْواهُ؛ فنفَحْتُهُ بدِرْهَمَينِ، وقلتُ: لا كانا ولوْ كانَ ذا مَيْنٍ! فابتهَجَ بباكُورَةِ جَناهُ، وتفاءلَ بهِما لغِناهُ. ولمْ تزَلِ الدّراهِمُ تنْهالُ عليْهِ، وتنْثالُ لديْهِ؛ حتى آلَ ذا عيشَةٍ خضْراء، وحَقيبةٍ بجْراء! فازْدهاهُ الفرَحُ عندَ ذلِكَ، وهنّأ نفْسَهُ بما هُنالِكَ[2]، وقال للغُلام: هَذا ريْعٌ أنتَ بَذرُهُ، وحلَبٌ لكَ شطرُهُ! فهلُمّ لنَقتَسِمَ، ولا نحْتَشِمْ! فتقاسَماهُ بينَهُما شقّ الأبلَمَةِ، ونهَضا مُتّفِقَي الكَلِمَةِ. ولمّا انتظَمَ بينهُما عقْدُ الاصْطلاحِ، وهمّ الشيخُ بالرّواحِ، قُلتُ له: قدْ تبوّغَ دَمي، ونقلْتُ إليْكَ قدَمي؛ فهلْ لكَ أن تحْجُمَني، وتُكفْكِفَ ما دهَمَني؟ فصوّبَ طرْفَهُ

(1) صروف الدهر والواحد الصرف الحدث الخطير أو النازلة وغادرنني أي تركنني والخابط في الليلة المظلمة الساري على غير هدى لا يعرف مكاناً يقصده واضطرّني أي الجأني وأرغمني ومن دونه أي أسهل منه وأيسر واللظى النار والمضرمة أي الموقدة المشتعلة وتدركه أي تعروه وتغشاه والرقّة الرحمة وتعطفه أي تميله والمرحمة الرحمة والشفقة.

(2) أوى له أي رحمه ورقّ له والبلوى والبلية المصيبة ونفحته أي أعطيته والمين الكذب وذو المين الكذاب وابتهج فرح وسرّ وباكورة الجنى أول الثمار يريد أن تلك العطية كانت ثمرة استجدائه الأولى وتفاءل أي استبشر خيراً وتنهال أي تنصبّ وتنثال أي تتابع وآل أي صار وتحوّل والعيشة الخضراء تعني الرغد والنعومة في العيش والحقيبة ما يوعى به الزاد ويضعه الراكب خلفه والبجراء الممتلئة وازدهاه أي أعجبه واستخفّه والريع الغلة والبذر ما يوضع في الأرض ويزرع من الحبوب وهو هنا بمعنى السبب والحلب اللبن المحلوب وشطره أي نصفه وهلمّ أي تعال أو أقبل وتحتشم أي تستحي والمالُ بَيْنَنا شَقُّ الأبْلَمَة والإبلِمة والأُبْلُمة ويقال كَقَدِّ الأُبْلُمَةِ بمعنى واحد، وهي الخُوصَة أي نصْفَيْنِ أي نحن متساوون فيه، وذلك أن الخوصة إذا أخذت فشقت طولاً انشقت بنصفين. والاصطلاح أي الصلح وهمّ أي عزم والرواح الانصراف والذهاب وتبوّغ الدم إذا هاج وتكفكف أي ترفع وتكف ودهمني أي أصابني وعراني بغتة وصوّب أي سدّد وصعّد أي رفع وازدلف أي دنا واقترب.

وصعّد، ثمّ ازْدَلَفَ إليّ وأنشدَ[1]:

كيفَ رأيتَ خُدْعَتي وخَتْلي ... وما جرى بيْني وبينَ سَخْلي
حتى انثَنَيْتُ فائِزاً بالخَصْلِ ... أرْعى رياضَ الخِصْبِ بعدَ المحلِ
باللهِ يا مُهجةَ قلْبي قلْ لي ... هلْ أبصرَتْ عيناكَ قطُّ مثلي
يفتَحُ بالرُّقيَةِ كلَّ قُفْلِ ... ويستَبي بالسّحْرِ كلَّ عقْلِ
ويعجِنُ الجِدّ بماء الهزْلِ ... إنْ يكُنِ الإسكَندَريُّ قبْلي
فالطّلُّ قد يبْدو أمامَ الوَبْلِ ... والفضْلُ للوابِلِ لا للطّلِّ

قال:

فنبّهَتْني أُرجوزَتُهُ عليْهِ، وأرَتْني أنهُ شيخُنا المُشارُ إليهِ! فقرّعْتُهُ على الابتِذالِ، والالتِحاقِ بالأرْذالِ! فأعْرضَ عمّا سمِعَ، ولمْ يُبَلْ بِما قُرّعَ! وقال: كُلَّ الحِذاء يحْتَذي الحافي الوَقِعُ! ثمّ قاصاني مُقاصاةَ المُهانِ، وانطلَقَ هوَ وابنُهُ كفَرَسيْ رِهانٍ[2]!

قال الشيخ الإمام الرئيس أبو محمد القاسم بن علي رحمه الله:

قد أودعت هذه المقامة بضعة عشر مثلاً من أمثال العرب وها أنا أفسر منها ما إخاله يلتبس على من يقتبس.

---

(1) الختل الخداع والمكر والسخل الولد ويكون للغنم وانثنيت أي رجعت وفائزاً من الفوز وهو الظفر والخصل الغلب في القمار ومسابقة الخيل وفي مراماة السهام والخصب النماء وكثرة الكلأ والمحل الجدب والرقية العزيمة يتلوها الراقي ويستبي أي يسبي ويأسر وأراد بالسحر الحسن من الكلام وفي حديث نبوي إن من البيان لسحرا ويعجن الجد بماء الهزل أي يخلط الجد بالهزل والإسكندري هو أبو الفتح الإسكندري بطل مقامات بديع الزمان الهمذاني والطلّ المطر الضعيف والوبل المطر الشديد يقول انه وإن كان الإسكندري قد سبقني فهو في مقام الطل يسبق الوابل على أن الفضل للأخير.

(2) نبهه إذا أقامه وأيقظه وقرّع إذا وبّخ وأنّب وعنّف والابتذال أي الامتهان وترك الاحتشام ولم يبل أي لم يأبه أو يبالي (وقوله «كل الحذاء يحتذي االحافي الوقع» معناه أن المجهود يقنع بما يجد والوقع أن تصيب الحجارة القدم فتوهنها فأما البعير الموقع فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره) وقاصاني أي باعدني وفارقني والمهان أي من أهين وفرسا الرهان مثل يضرب للإثنين إذا تسابقا.

(أما قوله: «بطء فند» فهو مولى عائشة بنت سعد بن أبي وقاص ﷺ وكانت بعثته بالمدينة ليقتبس لها ناراً فقصد من فوره مصر وأقام بها سنة ثم جاءها بعد السنة وهو يشتدّ ومعه جمر فتبدد منه فقال تعست العجلة).

(وأما «ذات النحيين» فهي امرأة من تيم الله بن ثعلبة حضرت سوق عكاظ ومعها نحيا سمن فاستخلى بها خوات بن جبير الأنصاري ليبتاعهما منها ففتح أحدهما وذاقه ودفعه إليها فأخذته بإحدى يديها ثم فتح الآخر وذاقه ودفعه إليها فأمسكته بيدها الأخرى ثم غشيها وهي لاتقدر على الدفع عن نفسها لحفظها لفم النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت له لا هنأك الله فضرب بها المثل فيمن شغل وهي في هذا مفعولة لأنها شغلت وأكثر الأفعال التي على أفعل تأتي من فعل الفاعل).

(وأما قوله: «أنف في السماء وإست في الماء» فيضرب هذا المثل لمن يكبر مقالاً ويصغر فعالاً).

(وأما قوله أفرغ من حجام ساباط فذكر أنه كان حجاماً ملازماً ساباط المدائن يحجم الجندي بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها أحد فكان يبرز أمه عند تمادي عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فما زال يحجمها حتى نزف دمها وماتت).

(وأما قوله: «يشكو إلى غير مصمت» فهو مثل يضرب لمن لا يكترث لشأن صاحبه ولا يعبأ باستمرار شكايته لأنه لو شكاه لصمت وأمسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملاً له:

إنك لا تشكو إلى مصمت فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

ونحو هذا المثل «هان على الأملس ما لاقى الدبر»).

(وأما قوله: «شغلت شعابي جدواي فالمراد انه ليس يفضل عني ما أصرفه إلى غيري والشعاب هي النواحي واحدها شعب).

(وقوله: «كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع» معناه أن المجهود يقنع بما يجد والوقع أن تصيب الحجارة القدم فتوهنها فأما البعير الموقع فهو الذي يكثر آثار الدبر بظهره).

المقامة الحَراميّة(١)

روى الحارثُ بنُ همّامٍ عنْ أبي زيدٍ السَّروجيّ قال:

ما زِلْتُ مُذ رحَلْتُ عنْسي، وارتَحَلْتُ عنْ عِرْسي وغَرْسي، أحِنّ إلى عِيانِ البَصرَةِ، حَنينَ المظْلومِ إلى النُصرَةِ؛ لِما أجمَعَ عليْهِ أرْبابُ الدّرايَةِ، وأصْحابُ الرّوايَةِ، منْ خصائِصِ معالِمِها وعُلَمائِها، ومآثِرِ مشاهِدِها وشُهَدائِها، وأسْألُ اللهَ أن يوطِئَني ثَراها، لأفوزَ بمرْآها! وأنْ يُمطيَني قَراها، لأقْتَري قُراها. فلمّا أحَلّنيها الحظُّ، وسرَحَ لي فيها اللّحْظُ(2)؛ رأيتُ بها ما يمْلأُ العَينَ قُرّةً ويُسْلي عنِ الأوطانِ كلّ غَريبٍ!

فغلَسْتُ في بعضِ الأيامِ، حينَ نصَلَ خِضابُ الظّلامِ، وهتَفَ أبو المُنذِرِ بالنُّوّامِ! لأخْطوَ في خِطَطِها، وأقْضيَ الوطَرَ منْ توسُّطِها. فأدّاني الاختِراقُ في مَسالِكِها،

---

(1) هذه المقامة هي أول مقامة كتبها الحريري.

(2) رحلت أي شددت الرحل والرحل ما يجعل على ظهر البعير والناقة كالسرج والعنس الناقة القوية وارتحلت أي سافرت والعِرس الزوجة والغرس ما يزرع وهو هنا الأولاد وأحنّ أي أشتاق والعيان المعاينة والرؤية والنصرة العون والتأييد والدراية العلم بالشيء مع تكلّف وحيلة وعلم الدراية هو علم الفقه وأصوله وأصحاب الرواية أي رواة الأحاديث والأخبار وخصائص الشيء ما يختصّ ويتصف به والمعالم والواحد معلم أي ما لا يحتاج إلى دليل فهو معلوم ومعروف والمآثر والواحدة مأثرة وهي المكرمة والمزية والمشاهد واحدها مشهد وهو مجتمع الناس ومحضرهم ويوطئني أي يجعلني أدوس وأطأ والثرى التراب ويمطيني أي يجعلني أمتطي أي أركب والقرا الظهر وركوب الظهر هنا كناية عن الحلول بالبصرة وأقتري أي أتتبّع وقراها واحدتها قرية بلدة أصغر من المدينة والحظ السعد وسرح أي امتدّ وجال واللحظ أي البصر.

والانصِلاتُ في سِكَكِها، إلى محلّةٍ موسومَةٍ بالاحْتِرامِ، منسوبَةٍ إلى بني حَرامٍ. ذاتِ مَساجِدَ مشهودَةٍ، وحِياضٍ موْرودَةٍ، ومَبانٍ وثيقَةٍ، ومغانٍ أنيقَةٍ، وخصائِصَ أثيرَةٍ، ومَزايا كثيرةٍ(1):

بها ما شِئْتَ منْ دِينٍ ودُنْيا ... وجيرانٍ تنافَوْا في المعاني
فمَشغوفٌ بآياتِ المثاني ... ومفْتونٌ برَنّاتِ المثاني
ومُضْطَلِعٌ بتلْخيصِ المعاني ... ومُطّلِعٌ إلى تخْليصِ عانِ
وكمْ منْ قارِئٍ فيها وقارٍ ... أضَرّا بالجُفونِ وبالجِفانِ(2)

(1) القرّة للعين السرور ويسلي أي ينسي وغلّس إذا خرج قبيل الفجر وفي آخر الظلام ونصل زال والخضاب ما يُلوّن به كالحناء وسواه ويكون في الشعر والعبارة كناية عند بروز تباشير الصباح وهتف أي نادى وأبو المنذر كنية الديك وأخطو أي أمشي والخطط واحدتها خِطة وهي الأرض يختطّها المرء لنفسه وفي اللسان: «الخِطّةُ بالكسر الأرضُ والدار يَخْتَطُّها الرَّجل في أرض غير مملوكةٍ ليَتَحجَّرها ويَبْنِيَ فيها وذلك إذا أذِن السلطان لجماعة من المسلمين أنْ يَخْتَطُّوا الدُّورَ في موضع بعينه ويتخذوا فيه مَساكِنَ لهم كما فعلوا بالكوفة والبصرة وبغداد وإنما كسرت الخاء من الخِطّة لأنها أُخرجت على مصدر بُني على فعلة» والوطر الحاجة والمرام وقضاء الوطر إنجازه ونيله وتوسّطها أي المشي في وسطها وأدّاني أي أفضى بي وأوصلني والاختراق أي المرور والسلوك والمسالك الطرق والانصلات من انصلت في سيره إذا جدّ واسرع والسكك وواحدتها سكة وهي الأزقّة والمحلّة أي المحل وهو موضع النزول وموسومة أي معلّمة فالسمة علامة والاحترام التقدير والتعظيم وبنو حرام اسم قبيلة والمباني واحدها مبنى وهو البناء والوثيقة المحكمة وما يُعتمد عليه والمغاني المنازل وأنيقة المعجبة الحسنة والخصائص المزايا والأثيرة المكينة المكرّمة والمفضّلة والمزايا الصفات الحسنة والواحدة مزية.

(2) تنافوا أي تناقضوا وتباعدوا وفي المعاني أي في الأوصاف وفي السلوك والمشغوف المولع وآيات المثاني آيات الفاتحة ويقال لها السبع المثاني وفي سورة الحجر الآية 87: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ على أن المثاني إذا لم تقيّد بالسبع فتعني السور التي تقارب آياتها المئتين وفي هذا السياق فلقد قسّم المشتغلون بالقرآن آياته وسوره إلى مفصل ومثان وطوال والمفصل السور القِصار سميت مفصلاً لكثرة الفصول بينها ببسم الله الرحمن الرحيم والمثاني السور التي تقارب المِئين ولا تبلغها والمئون السور التي تبلغ المئتين وتزيد عليها فالسبع الطُّوَل: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف والأنفال ورنات المثاني أي أنغام أو أصوات أوتار العود التي ضُمَّ طاقٌ منها إلى طاق ويلي المثاني في الأوتار المثالث واضطلع بالشيء إذا قوي =

وكَمْ مِنْ مَعْلَمٍ للعِلْمِ فيها ... ونادٍ للنّدى حُلْوِ المَجاني
ومَغْنًى لا تزالُ تغَنُّ فيهِ ... أغاريدُ الغَواني والأغاني
فصِلْ إن شِئتَ فيها مَنْ يُصَلّي ... وإمّا شِئتَ فادنُ مِنَ الدِّنانِ
ودونَكَ صُحبَةَ الأكياسِ فيها ... أوِ الكاساتِ منطَلِقَ العِنانِ[1]

قال: فبَينَما أنا أنفُضُ طُرُقَها، وأستَشِفُّ رونَقَها، إذْ لمحْتُ عندَ دُلوكِ بَراحِ، وإظْلالِ الرّواحِ، مسجِداً مُشتَهِراً بطَرائِفِهِ، مزدَهِراً بطوائِفِه، وقد أجْرى أهلُهُ ذِكْرَ حُروفِ البدَلِ، وجرَوْا في حلْبَةِ الجدَلِ. فعُجْتُ نحوَهُمْ، لأستَمطِرَ نوءهُمْ، لا لأقتَبِسَ نحوَهُمْ، فلمْ يكُ إلا كقَبْسَةِ العَجْلانِ[2]، حتى ارتفَعَتِ الأصْواتُ بالأذانِ،

= على حمله وتلخيص المعاني أي تهذيبها واستخلاصها واختصارها وتخليص العاني أي فكّ الأسير والقارئ الأولى من قرأ والقاري الثاني من أقرى الضيف إذا أطعمه وأضرّا أي أساءا والجفون واحدها جفن والجفان واحدتها جفنة وهي صحفة الطعام يقول إن القارئ أضرّ بجفونه ويريد عيونه لكثرة القراءة والكريم أضرّ بجفانه لكثرة استعمالها.

(1) المعلم للشيء مظنته وموضعه الذي يظنّ وجوده فيه والنادي المجلس والندى الكرم والعطاء والمجاني ما يجتنى من الثمار والمغنى المنزل وتغنّ فيه أي تصوّت وهو من الغنّة والأغاريد أصوات الغناء والغواني والواحدة غانية المرأة إذا استغنت بجمالها عن الزينة والأغاني واحدتها أغنية أي وصل فعل أمر بمعنى واصل وصاحب ومن يصل أي من يصلّي ويتعبّد وادن فعل أمر بمعنى اقترب والدنان واحدها دن وهو خابية الخمر يريد أن فيها أي البصرة المتعبد المتنسك والماجن المتهتك والأكياس واحدها كيّس وهو العاقل الظريف واللبيب والكاسات واحدها كاس يريد بذلك الخمرة ومنطلق العنان أي يعيش على هواه فالعنان هو المقود يقول فصاحب العقلاء الظرفاء أو عاقر الخمرة على هواك لك في البصرة ما شئت.

(2) أنفض أي أمشي وحدي وأستشفّ أي أستجلي والرونق الحسن والرواء ولمحت أي أبصرت ودلوك الشمس دنوها للغروب وفي سورة الإسراء الآية 78: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ﴾ وبراح من أسماء الشمس وأظل الأمر إذا دنا وشارف الوقوع والرواح الوقت من زوال الشمس إلى الليل ويقابل ذلك الصباح والطرائف المحاسن وما يعجب من الغرائب والطوائف الجماعات وحروف البدل انظر تفصيل أمرها في فصل عقد لها وأثبتناه في آخر المقامة تعميماً للفائدة وجروا أي عدوا وتسابقوا والحلبة جماعة الخيل تجري لتختبر والجدل الجدال وعجت أي ملت والنوء النجم إذا مال للغروب ويقترن ذلك بالمطر وأقتبس أي أستفيد والقبسة الشعلة يأخذها من شعلة أخرى والعجلان المستعجل.

ثمّ رَدِفَ التّأذينَ بُروزُ الإمامِ، فأُغمِدَتْ ظُبى الكلامِ، وحُلّتِ الحِبى للقِيامِ، وشُغِلْنا بالقُنوتِ، عنِ استِمْدادِ القوتِ، وبالسّجودِ، عنِ استِنْزالِ الجودِ. ولمّا قُضيَ الفَرْضُ، وكادَ الجمْعُ ينفَضّ، انْبَرى منَ الجماعَةِ، كهْلٌ حُلْوُ البَراعةِ، لهُ منَ السّمتِ الحسَنِ، ذَلاقَةُ اللّسَنِ، وفَصاحَةُ الحسَنِ[1]، وقال:

يا جيرَتي! الذينَ اصْطفَيتُهُمْ على أغصانِ شجرَتي، وجعلْتُ خِطتَهُمْ دارَ هِجرَتي، واتّخَذْتُهُمْ كَرِشي وعَيبَتي، وأعددْتُهُمْ لمَحْضَري وغيْبَتي! أما تعْلَمونَ أنّ لَبوسَ الصّدقِ أبْهى الملابِسِ الفاخِرةِ، وأنّ فُضوحَ الدُنيا أهوَنُ منْ فُضوحِ الآخِرَةِ!؟ وأنّ الدّينَ إمْحاضُ النّصيحَةِ، والإرْشادَ عُنوانُ العَقيدَةِ الصّحيحةِ!؟ وأنّ المُستَشارَ مُؤتَمَنٌ، والمستَرشِدَ بالنُصحِ قَمِنٌ!؟ وأنّ أخاكَ هوَ الذي عذلَكَ، لا الذي عذَرَكَ؟ وصديقَكَ منْ صدقَكَ، لا مَنْ صدّقَكَ[2]!؟

---

(1) ردف أي تبع وفي سورة النمل الآية 73: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم﴾ والتأذين الأذان والظبى واحدتها ظبية هي الشفرة والعبارة كناية عن السكوت وحلّ الحبى تقدّم ويعني ذلك انفراط المجلس والقنوت من قنت إذا أطاع وخضع وقام في الصلاة وفي سورة آل عمران الآية 43: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ ونقل الشريشي عن ابن الأنباري قوله: «القنوت أربعة أقسام: الصلاة وطول القيام وإقامة الطاعة والسكوت» واستمداد القوت طلبه واستنزال الجود كاستمداده أي السعي للحصول عليه والفرض الصلاة المفروضة وينفضّ أي يتفرّق وانبرى أي اعترض والكهل من عمره بين الأربعين والستين والبراعة المهارة والسمت الهيئة وذلاقة اللسان فصاحته وحدته والحسَن هو الحسن البصري أحد مشاهير التابعين ولد في المدينة وأقام وتوفي في البصرة عام 728 م له أثره الكبير على المتصوفة وكان على معرفة عظيمة بالحديث والشريعة وله مواعظ خالدات. كان واصل بن عطاء تلميذه ثم اعتزله وصار رأس فرقة المعتزلة.

(2) يا جيرتي أي يا جيراني واصطفيتهم أي اخترتهم وأغصان شجرتي يعني أنهم من قرابته والخطّة تقدّمت وهي ما يختطه المرء لسكناه وهي هنا محلهم أو بلدتهم ودار الهجرة أي موضع السكنى في الغربة حيث هاجر والكِرش العيال والعيبة الصوان تجعل فيه الثياب وعيبة المرء موضع سرّه وأعددتهم أي اتخذتهم عدة واللبوس الدرع وفي سورة الأنبياء الآية 80: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ والفضوح الفضيحة وأهون أي أقل شأناً وأيسر وأمحاض الشيء تقديمه محضاً أي خالصاً لا شائبة فيه والإرشاد الهداية وعنوان الشيء علامته والقمن والقمين الجدير بالشيء والحقيق به وعذلك أي لامك.

فقال لهُ الحاضِرون:

أيها الخِلّ الوَدودُ، والخِذْنُ المؤْدودُ! ما سِرّ كلامِكَ المُلغَزِ، وما شرْحُ خِطابِكَ الموجِزِ؟ وما الذي تبْغيهِ منّا ليُنْجَزَ؟ فوَالذي حَبانا بمحبّتِكَ[1]، وجعلَنا منْ صفْوَةِ أحِبّتِكَ! ما نألوكَ نُصْحاً، ولا ندّخِرُ عنكَ نَضْحاً! فقال: جُزيتُمْ خيراً، ووُقيتُمْ ضَيراً! فإنّكُمْ ممّنْ لا يَشْقى بهِمْ جَليسٌ، ولا يصدُرُ عنهُمْ تلْبيسٌ، ولا يُخيَّبُ فيهِمْ مَظنونٌ، ولا يُطْوى دونَهُمْ مكْنونٌ، وسأبُثّكمْ ما حاكَ في صدْري، وأستَفْتيكُمْ في ما عيلَ فيهِ صبْري[2]: اعْلَموا أني كُنتُ عندَ صُلودِ الزّنْدِ، وصُدودِ الجَدّ، أخْلَصْتُ معَ اللهِ نِيّةَ العقْدِ، وأعطَيتُهُ صَفقَةَ العهْدِ؛ على أنْ لا أسْبأ مُداماً، ولا أُعاقِرَ نَدامَى، ولا أحْتَسيَ قهوَةً، ولا أكْتَسيَ نشْوَةً! فسوّلَتْ ليَ النّفسُ المُضِلّةُ، والشّهوَةُ المُذلّةُ المُزِلّةُ؛ أنْ نادَمْتُ الأبْطالَ، وعاطَيتُ الأرْطالَ[3]، وأضَعْتُ الوَقارَ، وارتَضَعْتُ العُقارَ،

(1) الخل الخليل والودود الحبيب والخدن الصديق والمودود أي المحبوب والكلام الملغز أي الذي فيه لغز والموجز القصير المقتضب وتبغيه أي تريده وينجز أي يقضي ويتمّ وحبانا أي أعطانا.

(2) صفوة الشيء خلاصته وأجود ما فيه وما نألوك نصحاً أي ما نكتم أو ندّخر والنصح النصيحة وهي هنا الصدق في المودة وندّخر أي نكتم ونخزن والنضح العطية والأصل الشرب القليل دون الريّ ووقيتم دعاء بمعنى صانكم الله وحاطكم والضير البؤس والأذى والتلبيس أي التخليط ويطوى دونهم أي يكتم ويستر والمكنون المستور ويريد به السر وبث إذا أخبر والبث والنث معناهما واحد وحاك في الصدر أي جال واعتمل وأستفتيكم أي أسألكم الفتيا وهي هنا الرأي وعيل إذا كلّ ونفد وضاق وتعب.

(3) صلد الزند إذا لم يور ناراً يعني بصلود الزند الفقر والصدود الإعراض والجد الحظ والسعد وأخلص النية إذا نواها خالصة ونقية لا شائبة تشوبها والعقد العهد والأصل في العقد أن يعقد أصابعه إذا عاهد رجلاً آخر وأعطيته صفقة العهد أي عاهدته والصفقة في الأصل أن يضرب المشتري على يد البائع وأسبأ أي أشتري يقول مالك بن أبي كعب:

«بعثت إلى حانوتها فاستبأتها بغير مكاس في السوام ولا غصب» والمدامة من أسماء الخمرة وأعاقر أي ألازم والندامى واحدها نديم وهو من يشاركك في مجلس الشرب والقهوة من أسماء الخمر والنشوة سورة الخمر في المرء وهي السكر وسوّلت أي زيّنت والمضلّة أي التي تضلّ والمذلّة التي تُذلّ والمزلّة أي الموقعة في الزلل والأبطال واحدهم بطل وهو الشجاع المقدام على انهم فرسان الخلاعة وعاطيت أي ناولت والأرطال والواحد رطل وهو معيار يوزن به أو يكال.

وامتطَيْتُ مَطا الكُمَيتِ، وتناسيْتُ التّوبَةَ تَناسيَ الميْتِ! ثمّ لمْ أقْنَعْ بهاتِيكُمُ المَرّةِ، في طاعَةِ أبي مُرّةَ! حتى عكفْتُ على الخَندَريسِ، في يومِ الخَميسِ! وبتُّ صَريعَ الصّهْباء، في اللّيلَةِ الغرّاء! وها أنا بادي الكآبَةِ، لرَفْضِ الإنابَةِ! نامي النّدامَةِ، لوصْلِ المُدامَةِ! شديدُ الإشْفاقِ، منْ نقْضِ الميثاقِ! مُعتَرِفٌ بالإسْرافِ، في عَبّ السُّلافِ[1]:

فيا قوْمِ هلْ كَفّارَةٌ تعْرِفونَها تُباعِدُ منْ ذَنْبي وتُدْني إلى ربّي

قال أبو زيد:

فلمّا حلّ أُنشوطَةَ نفْثِهِ، وقَضى الوَطَرَ منِ اشتِكاء بثّهِ. ناجَتْني نفْسي: يا أبا زَيْدٍ! هذهِ نُهزَةُ صيْدٍ! فشمّرْ عن يدٍ وأيْدٍ. فانتَهَضْتُ منْ مَجْثِمي انتِهاضَ الشّهْمِ، وانخرَطْتُ منَ الصّفّ انخِراطَ السّهْمِ، وقُلْتُ[2]:

---

(1) الوقار الرزانة والحلم وارتضعت أي رضعت والعقار من أسماء الخمرة وامتطيت أي اتخذت مطية والمطا الظهر والكميت من أسماء الخمر وهو اسم مشترك مع الفرس والمراد أنه لازم الخمرة وأبو مرة أي إبليس وعكفت أي لزمت والخندريس والصهباء من أسماء الخمر وذكر يوم الخميس للتأكيد على انغماسه في المعصية فيوم الخميس يوم تعرض فيه الأعمال على الله وليلة الجمعة ليلة تستحسن فيها العبادة لفضلها والصريع من صرعه إذا طرحه أرضاً والليلة الغرّاء أي البيضاء وهي ليلة الجمعة والبادي الظاهر والكآبة الحزن والغم والإنابة التوبة والعودة عن الذنوب والنامي الكثير الوافر والندامة الندم والإشفاق الجزع والخوف ونقض الميثاق أي حلّ العهد ونكثه والإسراف الإكثار وتجاوز الحد والعبّ الحسو وهو أن يجرع الجرعة تلو الأخرى دون تنفّس والسلاف من أسماء الخمر.

(2) الكفارة ما يكفّر أي يغطّى به الإثم أو غيره وهي في الشرع ما يكفّر به من صدقة أو صوم أو ما شاكل وتدني أي تقرّب هذا والبيت يكاد يكون نقلاً لبيت رجل أعرابي يقول:

«فيا قوم هل من حيلةٍ تعرفونها أشيروا بها واستوجبوا الشكر من ربي»

والأنشوطة العقدة غير المحكمة والنفث هنا بمعنى الكلام واللفظ والوطر المراد والبثّ أشد الحزن وفي سورة يوسف الآية 86: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى اللَّهِ﴾ وناجتني أي سارّتني وحدثتني والنهزة الفرصة والتشمير عن اليد يعني التهيؤ والاستعداد والأيد القوة وفي سورة الذاريات الآية 47: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ وانتهضت أي نهضت والمجثم محل الجثوم والقعود والجثوم للطير والشهم الجلْد الذكي الفؤاد وانخرط من المكان خرج منه مسرعاً.

أيها الأَرْوَعُ الذي — فاقَ مجْداً وسؤْدُدا
والذي يَبْتَغي الرّشا — دَ ليَنجو بهِ غَدا
إنّ عِندي عِلاجَ ما — بِتُّ منهُ مسَهَّدا
فاستَمِعْها عجيبةً — غادرَتْني مُلَدَّدا[1]
أنا مَنْ ساكِني سَرو — جَ ذَوي الدّينِ والهُدى
كنتُ ذا ثَرْوَةٍ بها — ومُطاعاً مُسَوَّدا
مَرْبَعي مألَفُ الضّيو — فِ ومالي لهُمْ سُدَى
أشتَري الحمْدَ باللُّها — وأقي العِرْضَ بالجَدا
لا أُبالي بمُنفِسٍ — طاحَ في البَذْلِ والنّدى
أوقِدُ النارَ باليَفا — عِ إذا النِّكسُ أخْمَدا[2]
ويَراني المؤمِّلو — نَ مَلاذاً ومَقْصِدا
لمْ يَشِمْ بارِقي صَدٍ — فانْثَنى يشتَكي الصّدى
لا ولا رامَ قابِسٌ — قدْحَ زَندي فأصْلَدا
طالَما ساعَدَ الزّما — نُ فأصْبَحْتُ مُسْعَدا[3]

---

(1) الأروع السيد الشهم الذكي الفؤاد وفاق إذا زاد على سواه والرشاد الهداية والعلاج الدواء والمسهد الساهر لا ينام وغادرتني أي تركتني وملدداً أي متلفتاً يمنة ويسرة.

(2) الثروة المال الكثير والمسوّد من جعله قومه سيداً يسودهم والمربع المنزل ومألف الضيوف أي المكان الذي ألِفه أي اعتاده الضيوف كناية عن كرمه وسخائه والسدى المهمل يريد أنه كان يعطي من دون حساب واللها العطايا وأقي أي أحمي وأصون والعرض كل ما يحمى ويصان من شرف الإنسان وهو موضع المدح الذم منه والجدا أي العطاء وأبالي أي آبه وأعبأ والمنفس النفيس والغالي والثمين وطاح أي ذهب وهلك والبذل العطاء والندى أي الكرم واليفاع ما ارتفع من الأرض كالتلال والروابي والجبال وإيقاد النار في الأعالي عادة عربية يراد بها الساري في الليل والتائه يراها فيقصدها ويقرى والنكس الدني والخسيس من الخلق وأخمد النار أي أطفأها كناية عن اللؤم والبخل.

(3) المؤملون القاصدون الراجون والملاذ الملجأ وشام البارق إذا نظره ليرى ما إذا كان سيمطر =

فـقـضـى اللهُ أنْ يُـغـيّـ ـرَ مـا كـانَ عَـوّدا
بـوّأ الـرّومَ أرْضَـنـا بـعْـدَ ضِـغْـنٍ تـولّـدا
فـاسْـتـبـاحـوا حـريـمَ مَـنْ صـادَفـوهُ مـوَحِّـدا
وحـوَوْا كـلَّ مـا اسـتـسـ ـرَّ بـهـا لـي ومـا بـدا
فـتـطـوّحْـتُ فـي الـبِـلا دِ طَـريـداً مُـشـرَّدا(1)
أجْـتَـدي الـنـاسَ بـعْـدَمـا كُـنـتُ مـن قَـبْـلُ مُـجْـتَـدى
وتُـرى بـي خَـصـاصَـةٌ أتَـمـنّـى لـهـا الـرّدى
والـبَـلاءُ الـذي بـهِ شـمْـلُ أُنـسـي تـبَـدّدا
إسْـتِـبـاءُ ابْـنَـتـي الـتـي أسَـروهـا لـتُـفْـتَـدى
فـاسْـتَـبِـنْ مِـحـنَـتـي ومـدّ إلـى نُـصْـرَتـي يَـدا
وأجِـرْنـي مـنَ الـزّمـا نِ فـقـدْ جـارَ واعْـتَـدى
وأعِـنّـي عـلـى فَـكـا كِ ابْـنَـتـي مـنْ يـدِ الـعِـدَى(2)
فـبِـذا تَـنْـمَـحـي الـمـآ ثِـمُ عـمّـنْ تـمـرّدا

= والصدي الظمآن العطشان وانثنى أي عاد ورجع والصدى الظمأ والقابس من أراد ناراً من نار وأصلد الزند إذا لم يور ناراً يقول إنه كان يخف للمعروف وإسعاف من يحتاج إلى الغوث والمعونة والمسعد قد تكون السعيد أو من يساعد المحتاج.

(1) قضى الله أي حكم وبوّأ أي أحلّ والضغن الحقد والعداوة واستباحوا أي جعلوا مباحاً والحريم ما هو محرم على غيرك يراد بذلك النساء بخاصّة على أن اللفظ أوسع فيشمل الأموال وغير ذلك والموحد أي المسلم المقر بوحدانية الله وحووا أي حازوا وجمعوا واستسرّ أي خفي وما بدا أي ما ظهر يريد أنهم استأصلوا كل ما يملك وتطوّحت أي رميت بنفسي على جهالة وغير علم في البلاد والطريد أي المنبوذ والمشرّد الهارب فزعاناً.

(2) أجتدي أي أسأل الجدوى وهي العطية والمُجتدى من كان مسؤولاً عن الجدوى والخصاصة الفقر والحاجة والردى الموت والهلاك وتبدّد أي تفرّق وتبعثر واستباء ابنتي أخذها سبية وتفتدى أي تفدى بمال أو ما شاكل ليطلق سراحها واستبن فعل أمر بمعنى تبيّن وتحقّق ومحنتي أي بليتي ومصيبتي ومدّ اليد كناية عن المساعدة وأجرني أي اجعلني جاراً أي في حماك وجار أي ظلم وفكاك ابنتي أي تحريرها وإطلاق سراحها.

وبِــهِ تُــقــبَــلُ الإنــا بَــةُ مــمّــنْ تــزَهّــدا
وهْــوَ كــفّــارَةٌ لــمَــنْ زاغَ مــنْ بــعْــدِ مــا اهْــتَــدى
ولَــئِــنْ قُــمــتُ مُــنــشِــداً فــلــقَــدْ فُــهْــتُ مُــرشِــدا
فــاقْــبَــلِ الــنُّــصْــحَ والــهِــدا يَــةَ واشْــكُــرْ لــمَــنْ هَــدى
واســمَــحِ الآنَ بــالّــذي يــتــســنّــى لــتُــحْــمَــدا[1]

قال أبو زيدٍ:

فلمّا أتْمَمْتُ هذْرَمَتي، وأوهِمَ المسؤولُ صِدْقَ كلِمَتي، أغْراهُ القرَمُ إلى الكرَمِ بمؤاساتي، ورغّبَهُ الكلَفُ بحمْلِ الكُلَفِ في مُقاساتي. فرضَخَ لي على الحافِرَةِ، ونضَخَ لي بالعِدَةِ الوافِرَةِ. فانقلَبْتُ إلى وَكْري، فرِحاً بنُجْحِ مَكْري. وقد حصلْتُ منْ صوْغِ المَكيدةِ، على سوْغِ الثّريدَةِ. ووصلْتُ منْ حوْكِ القَصيدَةِ، إلى لوْكِ العَصيدَةِ[2].

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

(1) المآثم واحدها مأثم وهو الإثم وتمرّد أي عصى واستكبر وجاوز الحد ولم يقبل موعظة والإنابة التوبة والعودة عن الخطأ وتزهّد إذا ترك الدنيا ومباهجها وزاغ أي مال وغالباً ما يكون في الميل عن الحق والهدى وفي سورة النجم الآية 17: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ وفي سورة الصف الآية 5: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ وفهت أي نطقت ومرشداً أي هادياً واسمح أي وتفضّل ويتسنّى أي يتيسّر ويتسهّل وتحمد أي تشكر وتكون محموداً.

(2) الهذرمة الكلام الكثير وأوهم أي وقع في وهمه وكلمتي قصيدتي وأغراه أي زيّن له وحضّه والقرم الشهوة الشديدة وتكون للحم واستعارها للسخاء والعطاء ورغّبه أي زيّن له والكلف الحب والكلف واحدتها كلفة وهي ما يتكلّف من العمل ومقاساتي أي معاناتي ورضخ لي أي أعطاني والرضخ العطاء القليل وعلى الحافرة أي تواً وعلى الفور ونضخ أي رفع ونضخ الماء ارتفاعه وفورانه من منبعه والعِدة أي الوعد والوافرة أي الكثيرة يقول فأعطاني تواً قليلاً ووعدني بكثير وانقلبت أي رجعت والوكر يكون للطير بمثابة المنزل ومكري أي خديعتي وحوك الشي نسجه والسوغ الاستساغة والثريد طعام قوامه الخبز المفتوت ومرق اللحم ولوك الشيء من لاكه لوكاً إذا أداره في فمه ومضغه والعصيدة دقيق يلت بالسمن ويطبخ.

فقلتُ لهُ سُبحانَ منْ أبدعَكَ، فما أعْظمَ خُدَعَكَ، وأخْبَثَ بدَعَكَ! فاستَغْرَبَ في الضّحِك، ثمّ أنشدَ غيرَ مُرتَبِكٍ[1]:

عِشْ بالخِداعِ فأنتَ في ... دهْرٍ بَنوهُ كأُسْدِ بِيشَهْ
وأدِرْ قَناةَ المَكْرِ حتى تسْتَديرَ رَحى المَعيشَهْ
وصِدِ النّسورَ فإنْ تعذّرَ صيدُها فاقْنَعْ بريشَهْ[2]
واجْنِ الثّمارَ فإنْ تَفُتْكَ فرَضّ نفسَكَ بالحشيشَهْ
وأرِحْ فؤادَكَ إنْ نَبا دهْرٌ منَ الفِكَرِ المُطيشَهْ
فتغايُرُ الأحْداثِ يؤذِنُ باستِحالَةِ كُلّ عيشَهْ[3]

(1) أبدعك أي خلقك وأوجدك والبدع واحدتها بدعة كل محدث جديد على غير مثال سابق واستغرب في الضحك أي أفرط فيه وضحك كثيراً وطويلاً ومرتبك من ارتبك في كلامه إذا تتعتع أي تردد فيه عن حصر أو عي والارتباك اختلاط الأمر بعضه في بعض.

(2) الأسْدُ واحدها الأسد وبيشة أرض قفر واسعة اشتهرت بأنها مأسدة أي كثيرة الأسود والمكر الخديعة والرحى حجر الطاحون واستعارها لتكاليف الحياة وصد فعل أمر من صاد وتعذّر أي صَعُب واستحال واقنع أي اكتف.

(3) الحشيشة أي العشبة والجمع حشائش والفؤاد القلب ونبا أي ارتفع أو أعرض ومال إلى غير ما تشتهي والمطيشة أي التي تحمل على القلق والطيش وهو الخفة والنزق وتغاير الأحداث اختلافها وتبدّلها ويؤذن أي يخبر وينبئ.

حُرُوفُ الْبَدَلِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ مَا خَلَا السِّينَ، وَالْجِيمَ، وَالدَّالَ، وَالطَّاءَ، وَالصَّادَ، وَالزَّايَ، وَيَجْمَعُهَا قَوْلُكَ: أَنْجَدْتُهُ يَوْمَ صَالَ زَطٌّ، وَالْمُرَادُ بِالْبَدَلِ أَنْ يُوضَعَ لَفْظٌ مَوْضِعَ لَفْظٍ كَوَضْعِك الْوَاوَ مَوْضِعَ الْيَاءِ فِي مُوقِنٍ، وَالْيَاءَ مَوْضِعَ الْهَمْزَةِ فِي ذِيبٍ إِلَّا مَا يُبْدَلُ لِأَجْلِ الْإِدْغَامِ لِلتَّعْوِيضِ مِنْ إِعْلَالٍ، وَأَكْثَرُ هَذِهِ الْحُرُوفِ تَصَرُّفًا فِي الْبَدَلِ حُرُوفُ اللِّينِ، وَهِيَ تُبْدَلُ بَعْضُهَا عَنْ بَعْضٍ، وَتُبْدَلُ مِنْ غَيْرِهَا.

أَمَّا الْأَلِفُ فَتُبْدَلُ مِنْ أُخْتِهَا، وَمِنَ الْهَمْزَةِ، وَالنُّونِ فَإِبْدَالُهَا مِنْ أُخْتَيْهَا فِي نَحْوِ قَالَ، وَبَاعَ، وَدَعَا، وَرَمَى، وَمِنَ الْهَمْزَةِ فِي نَحْوِ آدَمَ لِأَنَّ أَصْلَهُ آدَمَ أَفْعَلَ مِنَ الْأُدْمَةِ، وَمِنَ النُّونِ فِي الْوَقْفِ خَاصَّةً نَحْوُ «لَنَسْفَعًا»، وَ«اللهَ فَاعْبُدْ» أَوْ كَذَا الْمَنْصُوبُ الْمُنَوَّنُ نَحْوَ رَأَيْت زَيْداً، وَالْيَاءُ تُبْدَلُ مِنْ أُخْتَيْهَا، وَمِنَ الْهَمْزَةِ، وَأَحَدِ حَرْفَيِ التَّضْعِيفِ فِي نَحْوِ أَمْلَيْت الْكِتَابَ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ أَمْلَلْت، وَمِنْهُ «وَلْيُمْلِلْ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ»، وَتَقَضَّى الْبَازِي، وَالتَّسَرِّي فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ، وَمِنَ النُّونِ فِي أَنَاسِيّ، وَظَرَابِيّ جَمْعُ إِنْسَانٍ، وَظَرِبَانٍ دُوَيْبَّةٌ مُنْتِنَةٌ، وَمِنَ الْعَيْنِ فِي قَوْلِهِ: وَلِلضَّفَادِي جَمَّةُ نَقَانِقُ، وَمِنَ الْبَاءِ فِي قَوْلِهِ مِنَ الثَّعَالِيِّ: وَوَخْزٌ مِنْ أَرَانِيهَا أَرَادَ الثَّعَالِبَ، وَالْأَرَانِبَ، وَمِنَ السِّينِ فِي قَوْلِهِ: إِذَا مَا عَدَا أَرْبَعَةٌ فَسَالَ فَزَوْجُك خَامِسٌ وَأَبُوك سَادِسٌ، وَمِنَ التَّاءِ فِي قَوْلِك: قَدْ مَرَّ يَوْمَانِ، وَهَذَا الثَّالِثُ أَرَادَ الثَّالِثَ، وَهَذِهِ الْأَرْبَعَةُ شَاذَّةٌ، وَالْوَاوُ تُبْدَلُ مِنْ أُخْتِهَا، وَمِنَ الْهَمْزَةِ فَأَبْدَلَهَا مِنَ الْأَلِفِ فِي نَحْوِ حَوَائِضَ، وَطَوَالِقَ، وَمِنَ الْيَاءِ فِي مُوقِنٍ، وَمُوسِرٍ مُفْعِلٍ مِنْ أَيْقَنَ، وَأَيْسَرَ، وَمِنَ الْهَمْزَةِ فِي أَنَا أُومَنُ أَفْعَلُ مِنَ الْأَمْنِ، وَأُومَرُ أَفْعَلُ

أيضاً، وَالْهَمْزَةُ تُبْدَلُ مِنْ حُرُوفِ اللِّينِ، وَمِنَ الْيَاءِ، وَالْعَيْنِ فَإِبْدَالُهَا مِنَ الْأَلِفِ فِي نَحْوِ حَمْرَاءَ، وَصَحْرَاءَ، وَفِي نَحْوِ رَسَائِلَ، وَشَابَّةٍ، وَدَابَّةٍ، وَعَلَى ذَا قُرِئَ، «وَلَا الضَّالِّينَ» بِالْهَمْزَةِ، وَمِنَ الْوَاوِ، وَالْيَاءِ فِي نَحْوِ قَائِلٍ، وَبَائِعٍ، وَمِنَ الْهَاءِ فِي مَاءٍ الْأَصْلُ مَاهٌ بِدَلِيلِ قَوْلِهِمْ فِي تَصْغِيرِهِ مُوَيْهٌ، وَفِي جَمْعِهِ أَمْوَاهٌ، وَالتَّاءُ تُبْدَلُ مِنَ الْوَاوِ فِي تُجَاهٍ، وَتُرَاثٍ مِنَ الْوَجْهِ، وَالْوِرَاثَةِ، وَمِنَ الْيَاءِ فِي اتَّسَرَ مِنْ أَيْسَرَ، وَمِنَ السِّينِ فِي سِتٍّ، وَطَسْتٍ الْأَصْلُ سُدْسٌ، وَطَسٌّ بِدَلِيلِ طُسَيْسَةٍ، وَطُسُوسٍ فِي التَّصْغِيرِ، وَالْجَمْعِ، وَالْهَاءُ تُبْدَلُ مِنَ التَّاءِ، وَالْهَمْزَةِ، وَحُرُوفِ اللِّينِ فَإِبْدَالُهَا مِنَ الْهَاءِ فِي كُلِّ تَاءِ تَأْنِيثٍ، وَقَفْت عَلَيْهَا فِي اسْمٍ مُفْرَدٍ نَحْوَ طَلْحَةَ، وَحَمْزَةَ، وَمِنَ الْهَمْزَةِ فِي هَبَاكَ، وَهَنَزْتَ الثَّوْبَ الْأَصْلُ أَبَاكَ، وَأَنَزْتَ الثَّوْبَ مِنَ النَّيْزِ الْعَلَمِ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ لَهِنَّك مِنْ عَبْسِيَّةٍ لَكَرِيمَةٌ يَعْنِي لِأَنَّك فِي أَحَدِ الْأَوْجُهِ، وَمِنَ الْهَاءِ فِي هَذِهِ أَمَةُ اللهِ الْأَصْلُ هَذِي، وَالْمِيمُ تُبْدَلُ مِنَ النُّونِ، وَالْوَاوِ، وَاللَّامِ فَإِبْدَالُهَا مِنَ النُّونِ فِي نَحْوِ عَمْبَرٍ مِمَّا وَقَعَتْ فِيهِ سَاكِنَةً قَبْلَ الْبَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ مَنْ زَنَى مِمَّ بِكْرٍ، وَمِنَ الْوَاوِ فِي فَمٍ وَحْدَهُ، وَمِنَ اللَّامِ فِي لُغَةِ طَيِّئٍ فِي نَحْوِ مَا رَوَى النَّمِرُ بْنُ تَوْلَبٍ عَنِ النَّبِيِّ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ» لَيْسَ مِنَ امْبِرِّ امْصِيَامُ فِي امْسَفَرِ(1)، وَمِنَ الْهَاءِ فِي قَوْلِهِمْ: رَمَاهُ مِنْ كَثَمٍ، وَكَثَبٍ أَيْ: قُرْبٍ، وَالنُّونُ تُبْدَلُ مِنَ اللَّامِ، وَالْوَاوِ فَإِبْدَالُهَا مِنَ اللَّامِ فِي قَوْلِهِمْ: لَعَنَّ فِي لَعَلَّ، وَمِنَ الْوَاوِ فِي صَنْعَانِيٍّ، وَنَهْرَانِيٍّ فِي النِّسْبَةِ إِلَى نَهْرٍ أَوْ صَنْعَاء، وَالْأَصْلُ صَنْعَاوِيٌّ، وَنَهْرَوِيٌّ، وَاللَّامُ تُبْدَلُ مِنَ النُّونِ شَاذًّا، وَذَلِكَ قَوْلُهُمْ: أُصَيْلَانٍ فِي تَصْغِيرِ أَصِيلٍ، وَهُوَ الْمَسَاءُ، وَالطَّاءُ، وَالدَّالُ يُبْدَلَانِ مِنْ تَاءٍ فِي نَحْوِ اصْطَبَرَ، وَازْدَجَرَ، وَمِنْ تَاءِ الضَّمِيرِ فِي فَحَصَطَ مِنَ التَّفَحُّصِ بِمَعْنَى فَحَصْت بِرِجْلِي، وَقُرِئَ الِافْتِعَالِ فَرَّطَطَ فِي جَنْبِ اللهِ، وَالْجِيمُ تُبْدَلُ مِنَ الْيَاءِ الْمُشَدَّدَةِ فِي الْوَقْفِ نَحْوُ سَعْدِجٍ فِي سَعْدِيٍّ، وَقَدْ أُجْرِيَ الْوَصْلُ مَجْرَى الْوَقْفِ قَالَ خَالِي عُوَيْفٌ وَأَبُو عَلِجٍّ الْمُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِّ

---

(1) يعني: «ليس من البر الصيام في السفر».

وَبِالْغَدَاةِ كَتَلٌ الْبَرْنَجِ، وَقَدْ أُبْدِلَتْ مِنْ غَيْرِ الْمُشَدَّدَةِ فِيمَا أَنْشَدَ أَبُو زَيْدٍ: لَا هَمَّ إِنْ كُنْت قَبِلْتَ حَجَّتَجَ فَلَا يَزَالُ شَاحِجَ يأتِيك بج.

وَالصَّادُ قَدْ تُبْدَلُ مِنَ السِّينِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ قَافٍ أَوْ غَيْنٍ أَوْ خَاءٍ أَوْ طَاءٍ يَقُولُونَ فِي «سُقْتُ، وَسَوِيقٍ»: صُقْتُ، وَصَوِيقٌ، وَفِي صَالِغٍ، وَسَالِغٍ، وَسِرَاطٍ، وَصِرَاطٍ.

وَالزَّايُ تُبْدَلُ مِنَ الصَّادِ إِذَا وَقَعَتْ قَبْلَ الدَّالِ سَاكِنَةً تَقُولُ: يَزْدُرُ فِي يَصْدُرُ، وَلَمْ يُجَرَّمْ مَنْ فُزِدَ لَهُ فِي فُصِدَ مِنَ الْفَصِيدِ، وَلَمْ يَعُدَّ أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الصَّادَ، وَالزَّايَ فِي حُرُوفِ الْبَدَلِ، وَقَالَ: إِنَّمَا أُبْدِلَتَا فِي هَذِهِ الْكَلِمِ تَحْسِينًا لِلَّفْظِ، وَالسِّينَ لَمْ يَعُدَّ.

وَأَمَّا مَا يَرَى مِنْ إِبْدَالِ الشِّينِ سِينًا فِي بَيْتِ عبد بَنِي الْحَسْحَاسِ.

فَلَوْ كُنْت وَرْدًا لَوْنُهُ لَعَسِقْتَنِي وَلَكِنَّ رَبِّي شَانَنِي بِسَوَادِيَا(1)

فَفِيهِ نَظَرٌ، وَمِنَ الشَّوَاذِّ الْمَذْمُومَةِ إِبْدَالُ الشِّينِ فِي الْوَقْفِ مَكَانَ كَافِ الضَّمِيرِ الْمَكْسُورَةِ فِي أَعْطَيْتُشَ، وَتُسَمَّى كَشْكَشَةَ رَبِيعَةَ، وَكَذَا إِبْدَالُ الْعَيْنِ مِنَ الْهَمْزَةِ فِي أَعِنْ تَرَسَّمْت، وَلِلَّهِ عَنْ يَشْفِيَك، وَتُسَمَّى عَنْعَنَةَ تَمِيمٍ، وَهَذَا الْفَصْلُ لَهُ شَرْحٌ فِيهِ طُولٌ، وَفِيمَا ذَكَرْت هَاهُنَا مُقْنِعٌ، وَمِنَ اللهِ التَّوْفِيقُ.

عن المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي

(1) ورد البيت في ديوانه ص 26 بلفظ عشقتني دون إشارة إلى نسخة أخرى ورد فيها البدل المذكور.

المقامة السّاسانيّة

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

بلَغني أنّ أبا زيدٍ حينَ ناهزَ القَبْضَةَ، وابتَزّهُ قيدُ الهرَمِ النّهْضَةَ. أحضرَ ابنَهُ، بعْدَما اسْتَجاشَ ذِهنَهُ، وقال لهُ: يا بُنيّ إنهُ قد دنَا ارتِحالي منَ الفِناء، واكتِحالي بمِروَدِ الفَناء. وأنتَ بحمْدِ اللهِ وليُّ عهْدي، وكبْشُ الكَتيبَةِ السّاسانيّة منْ بعْدي. ومثلُكَ لا تُقرَعُ لهُ العَصا، ولا يُنَبَّهُ بطَرْقِ الحصَى[1]. ولكِنْ قد نُدِبَ إلى الإذْكارِ، وجُعِلَ صيْقَلاً للأفكارِ. وإني أُوصيكَ بما لمْ يوصِ بهِ شيثٌ الأنْباطَ، ولا يعْقوبُ

(1) ناهز أي قارب والقبضة أراد بها ثلاثاً وتسعين سنة ويقول الشريشي: «إذا قيل لك اعقد في يديك ثلاثاً وتسعين قبضت أصابعك كلها وشددت عليها الإبهام والمعنى أنه قارب المائة» ويحتمل أن المراد بالقبضة الموت يقبض الروح وابتزّه أي سلبه غصباً والقيد الغل والهرم كبر السن والنهضة أي القيام والنهوض إلى ما يريد ويحتاج واستجاش أي جمع أفكاره والذهن هو العقل والفناء باحة الدار ورحبته والمراد الدار أو المنزل والاكتحال بمرود الفناء وهو الموت كناية عن مغادرة الدنيا وولي عهدي أي خليفتي وكبش الكتيبة أي رئيسها وقائدها والكتيبة الطائفة من الجيش مجتمعة والساسانية نسبة إلى ساسان وآل ساسان ملوك الأكاسرة وهم الطبقة الرابعة من ملوك الفرس الساسانية إلى أن غلبهم الإسلام وانتزع الملك من أيديهم ينسبون إلى جدهم ساسان وهو ساسان بن أردشير من ملوك الطبقة الثانية ولكن بزوال ملك فارس تحولت الساسانية إلى لفظ يدل على الكدية والاحتيال ومرد ذلك إلى حقيقة أن المكدين كانوا ينتسبون إلى ملوك الساسانيين وينعون على الدهر صروفه وكيف تحولت أحوالهم يستدرون بذلك عطف الناس وأموالهم ولا تقرع له العصا مثل عربي قديم وحكايته أن رجلاً من حكماء العرب وكان يحكم بالحق فلما أسنّ اختل أمره فطلب إلى ابنته أن تقرع له بالعصا كي تنبّهه وينبّه بطرق الحصى مثل عربي وحكايته أن العرب كانوا إذا أرادوا اختيار رجل للسفر والإغارة تركوه حتى ينام فإذا نام رموه بحصاة فإذا انتبه وأفاق اختاروه وإلا تركوه أما صيغة المثل فهي كالتالي: «لاَ تُقْرَعُ لَهُ العَصَا ولاَ تُقَلْقَلُ لَهُ الحَصَا».

الأسْباطَ! فاحفَظْ وصيّتي، وجانِبْ معْصِيتي! واحْذُ مِثالي، وافْقَهْ أمْثالي[1]! فإنّكَ إنِ استَرشَدْتَ بنُصْحي، واستَصْبَحْتَ بصُبْحي؛ أمْرَعَ خانُكَ، وارتفَعَ دُخانُكَ! وإنْ تناسَيْتَ سُورَتي، ونبذْتَ مَشورَتي؛ قَلّ رمادُ أثافيكَ، وزَهِدَ أهلُكَ ورهْطُكَ فيكَ! يا بُنيّ إني جرّبْتُ حقائِقَ الأمورِ، وبلَوْتُ[2] تصاريفَ الدّهورِ! فرأيْتُ المرْءَ بنَشَبِهِ، لا بنَسَبِهِ! والفحْصَ عن مكسَبِهِ، لا عنْ حسَبِهِ! وكُنتُ سمِعْتُ أنّ المَعايِشَ إمارَةٌ، وتجارَةٌ، وزِراعَةٌ، وصناعَةٌ! فمارَسْتُ هذِهِ الأرْبَعَ؛ لأنظُرَ أيّها أوفقُ وأنفَعُ[3]. فما أحْمَدْتُ منها معيشَةً، ولا استرْغَدْتُ فيها عِيشَةً! أما فرَصُ الوِلاياتِ، وخُلَسُ

---

(1) نُدِب لأمر أي دعي له وأوكل به والإذكار التذكير والصقيل من صقل إذا جلا وشيث ثالث أولاد آدم على ما روت التوراة والأنباط قبائل بدوية عربية كانت رحالة حتى القرن الرابع قبل الميلاد استوطنت جنوب فلسطين واتخذوا البتراء عاصمة لهم لحصانتها أما بالنسبة للقول بأن شيثاً قد أوصاهم فحسبي قول الشريشي رداً: «والنسابون يزعمون أنهم ولد يافث بن نوح ولا يصح أن يوصيهم شيث لأن بين زمن شيث وزمن يافث آلافاً من السنين» ويعقوب النبي بحسب القرآن وابن إسحاق وأخو عيسو بحسب التوراة رزق اثنا عشر ابناً هم أسباط بني إسرائيل وفي سورة البقرة الآية 132: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ﴾ واحذ أي تمثّل واتبع وافقه أي افهم.

(2) استرشدت أي اهتديت واستصبحت أي استنرت والصبح هنا يريد به نور رأيه وحكمته وأمرع أي أخصب والخان الفندق والخان المريع أي الخصيب وارتفاع الدخان كناية عن السعة في العيش فالدخان يرتفع من المطابخ ولا يرتفع من هناك إلا إذا كان أصحابه يكثرون الطبخ وهذا لايكون إلا في بيوت الموسرين وتناسيت أي تكلّفت النسيان وتجاهلت والسورة هنا بمعنى الوصية ولكن السورة لفظ يدل على آيات في الكتاب وهو القرآن وقد جمعت وصارت قطعة مستقلة ونبذت أي رميت واطّرحت وقلّ أي صار قليلاً والأثافي واحدتها أثفية وهي حجر توضع عليه القدر وغالباً ما تكون الأثافي ثلاثة وقِلّة رماد الأثافي كناية عن الفقر وكناية أيضاً عن العزلة فلا أحد يقصد قليل الرماد على ما بيّنا آنفاً وزهد في الشيء لم يرغب فيه والرهط قوم الرجل وقبيلته وجرّبت وبلوت أي اختبرت وامتحنت.

(3) تصرفات الدهور تقلباتها والنشب المال والفحص أي البحث والحسب الشرف الثابت بالأعمال والاباء والمعايش ما تعيش به ويقيم الأود والأربع إشارة إلى عبارة قالها الخليفة العباسي المأمون: «أمور الدنيا أربعة: إمارة، وتجارة، وصنعة، وزراعة. فمن لم يكن أحد أهلها كان كلاً على الناس». والكل على الناس العالة وأرفق أي أكثر رفقاً وأنفع أكثر نفعاً.

الإماراتِ، فكأضْغاثِ الأحْلامِ، والفَيْءِ المُنتَسِخِ بالظّلامِ! وناهيكَ غُصّةً بمَرارَةِ الفِطامِ! وأما بضائِعُ التّجاراتِ؛ فعُرْضَةٌ للمُخاطَراتِ، وطُعمَةٌ للغاراتِ، وما أشبَهَها بالطّيورِ الطّيّاراتِ[1]! وأما اتّخاذُ الضِّياعِ، والتّصدّي للازْدِراعِ؛ فمنْهَكَةٌ للأعْراضِ، وقُيودٌ عائِقَةٌ عنِ الارْتِكاضِ، وقلّما خَلا ربُّها عنْ إذْلالٍ، أو رُزِقَ رَوْحَ بالٍ! وأما حِرَفُ أولي الصناعاتِ، فغيْرُ فاضِلَةٍ عنِ الأقْواتِ، ولا نافِقَةٍ في جَميعِ الأوْقاتِ. ومُعظَمُها معْصوبٌ بشَبيبَةِ الحَياةِ! ولمْ أرَ ما هوَ بارِدُ المَغنَمِ[2]، لَذيذُ المطعَمِ، وافي المَكْسَبِ، صافي المَشرَبِ؛ إلا الحِرفَةَ التي وضعَ ساسانُ أساسَها، ونوّعَ أجْناسَها، وأضْرَمَ في الخافِقَيْنِ نارَها، وأوضَحَ لبَني غَبْراءَ مَنارَها. فشَهِدْتُ وقائِعَها مُعْلِماً، واخترْتُ سِيماها لي مِيسَماً، إذْ كانَتِ المَتْجَرَ الذي لا يَبورُ، والمنهَلَ الذي لا يغورُ[3]، والمِصْباحَ الذي يعْشو إلَيْهِ الجُمهورُ، ويستَضْبِحُ بهِ العُمْيُ والعورُ! وكانَ

---

(1) أحمد الشيء وجده محموداً واسترغد العيشة أي وجد ها رغداً أي واسعة طيبة والفرص وهي ما تدركه دون التعني في طلبه والخلس واحدتها خلسة وهذه كالخطف ما يُخلس وأضغاث الأحلام الرؤى المختلطة ولا تأويل لها وفي سورة يوسف الآية 44: ﴿قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ والفيء أي الظل والمنتسخ أي الزائل من نسخ الشيء تقول نسخ الشيب الشباب ونسخ الله الآية إذا أزال حكمها وفي سورة البقرة الآية 106: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ وناهيك أي وحسبك ويكفيك والغصّة ما يغصّ به الآكل والفطام حين يصرف الرضيع عن الثدي يريد بذلك مرارة العزل من الولاية والعرضة أي المعرّضة وفي سورة البقرة الآية 224: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ والطعمة أي الطعام.

(2) الضياع واحدتها ضيعة وهي الأرض المغلّة والتصدي للشيء التعرّض له والازدراع أي الزرع والمنهكة من نهك ونهكه الأمر غلبه وأجهده والثوب لبسه حتى أخلقه يريد أن الزراعة تنهك الأعراض أي تخلقها وعائقة أي مانعة والارتكاض أي الجري والتصرّف والروح الراحة والحرف واحدتها حرفة أي الصنعة والنافقة أي الرائجة والمعصوب أي المربوط وبارد المغنم ما يكسبه ويغنمه المرء بسهولة ودون عناء.

(3) الوافي أي التام والكامل وأضرم أي أوقد وأشعل والخافقان أي المشرق والمغرب وبنو الغبراء الفقراء فهم يفترشون لفقرهم الغبراء أي الأرض والمنار أي السراج والمعلم أي ذو العلامة والمشهور وسيماها أي علامتها وفي سورة الفتح الآية 29: ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم﴾ والميسم أثر الوسم والبوار أي الكساد والمنهل ما ينهل أي يشرب منه ويغور أي يجف وينضب.

أهلُها أعزّ قَبيلٍ، وأسعَدَ جيلٍ! لا يَرْهَقُهُمْ مسُّ حيْفٍ، ولا يُقلِقُهُمْ سَلُّ سيْفٍ! ولا يخْشَوْنَ حُمَةَ لاسِعٍ، ولا يَدينونُ لدانٍ ولا شاسِعٍ، ولا يرْهَبونَ ممّنْ برَقَ ورعَدَ، ولا يحفِلونَ بمَنْ قامَ وقعَدَ[1]! أنديَتُهُمْ منزّهَةٌ، وقُلوبُهُمْ مرفّهَةٌ، وطُعَمُهُمْ مُعجَّلَةٌ، وأوقاتُهُمْ محَجّلَةٌ! أيْنما سقَطوا لقَطوا. وحيثُما انخرَطوا خرَطوا! لا يتّخذونَ أوْطاناً، ولا يتّقونَ سُلطاناً، ولا يمْتازونَ عمّا تغْدو خِماصاً، وتَروحُ بِطاناً! فقالَ لهُ ابنُهُ[2]: يا أبَتِ لقدْ صدَقْتَ في ما نطَقْتَ! ولكنّك رتَقْتَ وما فتَقْتَ! فبيّنْ لي كيفَ أقتَطِفُ، ومنْ أينَ تؤكَلُ الكتِفُ؟ فقال: يا بُنيّ إنّ الارتِكاضَ بابُها، والنّشاطَ جِلبابُها، والفِطنَةَ مِصباحُها، والقِحَةَ سلاحُها! فكُنْ أجْوَلَ منْ قُطرُبٍ، وأسرى من جُندُبٍ، وأنشَطَ من ظَبْيٍ مُقمِرٍ، وأسلَطَ من ذِئْبٍ متنمّرٍ! واقْدَحْ زَنْدَ جدّكَ بجِدّكَ، واقْرَعْ بابَ رغْبِكَ بسعْيِكَ! وجُبْ كُلّ فجّ، ولِجْ كلّ لُجّ! وانتَجِعْ كلّ روْض، وألْقِ دلْوَكَ إلى كُلّ حوْضٍ! ولا تسْأمِ الطّلَبَ، ولا تمَلّ الدأبَ[3]! فقدْ كانَ مكتوباً على عَصا شيْخِنا

(1) عشوت أي قصدت ليلاً والعشوة الشعلة من النار ترى بعيداً فتقصد والجمهور جلّ الناس ويستصبح به أي يتخذه مصباحاً وأراد بالعمي من كفّت بصيرتهم من الجهال وأما العور فمن كانوا على شيء من العلم والأعور من انطفأت عين من عينيه الثنتين ورهقه حمّله ما لايطيق وفي سورة الكهف الآية 73: ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ والحيف الظلم والحمة أي الإبرة تكون للعقرب واللاسع ما يلسع كالعقرب والزنبور وما شاكلهما ويدينون أي يخضعون ويطيعون والداني القريب والشاسع البعيد ويرهبون أي يخافون ويبرق ورعد إذا تهدد وتوعّد ويحفلون من حفل بالشيء إذا اهتم به ويالى به.

(2) أنديتهم أي مجالسهم والمرفهة اللينة العيش وطعمهم أي ما يُطعمون والمعجلّة أي السريعة والغر البيض والمحجّلة أي المشهورة والصفة في الأصل للفرس في قوائمها بياض وسقطوا أي وقعوا ونزلوا ويقطوا أي كسبوا وانخرطوا أي انضمّوا ودخلوا وخرطوا أي جمعوا واصل الخرط أن يمسك المرء بغصن فيقبض على طرفه ويمر يده إلى أسفل الغصن فينزع ورقه اجتذاباً والكناية واضحة ويمتازون أي يتميّزون والخماص الجياع والبطان الممتلئة البطون والعبارة في الأصل قالها النبي في الطير: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً».

(3) رتق الثوب إذا ألحمه وسدّاه وأصلحه والفتق ضد ذلك وأقتطف أي أجتني وعبارة من أين تؤكل =

ساسانَ: منْ طلبَ جلبَ! ومنْ جالَ نالَ! وإيّاكَ والكسلَ فإنهُ عُنوانُ النّحوسِ، ولَبوسُ ذَوي البوسِ، ومِفتاحُ المَتربَةِ، ولِقاحُ المَتعَبَةِ، وشيمَةُ العجَزَةِ الجهَلَةِ، وشِنشِنَةُ الوُكَلَةِ التُّكَلَةِ! وما اشْتارَ العسَلَ، منِ اختارَ الكسلَ! ولا ملأ الرّاحةَ، منِ استوْطأ الرّاحةَ[1]! وعليْكَ بالإقْدامِ، ولوْ على الضِّرْغامِ! فإنّ جَراءةَ الجَنانِ، تُنطِقُ اللّسانَ، وتُطلِقُ العِنانَ، وبها تُدرَكُ الحُظوَةُ، وتُملَكُ الثّروةُ! كما أنّ الخوَرَ صِنْوُ الكسَلِ، وسبَبُ الفشَلِ، ومَبْطأةٌ للعمَلِ، ومَخْيَبَةٌ للأمَلِ! ولهذا قيلَ في المثلِ: منْ جسَرَ أيسَرَ! ومنْ هابَ خابَ[2]! ثمّ ابْرُزْ يا بُنيّ في بكورِ أبي زاجِرٍ، وجَراءةِ أبي الحارثِ، وحَزامَةِ أبي قُرّةَ، وختْلِ أبي جَعْدَةَ، وحِرْصِ أبي عُقبَةَ، ونشاطِ أبي

= الكتف مثل يضرب لمن يحسن الأمور والتصرف فيها وذلك لأن أكل الكتف صعب من أي الجهات أتيته والارتكاض أي السعي والجري والحركة والجلباب وقد تقدّم مراراً اللباس والفطنة أي الحصافة وسرعة الفهم والفراسة والقحة أي الوقاحة وصلابة الوجه وأجول أي أكثر جولاناً وقطرب دويبة تسعى وتجول الليل كله وأسرى أي أكثر سيراً في الليل والجندب نوع من الجراد وفي المثل: «أسرى من جراد» وأنشط من ظبي أي أكثر نشاطاً والظبي ينشط للعب في الليلة المقمرة والمتنمّر المتخذ صفات النمر الغضب منها بخاصّة والجد بالفتح الحظ والجد بالكسر الاجتهاد وباب الرعي أي الأكل يعني باب العيش وجب من جاب إذا قطع المكان وجال فيه والفجّ الطريق الواسع بين جبلين وفي سورة الحج الآية 27: ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ ولج فعل أمر من ولج إذا دخل واللج معظم الماء وانتجع فعل أمر من نجع ويعني اطلب واقصد والروض المكان الخصيب والدلو السطل والحوض مجتمع وفي المثل: «الق دلوك في الدلاء» أي اسع لكسبك مع الناس وبينهم وتسأم أي تمل وتضجر والدأب المواظبة على الشيء.

(1) من طلب الشيء أي أراده أتى به ومن تحرك أصاب بغيته وإياك أي حذار ولبوس أي لباس وأهل البوس البؤساء والبؤس شدة الفقر والمتربة الفقر المدقع تلصق صاحبها بالتراب ومن هنا جاء الاسم والمتعبة ما يتعب واللقاح أصل الشيء وسببه والشيمة السجية والعجزة واحدها العاجز والشنشنة العادة والوكلة التكلة أي المتواكل واشتار أي جنى وهو للعسل بخاصة والراحة باطن الكف واستوطأ الراحة أي استحسن واستعذب عدم العمل والسعي.

(2) الإقدام الجراءة والضرغام من أسماء الأسد والجنان القلب وتطلق العنان أي ترخي المقود وتجعلك حراً والحظوة المكانة والمنزلة الرفيعة والخور الجبن والوهن وصنو الشيء نظيره وشبيهه والفشل خيبة المسعى والمبطأة التي تؤخر وتعيق وجسر إذا جرؤ وأيسر أي صار موسراً أي غنياً وهاب أي خاف وفزع وتهيّب وخاب أي فشل.

وثّابٍ، ومكْرِ أبي الحُصَينِ، وصبْرِ أبي أيّوبَ، وتلَطّفِ أبي غزْوانَ، وتلوّنِ أبي بَراقِشَ[1]، وحيلَةِ قصيرٍ، ودَهاء عمْرٍو، ولُطفِ الشّعْبيّ، واحتِمالِ الأحنَفِ، وفِطنَةِ إياسٍ، ومَجانةِ أبي نُواسٍ، وطمَعِ أشعَبَ، وعارِضَةِ أبي العَيناء[2]! واخلُبْ بصوْغِ اللّسانِ، واخدعْ بسِحرِ البَيانِ، وارْتَدِ السوقَ قبلَ الجَلَبِ[3]، وامتَرِ الضّرْعَ قبلَ الحلَبِ، وسائِلِ الرُكبانَ قبلَ المُنتجَعِ، ودمّثْ لجَنبِكَ قبلَ المُضطَجَعِ، واشحَذْ بصيرَتَكَ للعِيافَةِ، وأنعِمْ نظرَكَ للقِيافَةِ! فإنّ منْ صدَقَ توسّمُهُ، طالَ تبسّمُهُ! ومنْ أخطأتْ فِراسَتُهُ، أبطأتْ فَريسَتُهُ[4]! وكُنْ يا بُنيّ خَفيفَ الكَلّ، قَليلَ الدّلّ، راغِباً عنِ العَلّ، قانِعاً منَ الوَبلِ بالطّلّ. وعظّمْ وقعَ الحَقيرِ، واشكُرْ على النّقيرِ، ولا تقنَطْ عندَ الرّدّ، ولا تستَبعِدْ رشْحَ الصّلْدِ. ولا تيْأسْ منْ رَوحِ اللهِ إنهُ لا ييْأسُ منْ رَوحِ اللهِ إلا

(1) أبرز أي أظهر والبكور المبادرة قبل الغير وأبو زاجر كنية الغراب وأما أبو الحارث فالأسد وأما أبو قرّة فالحرباء ومن حزمها أنها لا تترك غصناً قبل أن تمسك بآخر ولذا فهي قريرة مطمئنة وأما الختل فالمكر والخديعة وأما أبو جعدة فالذئب والحرص أي الطمع وأما أبو عقبة فالخنزير وأما أبو وثّاب فالظبي وأما أبو الحصين فالثعلب وأما أبو أيوب فالجمل وأما أبو غزوان فالهر وأما أبو براقش فطير كالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا نفش ريشه تلوّن.

(2) قصير شخص احتال حيلة فقضى بها على الملكة الزباء وقصته التي تحوي عدداً لابأس به من الأمثال مبسوطة في كتب الأدب والأمثال والقصص وعمرو هو عمرو بن العاص الذي كسب معركة التحكيم بين معاوية وعلي بعد معركة صفين والشعبي قاض وفقيه والأحنف سيد قبيلة اشتهر بالحلم وإياس قاض فطن وأبو نواس الشاعر الحسن بن هانئ وأشعب ظريف من المدينة اشتهر بالطمع والعارضة البديهة والبيان واللسن وأبو العيناء شاعر ظريف أعمى عاصر المتوكل العباسي اشتهر بأجوبته المسكتة وقد تقدّم ذكر هؤلاء جميعاً.

(3) اخلب أي افتن وصوغ اللسان ما يزيّنه وينمّقه من قول وارتد فعل أمر من ارتاد المكان إذا طلبه أو تردد إليه والجلب ما يجلب إلى السوق من بضاعة.

(4) وامتر فعل أمر من الامتراء أي مسح الضرع لاستدرار الضرع وسائل أي إسأل والركبان أي الذين يسافرون والمنتجع موضع العشب ومكان النجعة ودمّث أي مهّد ووطّئ لجنبك قبل رقادك وشحذ السكين إذا سنّها وحددها والعيافة هي زجر الطير للفأل وأنعم أي أمعن وتأمل والقيافة عمل القائف الذي ينظر في الآثار فيستنتج نتائجه ويلحق الأبناء بالآباء وقوله من صدق توسمه الخ يعني أن من أحسن النظر في ما أمامه أمن وابتسم طويلاً والفراسة معرفة الباطن من النظر إلى الظاهر وأبطأت أي تأخرت والفريسة الصيد وهي هنا النفع والجدوى بعامة.

القوْمُ الكافِرونَ[1]. وإذا خُيّرتَ بينَ ذَرّةٍ منْقودَةٍ، ودُرّةٍ موْعودَةٍ، فمِلْ إلى النّقْدِ، وفضّلِ اليومَ على الغدِ؛ فإنّ للتأخيرِ آفاتٍ، وللعَزائِمِ بدَواتٍ، وللعِداتِ مُعَقِّباتٍ، وبيْنَها وبينَ النّجازِ عقَباتٌ وأيّ عقَباتٍ! وعليْكَ بصَبْرِ أولي العزْمِ، ورِفْقِ ذَوي الحزْمِ. وجانِبْ خُرْقَ المُشتَطّ، وتخلّقْ بالخُلْقِ السّبِطِ! وقيّدِ الدّرْهَمَ بالرّبْطِ، وشُبِ البَذْلِ بالضّبْطِ، ولا تجْعَلْ يدَكَ مغْلولَةً إلى عُنقِكَ ولا تَبسُطْها كلّ البسْطِ[2]. ومتى نَبا بكَ بلَدٌ، أو نابَكَ فيهِ كمَدٌ، فبُتّ منهُ أملَكَ، واسْرَحْ منهُ جملَكَ. فخيْرُ البِلادِ ما جمّلَكَ! ولا تستَثْقِلَنّ الرّحلَةَ، ولا تكْرهَنّ النُقلَةَ! فإنّ أعْلامَ شَريعَتِنا[3]، وأشياخَ عَشيرَتِنا، أجْمَعوا على أنّ الحركَةَ بركَةٌ، والطّراوَةَ سُفتَجَةٌ! وزرَوْا على منْ زعَمَ أنّ الغُربَةَ كُربَةٌ، والنُقلَةَ مُثلَةٌ! وقالوا: هي تَعِلّةُ منِ اقتنَعَ بالرّذيلةِ، ورضِيَ بالحشَفِ

---

(1) العلّ العبء والعالة والدل الدلال والعلّ الشرب مرات متتابعة والوبل المطر الكثير والطل المطر الضعيف والنقير الشيء القليل الضئيل وتقنط أي تيأس واستبعد الشيء إذا رآه بعيداً لا يحتمل حدوثه والصلد الحجر الأصم وروح الله رحمته وفي سورة يوسف الآية 87: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.

(2) الذرة من الأشياء أصغرها وأقلّها والمنقودة الحاضرة وتعطى نقداً والعزائم واحدتها عزيمة وهي القصد إلى الشيء والإرادة المؤكدة والبدوات من بدا له إذا رأى رأياً ثم ظهر له رأي آخر والعدات الوعود ومعقّبات من عقب القوس والسهم غذا لوى شيئاً من العقب أي العصب عليها وقد تكون من التعقيب وهو تنظيم ورد النياق الواحدة بعد الأخرى وفي سورة الرعد الآية 11: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ولكنني إلى الأول أميل والنجاز أي الإنجاز وقضاء الحاجة وأولو العزم إشارة إلى الرسل الخمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وذوو الحزم أصحابه الذين يأخذون أمورهم ويضبطونها بحكمة وثقة دون ضعف وجانب أي أعرض وابتعد والخرق الحمق والمشتط من تجاوز الحدّ وتخلّق أي اتصف والسبط الرضي السهل وشب من شاب إذا مزج وخلط والبذل العطاء والضبط حفظ الشيء بالحزم ومغلولة أي مقيّدة وتبسطها أي تمدّها ومؤدى العبارة أن لا تسرف في العطاء ولا تكن كزّاً شحيحاً وهي آية قرآنية هي الآية 29 من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

(3) نبا بك بلد أي لم تجد فيه قراراً ونابك اعتراك وغشيك والكمد الحزن المكتوم وبتّ فعل أمر بمعنى اقطع واسرح فعل أمر سرح الماشية مثلاً إذا أرسلها في المراعي والنقلة أي الانتقال وأعلام شريعتنا أي مشايخ طريقتنا.

وسوء الكِيلَةِ. وإذا أزْمَعْتَ على الاغْتِرابِ، وأعْدَدْتَ لهُ العَصا والجِرابَ، فتخيَّرِ الرّفيقَ المُسعِدَ، منْ قبْلِ أن تُصعِدَ؛ فإنّ الجارَ قبلَ الدّارِ! والرّفيقَ قبلَ الطّريقِ[1]!

خُذْها إليْكَ وصيّةً لمْ يوصِها قبْلي أحَدْ
غَرّاءَ حاويَةً خُلا صاتِ المَعاني والزُّبَدْ
نقّحْتُها تنْقيحَ منْ مَحَضَ النّصيحةَ واجتَهدْ
فاعْمَلْ بما مثّلْتُهُ عمَلَ اللّبيبِ أخي الرَّشَدْ
حتى يقولَ النّاسُ هـ ذا الشّبلُ منْ ذاكَ الأسَدْ[2]

ثمّ قال: يا بُنيّ! قد أوْصيتُ واستقْصَيْتُ. فإنِ اقتَدَيْتَ فوَاهاً لكَ! وإنِ اعتَدَيْتَ فآهاً منكَ! واللهُ خَليفَتي عليكَ، وأرْجو أنْ لا تُخلِفَ ظنّي فيكَ! فقالَ لهُ ابنُهُ: يا أبَتِ لا وُضِعَ عرْشُكَ، ولا رُفِعَ نعْشُكَ! فلقَدْ قلتَ سَدَداً، وعلّمْتَ رشَداً. ونحَلْتَ ما لمْ ينْحَلْ والِدٌ ولَداً[3]! ولئِنْ أُمهِلْتُ بعْدَكَ، لا ذُقْتُ فقْدَكَ، فلأتأدّبَنّ بآدابِكَ الصالِحةِ،

---

(1) الطراوة من طري طراء وطراوة وطراءة إذا كان ليناً غضّاً ولكن الشريشي يقول إنها من طرأ ويقول الطراوة أن يطرأ على بلد لم يره ولكن مصدر فعل طرأ الطرء والطروء والطراء وطرأ الشيء إذا حدث وطرأ عليه إذا جاءه مفاجئاً وأنا إلى الأول أي اللين أميل والسفتجة لفظ فارسي أصله سُفته وهي الدراهم تدفعها لرجل هنا ولهذا الرجل مال في بلد آخر فيوفيك مالك في البلد الآخر وزروا أي عابوا والمثلة التنكيل بالشخص وبتر الأعضاء وظهور آثار ذلك عليه والتعلّة ما يتعلّل به المرء من طعام أو غيره والرذيلة الخسيس والدون من كل الأعمال والحشف سيئ التمر وأما سوء الكيلة فسوء الميزان و«أحشفاً وسوء كيلة» قالها أعرابي للخليفة العباسي المنصور حين خطب فأمر الناس أن يحمدوا الله أنه لم يضربهم في الطاعون في زمانه فسارت مثلاً يضرب للخصلتين القبيحتين تجتمعان في واحد وأزمعت أي عزمت والاغتراب التغرّب والمسعد أي الموافق القليل الخلاف وتصعد أي ترتفع وتخرج.

(2) الغرّاء أي البيضاء والخلاصات واحدتها خلاصة وخلاصة الشيء صفوته وخياره وكذلك يعني الزبد والواحدة زبدة وهي ما يستخرج بالمخض من اللبن وتنقيح الشيء تهذيبه وتنقيته من الخطأ ومحض النصيحة أي نصحها خالصة ومخلصة وأخو الرشد العاقل المهتدي والشبل ابن الأسد والعبارة مثل يضرب لمن يشبه والده.

(3) الاستقصاء استيفاء الموضوع من كل جوانبه واقتديت بالشيء أي تمثّلته وتبعته وواهاً لك لفظ =

ولأقْتَدِيَنّ بآثارِكَ الواضِحَةِ، حتى يُقال: ما أشْبَهَ الليلةَ بالبارِحَةِ، والغادِيةَ بالرّائِحَةِ. فاهْتزّ أبو زيْدٍ لجَوابِهِ وابتَسَمَ. وقال: منْ أشبَهَ أباهُ فَما ظلَمَ[1] قالَ الحارثُ بنُ همّام:

فأُخبِرْتُ أنّ بَني ساسانَ، حينَ سَمِعوا هَذي الوَصايا الحِسانَ، فضّلوها على وَصايا لُقْمانَ، وحفِظوها كما تُحفَظُ أمّ القُرْآنِ[2]، حتى إنّهُمْ لَيرَوْنَها إلى الآنَ، أوْلى ما لقّنوهُ الصّبيانَ، وأنفَعَ لهُمْ منْ نِحلَةِ العِقيانِ!

= استحسان وآهاً منك لفظ توجع وإنكار وأخلف الظنَّ أي جاء بغير المرجو منه ووضع العرش كناية عن زوال الدولة ورفع النعش كناية عن الموت والسدد في القول الصواب وقوله علمت رشداً فيلاحظ الآية 66 من سورة الكهف: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ ونحل أي اعطى.

(1) أمهله إذا أخّره والمراد هنا لئن تأخّر أجلي وعشت والواضحة أي البيّنة وما أشبه الليلة بالبارحة مثل جاء في شعر لطرفة بن العبد يقول:

«كل خليل كنت خاللته لا ترك الله له واضحه
كلهم أروغ من ثعلب ما أشبه الليلة بالبارحه»

والغادية سحابة الغداة والرائحة سحابة المساء ومن أشبه أباه الخ مثل عربي جاء في شعر لكعب بن زهير يقول:

فان تسالي الأقوام عني فإنني أنا ابن أبي سلمى على رغم من رغم
أنا ابن الذي قد عاش تسعين حجة فلم يخز يوماً فى معد ولم يلم
اقول شبيهات بما قال عالماً بهن ومن أشبه أباه فما ظلم.

والمثل يراد به دفع الريبة عن الأم وفي مجمع الأمثال: «... لم يَضَع الشَّبَهَ في غير موضعه لأنه ليس أحدٌ أولى به منه بأن يشبهه ويجوز أن يراد فما ظلم الأبُ أي لم يظلم حين وضع زَرْعَه حيث أدّى إليه الشبه وكلاَ القولين حسن».

(2) هي الفاتحة أولى سور القرآن ولقّنوه أي علّموه والنحلة أي العطية والعقيان أي الذهب.

المقامة البَضريّة

حكَى الحارثُ بنُ همّامٍ قال:

أُشعِرْتُ في بعضِ الأيامِ همّاً برّحَ بي استِعارُهُ، ولاحَ عليّ شِعارُهُ. وكنتُ سمِعتُ أنّ غِشيانَ مجالِسِ الذّكْرِ، يسْرو غَواشيَ الفِكْرِ. فلمْ أرَ لإطْفاء ما بي منَ الجمْرَةِ، إلا قصْدَ الجامِعِ بالبَصرَةِ. وكانَ إذْ ذاكَ مأهولَ المسانِدِ، مَشْفوهَ المَوارِدِ. يُجْتَنى منْ رِياضِهِ أزاهيرُ الكَلامِ، ويُسمَعُ في أرْجائِهِ صَريرُ الأقْلامِ. فانطلَقْتُ إليْهِ، غيرَ وانٍ، ولا لاوٍ على شانٍ. فلمّا وطِئْتُ حَصاهُ، واستَشْرَفْتُ أقْصاهُ. تَراءى لي ذو أطْمارٍ بالِيَةٍ، فوْقَ صخْرَةٍ عالِيَةٍ[1]. وقدْ عصبَتْ بِهِ عُصَبٌ لا يُحصى عديدُهُمْ، ولا يُنادَى وَليدُهُمْ. فابتَدرْتُ قصْدَهُ، وتورّدْتُ وِرْدَهُ. ورجَوْتُ أنْ أجِدَ شِفائي عندَهُ، ولمْ أزَلْ أتنقّلُ في المَراكِزِ، وأُغْضي للآكِزِ والواكِزِ. إلى أن جلسْتُ تُجاهَهُ، بحيْثُ أمِنْتُ اشْتِباهَهُ. فإذا هوَ شيخُنا السّروجيّ لا ريْبَ فيهِ، ولا لَبْسَ يُخْفيهِ. فانْسَرى بمَرْآهُ همّي، وارْفَضّتْ كتيبَةُ غمّي. وحينَ رآني، وبصُرَ بمكاني[2]. قال: يا أهْلَ البصرَةِ

(1) أشعرت أي تغشّاني فصار لي كالشعار وهو اللباس تحت الدثار وبرّح أي شقّ واشتدّ واستعاره أي اتقاده والتهابه ولاح أي بدا وشعاره أي أثره وعلامته وغشيان المكان أي إتيانه ويسرو أي يكشف ويزيل وغواشي الفكر أي ما يغشاه ويدخل عليه من الهم والمأهول أي العامر وكثير الأهل والمساند واحدها مسند وهو ما يستند إليه عند الجلوس والمشفوه الكثير الشفاه عند الشرب والموارد واحدها مورد والأرجاء أي الأنحاء وصرير الأقلام أي صوتها والواني المتمهّل من ونى ولاوٍ أي عاطف أو معرّج من لوى يلوي وفي سورة آل عمران الآية 153: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾ واستشرفت اقصاه أي اطّلعت بنظري عليه كله وتراءى أي بدا.

(2) عصبت به أي أحدقت وأحاطت به والعصب واحدتها عصبة أي الجماعة ويحصى أي يحسب =

رعاكُمُ اللهُ ووقاكُمْ، وقوّى تُقاكُمْ. فما أضْوَعَ ريّاكُمْ، وأفضلَ مَزاياكُمْ! بلَدُكُمْ أوْفَى البِلادِ طُهرَةً، وأزْكاها فِطرَةً. وأفسَحُها رُقعَةً، وأمرَعُها نُجعَةً. وأقوَمُها قِبلَةً، وأوسَعُها دِجلَةً[1]، وأكثرُها نهراً ونَخلَةً، وأحسَنُها تَفصيلاً وجُملَةً. دِهْليزُ البلَدِ الحَرامِ، وقُبالَةُ البابِ والمَقامِ، وأحدُ جَناحَيِ الدّنيا، والمِصْرُ المؤسّسُ على التّقْوى. لمْ يتدنّسْ ببُيوتِ النّيرانِ، ولا طِيفَ فيهِ بالأوْثانِ، ولا سُجِدَ على أديمِهِ لغَيرِ الرّحْمَنِ. ذو المَشاهِدِ المشْهودَةِ، والمساجِدِ المقصودَةِ. والمَعالِمِ المشْهورَةِ، والمقابِرِ المَزورَةِ. والآثارِ المحْمودَة، والخِطَطِ المحْدودَةِ[2]. بهِ تلْتَقي الفُلْكُ والرّكابُ، والحيتانُ والضِّبابُ. والحادِي والمَلاّحُ، والقانصُ والفلاحُ، والناشِبُ والرّامِحُ، والسّارِحُ والسّابِحُ. ولهُ آيةُ المدّ الفائِضِ، والجزْرِ الغائِضِ. وأما أنتمْ فممّنْ لا يختلِفُ في خَصائِصِهِم اثْنانِ، ولا يُنكِرُها ذو شَنآنٍ. دَهْماؤكُمْ أطْوَعُ رَعِيّةٍ لسُلْطانٍ، وأشكَرُهُمْ لإحْسانٍ. وزاهِدُكُمْ أوْرَعُ الخليقَةِ، وأحسنُهُمْ طَريقَةً على الحَقيقَةِ[3].

= ويُعدّ والعديد هو العدد والوليد أي الولد وقوله لا ينادى الخ يعني أنهم في أمر عظيم لا مكان للصغار فيه وابتدرت أي سارعت وتورّدت ورده أي طلبت منفعته والمراكز واحدها مركز وهو مكان الثبات والجلوس وأغضي أي أتغافل واللاكز من لكز أي ضرب في الصدر والواكز من وكز أي ضرب ناحية الفم وكلا الضربين يكون بجُمع اليد وتجاهه أي قبالته واشتباهه أي التباسه بغيره وانسرى أي زال وانكشف ومرآه أي رؤيته وارفضّت أي تفرّقت والكتيبة الطائفة من الجيش.

(1) رعى ووقى أي حفظ وصان والتقى الورع وأضوع أي أعطر من ضاع العطر إذا فاح والريّا الرائحة الطيبة والمزايا الخصال الطيبة وأوفى أي أكمل والطهرة النقاء من الدنس وأزكى أي أطيب والفطرة الخلقة وأفسح أي أوسع والرقعة هنا هي الساحة أو المساحة وأمرع أي أخصب والنجعة ما ينتجع للكلأ والقبلة الجهة التي تستقبلها الكعبة والدجلة أحد الرافدين.

(2) الدهليز مدخل الدار والبلد الحرام مكة يريد بذلك أن الطريق من البصرة إلى مكة هي الأخصر والأقصر وقبالة أي في مقابل والباب باب الكعبة والمقام مقام ابراهيم فالبصرة تجاههما وجناحا الدنيا مصر والبصرة والمصر أي البلد والمؤسّس أي المُقام والمبني وبيوت النيران أراد بها معابد المجوس والأوثان واحدها وثن وهي الصنم يعبد من دون الله والأديم ظاهر الأرض والمزورة أي التي تُزار والآثار واحدها أثر وأراد بذلك الأمكنة يزورها الناس للتبرك والخطط الدور والأزقّة.

(3) الفلك أي السفن فالبصرة على الشاطئ من جهاتها الثلاث إلاّ الرابعة فهي متصلة بالصحراء =

وعالِمُكُمْ علاّمَةُ كلّ زمانٍ، والحُجّةُ البالِغَةُ في كلّ أوانٍ. ومنكُمْ منِ استنبَطَ عِلمَ النّحْوِ ووضَعَهُ، والذي ابتدَعَ ميزانَ الشّعْرِ واخترَعَهُ. وما منْ فخْرٍ إلا ولَكُمْ فيهِ اليَدُ الطّولى، والقِدْحُ المُعَلّى، ولا صيتٍ إلا وأنتُمْ أحَقُّ بهِ وأوْلى. ثمّ إنّكُمْ أكثرُ أهلِ مِصرٍ مؤذّنينَ، وأحسَنُهُمْ في النّسكِ قَوانينَ. وبكُمُ اقتُدِيَ في التّعريفِ، وعُرِفَ التّسحيرُ في الشّهرِ الشّريفِ[1]. ولكُمْ إذا قرّتِ المضاجِعُ، وهجَعَ الهاجِعُ. تَذْكارٌ يوقِظُ النّائِمَ، ويؤنِسُ القائِمَ. وما ابتسَمَ ثغْرُ فجرٍ، ولا بزَغَ نورُهُ في برْدٍ ولا حرٍّ، إلا ولتأذينِكُمْ بالأسْحارِ، دويٌّ كدويّ الرّيحِ في البِحارِ. وبِهذا صدَعَ عنكُمُ النّقْلُ، وأخبرَ النّبيُّ عليه السلام، منْ قبلُ. وبيّنَ أنّ دويّكُمْ بالأسْحارِ، كدويّ النّحلِ في القِفارِ. فشرَفاً لكُمْ بِبِشارَةِ المُصطَفى، وواهاً لِمِصرِكُمْ وإنْ كانَ قدْ عَفا، ولمْ يبْقَ منهُ إلا شَفاً[2]!

ثمّ إنهُ خزَنَ لسانَهُ، وخطَمَ بيانَهُ، حتى حُدِجَ بالأبْصارِ، وقُرِفَ بالإقْصارِ، ووُسِمَ

= والحيتان واحدها حوت وهو السمك والضباب واحدها ضبّ والحادي الذي يقود الإبل ويحدو لها والقانص الصيّاد والفلاح أي المزارع والناشب أي من يرمي بالنشاب والرامح أي الذي يطعن بالرمح والسارح من يسرح إلى المرعى والسابح أي الذي يسبح في النهر والجزر والمد حركتا الماء وهما من آيات نهر البصرة فالماء في مد حتى الظهر فإذا انتصف النهار رجع إلى البحر وذو الشنآن أي المعادي والدهماء جماعة الناس وأطوع أي أكثر طاعة والأورع أي الأكثر ورعاً والورع التقوى وتجنّب المعاصي يريد الحسن البصري وابن سيرين وكلاهما آية في الورع.

(1) أراد بالعالم أبا عبيدة معمر بن المثنّى 728–825 وكان عالماً باللغة والشعر والعلاّمة الكثير العلم والحجّة أي العالم الثبت والأوان أي الزمان واستنبط أي استخرج يريد أبا الأسود الدؤلي 605–688 واضع علم النحو وأما مخترع ميزان الشعر فالخليل بن أحمد الفراهيدي ت نحو 786 صاحب كتاب العين أول قاموس عربي والقدح المعلّى أعظم قداح الميسر وله سبعة أنصبة يريد ان فخركم عظيم والمؤذنون واحدها مؤذن وهو من يدعو إلى الصلاة والتعريف الوقوف بعرفة يريد بذلك اجتماع أهل البصرة في المساجد للدعاء في ذلك اليوم وكان ابن عباس أول من فعل ذلك في البصرة ثم تابع الناس ذلك والتسحير أي إيقاظ الناس للسحور في شهر رمضان.

(2) قرّت أي هدأت وسكنت والمضاجع واحدها مضجع وهو موضع النوم على أنه يريد النيام وهجع أي نام والتذكار يريد به ذكر الله والقائم أي السهران يتعبّد ويتهجّد وابتسام ثغر الفجر كناية عن نور الفجر وبزغ أي طلع وصدع أي كشف وأوضح والنقل أي الخبر أو الحديث المنقول عن النبي والمصر البلبد وعفا أي درس وصار أثراً والشفا أي القليل وشفا الشيء حدّه.

بالاستِقْصارِ. فتنفّسَ تنفُّسَ مَنْ قِيدَ لقَوَدٍ، أو ضَبَثَتْ بهِ براثِنُ أسَدٍ، ثمّ قال: أما أنتُمْ يا أهلَ البَصرَةِ فما منْكُمْ إلا العَلَمُ المعروفُ، ومنْ لهُ المعرفَةُ والمعروفُ، وأما أنا فمَنْ عرَفَني فأنا ذاكَ، وشرُّ المَعارِفِ منْ آذاكَ. ومنْ لم يُثْبِتْ عِرْفَتي فسأصْدُقُهُ صِفَتي[1]؛ أنا الذي أنجدَ وأتهَمَ، وأيمَنَ وأشأمَ، وأصْحرَ وأبحَرَ، وأدْلَجَ وأسْحرَ. نشأتُ بسَروجَ، ورَبيتُ على السُّروجِ، ثمّ ولَجْتُ المَضايقَ، وفتحْتُ المغالِقَ، وشهِدْتُ المَعارِكَ، وألَنْتُ العَرائِكَ، واقْتَدْتُ الشّوامِسَ، وأرْغَمْتُ المَعاطِسَ، وأذَبْتُ الجَوامِدَ، وأمَعْتُ الجَلامِدَ، سَلوا عني المشارِقَ والمَغارِبَ[2]، والمَناسِمَ والغَوارِبَ، والمَحافِلَ والجَحافِلَ، والقَبائِلَ والقَنابِلَ، واستَوْضِحوني منْ نقَلَةِ الأخْبار، ورُواةِ الأسْمارِ، وحُداةِ الرُّكْبانِ، وحُذّاقِ الكُهّانِ، لتَعْلَموا كمْ فجٍّ سلَكْتُ، وحِجابٍ هتكْتُ، ومَهلَكةٍ اقتَحمْتُ، ومَلحَمَةٍ ألْحَمْتُ، وكمْ ألْبابٍ خدَعْتُ، وبِدَعٍ ابتَدَعْتُ[3]، وفُرَصٍ اختلَسْتُ، وأُسْدٍ افترَسْتُ، وكمْ مُحلِّقٍ غادَرْتُهُ لَقًى، وكامِنٍ

---

(1) خزن أي حبس وخطم أي زمّ والخطام حبل يشدّ على أنف البعير وحدج إذا نظر بحدّة وقرف أي نُبِز ورُمي واتُهم والإقصار أي العجز وقيد أي سيق والقود أي قتل النفس بالنفس وظبثت أي علقت وانتشبت والبراثن للأسد كالأظافر للإنسان والعلم يريد به المعروف المشهور والمعارف الأصحاب وآذاك أي أضرّ بك أو ساءك وفعل ما يؤذيك ويثبت أي يحكم وعرفتي أي معرفتي وأصدقه أي أخبره صادقاً.

(2) أنجد وأتهم سار إلى نجد وتهامة وأيمن وأشأم إذا أتى اليمن والشام وأصحر إذا سار في الصحراء وأبحر إذا سافر بحراً وأدلج سار في جوف الليل وأسحر سار في السحر والسروج واحدها السرج وهو ما يوضع على متن الفرس وولجت أي دخلت والمضائق واحدها مضيق والمغالق الأمكنة المغلقة والمعارك واحدتها معركة وهي موضع القتال والعرائك واحدتها العريكة وهي الطبيعة وهي أيضاً السنام فإذا كانت الثانية يكون المراد الكناية عن كثرة السفر وأنا أميل إلى ذلك بحجة ما يلي واقتدت أي قدتها من مقودها والشوامس والواحدة شموس وهي صفة الدابة الصعبة لا تمكن أحداً من ظهرها والمعاطس أي الأنوف وأرغمت أي الصقتها بالتراب كناية عن القهر والإذلال والجوامد واحدها جامد واذابها إذا حولها إلى سائل وأمعت أي أذبت والجلامد واحدها جلمود وهو الصلب من الحجارة وسلوا فعل أمر بمعنى اسألوا.

(3) المناسم أخفاف الإبل والواحد منسم يقول زهير بن أبي سلمى «وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ =

استَخرَجْتُهُ بالرُّقى، وحجَرٍ شحذْتُهُ حتى انصدَعَ، واستَنْبَطْتُ زُلالَهُ بالخُدَعِ، ولكِنْ فرَطَ ما فرَطَ والغُصْنُ رَطيبٌ، والفَوْدُ غِرْبيبٌ، وبُرْدُ الشّبابِ قَشيبٌ، فأمّا الآنَ وقدِ استشَنّ الأديمُ، وتأوّدَ القَويمُ، واستَنارَ اللّيلُ البَهيمُ، فليْسَ إلا النّدَمُ إنْ نفَعَ، وترْقيعُ الخَرْقِ الذي قدِ اتّسَعَ[1]. وكُنتُ رُوّيتُ منَ الأخبارِ المُسنَدَةِ، والآثارِ المُعتَمَدةِ، أن لكُمْ منَ اللهِ تعالى في كلّ يومٍ نَظرَةً، وأنّ سِلاحَ الناسِ كلّهِم الحَديدُ، وسِلاحَكُمُ الأدْعِيَةُ والتّوْحيدُ، فقصَدْتُكُمْ أُنضي الرّواحِلَ، وأطْوي المَراحِلَ، حتى قُمْتُ هذا المَقامَ لَديْكُمْ، ولا مَنّ لي عليكُمْ، إذْ ما سعَيْتُ إلا في حاجَتي، ولا تعِبْتُ إلا

= يُضَرِّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسِمِ» والغوارب واحدها غارب وهو ما بين سنام البعير وكتفيه والمحافل واحدها محفل وهو مجتمع الناس والجحافل والواحد جحفل وهو الجيش والقنابل واحدها قنبل وهو الطائفة من الناس والخيل واستوضحوني أي اطلبوا بيان أمري من الرواة والأسمار واحدها سمر وهو حديث الليل والحداة واحدها حادي وهو سائق الإبل والركبان واحدها راكب وهو المسافر والحذّاق أي المهرة والكهّان والواحد كاهن وهو من يتكهّن للناس بما سيكون والفج الطريق بين جبلين وسلكت أي عبرت واجتزت وهتكت أي مزقت والمراد فضحت وكشفت فالحجاب يريد به كل ساتر والمهلكة موضع الهلاك والتلف واقتحمت أي دخلت باندفاع وعنف والملحمة الموقعة أي الحرب أو موضعها وألحمت يقول الشريشي« أي أوقدت الحرب بينهم حتى التصقوا وصاروا لحمة واحدة» والألباب العقول والبدع واحدتها بدعة وهي ما خلق وابتدع على غير مثال سابق وابتدعت أي اخترعت وابتدأت.

(1) الفرص واحدتها فرصة واختلس إذا تناول بسرعة وخفية والأُسدُ واحدها أسد وافترست أي قتلت والمحلّق أي المرتفع في الفضاء ولقى أي مطروحاً على الأرض والكامن المختبئ كالأفعى والرقى واحدته رقية وهي ما يتلو من عزائم وكلام لدرء الشر أو دفع الأذى أو استخراج الثعابين من مخابئها وشحذته أي سننته وحددته كالسكين وانصدع انشق وأراد بالحجر البخيل لم يزل به حتى أناله واستنبط الشيء إذا استخرجه والزلال الماء العذب ويريد به مال البخيل والخدع واحدتها خدعة وفرط أي سبق والغصن رطيب كناية عن الشباب والفتوة والفود شعرجانب الرأس والغربيب الفاحم السواد وبرد الشباب ثوبه والقشيب الجديد واستشنّ أي بلي وتخرّق والأديم الجلد يكنّي بذلك عن الهرم وكبر السن وتأوّد إذا مال وانحنى والقويم أي المستقيم يريد بذلك انحناء القامة تحت وطأة السن والليل البهيم الحالك الظلمة يريد بذلك الشعر الأسود واستنار أي أضاء أراد الشيب وقد غزا الرأس وترقيع الخرق أي سدّه وإصلاحه كناية عن تدارك ما فرط وسبق بالتوبة.

لراحَتي. ولسْتُ أبْغي أعطِيَتَكُمْ، بل أستَدْعي أدعِيَتَكُمْ[1]. ولا أسْألُكُمْ أموالَكُمْ، بل أستنزِلُ سُؤالَكُمْ. فادْعوا إلى اللهِ بتوْفيقي للمَتابِ، والإعْدادِ للمآبِ، فإنهُ رفيعُ الدّرَجاتِ، مُجيبُ الدّعَواتِ، وهوَ الذي يقبلُ التّوبَةَ عنْ عِبادِهِ ويعْفو عنِ السّيّئاتِ. ثمّ أنشدَ[2]:

أستَغْفِرُ اللهَ منْ ذُنوبٍ ... أفرَطْتُ فيهِنّ واعْتَدَيْتُ
كمْ خُضْتُ بحْرَ الضّلالِ جهْلاً ... ورُحتُ في الغَيّ واغْتَدَيْتُ
وكمْ أطَعْتُ الهَوى اغْتِراراً ... واختَلْتُ واغْتَلْتُ وافْتَرَيْتُ
وكمْ خلَعْتُ العِذارَ ركْضاً ... إلى المَعاصي وما ونَيْتُ[3]
وكمْ تَناهَيْتُ في التّخطّي ... إلى الخَطايا وما انتهَيْتُ
فلَيتَني كُنتُ قبل هذا ... نَسْياً ولمْ أجْنِ ما جنَيْتُ
فالمَوتُ للمُجْرِمينَ خيرٌ ... منَ المَساعي التي سعَيْتُ
يا رَبِّ عفْواً فأنتَ أهلٌ ... للعَفْوِ عنّي وإنْ عصَيْتُ[4]

---

(1) المسند من الأحاديث ما اتصل إسناده إلى النبي والآثار ما أثر عن النبي والمعتمدة المأخوذ بها لصحة أسانيدها وأنضي الرواح أي أهزل الإبل ولا منّ أي ولا فضل وأبغي أي أريد والأعطية واحدتها العطية وأستدعي أي أطلب وأدعو يقول لا أريد أن تعطوني وتنيلوني بل أن تدعوا لي بالخير والرحمة.

(2) اسألكم أي أطلب منكم وأستنزل سؤالكم أي أطلب نزول دعائكم لي وهو سؤال لأنهم يسألون الله العفو له والمتاب التوبة والإعداد أي التجهيز والتهيّؤ والمآب العودة يريد بذلك الموت فيه إلى الله الرجوع وقوله وهو الذي يقبل فآية قرآنية من سورة الشورى رقمها 25 وهي بتمامها: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾.

(3) أفرط في الشيء إذا غالى وتجاوز الحد واعتديت أي ظلمت نفسي والغي الضلالة والرواح الذهاب في المساء والغدو الذهاب في الصباح واغتراراً أي انخداعاً واختلت أي تكبرت واغتلت من غال الشيء إذا أخذه من غير حق وافتريت من افترى على الرجل إذا تقول كذباً عليه والصق به ما يشينه وهو براء وخلع العذار التحرر من كل رادع خلقي أو ديني وركضاً أي عدواً دون تردد وونى إذا تمهّل.

(4) تناهيت أي بلغت الغاية والتخطّي أي المشي وما انتهيت أي لم أرجع ولم أرتدع ونسياً أي منسياً=

قال الرّاوي: فطفِقَتِ الجَماعَةُ تُمِدّهُ بالدّعاء، وهوَ يقلّبُ وجْهَهُ في السّماء، إلى أن دمَعَتْ أجفانُهُ، وبَدا رَجفانُهُ، فصاحَ: اللهُ أكبرُ بانَتْ أمارَةُ الاستِجابَةِ، وانْجابَتْ غِشاوَةُ الاستِرابَةِ، فجُزيتُمْ يا أهلَ البُصَيْرَةِ، جَزاءَ منْ هدَى منَ الحَيرَةِ. فلمْ يبْقَ منَ القوْمِ إلا منْ سُرّ لسُرورِهِ[1]، ورضخَ لهُ بمَيْسورِهِ، فقَبِلَ عفوَ بِرّهِمْ، وأقبلَ يُغْرِقُ في شُكرِهِمْ، ثمّ انحدَرَ منَ الصّخرَةِ، يؤمّ شاطئَ البَصرَةِ، واعْتَقَبْتُهُ إلى حيثُ تخالَيْنا، وأمِنّا التّجسّسَ والتّحسّسَ علَيْنا. فقلْتُ لهُ: لقدْ أغْرَبْتَ في هذِهِ النّوبَةِ، فما رأيُكَ في التّوبَةِ؟ فقال: أُقسِمُ بعَلاّمِ الخَفيّاتِ، وغَفّارِ الخطيّاتِ، إنّ شأني لَعُجابٌ ،وإنّ دُعاء قومِكَ لَمُجابٌ. فقلتُ: زِدْني إفْصاحاً[2] ،زادَكَ اللهُ صَلاحاً! فقال: وأبيكَ لقدْ قُمتُ

= ولم أجن أي لم أرتكب وربما لم أحصد وأقطف وجنيت قد تكون من الجناية أو من الجني والمساعي والواحدة مسعاة وهي السعي وهي ما سعى فيه من الأمكنة.

(1) طفقت أي أخذت وتمدّه أي تصل دعاءها بدعائه ورجفانه أي ارتعاده واضطرابه وأمارة الشيء علامته والاستجابة أي القبول وانجابت أي انزاحت والغشاوة الغطاء والاسترابة أي الشك والريب وجزيتم أي كوفئتم وهدى أي ارشد والبصيرة تصغير البصرة تحبّباً والحيرة التحيّر وسرّ أي فرح والسرور الفرح والابتهاج.

(2) رضخ له أي اعطاه قليلاً والميسور ما تيسّر وما يأتي عفواً يأتي من غير مسألة والبرّ العطاء وعفو برهم أي فضل إحسانهم ويهرف أي يقول ويكثر القول ويطنب في شكرهم وانحدر أي نزل ويؤم أي يقصد واعتقبته أي تبعته وسرت خلفه وتخالينا أي أصبحنا في خلوة والتجسس والتحسس: التحسس بالحاء المهملة: طلب الشيء بالحاسة. والتجسس بالجيم مثله. وقيل: التجسس - بالجيم - البحث عن عورات النساء. وبالحاء الاستماع إلى حديث القوم، ويروى أن ابن عباس سئل عن الفرق بينهما فقال: لا يبعد أحدهما عن الآخر: التحسس في الخير، والتجسس في الشر. قلت: ويؤيده قوله تعالى حكاية عن يعقوب: «يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف» بالحاء على القراءة المشهورة، فإنه كان متوقعاً لان يأتيه الخبر بسلامة يوسف. وقوله سبحانه: «ولا تجسسوا» - بالجيم - فإن المنهي عنه البحث عن معائب الناس وأسرارهم التي لا يرضون بإفشائها واطلاع الغير عليها. وفي تاج العروس: «وقيل: التَّجَسُّسُ أن يَطْلُبَه لغَيْرِهِ، والتَّحَسُّسُ أن يَطْلُبَه لنَفْسِه . وقيل: التَّجَسُّسُ :البَحْثُ عن العَوْراتِ، والتَّحَسُّسُ: الاسْتِماعُ. وقيل: مَعْناهُما واحِدٌ في تَطَلُّبِ مَعْرِفَةِ الأخْبارِ. وتحسس فلانًا: بَحَثَ عنه. «عن اللِّحيانيّ» والجاسّةُ :الحاسّةُ من الحَوَاسّ الخَمْس». وأغرب إذا جاء بالغريب والنوبة المرّة والخفيات أي الأسرار المخفية يقسم بالله وعجاب أي عجيب ومجاب أي مستجاب وإيضاحاً وفي رواية إفصاحاً أي بياناً.

فيهِمْ مَقامَ المُريبِ الخادِعِ، ثمّ انقلَبْتُ منهُمْ بقَلْبِ المُنيبِ الخاشِعِ! فطوبى لمَنْ صغَتْ قُلوبُهُمْ إليْهِ، وويْلٌ لمَنْ باتوا يدْعونَ عليْهِ! ثمّ ودّعَني وانطلَقَ، وأوْدَعَني القلَقَ. فلمْ أزَلْ أعاني لأجْلِهِ الفِكَرَ، وأتشوّفُ إلى خِبرَةِ ما ذكَرَ. وكلّما استَنْشَيْتُ خبرَهُ منَ الرُّكْبانِ، وجَوّابَةِ البُلْدانِ، كُنتُ كمَنْ حاوَرَ عجْماء[1]، أو نادَى صخْرَةً صمّاء. إلى أن لَقيتُ بعْدَ تَراخي الأمَدِ، وتَراقي الكَمَدِ، رَكْباً قافِلينَ منْ سفَرٍ، فقلتُ: هلْ منْ مُغرِّبَةِ خبَرٍ؟ فقالوا: إنّ عندَنا لخَبراً أغرَبَ منَ العَنْقاء، وأعْجَبَ منْ نظَرِ الزّرْقاء! فسألْتُهُمْ إيضاحَ ما قالوا، وأنْ يَكيلوا بما اكْتالوا، فحَكَوْا أنهمْ ألمّوا بسَروجَ، بعْدَ أنْ فارقَها العُلوجُ[2]، فرأوْا أبا زيْدِها المعْروفَ، قد لبِسَ الصّوفَ، وأمَّ الصّفوفَ، وصارَ بها الزّاهِدُ الموصوفَ! فقلتُ: أتعْنونَ ذا المَقاماتِ؟ فقالوا: إنهُ الآنَ ذو الكَراماتِ! فحفَزَني إليْهِ النّزاعُ، ورأيتُها فُرصَةً لا تُضاعُ. فارْتَحلْتُ رِحلَةَ المُعِدّ، وسِرْتُ نحوَهُ سيرَ المُجِدّ، حتى حلَلْتُ بمسْجِدِهِ، وقرارَةِ متعبّدِهِ، فإذا هوَ قد نبَذَ صُحبَةَ أصْحابِهِ، وانتصَبَ في مِحْرابِهِ، وهو ذو عَباءةٍ مخلولَةٍ، وشمْلَةٍ موصولَةٍ، فهِبْتُهُ مَهابَةَ منْ ولَجَ على الأسودِ[3]، وألْفَيْتُهُ ممّنْ سِيماهُمْ في وُجوهِهِمْ منْ أثَرِ

(1) المريب أي صاحب الريبة والخادع أي الماكر وانقلبت أي انصرفت والمنيب أي التائب الخاضع وصغت قلوبهم أي مالت وفي سورة التحريم الآية 4: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ وأودعني أي ائتمني وترك عندي وأعاني أي أقاسي وأتشوّف أي أتطلّع وأشتاق وخبرة ما ذكر أي امتحان ما قاله وما جرى له واستنشيت أي شممت والركبان المسافرون والجوابة من يجوبون البلاد وحاور خاطب وحادث والعجماء.

(2) تراخي الأمد أي طول المدة وتراقي الكمد أي ارتفاع الحزن والركب المسافرون وقافلون أي راجعون وقوله هل من مغربة الخ مثل عربي وفي المحب والمحبوب والمشموم: «وتقول العرب هل من مُغرِّبةِ خبَرٍ؟ أي خبر جاء من مكان بعيد». وأغرب أي أعجب وأكثر غرابة والعنقاء طائر خرافي والزرقاء امرأة يمنية اشتهرت بقوة نظرها حتى أنها حذرت قومها من عدو جاء مستظلاً بالشجر فلم يأخذوا بقولها فداهمهم العدو وقتلها وحكاية اليمامة استخدمها شكسبير في إحدى مسرحياته ويكيلوا بما اكتالوا أي يخبروا كما سمعوا وألمّ بالمكان إذا زاره وفارقها أي غادرها والعلوج لفظ يدل على الروم.

(3) الصوف كان لباس الزهاد وأمّ الصفوف إذا أدّى دور الإمام في الصلاة وأتعنون أي أتقصدون =

السّجودِ. ولمّا فرَغَ منْ سُبْحتِهِ، حيّاني بمُسبِّحَتِهِ. منْ غيرِ أن نغَمَ بحديثٍ، ولا استَخْبرَ عنْ قديمٍ ولا حَديثٍ. ثمّ أقْبلَ على أوْرادِهِ، وترَكَني أعجَبُ منِ اجتِهادِهِ، وأغبِطُ مَنْ يَهدي اللهُ منْ عِبادِهِ! ولمْ يزَلْ في قُنوتٍ وخُشوعٍ، وسُجودٍ ورُكوعٍ، وإخْباتٍ وخُضوعٍ، إلى أن أكْملَ إقامَةَ الخمْسِ، وصارَ اليومُ أمْسِ(1). فحينئذٍ انْكفأ بي إلى بيتِهِ، وأسْهَمَني في قُرْصِهِ وزَيْتِهِ. ثمّ نهضَ إلى مُصلاّهُ. وتخلّى بمُناجاةِ موْلاهُ. حتى إذا التمَعَ الفجرُ، وحقّ للمُتهَجِّدِ الأجْرُ، عقّبَ تهجّدَهُ بالتّسْبيحِ، ثمّ اضطَجَعَ ضِجْعَةَ المُستريحِ، وجعلَ يرجّعُ بصوْتٍ فَصيحٍ(2):

خَــلِّ ادّكــارَ الأرْبُــعِ والــمَــعْــهَــدِ الــمُــرتَــبَــعِ
والــظّــاعِــنِ الــمــودّعِ وعَــــدِّ عَــنْــهُ ودَعِ
وانْــدُبْ زَمــانــاً ســلَــفــا ســوّدْتَ فــيــهِ الــصُّــحُــفــا

= وحفزني أي دفعني وبعثني والنزاع أي الشوق والمعدّ أي الكامل العدّة والمجد أي المجتهد وحللت أي نزلت وقرارة متعبّده أي موضع عبادته ونبذ أي أهمل واطّرح وانتصب إذا قام واقفاً والانتصاب في المحراب وهو موضع القبلة في المسجد يعني تفرّغه للصلاة والعباءة الكساء المعروف والمخلولة أي بالية مشدودة بالخلال ما يثقب به وينفذ والشملة الكساء يشتمل به والموصولة أي المرقّعة وهبته أي خفته وولج أي دخل.

(1) ألفيته أي وجدته وقوله سيماهم الخ عبارة قرآنية من الآية 29 في سورة الفتح: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ والسبحة عقد من خرز يستخدمها الزهاد لتسبيح الله وقد يكون المراد الدعاء والورد والمسبّحة إصبع السبّابة ونغم أي نطق وتفوّه واستخبر عن الشيء أي سأل عنه والأوراد واحدها ورد وهو النصيب من القرآن أو الذاكر يواظب عليه المتعبّد كل ليلة وأعجب أي أتعجّب وأغبط تمنى نعمة الآخر لنفسه دون أن يتمنّى زوالها عن الآخر والقنوت الدعاء والعبادة والطاعة وللقنوت في القرآن معان منها الطاعة كما في سورة البقرة 166 والروم 26: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ وتعني الصلاة كما في آل عمران الآية 43: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِي وَٱرْكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ والسكوت في الصلاة كما في سورة البقرة الآية 238: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ والإخبات التذلل والخمس الصلوات المفروضة.

(2) انكفأ بي أي انقلب وهنا بمعنى ذهب وأسهمني أي جعل لي سهماً أي حصة والقرص الرغيف والقرص والزيت طعام الزاهد والمتهجّد الساهر متعبّداً وفي سورة الإسراء الآية 79: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ التهجد النوم بالليل والصلاة فيه بعد نوم فهو من الأضداد.

ولَمْ تزَلْ مُعتكِفا ... على القبيحِ الشّنِعِ
كمْ ليلَةٍ أودَعْتَها ... مآثِماً أبْدَعْتَها
لشَهوَةٍ أطَعْتَها ... في مرْقَدٍ ومَضْجَعِ(1)
وكمْ خُطًى حثَثْتَها ... في خِزْيَةٍ أحْدَثْتَها
وتوْبَةٍ نكَثْتَها ... لمَلْعَبٍ ومرْتَعِ
وكمْ تجرّأتَ على ... ربّ السّمَواتِ العُلى
ولمْ تُراقِبْهُ ولا ... صدَقْتَ في ما تدّعي
وكمْ غمَصْتَ بِرّهُ ... وكمْ أمِنْتَ مكْرَهُ
وكمْ نبَذْتَ أمرَهُ ... نبْذَ الحِذا المرقَّعِ(2)
وكمْ ركَضْتَ في اللّعِبْ ... وفُهْتَ عمْداً بالكَذِبْ
ولمْ تُراعِ ما يجِبْ ... منْ عهْدِهِ المتّبَعِ
فالْبَسْ شِعارَ النّدمِ ... واسكُبْ شآبيبَ الدّمِ
قبلَ زَوالِ القدَمِ ... وقبلَ سوءِ المصْرَعِ(3)

---

(1) الادّكار التذكر والأربع المنازل والمعهد المكان تتعهد فيه شيئاً أو أمراً والمرتبع الذي تقيم فيه في الربيع والظاعن المسافر والمودّع الذي يودّعك وعدّ عنه فهو أمر بمعنى تجاوز ذلك ودع فعل أمر بمعنى اترك واندب أي ابك وتحسّر وزماناً سلف أي مضى وفات وسوّدت فيه الصحف أي جعلتها سوداء بمخازيك والصحف ما يكتبه الملكان من أعمالك كل يوم والمعتكف المواظب الملازم والقبيح والشنع معناهما واحد والمآثم أي الآثام وأبدعتها إذا فعلتها وسبقت غيرك بها فهي بلا مثيل والمرقد والمضجع معناهما واحد.

(2) الخطى واحدتها خطوة وحثثتها أي سارعت فيها والخزية العمل القبيح المعيب ونكث إذا لم يف بما وعد به وتجرّأ أي تجاسر وأقدم غير هيّاب ولا وجل ومراقبة الله أي لم تخشه وتدّعي أي تزعم وغمص النعمة وغمطها لم يقم بحقها ولم يشكرها وكفرها ونبذت أي أهملت وطرحت والحذا ما يلبس في القدمين يقول نبذت أوامر الله كمداس عتيق خلق.

(3) فهت أي نطقت وتراعي أي تلتفت أو تحفظ والعهد المتّبع أي ما أوصى به وعاهد الخلق عليه والشعار ما يلي الجسد من لباس والشآبيب واحدتها شؤبوب أي الدفعة من المطر والمصرع الموت.

واخــضَــعْ خُـضــوعَ الــمُــعــتــرِفْ ... ولُــذْ مَــلاذَ الــمُــقــتــرِفْ
واعْــصِ هَــواكَ وانــحَــرِفْ ... عــنْــهُ انــحِــرافَ الــمُــقْــلِــعِ
إلامَ تــســهــو وتَــنــي ... ومُــعــظَــمُ الــعُــمــرِ فَــنــي
فــي مــا يــضُــرّ الــمُــقْــتَــنــي ... ولــسْــتَ بــالــمُــرْتَــدِعِ
أمَــا تــرَى الــشّــيــبَ وخَــطْ ... وخَــطّ فــي الــرّأسِ خِــطَــطْ
ومَــنْ يــلُــحْ وخْــطُ الــشّــمَــطْ ... بــفَــودِهِ فــقــدْ نُــعــي[1]
ويْــحَــكِ يــا نــفــسِ احْــرِصــي ... عــلــى ارْتِــيــادِ الــمَــخْــلَــصِ
وطــاوِعــي وأخْــلِــصــي ... واسْــتَــمِــعــي الــنُّــصْــحَ وعــي
واعــتَــبِــري بــمَــنْ مــضــى ... مــن الــقُــرونِ وانْــقَــضــى
واخْــشَــيْ مُــفــاجــاةَ الــقَــضــا ... وحــاذِري أنْ تُــخْــدَعــي
وانــتَــهِــجــي سُــبْــلَ الــهُــدى ... وادّكِــري وشْــكَ الــرّدى
وأنّ مــثْــواكِ غــدا ... فــي قــعْــرِ لــحْــدٍ بــلْــقَــعِ[2]
آهــاً لــهُ بــيْــتِ الــبِــلَــى ... والــمــنــزِلِ الــقــفْــرِ الــخَــلا
ومــوْرِدِ الــسّــفْــرِ الأُلــى ... والــلاّحِــقِ الــمُــتّــبِــعِ

---

(1) لذ أي إلجأ والمقترف المرتكب والجاني وانحرف أي مال وجانب والمقلع من أقلع عن الشيء إذا تركه ولم يعد إليه وتسهو أي تخطئ وتني أي تتوانى وتفتر وفني أي زال واضمحل والمقتني من اقتنى الشيء إذا حازه وارتدع إذا انتهى وانزجر يقول لقد فني العمر وأنت تحوز ما يضرك ولا تكف عما أنت منغمس فيه ووخط الشيب إذا خالط سواد الشعر وفشا فيه وخطّ أي كتب والخطط الطرائق ويلح من لاح إذا ظهر وبان والشمط اختلاط الشعر الأبيض منه بالأسود والفود جانب الرأس ونعي أي أبلغ بموته.

(2) المخلص الخلاص والمنجى وعي فعل أمر من وعى أي فهم وفقه واعتبري أي اتعظي واتخذي عبرة والقرون الأمم الماضية والقضا القدر إذا قضي وتمّ يعني بذلك مباغتة الموت وانتهجي أي خذي نهجاً أي اسلكي وسبل الهدى أي دروب الهداية والرشاد وادّكري أي تذكّري ووشك الشيء قربه الشديد والردى المنية أو الموت والمثوى مكان الإقامة وقعر الشيء أسفله واللحد القبر والبلقع الخالي.

بيتٌ يُرَى مَنْ أُودِعَهْ ... قد ضمّهُ واسْتُودِعَهْ
بعْدَ الفَضاء والسّعَهْ ... قِيدَ ثَلاثِ أذْرُعِ[1]
لا فرْقَ أنْ يحُلّهُ ... داهِيَةٌ أو أبْلَهُ
أو مُعْسِرٌ أو مَنْ لهُ ... مُلْكٌ كمُلْكِ تُبّعِ
وبعْدَهُ العَرْضُ الذي ... يحْوي الحَييَّ والبَذي
والمُبْتَدي والمُحتَذي ... ومَنْ رعى ومَنْ رُعي
فَيا مَفازَ المتّقي ... ورِبْحَ عبْدٍ قد وُقي
سوءَ الحِسابِ الموبِقِ ... وهَوْلَ يومِ الفَزَعِ[2]
ويا خَسارَ مَنْ بغَى ... ومَنْ تعدّى وطَغى
وشَبّ نيرانَ الوَغى ... لمَطْعَمٍ أو مطْمَعِ
يا مَنْ عليْهِ المتّكَلْ ... قدْ زادَ ما بي مَنْ وجَلْ
لِما اجتَرَحْتُ من زلَلْ ... في عُمْري المُضَيَّعِ
فاغْفِرْ لعَبْدٍ مُجتَرِمْ ... وارْحَمْ بُكاهُ المُنسجِمْ
فأنتَ أوْلى مَنْ رَحِمْ ... وخيْرُ مَدْعُوٍّ دُعِي[3]

---

(1) آهاً لفظ توجّع وبيت البلى أي بيت الفناء أي القبر والسفر المسافرون والألى أي الذين سبقوا واللاحق من يلي والمتبع من اتبع وأُودِعَ في المكان إذا وضع فيه وضمّه أي حواه واستودعه أي صار مودعاً فيه والسعة الفسحة وقيد أي بقدر والذراع مقياس للطول يختلف باختلاف البلدان بين خمسين وسبعين سنتيمتراً.

(2) الداهية الكثير الدهاء والنكر والحاذق المجرّب والأبله المغفل والمعسر من الفقير وتبّع هو تبّع الأكبر أحد ملوك حمير وقد ورد ذكره في سورة الدخان الآية 37 وق الآية 14 والعرض هو عرض الناس للحساب يوم يقفون بين يدي ربهم والحيي الخجول والبذي السفيه الداعر الكلام والمبتدي من ابتدأ الفعل والمحتذي من تأثر أثره وحاكاه ورعى ورُعي أي حفِظ وحُفِظ والمفاز الخلاص والفوز ووقي من وقى إذا حمى وصان والموبق أي المهلك ويوم الفزع هو يوم القيامة.

(3) والخسار الخسارة وبغى أي ظلم وجار وطغى إذا تجاوز الحد في الجور والظلم وشبّ أي أسعر وألهب والوغى الحرب والمطعم هو المأكول والمطمع ما يُطمع به بعامّة والمتكل الاتكال =

قال الحارثُ بنُ همّامٍ:

فلمْ يزَلْ يرَدّدُها بصوتٍ رقيقٍ، ويصِلُها بزَفيرٍ وشَهيقٍ. حتى بكيتُ لبُكاء عينيهِ، كَما كُنتُ منْ قبلُ أبكي عليْهِ. ثمّ برزَ إلى مسجِدِهِ، بوُضوءِ تهجّدِهِ. فانطلَقْتُ رِدْفَهُ، وصلّيتُ مع مَنْ صلّى خلفهُ[1]، ولمّا انفَضّ مَنْ حضَرَ، وتفرّقوا شغَرَ بغَرَ، أخذَ يُهَيْنِمُ بدَرْسِهِ، ويسْبِكُ يومَهُ في قالِبِ أمْسِهِ، وفي ضِمْنِ ذلِكَ يُرِنّ إرْنانَ الرَّقوبِ، ويبْكي ولا بُكاءَ يعْقوبَ. حتى استَبَنْتُ أنهُ التحقَ بالأفْرادِ، وأُشرِبَ قلبُهُ هوى الانْفِرادِ، فأخطَرْتُ بقَلْبي عَزْمَةَ الارتِحالِ، وتخْلِيَتَهُ والتّخلّي بتِلْكَ الحالِ، فكأنهُ تفرّسَ ما نويْتُ، أو كوشِفَ بما أخْفَيْتُ، فزفَرَ زَفيرَ الأوّاهِ. ثمّ قرأ[2]: فإذا عزَمْتَ فتوكّلْ على اللهِ. فأسْجَلْتُ عندَ ذلِكَ بصِدْقِ المُحدّثينَ، وأيقَنْتُ أنّ في الأمّةِ محَدّثينَ[3]. ثمّ

= يخاطب الله ويقول قد زاد خوفي وهو الوجل واجترحت أي اقترفت والزلل الخطأ والإثم والواحدة زلّة والمضيّع ما ضاع بلا جدوى ولا فائدة والمجترم الذي ثبُت جرمه أي جنايته والمنسجم أي المنسكب والمدعو هو من يُدْعى وهو الله.

(1) الزفير والشهيق حركتا التنفس إلى خارج وإلى داخل وتهجّده أي تعبّده يريد أنه لم يحتج إلى الوضوء وأن عبادته متصلة وردفه أي خلفه وقوله صليت الخ يريد ان السروجي قد أمّهم في الصلاة.

(2) انفضّ أي تفرقوا فلم يبق منهم أحد وشغر بغر أي في كل طريق وإلى كل جهة والهينمة الدعاء إلى الله والصوت الخفي ويسبك أي يصوغ ويفرغ يريد أنه يفعل اليوم ما فعل أمس من التعبّد ويرنّ أي يصوّت بصوت فيه غنّة والرقوب المرأة لا يعيش لها ولد ويعقوب أبو الأسباط كما تقدّم وكان يبكي على ابنه يوسف وخبرذلك مبسوط في سورة يوسف واستبنت أي تحققت وتبيّنت والتحق إذا انضم وانخرط والأفراد سبعة من العباد لا تخلو الدنيا منهم فإذا مات واحد خلفه آخر وأشرب الشيء إذا خولط به وغلب عليه والانفراد الوحدة والعزلة واخطرت أي أجريت في خاطري والعزمة النية والارتحال السفر والرحيل وتخليته أي تركه وتفرّس إذا علم بالفراسة الأمر ونويت أي أضمرت وكوشف أي كُشف له فاطلّع على الأمر وزفر أي تنفّس والأوّاه الحزين الذي لاينفك يقول آه آه وفي سورة هود الآية 75: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾.

(3) وقوله فإذا عزمت الخ فمصدرها الآية 159 من سورة آل عمران وهي بتمامها: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وأسجلت أي سجّلت وتحقق عندي والمحدّثين الذين حدّثوه بأمر السروجي وتوبته وأيقنت أي تأكدت ومحدّثين أي جماعة كشف عنهم الغطاء فحدّثوا بالمغيّبات.

دنَوْتُ إليْهِ كما يدْنو المُصافِحُ، وقلتُ: أوْصِني أيها العبْدُ النّاصِحُ، فقال: اجعَلِ الموتَ نُصْبَ عينِكَ، وهذا فِراقُ بيني وبينِكَ، فودّعْتُهُ وعبَراتي يتحدّرْنَ منَ المآقي، وزَفَراتي يتصَعّدْنَ منَ التّراقي، وكانتْ هذِهِ خاتِمَةَ التّلاقي[1].

(1) ودنوت أي اقتربت والمصافح الذي يسلم بوضع كفه في كف الآخر والناصح الصادق الأمين فيما يقول ونصب الشيء أي قبالته وقوله هذا فراق الخ فمصدرها سورة الكهف الآية 78 وهي بتمامها: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ وعبراتي واحدتها عبرة وهي الدمعة ويتحدّرن أي يتساقطن ويتصعّدن أي يرتفعن والتراقي واحدتها ترقوة والترقوتان عظمان معوجان في أعلى الصدر وخاتمة التلاقي أي آخر لقاء.

خاتمة

قال الشيخُ الرّئيسُ أبو محمّدٍ القاسِمُ بنُ عليّ برّدَ اللهُ مَضْجَعَهُ:

هذا آخِرُ المَقاماتِ التي أنشأتُها بالاغْتِرارِ، وأملَيْتُها بلِسانِ الاضْطِرارِ. وقدْ أُلجِئْتُ إلى أن أرصَدْتُها للاستِعْراضِ، ونادَيْتُ عليْها في سوقِ الاعْتِراضِ. هذا معَ معرِفَتي بأنها منْ سقَطِ المَتاعِ، وممّا يستَوجِبُ أنْ يُباعَ ولا يُبْتاعَ. ولوْ غشِيَني نورُ التّوفيقِ، ونظرْتُ لنفْسي نظرَ الشّفيقِ؛ لسَترْتُ عَواري الذي لمْ يزَلْ مسْتوراً، ولكِنْ كانَ ذلِكَ في الكِتابِ مسْطوراً[1]. وأنا أستَغْفِرُ اللهَ تعالَى ممّا أودَعْتُها منْ أباطيلِ اللّغْوِ، وأضاليلِ اللّهْوِ. وأسترْشِدُهُ إلى ما يعْصِمُ منَ السّهْوِ، ويُحْظي بالعَفْوِ. إنهُ هوَ أهلُ التّقْوى وأهلُ المَغفِرَةِ، ووليُّ الخيْراتِ في الدُنْيا والآخِرَةِ[2].

(1) مضجعه أي مرقده وهي هنا لحده والاغترار الجهل وأمليتها من أملى الكلام قاله وألقاه لمن يكتبه وألجئت أي اضطررت وارصد الشيء إذا أعدّه والاستعراض ان يعرض الشيء على الخلق حتى يروه وسقط المتاع ما لاقيمة له من المتاع وغشيني أي دخل عليّ وهنا بمعنى أضاء لي والتوفيق الفلاح وسترت أي أخفيت وغطّيت وعواري أي عيبي وقوله ولكن كان ذلك الخ فعبارة مصدرها سورة الإسراء الآية 58: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ أو سورة الأحزاب الآية 6 يريد ان ذلك كان امراً مكتوباً أي مقدّراً.

(2) واللغو سقط الكلام والأضاليل واحدتها أضلولة وهي ما يضلّ وأسترشده أي أطلب هدايته ويعصم أي يقي ويحفظ والسهو الخطأ ويحظي أي يُنال وقوله إنه أهل الخ فعبارة مصدرها سورة المدثر الآية 56: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ وولي الشيء كفيله وضامنه.

نثبت فيما يلي، استكمالاً للفائدة، رسالتين للحريري تليهما رسالة ردّ فيها اللغوي ابن بري على اللغوي ابن الخشاب الذي نقد على الحريري واشتط وغالى في نقده كما سيتّضح للقارئ.

الرسالة السينية

كتبها على لسان بعض أصدقائه، يعاتب صديقاً له، أخل به في دعوة دعا غيره إليها، وكتب عليها: القاسم سليل أبي الحسن:

بسم السميع القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجح؛ سيرة سيدنا الاسْفِهْسَلاَر[1] السيد النفيس، سيد الرؤساء، سيف السلطان، حُرست نفسه، واستنارت شمسه، وبسق غرسه، واتسق أنسه، استمالة الجليس، ومساهمة الأنيس، ومساعدة الكسير والسليب ومؤاساة السحيق والنسيب[2]. والسيادة تستدعي استدامة السنن، والاستحفاظ بالرسم الحسن، وسمعت بالأمس؛ تدارس الألسن سلاسة خندريسه، وسلسال كؤوسه، ومحاسن مجلس مسرته، وإحسان مسمع سيادته، فاستسلفت السراء، وتوسمت الاستدعاء، وسوفت نفسي بالاحتساء، ومؤانسة الجلساء، وجلست أستقري السبل، وأستشرف الرسل، وأستطرف تناسي اسمي، وأسامر الوسواس لاستحالة رسمي[3].

وسَيفُ السَّلاطينِ مُسْتأثِرٌ   بأُنسِ السَّماعِ وحَسْوِ الكؤوسِ

(1) يقول باسم الله أطلب فتح ما استغلق والنجاح والإسفهسلار لفظ معرّب ويعني قائد الجيوش.

(2) حرست نفسه دعاء له أن يحفظه الله من كل سوء واستنارت أي أضاءت والمراد السعد له وأن تعم فائدته على الخلق كما نور الشمس يعمهم جميعاً واتسق أي استوى واستقام وبسق الغصن إذا نما وارتفع وفي سورة ق الآية 10: ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ يدعو له ولأولاده بالعمر والاستمالة الاستعطاف والجليس من يجالسك والكسير العاجز والسليب الفقير الذي سلب متاعه وماله والسحيق أي البعيد والنسيب أي القريب يقول إن سيرة السيد القائد تستعطف القلوب وتؤنس الكل وتساعد الفقير المعدم وتواسي القريب والبعيد.

(3) تستدعي أي يلزمها واستدامة الشيء المحافظة عليه والسنن واحدتها سنّة وهي الطريقة والسلافة =

سَلانِي وليس لباسُ السُّلُوِّ يناسبُ حُسنَ سِماتِ النَّفِيسِ
وسَنَّ تناسيَ جُلاّسِه وَأَسْوَا السَّجايا تَناسِي الجليسِ
وسَرَّ حسودي بطمس الرُّسُوم وطمسُ الرُّسُومِ كرَمْسِ النُّفوسِ[1]
وَأسكرني حسرةً واستعاضَ لِقسوته سَكرةَ الخَنْدَرِيسِ
وساقى الحُسامَ بكأس السُّلافِ وَأسْهَمَني بعُبوسٍ وبُوسِ
ساكسوهُ لِبْسَةَ مُسْتَعْتِبٍ وَالبَسُ سِربالَ سالٍ يَؤُوسِ
وَأسطُرُ سِيناتِه سِيرةً تَسيرُ أساطيرُها كالبَسُوسِ[2]

وحسبنا السلام وسلامه على رسول الإسلام.

= والخندريس من أسماء الخمر على أن السلافة هنا بمعنى المذاق والطعم والسلسال السهل التعاطي والمراد بذلك الخندريس واستسلفت السراء يعني تقدّمت اطلب السرور وتوسمت أي تخيّلت والاستدعاء أي الدعوة وسوّفت أي مطلت والاحتساء الشرب وأستقري أي أراقب وأتتبع والسبل واحدها سبيل أي الطريق وأستطلع أي أرقب طلوع الرسل أي من أرسلهم القائد لدعوته وأستطرف وفي رواية أستبعد ولكن أميل إلى الأولى بسبب ما يليها من لفظ يوافق السجعة. أقول أستطرف أي أجد طريفاً والتناسي تكلّف النسيان أي التغافل وأسامر الوسواس يريد أنه ينفق الليل قلقاً واستحالة الرسم أي تحوله وتغيّره.

(1) استأثر بالشيء إذا استبدّ به وخص به نفسه وسلاني أي جفاني والسجايا الشيم والخصال وطمس الرسوم أي محو العادات والمتعارف عليه ورمس النفوس دفنتها يقول إن القائد اختص نفسه بالطرب والشراب وجفاني وليس هجر الصاحب مما يوائم صفاته ولقد جعل من تناسي جلاّسه سنّة أي طريقة ومذهباً وهي أسوأ طريقة ولقد فرح حسادي بمحو رتبتي عنده ومحو الرتبة موت كموت النفس.

(2) ساقى أي سقى وشرب والحسام اسم الشخص الذي دعي من دونه وأسهمني أي جعل سهمي وحصتي والعبوس التقطيب والبوس أي البؤس يقول ولقد عاطى الحسام الشراب وجعل نصيبي التقطيب والضيق فسكرت حزناً وحسرة وكان سكري بذاك أقسى من السكر الناتج عن الخمر. والمستعتب من يعتب وأسال السائل واليؤوس أي القانط وفي رواية وأمسك إمساك سال يؤوس وإذا كانت الأولى فيكون المعنى سألبسه عتابي وألبس ثوب السائل اليائس وإلا يكون وأمسك أي أكف وأمتنع كما يفعل السائل اليائس وأسطر أي أكتب وأخط والبسوس امرأة نشبت بسببها حرب حملت اسمها وطالت أربعين عاماً وضرب بها المثل بالشهرة والشؤم.

الرسالة الشينية

كتبها إلى أبي محمد طلحة بن النعماني الشاعر، لما قصد البصرة يمدحه ويشكره ويتأسى على فراقه:

بإرشاد المنشئ أنشئ؛ شغفي بالشيخ شمس الشعراء ريش معاشه وفشا رياشه، وأشرق شهابه، واعشوشبت شعابه، شغف المنتشي بالنشوة، والمرتشي بالرشوة، والشادن بشرخ الشباب، والعطشان بشبم الشراب[1]. وشكري لتجشمه ومشقته، وشواهد شفقته، يشاكل شكر الناشد للمنشد، والمسترشد للمرشد، والمستشعر للمبشر، والمستجيش للجيش المشمر. وشعاري إنشاد شعره، وإشجاء الكاشح والمكاشر بنشره[2]. وشغلي إشاعة وشائعه، وتشييد شفائعه، والإشادة بشذوره وشنوفه، والمشورة بتشفيعه وتشريفه. وأشهد شهادة المشنع المكاشف، والمنشر الكاشف، لإنشاؤه يدهش الشائب والناشي، ويلاشي شعر الناشي ولمَشاهدته كاشتيار الشهد، وتباشير الرشد،

---

(1) الإرشاد هو الهداية والإنشاء الخلق والإيجاد والبناء والشغف شدة الحب وريش من راش فلاناً إذا اعانه وقوّاه وفشا الأمر إذا ذاع والرياش اللباس الفاخر يشبه ريش الطير والشعاب واحدتها شعب وهي الناحية والعبارة دعاء له بالخصب والنماء ويشاكل أي يشبه والمنتشي السكران والمرتشي من يأخذ رشوة أي مالاً أو ما شاكل لإبطال حق أو إحقاق باطل والرشوة واحدة الرشى وهي المبلغ الذي يرتشى به المرء والشادن الظبي الصغير وشرخ الشباب ريعانه وأوجه والشبم البرد وهو أمر مستحسن في الشراب عند العرب.

(2) تجشّم الشيء تكلّفه والشواهد واحدها شاهد وهو الدليل والبرهان والشفقة الرحمة ويشاكل أي يضارع ويشابه والناشد من نشد إذا طلب والمنشد الذي يعطي الناشد حاجته والمستشعر الخائف المتوجّس والمستجيش من استجاش فلاناً إذا استثاره وطلب مدّه بالجيش والمشمّر المستعد وإشجاء من أشجى إذا أحزن والكاشح من يسرّ العداوة ويضمرها والمكاشر من يجهر بالعداوة ويبديها ونشره من نشر الكلام إذا أذاعه يريد أنه يترنم بذلك الشعر الجيد فيحزن مضمر العداوة ومبديها على السواء.

ولمشاحنته تشقي المشاحن، ولَمشاجرته تنشر المشاين، ولمشاغبته تشظي الأشطان، وتشيط الشيطان، فشرفاً للشيخ شرفاً، وشغفاً بشنشنته شغفاً[1].

فـأشـعـارُه مـشـهـورةٌ ومَـشـاعِـرُهْ   وعِـشـرتُـه مـشـكـورةٌ وعـشـائـرُهْ
شَـأى الـشُّـعَـراءَ الـمُـشْـمَـعِلّـينَ شعـرُهُ   فـشـانـيـهِ مَـشْـجُوُّ الـحَـشـا ومُـشـاغِـرُهْ
وشـوَّهَ تـرقـيـشَ الـمُـرَقِّـشِ شـعـرهُ   فـأشـيـاعُـه يـشـكـونَـهُ ومَـعـاشِـرُهْ[2]
وشـاقَ الـشَّـبـابَ الـشُّـمَّ والـشِّـيـبَ وَشْـيَـهُ   فـمـنـشـورُهُ بُـشـرى الـمَـشُـوقِ ونـاشـرُهْ
شَـمـائـلُـه مـعـشـوقـةٌ كـشَـمْـولـهِ   وشِـرّيـبُـهُ مـسـتـبـشـرٌ ومُـعـاشـرُهْ

(1) إشاعة الشيء إذاعته ونشره والوشائع واحدتها الوشيعة وهي لفيفة من غزل، وتسمى القصبة التى يجعل النساج فيها لحمة الثوب للنسج وهي المكوك بلغة هذا الزمان والتوشيع: لف القطن بعد الندف. وكل لفيفة منه والوشيعة: الطريقة في البرد. ووشعه الشيب، أي علاه. وحكى أبو عبيد وشعت الجبل وشعاً، أي علوته. وتوشعت الغنم في الجبل، إذا ارتقت فيه ترعاه. وشيّد البناء إذا بناه ورفعه والشفائع واحدتها شفاعة وهي الطلب للغير والإشادة من أشاد إذا مدح وأطرى والشذور صغار اللؤلؤ والشنوف جمع شنف وهو ما يعلّق اعلى الأذن والقرط بأسفلها والناشي أي الشاب أو الفتى ويلاشي أي يزيل ويُذهب والناشي شاعر هو عبدالله بن محمد توفّي سنة 906 م وثمة الناشئ الأصغر وهو علي بن عبد الله بن وصيف الشاعر الشيعي ويلقب بالأصغر توفي سنة 975 م والاشتيار الجنى ويقال في العسل حين يؤخذ من مظانه والمشاحنة والمشاجرة الخصومة والعداء والمشاين أي المعايب والمشاغبة إثارة الشر وتشظي أي تفرّق والأشطان واحدها شطن وهي الحبال يقول عنترة في معلقته:

يـدعـون عـنـتـرَ والـرِّمـاحُ كـأنـهـا   أشـطـانُ بـئـرٍ فـي لـبـانِ الأدهـم

والشنشنة العادة والديدن.

(2) العشرة أي الصحبة والعشائر واحدتها عشيرة وهي القبيلة والمشكورة أي المحمودة وشأى أي سبق فاق غيره وشانيه معاديه ومن يعيب عليه والمشجو من الشجو أي الحزين ومشجو الحشا مغصوصه ومشاغره أي معاديه وشوّه أي قبّح والمرقش لا أدري أي المرقشين يعني فثمة المرقش الأكبر وهو عوف أو عمرو بن سعد بن مالك ابن ضبيعة من بني بكر بن وائل ومن المؤرخين من يسميه عمرو بن سعد وربيعة بن سعد شاعر جاهلي، من المتيمين الشجعان. عشق ابنة عم له اسمها «أسماء» وقال فيها شعراً كثيراً. وكان يحسن الكتابة. وشعره من الطبقة الأولى، ضاع أكثره. ولد باليمن، ونشأ بالعراق. توفي نحو 550 م وأما الآخر فالمرقش الأصغر وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك: شاعر جاهلي، من أهل نجد. كان أجمل الناس وجهاً ومن أحسنهم شعراً. وهو ابن أخي المرقش الأكبر، وعم طرفة بن العبد. أشهر شعره حائيته، ومن الأمثال: «أتيم من المرقش» يعنون الأصغر هذا. توفي نحو 570م.

شَكُورٌ ومشكورٌ وحَشْوُ مُشَاشِهِ شهامةُ شِمِّيرٍ يَطيشُ مُشاجِرُهْ
شَقاشِقُه مَخْشِيَّةٌ وشَباتُه شَبا مَشْرَفيٍّ جاشَ للشَّرّ شاهِرُهْ[1]
شفَى بالأناشيد النَّشاوَى وشَفَّهم فمُشفِيه مُشفىً وشاكِيهِ شاكِرُهْ
ويشدو فيهتشُّ الشَّحيحُ لشَدْوِه ويَشْغَفُهُ إنشاده فيُشاطِرُهْ
تجشَّمَ غِشيْاني فشرَّدَ وحشتي وبشَّرَ مَمْشاهُ ببِشرٍ أُباشِرُهْ
سأُنشِدِه شعراً تشرّقُ شمسُهُ وأشكُرُه شكراً تَشِيعُ بشائرُهْ[2]

وأشهد شهادَةَ شاهدِ الأشياء، ومُشبع الأحشاء ليُشْعِلَنَّ شواظ اشتياقي شحطه، وليشعشن شمل نشاطي نشطه. فناشدت الشيخ أيشعر باستيحاشي لشسوعه، وإجهاشي لتشييعه، ووشايتي لنشيده الموشّي ونشد شخصه بالإشراق والعشي؟ حاشاه، حاشاه تغشّيه شبهة وتغشاه، فليستشف شرح شجوني لشطونه، وليرشحني لمشاركة شجونه، وليشغلني بتمشية شؤونه، ليشد جاشي، ويشارف انكماشي. عاش منتعش الحشاشة، مستبشر البشاشة، مشحوذ الشفار، منتشر الشرار، شتاماً للأشرار، شحاذاً بالأشعار، يشرح ويجوش، فينعش المنقوش، بمشيئة الشديد البطش، الشامخ العرش، وتشريفه لبشير البشر، وشفيع المحشر[3].

---

(1) شاقه إذا هاجه إلى المحبوب والأشم المرتفع قصبة الأنف أنفة وهو أيضاً السيد الأبي الكريم يقول إن وشيه أي ما رقّش من شعره شاق الشيب والشبان وما نُشر منه بمثابة البشرى لمن يشتاقه ولمن يذيعه وينشره والشمائل الخصال والشمول من أسماء الخمر والشرّيب من يشرب معك والمعاشر صاحبك ومن يعاشرك وحشو مشاشه أي ملء نفسه والشمّير الذي يكثر التشمير كناية عن استعداده الدائم ويطيش أي يخذل ومشاجره أي مخاصمه والشقاشق واحدتها الشقشقة وهي شيء يخرج من فم البعير إذا هاج ومخشية أي يخشاها الناس والشباة حد كل شيء كالسكين والسيف وما شاكل والمشرفي ضرب من السيوف عالي الجودة وجاش للشر إذا هاج للشر وشاهر السيف مصلّته.

(2) النشاوى أي السكارى ويشدو أي يترنم بالشعر ويهتش أي يرتاح وينبسط والشحيح البخيل ويشاطره أي يعطيه الشطر من ماله يقول أناشيده تشفي السكارى ويطرب البخيل لها فيعطيه نصف ماله وتجشّم أي تكلّف مع مشقة وغشياني أي زيارتي وشرّد إذا طرد وأبعد وأباشر الشيء أبدأه ويشرّق شمسه أي يذيع فضائله وتشيع أي تعم وتنتشر.

(3) الشواظ اللهب والشحط النوى والبعد ويشعث من شعث ويقال في الشعر إذا تغيّر وتلبّد واستعيرت للأمر إذا تغيّر ونشط من المكان إذا خرج يقول ليضرمن بعده نار اشواقي وليغيّرن ويفرقن خروجه =

. . . .

= شمل نشاطي والشسوع البعد والنأي والإجهاش البكاء والتشييع التوديع والوشاية هنا ليست النميمة بل نشر الشعر الموشى أي المزخرف والنشد أي الطلب وتغشّيه أي تغمره والشبهة اللبس والتهمة وتغشاه أي تدخل عليه واستشفّ الشيء إذا تحقق واستقصى والشجون واحدها الشجن وهو الحزن والشطون من شطن إذا ابتعد ويرشحني من رشّحه إذا هيّأه وأهّله لأمر والجأش القلب ويشارف أي يطّلع والحشاشة بقية الروح وروح القلب ومبلغ الجهد أما البشاشة فالبشر ومشحوذ الشفار أي حادها وصقيلها والشفار واحدتها شفرة والشحّاذ هنا هو الذي يشحذ أي يصقل يعني بذلك أنه ينظر طويلاً في أشعارها ويصقلها ويجوش من جاش الوادي إذا زخر وامتد والمشية الإرادة والشديد البطش والشامخ العرش يعني الله وبشير وشفيع المحشر يعني بذلك النبي والمحشر يوم تحشر الخلائق للقاء ربّها.

ردّ ابن برّي على ابن الخشّاب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على نبيه الكريم وآله وسلم.

الحمد لله مستحق الحمد ومستوجبه وصلواته على خيرته من خلقه ومنتخبه المخصوص بأشرف كتبه وعلى آله وصحبه وذوي نسبه ما لمع آل بسببه وهمع خال بصبيه.

وبعد فهذه حروف وقعت في المقامات التي أنشأها أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري ينكرها العالمون بالعربية بما تنطق بها مصنّفاتهم وتتفق عليه مؤلفاتهم نبه عليها الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد المعروف بابن الخشّاب البغدادي رحمة الله عليه حين قرئت عليه المقامات ولعلها أخذت عنه أكثر من أخذها عن جامعها وقد كان ابن الحريري عفا الله عنه مكباً عليها صارفاً مدة مهله فيها وهو ينقح اللفظة بعد اللفظة ويستشفها في كل لحظة فهي بنت عمره وبكر دهره ولقد خطف أكثرها من مواضع يدل تهديه إليها على فضل بارع ولم يكن رحمه الله مدفوعاً عن فطنة ثاقبة وغريزة في التلفيق مطاوعة مجاوبة ومن العجيب أنه قدم بغداد سنة أربع وخمسمائة وأخذ المقامات عنه البغداديون وكان بها إذ ذاك بقية من الموسومين بعلم الأدب والطالبين لكلام العرب فلم يتعلقوا عليه فيها عند سماعها منه إلا بلفظة واحدة نازعوه فيها وخرجوا معه على السواء لأنها وقعت في كتب اللغة على خلاف فيها وهي «النهار» فرخ الحبارى و«الليل» فرخ الكروان هذا هو المشهور ويقع في بعض كتب اللغة بخلافه كما ترى قال ابن دريد[1] في الجمهرة «والليل» أيضاً فرخ الحبارى. وله أشياء في أثناء مقاماته لو روجع فيها لأقرّ مع الإنصاف بالخطأ فسلم ساكتاً أو لنازع مباهتاً وأنا أسوقها إن شاء الله على التوالي موضعاً فموضعاً مع تمهيد عذره لقلتها في جنب صوابه وما مر

(1) هو أبو بكر محمد الأزدي لغوي وشاعر وله «المقصورة» و«الجمهرة في اللغة»: وهي أشهر قاموس بعد «كتاب العين» توفي سنة 933 م.

من المحاسن في أثناء كتابه وعلمي بأن الكامل من عدّت سقطاته والفاضل من أحصيت هفواته وأنبه مع ذلك على مواضع أخذ منها واستعان وأنحى عليها وغصبها وبالله أستعين وهو حسبي ونعم الوكيل.

الخطبة

قال في أول كتابه في الخطبة: «ونَعوذُ بكَ منْ شِرّةِ اللّسَنِ، وفضولِ الهذَرِ كما نَعوذُ بكَ منْ معرّةِ اللّكَنِ، وفُضوحِ الحصَرِ».

قال الإمام ابن الخشاب: «هذا الكلام بعينه في كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن يحيى بن محبور الكناني المعروف بالجاحظ ويقال الحدقي[1] وهذا الكتاب أشرف مصنفاته وأغزرها فائدة على كثرتها وتفننها مع كبر حجم وكثرة علم وإن كتابه في الحيوان أضخم منه وأكبر حجماً ولكن هذا أغزر عند طالب البلاغة علماً ولا حرج على ابن الحريري فإنه أغار على بلديه ولم يحل حبوته في غير نديه اقتداء بقوله:

«وأحـيـانـاً نـكـرّ عـلـى أخـيـنـا إذا لـم نـجـد إلا أخـانـا»[2]

بصري صالت بصرياً كما قال عذافر:

«بـصـريـة تـزوجـت بـصـريـا يـطـعـمـهـا الـمـالـح والـطـريـا»[3]

ومن أخرى له في الخطبة قال فيها فيما يقع في أكثر النسخ وهي التي سارت عنه قبل التثقيف والتنقيح وقد ذكر النبي ﷺ: «فقُلتَ وأنتَ أصدَقُ القائلين: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: 19-20]» ظناً منه أن المراد في هذه الآية الرسول محمد ﷺ فبنى على هذا الظن ثم مضت عليه مدة بعد أن أخذت عنه المقامات وانتشرت فعثر على ذلك إنما هو وصف جبريل عليه السلام وهو المكين عند ذي

(1) هو أبو عثمان الجاحظ أحد أعظم أئمة الأدب العربي وأغزرهم ولد في البصرة وفيها مات عام 868 له الحيوان والبيان والتبيين والبخلاء والتاج ورسائل أخرى كثيرة وأما الحدقي فلقب نبز به لبروز حدقتيه.

(2) قالها القطامي.

(3) قالها عذافر بن أوس الكندي.

العرش فكرّ على النسخة مغيّراً اعتقاداً منه أنه اخطأ في الأول وكيف وقد غربت وشرقت وأشأمت وأعرقت فكان تغييره في النسخة الثانية: «فقُلتَ وأنتَ أصدَقُ القائلين: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107] ولعمر الله لقد أخطأ في الأول والآخر وأما الأول ففي ظنه أنه صفة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو فيما ذكر أكثر المفسرين وجاء عنهم من طرق كثيرة حسان الأسانيد في صفة جبريل عليه السلام ذكره أبو جعفر النحاس في معانيه[1] وكذلك ذكره غيره وقال روى معمر عن قتادة قال: يعني جبريل ﷺ والمعنى على هذا القول أنه لقول رسول كريم على مرسله.

وأما الثاني فتغيير لما وقع له أولاً حين عثر من بعد على القول الذي ذكرته بعض الكتب فظن أن الأول خطأ لا يجوز فأخذ يتتبع النسخ ويغيرها بناء على جهله بأقوال المفسرين والذي ظنه أولاً من أنه صفة النبي ﷺ قد ذهب إليه قوم من أهل التفسير ذكر ذلك النحاس وغيره فقال: وقيل الرسول الكريم محمد ﷺ فجهل ما عليه الأكثرون في وضعه الأول وجهل الجواز في وضعه الثاني واختلاف النسخ يشهد بصحة ما أوردت والعلة في اختلافها ما بينت.

قال الإمام ابن بري رحمه الله: ليس الراجع عن الوجه الضعيف إلا الوجه القوي بغالط لأنه غير مقطوع على ابن الحريري أنه لم يمر به جواز الوجه الأول من كتب التفسير وإنما تركه لأن أكثر أهل التفسير على خلافه فعدل إلى ما ليس فيه خلاف عند أحد من الناس ويقوي ذلك أنه إذا أنكر عليه الوجه الأول فلا بد له أن ينظر في كتب التفسير هل الأمر على ما ذكروا أو على خلافه ولما وقف عليه رأي الأكثر على خلاف ما ذهب إليه فعدل عنه إلى ما لا خلاف فيه.

قال ابن الخشّاب: وقال فيما بعد: «على أني وإنْ أغْمَضَ لي الفَطِنُ المُتغابي ونضَحَ[2] عنّي المُحبُّ المُحابي[3]، لا أكادُ أخْلُصُ منْ غُمْرٍ[4] جاهِلٍ، أو ذي غِمْرٍ[5]

(1) يريد تفسيره الموسوم بمعاني القرآن.

(2) دفع عن نفسه أو عمن يحب بحجة.

(3) المحاباة هي الميل والنصرة.

(4) الجاهل من لم يجرّب الأمور.

(5) الحاقد.

متَجاهِلٍ؛ يضَعُ مني لهَذا الوضعِ[1]، ويندّدُ بأنّهُ منْ مَناهي الشّرْعِ[2]! ومَنْ نقَدَ الأشْياءَ بعَينِ المعْقولِ، وأنْعَمَ النّظَرَ في مَباني الأصولِ، نظَمَ هذِه المَقاماتِ، في سِلْكِ الإفاداتِ، وسلَكَها مسْلَكَ المؤضوعاتِ، عنِ العَجْماواتِ والجَماداتِ! ولمْ يُسْمَعْ بمَنْ نَبا[3] سمْعُهُ عنْ تِلكَ الحِكاياتِ، أو أثّمَ رُواتَها في وقْتٍ من الأوْقاتِ» ثم تلا ذلك الفصل بعده إلى أن أنشد:

«على أنّني راضٍ بأنْ أحْمِلَ الهَوى وأخْلُصَ منْهُ لا عليّ ولا لِيا»[4]

قال ابن الخشاب:

لو أمسك عن هذا الفصل لأمسك عنه ولكنه غمر الزاري عليه في وضع المقامات وجهله والمندد عليه بأن ما اعتمده من وضع المقامات من مناهي الشرع مصيب من هذه الجهة وابن الحريري في الاحتجاج عليه بما ساقه من كلامه في هذا الفصل غالط أو مغالط إذ كان ما احتج به من الموضوعات على ألسنة العجماوات والجمادات لا يشبه ما أخذ فيه من ذكر الحارث بن همام وأبي زيد السروجي لأن ما ذكر من ذلك في الكتاب المعروف بكليلة ودمنة أو حكايات السندباد[5] موضوعة وضع الأمثال لتفيد الحزم والتيقظ وتنبه على مواضع الزلل في الرأي لأخي الغفلة وتعطي التجربة لذي العزة ولذلك وضعت الأمثال وقد قيل في حد المثل انه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه وقد ضرب الله الأمثال في كتبه المنزلة على أنبيائه عليهم السلام [6] بما يخرج عن هذين الضربين ويجل عن التشبه بهما ما في كليلة ودمنة وما جرى مجراه فانه بمجرد التجربة لا يلتبس فيه صدق بكذب إذ كان في خروجه عن المألوف ومباينته المعروف ظاهراً لكل أحد لأن الأسد لا يخاطب الثعلب على الحقيقة ولا النمر الشجرة ولا القرد السلحفاة ولا

---

(1) يحطّ من قدري بسبب ما وضعته أي المقامات.

(2) التنديد هو التشهير تكراراً أما مناهي الشرع فهي ما نهت عنه الشريعة.

(3) نفر منه وأعرض عنه ولم يقبل به.

(4) أنظر ديوان الصبابة لإبن أبي حجلة هذا ويروى البيت:

(وصار قصارى ما أريد من الهوى أن اخلص منه لا عليّ ولا ليا)

وللعباس بن الأحنف بيت يدنو في معناه من هذا يقول:

(أنا راض من الهوى بالكفافِ فدعيني فلا عليّ ولا لي)

(5) بحّار له حكايات وردت في ألف ليلة وليلة.

(6) انظر الرعد 17 وإبراهيم 24 والنحل 75 والزمر 29 والتحريم 10.

الحمام الشاة إذا أخبر به مخبر لم يلتبس بصدق فعلم المقصود بديهة والإخبار عن الحارث والسروجي ممكن أن يكون مثله وان لم يكن كذلك فهو كذب لا محالة يلتبس مثله بالصدق إذ غير مستحيل في العرف والعادة أن يوجد في الناس داهية يكنى أبا زيد ويكون من سروج ويكون من البلاغة والخلاص والتصرف في أبواب الحيل في المتعارف ما حكى الحارث بن همام عنه وكذلك وجود الحارث واتفاق اجتماعه مع أبي زيد على ما وصف ابن الحريري فهذا يشبه الصدق ويدخل تحت إنكاره فهو كذب لأن واضعه لا يدّعي صحته والأول لا يشبه الصدق من وجه فأمره غير مخيل وقد بان أنه غالط في التمثيل أو مغالط

قال ابن بري ﷺ :

لا معنى لإنكار ابن الخشاب على ابن الحريري في ذكر أبي زيد السروجي والحارث بن همام فان أبا زيد السروجي كان موجوداً؛ أخبرني تاج الدين بن حمويه بدمشق قال حدثنا الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي البندهي قال سمعت الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن أحمد التقوى البزاز ببغداد يقول سمعت الريسي أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري البصري صاحب المقامات يقول أبو زيد السروجي كان شحّاذاً بليغاً ومكدياً فصيحاً ورد علينا البصرة ووقف يوماً في مسجد بني حرام يتكلم ويسأل الناس شيئاً وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء فأعجبهم بفصاحته وحسن صياغة كلامه وملاحته وذكر أسر الروم ابنته كما ذكره في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون قال فاجتمع عنده عشية ذلك اليوم جماعة من معارق[1] فضلاء البصرة وعلمائها فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده وحزاقة[2] إشارته وتسهيل إيراده فحكى كل واحد من جلسائي أنه شهد من هذا السائل في مسجده مثل ما شاهدت وأنه سمع منه في معنى آخر فصلاً أحسن مما سمعت وكان يغيّر في كل مسجد زيّه وشكله ويظهر في فنون فضله احتياله فتعجبوا من جريانه في ميدانه وافتنانه في إحسانه فأنشأت المقامة الحرامية.

---

(1) أعرق إعراقاً إذا صار عريقاً في أمر ما.

(2) لا أدري ما الحزاقة إذا لم تكن تصحيفاً للحذاقة فحزق الحذاء إذا كان ضيقاً.

في المقامة الأولى[1]

قوله: «خاويَ الوِفاضِ[2]، باديَ الإنْفاضِ» الوفاض جمع وفضة والوفضة الجعبة. قال الشنفرى[3]:

لَهَا وَفْضَةٌ فِيهَا ثَلاثُونَ سَيْحَفاً إذا نَسَتْ أُولَى العَدِيِّ اقْشَعَرَّتِ[4]

قال ابن بري: الذي في شعره: «آنست أولى العدى اقشعرّت» العدى الرجالة والسيحف النصل العريض.

قال ابن الخشاب رَحِمَهُ اللَّهُ: فاستعارها ههنا للمزود لأنه يريد عدم الزاد والزاد لا يكون في الجعبة وأساء باستعمال الجمع استعمال الواحد لأن الموضع لا يقتضي الجمع وإنما يقتضي الإفراد والمعنى عليه ألا ترى أنه إذا فسر صار خاوي الجعاب ولا معنى للتكثير ههنا.

قال الشيخ أبو محمد عبدالله بن برى رَحِمَهُ اللَّهُ: أنار ابن الخشاب على ابن الحريري في قوله خاوي الوفاض هو بعينه في كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم على ما روته الثقات عنه وهو أنه ﷺ أمر بصدقة أن تجعل في الأوفاض.

قال الفراء: في تفسير الحديث على ما رواه الهروي عنه الأوفاض هم الذين مع كل واحد منه وفضة يلقى فيها طعامه وهي مثل الكنانة الصغيرة فهذا نص من الغراء على أن

---

(1) في النص أخطاء مطبعية كثيرة لن ننبّه عليها في كل مرة بل سنثبت الصواب دون الإشارة إلى الخطأ وهو غالباً ما يكون تصحيفاً كقوله النعل حيث يجب أن يكون النصل والسيجف حيث ينبغي أن يكون السيحف وهكذا.

(2) الوفضة خريطة من أدم يصرّ فيها الراعي زاده والمعنى أنه دخل المدينة فارغاً لا زاد معه ولا مال.

(3) هو ثابت بن أوس الأزدي من شعراء الجاهلية الصعاليك له ديوان ولامية مشهورة عاش في أوائل القرن السادس الميلادي على أن الشعر منسوب لعمرو بن مالك.

(4) السَّيْحَفُ مثال صَيْقَلٍ: النصلُ العريض، والجمع: السَّيَاحِفُ.

الوفضة تكون التي تجعل فيها الزاد وتكون الكنانة التي تجعل فيها السهام ولا بد في الحديث من حذف مضاف تقديره أمران تجعل الصدقة في ذوي الأوفاض أو أهل الأوفاض ثم حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه على حد قوله سبحانه وسل القرية أي أهل القرية وقد نص ابن السيرافي على أن الوفاض جمع وفضة التي يجعل فيها الزاد وذلك عند شرحه بيت الكتاب وهو فبينا نحن نرقبه أتانا معلق وفضة وزناد راع.

وزناد راع معطوف على وفضة لأن موضعها نصب لأن الإضافة في تقدير الانفصال تقديره معلق وفضة.

قال ابن السيرافي: الوفضة في البيت مثل الخريطة تكون للفقراء يجعلون فيها أزوادهم قال وزعموا أن أهل الصفة كانت معهم وفاض وفي الحديث أن رسول الله ﷺ أمر أن تجعل الصدقة في الأوفاض أراد أهل الصفة انقضى كلام ابن السيرافي وقد نص على أن الوفضة هي التي يكون فيها زاد الفقراء وأكد ذلك بما روته الرواة وهو قوله وقد زعموا أن أهل الصفة كانت معهم وفاض قالوا وفي زعموا هي ضمير الرواة كأنه قال وزعمت الرواة أن أهل الصفة كانت معهم وفاض وهي التي تقدم تفسيرها من أن واحدها وفضة لما يجعل فيه الفقير زاده فهذا نص آخر زائد على ما ذكره الغراء وابن السيرافي.

وأما قوله وأساء في استعمال الجمع استعمال الواحد لأن الموضع لا يقتضي الجمع وإنما يقتضي الإفراد والمعنى عليه يعني أن ابن الحريري استعمل الوفاض موضع الوفضة فهو وتحكم منه أعني قوله لأن الموضع لا يقتضي الجمع ألا ترى أنه يجوز أن تكون معه وفضة فيها كعك ووفضة فيها سويق ووفضة فيها تمر أو دقيق فمن أين قطع على أنه لم يكن معه إلا وفضة واحدة وأظنه إنما حكم بأن الموضع يقتضي الإفراد من جهة أنه قال بعد هذا ولا أجد في جرابي مضغة وليس في هذا دليل على أنه أراد جراباً واحداً بل يجوز أن يريد به الجمع كما يقول القائل؛ إذا مدح إنساناً ليس في إزاره فضل ولا في ثوبه خرق ولا في إنائه صدع ولا في حاجبه منع فيأتي باللفظ على الأفراد ولا يمتنع أن يراد به الجمع ألا ترى أنه ليس بلازم أن يكون إزاءاً واحداً أو لا ثوباً واحداً أو لا إناءً واحداً أو لا حاجباً واحداً بل هذا اللفظ يطلق على الواحد وعلى الجمع وعلى ذلك قول ابن خياط العكلي[1]:

(1) ذكره الميمني في سمط اللآلي وقال إن اسمه مالك وأما البيت وكل قوم الخ فنُسِبَ في خزانة الأدب إلى الخرنق وهو الخرنق الشاعر واسمه سعيد بن ثابت بن سويد بن النعمان الأنصاري.

وكل قوم أطاعوا أمر سيدهم إلا نميراً أطاعت أمر غاويها

ومما روى مرشدهم وليس يريد سيداً واحداً ولا غاوياً واحداً أو إنما يريد كل سيد لهم وكل غاو لهم ومما أوقع فيه الواحد موضع الجمع قوله سبحانه وتعالى في جنات ونهر يريد وأنهار وقوله سبحانه وعلى سمعهم وعلى أبصارهم أي وعلى أسماعهم وأنشد سيبويه[1]:

بها جيف الحسرى فأما عظامها فبيض وأما جلدها فصليب

يريد وأما جلودها وأنشد أيضاً:

«في حلقكم عظم وقد اشبينا» أي أراد في حلوقكم

وأنشد أيضاً:

كلوا في بعض بطنكم تعفوا فإن زمانكم زمن خميص

أراد في بعض بطونكم ومن هذا أيضاً قول قيس بن الخطيم[2]:

أتعرف رسماً كالطراد المذهب لعمرة وحشاً عن مواقف راكب
ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نحاء الركائب

فأوقع رسماً موقع رسوم بدلالة أنه أبدل منه دياراً وهي جمع.

وقوله: «إحاطة الهالة بالقمر والأكمام بالثمر» هو بعينه أبي العلاء المعري[3] في رسالة له موجودة في بعض رسائل حفظها ابن الحريري بعينها قال في آخرها «فانصرفت من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت».

قال ابن الخشاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الأصمعي في كتابه فيما تغلط فيه العامة تقول قضيت العجب من كذا والصواب ما كدت أقضي العجب والمعنى على ما قال الأصمعي لأنهم يريدون طول التعجب والمبالغة في وصفه بالكثرة فكأنه ما كاد ينقضي ولقولهم قضيت العجب وجيه ضعيف وما قاله أبو سعيد هو الوجه.

---

(1) إمام المذهب البصري في اللغة له في النحو «الكتاب» توفي نحو 796.

(2) قيس بن الخطيم من شعراء يثرب في الجاهلية له ديوان توفي نحو 620 م.

(3) كذا والصواب لأبي العلاء وهو هو أبو العلاء المعري الشاعر والمفكر له «رسالة الغفران» و«سقط الزند» و«اللزوميات» ورسائل أخرى توفي سنة 1057.

قال ابن بري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : إنما منع ابن الخشاب أن يذكر الوجيه الذي صغره ووصفه بالضعف مخافة أن يتعصب متعصب لابن الحريري فيقوى ذلك الوجه الضعيف ويصححه والذي يتوجه عليه قول ابن الحريري هو أنه يصح أن يقال قضيت العجب على معنى انقضى عجبي لبلوغه النهاية التي لا مزيد عليها كما يقال عند إفراط العجب عجبت حتى ما عجبت أي عجبت حتى فني عجبي لأنه بلغ النهاية التي لا مزيد عليها وعلى هذا قول أبي الطيب (المتنبي)[1].

فعجبت حتى ما عجبت من الظبا ورأيت حتى ما رأيت من السنا

أي عجبت من الظبا حتى ما عجبت ورأيت من السنا حتى ما رأيت أي حتى انقضى عجبي ورؤيتي لبلوغهما النهاية التي لا مزيد عليها كما أنه إذا انتهى السائر في الأرض إلى الغاية التي لا يمكنه أن يسير بعدها فقد انقضى سيره وانقطع سعيه.

وفيها: «لكي يجهل مربعه» استعمل ههنا المربع استعمال الربع.

قال ابن الخشاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

لأنه يريد ههنا المنزل وما أصاب في ذلك لأن الربع المنزل حيث كان والمربع منزل القوم في الربيع خاصة كالمصيف والمشتى وتلك منازلهم في هذه الأزمنة خاصة وذلك ظاهر لمتأمله.

قال ابن بري رَحِمَهُ ٱللَّهُ :

يقال ربع بالمكان أقام به في الربيع ويقال أيضاً ربع بالمكان أقام حيث ما كان واسم المكان منهما مربع قياساً مطرداً عند النحويين كالمصنع من صنع والمصرع من صرع والشاهد على قولهم ربع بالمكان إذا أقام به حيث ما كان قول الحادرة[2]:

بكرت سمية غدوة فتمتع وغدت غدو مفارق لم يربع

فقوله لم يربع أي لم يقم وكذلك فسره المفضل[3] في المفضليات وقال يقال ربع

(1) أبو الطيب أحد أكبر شعراء العرب له ديوان قتل سنة 965 م.

(2) الحادِرَة: - 626 م قطبة بن أوس بن محصن بن جرول المازني الفزاري الغطفاني. شاعر جاهلي مخضرم مقل، يلقب بالحادرة أي الضخم أو الحويدرة، جمع محمد بن العباس اليزيدي ما بقي من شعره في ديوان.

(3) هو المفضل الضبي كوفي جمع أشعار العرب للخليفة المهدي في كتاب اسمه المفضليات وله أيضاً كتاب الأمثال توفي نحو 786م.

بالمكان إذا أقام به ولم يشرط ربيعاً ولا غيره فعلى هذا يصبح أن يكون المربع لمنزل الإنسان وبيته وداره ونحو ذلك وعليه قول يزيد بن الصعق[1].

فرغتم لتمرين السياط وأنتم يشن عليكم بالقنا كل مربع

أي كل مكان تقيمون فيه وأما قول أهل اللغة إن المربع اسم للمنزل في الربيع خاصة فإنما يريدون به الأكثر وهو الأصل ثم اتسع فيه فجعل لكل مكان أقام به الرجل ألا ترى أنهم لا يكادون يذكرون المربع في اسم الربيع وهو أيضاً قياس مطرد مثل اسم المكان وشاهده قول الحطيئة[2]:

أمن رسم دار مربع ومصيف لعينيك من ماء الشؤن وكيف

قال أبو علي تقديره أمن أي رسم دار مربع ومصيف، فالمربع والمصيف على هذا اسم لزمان الربيع والصيف وكذلك قول جرير:

ردوا الجمال بذي طلوح بعدما هاج المصيف وقد تولى المربع

أي ردوا الجمال من موضع رعيها إلى الحي حين أرادوا التحمل وقد أتى المصيف وتولى المربع وإذا أقبل الصيف وتولى زمن الربيع يبس عشب الأرض وكذلك المربع يكون أيضاً اسماً للمصدر نحو قولهم ربعت بالمكان مربعاً ولا يكادون يذكرون المربع إلا في اسم المنزل بالربيع وإنما يذكر هذا مبيناً أهل النحو ويجعلون له باباً مفرداً وقياساً مطرداً وما خرج عن القياس من بنائه ذكروه.

وفيها في الشعر:

ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصه

وهو يحتال ويسأل ويخرج في صور النذالة من مسألة وغيرها فحاله لا يطابق النزاهة التي ادعاها في البيت وذلك أيضاً ظاهر.

---

(1) هو زيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل بن عمرو بن كلاب الكلابي. شاعر جاهلي، لقب والده بالصعق لأنه عمل طعاماً لقومه بعكاظ فجاءت ريحٌ بغبار فسبها ولعنها، فأرسل الله عليه صاعقةً فأحرقته.

(2) شاعر مخضرم من بني عبس وكان مع المرتدين عن الإسلام امتاز بهجاء لاذع توفي نحو 678م له ديوان.

قال ابن بري رحمه الله:

الذي قاله ابن الحريري صحيح وليس المعنى فيه ما ظنه ابن الخشاب وإنما أراد أن الدهر ألجأه إلى السؤال والاحتيال ولم يكن من أهل ذلك فيما تقدم ألا تراه يقول قبل البيت:

وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على الليث عيصه
على أنني لم أهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه

ولا شرعت بي على مورد البيت أي لم يكن ممن يهاب صرف الدهر فيما مضى من عمره ولا ممن شرعته به نفسه على مورد يدنس عرضه فأثبت لنفسه النزاهة قبل أن ألجأه الدهر إلى السؤال والتقدير لم أكن ممن هاب صرف الدهر ولا ممن نبضت فريصته إهانة ولا ممن شرعت به نفسه على مورد إهانة وإذا ثبت له المعنى على هذا بطل ما ذهب إليه ابن الخشاب من كونه جمع بين النزاهة والاحتيال في صورة النذالة من مسألة وغيرها.

في المقامة الثانية

ألفيت بها أبا زيد السروجي يتقلب في قواليب الانتساب ويخيط في أساليب الاكتساب.

قال ابن الخشاب:

القواليب خطأ لا تستعمل مثله العرب في حال الاختيار والسعة فإن اضطر إلى مثله الشاعر كان قليلاً في ضرورة الشعر وذلك أن الواحد قالب ولا قالوب

قال ابن دريد:

القالب الذي يصب فيه الشيء من صغر أو غيره فيجيء مثله ويقال هذا قالب كذا وفي العين المنسوب إلى الخليل[1] القالب دخيل ومهم من يقول قالب

قال ابن الخشاب:

كلا المثالين من فاعل وفاعل إنما يكسر على فواعل بغير ياء تقول في تابل توابل

---

(1) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي أستاذ الأصمعي وسيبويه وسيّد أهل الأدب قاطبة له أول قاموس عربي اسمه «العين» توفي نحو 786 م.

ولا تقل توابيل وفي خاتم وخاتم وخواتم ولا تقل خواتيم إلا في خاتام فإنها لغة فيه وكذلك الطابع والطابع طوابع لا غير ذلك وكذلك الطابق والطابق طوابق وقول العامة طوابيق والطوابيقي خطأ فاحش فالوجه حينئذٍ قوالب وقد يمطون الكسرة في مثل هذا في ضرورة الشعر فينشأ عنها ياء فيقولون في صيارف صياريف وفي دراهم دراهيم وأنشد سيبويه في كتابه في باب ما يحفل الشعر وربما أمد فقالوا مساجيد ومنابير شبهوه بما جمع على غير واحد في الكلام كما قال الفرزدق[1]:

تنفى يداها الحصى في كل هاجرة نفي الدراهيم تنقاد الصياريف

وعليه قول المتنبي:

أفدى ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا خلاف بينهم أن استعمال مثل هذا في الكلام المنثور لا يجوز وإنما يجوز في ضرورة الشعر قليلاً وعكسه أنهم يحذفون في الشعر هذه الياء من الجمع الذي يستحقها ضرورة فيقولون في طواويس طواوس وفي عواوير عواور قال:

«وكحل العينين بالعواور»[2] ولا يطرد مجيء هذه الياء في الجمع إلا في رابع واحدة حرف علة كفاعال بنو ساباط تقول سوابيط وفاعول نحو كانون تقول كوانين وعانور تقول عوانير وأفعول تقول فيه أفاعيل كقولك أسلوب وأساليب وأركوب وأراكيب والله أعلم.

قال ابن بري:

اعلم أن للسجع ضرورة الشعر، وأن له وزناً يضاهي ضرورة الوزن الشعري في الزيادة والنقصان والإبدال، وغير ذلك ألا تراهم حركوا الساكن فيه كما يحركون في الشعر كقولهم في صفة ليال القمر ثلاث دُرَعٌ وكان قياسه دَرْعٌ بسكون الراء وإنما حركوها اتباعاً لقولهم ثلاث غرر وثلاث ظلم وحذفوا التنوين فيه كما حذفوه في الشعر فقالوا شهر ترى وشهر ثرى وشهر مرعى[3] فحذفوا التنوين من ثرى ومن مرعى اتباعاً

(1) أحد أبرز شعراء العصر الأموي وأحد الثالوث الذي يضمه وجرير والأخطل كان قوي اللغة وافر التعابير له ديوان توفي سنة 732.

(2) العوار بثر أو لحم ينزع من العين بعدما يذر عليه الذرور.

(3) جاء في أدب الكاتب: «والثَّرَى النَّدَى تقول العرب: شَهْرٌ ثَرَى وشَهْرٌ تَرَى وشَهْرٌ مَرْعى» والعبارة مثل وترى أي ترى فيه النبات.

لقولهم ثرى لكونه فعلاً وكذلك أبدلوا الهمزة ألفاً في نحو قولهم أنكحنا الفرا فسترى فأبدلوا همزة الفرا ألفاً اتباعاً لقولهم سترى وأبدلوا الحرف المضاعف ياء في نحو قولهم الضيح والريح فقلبوا الحاء ياء في الضيح اتباعاً للريح وكان أصله الضح، حكى ذلك الخليل، وأبو حنيفة الدينوري وروي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلّم أنه قال للنساء إرجعن مأزورات غير مأجورات فأبدل الواو في موزورات ألفاً اتباعاً لمأجورات، وقد جاء مثل هذا في فواصل القرآن؛ لتتفق الفواصل. فمن الزيادة قوله تعالى في سورة الأحزاب (66 - 67) عن الكافرين: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾﴾ فقد زيدت ألف في آخر كلمة «السبيل»؛ مراعاة لكلمة «الرسول» وزيدت ألف في كلمة: «الرسولا» لأن الآيات التي قبلها مختومة بكلمات منونة، منصوبة آخرها ألف. وكذلك زيدت ألف في كلمة: «الظنون» من قوله تعالى في سورة الأحزاب (10): ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ وزيادتها لمراعاة أواخر الآيات التي قبلها، المختومة بكلمات منصوبة آخرها ألف «أليماً - بصيراً» فزيدت الألف في الفواصل كما تزاد في الشعر، آخر القافية بقصد الإطلاق. ومن النقص قوله تعالى في سورة الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾ [1-4] فحذفت الياء من «يسر» اتباعاً للوتر، وما تقدمه. وكذلك حذفت الياء - من: «أكرمني، وأهانني» - في قوله تعالى في هذه السورة (15 - 16): ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾﴾ [15-16] كما حذفت في الشعر في قول القائل:

فهل يمنعن ارتياد البلاد ... من حذر الموت، أن يأتين[1]

«أي: يأتيني» فإذا ثبت هذا فلا وجه للإنكار على ابن الحريري.

في المقامة الرابعة

نرقبه رقبة أهلة الأعياد ونستطلعه بعيون الطلائع والرواد.

(1) البيت للأعشى وهو في ديوانه وأما الأعشى فهو قيس بن ميمون شاعر جاهلي أدرك الإسلام سمّي بصناجة العرب لقوة شعره ومتانته له اللامية التي ألحقها البعض بالمعلقات وله خمريات وغزليات فائقة ناهيك بالمعتاد من مدح ورثاء وفخر توفي سنة 629م.

قوله: نستطلعه بعيون الطلائع والرواد كلام معسول لولا تجنيسه وقوله ولاحت الشمس في الأطمار استعارة بعيدة.

قال ابن بري رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا شيء أحسن من استعارة الأطمار للشمس عند غروبها لأن الشفق قد صار عليها كاللباس وهي تضيء فيه فكأنها قد لبست أطماراً وهي الثياب الخلقان.

وقوله: قلت لأصحابي قد تناهينا في المهلة وتمادينا في الرحلة إلى أن أضعنا الزمان.

قال ابن الخشاب:

تمادينا في الرحلة ضد مراده لأنه يريد أنهم تمادت بهم المقام والرحلة لو تمادت لكانوا في سفر متصل إلا أن يتأول على أنه أراد تمادينا في ترك الرحلة ويبين لك أن المعنى كما ذكرت وأنه أخطأ في هذا الاستعمال إلا أن يتعسف له في التأويل أنك إذا قلت تمادى فلان في غيه وضلاله إنما تريد دام غيه وضلاله لأنه كان في غير الغي والضلال وكذلك إذا قلت تمادى في رحلته دامت رحلته لا إنه كان في غير رحلة وهي الإقامة فطال زمن إقامته وهو الذي قصده ابن الحريري فعبر بما يؤدي إلى ضد مراده وهذا بيّن الغلط بما كشفته وقد قرأت على هبة الله بن عبد الواحد بن الحسين الشيباني قال الإمام تاج الدين المسعودي وأخبرني ابن الحصين إجازة قال أخبرنا الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قال حدثنا أبو العباس أحمد بن منصور اليشكري أخبرنا الصولي قال حدثنا الحارث بن أبي أسامة قال حدثنا علي بن محمد بن سيف قال لما اشتد بلاء عبد الرحمن بن أم الحكم على أهل الكوفة قال عبدالله بن همام السلولي[1] شعراً وكتبه في رقاع وطرحها في مسجد الكوفة:

ألا أبلغ معاوية بن صخر ... فقد خرب السواد فلا سوادا
أرى العمال قد جاروا علينا ... بعاجل نفعهم ظلموا العبادا
فهل لك أن تدارك ما لدينا ... وتدفع عن رعيتك الفسادا

---

(1) هو عبد الله بن همّام بن نبيشة بن رياح السلولي، من بني مرّة بن صعصعة. شاعر إسلامي، أدرك معاوية، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، أو بعده. له أخبار، ويقال: إنه هو الذي بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية، وكان يقال له (العطار) لحسن شعره توفي نحو 718 م هذا وقد ورد صدر البيت الثاني في عدّة مظان على الوجه التالي: «أرى العمال أقساء علينا».

وتــعــزل تــابــعــاً أبــداً هــواه يــخــرب مــن بــلادتــه الــبــلادا
إذا مــا قــلــت أقــصــر عــن هــواه تــمــادى فــي ضــلالــتــه وزادا

فبلغ الشعر معاوية[1] فعزله.

قال ابن بري:

مثل هذا جائز في اتساع كلام العرب على حذف مضاف تقديره تمادينا في انتظار الرحلة كما قال جرير[2]:

لــمــا تــذكــرت بــالــديــريــن أرقــنــي صــوت الــدجــاج وقــرع بــالــنــواقــيــس

قال أبوعلي تقديره أرقني انتظار صوت الديكة لأنه كان مزمعاً الخروج وقت صياح الديكة فأرّقه انتظار صوتها لا صوتها وهذا النحو كثير في القرآن وفي الشعر وقيل في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه: 96] أن تقديره فقبضت قبضة من تراب أثر حافر فرس الرسول فحذفت هذه المضافات اتساعاً لفهم المعنى.

في المقامة الخامسة

شر الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف

قوله سام التكليف إنما هو سائم التكليف كقوله تعالى: ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ [تكررت في البقرة 49 والأعراف 141 وإبراهيم 6].

قال ابن بري:

كلام ابن الحريري صحيح لأنه يقال سمته حاجة إذا كلفته إياها وجشمته مشقتها فيكون المعنى شر الأضياف من جشم المضيف التكلف بما يشق عليه وأراد العموم لكل ضيف كلف المضيف مشقة فدخل هو في الجملة وإن كان حاضراً موجوداً.

وقال فيها: قبيل انتيابكم ومصيري إلى بابكم.

---

(1) هو معاوية بن أبي سفيان أول خلفاء بني أمية وأحد دهاة العرب توفي سنة 680 م.

(2) شاعر أموي ولد في بادية اليمامة امتاز بالهجاء ولا سيما هجو خصميه الفرزدق والأخطل بخاصّة غير أن له الباع الطويل في الفنون الأخرى من رثاء ومدح وغزل توفي سنة 733 م.

قال ابن الخشاب:

ليس هذا موضع استعمال الانتياب لأن الانتياب معاودة الشيء مرة بعد مرة ومنه سميت النحل نوباً لانتيابها مواضع تعسلها وهو مباتها والانتياب افتعال من النوبة بعد النوبة بعد النوبة وهو لم يأتهم في هذا الموضع مرة بعد أخرى ولا كثر انتيابه فلا معنى له في استعمال الانتياب إلا أنه ساقه إلى استعماله السجعة فلا عذر له في ذلك. نعم ويستعمل الانتياب في الجماعة بمعنى أنه يجيء منهم طائفة وتذهب أخرى فيقال دهم فلاناً أمر انتابه الناس لأجله أي جاءه منهم قوم بعد قوم ويؤكد إحالة الاستعمال الذي قصده نفس وضعه فيما بعد لأنهم لما استقرؤوا أبا زيد عن طرفة مرآه قال إن مرامي الغربة لفظتي إلى هذه التربة فهذا ما رآه إلا في هذه المرة فأي معنى للانتياب حينئذٍ وذا ظاهر الفساد لمباعدته.

وقال فيها: نضو سري خابط ليل أليل وهذا يكاد يناقض قوله في أول المقامة في وصف هذه الليلة أن أديمها ذو لونين لأن الليل الأليل والليلة الليلاء لا تكون ذات ضوء البتة قال الشنفرى:

فأيّمت نسواناً وأيتمت ولدة وعدت كما أبدأت والليل أليل[1]

وكذلك قوله: وقد دجى جنح الظلام المسيل هذه الليلة التي وصفها كأن جنحها أبيض بقمرها وقد انقضى بقوله روق الليل البهيم ولم يبق الا التهويم ولعله يريد جنح ليلة أخرى هذا هو الوضع البارد الفاسد.

قال ابن بري:

الذي ذكره ابن الحريري صحيح لأنه لم يصف الليلة بأنها قمراء بكون القمر فيها من أولها إلى آخرها وإنما ذكر أن القمر في أولها ألا تراه يقول فيها قمرها كتعويذ من لجين وهو ما يجعل في قلادة الصبي ونحوه فهذا يقضي بأن القمر كان ابن أربع أو خمس وإذا كان كذلك كان غروبه سريعاً وإذا غاب القمر أقبل الليل بظلمته ألا تراه يقول فلما روق الليل البهيم أي مد رواق ظلمته ولم يبق إلا التهويم فأطلق على ما بقي من الليل اسم الليل وعلى هذا قول العرب جاءنا فلان بليل إذا جاء بعد ما مضت منه

(1) كذا ورد البيت والصواب: «فأَيَّمْتُ نِسْواناً وأَيْتمْتُ إِلْدَةً وعُدْتُ كما أَبْدَأْتُ واللَّيْلُ أَلْيَلُ» وأما الشنفرى فأحد شعراء الجاهلية الصعاليك له لامية العرب وعاش في أوائل القرن السادس للميلاد.

طائفة صالحة وعليه فسر أبو علي قوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ [الإسراء: 1] على نحو قولهم جاءنا بليل أي بعد ما مضى منه طائفة ولا يصح المعنى عنده إلا على هذا لأنه قد علم أن الاسراء لا يكون إلا ليلاً ولا يكون نهاراً فإن خصصت الوقت من الليل جاز فقلت سرى من أول الليل ومن وسط الليل ومن آخر الليل ومما يقوى أن ما بقي من الليل يقع عليه اسم الليل قول الشنفرى يصف أنه سرى في ليلة واحدة لطلب الفتك ففتك وغنم وعاد في ليلته وهو:

فأيمت نسواناً وأبقيت ولدة وعدت كما أبدأت والليل أليلُ

ألا تراه يقول قبل البيت:

وليلة برد يصطلي القوس ربها وأقطعه اللاتي بها يتنبّلُ[1]

فأوقع اسم الليل على ما بقي منه وهو قوله والليل الأليل أي شديد الظلمة فهذا مثل قول الحريري خابط ليل أليل في إيقاعه اسم الليل على بعضه ومثله قول عمر بن أبي ربيعة[2] يصف أنه اجتمع بمحبوبته بعد أن غاب القمر وهو:

وغاب قمير كنت أهوى غيوبه وروّح رعيان وهوّم سُمّرُ

وإنما قال قمير مصغراً لكونه صغيراً لم يكبر بعد ثم قال عند اجتماعه بها بعد غيوب القمر:

فيالك من ليل تقاصر طوله وما كان ليلي قبل ذلك يقصر

فأوقع اسم الليل على ما بقي منه وذلك أن الليل الذي تقاصر طوله هو ليل الوصل لا ليل الصد ولو كان ليل الصد لكان طويلاً.

قال فيها: فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع.

قال ابن الخشاب:

أكثر ما يستعمل في مثل هذا الموضع الصنيع والصنيعة فأما الصنع فيستعمل استعمال الصناعة.

---

(1) كذا ورد البيتان والصواب كالتالي:

وَلَيْلَةِ قُرٍّ يَصْطَلِي القَوْسَ رَبُّها وأقْطُعَهُ اللاّتِي بِها يَتَنَبَّلُ
فأيَّمْتُ نِسْواناً وأيْتَمْتُ إلْدَةً وعُدْتُ كما أبْدَأتُ واللَّيْلُ ألْيَلُ

(2) سري قرشي وأحد أشهر شعراء العرب اقتصر شعره على الغزل له ديوان توفي سنة 711 م.

قال ابن بري:

الذي ذكره ابن الحريري هو الصحيح قال الجوهري الصنع مصدر قولك صنع إليه معروفاً ثم قال بعد هذا والصناعة حرفة الصانع وعمله الصنعة وهذا خلاف ما قاله ابن الخشاب.

قال ابن الخشاب:

وفيها: فقضيناها ليلة غابت شوائبها إلى أن شابت ذوائبها.

وكذلك قوله في موضع آخر: إلى أن شاب مفرق الدجا يعني به أوائل الصباح استعمال القوم في هذا أن يستعيروا لأواخر الليل الأعجاز وما جرى مجراها من المآخير قال امرؤ القيس[1]: «وأردف أعجازاً وناء بكلكل» وأوائل الليل هواديه والذوائب هي الرؤوس فهي ينبغي أن تكون أوائل الليل وقد قال بعض المتأخرين وهو أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري:

ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جمان

وذوائبها على هذا لا تكون في مآخيرها إلا أن يجعل مدة الليل كالعمر له والشيب إنما يكون في أواخر العمر فعلى هذا تقرب استعارته وأما استعارة العرب فكما أريتك وعلى أن المتأخر قد قال وهو أبو العلاء والبيت من القصيدة.

ثم شاب الدجا فخاف من البحـ ـر فغطى المشيب بالزعفران

وهذا يريد به أواخر الليل وقد وصفوا اختلاط أواخر الليل بأوائل الصبح بالشمط فقالوا كان شميط الصبح والشمط في الأصل هو الخلط فهذا يلمح استعارته ويقربها.

قال ابن بري:

استعارة ابن الحريري لأواخر الليل عند طلوع الفجر المشيب من أحسن الاستعارات ومن أنكر ذلك فقد أنكر غير منكر وعلى أن ابن الخشاب قد رجع في آخر كلامه إلى تجويز ما أنكره أولاً.

---

(1) أشهر شعراء الجاهلية وأحد شعراء المعلقات ولد في نجد وتوفي في أنقرة في تركيا سنة نحو 540م له ديوان.

في المقامة السادسة

إنه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمدّ الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال.

قال ابن الخشاب:

قوله نابض يبري النبال ورابض يبغي النضال لا معنى له لأن النابض من قولهم نبض إذا تحرك ويقال أنبض الوتر إذا مده ثم أرسله فسمع له صوت قال: «انبضوا معجس القسي» * وتمام البيت والبيت للشماخ[1] «وأبرقنا كما توعد الفحول الفحولا» وكذلك يقال أنبض عن قوسه إذا مد وترها ثم أرسله قال:

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

والبيت للشماخ وبري النبال إنما يكون قبل هذه الحال بل ملء الكنائن من النبل وهذه حالة بعيد البري تكون قبل المراماة ومن أمثالهم قبل الرماء تنتل الكنائن وكذلك قوله ورابض يبغي النضال المراماة ولكن القرينة الثانية أقرب من الأولى وإنما يدعى في ضعف المعاني من تحكيم القرائن ولا عذر له في ذلك.

قال فيها: ومتى اخترع خرع وإن بده شده.

قال ابن الخشاب:

شده من الأفعال التي جاءت في كلامهم مقصورة على بناء الفعل الذي لم يسم فاعله. كقوله: شدهت وأنا مشدوه أي شغلت وهو يقارب دهش ولا يكادون يقولون: شدهني كذا، ولا شدهت زيداً في كلام فصيح وقد بينوا ذلك في المختصرات من كتب اللغة فضلاً عن غيرها.

قال ابن بري:

إنما قطع ابن الخشاب على ابن الحريري بالغلط في قوله شده ثقة بقول ثعلب[2]

---

(1) هو الشماخ بن ضرار بن حرملة بن سنان المازني الذبياني الغطفاني: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام وهو من طبقة لبيد والنابغة. كان شديد متون الشعر، ولبيد أسهل منه منطقاً وكان أرجز الناس على البديهة. توفي سنة 643 م.

(2) إمام الكوفيين في اللغة له «كتاب الفصيح» و«قواعد الشعر» و«اختلاف النحويين» توفي سنة 904م.

في الفصيح وقد شدهت، وأنا مشدوه. ألا تراه يقول: وقد بينوا ذلك في كتب المختصرات يعني كتاب الفصيح ولم يعلم بأن ابن درستويه أنكر ما قاله ثعلب وغيره من أهل اللغة وهذه حكاية لفظه؛ قال ابن درستويه: «عامة أهل اللغة يزعمون أن هذا الباب لا يكون إلا مضموم الأول، ولم يقولوا إنه إذا سمي فاعله جاز بغير ضم وهذا غلط منهم لأن الأفعال كلها مفتوحة الأوائل في الماضي فإذا لم يسم فاعلها فهي كلها مضمومة الأوائل ولم يخصّ بذلك بعضها دون بعض وقد بينا ذلك بعلته وقياسه»، وذكر أنه يجوز: عنيت بأمرك، وعناني أمرك، وشغلت بأمرك وشغلني أمرك، وشدهت بأمرك وشدهني أمرك فهذا الذي ذكره ابن درستويه تصحيح لقول ابن الحريري وإبطال لقول غيره وفي ذلك كفاية تغني عن زيادة إيضاح وبيان.

وفيها: فقال يا هذا إن البغاث بأرضنا لا يستنسر بناء على المثل وهو قولهم: «إن البغاث بأرضنا يستنسر» والبغاث ما لا يصيد من الطير من قولهم استنسر البغاث أي صار في حال النسر كما قالوا استنوق الجمل واستتيست الشاة واستحجر الطين واستفيل الجمل أي صار كالفيل والمراد بالمثل في أصل كلامهم أن الذليل يكتسب العز بأرضنا فيصير إلى حالة العزيز فاستعماله بغير لا وإن كان يؤدي مقصود الواضع فانه في الضم يدل على أن المتكلم قد يعبر عن بلاده بأنها ليست بدار عز فذم نفسه وقومه.

قال ابن بري:

إعلم أن واضع المثل استعمله في مدح أرضه التي فيها إقامته في كون الضعيف يصير فيها قوياً وكذلك استعمله ابن الحريري أيضاً في مدح أرضه في أنه لا يكون بها الصغير في الفضيلة كبيراً فلهذا أدخل لا النافية في المثل ليبقى المثل على أصله في مدح الأرض وأيضاً فانه يجوز رد المثل الموجب منفياً عند المفاخرة فيقول القائل البغاث بأرضنا يستنسر والبغاث بأرضكم لا يستنسر فلا بد عند المفاخرة من نقل المثل الموجب إلى النفي وفيها: واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب استعماله قاطبة مضافة إلى ما بعدها وتعريفها به وإدخال حرف الجر عليها يدل على جهله بعلم النحو وأنه كان مقصراً جداً لأن العلماء بالعربية لا يختلفون في أن قاطبة لا تستعمل إلا منصوبة على الحال غير مقتصر على موضع واحد كذا نطقت بها العرب ولا تستعملها فاعلة ولا مفعولة ولا مجرورة ولا مضافة ولا معرّفة باللام ومثلها طراً كافة فلا يقال طر القوم ولا كافة القوم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ﴾ [سبا: 28] هو في أحد التقديرين إلى الناس كافة ثم قدم وقولهم كافة الخلق كلام مولد ليس بعربي محض وهو أسهل من استعمال ابن

الحريري قاطبة الكتاب قال سيبويه في الكتاب في باب ترجمته هذا باب ما يجعل من الأسماء مصدراً كالمصدر الذي فيه الألف واللام فذكر فيه الجماء الغفير ثم قال وهذا جعل كقولهم مررت بهم قاطبة ومررت بهم طراً إلا أن هذا نكرة ولا تدخله الألف واللام ثم قال في الباب فصار طراً وقاطبة بمنزلة سبحان في بابه لأنه لا ينصرف كما أن طراً وقاطبة لا ينصرفان وهما في موضع المصدر ولا يكونان معرفة وأظن ابن الحريري قد لحن في استعمال قاطبة وأخواتها كما استعملها هو وحكى مذهب العرب والنحاة في مجموعه الموسوم بدرة الغواص في لحن الخواص إلا أنه خالف إلى ما نهى عنه سهواً أو لأنه عرفه بعد وضعه المقامات على الخطأ وشبيه بحاله هذه ما تم في كتب العلماء باللغة من النهي عن استعمال ما ثم يستعملونه في خطب كتبهم لغلبة العادة هذا ابن قتيبة[1] ينهى في أدب الكاتب عن قولهم عيرته بكذا والصواب عيرته كذا بلا باء وقال في خطبة الكتاب وكانت قريش تعير بأكل السخينة وكذا ابن دريد نهى عن هذا الاستعمال في كلامه.

وفيها: شيعته قاضياً حق الرعاية ولا حياً له على رفض الولاية.

قال ابن الخشاب: قوله حق الرعاية رديء في الاستعمال إذ لا يقول من له ذوق في صحة الاستعمال يا فلان قد قضيت حق رعايتك وإن كان ليس بالخطأ ولكنه كما ترى.

قال ابن بري: لا معنى لإنكاره حق الرعاية لأن حقاً يضاف إلى المصدر كقولك رعاه حق الرعاية وساسه حق السياسة وآله حق الإيالة والإيالة السياسة.

في المقامة السابعة

كرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله.

استعمل في السابعة إسكان الفعل المضارع المعتل بعد أن الناصبة وهو قوله فأردت أن أناجيه وأفاجيه لأعجم عود فراستي فيه وهي لغة لا يثبتها أماثل النحويين ويلحنون مستعملها في غير الشعر.

(1) هو أبو محمد عبدالله ابن قتيبة الكوفي أو الدينوري خراساني الأصل كان فقيهاً ومحدثاً ومؤرخاً ونحوياً وأديباً له «الشعر والشعراء» و«أدب الكاتب» و«عيون الأخبار» و«كتاب المعارق» توفي سنة 889 م.

وكذا قوله في المقامة العاشرة والغلام في ضمن تأبيه يخلب قلب الوالي بتلويه ويطمعه في أن يلبيه.

وقوله فيها إلى م تشير لأقتفيه ولا أقف لك فيه.

قال ابن بري: استعمل ابن الحريري إسكان الياء في موضع النصب لأن ضرورة السجع في النثر كضرورة الوزن في الشعر ولما وجب إسكان الياء لاقامة الوزن كذلك وجب إسكانها لإقامة وزن السجعة فهذا مما يسامح فيه ابن الحريري وله فيه شبهة مقبولة ألا ترى أن الفواصل في القرآن قد نزلت منزلة القوافي وذلك في قراءة من قرأ: «والليل إذا يسر» بحذف الياء عند الوقف لتتفق أواخر الفواصل عند الوقوف على الراء فيقرأ: «والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر».

وقوله فيها: تنفشت الخمسين لفظة عامية إلا أنه استعملها عمداً تظارفاً.

وقال فيها: حتى إذا لا لا الأفق ذنب السرحان ويقع في بعض النسخ المأخوذة عنه دفع الأفق ونصب ذنب السرحان وفي بعضها عكسه وكلاهما خطأ لان لألأ لم يرد في كلامهم متعدياً إنما يقال تلألأ الشيء إذا لمع وفي المثل ما لألأت الفور (الفور أي السود) بأذنابها والأشبه على الخطأ في الاستعمال لألأ الأفق ذنب السرحان لا ذنب السرحان الفجر الأول وهو الذي يضيء الأفق لا الأفق يضيئه قال أبو العلاء.

وبلاد وردتها ذنب السرحا ... ن بين المهاة والسرحان

قال ابن بري: الرواية المشهورة عنه بنصب الأفق وجعله ظرفاً متسعاً فيه على حد قول ساعدة بن جؤبة[1]:

قد أوتيت كل ماء فهي ضاوية ... مهما تصل أفقاً من بارق تشم

قالوا تقديره مهما نصب الحمر في أفق بارقاً تشم ونصب أفقاً على الظرف وجعل من بارق مفعولاً لتصب على زيادة من فيكون التقدير حتى إذا لألأ في الأفق ذنب السرحان ومثله لساعده أيضاً:

لدن يهز الكف يعسل متنه ... فيه كما عسل الطريق الثعلب

أي كما عسل في الطريق فاتسع فيه ونصب على الظرف وذنب السرحان في بيت

(1) هو أحد الشعراء الهذليين.

أبي العلاء منصوب على الظرف أي وقت ذنب السرحان وهو الفجر الأول والسرحان الثاني الذئب.

في المقامة الخامسة عشرة

حتى كدت أغلظ له في الكلام والسعه بحمة الملام.

استعمل الحمة استعمال الإبرة كما تستعملها العامة وقد رد ذلك اللغويون وعدوه من غلط العامة وقالوا إبرة العقرب والزنبور ما يلسعان بهما وأما الحمة فهي سمهما وضررهما قال ابن سيرين يكره الترياق إذا كانت فيه الحمة وربما قال بعضهم في الحمة هي فوعة السم وهو بمعنى القول الأول يريد شدة لدغه وحرارته واشتقوها من قولهم اشتد حمء الشمس وحميها فيجوز أن يكون المحذوف منها واواً ويجوز أن يكون ياء وكونه واواً أولى حملاً على أكثر المحذوفات.

قال ابن بري: لم يضع ابن الخشاب في هذا شيئاً لأن ابن قتيبة إنما أنكر قول من يسمي إبرة العقرب والزنبور حمة وقال إنما الحمة سمهما وضررهما وإنما خص العقرب والزنبور دون الحية من قبل أن الحية لا إبرة لها ولم يذكر لسعة الحية بحمتها والحمة هنا فوعة السم وحدته وكأن ابن الخشاب ظن أن اللسع لا يكون إلا للعقرب فلهذا حمل الحمة على أنها الإبرة ولو بنى على أن اللسع يكون للحية لم يحمل كلام ابن الحريري على الغلط لأن الحية لا إبرة لها.

في المقامة السادسة عشرة

وأحدقوا به الأحداق والمحفوظ حدق به القوم وأحدقوا بمعنى المجرد من الزيادة وليست الهمزة في أحدقوا للتعدية والنقل وقد استعملها ابن الحريري فيه للتعدية وذلك غير معروف.

في المقامة السابعة عشرة

ولا فاه لأحدهم لسان.

وإنما يقال فهت بكذا وما فهت به ولا يقال فاه به لساني وإنما أستعمله استعمال نطق به لساني وبينهما في الاستعمال فرق.

قال ابن بري: ذكر ابن القطاع فاه بالقول فوهاً نطق به واللسان يستعمل فيه النطق يقال نطق به لساني ونطق به لسان الحال.

في المقامة الحادية والعشرين

فلما حللت بالري وقد حللت حي الغي وعرفت الحي من اللي.

قال ابن الخشاب: نص أهل اللغة على أن قولهم فلان لا يعرف الحي من اللي وما جرى مجراه من قولهم فلان لا يعرف هراً من بر من الألفاظ التي لا تستعمل إلا في الجحد ولا يجوز أن تستعمل في الايجاب فكما لو قال هو يعرف الهر من البر لم يجز وكذلك عرفت الحي من اللي وهو مشهور في كتب اللغويين ذكره ابن السكيت[1] في كتابه الألفاظ والإصلاح وذكره أبو عبيد في الأمثال وغيره ونظير هذا الباب باب أحد وعريب ودبى وطؤوى ووابس ووابر وديار وتؤمري وتدمري وما جرى مجراها لا يستعمل إلا في النفي وإخراجها على الإيجاب خطأ وترك لاستعمالهم ومعنى الحي من اللي لا يعرف الحق من الباطل.

قال ابن بري: كلام ابن الحريري صحيح لأنه أراد معرفة التفسير لهاتين اللفظتين وهما الحي واللي والحي الكلام الظاهر واللي الكلام الخفي أي عرفت بيّن الكلام من خفيه من قولهم ما يعرف الحي من اللي وكذلك لو قيل فلان يعرف الهر من البر بمعنى يعرف تفسيرهما كان جائزاً ألا ترى أنه إذا قال قائل والله ما يعرف فلان الحي من اللي ولا الهر من البر ولا القبيل من الدبير فأردت تكذيبه قلت والله ليعرف الحي من اللي ويعرف الهر من البر ويعرف القبيل من الدبير أي يعرف معاني هذه الألفاظ المستعملة في النفي.

وفي آخرها: ولا درى أي الجراد عاره.

قال ابن الخشاب: العرب لا تستعمل مثل هذا المثل إلا في المستقبل تقول ما أدري أي الجراد يعاره ولا يستعمل الماضي فيه كما يقولون ما أطت الإبل وما وسقت عيني الماء.

---

(1) أحد أئمة اللغة العربية كان أبوه عبداً رومياً له قاموس كبير اسمه «الغريب المصنّف» أنفق أربعين عاماً في تأليفه توفي نحو 859 م أما عبارة كصرخة حبلى الخ ففي إصلاح المنطق لابن السكيت ج 1 في باب مما يقال بالياء والواو.

قال ابن بري: قول ابن الحريري صحيح. حكى أهل اللغة أنه يقال ما أدري أي الجراد عاره أخذه فاستعمله ماضياً وهذا هو المعروف وأما يعاره فغير معروف في هذا المثل عند أحد من أهل اللغة بل الأمر بالعكس من ذلك عندهم لأنه لا يستعمل هذا المثل إلا في الماضي دون المضارع ولهذا قال الأزهري إن مستقبل عاره في هذا المثل قد أميت فلا يستعمل وقوله إن المضارع منه يعاره غلط فاحش وإنما هو مضارع عاره يعوره ويعيره أيضاً إذا أخذه وإما يعاره فانما هو مضارع عار الظليم يعار إذ صوت.

وفيها: ثم أنشد إنشاد وجل بصوت زجل.

قال ابن الخشاب: وهذا الاستعمال رديء لأن الوجل بعيد من أن يصحبه صوت زجل.

قال ابن بري: لا إنكار على من وقف موقف وعظ وإنذار مخوفاً من عذاب الجبار أن يرفع صوته بانذاره مع شدة خوفه ووجله كما يشاهد ذلك في مجالس الوعاظ وكما يشاهد من ركاب السفينة إذا أشرفت على الغرق والعطب ولا شيء أخوف منهم ولا أوجل لخوفهم على أنفسهم من الغرق فهم يضجون ويجأرون إلى الله تعالى بالدعاء والجؤار رفع الصوت في الدعاء وغيره ومنه الحديث: «انظر إلى موسى وله جؤار إلى ربه بالتلبية» أي انظر إليه رافعاً صوته بالتلبية فثبت بهذا أنه ليس الخوف والوجل مما يباين رفع الصوت وإنما يباينه سقط القوة أو مرض في آلة الصوت ألا ترى أن المرأة الحامل إذا أصابها الطلق يضرب بها المثل في ارتفاع صرختها وإن كانت خائفة وجلة على نفسها وولدها وذلك في نحو قولهم:

«كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها» والقبيل هنا القابلة وإذا أسلمت الحامل قابلتها كان أشد لخوفها ووجلها فإذا تطاول بها الطلق وسقطت قوتها قلّ ارتفاع صوتها.

قال ابن الخشاب وفيها: بمخلبه الأشغى يغول ونابه.

والشغي لا يكاد يستعمل في المخلب والاستعمال الصحيح في الشغى وهو اختلاف النبتة إنما يكون في الأسنان واستعماله في منسر العقاب لطول الأعلى على الأسفل فهما مختلفان إلا أن هذا الاستعمال أسهل من قوله على النقيصة والشغى لأنه توهم أن الشغاة زيادة فاستعمله استعمالها وللغة أوضاع مخصوصة في الاستعمال إذا أخرجت عنها لم تكن عربية.

وقال فيها: حتى كادت الشمس تزول والفريضة تعول.

استعارته العول ههنا غير مستحسن إذا حقق معنى العول لأنه زيادة على الأصلي كمسألة أصلها من ستة عالت إلى سبعة أو ثمانية أو تسعة وذلك مشهور عند الفرضيين إلا أنه يريد به الخروج عن الأصل والزيادة في الوقت وهو لعمر الله بارد في التأويل.

قال ابن بري: إنكاره العول في الفريضة لا معنى له لأنه ذهب إلى أن العول الزيادة على الأصل وهو في هذا الموضع زيادة على الأصل لأن صلاة الجمعة ركعتان فإذا فات وقتها صارت أربعاً لأن صلاة الظهر أربع فقد عالت الفريضة من ركعتين إلى أربع فقد صار العول زيادة على الأصل وهذا أصله في الفرائض وهو من أحسن الاستعارات وقول ابن الخشاب إن ابن الحريري يريد الخروج عن الأصل والزيادة في الوقت غلط منه لأنه لم يرد بالعول إلا زيادة الفريضة ركعتين على الركعتين اللتين هما فرض الجمعة ولم يرد بالعول زيادة الوقت وإنما زيادة الوقت هي التي عالت الفريضة وقول ابن الخشاب في آخر كلامه في هذا الفصل وهو لعمر الله بارد في التأويل.

قال ابن بري البارد في تأويل العول هنا قول من جعله الزيادة في الوقت وظن ان ابن الحريري أراده وذلك بئس الظن.

قال ابن الخشاب وفيها:

فان الدولة ريح قلب.

قال هذا لأجل قوله والإمرة برق خلب ولا توصف الريح بقلب وإنما تستعمل في وصف ذي الحيلة والتصرف للتدبير. قال معاوية عند موته لابنته: إنك لتصبحين حولاً قلباً إن وقي هول المطّلع.

وفيها: واعتقبته أخطو متقاصراً وأريه لمحاً باصراً.

وهذا استعمال من لا يعرف حقيقة أراه لمحاً باصراً لأن مراده أتقاصر لئلا يراني في اتباعي إياه وأتأمله مع ذلك تأملاً شديداً كي لا يفوت بصري وهذا المعنى لا يؤديه قوله أريه لمحاً باصراً لأن قولهم أريته لمحاً باصراً أي نظراً.

قال ابن بري: كلام ابن الحريري صحيح لأنه أراد أني أخطو خلفه متقاصراً وأتبعه نظراً بتحديق لئلا أضلّ عنه بتقاصر خطوي فيفوتني فالمتقاصر على هذا أشد تحديقاً من غير المتقاصر.

في المقامة الثالثة والعشرين

قوله حين يرتوي مني ويلتقح.

لا يستعمل التقح في معنى قبل اللقاح والمعروف في ألقحتها ولقحتها لقحت ومنه اللاقح واللواقح والملتقح غير معروف.

في المقامة السادسة والعشرين

فتعارفنا حينئذٍ وحفت بي فرحتان ساعتئذٍ.

قال ابن الخشاب: السجعتان واحدة لأن إذ فيهما كلمة واحدة فلا فرق بين إضافة الحين والساعة والليلة واليوم وغير ذلك مما تجب إضافته من أسماء الأزمنة إليها فلا معنى لجعلها قرينة إلا على تأويل أنها صارت مع ما قبلها كاللفظة الواحدة.

في المقامة السابعة والعشرين

وكان يوماً أطول من ظل القناة وأحر من دمع المقلاة.

قال ابن الخشاب: لا مبالغة في المثلين في مثل هذا الموضع وإن كانت العرب قد ضربت بهما المثل في الطول والحرارة وقال:

ويوم كظل الرمح قصّر طوله ... دم الزق عنا واصطفاق المزاهر[1]

والبيت لشبرمة بن الطفيل ولكن الرمح أطول من القناة على كل حال وأما دمع المقلاة وهي التي لا يعيش لها ولد فلم يبلغ من حرارته ما يقاوم الهجير المحترم.

قال ابن بري: لم يرد ابن الحريري أن دمع المقلاة شديد الحرارة على الجسد كشدة حرارة الهجير وإنما أراد شدته على أعين البواكي خاصة لأن حرارته مذيبة للأعين

---

(1) ورد البيت في الحماسة وفي ديوان المعاني على هذه الصورة: «ويوم كظلِّ الرُّمح قصرَ طولهُ دمُ الزِّقِّ عنا واصطكاكُ المزاهرِ» وورد في مظان أخرى باختلاف بألفاظ الاصطفاق والاصطفاف وهكذا.

كحرارة الهجير المذهبة للأعين أيضاً والمحرقة للأجساد فحرارة الهجير عامة في الجسد والعين وحرارة الدمع مخصوصة بالعين لا غير فهو في أذاها كأذى الهجير لها.

في المقامة التاسعة والعشرين

قطعة شعر أولها.

يـا صـارفـاً عـنـي الـمـودة والـزمـان لـه صـروف

قال ابن الخشاب: هي مقيدة لأن فيها أبياتاً لو أطلقت كانت مرفوعاً ومنصوباً ومجروراً وهو غير جائز.

قال ابن بري: الذي ذكره ابن الحريري صحيح ولا يلزم أن يكون إعراب المقيد كإعرابه لو أطلق ألا ترى إلى قول امرئ القيس.

إذا ذقـت فـاهـا قـلـت طـعـم مـدامـة مـعـتـقـة مـمـا تـجـيء بـه الـتـجـر

ثم قال بعده جاءت بريح من القطر فالقطر في موضع خفض والتجر في موضع رفع وقال طرفة: «ومن الحب جنون مستعر» ثم قال بعده: «ليس هذا منك مأوى بحر» فمستقر في موضع رفع وحر في موضع خفض

وقال الأعشى:

أتـنـكـر غـانـيـة أم تـلـم أم الـحـبـل واه بـهـا مـنـجـذم

فمنجذم في موضع رفع ثم قال بعده

ونـظـرة عـيـن عـلـى غـرة مـحـل الـخـلـيـط بـصـحـراء زم

فزم في موضع جر وهي اسم بئر وهذا النحو كثير جداً في أشعار العرب

في المقامة الثانية والثلاثين

قال: فان أفطر فيه العراة، قال لا تنكر عليهم الولاة.

العراة الذين تأخذهم العرواء وهي الحمى برعدة.

قال ابن الخشاب: يقال عرى الرجل فهو معرّو والجمع معرّوون فأما العراة فهو

جمع فاعل في المعتل فعارٍ وعراة كغاز وغزاة وحام وحماة والباب في اللفظة التي ذكرها لمفعول لا لفاعل.

وفيها: قال أيجب على الحاج استصحاب القارب قال نعم ليسوقهم إلى المشارب.

قال الحاج اسم للجمع والواحد والقارب الطالب الماء بالليل.

قال ابن الخشاب ليس القارب كما فسر وتفسيره الصحيح لا يعطي مراده الذي استعمله.

قال ابن بري: الذي ذكره ابن الحريري هو الذي ذكره الخليل على ما حكاه الجوهري عنه قال القارب الطالب الماء ليلاً ولا يقال ذلك نهاراً وزعم ابن الخشاب أن هذا ليس هو تفسيره الصحيح وكان ينبغي له أن يذكر تفسيره الصحيح ليتبين به غلط ابن الحريري ثم قال والذي ذكره قد حكاه أبو عبيد وليس بشيء في حديث الأضحيتين اللتين شريتا للنبي ﷺ من الجلب وباعهما وجاء بإحداهما وبالدينار فقال ﷺ صنعت كيف كذا في الرواية بتقديم صنعت على كيف وقد روى أبو الحسن عن العرب مثله وروى عنهم قلت ماذا وأشياء آخر من هذا الفن ورد بها الاستعمال وله وجه بطريق قد ذكرته في موضع لم يوجد في التعليق.

وفيها: قال فان عثر على أنه غربل قال ترد شهادته ولا تقبل.

قال غربل أي قتل.

قال ابن الخشاب الغربلة التقطيع قال: «ترى الملوك حوله مغربلة» وصيغة الجواب على رد قبول الشهادة لأجل القتل مطلقاً غير صحيح لأنه يجوز أن يغربل مجاهد أو يجوز أن يقتل مقتصاً ومقيماً حداً فلا تسقط عدالته بذلك.

قال ابن بري: في تهذيب الأفعال لابن القطاع الغربلة القطع وحكى الجوهري عن أبي عبيد المغربل المقتول المنتفخ وأنشد:

ترى الملوك حوله مغربلة   يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

وفيها: قال فما يصنع بمن سرق أساود الدار قال يقطع إن ساوين ربع دينار.

قال الأساود الآلات المستعملة كالاجانة والقدر والجفنة قال ابن الخشاب في الأسودة كما قدمت في الخامسة في قوله الدواة وأساودها وأنها جمع سواد لو جمع

جمع أسودة في هذا على أساود فيكون كأسقية وآساق لم يمتنع إلا أنه يفتقر إلى سماع لأن جمع الجمع لا يقاس عليه وفي الحديث: «فإذا أسودة»(1) وقد جاء في حديث أبي الدرداء الأساود يعني بها الآلات.

قال ابن بري: من قوله وقد جاء إلى آخر الفصل ليست من كلام ابن الخشاب وإنما هي رد عليه كان في الحاشية قال ابن بري قول ابن الخشاب إن أساود في جمع أسودة يفتقر إلى سماع دليل على أنه لم تمر به وقد ذكره ابن الأعرابي وغيره قال الجوهري السواد الشخص والجمع أسودة ثم الأساود جمع الجمع وأنشد الأعشى:

تناسيتم عنا وقد كان فيكم أساود صرعى لم يوسد قتيلها.

يعني بالأساود شخوص القتلى انقضى كلام الجوهري وحكى الهروي في حديث سلمان وهذه الأساود حولي أراد الشخص من المتاع وكل شخص سواد من إنسان ومتاع وغيره وحكى عن ابن الأعرابي أن سواداً يجمع على أسودة ثم يجمع أسودة على أساود فهذا نص على أنه مسموع.

في المقامة الثالثة والثلاثين

عاهدت الله مذ يفعت.

والمعرف أيفعت يقال أيفع الغلام فهو يافع وأبقل المكان فهو باقل وأورس الرامث فهو وارس وجعل أهل العربية خروج اسم الفاعل في هذه الألفاظ على غير فعله نادراً كذلك حكى أهل اللغة ابن السكيت ومن قبله انتهى كلام ابن الخشاب.

قال ابن بري: يفعت لغة في أيفعت حكاها ابن القطاع وابن القوطية وابن طريف وكذلك حكوا أبقل المكان وبقل وأورس الرمث وورس عن العرب وإلا كثر أيفع وأبقل وأورس فإذا ثبت سماع الكل عن العرب لم يكن لمن أنكرها عذر وإنما اختارها ابن الحريري هنا لتوافق مذ يفعت سجعتها وهي ما استطعت في وزنها فضرورة السجع حملته على استعمال أقل اللغتين.

وفيها: فنهضت أسلك منهاجه وأقفو أدراجه.

---

(1) ورد الحديث في العديد من المتون ومنها على سبيل المثال الحصر كنز العمال للمتقي الهندي والأسودة الجماعة من الخلق.

قال ابن الخشاب: رجع فلان أدراجه إذا رجع في الطريق الذي جاء منه فأما سرت في أدراج فلان أو قفوت أدراج فلان فليس من مستعمل كلامهم.

قال ابن بري: الدرج الطريق يقال دخل درج الضب أي طريقه الذي يدرج فيه ومنه قولهم هو مني درج السيل وكذلك أدراج السيول وأدراج الرياح لطرقها وليس الدرج بمنزلة القهقرى في نحو قولك مشى القهقرى واعتمد في سيره القهقرى ورجع القهقرى وأما الدرج فليس بمعنى القهقرى ألا ترى أن السيل يسيل القهقرى وإنما فهم من قولهم رجع أدراجه أنه رجع في الطريق الذي جاء منه من جهة رجع لا من جهة الدرج ولو كان الدرج بمعنى القهقرى لم يصح أن يقال درج السيل لأن السيل لا يسير القهقرى وأيضاً فإن القهقرى مصدر لا مكان فيصح هذا المعنى في المصادر لا في الأمكنة ولو كانت الأدراج لا تستعمل إلا مع رجع لكان الأمر كما ذهب إليه هذا القائل ولكن قولهم دخل درج الضب وهو مني درج السيل يبطل ما ذكره ويثبت أن الدرج اسم لكل طريق يدرج فيه فعلى هذا لا ينكر قفوت أدراجه أي طرقه.

في المقامة الخامسة والثلاثين

إذ احتف بنا ذو طمرين قد كاد يناهز العمرين.

قال ابن الخشاب بئس الاستعمال استعمال كاد مع يناهز لأن المناهزة معناها المقاربة ناهز فلان الخمسين إذا قاربها وكاد معناها المقاربة أيضاً فهما وإن اختلفا في الاستعمال يتفقان في معنى المقاربة فكأنه إذاحقق معنى قوله آل إلى أن يقدر هذا الكلام قارب مقاربة العمرين وهذا لا يخفى اختلاله على المتأمل.

وفيها: تأملت الشيخ على سهومة محياه وسهوكة رياه فإذا هو إياه.

قال ابن الخشاب: العجب لأبي محمد القاسم وهو بصري أن يستعمل ما قد أجمع أهل بلده على أنه لحن سيما رئيسهم سيبويه وهذه المسألة المشهورة التي جرت بين سيبويه والكسائي[1] حين قدوم سيبويه بغداد في مجلس يحيى بن خالد

(1) هو علي بن حمزة أحد القراء السبعة وإمام المذهب الكوفي له «رسالة في ما يلحن فيه العامة» توفي نحو 805 م.

البرمكي[1] وأبى سيبويه: «كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها» وقال لا يجوز إلا فإذا هو هي وأجازها الكسائي وهي لحن لا محالة.

قال ابن بري: ذكر أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق والزجاجي أن أبا زيد الأنصاري حكى عن العرب كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو إياها. قال أبو القاسم الزجاجي: فإما أن يكون سيبويه بلغته هذه اللغة فلم يقبلها ولا عرج عليها لشذوذها وإما أن تكون لم تبلغه فأنكرها فقد ثبت بهذا صحتها عن عالم من أجل علماء البصرة وهو أبو زيد الأنصاري وهو من جملة من أخذ عنه سيبويه فلا إنكار على ابن الحريري إذاً أن يوافق أحد علماء بلده في صحة سماعها وإن كانت شاذة في قياس العربية.

وفيها: ثم ودعني وانطلق وزودني نظرة من ذي علق.

قال ابن الخشاب: هذا يعطي خلاف المقصود لأن قولهم نظرة من ذي علق فسره اللغويون فقالوا معناه نظرة من ذي هوى قد علق من يهواه بقلبه. قال الأصمعي: نظرة من ذي علق يضرب للرجل يرى الشيء يحبه فيجتزئ عن معرفته بالقليل.

قال ابن بري: المعنى الذي أراده ابن الحريري صحيح لأنه أراد أنه أودع قلبي حرقاً لم يكن فيه وذلك بسبب مفارقته وزوده نظرة من ذي هوى وعشق فصار عاشقاً بعد أن لم يكن كذلك وسبب ذلك مفارقته التي أوجبت له أن صار ذا نظرة من ذى هوى لمن فارقه ولو كان المعنى على ما قاله ابن الخشاب لكان الصواب أن يقول وزودته نظرة من ذي هوى ولم يقل وزودني ومثل هذا لا يخفى على ابن الحريري.

في المقامة السادسة والثلاثين

أنحت بملطية مطية البين.

قال ابن الخشاب: الصواب بملطية مخففاً وكذلك استعمل وهو معرب والذي استعمله أبو محمد بالتشديد هو المتعارف بين العامة.

(1) أحد مشاهير الأسرة البرمكية التي تقلدت الوزارة في العصر العباسي من 750 م وحتى 803 م ويحيى كان مؤدب الخليفة هارون الرشيد ثم وزيره حتى انقلب الرشيد عليهم ونكّل بهم توفي سنة 805 في السجن.

قال ابن بري: ملطية اسم أعجمي والأسماء الأعجمية كثيراً ما تغيرها العرب ألا ترى إلى نحو جبريل وإبراهيم فيهما عدة لغات وكذلك بغداد والمشهور في هذه البلدة على استعمال الناس ملطية بتشديد الياء وكسر الطاء وإنما أثبت ابن الخشاب أنها ملطية بتخفيف الياء وإسكان الطاء اتباعاً للمتنبي في قوله.

«ملطية أم للبنين ثكول» وليس في استعماله لها على التخفيف قاطع على أن هذا هو الأصل في اسم البلدة لاحتمال أن يكون خففها للضرورة ويكون ما عليه الناس في الاستعمال هو الصحيح.

وفيها: وقد وصف الأحجية وشرطها أنّ وضْعَ الأُحجِيّةِ، لامتِحانِ الألمَعيّةِ، واستِخْراجِ الخَبيّةِ الخفيّةِ. وشرْطُها أنْ تكونَ ذاتَ مماثلَةٍ حَقيقيّةٍ، وألْفاظٍ معْنَويّةٍ، ولَطيفَةٍ أدَبيّةٍ، فمتى نافَتْ هذا النّمَطَ، ضاهَتِ السّقَطَ.

قال ابن الخشاب: لا تشبه الأحاجي المشروطة قوله في آخرها جحفلة مثله مكاشفة لأن المكاء الصغير قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: 35] والأصل في المكاء المد ولكنه قصره في هذه الأحجية كما حذف همز الفراء في أحجيته وكلا الأمرين من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز إلى آخر كلامه.

قال ابن بري: ليس الأمر على ما قال إنما يجوز قصر الممدود في ضرورة الشعر وحذف الهمزة لا يطرد وإنما يكون في مواضع مخصوصة بصفة مخصوصة

وفيها: أحجية صورتها خذ تلك قال ومثلها هاتيك.

قال ابن الخشاب: باردة لا تشبه الأحاجي المشروطة.

قال ابن بري: هذه الكلمات كل كلمة منها من كلمتين بمعنيين نسامح قائلها بأن يقصر فيها الممدود ونحو ذلك من ضرورات الشعر لعزتها وصعوبة استنباطها.

في المقامة السابعة والثلاثين

فسقط الفتى في يده ولاذ بحقو والده.

قال ابن الخشاب: أخطأ في قوله سقط الفتى في يده ولم يعلم حقيقة هذا الكلام كيف تستعمله العرب.

وبيانه: يقال سقط في يد فلان إذا ندم، ولا يقال سقط فلان في يده.

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 149] ولم يقل: «سقطوا في أيديهم» وهذا كلام جار مجرى المثل، وفاعل سقط مضمر لا يظهر، معناه الندم فكأنه والله أعلم سقط الندم في يد فلان وليس المعنى سقط فلان في يد نفسه هذا محال لا يجوز عليه ولا يعطيه لفظ هذا الكلام ولا معناه، وهذا الغلط من فاحش غلط الحريري في مقاماته، ويدل عليه دلالة قاطعة قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ [الأعراف: 149] أي في الثاني وهو ضلوا وهو ضمير المذكورين في أول الآيات ولم يأت به في الأول وهو سقط لأن فاعله غيرهم وهو ضمير الندم على ما بيّن أهل اللغة العربية وهو الصواب والله أعلم.

قال ابن بري:

قول ابن الخشاب: إن في سقط من قولهم سقط في يده وفي قوله تعالى: ﴿سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ [الأعراف: 149] فضمير لا يظهر، معناه الندم غلط فيه لأن سقط فعل غير متعد إنما ذلك في قراءة من قرأ سقط في أيديهم وهي قراءة حكاها الأخفش وقال تقديره ولما سقط الندم في أيديهم وإذا ثبت أن الندم فاعل لسقط لم يجز أن يكون مرفوعاً لسقط، لأن الفاعل لا يكون مفعولاً لم يُسم فاعله وإنما يكون غيره وهو قوله في أيديهم وكذلك سقط في يده الجار والمجرور في موضع المفعول الذي لم يُسمّ فاعله. وظاهر كلام ابن الخشاب يقتضي أن القراءة المشهورة: «وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِم» بفتح السين وذلك غلط على أن القراء كلهم مجمعون على سقط بضم السين وكسر القاف وهو من الأفعال المبنية لما لم يسم فاعله، مثل: جنّ وزكم ولم يقرأ أحد سقط في أيديهم إلا أبو السميع في الشواذ من القراءات وذلك غير معروف عند أهل اللغة وكذلك ذكره ابن الحريري فسقط الفتى في يده، ولاذ بحقو والده ولم يرو أحد عنه فسقط الفتى بفتح السين ولا يصح كلام ابن الخشاب إلا على سقط بفتح السين وهو خلاف ما روي عن ابن الحريري في مقاماته إلا أن ابن الحريري غلط بذكر الفتى وصوابه فسقط في يده من غير ذكر الفتى أو يقول فإذا الفتى ساقط في يده ولا يكون في سقط ضمير الفتى؛ لأنه فعل غير متعد والمجرور في موضع رفع به. فإن قال قائل فلعل هذا من غلط الكاتب على ابن الخشاب أن مثل هذا لا يخفى عليه أعني القراءة المجمع عليها «وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِم» على ما لم يسم فاعله قيل له كلام ابن الخشاب يقتضي أنه إنما قال سقط بفتح

السين ألا تراه قال: «وفاعل سقط المضمر لا يظهر»[1]، ومعناه الندم ثم قال بعد هذا، ويدل عليه دلالة قاطعة أي على أن الندم مضمر في سقط، قوله تعالى: ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ [الأعراف: 149] وهو ضمير المذكورين في أول الآيات، ولم يأت به في الأول وهو سقط لأن فاعله غيرهم وهو ضمير الندم على ما بيّن أهل اللغة العربية وهو الصواب، انقضى كلام ابن الخشاب، وقد أثبت أن القراءة سقط بفتح السين وأن الفاعل لم يظهر في سقط كما ظهر في ضلوا، لكن فاعل سقط عين فاعل ضلوا وهو الندم، وقد ثبت بهذا غلطة في القراءة، اللهم إلا أن يكون الناقل عنه قد غير الكلام عليه، وأن الذي قاله إن سقط في يده فعل مبني للمفعول، وكان الفعل قبل أن يبنى للمفعول سقط في يده بفتح السين أي سقط الندم في يده ثمّ حذف الفاعل وأقيم الجار والمجرور مقامه، والدليل على صحة ذلك سقط في أيديهم فحينئذ يكون الكلام مستقيماً والردّ صحيحاً.

في المقامة الثامنة والثلاثين

فلا أجد عنه مخبراً ولا أرى له أثراً ولا عثيراً.

قال ابن الخشاب: كذا تأدى عنه عثيراً بتقديم الثاء المعجمة بثلاث نقط على الياء وكسر العين ولا وجه لاستعماله ههنا لأن العثير الغبار وإنما المستعمل مع الأثر العيثر بتقديم الياء وفتح العين على وزن فيعل كحيدر وجيدر ولأهل اللغة في اللفظتين كلام أذكره بحكايته إن شاء الله.

قال ابن بري: هذا الذي ذهب إليه ابن الخشاب هو مذهب يعقوب واتبعه ابن فارس وقال القزاز في كتابه جامع اللغة العرب تقول ما رأيت له أثراً ولا عثيراً والعثير الأثر الخفي ويقال اتباع قال وحكى أبو الحسين يعني ابن فارس أنه يقال ما رأيت أثراً ولا عيثراً بتقديم الياء على الثاء فقد بان لك بهذا صحة ما قاله ابن الحريري لكونها مسألة خلاف لا إجماع.

---

(1) هذه الحاشية أثبتها كما جاءت في المتن الذي نقلت عنه: إن قول ابن الخشاب هذا لا يعني أنه أراد سقط فتح السين وقد فات ابن بري أيضاً أن الأفعال التي جاءت ملازمة للبناء للمجهول لا يقال ونائب فاعلها وإنما يعرب فاعلاً مع هذه الصيغة فلا دليل لابن بري في ذلك أهل المرصفي.

في المقامة التاسعة والثلاثين

قال: لهجت مذ اخضر إزاري وبقل عذاري.

قال أراد بالإزار العانة.

قال ابن الخشاب: هذا بعيد.

قال ابن بري: ليس هذا ببعيد لأن الإزار قد يسمى حقواً لأنه يشد على الحقو وهو معقد الإزار والعانة داخلة في الحقو ومنه الحديث أنه أعطى النساء اللواتي غسلن ابنته حقوه أي إزاره وقال أشعرنها إياه والعرب تكني بطيب الإزار عن عفة الفرج لأنه عليه يعقد وعليه قول الخرنق «والطيبون معاقد الأزر» وكذلك يكنون بطهارة الجيب عن القلب السالم من الغش لأن الجيب يكون على القلب.

قال فيها: فنقلت إليها أساودي.

استعمل الأساود في الآلات على عادته وقد بينت أنها الأسودة وقد جمعت على أسودات.

وفيها: فأقبلنا نجوس خلالها ونتفيؤ ظلالها.

قال ابن الخشاب: ليس هذا موضع استعمال هذا الكلام لأنه يذكر أنهما أعني الحارث بن همام وأبا زيد صعدا إلى الجزيرة ثم بادرا قوتاً لإقوائهما من الزاد مع ما ذكر من ضعف مريرتهما وأنهما لا يهتديان سبيلاً وقوله تعالى: ﴿فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ﴾ [الإسرَاء: 5] معناه فيما فسروا والله أعلم أكثروا القتلى خلال الديار فأين موضع استعمال هذا الكلام ههنا سيما مع قوله نتفيؤ ظلالها وإنما غره النظم فقط بين الخلال والظلال وأما الجوس وذكره في القرينة الأولى ففسر عليه استعماله في المعنى الذي أراده من الظلال وعدم الاهتداء مع ضعفهما بعدم القوت وهذا ظاهر(1).

قال ابن بري: وقال الجوهري الجوس مصدر جاسوا خلال الديار أي تخللوا

(1) أثبت هنا حاشية أنقلها عن المتن كتبها المرصفي: «أقول وقد لاك ابن الخشاب قول الحريري هذا والغلطة أمامه ولم يشعر بها ألا وهي قوله نتفيأ ظلالها وفيه أن الفعل لازم وقد عداه الحريري ولا حق له في ذلك. المرصفي.

فطلبوا ما فيها كما يجوس الرجل الأخبار أي يطلبها فعلى هذا يصح ما قاله ابن الحريري وحكى الهروي في الغريبين عن الأزهري أن معنى جاسوا وطؤا وحكى عن الأصمعي أنه يقال تركت فلاناً يجوس بني فلان ويجوسهم ويدوسهم أي يطؤهم وقال يطؤهم وقال أبو عبيد كل موضع خالطته ووطئته فقد جسته وحسته.

في المقامة الأربعين

في تفسير ألفاظ هذه المقامة يا دفار يا فجار إلى قول الشاعر:

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاع[1]

قال ابن الخشاب: لم أجد الرد وإنما نقلته لينظر.

في المقامة الثانية والأربعين

ثم أنه اختبن خلاصة النض وبدر ضارباً في الأرض.

قال ابن الخشاب: يظن أن الخلاصة خالص الشيء وكذلك ربما ظنت العامة وليس الأمر على ذلك لأن الخلاصة ما يلقى من الشيء ويسقط عند التخليص وعلى ذلك باب الفعالة كالنحاتة لما يلقى من النحت والبراية لما يلقى من البري وكذلك النخالة والكساحة والقمامة والكناسة والقوارة وأمثلته كثيرة جداً والخلاصة أيضاً ما يلقى في السمن إذا صفى مثل تمرة أو بعرة وما يجري مجراها يجتمع إليها وسخه ليلقى وهو الأثر وذلك معروف عند اللغويين فهو مخطئ في هذا الاستعمال على كل حال.

قال ابن بري: قول ابن الحريري صحيح لأن لفظة الخلاصة مختلف فيها من جهة المعنى فذهبت طائفة إلى ما ذهب إليه ابن الحريري وذهبت طائفة أخرى إلى ما ذهب إليه ابن الخشاب قال الجوهري خلاصة السمن ما خلص منه لأنهم إذا طبخوا الزبد ليتخذوه سمناً طرحوا فيه شيئاً من سويق أو تمر أو أبعار غزلان فإذا جاد وخلص من التفل فذلك السمن هو الخلاصة ويشهد بصحة ما قاله الجوهري إنه يقال في الخلاصة

(1) البيت للحطيئة.

الخلاص أيضاً والخلاص ما خلص من الذهب والفضة بعد السبك وقال الهروي في حديث سلمان إنه كاتب أهله على أربعين أوقية خلاص الخلاص ما أخلصته النار من الذهب وكذلك الخلاصة فجعل الخلاص والخلاصة بمعنى واحد وذكر الفارابي في كتابه المعروف بديوان الأدب الخلاصة ما خلص من السمن وإذا أثبت ذلك لم يكن لتغليط ابن الحريري وجه إذ كان قوله موافقاً لأقوال أهل اللغة الحذاق وكون ابن الخشاب قطع عليه بالغلط دليل على أنه لم يعلم فيه خلافاً أو تركه مع العلم به والله أعلم.

وفيها: إلى أن طال الأمد وحصحص الكمد.

قال ابن الخشاب: استعمل الحصحصة مع غير لفظة الحق ولا يكاد يستعمل ذلك لو قال حصحص الباطل وحصحص الشر أو غير ذلك كان بعيداً من استعمالهم.

قال ابن بري: قوله إن الحصحصة إنما تكون مع لفظة الحق قول تفرد به حمله على ارتكابه ما جاء في الكتاب العزيز من قوله تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ [يُوسُف: 51] وليس الأمر كما ظن لأن الذي عليه أهل اللغة حصحص الشيء بمعنى ظهر ووضح ولم يخصوا به حقاً ولا غيره وقال الخليل الحصحصة الحركة في الشيء حتى يستقر فيه ويتمكن ويقوى قوله في ذلك قول حميد يصف جملاً:

وحصحص في صم الحصا ثفناته ورام القيام ساعة ثم صمما

في المقامة الثالثة والأربعين

والمريح قد ازدمل بنجاده.

قال ابن الخشاب كذا وقع في المقروء بنجاده بالنون ولا وجه للازدمال بنجاد السيف لأنه لا يعم المتغطي المتلفف عموم الثوب فان كان قال ببجاده أي بكسائه فهو الوجه.

قال ابن بري: الرواية ببجاده بالباء لا غير والذي ذكره ابن الخشاب بنجاده بالنون غلط منه أو في النسخة التي قرأها.

في المقامة الرابعة والأربعين

عشاره تخور وأعشاره تفور.

قال ابن الخشاب: نظر إلى التجنيس بين عشار وأعشار فأساء الاستعمال إذ الأعشار في قول العرب برمة أعشار وقدح أعشار إذا كان قطعاً ولم يسمع للأعشار بواحد ولعله ظن أن أعشاراً جماعة فاستعمله لأن الأعشار البرمة الواحدة وهي مع ذلك عدة قطع وهو ما وصف فيه الواحد بالجمع لكون الواحد عدة قطع فهو كالجمع ومثله حبل أرمام وأقطاع وأرماث وجفنة أكسار وثوب أسمال وقد فسره ابن الحريري في آخر هذه المقامة فقال الأعشار البرمة العظيمة كأنها شعبت لعظمها يقال برمة أعشار وثوب أسمال وليس الأمر كما ذكر قال لأنها يجوز أن تكون عظيمة وغير عظيمة والمراد بها المشعبة.

قال ابن بري: قول ابن الخشاب ولعله ظن أن أعشار جماعة غير صحيح لأن ابن الحريري قد فسر الأعشار بأنها البرمة العظيمة وكذا قال القزاز في كتابه جامع اللغة إن الأعشار القدر العظيمة وهذا يصحح قوله أيضاً إنها القدر الكبيرة دون الصغيرة وإنما غلط ابن الخشاب في جعله تاء التأنيث في قوله تفور تأنيث الجمع لما قرن بين قوله عشاره تخور وأعشاره تفور فظن أن اللفظتين للجماعة وأن التأنيث فيهما تأنيث الجماعة وليس الأمر كذلك بل التأنيث في قوله تفور لتأنيث القدر الواحدة دون الجماعة فكما أنك تقول قدره تفور فكذلك تقول أعشاره تفور لأن الأعشار هي القدر الواحدة الكبيرة وهي مؤنثة ووصفت بالجمع كما وصف الثوب بالجمع في قولهم ثوب أسمال ولهذا حصل له التجنيس بين قوله وأعشاره وعشاره لكون عشار جمعاً ولكون أعشار جمعاً وصف به الواحد فيكون التأنيث في تخور تأنيث الجماعة وفي تفور تأنيث الواحدة ولا يمتنع أن يريد بها الجماعة لأنه قد يوقع الواحد موقع الجمع كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [البقرة: 7] أراد وعلى أسماعهم وكذلك قول الشاعر: «في حلقكم عظم وقد شجينا» أراد في حلوقكم وقوله: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: 31] وقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: 29].

في المقامة السادسة والأربعين

إذا الفعل يوماً غم عنك هجاؤه فألحق به تاء الخطاب ولا تقف
فان تر قبل التاء ياء فكتبه بياء وإلا فهو يكتب بالألف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف.

قال ابن الخشاب: أمر ما يكتب بالياء والألف من الأفعال التي اعتلت أواخرها ظاهر بما أشار إليه أهل العربية وقد خلطه ابن الحريري بنظمه وزاده إشكالاً.

وفيها: ما عقد هجاء الأفعال التي آخرها حرف اعتلال.

قوله الأفعال مطلقاً غير محقق لأن هذا الفرق الذي أراده إنما هو مختص بالأفعال الماضية لا غيرها مطلقاً وهذا وإن كان معلوماً فانه غير صحيح وفيه تجوز.

وقوله: ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف.

قال ابن الخشاب: فيه تخليط لأن الثلاثي من الأفعال خاصة يفرق فيه بين ذوات الياء والواو على رأي من فرق ليقع الاعتبار بالرد إلى الضمير وهو التاء في آخره فان كان قبل التاء ياء علم أن الفعل من ذوات الياء فكتب بالياء وجاز كتبه بالألف على اللفظ وإن كان قبل التاء واو كتب بالألف على لفظه اهـ. أما ما تعدى الثلاثي أي ما كان على أربعة أحرف فصاعداً فانه لا يختلف لأن ذوات الواو ترجع فيه إلى ذوات الياء فيستوي فيه لفظ لجميع ألا ترى أنك تفرق بين غزا ورمى ما داما ثلاثيين فتكتب غزا ورمى هذا بالألف وهذا بالياء فإذا كتبت أغزى وأرمى كتبتهما جميعاً بالياء لأنك تقول أرميت وأغزيت وكذلك استغزى واستسعى يستويان في الكتب بالياء كقولك استسعيت واستغزيت والمهموز أيضاً لا يحتاج فيه إلى نظر لأنه يختلف كقولك سلأ وهنا فلا وجه في تخليط الأبواب الثلاثة التي جمعها في البيت الأخير فإنه زاد الباب إشكالاً بقوله في ذاك يختلف فان ذاك إشارة إلى الاعتبار بالرد على الضمير والفرق من بعد فينظر طالب الفرق أن هذا الفرق مستمر في الأبواب الثلاثة وأن ما زاد على الثلاثي والمهموز يتنوعان كما يتنوع الثلاثي وقد بينا أنهما لا يختلفان في كل ما يكتب بالألف وما زاد على الثلاثة كله يكتب بالياء وأقول أيضاً إن الفرق في الثلاثي شيء لم يكن يعرف في

القديم وإنما أخذته قوم من النحاة تكسباً مع الكتاب ليحتاجوا إليهم فيه وقيل إن البادئ به أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش.

قال ابن بري: لم يرد ابن الحريري بالمهموز ما أراده ابن الخشاب لأن ذلك لا يخفى على من له أدنى معرفة بهذا النحو ألا ترى أنه لا يغلط أحد في مثل سلأ السمن فيكتبه بالياء من جهة أنه لا يقول أحد سليت السمن وإنما يقال سلأت السمن بالهمز وإذا كان الأمر على هذا لم يكن لما ظنه ابن الخشاب بابن الحريري وجه من الوجوه وإنما الذي أراد بالمهموز المهموز العين مثل شأوى وبأوى فان من الكتاب من يختار كتابة هذا النحو بالياء كراهة أن يجتمع ألفان في الخط كما كتبوا يعني ويحيى بالألف كراهة اجتماع ياءين في الخط والذي يختاره ابن الحريري أن يكتب المهموز العين بالألف إذا كان أصلها الواو ليطرد الباب ولا يختلف وليس اجتماع العين كاجتماع ياءين ألا ترى أن الكتاب يقولون رأيت كساء فيكتبونه بألفين ولا يبالون باجتماعهما.

وقال في هذه المقامة في الأبيات التي جمع فيها حروفاً مما يقال بالظاء: والشناظير والتعاظل والعظلم وفسر العظم بأنه الخطمى وليس الأمر على ما قال وإنما العظلم الوسعة التي يختضب بها والخطمى ليس مما يختضب به بل هو مما يغتسل به.

في المقامة السابعة والأربعين

قال: إن مثل الوعود كغرس العود هو بين أن يدركه العطب أو يدرك منه الرطب وهذا كما تراه فان الرطب لا يجنى من عود البتة وإنما هو من الجذع وهو مختص بالنخلة فاطلاقه عليه اسم العود الذي لبقية الشجر خارج عن استعمالهم.

قال ابن بري: لم يرد ابن الحريري بالعود ما أراده ابن الخشاب من أنه جذع النخلة وإنما أراد بالعود الجريدة التي تغرس فتنبت فان كمل نباتها وتم أدرك منها الرطب وإن أدركها العطب لم يدرك منها الرطب والنخلة تسمى شجرة قال الله تعالى: ﴿وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ﴾ [الرحمٰن: 6] والشجر كل ما كان من النبات على ساق وكل شجرة أغصانها عيدانها فبان بهذا صحة قوله لأن الذي يزرع النخل إنما يأخذ جريدة بليفها ويغرزها في الأرض فتنبت فتصير نخلة ويدلك على أن النخلة تسمى شجرة أيضاً قوله صلى الله تعالى عليه وسلم إن شجرة مثلها كمثل المؤمن لا يسقط ورقها خبروني ما

هي ثم فسرها وقال هي النخلة ويسمى الخوص ورقها وورق الشجرة إنما يكون في عيدانها وإذا أثبت أن النخلة شجرة وأن خوصها ورقها ثبت أن جريدها عيدانها وأغصانها.

وفيها:

وإياك والشكوى فلم تر ذا نهى شكا بل أخو الجهل الذي ما ارعوى عوى

قال ابن الخشاب: هذا بيت قاده تجنيس أخرجه إلى نظم لا معنى له يتحصل.

وقال: بعد لفظ كالصهباء وفعل كالحصباء.

قال ابن الخشاب: الحصباء الحصى الصغار فما في تشبيه الفعل المخالف للقول به من المعنى.

قال ابن بري: أراد كفعل الحصباء في الترامي يقال تحاصبوا إذا تراموا بالحصباء وأيضاً فان الأرض ذات الحصباء يصعب السير فيها ويشق على من يقطعها في الحر والبرد من الناس والخيل والإبل وغيرها من بهيمة الأنعام فالسير فيها شاق مكروه والترامي بها أيضاً شاق مكروه والمعنى فيها صحيح على حذف المضاف تقديره كفعل الحصباء.

في المقامة الثامنة والأربعين

قال في الأبيات التي مجد بها أهل البصرة:

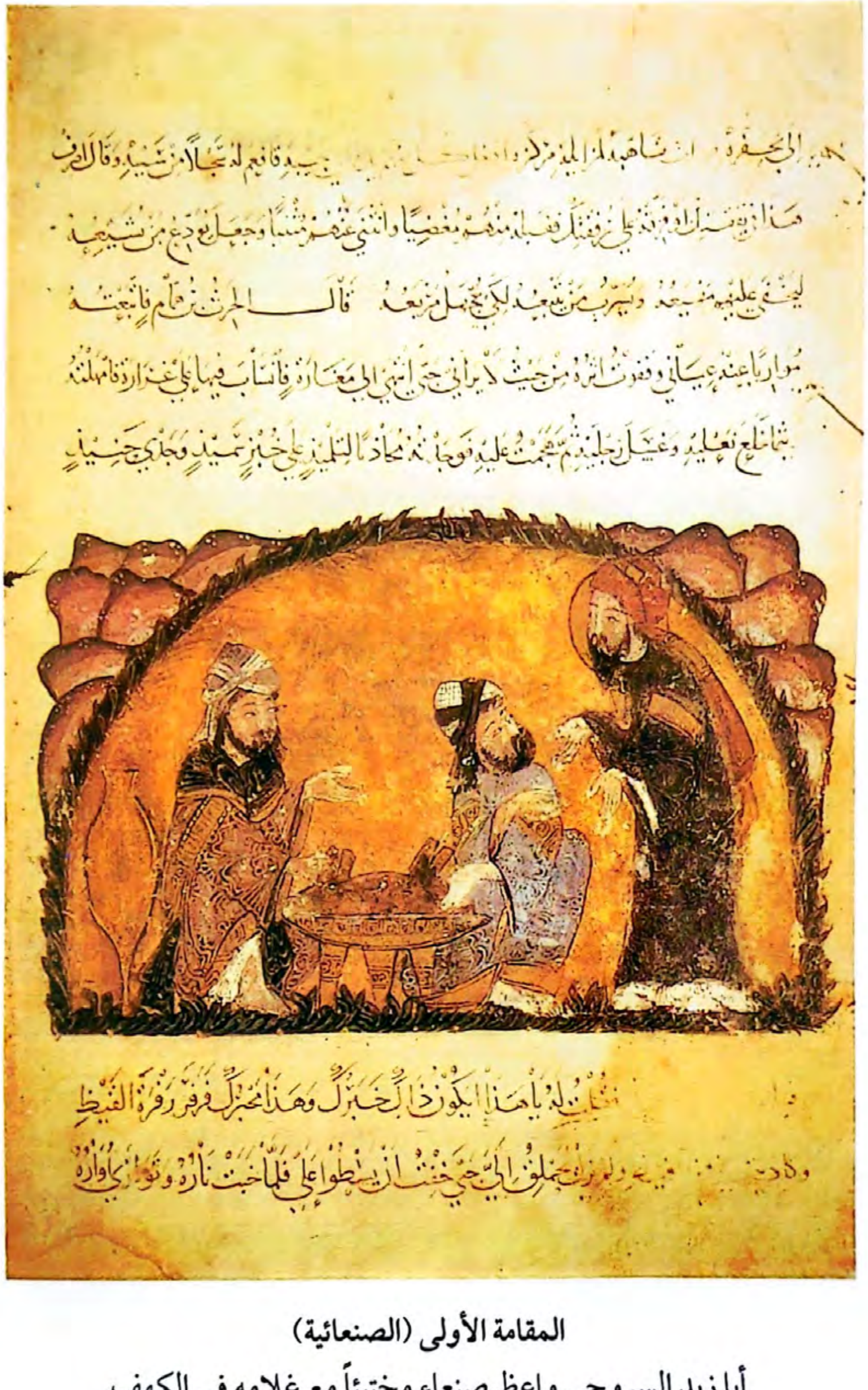
ومغنى لا تزال تغنّ فيه أغاريد الغواني والأغاني

قال ابن الخشاب: هذا البيت يروع بتجنيسه وذكر المغنى وتغن والغواني والأغاني فإذا انتشق معناه الذي يدل عليه لفظة ضعف جداً وكاد يكون فارغاً بل ربما فسد وذلك أن الأغاريد من قولهم غرد إذا طرب والغواني جمع غانية وهي المرأة التي غنيت بزوجها أو بحسنها عن التحسين على اختلاف تفسير اللغويين والأغاني جمع أغنية وهي المتغنى به فكأنه لما أضاف الأغاريد إلى الغواني والأغاني قال تغن في هذا المغنى بتطريب النساء اللواتي غنين ببعولتهن أو بحسنهن وتطريب الأبيات التي يغنى بها وناهيك بهذا المعنى صحة وحسناً.

قال ابن بري: ليس في هذا البيت ما ينكر عليه إلا عطفه الأغاني على الأغاريد وهما بمعنى واحد وهذا جائز عند أهل اللغة لاختلاف اللفظتين على جهة التأكيد وذلك كقول الشاعر: «فألفى قولها كذباً وميناً» والمين هو الكذب وكذلك قول الآخر: «وهند أتى من دونها النأي والبعد» وكذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: 107] قيل هما بمعنى وكذلك قوله: ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: 112] وكذلك قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86] والبث هو الحزن وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ [المدثر: 22] و﴿فِجَاجًا سُبُلًا﴾ [الأنبياء: 31] و﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: 27] وهذا النحو كثير جداً وهذا فيمن جعل الأغاريد جمع أغرودة للأغنية المطرب فيها ومن جعلها جمع أغراد فأغراد جمع غرد وهو التطريب لم يكن فيه تكرار لأنه يصير المعنى لا تزال الغواني تغني بأغانيها وتطريبها في هذا المغنى وهذا معنى صحيح لا فساد فيه والله أعلم.

وهذا آخر كلام الشيخ الإمام العلامة جمال العلماء أبي محمد عبدالله بن بري بن عبد الجبار المقدسي النحوي رحمه الله على ما وجد بخط الشيخ الإمام العالم الأوحد أبي محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد البغدادي المعروف بابن الخشاب وتنكيتاته على أبي القاسم الحريري في مقاماته رحمهم الله جميعاً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

صور المقامات



المقامة الأولى (الصنعائية)

أبا زيد السروجي واعظ صنعاء مختبئاً مع غلامه في الكهف وبينهما الجدي المشوي.



المقامة الثانية «الحلوانية»

يبادر الحارث بن همام ليأخذ بيد شيخه أبي زيد السروجي.



المقامة الثانية

الحارث يخاطب أبا زيد



المقامة الثانية

الحارث وهو يجادل زملاءه في أمور العلم في دار الكتب بالبصرة.



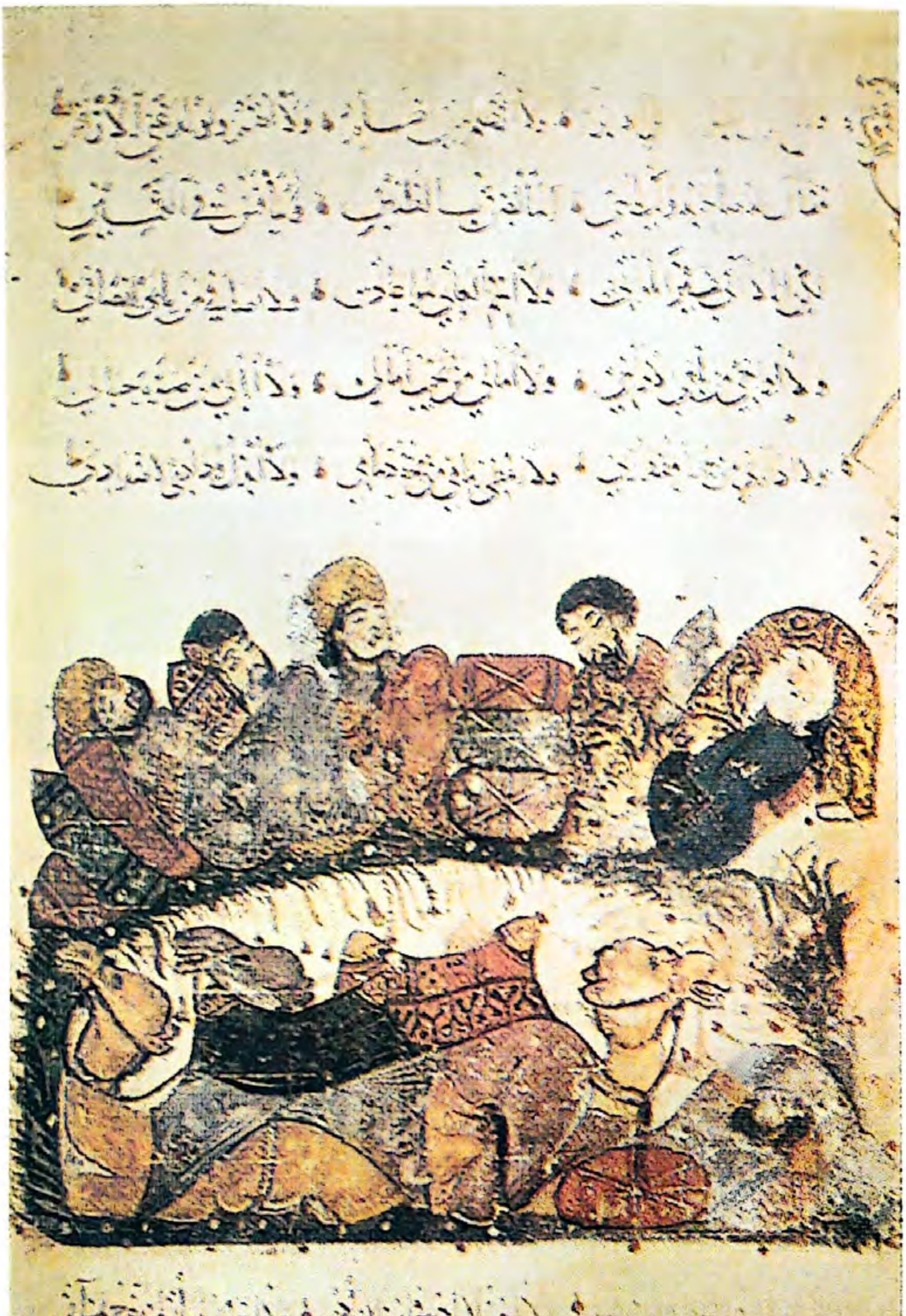
المقامة الثالثة «الدينارية»

الحارث وبعض الأصدقاء في مجلس تذاكرنا فيه الشعر.



المقامة الثالثة

أبو زيد يتكأ على عصاه أمام الحارث وجماعته يطلب مساعدتهم.



المقامة الرابعة «الدمياطية»

الحارث مع الأصدقاء أثناء رحلتهم إلى دمياط،
أصابهم الميل إلى النوم فناموا.



المقامة الرابعة

تعارف الحارث على أبي زيد وابنه.



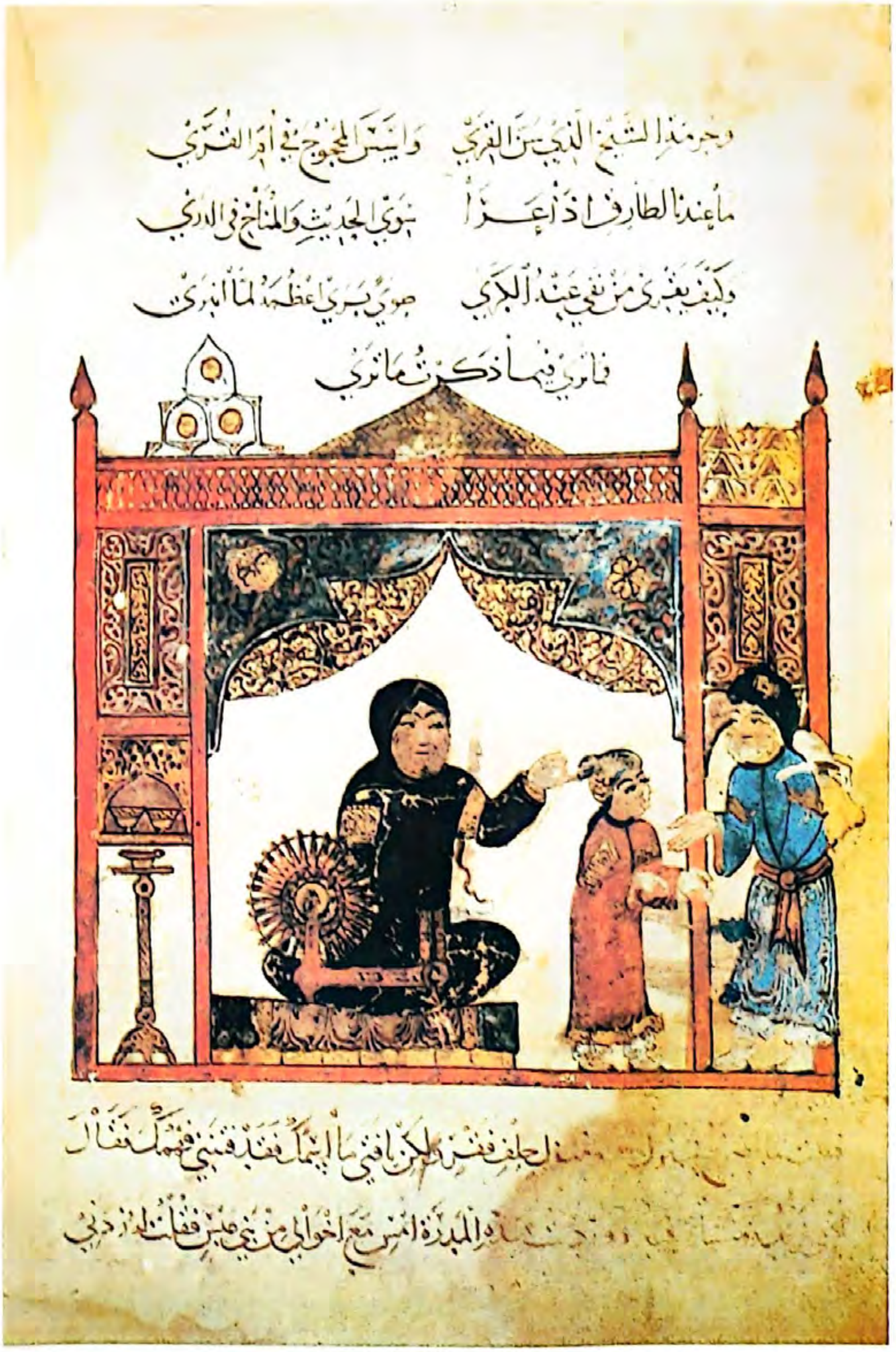
المقامة الرابعة

الحارث يجد الرقعة التي كتبها أبو زيد.



المقامة الخامسة «الكوفية»

الحارث مع أصدقائه بالكوفة يستمعون إلى رجل ومعه غلام.



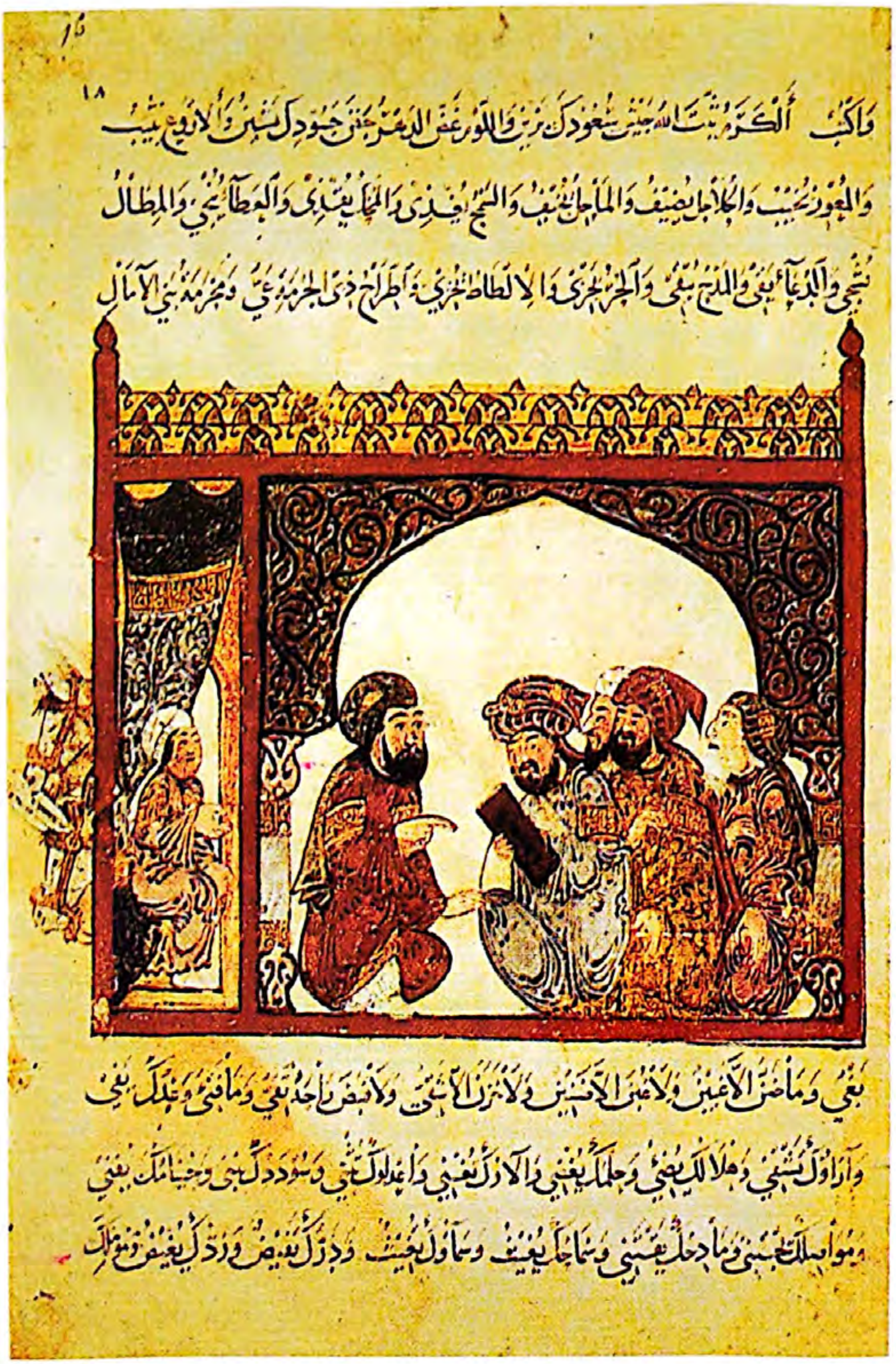
المقامة الخامسة

أبو زيد أمام ابنه وزوجته دون أن يعرفاه.



المقامة الخامسة

أبا زيد يعتذر للحارث حين كذب عليه.



المقامة السادسة «المراغية»

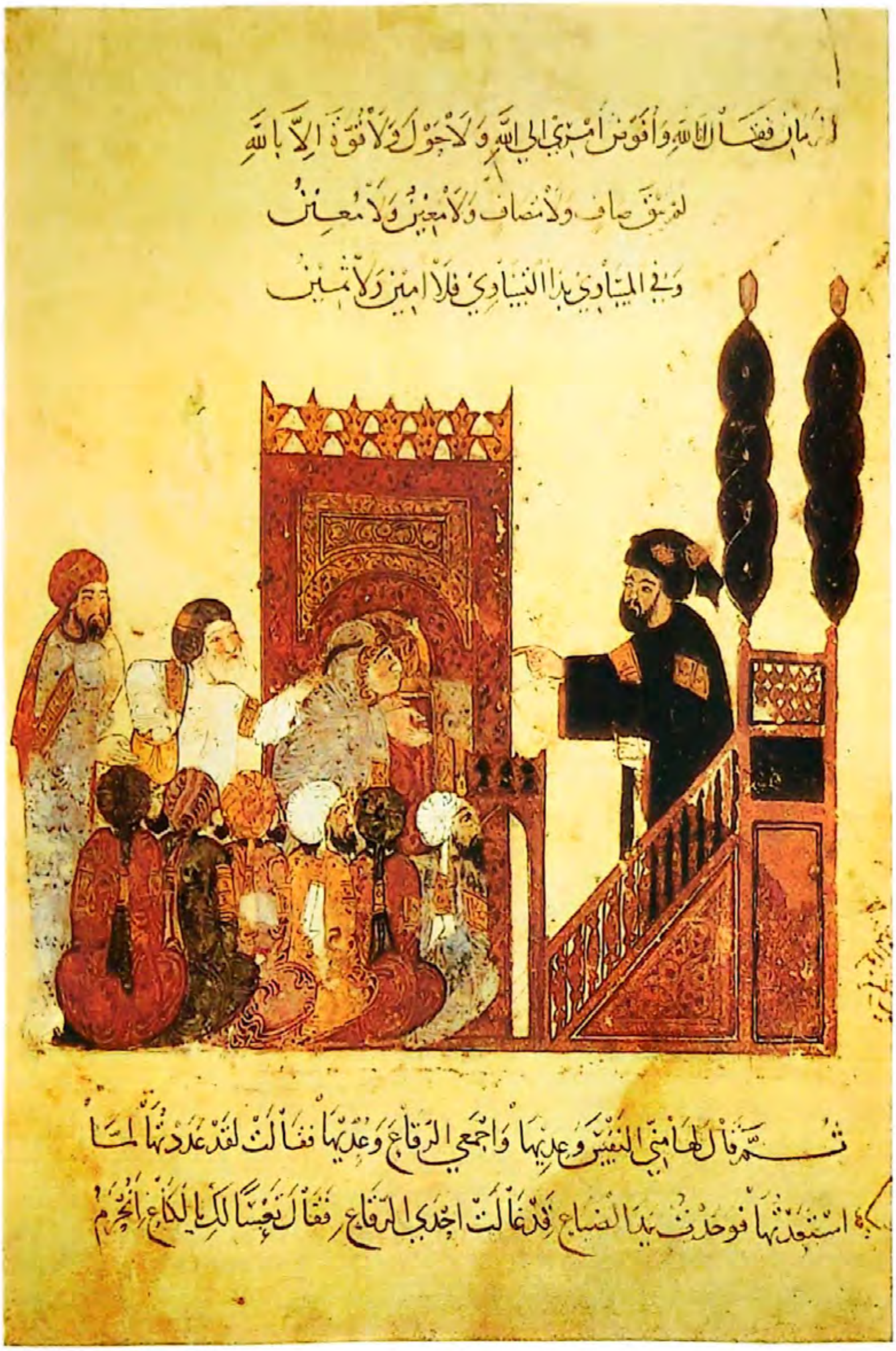
أبو زيد وفّق في كتابة الرسالة المستحلة وقدمها إلى الحارث بين زملائه.



المقامة السابعة «البرقعيدية»

«برقعيد في يوم عيد»،

الفرسان يتأهبون للإشتراك في حفلات العيد في البلدة.



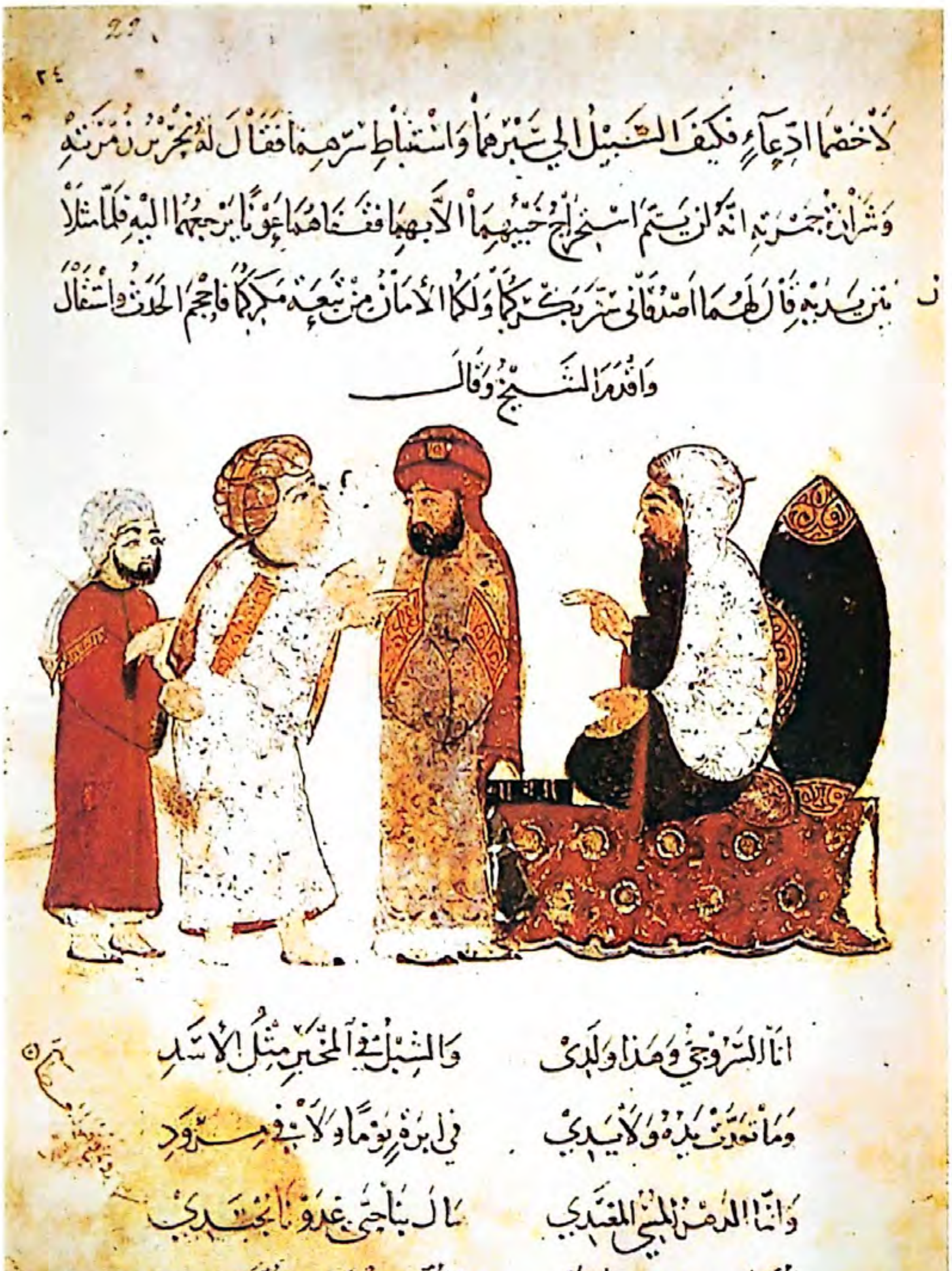
المقامة السابعة

أبو زيد يستجدي المصلين في مسجد برقعيد.



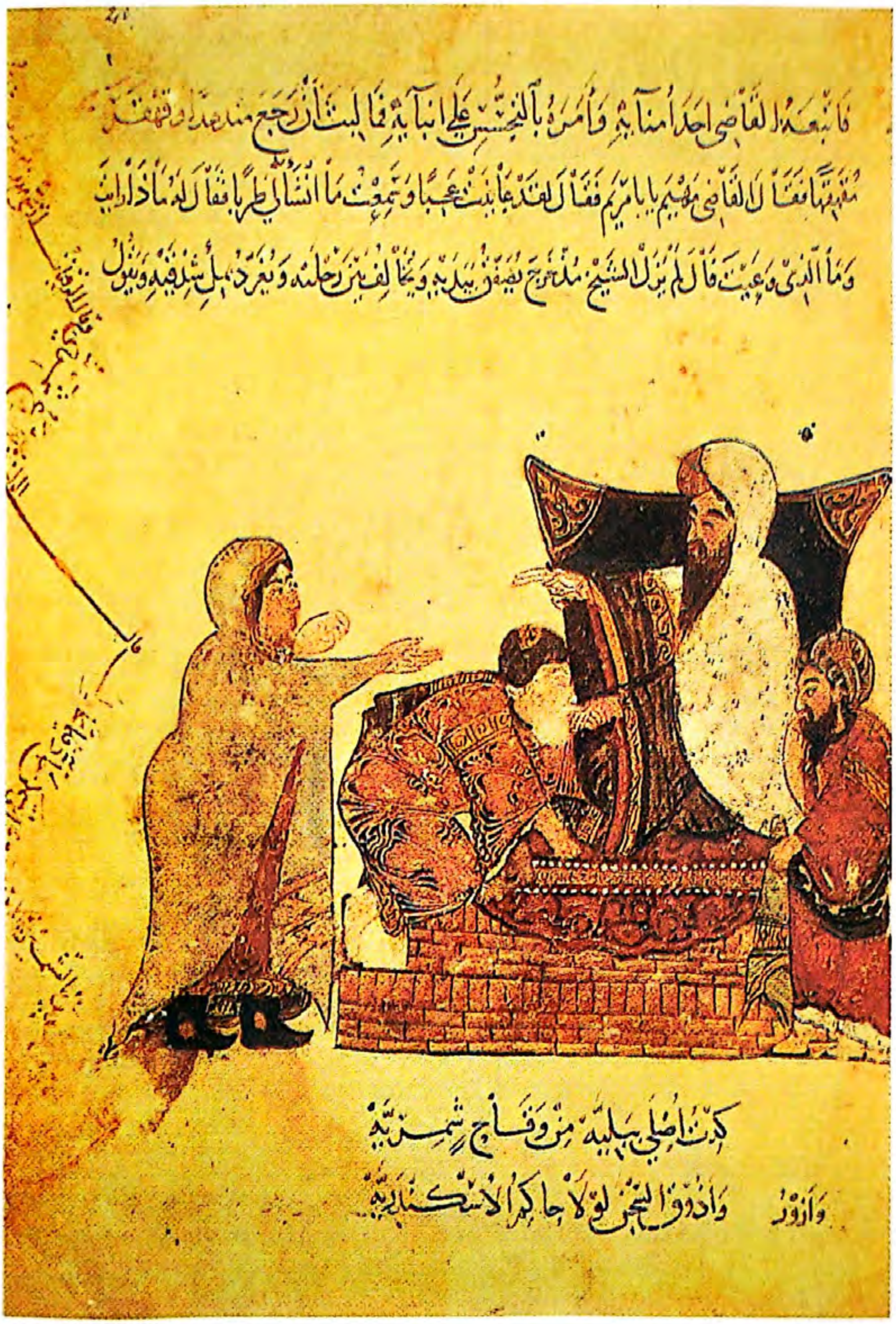
المقامة الثامنة «المعرّية»

قاضي معرّة النعمان جالساً على كرسيه وبين يديه الخصمان، زيد وولده.



المقامة الثامنة

القاضي يقول للشكاكيين «لكما الأمان من تبعة مكركما».



المقامة التاسعة «الإسكندرية»

حاكم الإسكندرية وأمامه مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات.



المقامة العاشرة «الرحبيّة»

الحارث بن همام يسأل أبا زيد عن الفتى الذي يصحبه.



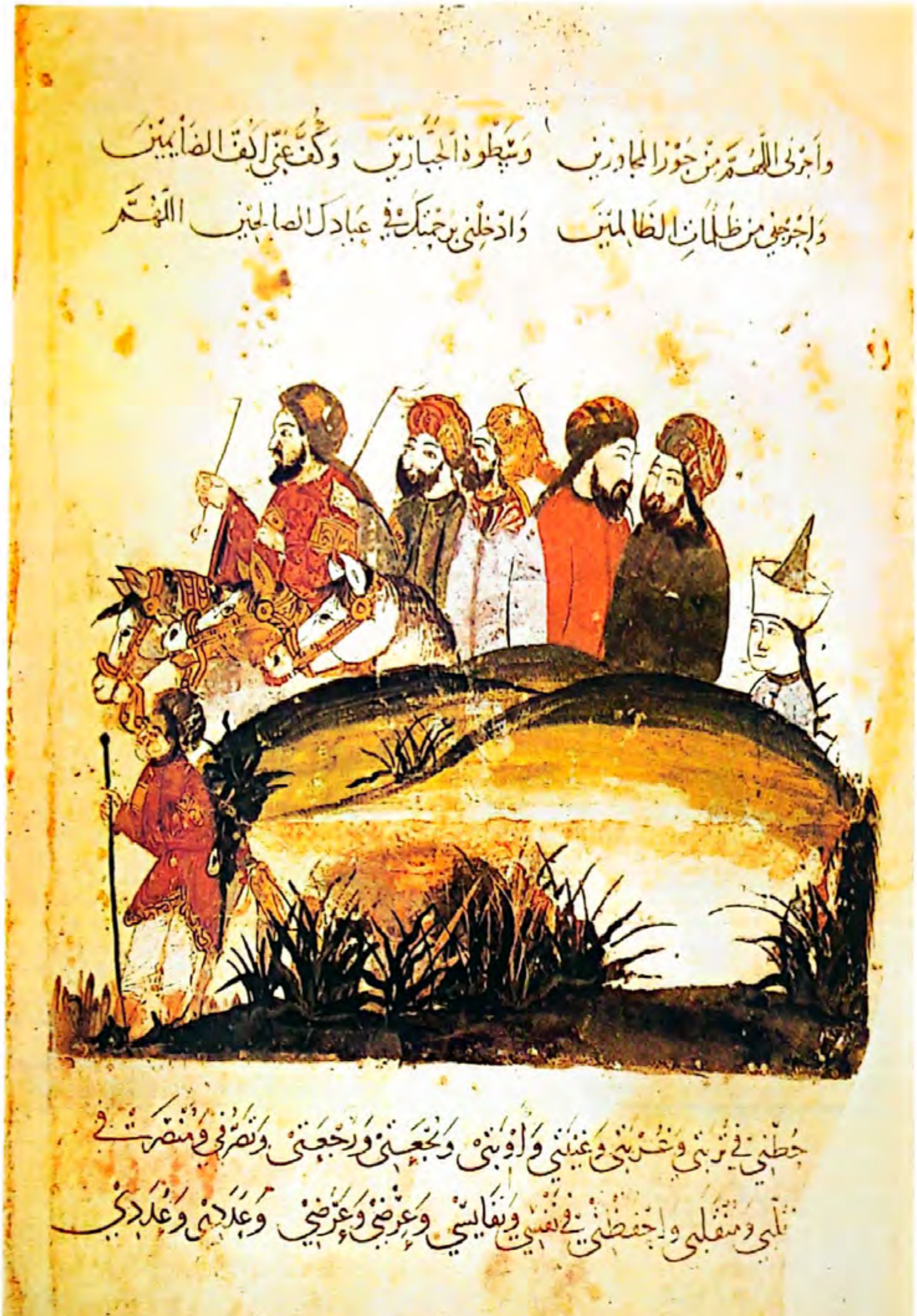
المقامة العاشرة

أبو زيد يقدم ابنه إلى والي الرحبه يتهمه بالقتل.



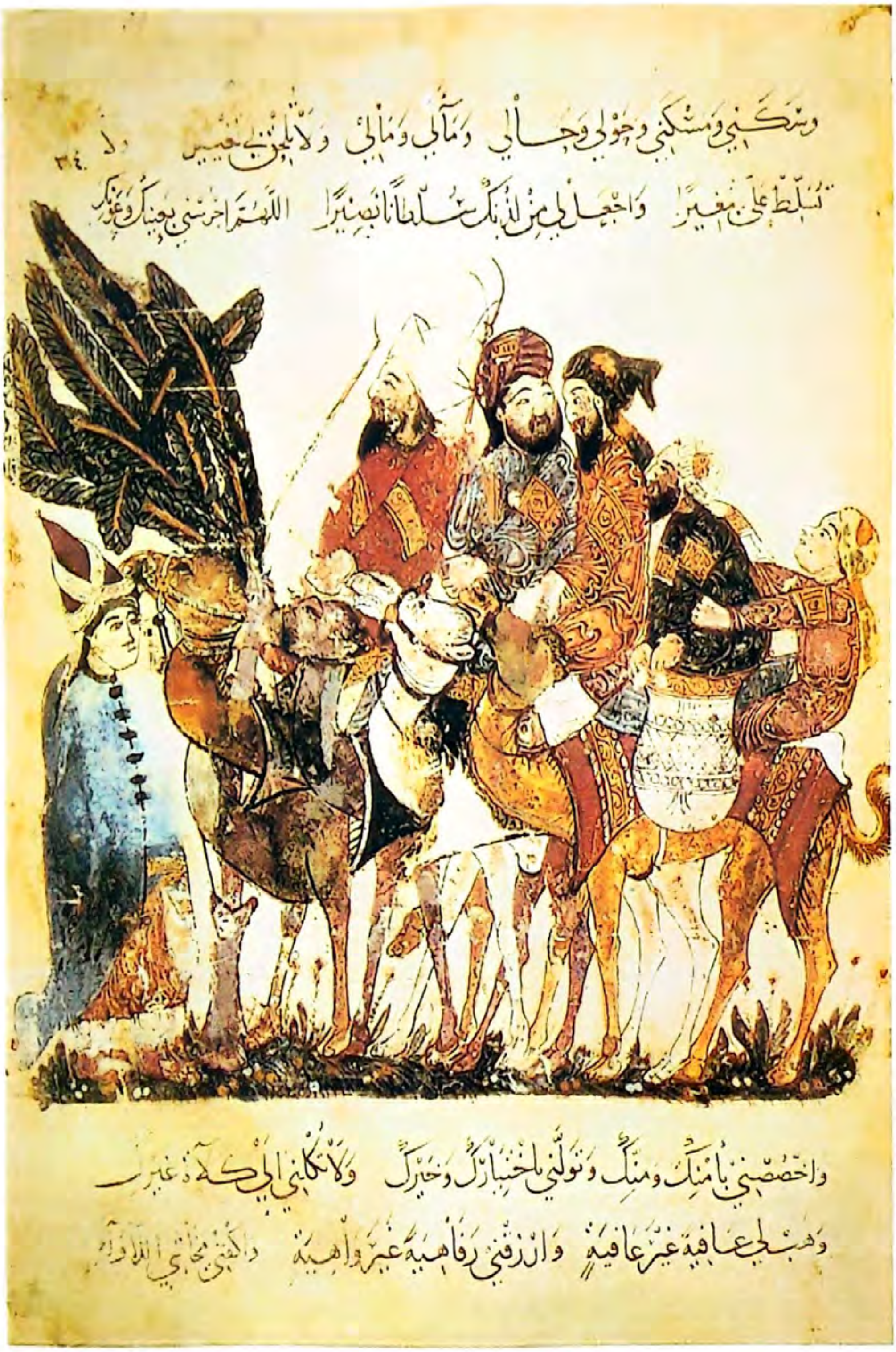
المقامة الحادية عشرة «السّاويّة»

أبو زيد في مقبرة ساوة.



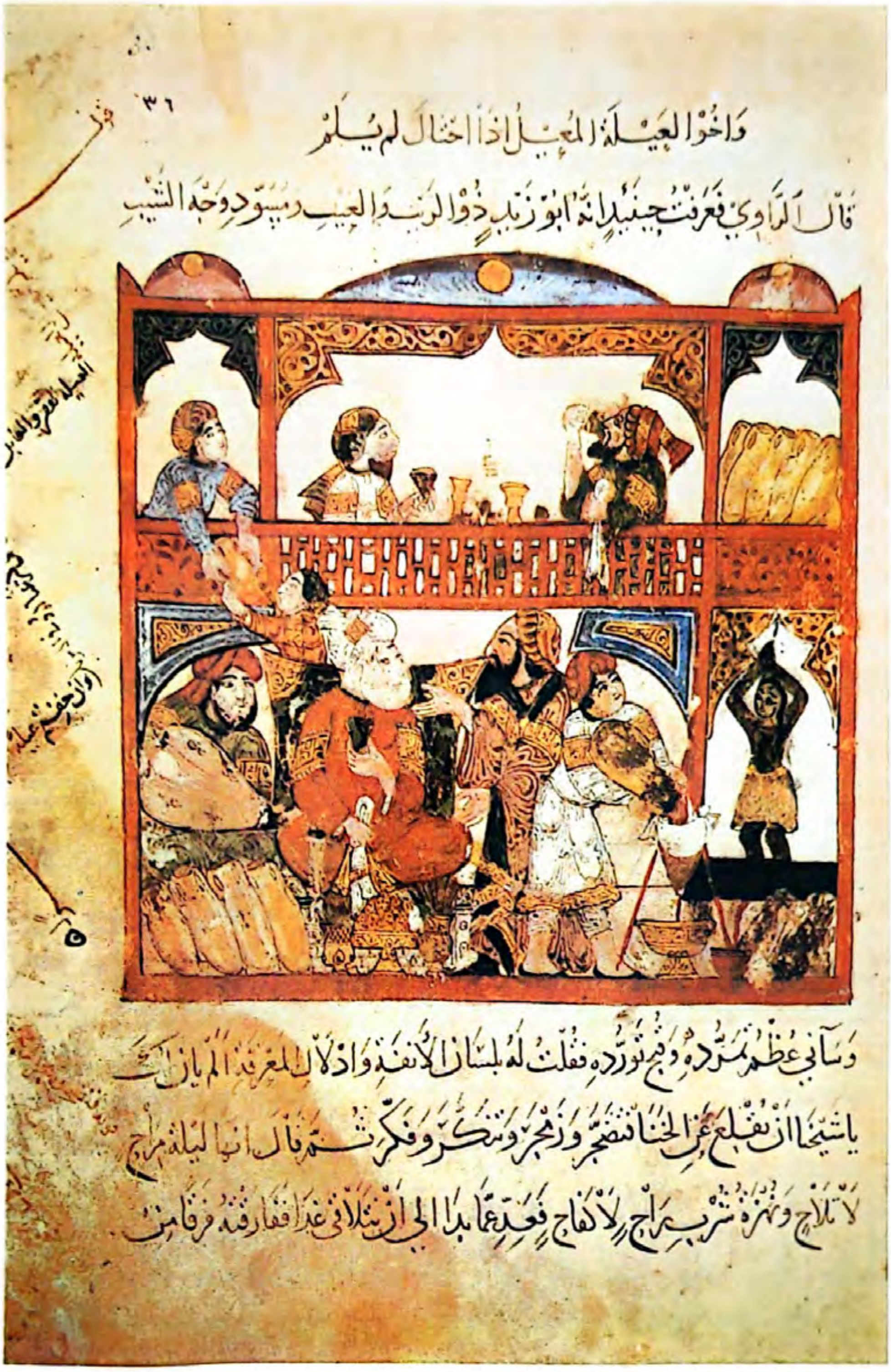
المقامة الحادية عشرة

تصور هذه اللوحة جمعاً على قبر يُحفر ومجنوز يُقبر، ووقف بينهم الحارث بن همام متفكّراً.



المقامة الثانية عشرة «الدمشقية»

رحلة العودة من الشام إلى العراق.



المقامة الثانية عشرة

يتصدر الحارث وأبو زيد الخمارة كلها منهمكين في الحديث وقد بدا عليهما السُّكر والإنشراح.



المقامة الثالثة عشرة «البغدادية»

امرأة عجوز خلفها صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل واقفة أمام رهط من شعراء بغداد.



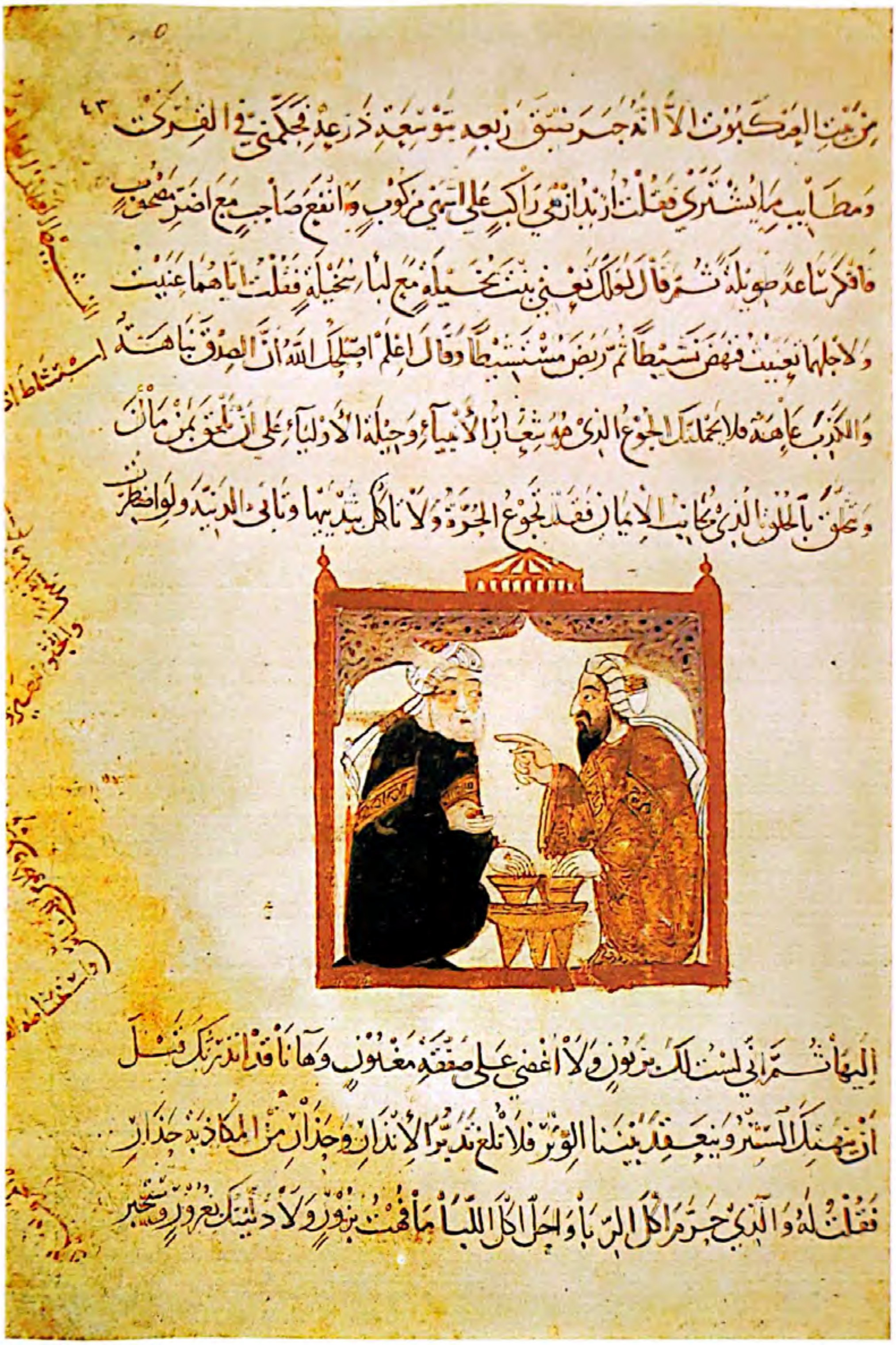
المقامة الرابعة عشرة «المكيّة»

أبو زيد وابنه ينصرفان بعد حصولهما على العطايا.



المقامة الرابعة عشرة «المكيّة»

أبو زيد يبكي ضياع بلده سروح.



المقامة الخامسة عشرة «الفرضيّة»

الحارث بن همام داخل حجرته وأمامه أبو زيد السروجي الذي نزل عليه ضيفاً يقدم له الطعام.



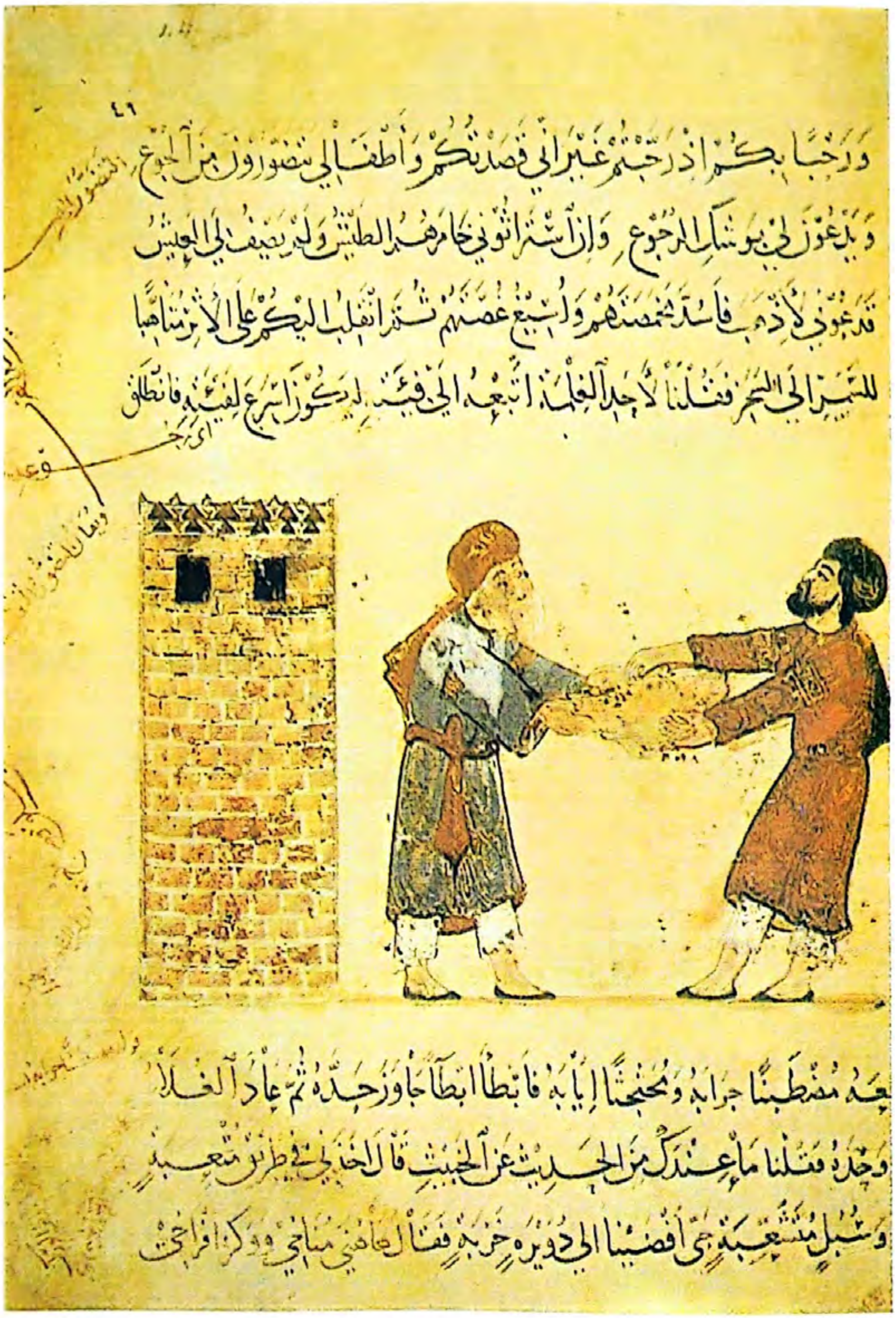
المقامة الخامسة عشرة

أبو زيد يغادر المنزل بعد أن طرده الرجل.



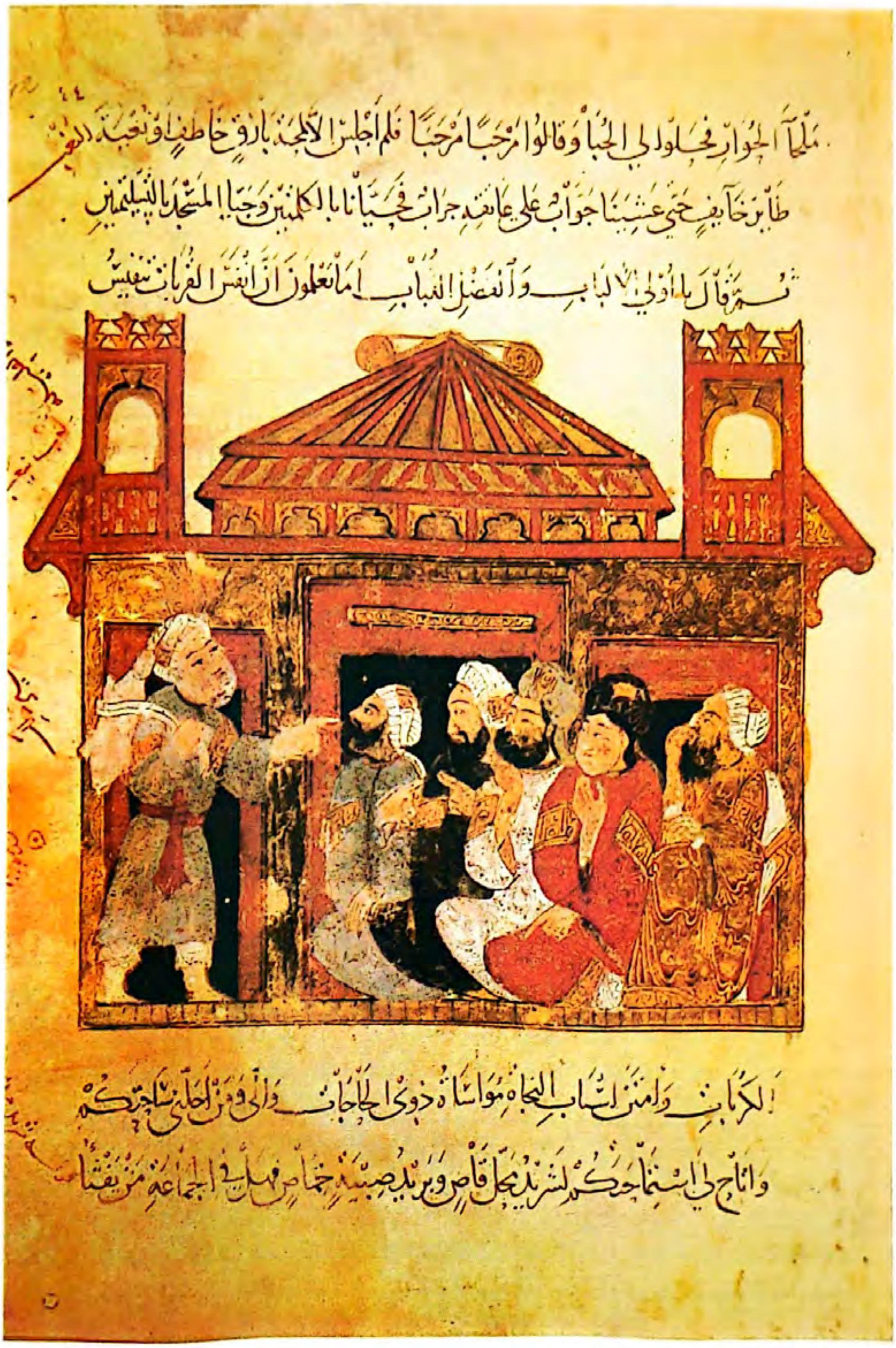
المقامة الخامسة عشرة

يقول الحارث: لو كان أبو زيد حاضراً لرأيتم منه العجب العجاب.



المقامة الخامسة عشرة

العبد يقدم فضلات الطعام لأبو زيد وقد مد يديه لتلقفها.



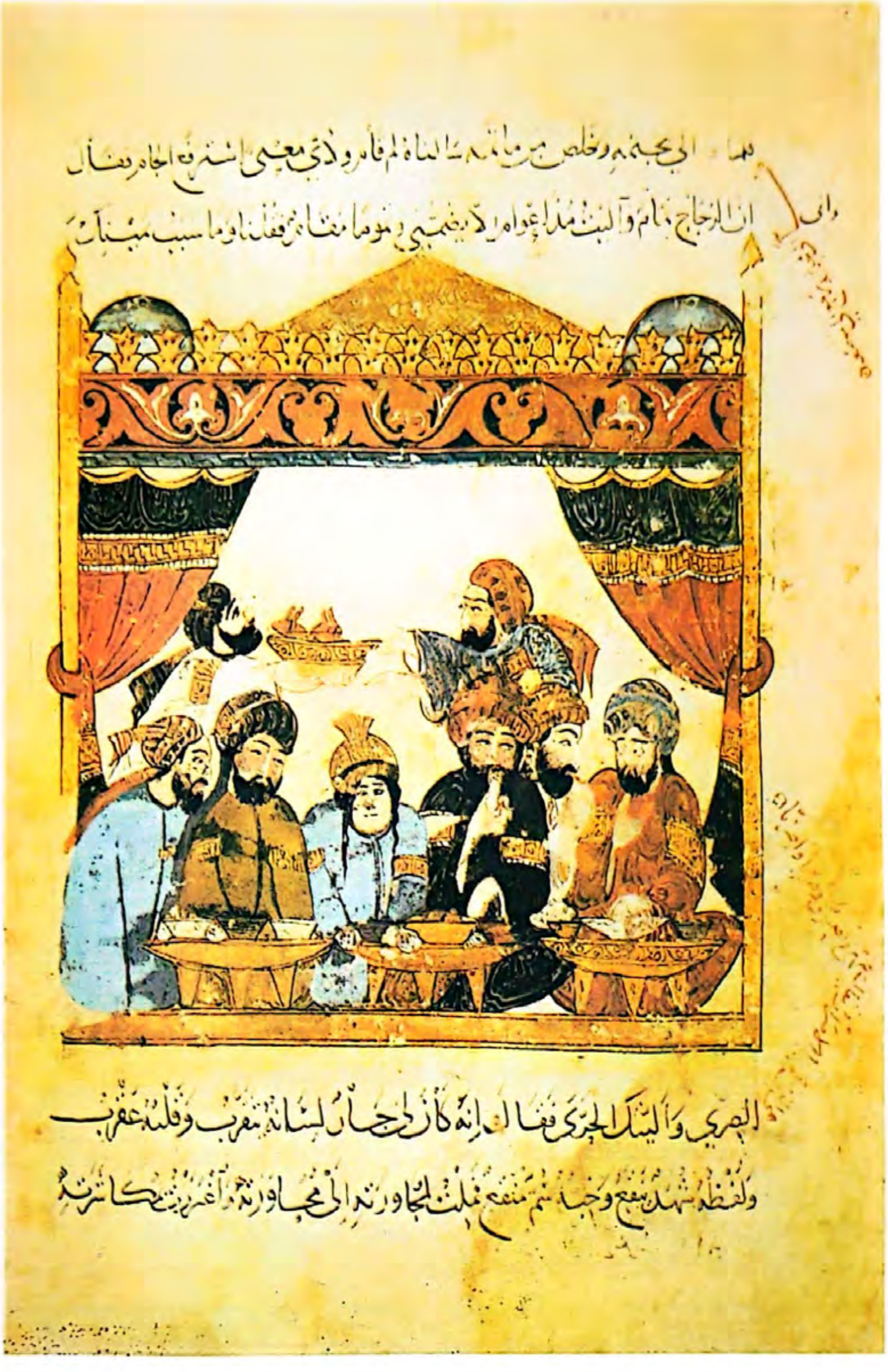
المقامة السادسة عشرة «المغربيّة»

الحارث وهو جالس بين من شهدوا صلاة المغرب في مسجد بالمغرب.



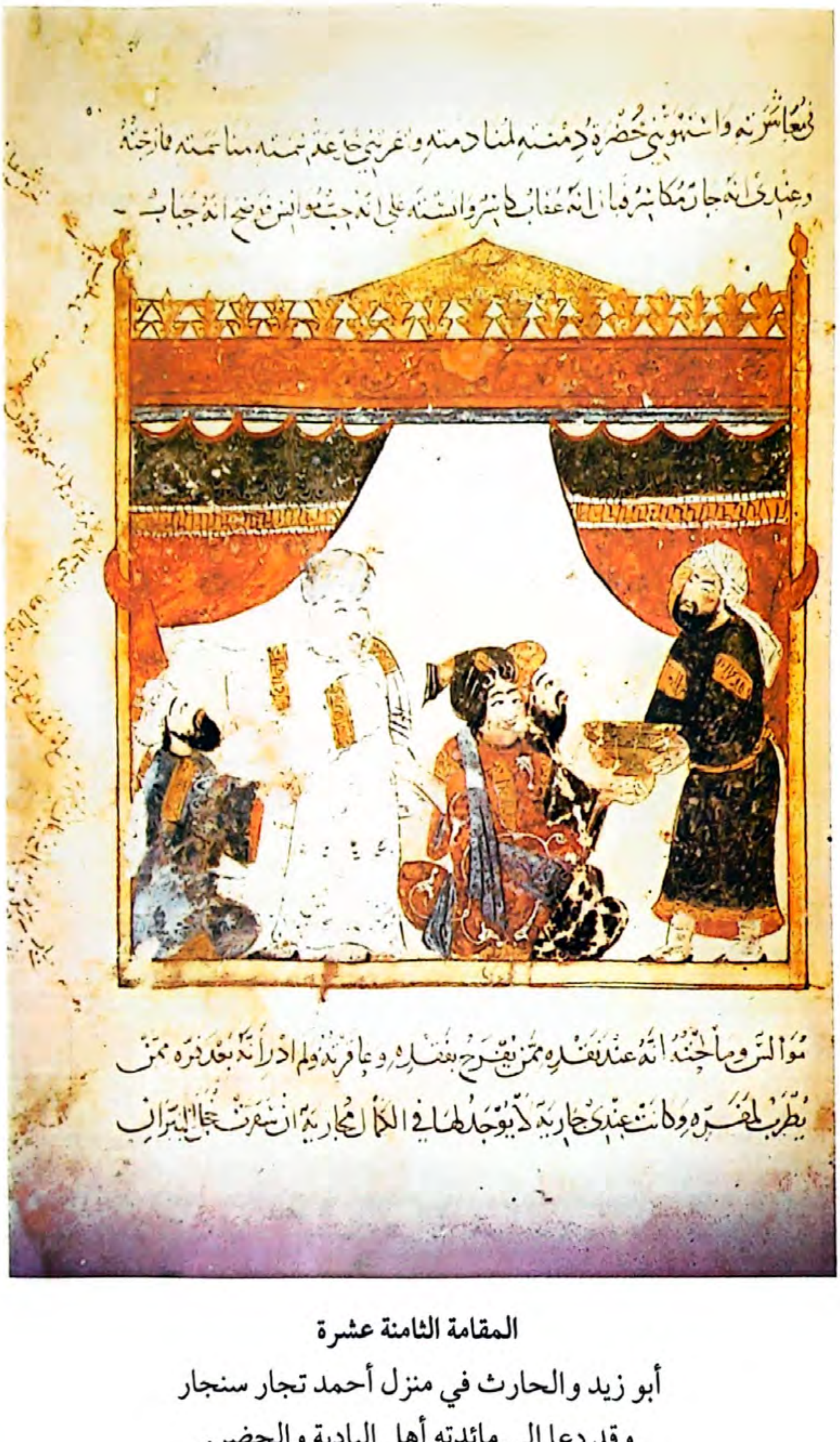
المقامة السابعة عشرة «القهقريّة»

أبو زيد ينصرف بعد أن نال العطايا لنظمه قصائد رائعة.



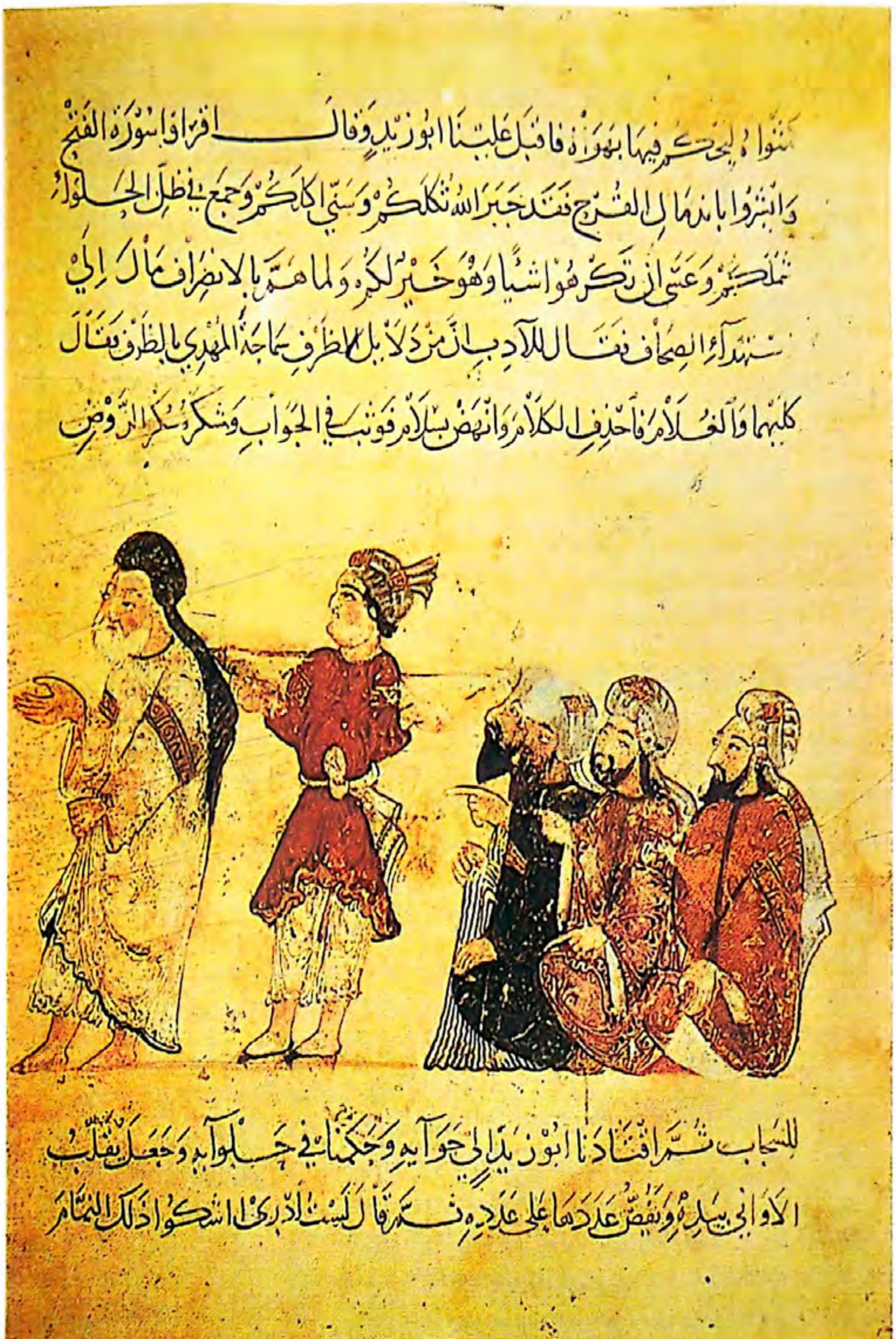
المقامة الثامنة عشرة «السنجاريّة»

مأدبة التاجر المضياف وقد مدّ لضيوفه السماط مكتظّاً بما لذّ وطاب.



المقامة الثامنة عشرة

أبو زيد والحارث في منزل أحمد تجار سنجار
وقد دعا إلى مائدته أهل البادية والحضر.



المقامة الثامنة عشرة

أبو زيد خارجاً وفي أثره غلام يحمل له أطباق الفضة هدية من المضيف الكريم.



المقامة التاسعة عشرة «النصيبية»

الحارث وقد امتطى ظهر راحلته.



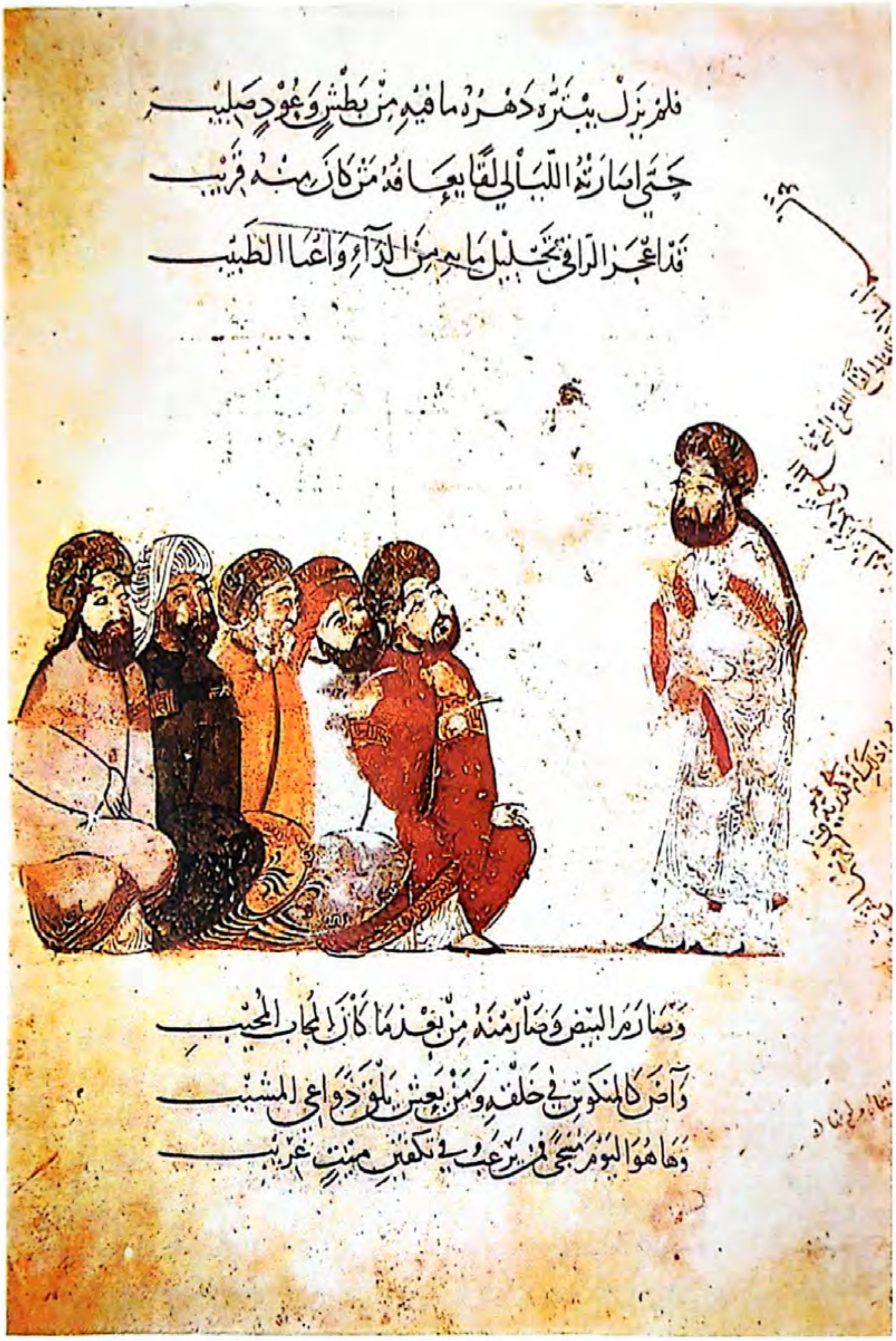
المقامة التاسعة عشرة

أبو زيد مع عوّاده عندما هموا بالرحيل



المقامة التاسعة عشرة

أبو زيد السروجي على فراش المرض.



المقامة التاسعة عشرة

أبو زيد السروجي يقف أمام جماعة جلوس والحارث بينهم ينعي إليهم أخاه.



المقامة العشرون «الفارقيّة»

الحارث أبو زيد في خلوة.



المقامة العشرون

أبو زيد يسترسل في أباطيله أمام القوم.



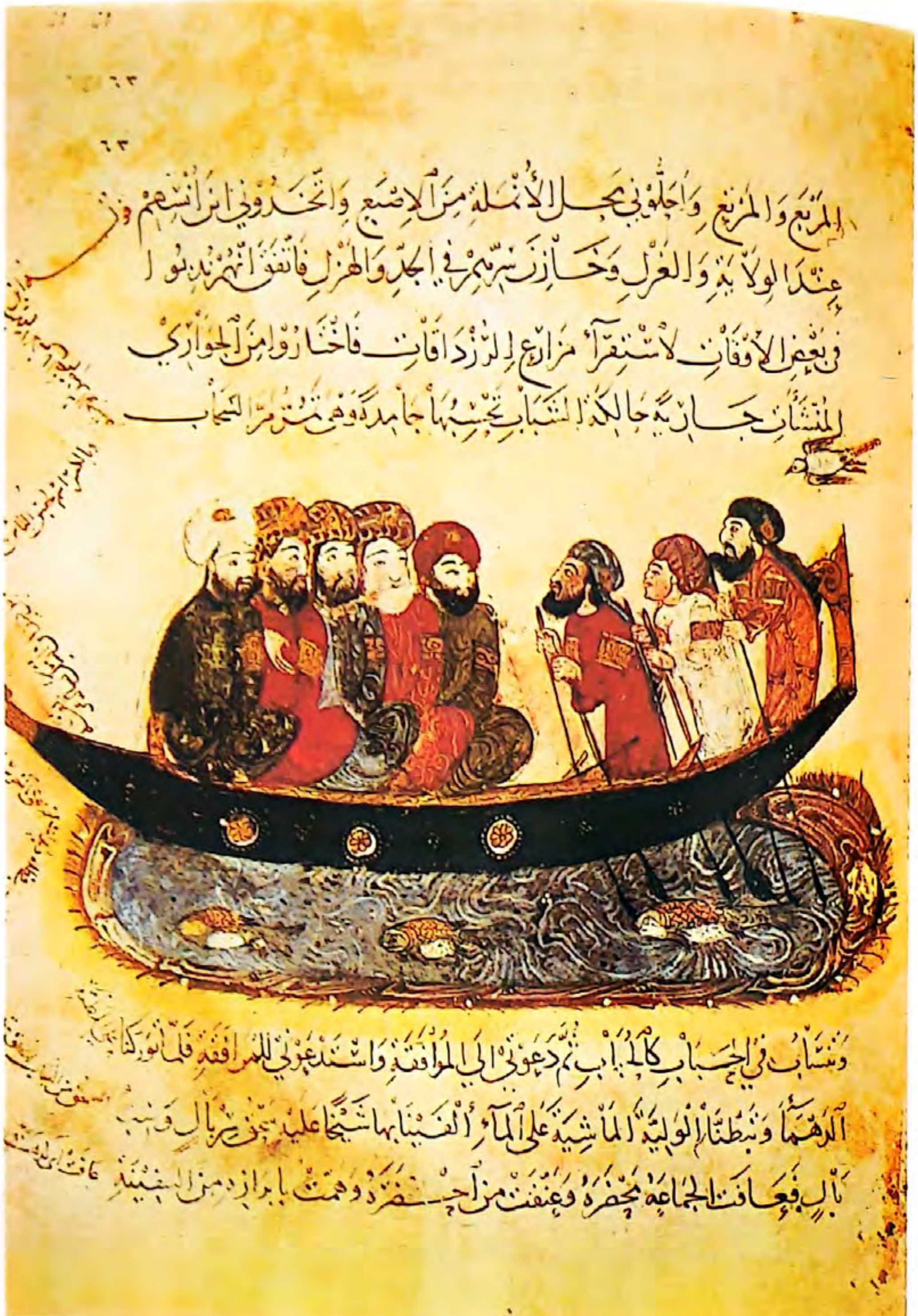
المقامة الحادية والعشرون «الرزيّة»

أبو زيد يخطب في مدينة الري ويتعرض للأمير وينهيه عن الظلم.



المقامة الحادية والعشرون

الوالي في مقصورته متربعاً في سطوة يحيط به الحراس.



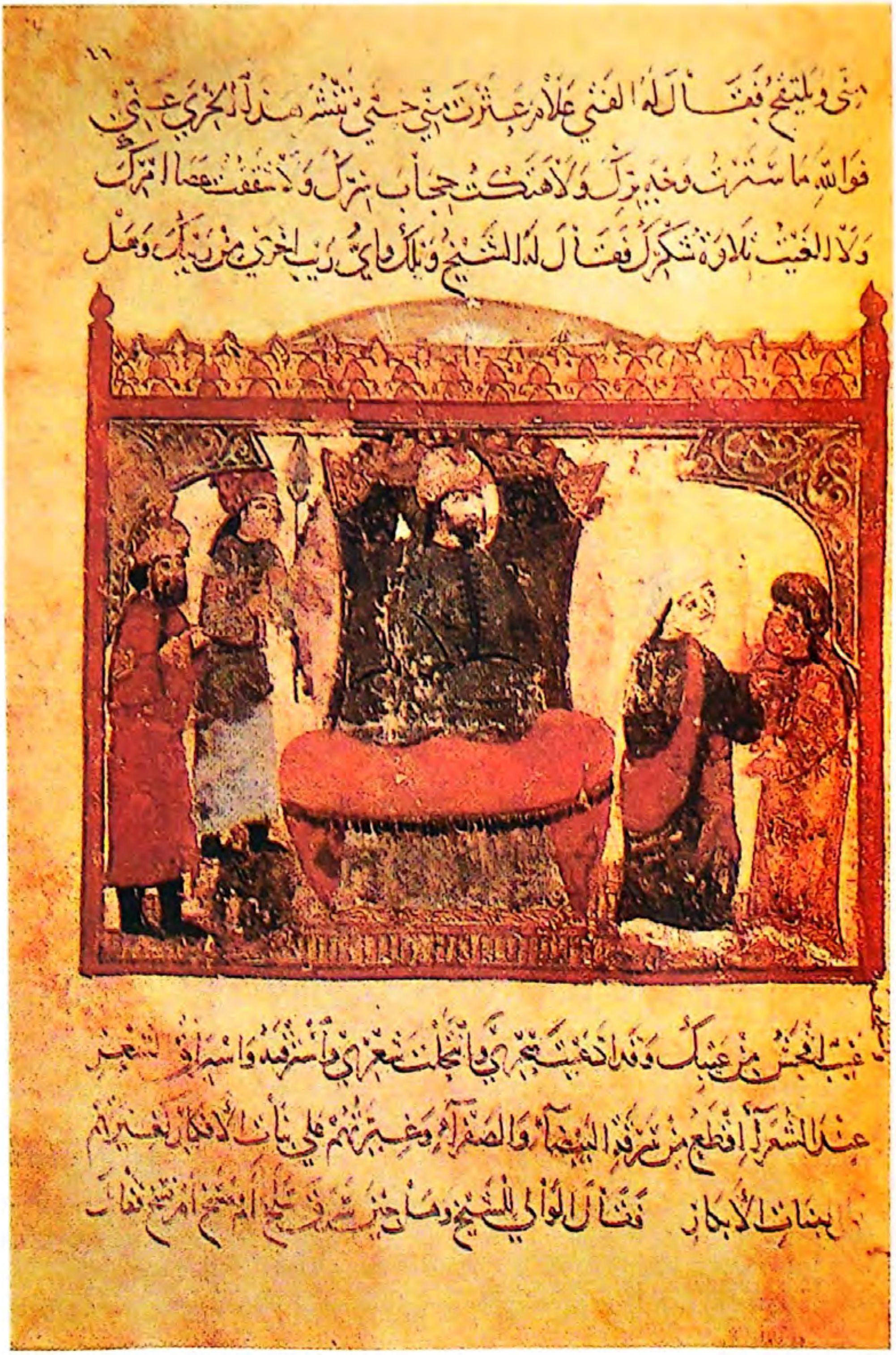
المقامة الثانية والعشرون «الفُراتية»

الحارث مع بعض أدباء ومثقفين على ظهر سفينة.



المقامة الثالثة والعشرون «الشعريّة»

رجال بينهم الحارث يقفون أمام دار الخلافة ببغداد.



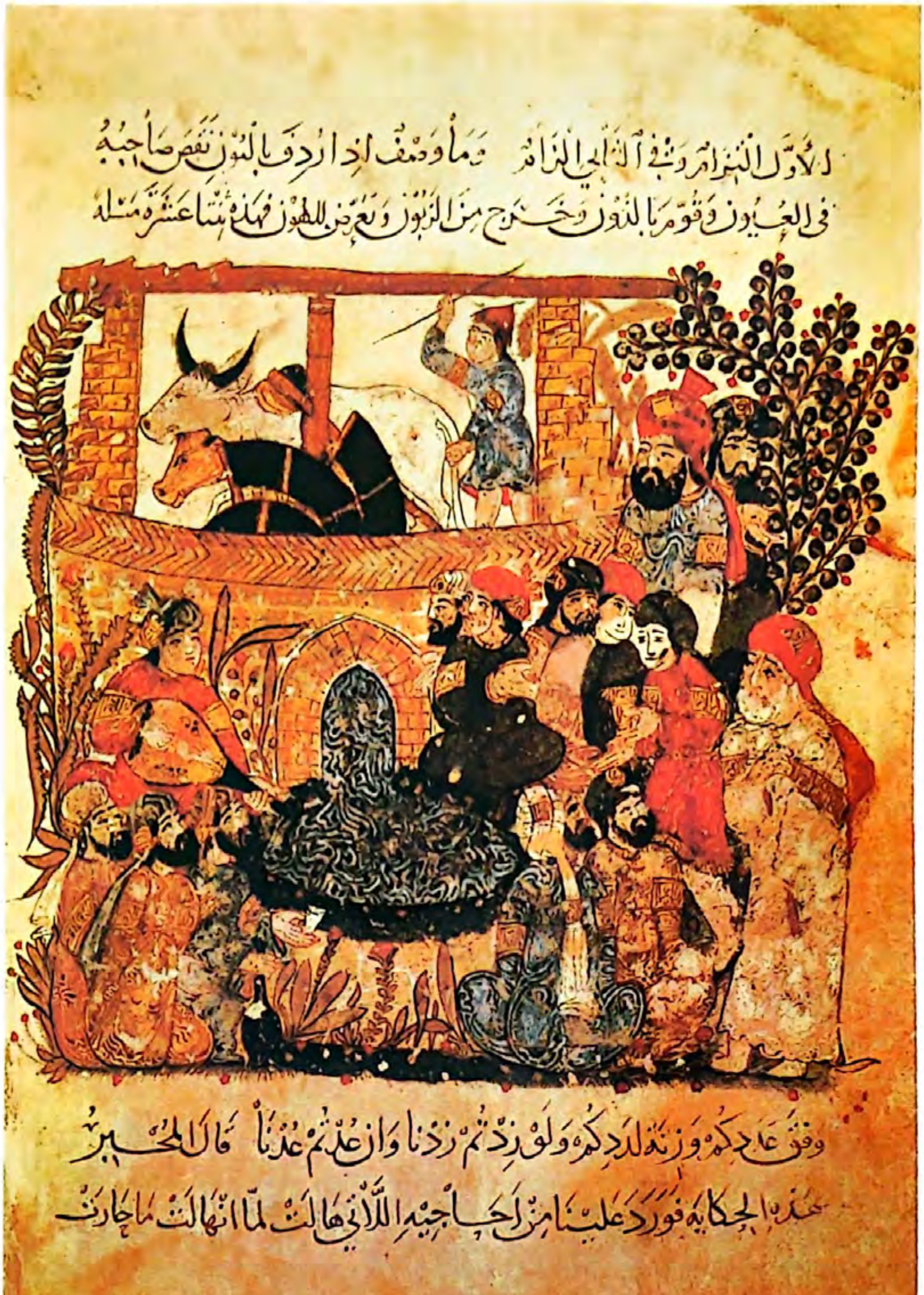
المقامة الثالثة والعشرون

والي المعونة متربعاً في دسته ومروعاً بسمته وأمامه أبو زيد
ومعه غلام مع بعض الفرسان.



المقامة الثالثة والعشرون

أبو زيد وخلفة الفتى الذي تظاهر بأنه يشكوه إلى الوالي.



المقامة الرابعة والعشرون «القطيعيّة»

الحارث جالساً في حديقة بقطيعة الربيع.



المقامة الخامسة والعشرون «الكرّجيّة»

الحارث وبعض المارة يتطلعون إلى أبي زيد العاري من الثياب.



المقامة الخامسة والعشرون

الحارث وقد انفرد بأبي زيد بعد أن جمع الفراء في صرة على ظهره.



المقامة السادسة والعشرون «الرَّقطَاء»

الحارث ينتهي إلى ظل خيمة مضروبة بداخلها أبو زيد.



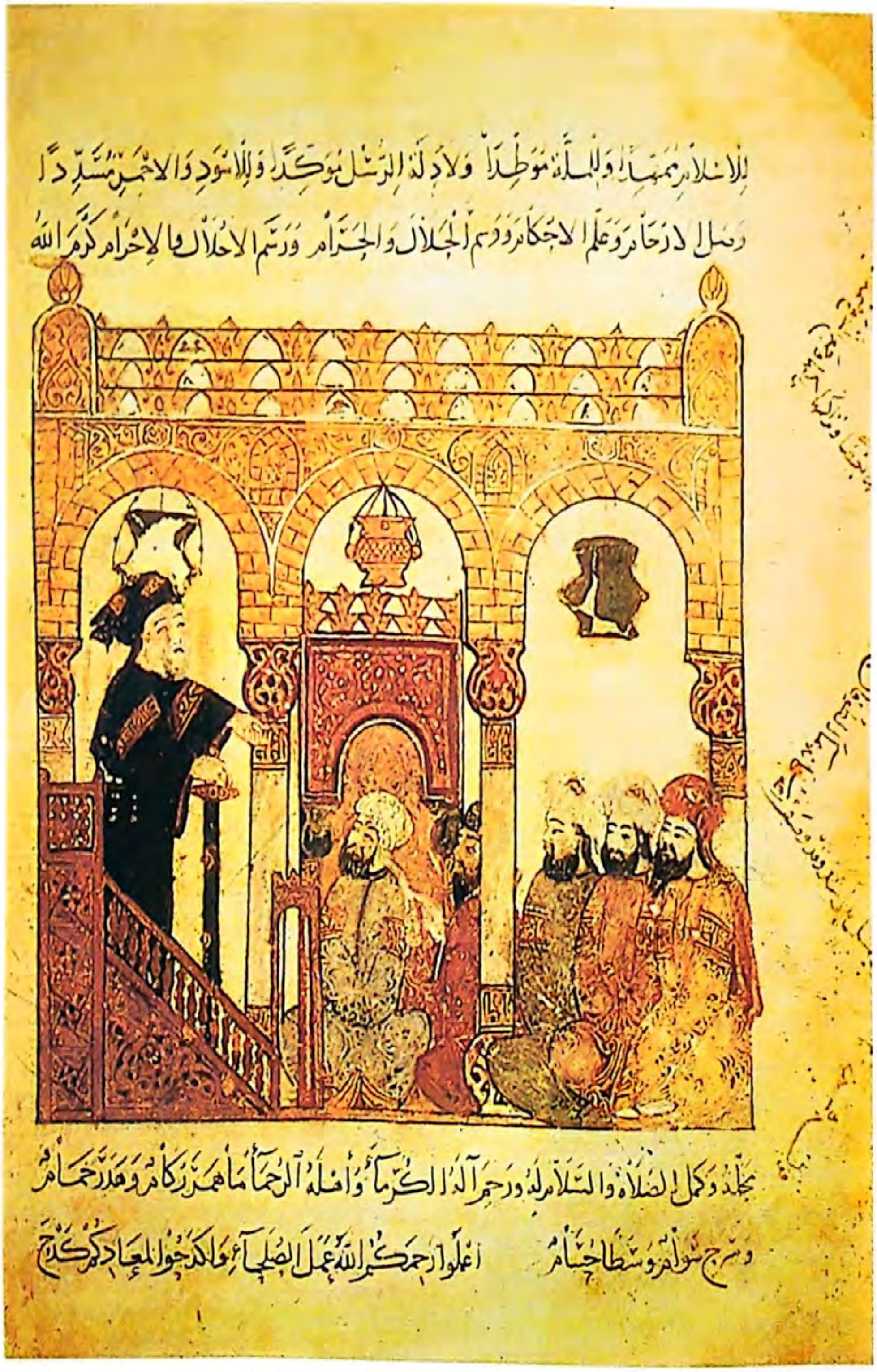
المقامة السادسة والعشرون

أبي زيد يعطي الحارث الرسالة ويقدم له مالاً.



المقامة الثامنة والعشرون «السمرقنديّة»

الحارث في هيئة الخاشع يبادر إلى مسجد سمرقند.



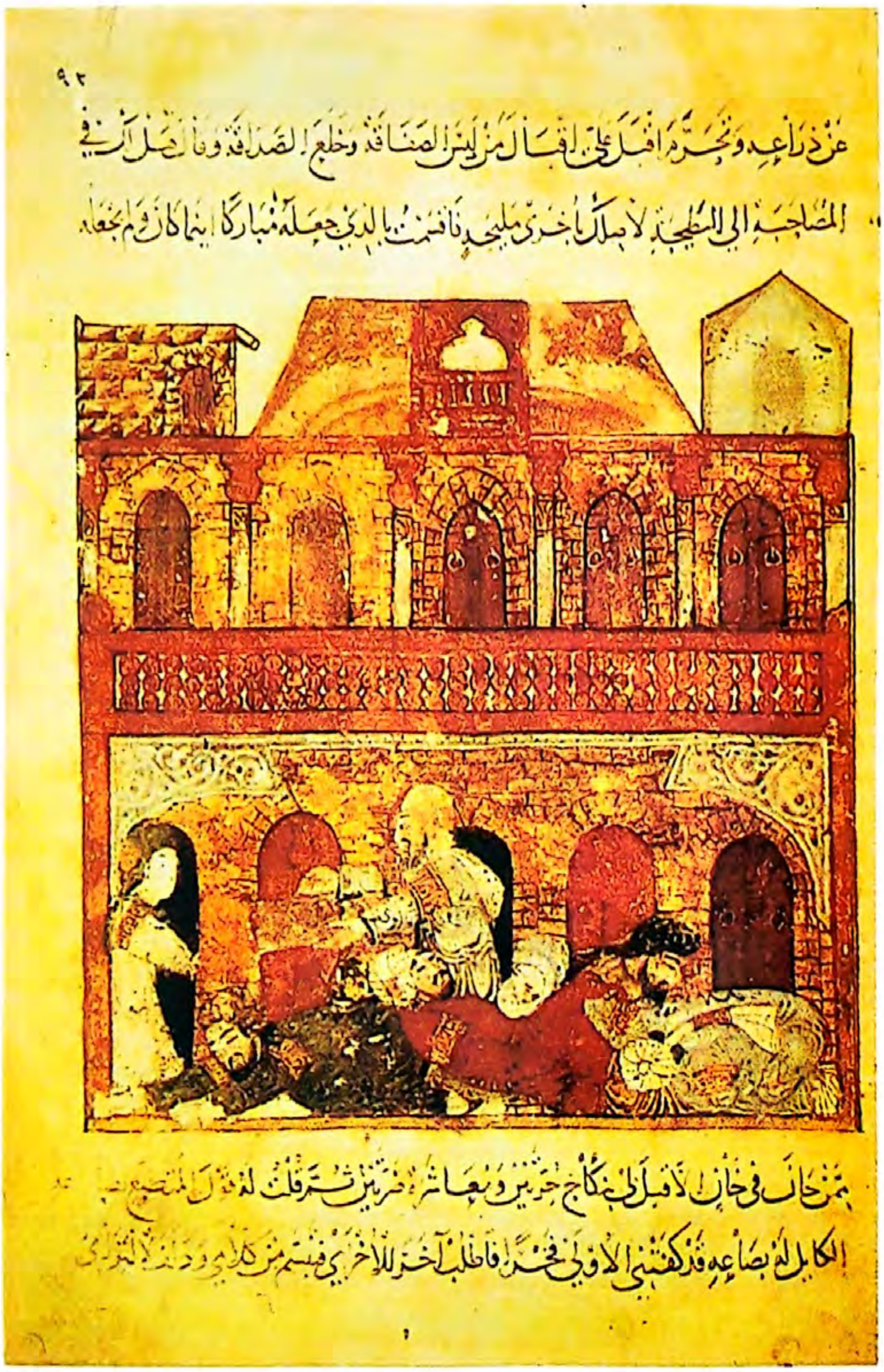
المقامة الثامنة والعشرون

بعد أن تخيّر الحارث مركز الجامع، برز الخطيب فارتقى منبر الدعوة وألقى خطبته.



المقامة الثامنة والعشرون

الحارث في ضيافة أبي زيد وبينهما أقداح النبيذ.



المقامة التاسعة والعشرون «الواسطيّة»

أعد أبو زيد حلوى البنج وقدمه لنزلاء الحانة فناموا جميعاً.



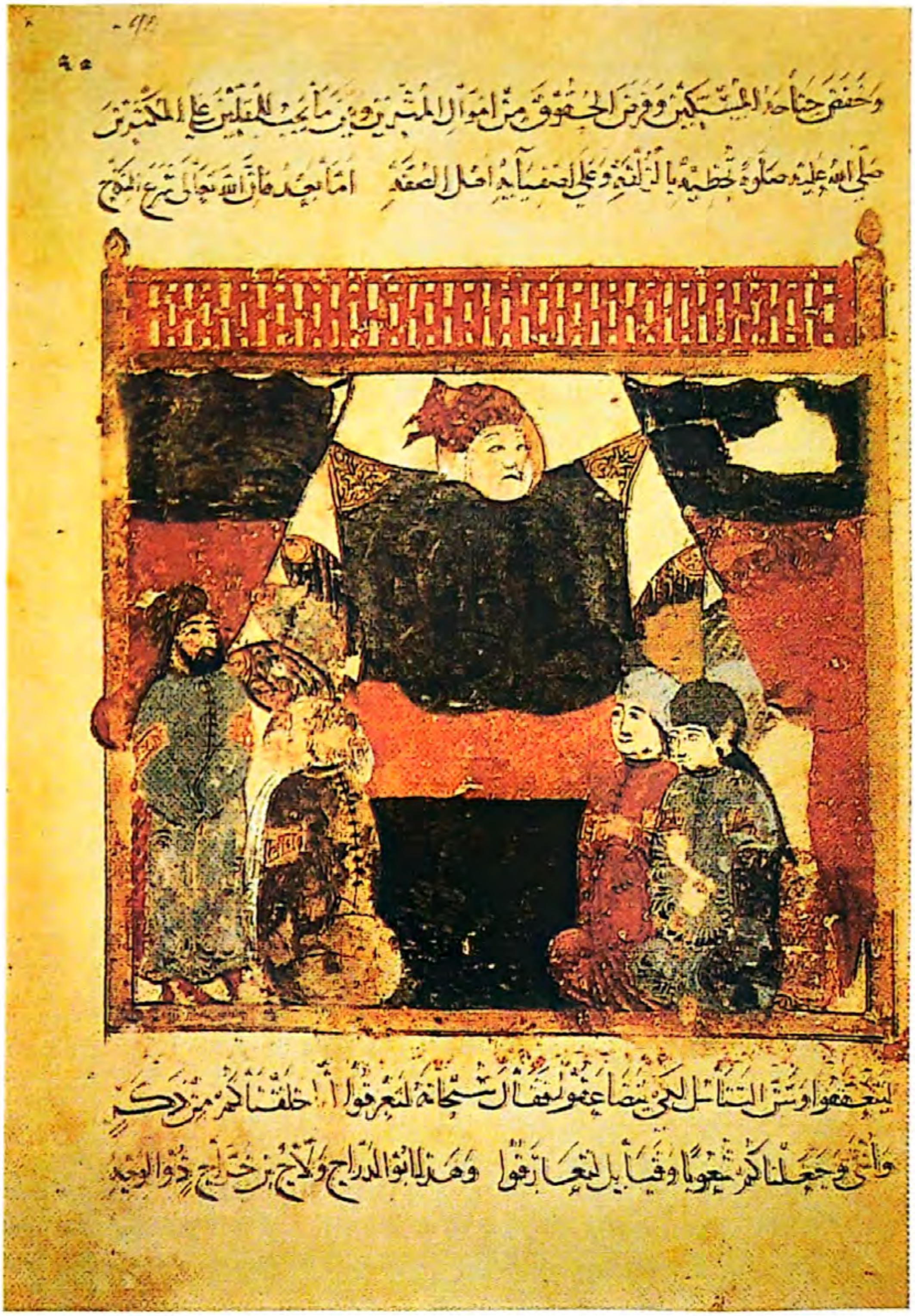
المقامة التاسعة والعشرون

أبو زيد يتأبط جرابه وينسلّ.



المقامة الثلاثون «الصوريّة»

أبو زيد قاضياً يقوم بعقد قران شحاذ على شحاذة.



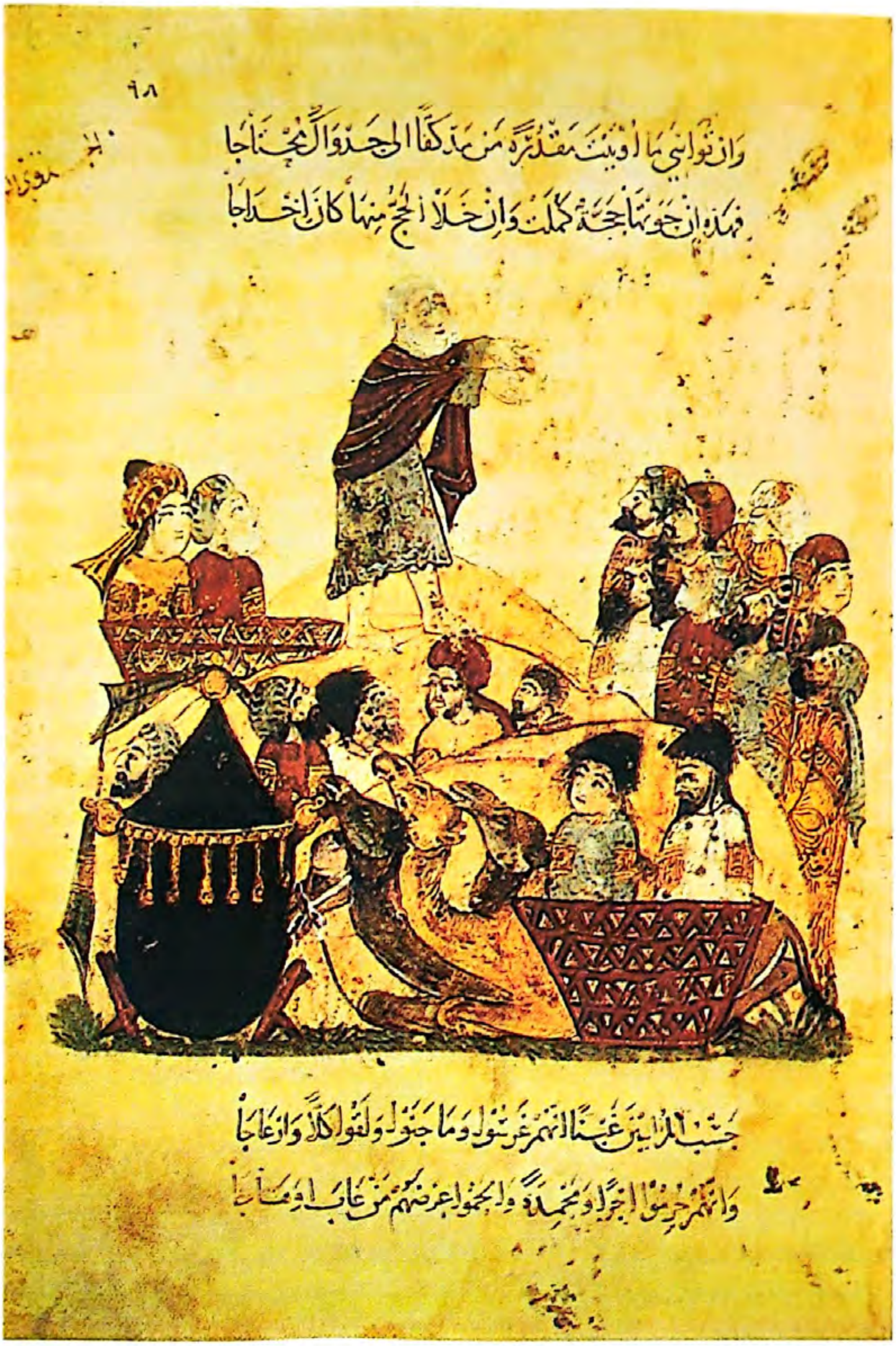
المقامة الثلاثون

العريس في بردته، يتبختر بين حفدته.



المقامة الحادية والثلاثون «الرّملية»

مواكب الحج.



المقامة الحادية والثلاثون

أبو زيد يعتلي الأكمة يخطب في القوم بعدما أناخوا رواحلهم وحطوا هوادجهم وحقائبهم.



المقامة الثانية والثلاثون «الحيبة أو الطيبية»

الحارث يسير خلف أبي زيد مع مَنْ قَصَد طيبة لزيارة قبر النبي.



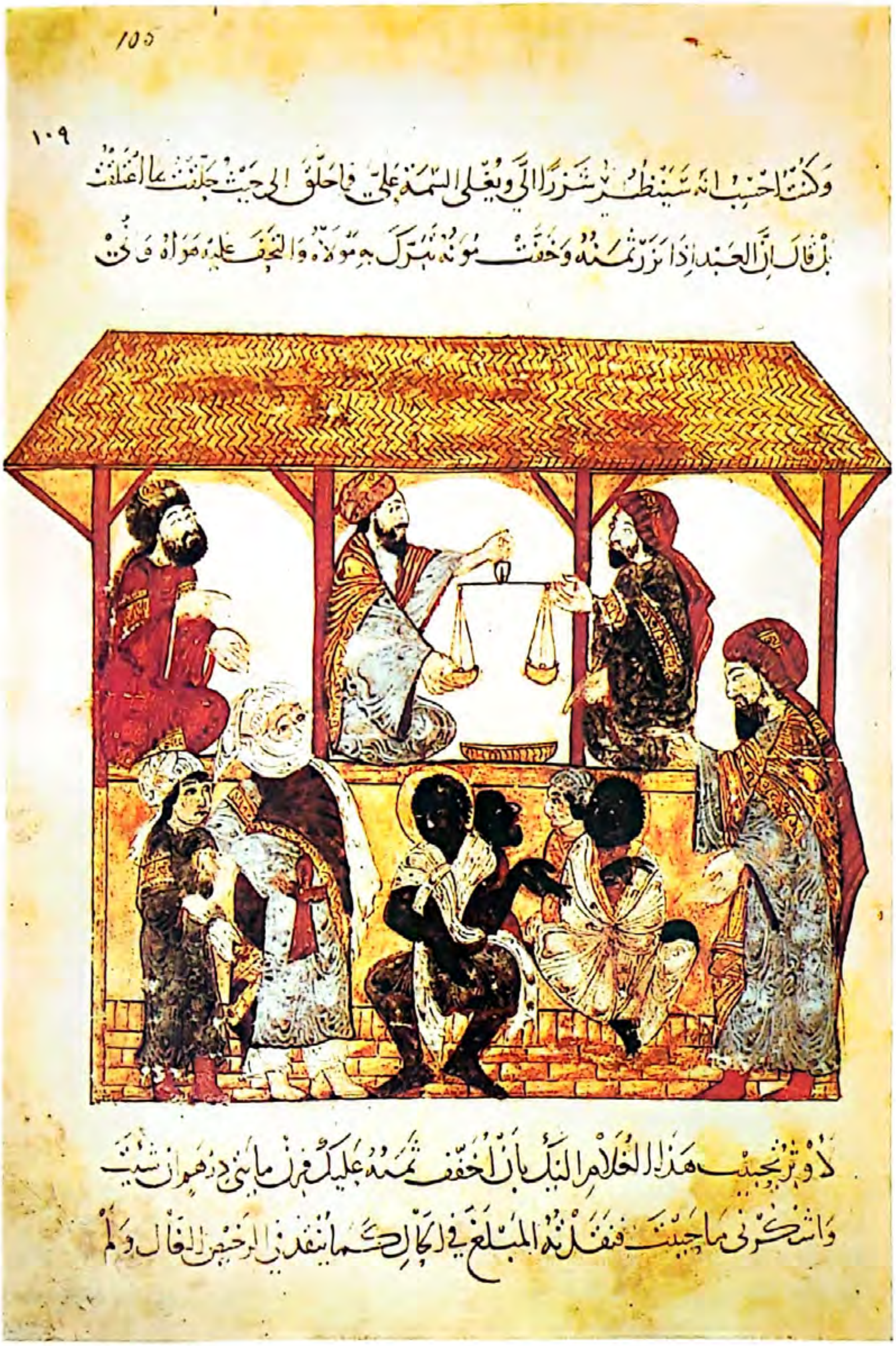
المقامة الثانية والثلاثون «الحربيّة أو الطيبيّة»

رهط من الإبل.



المقامة الثالثة والثلاثون «التفليسيّة»

الحارث يصلي مع أهل تفليس.



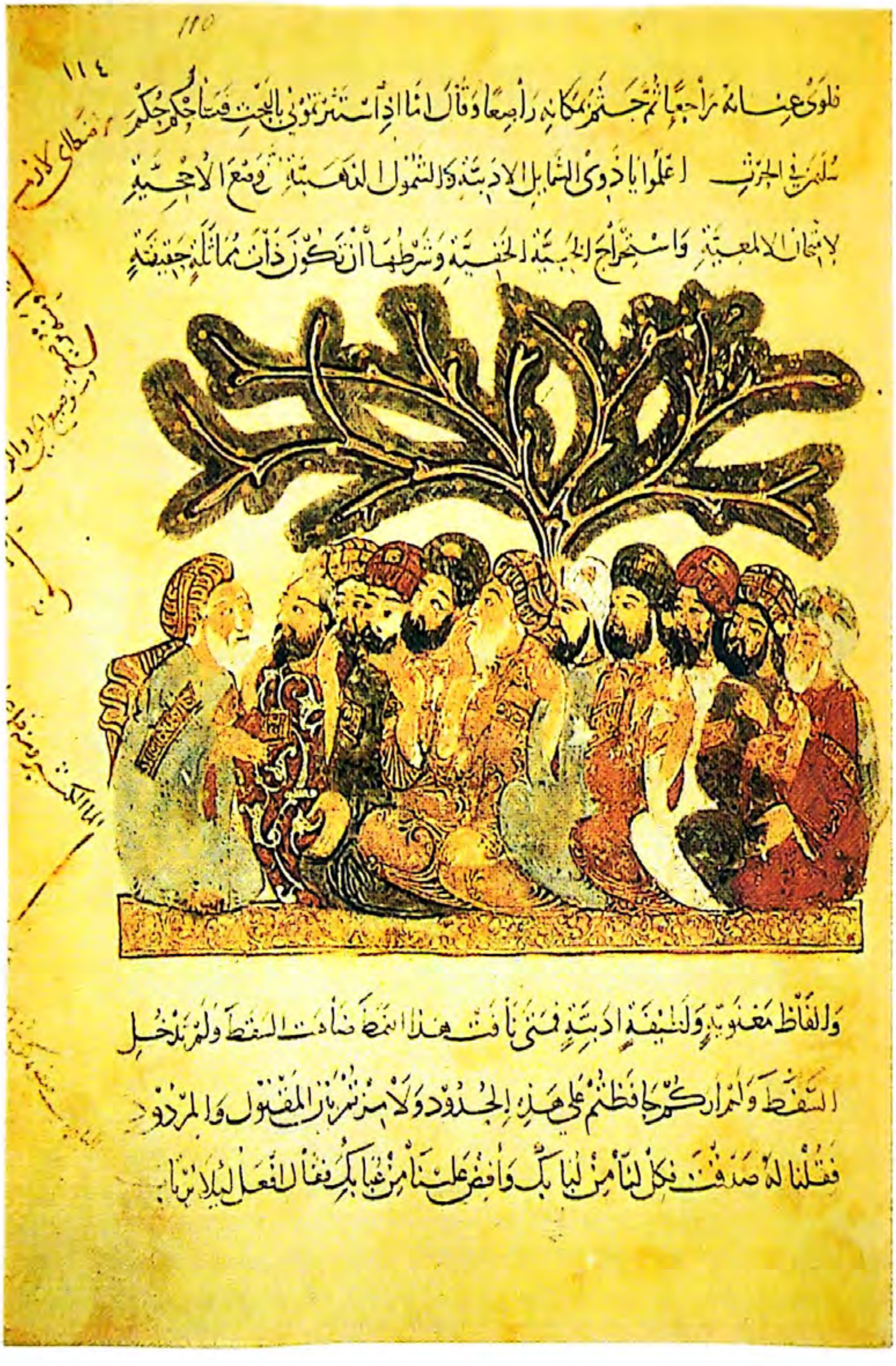
المقامة الثالثة والثلاثون

حركة سوق النخاسة، ما بين بائع ومشترٍ.



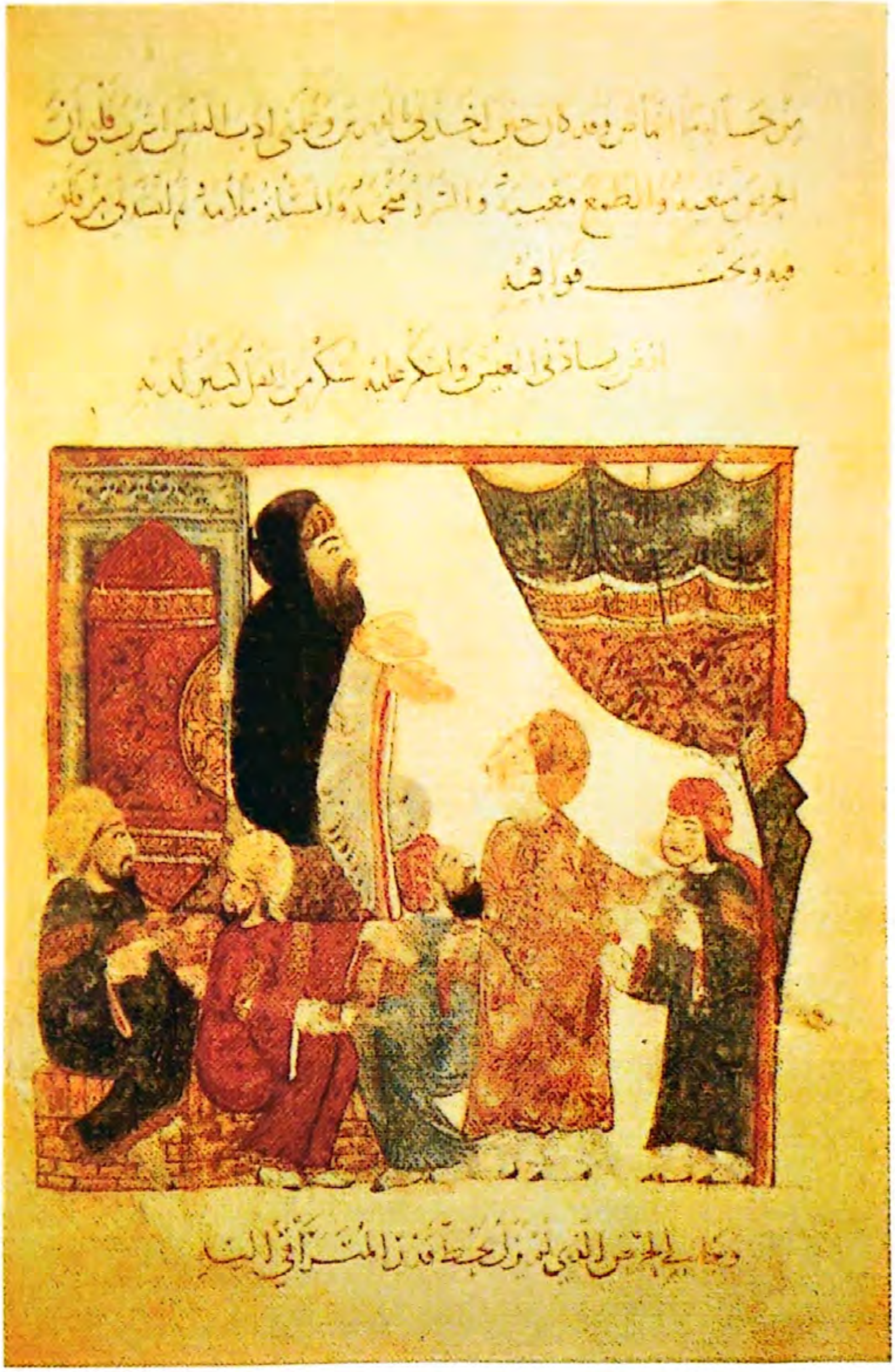
المقامة الرابعة والثلاثون «الزبيديّة»

أبو زيد وأمينه أمام القاضي حين سجله الوريث الشرعي.



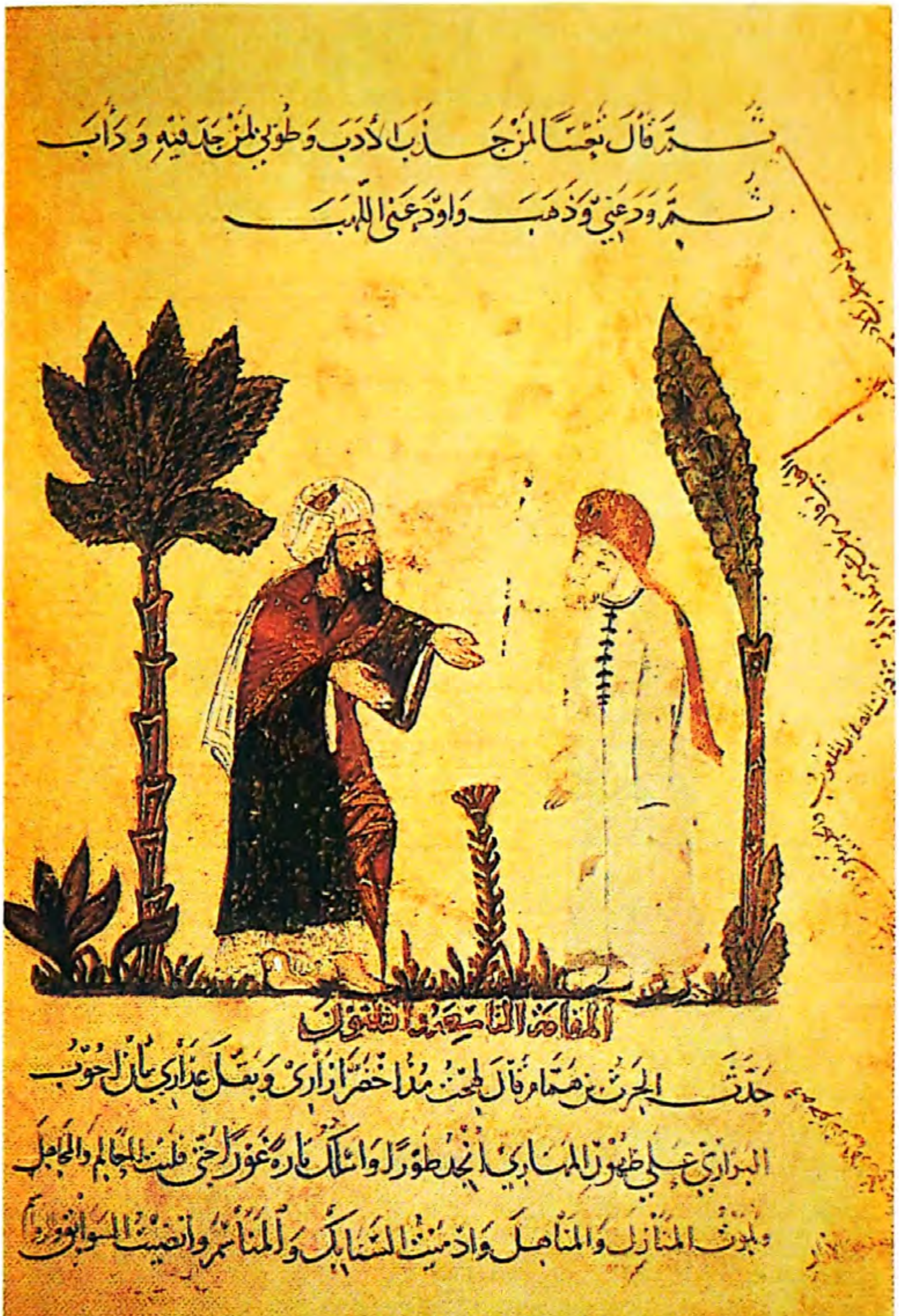
المقامة السادسة والثلاثون «الملطيّة»

أبو زيد في مجلس أدبي يلقي أبياتاً من الشعر.



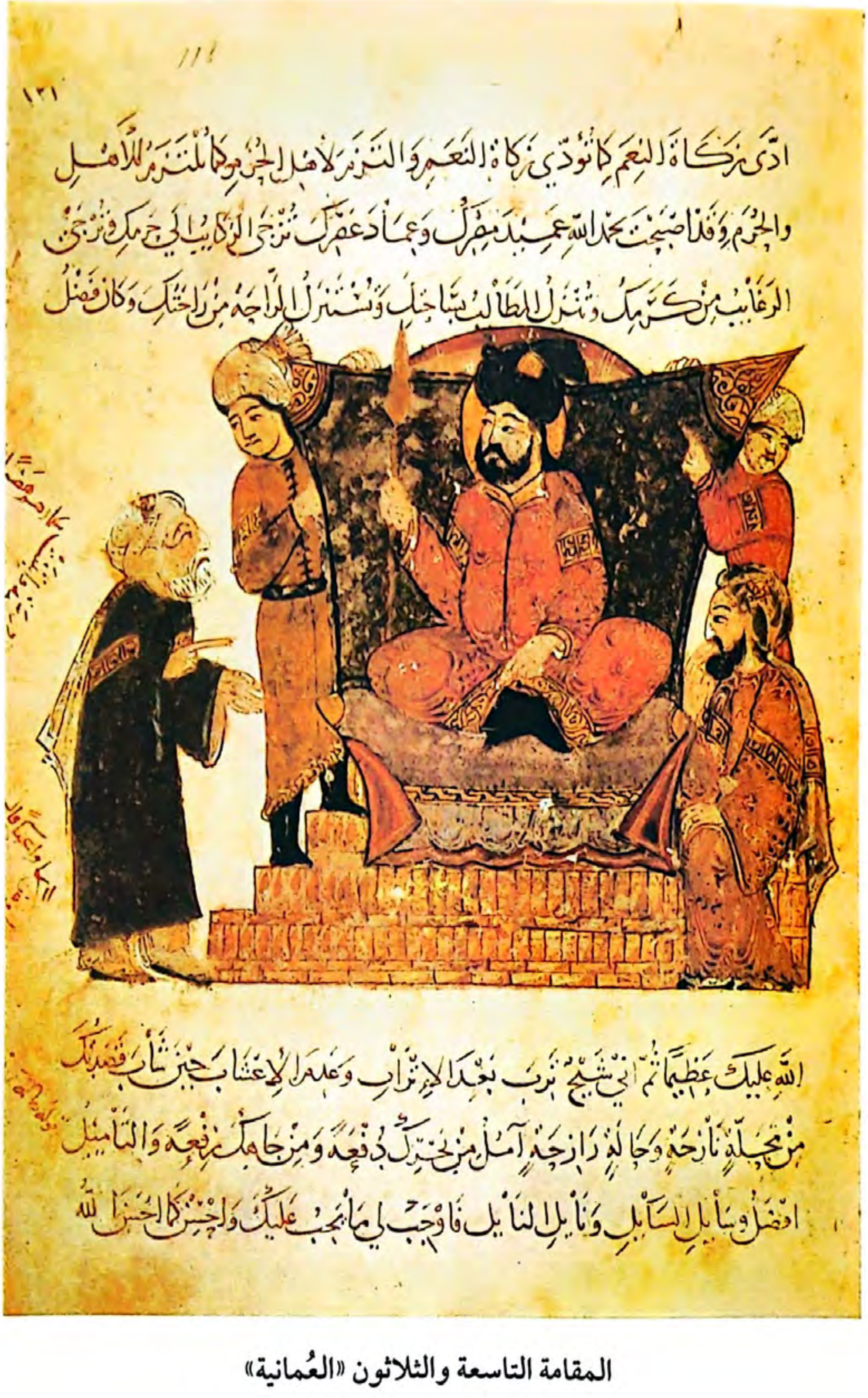
المقامة السابعة والثلاثون «الصعديّة»

أبو زيد أمام القاضي يجر غلاماً.



المقامة الثامنة والثلاثون «المروية»

الحارث أمام أبي زيد بعدما سمع منه النصائح والمواعظ.



المقامة التاسعة والثلاثون «العُمانية»

أبو زيد يشكو فقره إلى والي مرو.



المقامة التاسعة والثلاثون

أبو زيد السفينة في طريقها إلى عمان.



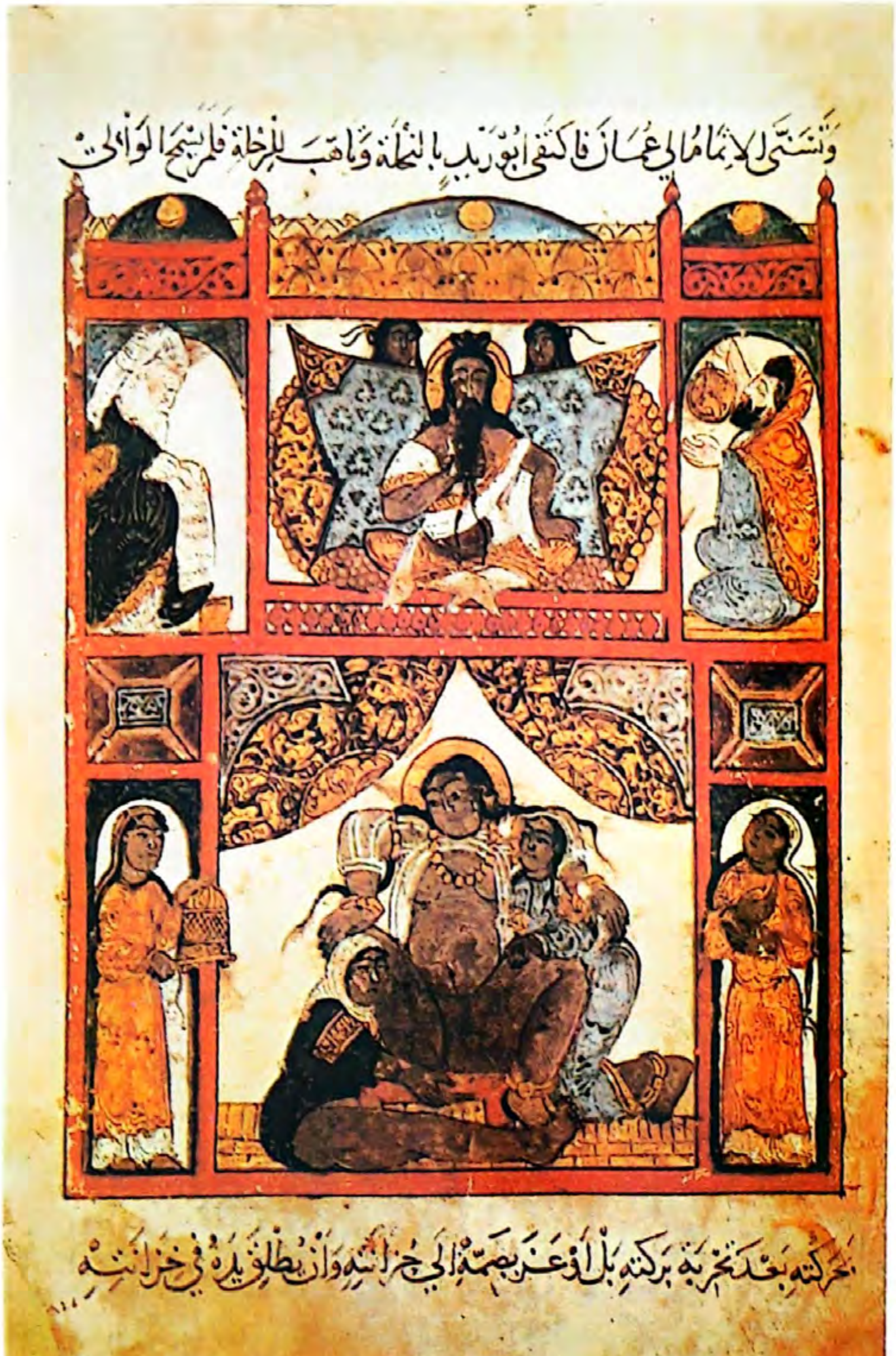
المقامة التاسعة والثلاثون

الحارث وأبو زيد عند باب القصر في الجزيرة.



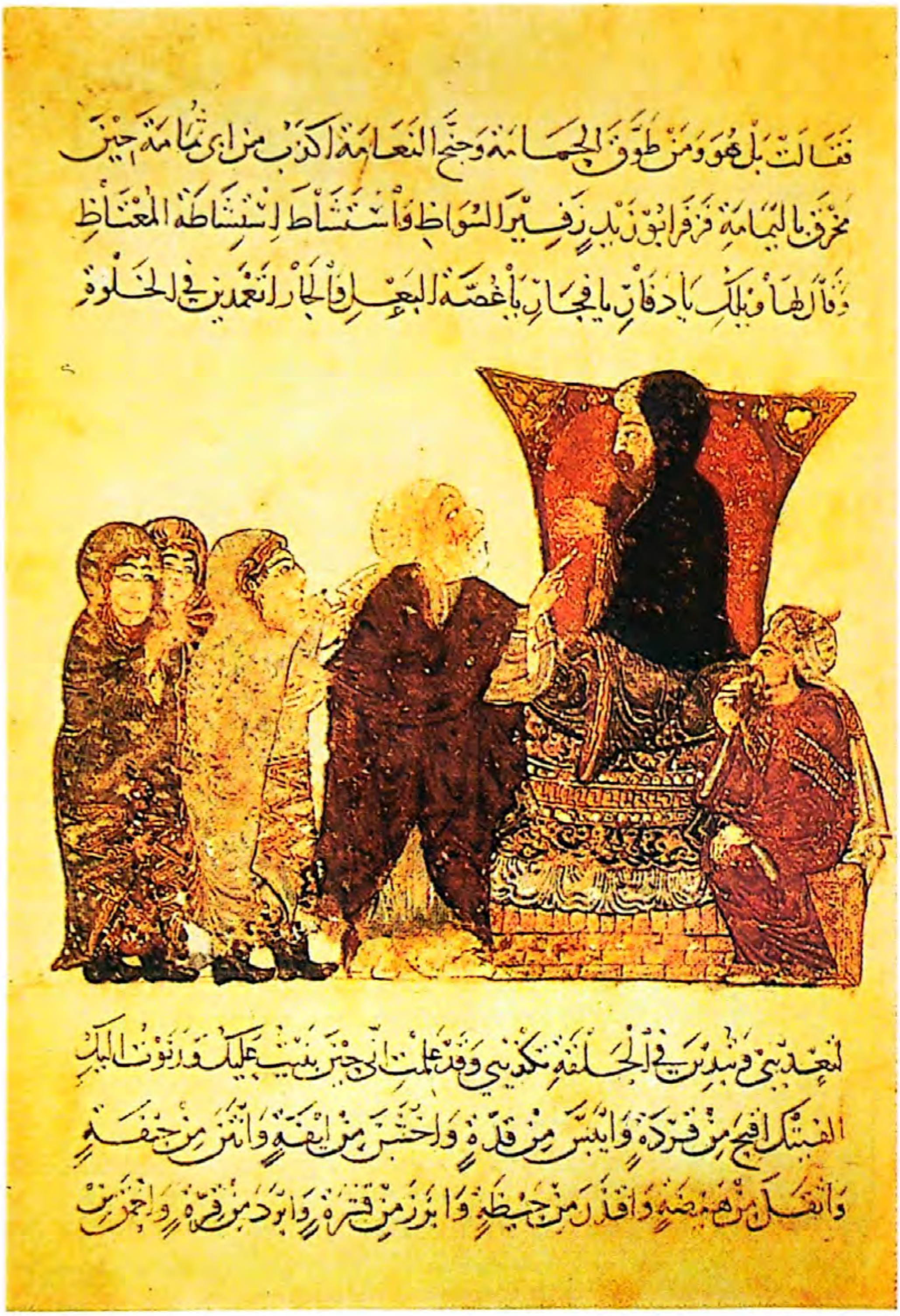
المقامة التاسعة والثلاثون

الجزيرة التي نزل فيها أبو زيد والحارث حين هبت عاصفة البحر.



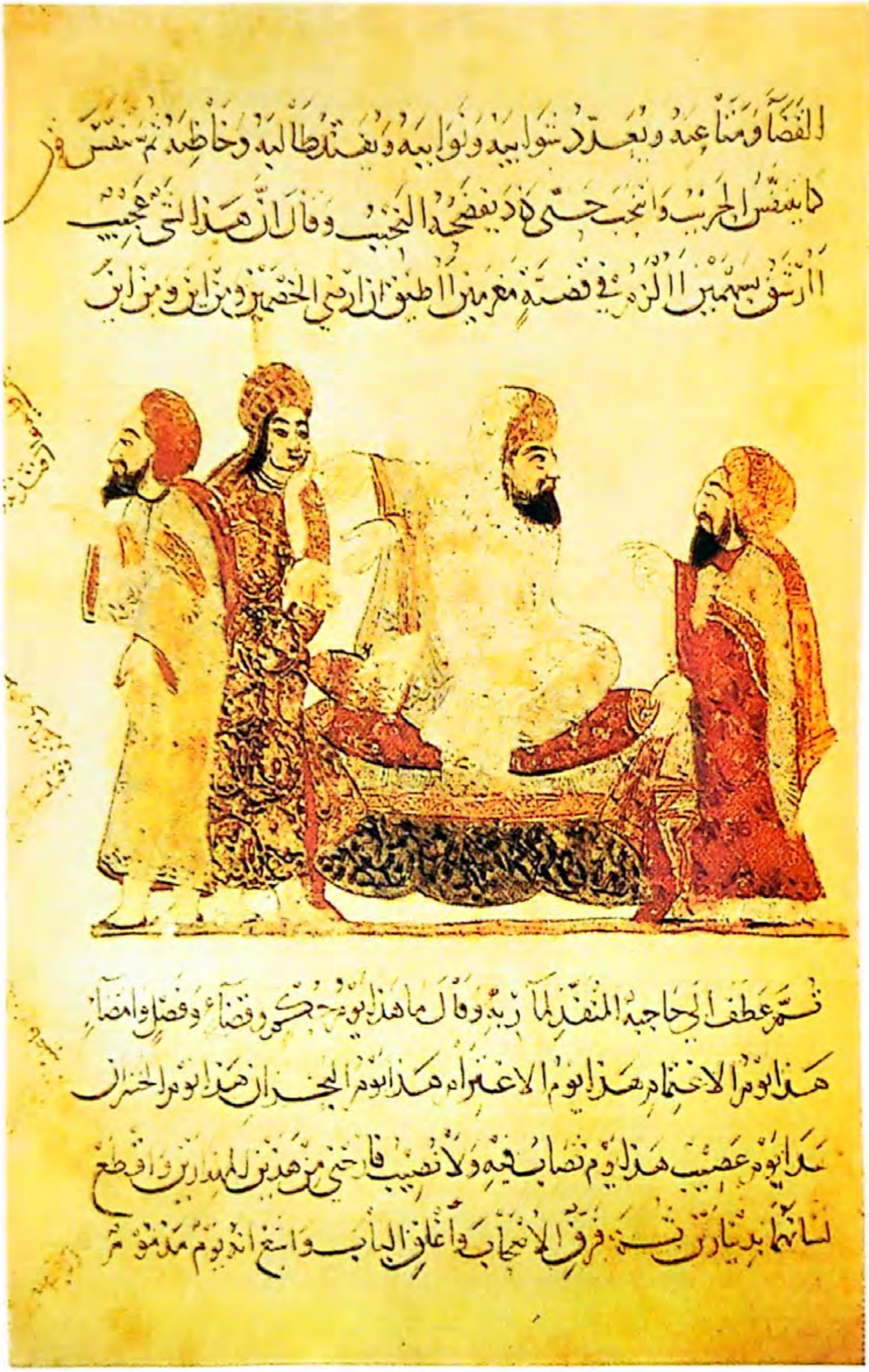
المقامة التاسعة والثلاثون

لحظة الولادة بعد أن قدم أبو زيد المساعدة للمرأة.



المقامة الأربعون «التبريزيّة»

أبو زيد وزوجته أمام قاضي تبريز.



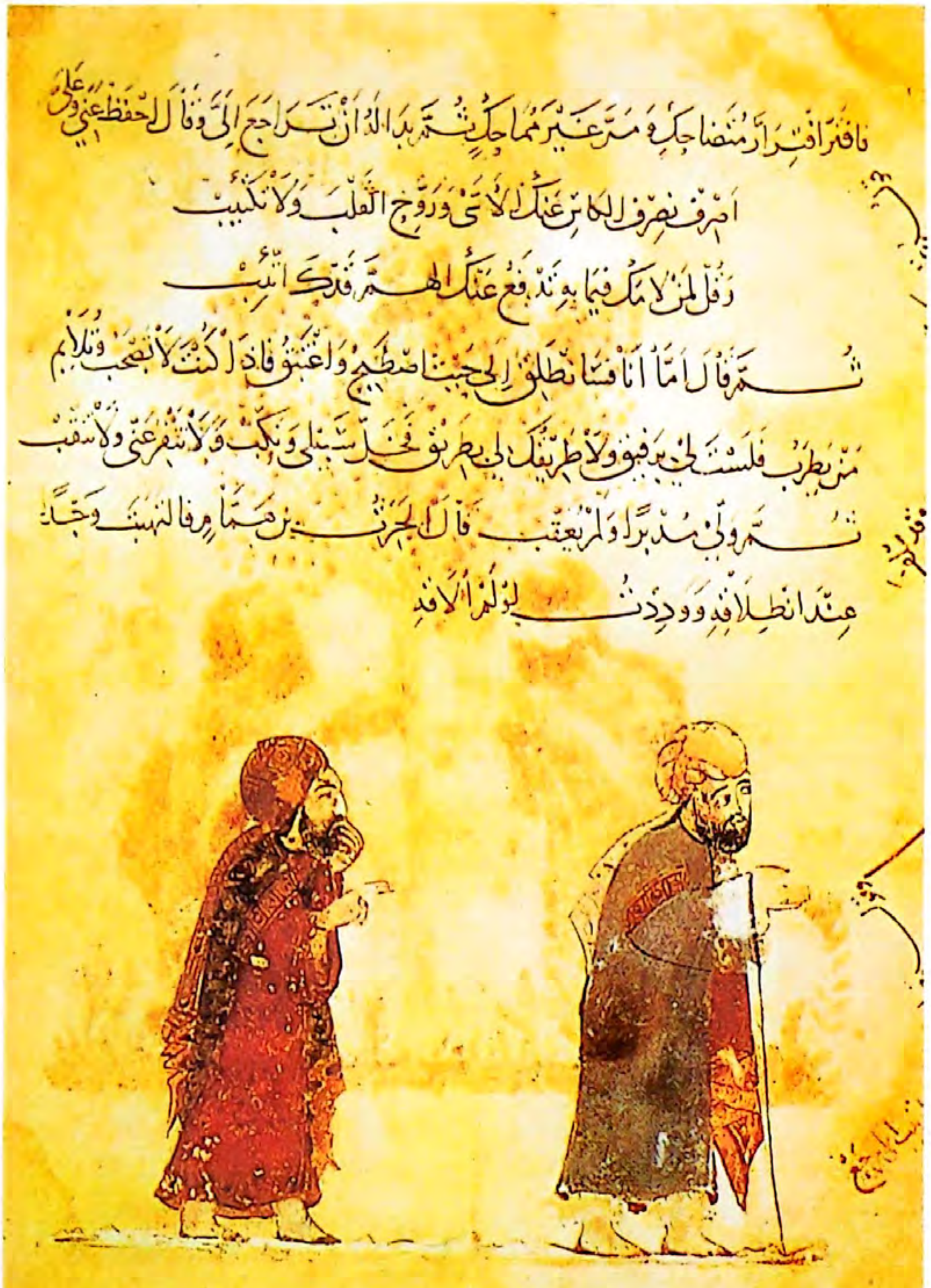
المقامة الأربعون

قاضي تبريز يمنح أبا زيد وزوجته دينارين ويهمان بالإنصراف.



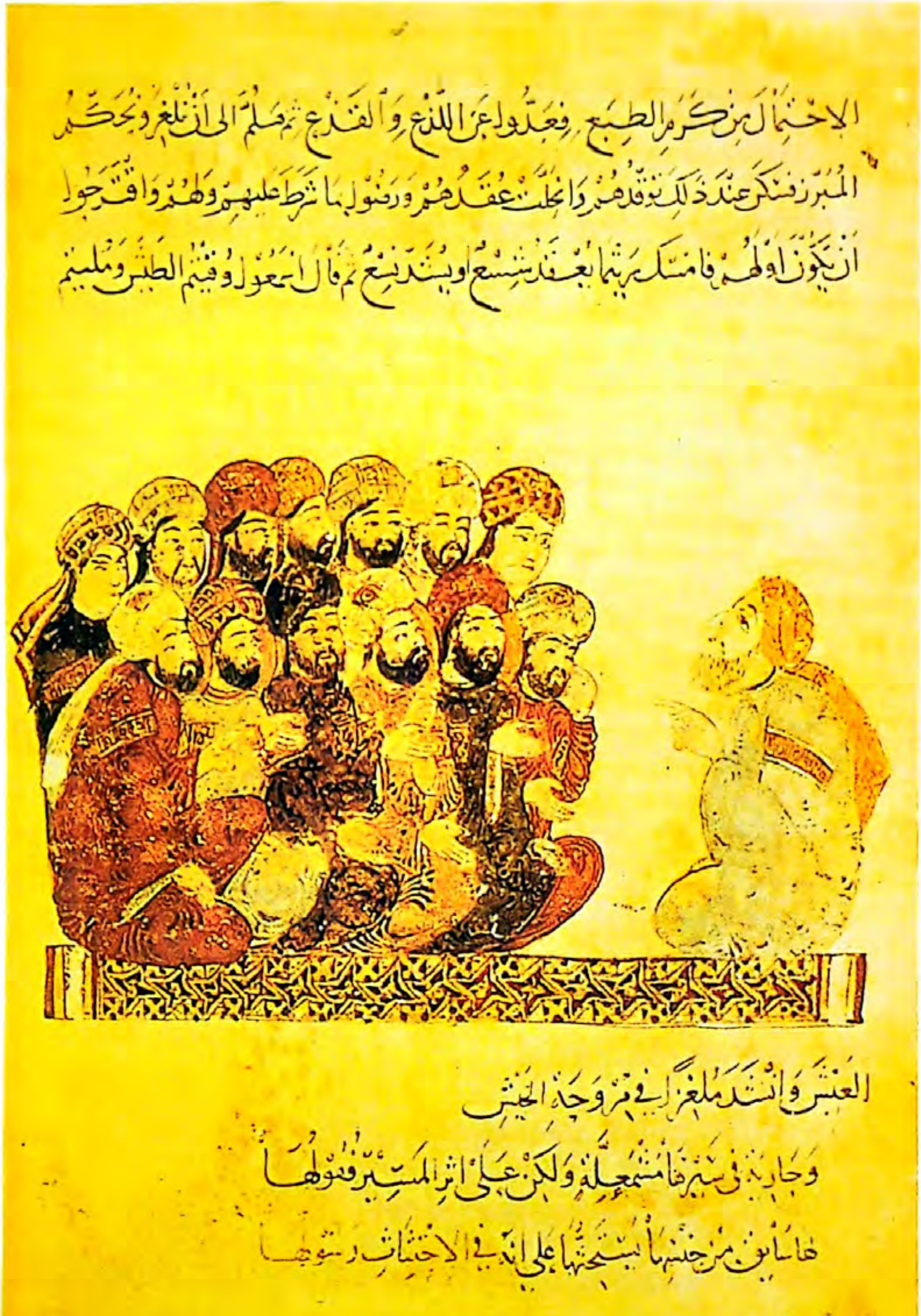
المقامة الحادية والأربعون «التِّنِّيسيّة»

الحارث يسأل عن الفتى.



المقامة الحادية والأربعون

الحارث يتعقب أبا زيد الذي يلتفت إليه.

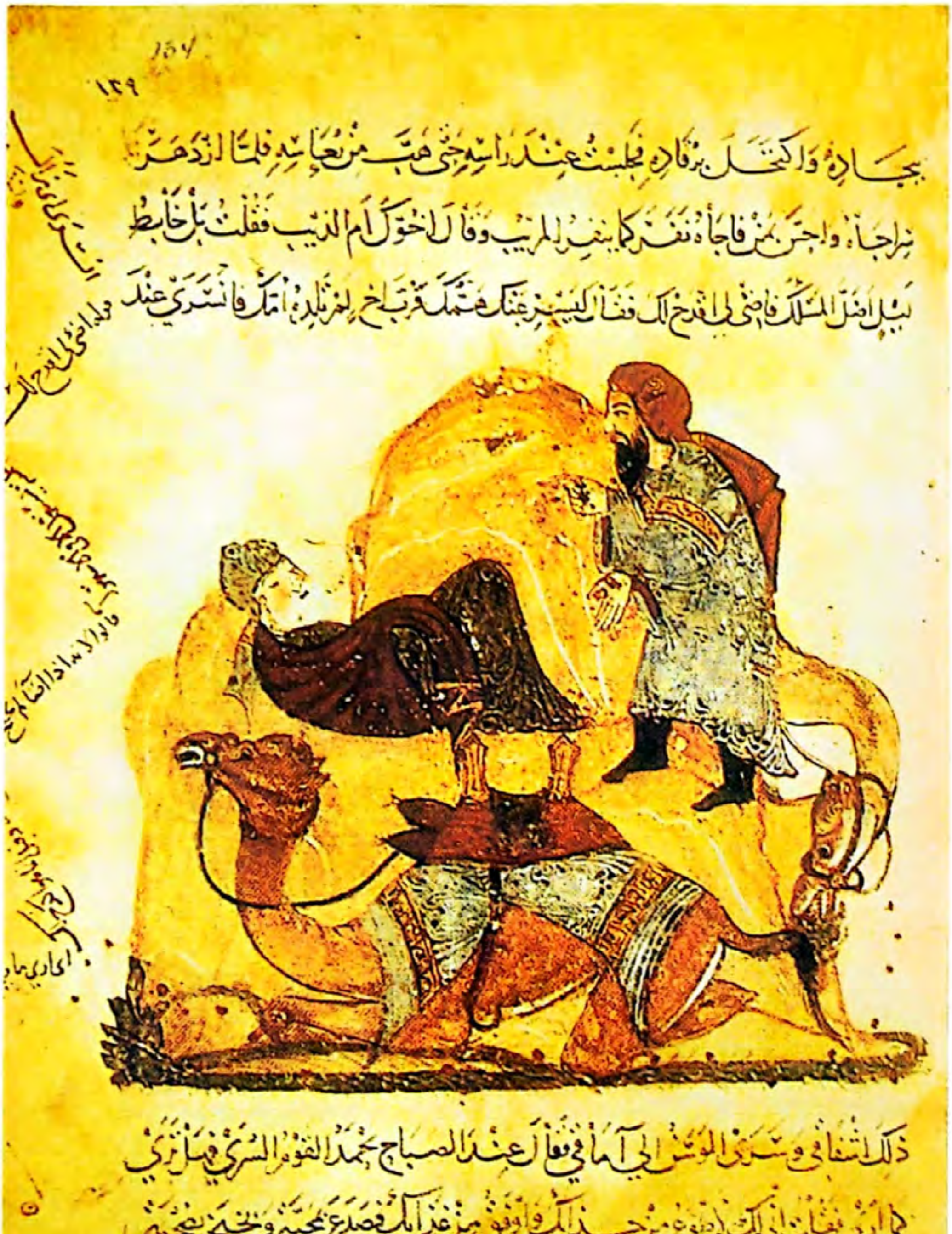


المقامة الحادية والأربعون

وسط ناد محشود ومحفل مشهود جثم شيخ.

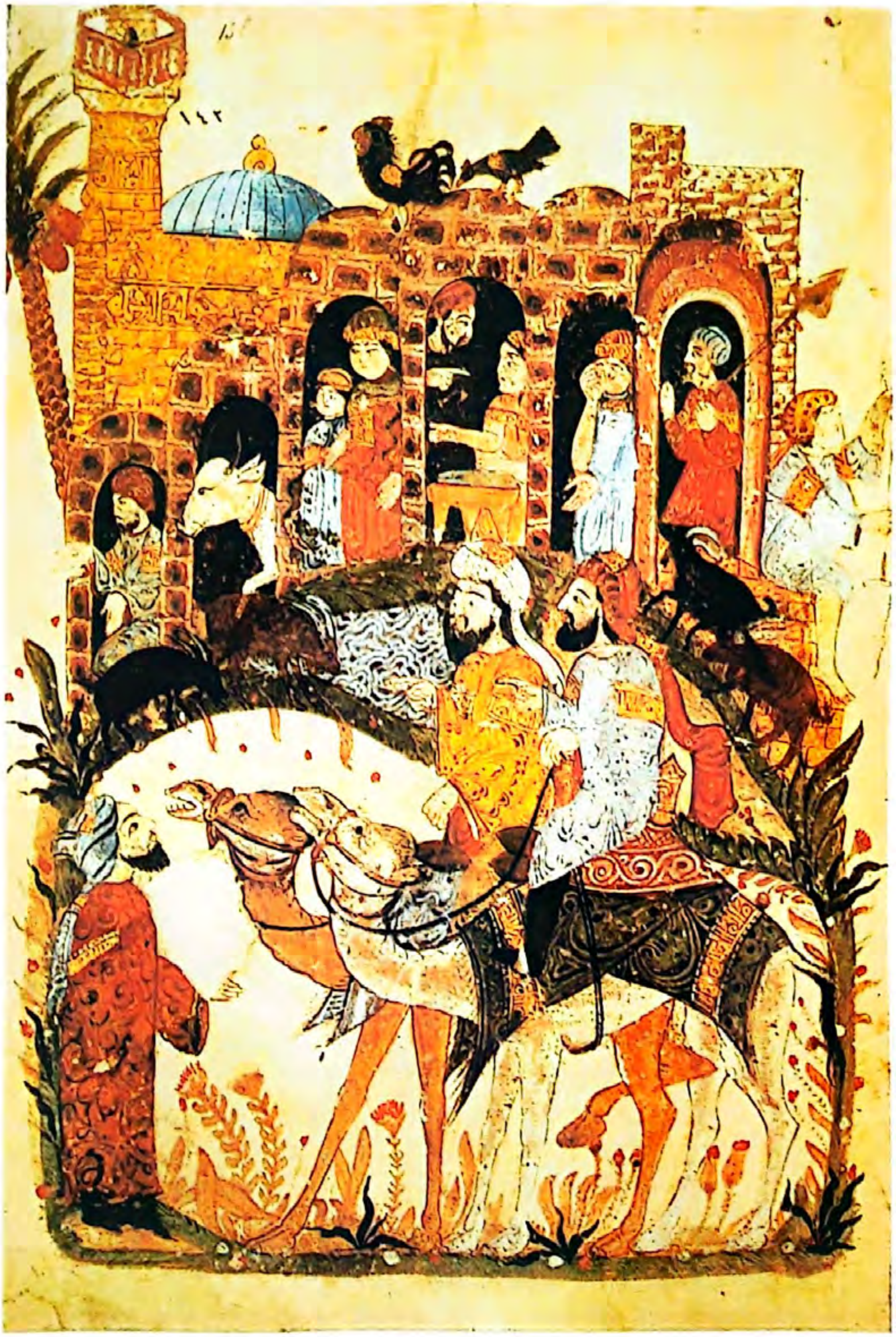


المقامة الثانية والأربعون «النجرانية»
أبو زيد يملي الألغاز الصعبة.



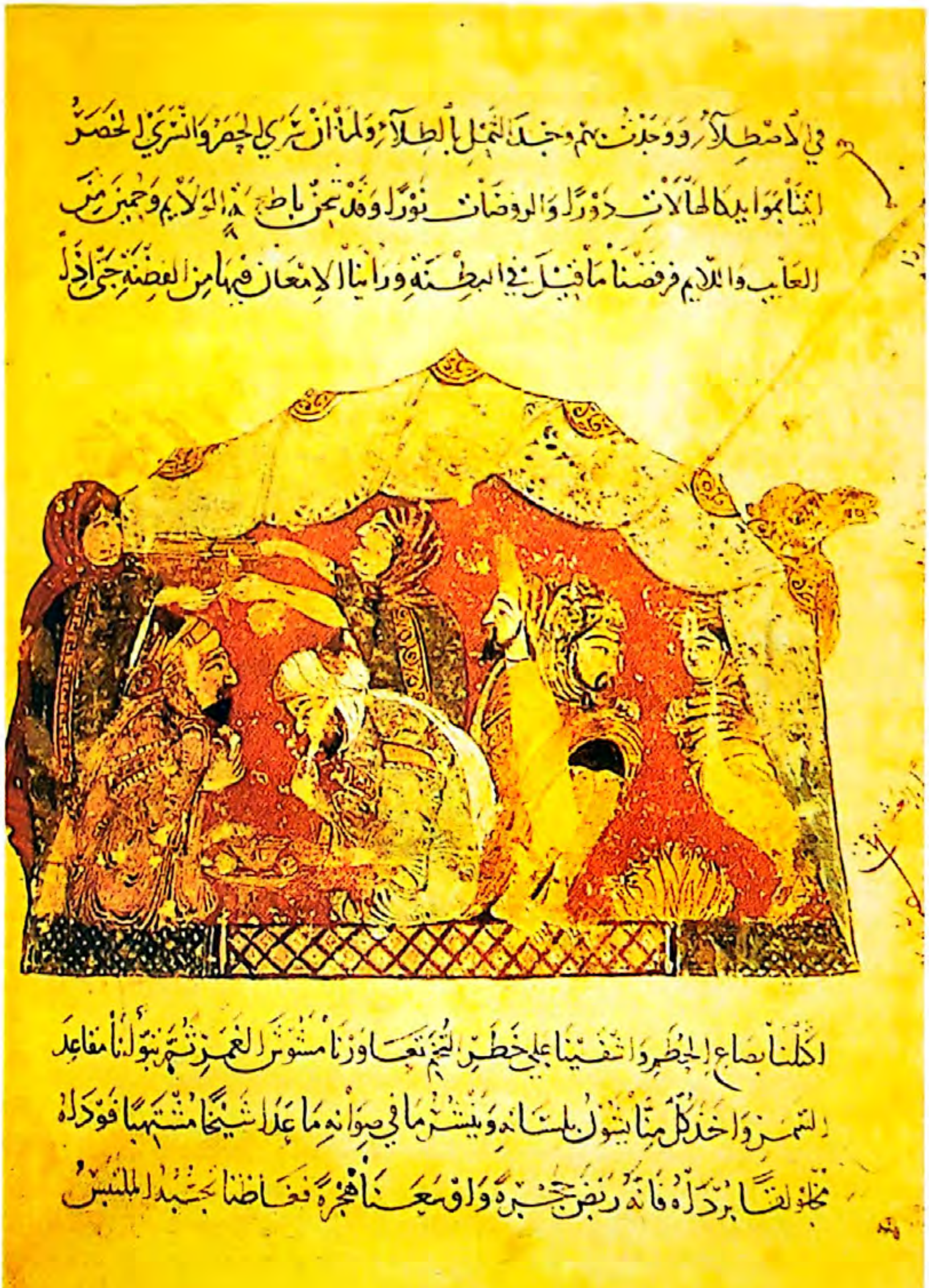
المقامة الثالثة والأربعون «البدويّة» المعروفة بالبِكْر والثَّيب

الحارث عندما أضل الطريق وشاهد أبا زيد نائماً.



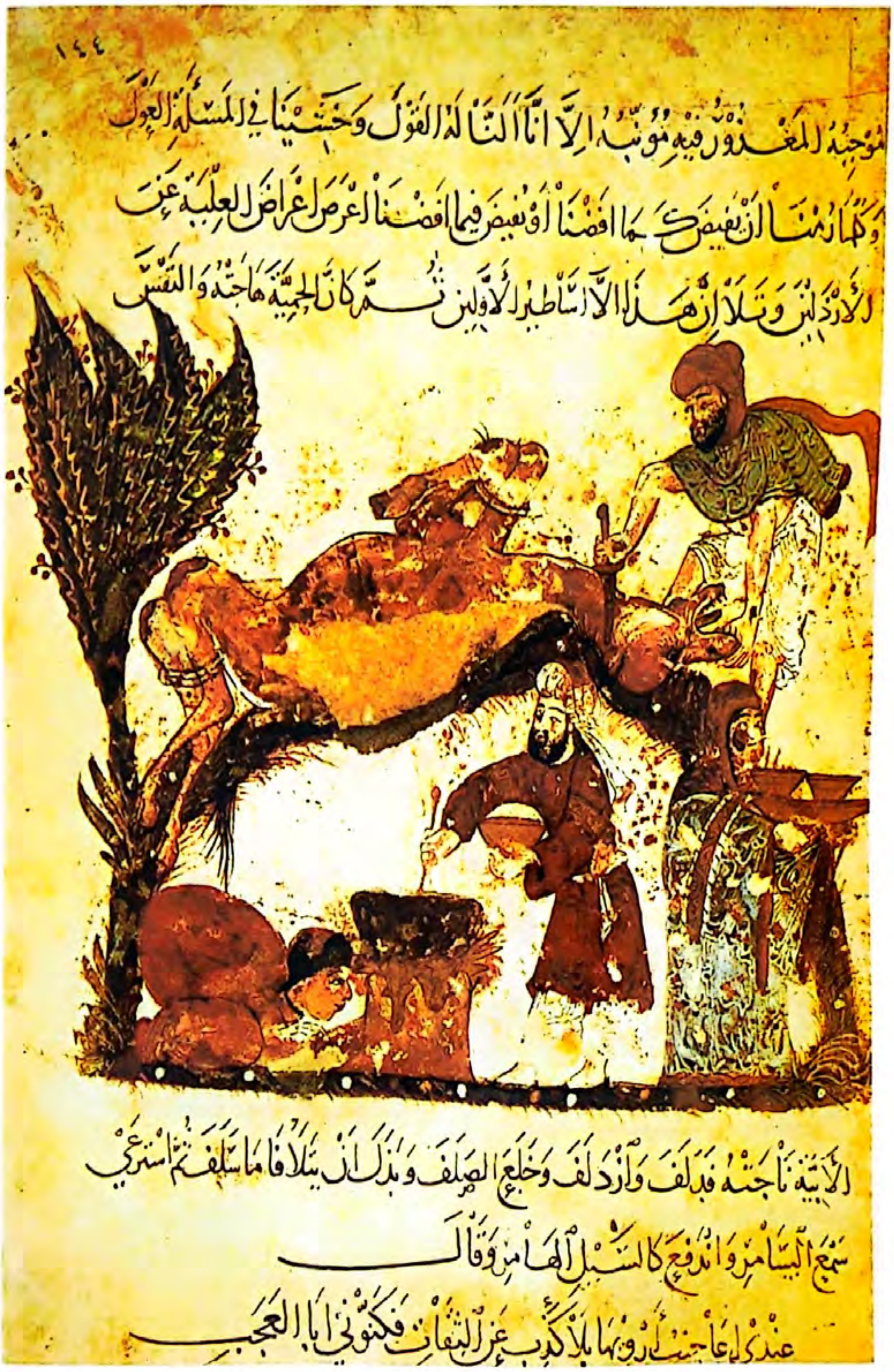
المقامة الثالثة والأربعون

وصول أبي زيد والحارث إلى القرية.



المقامة الرابعة والأربعون الشَّتْوية أو «اللّغزية»

الحارث يحل ضيفاً في خيمة ويتناول الطعام.



المقامة الرابعة والأربعون

الطاهي يحرك ما في القدر وقد قبع صبية أمام الموقد.



المقامة الرابعة والأربعون

أبو زيد مسرعاً بناقته هارباً مكتفياً بما غنم.



المقامة الخامسة والأربعون «الرمليّة»

الحارث وهو جالس بجوار قاضي الرملة.



المقامة السادسة والأربعون «الحلبيّة»

أبا زيد يعلم الصبية، والحارث ينظر إليه.



المقامة السادسة والأربعون

أحد الطلاب يجيب على أسئلة المعلم بحضور الحارث.



المقامة السابعة والأربعون «الحجريّة»

دكان بداخله أبو زيد يحجم غلاماً، والناس بانتظار دورهم.



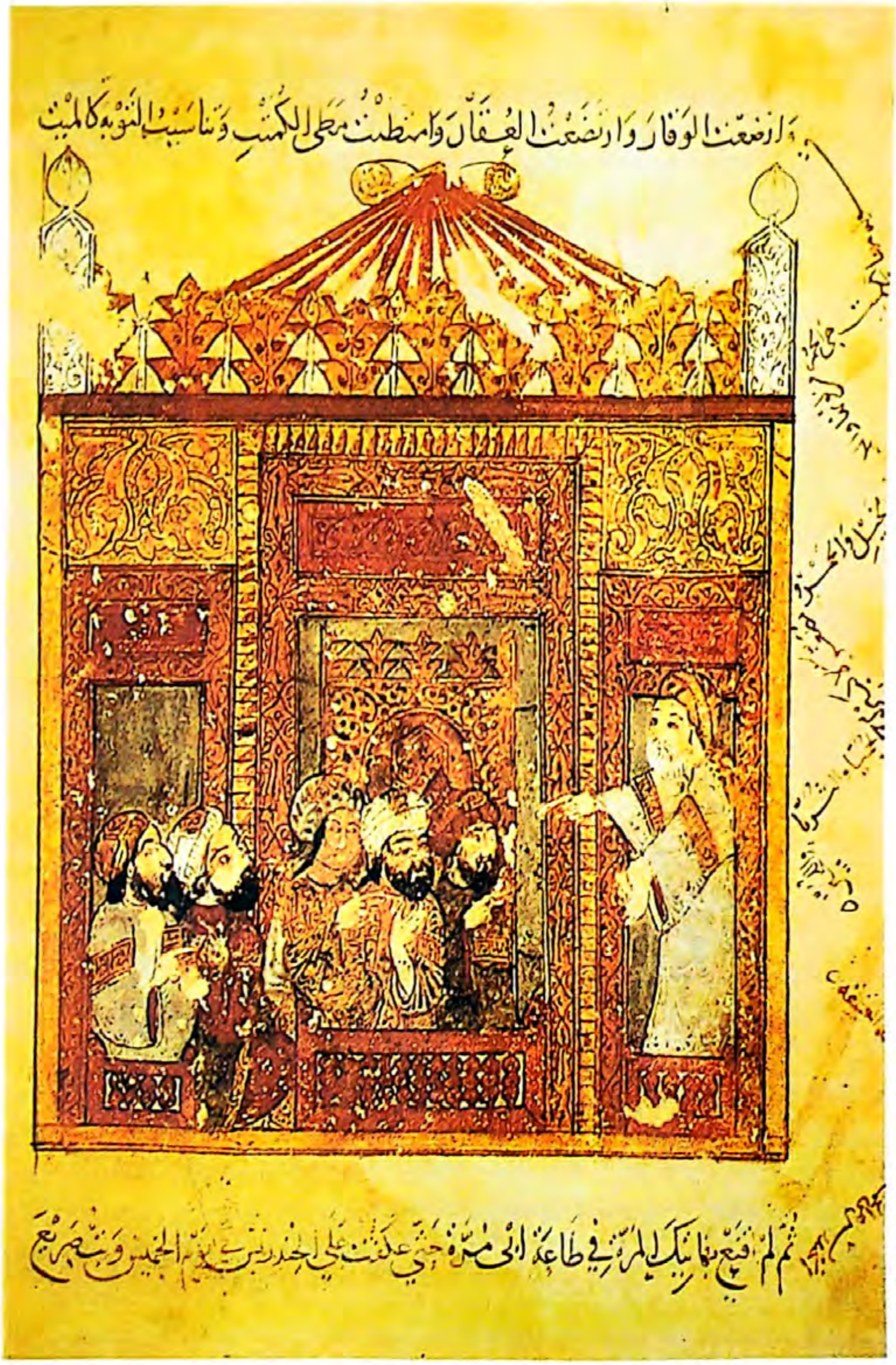
المقامة السابعة والأربعون

جمعا من سراة القوم على صهوات جيادهم وفي أيدي بعضهم أسنّة.



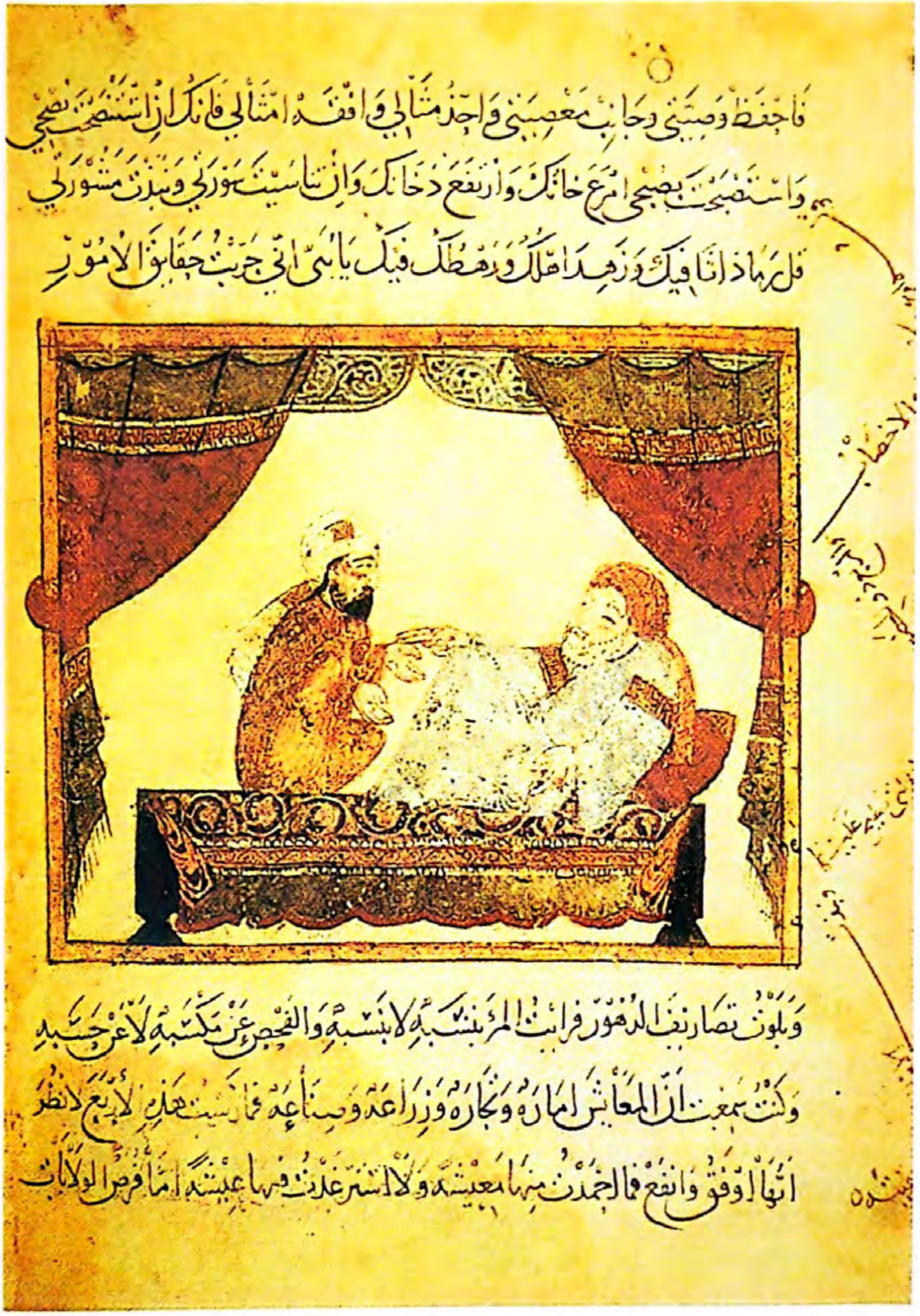
المقامة السابعة والأربعون

أبو زيد يقف على باب حانوته وهو يتحدث إلى جمهور من العامة.



المقامة الثامنة والأربعون «الحراميّة»

الحارث مع جماعة من المصلين.


فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقتف امثالي فانك ان استمعت نصحي
واستصبحت بمصباحي ارتع خانك وارتفع دخانك وان تناسيت سوري ونبذت مشوري
قل رماد اثافيك وزهد اهلك ورهطك فيك يا بني اني جربت حقائق الامور
وبلوت تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والتحجر عن مكسبه لا عن حسبه
وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة وزراعة وصناعة فمارست هذه الاربع لانظر
ايها اوفق وانفع فما احمدت منها معيشة ولا استرغدت فيها عيشة اما فرص الولايات

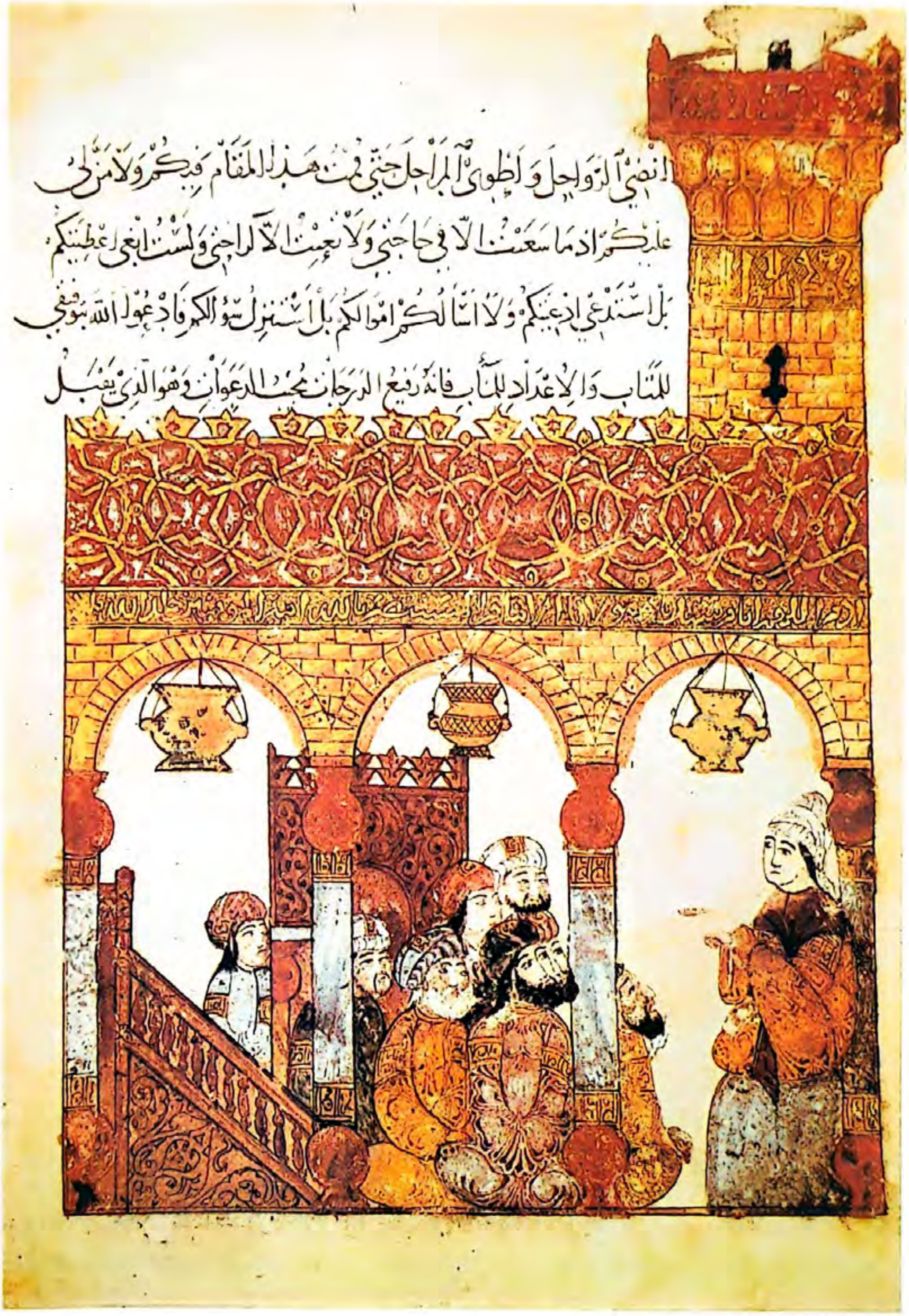
المقامة التاسعة والأربعون «الساسانيّة»

أبو زيد يوصي ابنه حين شارف على الموت.



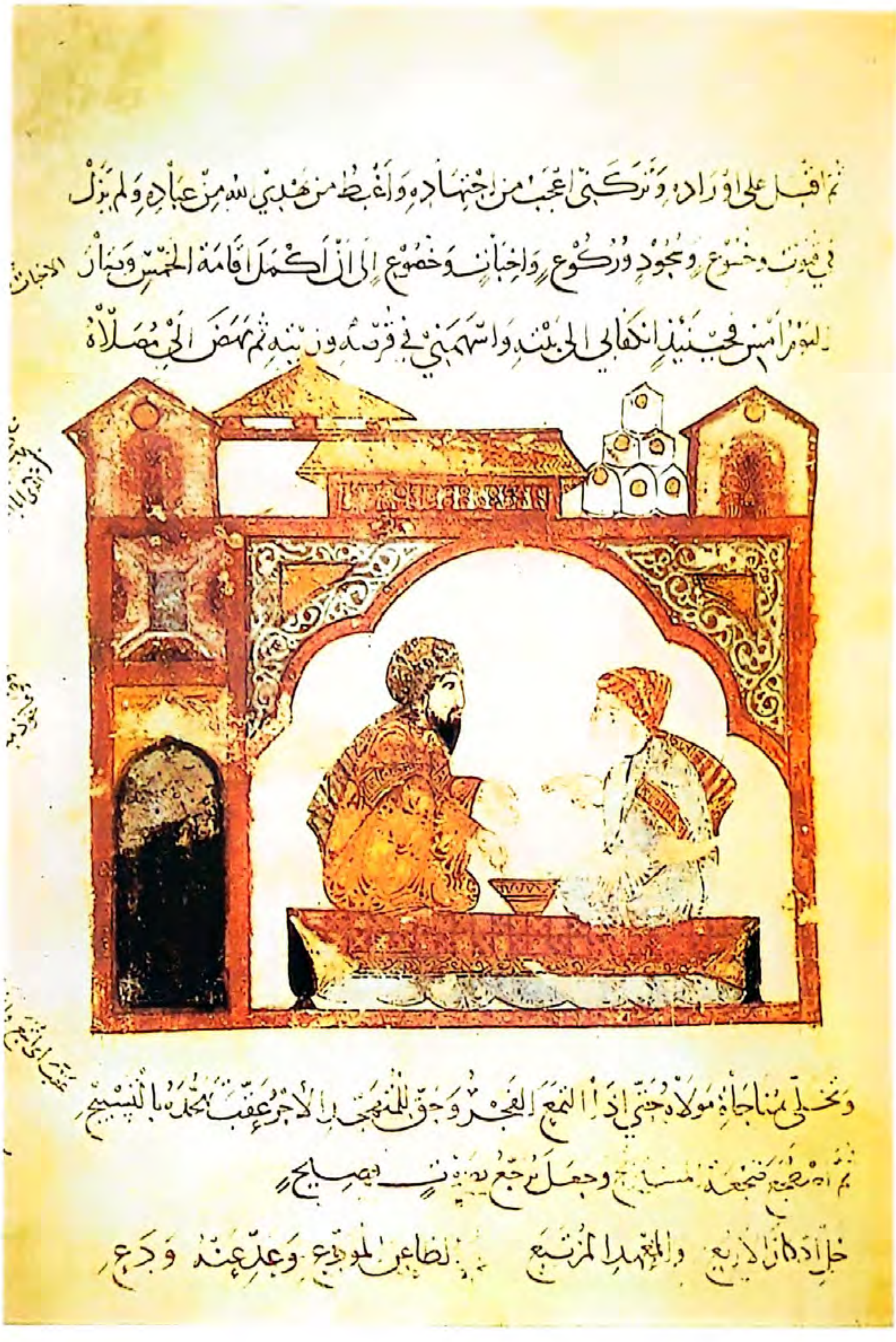
المقامة التاسعة والأربعون

الحارث أمام أبي زيد بعد أن بلغ من الكبر عتيًّا وأشرف على الموت
وأحضر ابنه وأوصاه.



المقامة الخمسون «البصريّة»

أبو زيد يخطب في مسجد البصرة.



المقامة الخمسون

الحارث يجلس أمام أبي زيد بعد أن انحدر من الصخرة التي كان جالساً عليها يدعو ربه.



مقامات الحريري

لأبي محمد القاسم بن علي الحريري البصري

المقامات فنّ من متون الكتابة العربية. وهي نوع من القصص القصيرة، لغتها متينة السبك، يدور الحوار فيها بين شخصين ويلتزم مؤلفها بالصفة الأدبية التي تعتمد على السجع.

والمعروف عن المقامات بشكلها الظاهري أنها تدور على الكدية والاستجداء ولكن الحريري قصد في تأليفها نقد المجتمع نقداً بناءً، عسى أن تجد لهذه العيوب إصلاحاً، فأسلوب عرضها خفيف وعباراتها رشيقة يسهل على القارئ فهمها، خصوصاً وأنها تتناول قضايا تخصهم كالمشاكل الاجتماعية.

الحريري صاحب المقامات كان أحد أئمة عصره. اشتملت مقاماته على شيء كثير من كلام العرب ومن لغاتها وأمثالها ورموزها وأسرار كلامها.

تدور مقامات الحريري حول ابتزاز المال عن طريق الحيلة من خلال مغامرات بطلها أبي زيد السروجي التي يرويها الحارث بن همّام.

ISBN 978-614-404-232-8
9 786144 042328